شبكة الألوكة
www.alukah.net

مكتبة الأستاذ الدكتور محمد بن تركي التركي

مخطوطة

نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض

المؤلف

أحمد بن محمد بن عمر (الخفاجي)

الملاحظات

- أصل هذه النسخة في مكتبة مللیت العامة بتركيا.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يا حفيظ أنقذ الارض

علما لمحتني من الدين املؤه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

٣٧٩ ب
٢٩

كان بالعصر السعيد وملجأ الملهى
السلطنة العلية العثمانية
عفى عنه

ك: 371

كتاب نسيم الرياض في شرح

شفا القاضي عياض تاليف

خاتمة المحدثين عمدة الفقها

والاصوليين العالم

العلامة الواثق بالمعيد

المبدى عين اعيان

المحققين شهاب افندي

الخفاجي نفعنا

الله بركاته والمسلمين

آمين

٤٦٩

MİLLET GENEL KÜTÜPHANESİ
KISIM : Feyzullah
ESKİ KAYİT No. 369
YENİ KAYİT No.
TASNİF No.

وقع

الحمد لله الذي نور الخافقين ببغشة النور المبين • وجعلها شفآ لما في الصدور وهدًى ورحمة للمؤمنين • فان الظلمات الضلال المدلهمة • فاذا حمت افواه الاباطيل باطفاء نور الله الا ان يتم نوره • حين اشرق به مصباح الهداية وقد كاد ان يلهب بالانطفاء • واتضح منهج الحق بعد ما اندرس رسمه وعفا • برسالته التي شرح الله بها الصدور • وانهار به ركن الباطل بعد ما صار من الغوايه على شفا • فاكمل الله به المنة على البرية • واحيي به موؤدات المعارف الالهيه في فترة الجاهلية • فصلى الله وسلم عليه وزاده تبجيلا وتكريما • كما امر بذلك فقال صلوا عليه وسلموا تسليما • وعلى عترته وصحبه الذين باعوا له ارواحهم بالجنة وسلموها تسليما • ماذر مسك المداد على كافور الطروس فعطر اردان الاذهان والنفوس هذا وان كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى كتاب قدر جليل وهو على جلالة مصنفه اول دليل • فانه كما في مطمح الانفس • اجل اعيان الاندلس • جاء بها على قدر • وسبق لنيل المعالي وابتدر • فاستيقظ لها والناس نيام • ووردماءها وهم صيام فتحلت به للعلوم نحور • وتجلت له منها عرائس حور • كالهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن انس قبله ولا جان • والحضنه بالاصالة ورايها • وسقته درها وانداها • والقت اليه الرياسة مقاليدها • وملكته طريفها وتليدها • وهو على اختصاصه بهذه المرتبة الرفيعة • واعتنايه باعلام معالم الشريعة • يعتني باقامة اود الادب • وينسل اليه ارباب من كل حدب • مع تحفاف وصون • اعدم الفساد بعد الكون وقد وفد في بيان بعض ما يجب من اياته • وتنشر على كاهل الدهر الوية الثنا بين يدي صفاته • مما يحق له ان يكتب بالنور • في صحايف وجنات الحور • وينقش بقلم العقل معانيه • ويخط على الواح الاذهان لاطفال الارواح مبانيه •

صحف

• صحف انزعت بشهد حلا في • كل ذوق لذاك كان شفا •

ولعمري لقد نثر الدر فيه من فيه • وبلغت امانيه ما كانت تنويه من التنويه حديث لو ان الميت نودي باسمه • لاصبح حيا بعد ما ضمه القبر وقد كنت قديما وحديثا • يحثني حادي الشوق نحو حثيثا • وقضب الصبا غضة مورقة الافنان • ورياضه الزاهر محفوفة بروح وريحان • لشغفي بصفاته وموصوفه وطوني بسماع تليده وطريفه • تمثلا بحيا شفت عنها ظروف حروفه • لا زال اقنوا العين بالاثر • منشدًا وقد ناب السمع عن البصر •

• فاتني ان ارى الديار بطرفي • فلعلي ارى الديار بسمعي •

وكان يصدني عنه ما في الباع من القصر • وزمان لا يعرف فيه ورد من صدر ثم قلت لضيف الفكر • خبر الطعام ما حضر • وخير انوا الربيع ما ابتكر فلما رايت له شروحا ان مما تنشرح لها الصدور • وان لم تخل قصورها المشيدة من قصور • وفي بعضها اغاليط • وتطويل مملل وتخليط • الا ان تقليد الناس لبي صريح ندائها • والبخت قد امن على دعائها • فتلا لا ما فيها من تلاعب الظنون • قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون فسودت بعض الاماني رجاء ان يبيض لها صحف اعمالي • فيسر لها كاتب اليمين وترفعها ايدي الكرام الكاتبين فلما راه بعض الاصحاب • سالني ان ابرز محيا آنته من خلف الحجاب • والح علي في ذلك دفعة بعد دفعة • وانا اقول له هذا ياسمين لا يساوي جمعه • وهو بمديد امله لا قطاف ورده له لا تجتني • وبيم بذوق ثمراته الغضة الجنا • وقضيب بريح القبول ما تونخت ووردته بنسيم السحر ما تفتحت •

• كعذارا ابصرها مبصر • فغطت باكمامها راسها •

نثر عرض لي بغتة عرض • مما اضر بجوهر القوى من العرض • فقصدت شفا الروح والبدن • باساء الجسم الضعيف لحد بثه الصحيح الحسن • رجا الظفر بسعادة الدارين • مما فيه من عين الفرح وقرة الحين لتشتفي به امراض القلب اذا اتت الساعه • فنلت منه بحمد الله تريا فاجريا وبرء ساعه ولما انجلى على منصة التمام • وفض منه مسك الختام سميته نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض • رجا ان يهب عليه ريح القبول وان كانت نسمات الامال عليله ويشمله نفحة من نفحات الرسول صلى الله عليه وسلم فتشفي من الظما غليله واعلم ان سندي في هذا الكتاب وغيره من كتب الحديث سلسلة الذهب

من طرق عالية اعلاها رواية عن خاتمة المحدثين الشيخ ابراهيم الحلبي وهو عن
اخيه الشمس الحلبي شارح الجامع الصغير عن مولفه الجلال السيوطي بقوله الى عليه
من اوله الى آخره بالجامع الازهر وسند السيوطي رحمه الله اشهر من الشمس في رابعة
النهار وعن شيخ الاسلام شافعي زمانه الشيخ العلامة شمس الدين محمد الرملي
عن والده الشيخ احمد الرملي عن شيخ الاسلام زكريا الانصاري وعن والدي قدس
الله روحه عن الشيخ شهاب الدين بن حجر الهيتمي وهكذا كابرا عن كابر الى المصنف
رحمه الله وهو عياض بن موسى بن عياض بن عمرون موسى بن عياض اليحصبي السبتي
الغرناطي المالكي قاضي سبته بالمغرب صاحب التصانيف الجليلة كشرح مسلم وغيره
كالمشارق اي في تفسيره وله مدة طويلة شم نقل الى غرناطة في سنة احدى وثلاثين
وخمسماية ولم يطل امده بها ثم ولي قضاء سبتة ثانيا وكان مولده بسبتة في شهر
شعبان سنة ست وسبعين واربعماية فهو سبتي الدار والميلاد اندلسي الاصل
فان اصوله نشاوا قديما بالاندلس ثم انتقلوا الى مدينة فاس وكان لهم استقرار
بالقيروان وانتقل بعضهم الى سبتة بعد سكنى فاس وبرع في العلوم النقلية
والعقلية واما ادبه وبلاغته شعرا فحدث عن البحر ولا حرج وفاته يوم الجمعة
بمراكش في جمادى الاخرة سنة اربع واربعين وخمسماية وما قيل من انه قتل لا اصل
له وفيه يقول علي ابن هارون.

• ظلموا عياضا وهو بحلم عنهم • والظلم بين العالمين قديم •
• جعلوا مكان الراء عينا في اسمه • كي يكتموه وشانه معلوم •
• لولاه ما فاحت بساط سبتة • والروض حول فنائها معذور •

وفي طبقات ابن فرحون لعلماء المالكية انه كان اماما في الفقه والتفسير والحديث
وسائر العلوم خطيبا بليغا وذكر من تاليفه نحو ثلاثين تاليفا جليلة وانشد
له من شعره.

• • الله يعلم اني منذ لم اركم • كطائر خانه ريش الجناحين •
• ولو قدرت ركبت الريح نحوكم • وان يكن بعدكم حرمي جناحين •

وقوله

• • انظر الى الزرع وخاماته • شقائق النعمان فيها جراح •

قال واليحصبي بفتح المثناة التحتية وسكون الحاء المهملة وتثليث
الصاد المهملة نسبة الى يحصب بن مالك ابو قبيلة باليمن والغرناطي نسبة الى غرناطة
بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة ونون والف بعدها مهملة وها ويقال لغرناطة

بالف

بالف قبل الغين ايضا انتهى وياتي لذلك مزيد بيان وسبتة مدينة مشهورة وقرات
في ديوان ابن الفتوى اليمني الشافعي رحمه الله ان كتاب الشفا ما شاهدوا
بركاته حتى لا يقع ضرر لمكان كان فيه ولا تغرق سفينة كان فيها وانه اذا قرئ
مريض او قرئ عليه عافاه الله منه وقال في ذلك.

• • ما بالكتاب هواي لكن الهوى • اسمى بمن اسمى به مكتوبا •
• • كالدار تهدى العاشقون بذكرها • شغفا بها ليقبلوا المحبوبا •
• • ارجوا الشفا تفاؤلا لاسم الشفا • فحوى الشفا وادرك المطلوبا •
• • وبقدر حسن الظن ينبغي الفتى • لاسيما لمن يصيخ مجيبا •

وياتي لذلك مزيد بيان وانا ممن جرب بركته وشاهدها ولله الحمد وانا
لنرجو فوق ذلك مظهرا واعلم ان في الشفا بعض احاديث ضعيفة وقليل
مما قيل انه موضوع تبع فيه بن سبع في شفائه وقد نبه على ذلك كله الجلال
السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه مناهل الصفا في تخريج احاديث الشفا
ولم ينصف الذهبي في قوله انه محشو بالاحاديث الموضوعة والتاويلات الواهية
الدالة على قلة نقده مما لا يحتاج قد النبوة له ثم قال فعليك بدلايل النبوة للبيهقي رحمه
الله فانه كله هدى ونور وقال الذهبي ايضا انه قلد فيما ذكره ابن سبع. وكفى المرء نبلا
ان تعد معايبه وهو نحامل منه لا ينبغي وستوى ان شاء الله ما ذكر في محله فانا لم
نترك شيئا يحتاج اليه قارىء هذا الكتاب ان شاء الله تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم ابتدا بالبسملة موافقة بالحديث
المشهور وهو كل امر ذي بال لا يبدا فيه بالحمد لله فهو اقطع وفي رواية بسم
الله الرحمن الرحيم وفي اخرى بذكر الله والاشكال في تعارض هذه الروايات
مشهور وكذا التوفيق بينها بحمل الابتدا على العرفي الممتد او مجرد التقدم
على المقصود ومهما متغايران وكذا ما قيل من ان رواية البسملة يرد عليها الاذان
والخطبة ونحوهما من بعض الامور المهمة مما لا يبدا بها فيه واجيب بان المراد في الروايا
كلها الابتدا باحدهما او بما يقوم مقامه بدليل الاكتفا تارة بالبسملة وتارة
وتارة بالحمدلة وتارة بغيرهما فاندفع الاشكال واشكال التدافع ايضا او يحمل
المفيد على المطلق وهو ذكر الله والكلام على هذا اشهر من تعانيك فلا فايدة
في الاعادة وههنا اشكال ابداه شيخ مشايخنا السيد عيسى الصفوي رحمه
الله وتلقاه من بعده بالقبول من عامة من رايناه وهو ان جملة البسملة لا تخلوا
اما ان تكون خبرية او انشائية ويتجه على الاول ان من شان الخبر الصادق ان

مدلوله بروزه في نفس الامر ويكون الخبر حكاية عنه كما اتفقوا عليه وما نحن فيه ليس كذلك لان مصاحبة الاسم والاستعانة به من تتمته وهما لا يتحققان الا بهذا اللفظ اللهم الا ان يجوز مثل ذلك في نحو قولك اتكلم او اقوم متكلما مخبرا بتكلم حصل بهذا اللفظ وفيه توقف وعلى الثاني ان من شان الانسان ان يتحقق مدلوله به واصل جملة البسملة ليس كذلك غالبا اذ الاكل والشرب ونحوهما مما ليس بقول لا يحصل بالبسملة فان كانت لانشا المصاحبة او الاستعانة يلزم ان يكون الجملة لانشا متعلقها والاصل اي ويكون الاصل غير مقصود بوجه ولو قيل ان المعنى ابتدا او افتتح اي اجعله بدائة الفعل والجملة لانشا الجعل وانه بداية كل شي كما نقل عن الامام لا يلزم مما مر الا انه خلاف المشهور ولا يتم ايضا على تقدير الخبرية لان المصاحبة والاستعانة من تتمة الخبر وهما لا يتحققان الا بهذا اللفظ وهو شان الانشا على انه لا يجري حقيقة الخ نحو التاليف مما يمكن ان يكون بدالة حقيقة واجراؤه فيما سواه يحتاج للمسامحة في جعله بدالة

اقول الظاهر ان هذه الجملة انشائية لانشا التبرك الموقوف على التلفظ بالبسملة وما نحن فيه هذا القائل على تقدير الانشائية من الحيالات الواهية والآراء الفارغة وقوله انها حينئذ لانشا المتعلق ومثله في غاية النذور عدم صحته في غاية الظهور الا ترى ان ادوات الاستفهام باسرها انما تدخل على الجمل المتحقق مضمونها خارجا فتفيد بجملتها انشا كما يقول من راى شخصا قائما لم يحط بشخصه واحواله خبرا من قام او على اي حال قام وهكذا ايما لم يحط به نطاق الحصر ولم يحم حوله النذور ولا يقال انه مع تحقق القيام في الخارج انه لانشا المتعلق وكذا كم غلط وقع مني ورب صواب صدر من غيرك كما صرح به الرضي واما لكونه لانشا الجعل فتعسف من غير داع لارتكاب مثله وانا اعجب من هذا الفاضل كيف زعم ورود ما قال ومن ارتضاه بعده من فحول الرجال

وعين الرضى عن كل عيب كليلة ... كما ان عين السخط تبدي المساويا

وفي النسخ قال القاضي المتنبه الامام ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض بكسر العين المهملة وفتح الياء المثناة وبعدها الف وضاد معجمة اليحصبي رضي الله عنه قال في القاموس يحصب مثلثة الصاد والنسبة مثلثة ايضا لا بالفتح فقط كما زعم الجوهري وكيضرب قلعة بالاندلس انتهى وفي لباب الانساب لابن الاثير اليحصبي بفتح الياء وسكون الحاء المهملة وكسر الصاد المهملة وقيل بضمها وكسر الياء وهذه النسبة الى يحصب ومي قبيلة من حمير

سميت باسم ابيها يحصب بن مالك قلت هذا ضبطه ابو سعيد بالضاد المكسورة والصحيح فتحها لان يحصب بالكسر فتفتح في النسب كمنري وتعلبي انتهى قلت لهذا عرفت ان رد صاحب القاموس على الجوهري مردود لانه قول بل لانه القياس المضطرد في امثاله وما خالف شاذ لا يعول عليه وهذه الاوصاف ليست من كلام المصنف رحمه الله تعالى وانما كتبها من بعده توقيرا له ولقب بابي الفضل كما قيل

ابى الفضل من اجرى الى الفضل يافعا ... فصار به يدعى وصار به يكنى

الحمد لله الحمد هو الوصف بالجميل على الجميل الصادر بالاختيار حقيقة او حكما على وجه التعظيم ظاهرا او باطنا بان لا يصدر ولا يلزم اعتقاد اتصاف المحمود بالجميل المذكور عند متاخري المحققين وفي هذا المقام كلام طويل الذيل ليس هذا محله والله اسم للمعبود بحق المستوجب جميع المحامد وفي علميته وفي اصله ما يغنيك عن ذكر شهرته والمراد ان جنس الحمد او جميع افراده مختصة به تعالى فان قلنا الاختصاص الذي يدل عليه اللام بمعنى الانحصار وضعا او بمعونة المقام يحمل الاختصاص الذي ذكر الفرد الكامل اما على المبالغة تنزيلا للغير منزلة العدم او منزلة حمد تعالى لانه مبدء وكل جميل او على الحقيقة لان الحمد عليه بحسب صدوره بالاختيار بالذات ولا اختيار لغيره بالذات عند البعض ومذهبنا على حمل الاختيار على الحقيقي الذاتي والاول بنا على حمله على العرفي الظاهر ولكل وجهة ولو اريد الاختصاص هنا العلاقة والمناسبة الكاملة فلا تكلف على ما فصله شراح المطول والعضد وفي شرح السيد ان جملة الحمد لانشاء الحمد لانها من صيغ الحمد شرعا اولا لانها على الاتصاف بجميل ولو عرفا فيصدق تعريف الحمد عليها وفيه نظر وها هنا بحث ابداه ابن الهمام رحمه الله في شرح البديع فقال جملة الحمد صيغة انشاء معنى كصيغ العقود وبالغ بعضهم في انكار كونها انشاء لما يلزم عليه من انتفاء الاتصاف بالجميل قبل حمد الحامد ضرورة ان الانشاء يقارن معناه لفظه في الوجود ويبطل من قطعتين احداهما ان الحامدية ثابت قطعا بل الحامدون والاخرى انه لا بصاغ لغة للخبر عن غيره من متعلق اخبار اسم قطعا فلا يقال لقائل زيد ثبت له القيام قايم فلو كان الحمد اخبارا محضا لم يقل لقائل الحمد لله حامد ولا ينفي الحامدون وهما باطلان فبطل ملزومهما واللازم من المقارنة انتفاء وصف الواصف المعين لا الاتصاف وهذا لان الحمد اظهار صفات الكمال الثابتة لا ثبوتها نعم نتراى لزوم كون كل

بخبر منشأ حيث كان واصفا للواقع ومظهرا له وهو توهم فان الحامد ماخوذ
فيه مع ذكر الواقع كونه على وجه ابتدا التعظيم وهو ليس جزء ماهية الخبر فاختلف
الحقيقتان وظهران الغفلة عن اعتبار هذا القيد جزء ماهية الحمد وهو منشأ
الغلط ادبا لغفلة عنه ظن انه اخبار لوجود خارج يطابقه وهو الاتصاف
والاخارج للانشا وان كانت تعلم ان هذا خارج جزء المفهوم وهو الوصف بالجميل
وتمامه وهو المركب منه ومن كونه على وجه ابتدا التعظيم لا خارج له انتهى
اقول هذا صنو ما مر في البسملة وهو تعسف لا وجه له فان هذه
الجملة يصح فيها الخبرية والانشائية من غير ارتكاب لمثل هذه الاوهام فان انكاره
الانشا انه يلزمه الاتصاف بالجميل واه جدا لانه انما انتفى الوصف لا الاتصاف
وشتان ما بينهما وقد كفانا بيانه مؤنته واما ابطاله الخبرية بقولهم حامد
وحامد فطالعة عجيب لانه ليس نظير من قال زيد قايم بل نظير من قال زيد متكلم
فانه مخبر ويصح ان يوصف بانه متكلم ايضا لاتصاف المخبر بما اخبر به من غير
ومشاركته له في ذلك كما ان المخبر عن الحمد والاتصاف بالجميل واستحقاقه
للتعظيم مع اعتقاده لذلك ظاهرا محظر فهو حامد وواصف له وهو ظاهر
لمن نور الله بصيرته وهو ان الحامد الى اخر ممنوع فانه انما يوجد فيه ذلك
اذا لم يتمحض للاخبار فحينئذ يكون التعظيم وابتداؤه لازما له لا جزؤه
وقد بسطنا هذا في العناية فحسبك من العلاوة ما احاط بالعنق الفرد قال
الراغب الفرد الذي لا يختلط بغيره وهو اعم من الوتر واخص من الواحد وجمعه
فرادى قال تعالى لا تذرني فردا اي وحيدا ويقال في الله فرد تنبيها على
انه مخالف للاشياء كلها في الازدواج المنبه عليها بقوله تعالى ومن كل شيء خلقنا
زوجين وقيل معناه المستغني عما عداه فهو كقوله تعالى ان الله لغني
عن العالمين فاذا قيل هو فرد فمعناه منفرد بوحدانيته مستغن عن كل تركيب
وازدواج تنبيها على انه مخالف للموجودات كلها ومنفرد في كلام المصنف رحمه
الله تعالى ضبط بالنون والتاء الفوقية من باب الانفعال والتفعل ومعناه
مامور وفسر ايضا بعدم مشاركة غيره له في ذاته وصفاته وكل ما يختص به من
نعوت جلاله والمراد هنا التفرد المخصوص بمتعلقه الاتي واطلاقه على
الله تعالى اما للبوته كما يشعر به كلام مهم او للاكتفا بورود ما يشاركه
في مادته ومعناه او بناء على جواز اطلاق ما لا يوهم نقصا مطلقا او على سبيل
التوصيف دون التسمية كما ذهب اليه الغزالي رحمه الله تعالى والانفعال للمطاوعة

والمراد

والمراد انه بدون صنع فتفرده بذاته لذاته وكذا التفعل للصيرورة
بدون صنع ايضا كتجبل الطين اي صار جبلا اصليا من غير مدخل للغير كتكون
وتولد وكذا التوحد الا انه قيل فيه انه للتكلف في الاصل فاريد به غايته
ومنتهى الحال والمبالغة لان المتكلف يبالغ فيما تكلفه ويتانق فيه كما قيل
في المتكبر باسمه الاسمي الباصلة المنفرد والاسم اما من السمة بمعنى العلامة
او من السمو كالعلو لغة ومعنى قيل وفي قوله الاسما اما الى الثاني والبا اما للتعد
لانه يقال تفرد وانفرد بكذا اذا استقل به او للملابسة والاول ارجح
ورجح الثاني بافادته التفرد المطلق وتضمنه الرد على من يقول بمشاركة
ذاته لسائر الذوات في الماهية وتميزها بالصفات العلية والاسمى افعل
تفضيل بمعنى الاعلى من السمو وهو العلو والاضافة تاتي لما ياتي له اللام فان
كانت للعهد بان يراد به لفظ الاشتهار انه اسم الذات وما سواه اسما صفات
فالمفضل عليه ما سواه من اسمائه الكرمية وفيه اشارة الى انه الاسم الاعظم
كما ذهب اليه كثير وفيه اقوال اخر مشهورة او للجنس فالمراد به اسماؤه المختصة
به فالرحمن والرزاق او مطلق اسمائه لاختصاصها به في الحقيقة وان
اطلق بعضها على غيره كالملك فانه بمعنى اخروي والبدايع لابن القيم اسماؤه
تعالى التي تطلق عليه وعلى غيره حكمي وسمي هل هي حقيقة فيه تعالى مجاز
في غيره او مجاز فيه حقيقة في غيره او حقيقة فيهما اقوال اظهرها الاخير
فتدبر وعلى الثاني المراد ان كل اسم من اسمائه اشرف مما سواه وشرف الاسم
بشرف مسماه فان قلت قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى في الفقه الاكبر
اسماء الله تعالى وصفاته مستوية في العظم والفضل لا تفاوت بينهما
وهو مناف لما ذكر قلت مراده رحمه الله من حيث
اضافتها الى المسمى والموصوف لان مسمى جميع الاسما والموصوف بجميع
الصفات واحد وهو الله تعالى وهذا لا ينافي التفاوت في حقايقها
من حيث ان بعضها في حيطة بعض لتقدمه رتبة وبحسب الظهور كالاولية
التي تشتمل حيطتها اكثر الصفات والعلم بالنسبة للقدرة والقدرة بالنسبة
للارادة فعدم التفاوت بين الاسما ليس الا باستوايها بحسب الاضافة
الى الذات كما فصله الشيخ تقي الدين في شرح الفقه الاكبر وفيه ايضا
ان ايات القران متساوية في الفضل قال الشارح نساوا لفا من جهة القرانية
واضافتها الى الله تعالى وان كان لبعضها فضيلة الذكر والمذكور كاية الكرسي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وايات القصص وعليه يترتب ما روى في فضايل السور المختص اختص يكون
لازما ومتعديا يقال اختصه بكذا فاختص فيجوز في المختص ان يكون اسم فاعل
من اللازم بمعنى منفرد ومستقل وفي الصحاح خصه بالشيء خصوصا وخصوصية
والفتح افصح وخصيصى واختصه بكذا اخصه وفي شرح السيد القياس ان
تدخل الباء التي هي صلة الاختصاص على ما لا يوجد الشيء في غيره فتقول المختص
به الملك كما يقال اختص السواد بزيد وكثيرا ما تدخل على ما لا يوجد في الغير
كما فعله المصنف رحمه الله تعالى وهو فصيح ايضا والمعنى على التقديرين واحد
اي هذا الملك لا يكون لغيره والثاني اكثر استعمالا والاختصاص حينيذ
مجاز عن التمييز اي تميز عن غيره بالملك وهذا ملخص ما قاله القوم كما في شروح
الكشاف وحواشي المطول وهو مع اشتهاره وتلقيه بالقبول عند من يرى التقليد
شريعة منسوخة غير مقبول وفي شرح المفتاح للسعد واخال الباقي المقصور
عليه هو الاستعمال العربي في العامي واوخالها في المقصور هو الاستعمال الشايع
العربي وقال قدس سره الاصل في لفظ التخصيص والاختصاص والخصوص
ان يستعمل باد خال الباء في المقصور عليه فيقال اختص الجود بزيد اي صار
مقصورا عليه الا ان الاكثر في الاستعمال ادخالها على المقصور بناء على تضمن
ذلك معنى التمييز والافراد وقيل انه مجاز صار بمنزلة الحقيقة لشيوعه
هذا زبدة ما محصته الافكار وانا اقول هذا كلام غير محرر لان
الظاهر انه يسند حقيقة لكل منهما وقد يترجح احدهما بحسب المقام فان
الفاعل الحقيقي من قام به الفعل لا من اوجده كما تحقق في الاصول فاذا
اسند الى احدهما حقيقة تعين دخول الباء على الاخر لان قيام الاختصاص به
اما بحسب نفس الامر والاستحقاق او بقهر وتغلب فعلى الاول يسند حقيقة
للمقصور لانه اختص بنفسه وعلى الثاني يسند للمقصور عليه حقيقة لانه
بفعله مثاله لو مات رجل عن ابن وخال يختص المال بالابن فتقول اختص
مال فلان بابنه دون خاله فلو كان له ابنان جاز احدهما المال كله تغلبا هر
فالاولى ان تقول اختص الابن بالمال فيتعين دخول الباء على المقصور عليه
وفي الثاني بالعكس فالظاهر ان كلا منهما فصيح صحيح لغة خفيفة فيهما وليس
للمعنى فيهما ولحد وزعم مع هذا انه مجاز خبط وفي كلام اللغويين ما يصح
بما قلناه ثم ان قوله تعالى يختص برحمته من يشاء يحتمل فيه منحد واسناده
الى الله واد خال الباء على الرحمة اشارة الى انه بمحض كرمه ولطفه ولو اسند

لمن

عيسى

عرضي

لمن اولى للرحمة او هو خلافه فتامله فانه دقيق جدا بالملك الظاهر انه هنا
بضم الميم وان جوز فيه الكسر والفتح وهو اتحدها وهو الاختصاص
بقدرة التصرف في الامور المملوكة بتنفيذ الاوامر والنواهي وفسر بالاستوا
على الاشيا قادرا على استبدادها وقد يراد به الاشيا المحتوى عليها والفرق
بين المضمور والمكسور له تحقيق بديع في كشف الكشاف وبينهما
عموم وخصوص فان الاول السلطنة والثاني ملك الاعيان وقد يجتمعان
واياك ان الملكوت فسر بالملك والسلطنة وتاوه للمبالغة كرحموت
وجبروت وقد فرق بينهما بان الملك عالم الشهادة والاجسام والملكوت
عالم الغيب والارواح وهو فرق لغوي وقيل اصطلاحي لاهل الحكمة
والتصوف والباء داخلة على المقصور وقد سمعته انفا الاعز افعل تفضيل من
العز والمنعة قال الراغب العزة حالة مانعة للانسان من ان يغلب او يقهر ويغلب
من قولهم ارض عزاز اي صلبة كانه في عزاز اي محل يصعب الوصول اليه
كالجبل الشامخ وهذا ما قاله اهل اللغة قاطبة ومن لم يقف عليه قال
في شرحه معنى كونه اعز انه احتواه عليه اغلب من كل احتواء ولا ينبغي ان يفسر
الاعز هنا بالاشد لانه لا معنى لوصف الملك بالشدة والصلابة الاحمى انعل
تفضيل من حميته حماية فهو محمي وحمى اذا صنته والحمي مصون واصله ارض يمنع
من قطع نباته ورعيه وكانوا يفعلونه في الجاهلية كما يؤيدون فلما جاء
الاسلام نهى عنه صلى الله عليه وسلم فقال لا حمى الا لله ورسوله فلذا منع شرعا
الا باذن الامام لمصلحة واحمى اتم تفضيل على خلاف القياس ان كان بمعنى
المفعول كاشغل من ذات اليحنى او على القياس بمعنى الفاعل بحمله كانه يحمي
نفسه لعظمته ان يصل اليه احد فحمايته اعظم من حماية كل حام للملك لكونه
نفيسة وجدها فغير لا يدعي انها ملكه لعظمة قدرها عنده كانها حمت
نفسها عن تملك نسلم لها كما قيل في مقدمة الكتاب اذا كانت من قدم المتعدي كانها
قدمت نفسها وهو المناسب لقول الاعز فاسناده مجازي والمعنى على الاول
ان ملك غيره اذا كان محميا فملكه تعالى محمي بحماية اقوى من كل حماية لانه ملك
لا يصير لغيره الا الى الله تصير الامور ولا حاجة لتجريده عن معنى التفضيل
على انه وما قبله بمعنى العزيز المحمي كقوله بيت دعائمه اعز واطول على راي
وان قيل بانه ينفيس لان المسموع خلافه كقوله

اكرم واحمى للحقيقة منهم واضرب منا بالسيوف القوانسا

بسمله ان يدعي

وما قيل من انه على القياس من غير حاجة لما مر ان ملك الله احتواءه على العوالم
اكثر منعا للغير من التوصل اليه واشد منعا لغيره من التوصل اليه بما يضره
فهو اشد منعا من سائر املاك المالكين لا محصل له ولا وجه له لانه ان
اراد الادعاء فهو بعينه كما قدمناه وتوهم انه غيره من قلة التدبر وان ادعى
غير ذلك فلا معنى له الذي صفته لله او للملك يعني مالك ملك لا شيء قبله
ولا بعده ليس دونه دون لها معان قال الصاغاني يكون بمعنى عند وتقيض
فوق وبمعنى امام وورا فهو من الاضداد وتكون بمعنى غير وبمعنى خسيس
وشريف والاول مشهور وعليه قوله

اذا ما علا المرء رام العلا ويقنع بالدون من كان دونا

ولا فعل له وقيل يقال دان يدون دونا وهي هنا بمعنى فوق او امام ويجوز ان
يكون بمعنى ورا او غيره منتهى اسم مكان او مصدر ميمي من انتهى اذا بلغ
النهاية ويكون انتهى بمعنى ترجوا انكف كما في قوله

لا تنتهي العين عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر

وكونه اسم مفعول معنى لزومه ولا صلة معه تكلف بغير داع ولا وراه ورا
لقيض قدام ويكون بمعناه ايضا فهو من الاضداد او هو ما وراى سواء وراي
عنك غيرك او وارا ان عن غيرك فهو مشترك بينهما اشتراكا معنويا وليس من
الاضداد ويكون بمعنى بعد وبمعنى غير مرمى بميمين مفتوحتين بينهما راء مهملة
ساكنة وهو مقصور منقول من الرمي وقد ورد استعمال هذا اللفظ بعينه
واطلاقه في حق الله تعالى في الحديث فروى المصنف رحمه الله تعالى في مشارقه
وابن الاثير في نهايته ليس وراء الله مرمى وتكلمت به العرب العربا وبما هو معناه
قديما كقول النابغة

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مطلب

قال في النهاية اي ليس بعد الله لطالب مطلب لان القول وقفت همة فليس وراء
الله ولا وراء معرفته والايمان به غاية تقصد انتهى كما قيل

على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له منه نصيب ولا سهم

وفي المشارق ليس وراء الله مرمى اي مطلب لطالب والمرمى الغرض الذي يرمى اليه
واليه ينتهي سهم الرامي وبه يجوز المستبق كما الى الله انتهت العقول ووقفت
فليس وراء معرفته والايمان به ملتمس ولا غاية يرمى اليها انتهى فالذي ان كان
صفة للملك فالمراد انه ليس قبل ملكه شيء ينتهي اليه وينفصل آخر باوله وليس

بعده شيء تتصوره العقول وان كان صفة لله فالمراد انه الدايم الواجب الوجود
وما عداه فهو حادث او جايز وابدا بعده فهو بمعنى الاول الآخر فيتصل بما بعده
ايضا الاظاهرا وعلى الاول يكون كالاحتراس المتمم لما قبله لانه لما ذكر اختصاصه
بالملك الاعز قد يتوهم مشاركة غيره او بملك غيره اعز فقال ليس قبل ملكه شيء
ولا بعده شيء فهو مالك كل ملك وخالقه فلا يخرج شيء عن حوز ملكه وعلى كل حال
فالمرمى محل الرمي والهدف ما يرمى به الغرض الاقصى الذي ترمى له الآمال وتتوجه
نحوه وجوه التضرع والابتهال فهو استعارة تمثيلية استعيرت من حال الرامي في
توجهه لاصابة المرمى بحال العارف الذي معرفة الله اقصى مطالبه ومسلح
خواطره كما قيل

يا مطلبا ليس لي في غيره ارب الك التقصي وانتهى الطلب

ولك ان تقول ان كلام المصنف رحمه الله في فاتحة خطابه كقول رب العزة
في فاتحة كتابه فان قوله الحمد لله المختص الى آخره اشارة الى المبدا الفياض وان
الكل منه وله كالحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم وقوله وليس دونه منتهى
الى آخره اشارة الى المعاد كقوله مالك يوم الدين ولما كان ذكره بصفاته
وانعامه في الدارين المقتضي للتوجه اليه بكل وجه حتى يصير كالمشاهد المحسوس
الذي يوجه اليه الخطاب كقوله اياك نعبد الى آخره وافتتاحها بما هو منزلته
وهو قوله الظاهر هذا هو المناسب المقام وبما ذكرناه من انه على سبيل التمثيل
لا يرد عليه ان وراء ودون وما معه امور تقتضي التحيز والجهة ومثله لا يجوز
استعماله في حقه تعالى لان الاستعارة التمثيلية لا تجوز في شيء من مفرداتها
واجزائها وما قيل من ان معناه ليس تحته محل انتهاء ولا بعد ومرمى ومنتهى
بمعنى مجاز مرسل كرسن لانه مقصد الرمي اريد به مطلق القصد صحيح لكن
ما ذكرناه انسب بالمقام واوفى باداء المرام وما قيل عليه من انه خطا لانه لا يوفيه
من كونه فردا من افراد المطلق والهدف قد لا يكون مقصودا مع ان ابن الاثير رحمه
الله جعل العلاقة فيه المبالغة كلام لا وجه له ولا طايل تحته لان الهدف
دايما يقصد للرمي والقصد بالفعل ليس بلازم وما قاله ابن الاثير رحمه الله
مخالف للجمهور ولا يلزمنا اتباعه وقيل المعنى انه ليس في جهة ولا حيز فنفي الشيء
بنفي لازمه والظاهر من اسمايه تعالى وهو في الاصل اسم فاعل من ظهر اذا بدا وعلم
يخف ويقابله الباطن شرعم كل محقق معلوم بالبصر او البصيرة وهو المراد
هنا لمقابلته بالباطن وليصح ان يفسر بالغالب من ظهر عليه اذا غلبه وقد صح وسمع

عرضي

ابن الحنبلي

عرضي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كما ورد انت الظاهر فليس فوقك شئ وفي شرح المواقف الظاهر المعلوم بالادلة
القاطعة فهو صفة اضافية وقيل الغالب فهو صفة فعلية من ظهر عليه اذا قهره
والباطن المحتجب عن الحواس بحيث لا يدرك اصلا فهو صفة سلبية وقيل العالم
بالخفيات انتهى وقال الراغب الظاهر والباطن من صفات الله تعالى ولا يقال الا
مزدوجا كالاول والاخر فالظاهر قيل انه اشارة الى معرفته البديهية فان الوجود
تقتضي في كل نظر انه موجود ولذا قال بعض الحكما طلب معرفته كطلب
المرء في الاقاق ما هو معه والباطن باعتبار معرفة حقيقته وذاته
ولذا قال الصديق غاية معرفته العجز عن معرفته وقيل هو ظاهر بايآته
باطن بذاته وقال المرتضى تجلى لعباده من غير ان راوه فاراهم نفسه من غير
ان يتجلى لهم انتهى اقول قد عرفت مما ذكرناه ان للظاهر اذا اطلق على
الله معان هو باعتبار بعضها مقابل للباطن ولا يستعمل حينئذ الا مزدوجا
وباعتبار الاخر يطلق عليه مفردا فما قاله الراغب رحمه الله ليس على اطلاقه وفيه
كلام حققناه في شرح اسما الله الحسنى لا تخيلا ولا وهما يعني ان ظهوره تعالى
متحقق مكشوف للعقول ويقين صادق عند من له بصيرة لقيام الادلة القاطعة
والبراهين البينة الدالة على وجوده ووحدانيته لا بحسب التخيل والوهم
وقيل لا بحسب الظن او التهو وقيل لا بحسب الطرق الراجح او المرجوح اولا
بحسب ادراك القوة المتخيلة الوامة فان مسوساتها ادراك ما لا يتحقق له
تغلب المتخيل والموهوم على كل ما لا يتحقق له فنفي ان يكون ظهوره كذلك انتهى
وهذا الاخير هو الاصوب وذكر التهو لا وجه له وان وقع ذلك في كلام اهل
اللغة لان الاستعمال على خلافه وقال الراغب التخيل تصوير خيال الشئ في النفس
والتخيل تصور وخلت بمعنى ظننت يقال باعتبار تصور خيال الشئ المظنون
في النفس وفي حواشي شرح المطالع الفكر حركة النفس في المعقولات والتخيل
حركتها في المحسوسات والوهم خطرات القلب ومرجوح طرفي التردد والغلط
والغلط في المعنى بسكون الهاء وفي الصحاح وهمت في الحسنات اوهم وهما
بسكون الهاء اذا غلطت فيه وسهوت ووهمت في الشئ بالفتح اوهم وهما اذا
بسكون الهاء اذا ذهب وهمك اليه وانت تريد غيره وقال ابن القطاع وهمت الى
الشئ ووهم واوهم بمعنى ونصبهما على الحال او التمييز او بنزع الخافض فالمعنى
ما مر وقيل المراد ان معرفته بحسب اليقين لا بادراك القوة المتخيلة او الوهمية
التي تدرك ما لا تحقق له والفرق بينهما ان المتخيلة هي القوة المتصرفة في الصور

عيسى

والمعاني

والمعاني بالتركيب والتفصيل كتصور شخص برأسين واختراع ما لا حقيقة
له كالعول والوهمية المدركة للمعاني الجزئية ورد بان هذا مبني على فلسفة لا
يرتضيها اعلام اهل السنة الا ان يقال انه ابطال وتنى له ولا ضير في مثله
وليس في وصف الله بانه ظاهر ما يدل على ان ذات الله معلومة للبشر بالكنه وان
اختلف في وقوع ذلك وامكانه على ما فصل في الاصول فلا حاجة للتعرض
له هنا على ان في اقترانه بقوله الباطن ما يدل على خلافه لانه بمعنى الذي
لا يدرك بالابصار ادراك احاطة لقوله لا تدركه الابصار وهو الصحيح
رواية لان الصفات كلها وقعت متصلة بدون عطف لما بين المنفرد والمتمم
من كمال الاتصال ولما بين الظاهر والباطن من التقابل فلو عطف هنا توهم انهما
لا يجتمعان كما في قوله عز وجل مسلمات مومنات قانتات تائبات عابدات
سائحات ثيبات وابكارا فان عطف الصفتين الاخيرتين فيه لعدم اجتماعهما
ومنا ليس كذلك لان المراد انه في حالة واحدة ظاهر بكثرة الادلة وقولها
وبنعوت ذاته وافعاله التي لا تخفى باطن خفي عن ادراك كنه ذاته وحقيقة
صفاته وحجب انوار اللاهوتيه في عالم الغيب والشهادة عن مشاهدته وهذا
مما اهمله اهل المعاني في مباحث الفصل والوصل بل رفع كلام بعضهم ما يدل على
خلافه وقد تعرض له بعض المتاخرين رحمه الله واشار اليه العلامة الزمخشري
في مواضع من كشافه كاول سورة غافر وقال السيد عيسى الصفات الجارية
على واحد قد تذكر بالعطف لمناسبة والتصريح بالاجتماع وقد يترك عطفها
اشعارا باستقلال كل منها وقد يذكر في موضع ويترك في بعض تفننا فانه يرجع
توجه الذهن اولى زيادة مناسبة فرعاية الانسب ابلغ والابلغ انسب ولما كان
الظهور والبطون متقابلين كان التصريح بالاجتماع انسب انتهى وهذا بنا على
ما في النسخة الاخرى من ذكر العاطف ولا يخفى ما في توجيهه من القصور لامكان
العطف لعدم الاجتماع كما مر في ثيبات وابكارا وكانه اعتبر بما وقع لهم في قوله
تعالى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد
العقاب ذي الطول والذي ذكره الزمخشري في نزعه اعتزالية كما نبه عليه شراحه
وليس هذا محل تفصيله وقد علمت مما قلناه معنى الظاهر والباطن وقال السهيلي
معناه العالم بما ظهر وبما بطن تفسيرا لا عدما اعرابه كاعراب ما قبله والقدوس
تفعل من القدس وهو الطهارة والتنزه اي ان بطونه وخفاءه لتنزهه وعلو من ان
يحيط به البصائر والابصار لكونه معدوما او غائبا اولا من جهة عدمه او عدم

الزملكاني

سيد عيسى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كما مر بل لقصور غير وتنزهه عن ان يحيط بكنهه ان اريد بالباطن الخفي عن البصر في الدنيا فالتقدس التنزه عن مشابهة الحوادث عن قبول الرؤية فيها والعدم بضم فسكون من عدمته أعدمه كعلمته اعلمه عدمًا وعدمًا بفتحتين بمعنى فقدته واختار الاول لهنا للتسجيع وما قيل من ان معنى العدم منا الفقر كما في الصحاح اي ليس خفاؤه لافتقاره كما يختفي بعض الفقر الفقر فهذيان محموم ولبعض الشراح هنا كلام لا معنى له تركناه لانه غني عن النقد والتزييف وسع كل شيء رحمة وعلما العلم مطلقا معلوم وفي صفات الله تحقيقه في الكلام والرحمة ميل الطبع ورقته ولهما لا يوصف الله تعالى به فيعتبر باعتبار غايته ولازمه فيراد به الانعام واراداته وذهب الباقلاني رحمه الله الى انه تجوز به في معاملته معهم معاملة الراحم ممن يرحمه وذهب الاشعري رحمه الله الى انه تجوز به عن اراداته دل فعلى رأي القاضي يجوز ان يقال اللهم اجمعنا في مستقر رحمتك وعلى رأي الشيخ لا يجوز وفي القرآن مواضع تناسب كلا من الرأيين فقوله ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما يناسب بحسب الظاهر الارادة لاقترانها بالعلم الذي هو صفة ذاتية وقوله هذا رحمة من ربي اشارة الى ان السيد يناسب الاحسان كذا في شرح الاربعين الرازية للقرافي وليبسط الكلام فيه مقام اخر باقي اوائل الباب الاول ووجه ارتباط هذا بما قبله انه لما كان مطمح نظر في هذا الكتاب بيان شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم وانه النعمة العظمى على جميع المخلوقات بدأ بحمد الله تعالى ونعته بما يدل على عظمته بي في ذاته وان الملك له لا تصرف فيه لاحد سواه ثنى ببيان حال خلقه في ملكه وما يحاسبهم به على وجه ينساق الى المراد فقال وسع الى اخره ولو قال الذي وسع كان اولى والسعة ضد الضيق استعيرت للشمول والشيء الموجود مطلقا او اعم منه على الخلاف المشهور فيه وهو هنا ما سوى الله وان صح اطلاقه عليه كما في قوله تعالى قل اي شيء اكبر شهادة قل الله الا ان شمول الرحمة للذات لا يصح وان شمله العلم وشموله لما سواه ظاهر لان كل شيء منعم عليه حتى الحذف بترك الاشد والمعدوم ورحمة وعلما منصوبان على التمييز والجملة مستانفة وتعلق العلم بكل شيء كليا وجزئيا مبرهن عليه في الاصول وفي شرح السيد هنا نقلا عن التفسير الكبير انا لا نعلم كنه صفات الله كما لا نعلم كنه ذاته وانما المعلوم لنا انا لا نعلمها الا بلوازمها واثارها وذاته لم نكمل لها لان الذات كالمبدا لها فيلزم استكمال الذات بالممكن بالذات بل كمال الصفات يستلزم الصفات وفي عوارف المعارف أجمع

الصوفية على ان له تعالى صفات ثابتة لا بمعنى انه محتاج اليها ويفعل لها بل بمعنى نفي الضد ونبو لفا قايمة به وهذه مسئلة نفيسة سكت عنها الاصوليون وربما اوهم كلامهم خلافها وتوضيحها انه لا احتياج له تعالى الى الصفة الموثرة في تحقق الاثر هايل لو لم تكن موجودة كان الاثر بحاله الا ان وجودها اكمل لاء لاقتضى كمال بما سواه لاستلزامه الاستكمال وظهر ان مذهب اهل السنة اعلا عقلا ونقلا الى ان فيه ايهام تعطيل الصفة ويدفعه ان مجرد وجودها فايدة وان سلم فليكن شيا عاديا للاثار كسايو الاسباب عند الاشعري رحمه الله فلا استكمال ولا تعطيل فتدبروا حفظه فانه عزيز انتهى اقول قوله لاستكمال الذات بالممكن بالذات اشار الى ما قاله في تعليقه له ان الخالق هو الايجاد بعد العدم مطلقا ولذا لا يقال صفات الله تعالى مخلوقة لانها لم تسبق بالعدم وان كان التحقيق انها ممكنة بالذات اي محتاجة الى الغير لان كل محتاج ممكن فليست واجبة بالذات بذواتها والا لزم تعدد الواجب لذاته ولا يجوز والصفات ليس شيء منها مسبوق بالعدم بل موجودة ازلا وابدا وان جاز ان يقال في سايرها انها مخلوقة وان الذات خلقتها واوجدتها ونحو لكن بمعنى انها محتاجة الى الذات لا انها اوجدتها بعد العدم لكنهم يتحاشون عن استعماله وان كان صحيحا ويرون الخوض في مثله سوا لا وجوابا بدعة لعدم وروده في الشرع فلا محذور في ترك التعرض له الا اذا الجات له الضرورة ولذا قال في التفسير الكبير الذات المقدسة كالمبدا للصفات وقد استشكل ظاهرا لانها اذا لم تكن مبدا لم تكن الصفات ممكنة بل واجبة فيلزم تعدد الواجب وهو لا يجوز واجيب ان المتبادر من المبدا انه موجد بعد العدم والصفات مسبوقة بعدمها بل لم تزل موجودة الا ان الذات تقتضيها ويحتاج اليها وتتوقف عليها فالذات بالنسبة اليها كالمبدا المامور انتهى واعلم ان بعض علما المخارية قال ان الفلاسفة اجمعت على نفي الصفات لشبه تقرب بما قاله المعتزلة فقالوا لو وجدت الصفات لزم افتقارها للذات لاستحالة قيامها بنفسها وبعضها شرط لبقا بعض كالحياة للعلم فيلزم الافتقار والتاخر وهو مناف للوجوب واجيب بمنع الملازمة فان الافتقار للغير ان كان في افادته الوجود غنيته عن مقتضى الوجود فان عنيتم بالافتقار عدم الانفكاك فهو لا ينافي الوجوب ولما اعتقد الامام رحمه الله صحة قول الفلاسفة ان الافتقار مطلقا يوجب الامكان وان وجود الصفات تقتضي

التركيب والمركب مفتقر لجزيه فلا يكون الا ممكنا واستشعر النقض بصفاته
تعالى فقال نستخير الله في القول بامكانها لذا لها ثم جزم به وفاه بكلمة
والعياذ بالله تعالى لم يسبق اليها فقال هي ممكنة باعتبار ذاتها واجبة
بوجوب ذات الله والذات قابلة لصفاتها وفاعلة لها وهي زلة شنعة

تخطية للامام ابن سينا

أقول هذا من نفائس الذخائر المستودعة خزائن القلوب وقد تكلم
فيها قدماء الحكماء والمتكلمين كما نقله الامام في المسائل الاربعين عن الرئيس وجزم
بان علة الامكان الافتقار ونازعه فيه العلامة العراقي في حواشيه على
هذه المسايل فقال الصفات يجب قيامها بالموصوف ويستحيل عليها
القيام بنفسها فان عنيتم بالافتقار هذا القدر فسلم لكن العبارة ردية
ولا يلزم منه الامكان اذ الافتقار على هذا التقدير في القيام لا في الوجود
ولا يلزم من الافتقار في القيام الافتقار في الوجود فان العرض مفتقر
للجوهر في قيامه ومستغن عنه في وجوده فانه من الله فلا يلزم من مطلق
الافتقار الامكان فبطل قوله كل مفتقر ممكن بل المفتقر يكون افتقاره
باعتبار تركيبه وباعتبار قيامه ومنه افتقار الصفة لموصوفها وباعتبار
وجوده كافتقار الاثر للمؤثر وهذا هو المقتضي للامكان فالافتقار اعم
والامكان اخص والاستدلال بالاعم على الاخص غير مستقيم انتهى أقول
تحرير محل النزاع مع بيان الحق فيه ان مطلق الاحتياج للغير مستلزم
للامكان او الاحتياج في الوجود فقط فالرئيس ومن حذ حذوه جزموا
بالاول والعراقي ومن نحا نحوه كالسنوسي منعوه وقالوا بالثاني وسعوا على
من خالفهم ولا يتم لهم هذا بسلامة الامير فان كل ما احتاج لسواه حاجة تامة
بحيث لا يوجد بدونه سواء كان علة او شرطا لوجوده كالجوهر للعرض مثلا
لا يمكن وجوده بدونه فيلزم امكان عدمه بالذات وان لم يحاذ ثا وهذا
لا محذور فيه في صفات الله القايمة به وان كان الادب ترك التصريح به
كنيه وهذا من محذورات الاسرار التي لا تدرج لغير محرم فنقول الذات
المقدسة غير مفتقرة للصفات التي ليست عينها بل الصفة مفتقرة للذات
لاسنادها اليه وعدم صحة استغنائها عنه بوجه واذا كانت الذات غير محتاجة
للصفات ولا مستكملة بها لا يلزم تعطيلها ايضا لان وجودها فايدة
لكونها صفات كمال فليست مؤثرة بالذات ولا واجبة بالذات بل بالاسناد
للذات التي هي كالمبدا لها لانها قديمة ليست منفكة لكن وجودها ليس لذاتها

بل لغيرها وهذا الاينا في الامكان ولا يقتضي الحدوث الزماني وبقولنا
كالمبدا ظهر ان قول المعترض لها مبدا وفاعل تقول عليه وقال الاسنوي في شرح
منهاج البيضاوي بعد ما نقل قول الامام في الاربعين في الصفات الله ممكنة
لذاتها واجبة الوجود بوجوب الذات قد تلخص مما قاله ان الصفات واجبة للذات
لا بالذات اي واجبة لاجل الذات المقدس لا ان ذات الصفات اقتضت وجود
نفسها انتهى وقال بعض فضلاء العصر فتكون الصفات ممكنة في حد نفسها معللة
بالذات القديم لكن يجب ان تكون الذات موجبا بالنسبة اليها وان كان مختارا بالنسبة
الى ما سواها من مخلوقاته والا لزم حدوثها بناء على ما تقرر من ان القادر على
المختار حادث البته انتهى وَاسْبَغ اي اتم واكمل وهو في الاصل صفة للدرع والثوب
الطويل استعير من الطول والسعة لما ذكر ثم صار حقيقة فيه لشيوعه عَلَى اوليا
جمع ولي فعيل بمعنى فاعل او مفعول اي موالي او موالي ويطلق على الله وعلى
غيره بخلاف ولي الذين آمنوا الان اوليا الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
وهو من الموالاة وهي الاتصال والقرب ويكون ذلك في النسب والدين والصداقة
والنصرة وله معنى يعم كل مومن واحد يختص بمن اخلص لله فولاه امره ولخصه
منه وهو من افاض الله عليه ما فضله به على غيره من اسرار ومعارف الهية انارها
بصيرته حتى يشاهد صنعه وينكشف لنفسه القدسية خفايا الملك والملكوت
وهي مرتبة جليلة ويأتي لذلك مزيد بيان وكل نبي ولي ولا عكس وقيل ولاية
النبي افضل من نبوته كما ان نبوته افضل من رسالته ولا يلزم منه تفضيل الولي على
النبي كما توهم والمراد منا الاول او الثاني ويحتمل ان يكون الاسباغ منا على
حقيقته بان يشبه النعم المسبغة بملبس يصونه على انه استعارة مكنية
وتخييلية كما في قوله

• اذا ما غزا بالجيش حلق فوقه • عصائب طير تهتدي بعصائب •

نعما جمع نعمة وهي ما انعم الله به واعطاه من فواضل احسانه ويكون بمعنى
الانعام والاحسان والحمد على الانعام اكمن من الحمد على النعم كما فصل في محله عما هو
بعين مهملة مضمومة وميم مفتوحة مشددة تليها الف اتارايدة كالف زيد
في قولك رايت زيدا حالة الوقف فالفه زايدة او بدل من التنوين كما في سائر المنصوبات
المنونة او هي الف مقصورة كالف حبلى ومعناه عميمة اي عامة شاملة لكل شئ من
الاجزاء والجزيئات قال ابن عصفور في شرح شواهد الايضاح عند الكلام على قول الشاعر

• طافت به الغرس حتى يدنا هضما • عم لجز لقاحا غير منتشر •

قال الزمخشري

قال الزاده

العمر الطوال من النخل واحده عميه عن ابي حاتم ويعقوب وكانه خفف من عمم ثم اقر
لاجتماع المثلين وقال اللحياني نخلة عمر ونخيل عمر اي طوال فعمم على هذا مشهور وصف
به الواحد وغيره ويبعد ان يكون من باب ذلك لقلته وقال ابن دريد العمم العظام
واحدها عمى كخبلى وهذا اقيس الوجوه انتهى واقتصر في التسهيل على انه فعل بضم
فسكون جمع عميمة لان فعيلة تجمع على فعل قياسا وفي كتاب النبات للدينوري
في باب النخل العمة النخلة التي يبعد اليها اذا جنيت وهي العميمة ايضا والنخل
العمم الذي استحكمت وكملت وطالت وكذا في جميع النبات وفي العمر يقول

• فعمركم كمم نافع • وطفل لطفلكم يؤمل •

اي كبار بلغ نفعهم ككباركم وصغاركم تؤمل لصغاركم فسمى صغارها اطفالا لانها
ومما قصصناه عليك علمت ان قول المصنف رحمه الله عما اما مئون او غير مئون مع
مقصور وانه يجوز فيه ان يكون جمعا ومفردا بمعنى عظيمة او عميمة شاملة فافاد
وصف نعم الله بالزيادة في الكم والكيف وللشراح رحمهم الله فيه كلام غير واف بحق
المقام ثم لما كانت بعثة الرسل اجل النعم واجلها بعثة خاتم الرسل عليه وعليهم
افضل الصلاة والسلام عطف على قوله وبعث فيهم من عطف الخاص على العام للدلالة
الاستهلال وما قبله تمهيد له والبعث في الاصل الاثارة او الايقاظ من النوم وعن
الاحياء والنشر من القبور وبمعنى ارسال الرسل وهو المراد هنا فاذا تعدي بفي
فمعناه انه جعله بين اظهرهم واذا تعدى بالى فمعناه انه مرسل لدعوتهم سواء كان
فيهم امرا او قد يستعمل كل منهما بمعنى الاخر وضمير فيهم للاولين بمعنى المؤمنين من غير
تكلف لانه ليس قبله ما يصلح للرجوع له غيره والمراد مطلق المؤمنين وبعثه
صلى الله عليه وسلم فيهم لا يقتضي تخصيص البعثة لهم فينبغي ان لا تجعل في بمعنى
الى حتى يرد عليه ان البعثة عامة للثقلين غير خاصة بهم وانه ينبو عنه قوله
الاتي عربا وعجما وقيل ان ضمير فيهم يفسر قوله عربا وعجما وليس براجع للعرب وقيل
انه راجع لكل موجود من الثقلين المفهوم من قوله قبل كل شيء وقيل بعث بمعنى ارسل
فيما بينهم بان اوحى اليه بتبليغ الشرايع والبعث وان كان في الكفار فان كثيرا
منهم قد علم منه انه سيصير من اهل ولايته ومنهم من اشرف عليها وهو المراد بالاولين
او هذا ليس بيان الاول البعثة ثم قال البعثة انما هي في العرب بل في اهل مكة
والمبعوث فيهم جماعة موبين اظهرهم فضمير فيهم لاولين العرب وضمير انفسهم
الاتي للعرب والعجم لقوله عربا وعجما فلا تكون الاولين مرجعا لهما الا بالتكلف بان
يقال كان فيهم العجم والاوجه اريد بالبعثة فيهم وجودهم في زمنها ويكون مبعوثا في

الكل او في بمعنى الى او يراد مطلق الاولين اعم من الكل والبعض والبعثة باعتبار فرد
والانفسية باعتبار الجميع أقول هذا تعسف بحت في غنية عنه فالحق انه
لما ذكر عموم الرحمة اتبع ذلك ببيان ان رحمته الكاملة الشاملة بخصوصية باوليائه
وهم مطلق المؤمنين وان من اعظمها عليهم بعد الايمان بالله بعثة هذا الرسول
صلى الله عليه وسلم فيهم واتباعهم له ولا يلزم منه تخصيص الرسالة بهم كما في
قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم كما يأتي
وهو مبين على ان مطلق النعمة عامة للبر والفاجر والنعمة التامة بخصوصية كما
قيل لا نعمة لله على كافر وعموم رسالته صلى الله عليه وسلم مشهور معلوم من غير
هذا وقوله رسولا مفعول بعث ولم يذكر المرسل اليهم اشارة الى عموم رسالته
صلى الله عليه وسلم والرسول بمعنى المرسل وهو نبي اوحى اليه ما امر بتبليغه
والنبي من اوحى اليه مطلقا فبينهما عموم وخصوص مطلق وذهب صاحب
القاموس رحمه الله الى انه وجهي وفيه نظر وسيأتي تفصيله عند كلام المص
عليه في الباب الرابع من القسم الاول من انفسهم بضم الفاء جمع نفس ولها معان
منها العين والذات الشاملة للروح والجسد ومنها الروح وموجع الضمير كالسابق
والمراد انه من جنس البشر وانما امتاز عنهم بالرسالة والخصائص المودعة في
طاهر عنصره التي اهله الله تعالى لها لا يكون اهلا لامانته ولم نفسر بما
فسر به قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم
بانه من جنسهم عربي مثلهم لان المخاطب بمة العرب امتنانا عليهم واقامة
للحجة لديهم وان فسر ايضا بما منا ولكل مقام مقال لانه لا يناسب التعميم بعد
وفيه تجنيس لما بعد وبعثه في الجنس يجعل ما للبعض للكل كما يقال بنو فلان
قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم فلا ينافي كون المبعوث فيهم طائفة مخصوصة
وبعضهم فتح هذه الفاء قالوا وهو خطا رواية ودراية أنفسهم بفتح الهمزة
والفاء والنصب على البدلية من قوله رسولا لجواز ابدال المعرفة من النكرة او
بتقدير عامل له ويجوز رفعه على انه خبر مبتدا مقدر وجر على البدلية من
انفسهم قبله ورجح بانه المروي والموافق لقراءة الاية وفيه اشارة الى القرائن
وهو افعل تفضيل من النفاسة من نفس بالضم صار مرغوبا فيه فهو نفيس عظيم في
النفوس يحرص عليه وقيل الانفس الاعلى والاشرف ومنه الحديث سيل رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي الرقاب افضل قال انفسها عند اهلها اي افضلها
وفيه نظر وهو قريب مما قبله عربا وعجما بضم اولهما وسكون ثانيهما هنا للفاصلة

عرب

وفيه لغة اخرى بفتحهما والعرب الجيل المعروف والعجم من عداهم وهو المراد ثم غلب
على صفة من فارس والعرب اسم جنس جمعي واحده عربي وقيل لا واحد له وقد يخص
بسكان القرى والأمصار منهم كما يخص العربان بسكان الاخبية والبوادي ولذا
قيل انه لا واحد له لان العرب مخابر لهم أو اعم فلا يصح ان يكون مفردا لهم
حتى غلط سيبويه رحمه الله في القول به وقال الراغب في توجيهه الاعراب
جمع في الأصل ثم صار اسما لسكان البادية والغلبة بعد الحمية كالانصار ولذا
نسب له بلفظ فلا يرد ما قالوه وسميت العرب لسكناهم في بلد تسمى عربة كما قاله
الازهري وما قيل من أن أولهم اسماعيل صلى الله عليه وسلم وكلهم من نسله
ليس بمقبول عندهم لانهم كانوا قبله بنواحي اليمن وابوهم قحطان وامهم جرهم
والعالقة واسماعيل صلى الله عليه وسلم تزوج منهم فتكلم بالعربية كما يأتي بيان ذلك
والعرب قسمان عاربة ومستعربة بمعنى الخلص وعربة عاربة كليل الليل والمستعربة
ولد اسماعيل عليه الصلاة والسلام ومن بعده طرأت عليه العربية وعليه حمل اوالعرب
اي المستعربة وقحطان ابن شالخ ابن سام ابن نوح عليه الصلاة والسلام وكونه من
ولد اسماعيل عليه الصلاة والسلام غلط نشأ من اشتراك اسمي كما في الروض الانف
وغيره ونصبهما على التمييز أو بنزع الخافض **وأركاهم** أفعل تفضيل من الزكاة وهي
الزيادة محسوسة كانت أو معنوية والطهارة الحسية والمعنوية ايضا اي
هو صلى الله عليه وسلم اكثرهم عبادة وتقوى ومعرفة بالله وشرفا
واطهرهم وانزههم عن القبايح عنصرا وخلقا لعصمته صلى الله عليه وسلم
من دنس البشرية كما سيأتي **منحدا** بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وكسر التا
الفوقية وآخره دال مهملة وهو الجرثومة والارومة والمنصب والعنصر وا
والضيضى بمعنى وهو اصل النسب كما في فقه اللغة وفي الصحاح حتد بالمكان
محتدا اقام وثبت والمحتد الأصل وفي القاموس من معانيه الاصل والطبع
فاصل معناه الاصل مطلقا وظاهر كلام الثعالبي ان حقيقته اصل النبت فكأنه
مشترك وعلى كل فما في شرح المواقف من انه مكان اقام به والعرب تقول
لله بلادك لعنك يعنون به شرف النسب كقولهم لله دركه لا يخلو ما فيه من
القصور لمن تدبر والمراد انه صلى الله عليه وسلم اشرف العرب والعجم واعظمهم
نسبا فما قيل من انه لا يناسب عموم التفضيل ليس بشيء يحتاج للرد **ومنمى**
بميمين
مفتوحتين بينهما نون ساكنة اسم زمان أو مكان او مصدر ميمي من نميته اذا
نسبته أو من نمى المال اذا زاد اي ان حسبه صلى الله عليه وسلم ونسبه الذي انتهى

سيد

اليه أزكى من جميع الاحساب واشرف من سائر الانساب فلا وجه لما قيل ان المراد
به انه أزكى من جميع المؤمنين الذي بعث فيهم او ان محل نمايه اي مكة أو المدينة
ازكى مما عداه لان ديار الدين وظهور بها ويجوز ان يراد ان ذاته في نما العرق
والصبا اظهر على انه مجاز عقلي لما عرف منه صلى الله عليه وسلم في طفولية
من نزع حظ الشيطان منه وشق صدره ورفع خفة الصباغة ولا يرد عليه
ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان نبيا في الصغر كما قيل ونصبهما على التمييز
ايضا **وارجحهم عقلا** رجحان العقل زيادته ووصفه به مشهور في الكتب
القديمة وسيأتي وبقابله الخفة والنقص وهو في الاصل يستعمل في الموزون
ثم صار حقيقة عرفية في مطلق الزيادة الممدوحة تمثيلا مجازا مرسلا أو
استعارة مكنية من رجحت كفة الميزان اذا زيد ما فيها فاريد به لازمه والا
فيه احسن كما قال الاخطل

• واذا وزنت حلومهن الى الصبا • رجح الصبا بحلومهن فمالا •

وفيه اشارة لما في الحديث كما يأتي من انه صلى الله عليه وسلم لما شق صدره قال
احد الملكين لاخر زنه بعشرة الى أن قال لو وزنته بجميع اهل الارض لرجح
والوزن فيه كما قالوه اعتباري والرجحان انما هو في الفضل وقابلية
فعل الملكين ذلك ليعلمه الرسول صلى الله عليه وسلم وامته فالعقل يقال
للقوة القابلة للعلم ولما يستفاد بواسطتها وقيل هو نور روحاني تدرك
به النفس وهو محل القلب او الدماغ او هو مشترك بينهما فيه خلاف مشهور
يقال العقل عقلان مستفاد ومكتسب ومطبوع ومسموع وهو من عقل
الدابة لمنعه الانسان عن القبايح كما قال الشاعر في التلميح لاصله

• • قد عقلنا والعقل اي وثاق • وصبرنا والصبر مر المذاق • •

وحلما هو قوة توجب الصبر على الاذى وقال الراغب الحلم ضبط النفس عن
هيجان الغضب وقيل الصبر على الاذى وقيل الحليم من عفا بعد ما استرد
قيل من لا يجهل بالانتقام واورد عليه الرازي ان من لا يجهل بالانتقام ان عزم
عليه فهو حقود وان عزم على عدمه فهو عفو غفور فاين الحلم ومعناه الا أن
يقال ان من يعزم على ان لا ينتقم البتة بشرط ان لا يظهر ذلك فان أظهر
فهو عفو وبهذا يظهر ان الفرق بين الحلم والعفو قد فهم من كلام السلف ان
الحلم صفة تخاري الانتقام وتمنعه ومنع الانتقام وحده هو العفو وقد يجمع
الحليم تجهل العقوبة مع القدرة عليه ويوخر حكم خفته ويفارقه بان صاحبه

سيد

البرية

شبكة الألوكة www.alukah.net

لا يقدر يحلى الانتقام حالا مع انتظار للفرصة ولا يخفى ما فيه وهو في صفات
البشر أن يملك نفسه فلا يغضب اذا اوذى اوراى ما يكره مع تمام الوقار فاذا
وصف به الله اريد غايته لامتناعه عليه فهو ترك الانتقام او تاجيله مع القدرة
عليه ومغايرة الاول للحقد والعفو ظاهرة واما الثاني فلا مناسبة بينه وبين
الحقد فانه تعالى لا يوصف به وكذا مغايرته للعفو بحسب المفهوم وبحسب
المصادق فانه قد يحلم ولا يعفو كما في حلمه على الكفرة في الدنيا وقد يقال عفو له
ولا يقال حلم فتدبر **وأوفرهم** اى اكثرهم واتمهم من الوفر وهي الكثرة والسعة
علما وفهما العلم هو الادراك الجازم وحصول صورة الشيء في العقل او الصورة
الحاصلة فيه أو عنده مفردا كان او مركبا وقد يراد به المعلوم الحاصل في الذهن
والملكة والتميز او كثرته ظاهرة والفهم هيئة للنفس يتحقق بها ما يحسن
قال تعالى ففهمناها سليمان وقول الجوهري كغير الفهم العلم على عادتهم
في التسامح فليسا مترادفين حتى يكونا هنا كقوله

والني قولها كذبا ومينا

اذ العلم مطلق الادراك والفهم سرعة انتقال النفس من الامور الخارجية
لغيرها فالمعنى انه صلى الله عليه وسلم اعلم الناس واحدقهم وفيه اشارة
الى ان علمه صلى الله عليه وسلم كغيره من البشر ضروري وكسبي وقول بعض الصوفية
ان العلوم كلها بالنسبة اليه ضرورية وقد رده الشيخ زروق بانه ان حمل
على ظاهره لزمه ان ينتفي عنه التكليف لان العلوم الضرورية لا يكلف بها ولا
يوجر عليها وان اريد انه لشدة ذكاء نفسه القدسية علمه بالكسبيات كغيرها
فهو صحيح **وافرهم يقينا** اليقين والايقان قوة وضعفا ولذا قال اللهم
رحمه الله اقواهم ويشهد له الوجدان وقيل انه لا يتفاوت وانما التفاوت
في اثاره ولذا قيل لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا ونسب للحنفية
وامام الحرمين فما يتخيل انه اقوى انما هو اجلى عند العقل **وعزما** العزم
والعزيمة عقد القلب على امضاء الامر يقال عزمت الامر وعليه وبه ومنه
اولوا العزم من الرسل لقوة بأسهم وامضاء عزمهم في تنفيذ اوامر الله
وتبليغ شرائعه فمن توهم معنى اخر فقال ليس المراد بالعزم مطلق عقد
القلب بل ما في قوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل لم يصب
وعزم الله ايجابه وفي التهذيب عزمة من عزمات الله اى حق من حقوقه واجب
مما أوجبه والعزم الصبر وقول السيد عيسى قال المرزوقي والعزم توطين

النفس وعقد القلب على ما قصد فعله ولا يجوز اطلاقه على الله والعرب تمدح
بقوته له لانه على قوة الطبيعة وعدم التزلزل في الراى والتدبير والالوما
يظهر الروية غير ما عزم عليه فيتردد وقد علمت ما يخالفه من انه ورد اطلاقه
على الله كما ورد في مسلم وصححه شراحه الا ان يريد انه لا يطلق بالمعنى المذكور
ولا يخفى بعده **وانشدهم رأفة ورحما** الرحم بضم الراء وتسكون الحاء
المهملتين يقال رحمه رحمة ورحما كقفل ورحمى كرجعى فهو هنا منصوب او مقصور
والرحمة العطف والشفقة والانعام والرافة بمعناه فذكره هنا للتاكيد
او هو عطف تفسيري او الرافة اخص لانها اشد الرحمة كما في الصحاح وغيره
وعلى هذا قدم الاخص لاعلا في الاثبات على عكس المعروف في استعمال البلغا
للفاصلة كما قاله الشراح تبعا للقاضي في التفسير وغيره ولا وجه له كما بيناه
في حواشيه لان الرافة حيث قارنت الرحمة قدمت عليها ولو في غير فاصلة كقوله
تعالى رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها حيث قدمت في الحشو والذي غرهم
كلام الجوهري وغيره والحق تغاير هما حيث اجتمعا فان معنى الرحمة الانعام او
ارادته والرافة التلطف والمعاملة برفق لانه يقابله العنف والتجبر كما يعرفه
من يفهم كلام العرب فلا بد من تقديمها على الرحمة كما قيل في الايناس قبل الامساس
وكما قال

اضاحك ضيفي قبل انزال رحله ... وما الحسن الكرم التبرع بالمعروف قبل السؤال والرافة مع الذل ويوضحه قول قيس الرقيات

ملكه ملك رأفة ليس فيه ... جبروت منه ولا كبرياء

ومن تتبع مواقعه وعرف مقابله جزم بما قلناه وياتي لهذا مزيد بيان ايضا
في الباب الاول وقال اشهد هنا تضمنا والهاما للمطابقة كقوله تعالى اشداء
على الكفار رحماء بينهم **ذكاه روحا وجسما** التزكية التطهير والتقديس والتنمية
والزيادة اى خلقه زايدا على من سواه منزها عن دنس البشرية ووسخ النقائص
والكلام على الروح وانه جوهر مجرد او سار في البدن سريان ماء الورد في الورد او
نحو ما لا يدرك كنهه ولا ينبغي الخوض فيه مبسوط في تاليف مستقل به والله
تكون بمعنى الروح ايضا فتزكيته صلى الله عليه وسلم كونه في اكمل تقويم واحسن
صورة مكملا بالقوى الظاهرة والباطنة مطهرا من خط الشيطان ودليس في نفسه
وبدنه بشق قلبه وغسله كما سياتي وفصل هذه الجملة واتى بها فعلية لانها كالعلة
لما قبلها وللتلوين للخطاب **وحاشاه** فعل ماض يقال حاشاه بحاشيه قال

ولا احاش من الأقوام من احد وليس هذا ماخوذ من حاش الاستثنائية فالفها
مشتركة بين معان ثلاثة فيكون متصرفا بمعنى جنب وباعد واداة تنزيه
كما في قوله تعالى حاش لله ويكون للاستثنا ولحكامها مفصلة في بابها وليس هذا
تحله وهل هو بمعنى اخرج او بمعنى تن فنزع ما بعده على نزع الخافض اي من عيب
او عن عيب او بمعنى جنب فنصبه على انه مفعول به وهذا اقرب سوا ورد عن
العرب ام لا وهذا تجوز او تضمين قصناه منزه وعزله عن النوع الإنساني الذي هو
غيبة العيوب والضمير راجع للرسول صلى الله عليه وسلم وقيل ما بعده على التميز
كامتلا الانا وفي حديث اسامة احب الناس الى ما حاش فاطمة وليس هذا محل
الكلام فيه فالمعنى جنبه عيبا ووصما اى كل عيب ووصم لان النكرة في قيام
النفي معنى للعموم مع ان النكرة قد تعم في الاثبات والوصم بفتح الواو وسكون الصاد
المهملة ان فسر بالعيب فهو من عطف احد المترادفين على الاخر اطنابا في مقام الخطابية
تتميما للفاصلة وان فسر بالعار كما في القاموس فهما متغايران والتوصيم في
الجسد كالتكسر والفترة والكسل فعلى هذا يفسر بالتواني وهو ابلغ والمعنى
ان الله نزهه عن العيوب الحسية والمعنوية ووفقه للجد في امور من غير
توان لتوفيقه للجد في امور واتاه بالمد يزنه اعطاه ومعناه فيتعدى لمفعولين
حكمة في القاموس لها العدل والحكم والنبوة والعلم والقران والكلام وهي من
احكمه عن كذا اذا منعه لانها تمنع صاحبها عن النقائص ومن حكمة الدابة وقال
البيضاوي هي في عرفهم استكمال النفس الانسانية باقتباس النظريات
وكسب الملكة التامة والمداومة على الافعال الفاضلة بقدر الطاقة البشرية
قيل ولو لم يشمل ما ذكره القاضي في تعريفه حكم الله قال بعض المحققين الحاء العلم
بالاشيا كما هي والعمل به كما ينبغي وفيه نظر وحكما اى قضا وفصلا للامور على
الحق سوا كان الزاما للغير او لا ويجوز ان يراد به خطاب الله المتعلق بافعال المكلفين
والاول اظهر ولذا اقتصر عليه الشراح ويكون بمعنى الحكمة وليس مرادفا لها وهي مساوية
منا للاشتقاق السابق وبينهما نوع من الاشتقاق يجوز ان يكون من جناس التحريف
وما فيه من السؤال والجواب بعدم التطرق لها امر سهل لا ينبغي تكثير السواد بمثله
وفتح به اى بسببه او الباء للآلة اعينا جمع عين وفتح العين بمعنى فتح لجنا لها
وهو كناية او مجاز عن جعلها مبصرة بعد ان لم تكن كذلك او هو عبارة عن كونه
واسطة في نيل سعادة الدارين بسبب دعوته صلى الله عليه وسلم وقيل انه
سبب عادي لان الله تعالى جعل ارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام امارة لخلق الهداية

فيهن

فيهن ارسل اليهم كالشبع والري ٢ الاعين جمع قلة وكان مقتضى المقام
جمع الكثرة لكنه اتبع اللفظ الوارد فيه كما ستراه وجمع القلة قد يكون للكثرة كعكسه
أو هنا لكنه لعده قليلا بالنسبة لقدرته تعالى او لكونها كانت قليلة في الابتدا
وسيأتي تحقيقه وعميا جمع عميا ويكون جمع اعمى وهو صفة من العمى وهو عدم
البصر كما هو من شانه فان لم يكن المعنى فهو استعارة لا تمثيل وتشبيه جعلت
الحواس التي لا ينتفع بها كالمفقودة فمن توهم ان ذكر الاعين المشبهة ما منع من
الاستعارة لم يفتح عينه وليس هذا كقول المتنبي

• انا الذي نظر الاعمى الى ادبي • واسمعت كلماتي من به صمم •

لان معناه ان كلامه لبلاغته وحسنه شاع وذاع وملا الاسماع حتى كان
الاعمى يراه والاصم يسمعه وقلوبا اغلفا جمع قلب وهو العضو المعروف
ويراد به العقل وقد فسر به هنا وهو الظاهر لقوله غلفا بضم الغين المعجمة
وسكون اللام جمع اغلف بمعنى ذي غلاف وغطاء فهي محتطاة في اكنة ومنها غلام اغلف
بمعنى اقلف من غلفت السيف ونحوه ويكون جمع غلاف فاصله غلف بضم اللام مخففا
وبه قوى قوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف ويصح ارادته هنا على انه بدل اشتمال
فيكون الممنوح غلافه وغطاؤه وعلى الوجه الاول الاولى عطفه على الاعين المفقة
تغليبا أو بتقدير واذا لله غباوة قلوب غلف على نهج قوله •

• متقلدا سيفا ورمحا • وهذا مبني على ان القلب محل العلم والقوة المدركة
قائمة به لا بالدماغ وتغطية المحل يلزمها تغطية ما فيه ومعناه أن قلوبهم
كانت محجوبة عن الهداية فازال النبي صلى الله عليه وسلم حجابها وكشف غطاءها
حتى اهتدت فعنده استعارة تمثيلية وتخييلية ومكنية كما حقق في الكشاف
وشروحه وهو لا ينافي قوله تعالى وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم لانه فيمن
طبع على قلبه وهذا في غيره أو المنفي الدلالة الموصلة والمثبت مطلق الدلالة والاول
أولى واذانا صما أذانا جمع اذن بضمتين وتسكن تخفيفا وهي الجارحة المعروفة
وصما بالضم ثم التشديد يوجع صما كعمى وعميا ويجوز فتح صاده على انه مفرد يونث
ممدود قصر للوقف وصف به الجمع كجبال راسية والصمم آفة تمنع السمع وفتحه
ازالته مجاز مشهور ويقال في ضده انسدت استعير هنا للعدم والاذعان للحق والاه
تنفاع لها لانها لم تسمع السمع المعتد به فنزل سعيها منزلة العدم فلما ارشد واما
للحق وكشفت عنهم الحجب المظلمة وانقادوا مذعنين كانوا كمن زال صممه فامن به اي
بالنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقة الايمان جعل الغير في امان فهو معتد بنفسه ثم

سيد

ابن الحنبلي

عرضي

ضمن معنى الأقرار واعتراف فعدى بالباء كامن بالله بمعنى صدقه واعترف به وقد تعدى باللام وهو في الشرع التصديق بما علم مجيء النبي صلى الله عليه وسلم به ضرورة تفصيلا فيما علم تفصيلا واجمالا فيما علم اجمالا وتلفظ القادر به شرط لمن أحل به فهو كافر فهو كالعمل خارج عنه وذهب بعضهم الى أنه جزء منه داخل في حقيقته الا أنه عند بعض المحققين جزء لا يلزم من عدمه كالشعر والظفر من الانسان والاوراق والشعث من الشجر كما ذهب اليه بعض السلف وتفصيله في كتب الكلام

وعزروه ونصروه بعين مهملة وزاي معجمة ثم راء مهملة بمعنى وقروا وعظموا ويكون بمعنى اعانه على عدوه والاول المراد لما فيه من التاسيس واصل العزر بفتح فسكون المنع فاستعمل فيما ذكر لما فيه من المنع عن الاهانة ونحوها وكذلك التعزير المعروف اطلق عليه لمنعه عن العود للجناية ولم يعدل عنه لايهامه المعنى الاخير لدفع السياق له ويرجحه موافقته للقران في قوله عز وجل وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه مع ما فيه من الاعتماد على اقوى الدليلين وهو اللفظ والفعل ولا يلتفت لما قيل لولا القران لكان الاولى أن يقال عزروه بمجمتين احترازا عن الشرك بين الاهانة وضدها وسياقي انه قوي بما في اية الفتح والنصر لاعانه والدفع عنه ما يضره ويقال نصرت السحابة اذا مطرت ونصر اذا أعطاه وقدم التوقير على النصر لموافقة الواقع ودفع الاحتمال

تنبيه في القاموس ان التعزير من اللغة من اسما الاضداد لانه يطلق على التعظيم والتعظيم وعلى التاديب وعلى اشد الضرب وعلى ضرب دون الحد قال شيخ مشايخنا ابن حجر الهيتمي والظاهر ان هذا الاخير غلط لان هذا وضع شرعي لا لغوي لانه لم يعرف الا من جهة الشرع فكيف ينسب الى أهل اللغة الجاهلين بذلك من أصله والذي في الصحاح بعد تفسيره بالضرب ومنه سمي ضرب ما دون الحد تعزيرا فاشار الى ان هذه الحقيقة الشرعية منزلة عن الحقيقة اللغوية بزيادة فيدهن كون ذلك الضرب دون الحد الشرعي فهو كلفظ الصلاة والزكوة ونحوهما المنقول لوجود المعنى اللغوي فيها بزيادة وهذه دقيقة مهمة نظر لها صاحب الصحاح وغفل عنها صاحب القاموس وقد وقع له نظير ذلك كثيرا وكله غلط يتعين التنبيه له انتهى وقوله فكيف ينسب الى آخره قال شيخنا ابن قاسم لا يقال هذا لا يأتي على ان الواضع هو الله تعالى لانا نقول هو تعالى انما وضع اللغة باعتبار ما تعارف الناس مع قطع النظر عن الشرع

وقوله من موصول تنازعه الفعلان **جعل الله له** أي قضى وقدر كما علم بالنص كقوله أولئك هم المفلحون وكل ميسر لما خلق له

واذا

ابن الخطيب

عرضي

• واذا يسر الاله سعيدا • لانا بين فالهم سعداء •

وليس في هذا ايجاب ولا جزم كما توهم **في نعم السعادة** نعم كعقد بمعنى الغنيمة والغنيمة وهي الفوز بما يطلب من الغنى ونحوه ويطلق على ما يغنم من كل شيء والسعادة ضد الشقاوة ويختص بالفوز بالنعيم الاخروي واضافة المغنم بالمعنى المصدري لامية وهي بيانية ان كان بمعنى ما يغنم ويجوز ان يكون كلجين الماء كما قيل وهو حسن لان المغنم والغنيمة ما اخذ من العدو قهرا فكان المومنين لما اختصوا بالسعادة دون غيرهم كانهم يسلبونها اياها والجامع بينهما ان كلا منهما له فائدة عظيمة لا تحصل الا بجد وجهد ولا وجه لما قيل ان وجهه خفي واقوى في المشبه فانه ظاهر لمن له ادنى تامل **قسما** بكسر القاف بمعنى الحظ والنصيب ويجوز فتحها قال في المصباح قسم من باب ضرب والقسم بالكسر اسم مصدر ثم اطلق على الحصة والنعمة ومناسبته للمغنم ظاهرة **وكذب به** يقال كذب بكذا انكذبا اذا انكره وجحده وكذبه اذا جعله كاذبا في كلامه هذا هو المعروف في الفرق بين المتعدي بنفسه وبالباء فالمراد انه أنكر انه صلى الله عليه وسلم من حيث النبوة والرسالة ولم يقل كذبه لانه بمعنى ما بعده فمن فسره بانه جعله كاذبا او انكر فقد خالف الظاهر وقيل المراد ان هذا هو الوعيد والشقي الابدي ثابت لمن أنكر كان وصفه بغير صفته كاسود وغير قرشي فقد فسر بغير مراده **وصدف** بمهملتين وفا بمعنى اعرض **عن آياته** جمع اية وهي العلامة والامارة واية القران الفاظه منه وان منقطع ومبدا ويكون بمعنى المعجزة التي هي علامة النبوة ويجوز ارادة كل من معانيه هنا ووزنها فعلة ساكنة او محركة او فاعلة وياتي بيان ذلك مع زيادة **أي اعرض عن تدبر علامات** نبوته صلى الله عليه وسلم مكابرة كما قال تعالى **فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها** والايات تضاف الى الله والى الرسول صلى الله عليه وسلم كما هنا لانه حيا بها وجرت على يديه تصديقا له صلى الله عليه وسلم **من كتب عليه الشقاء حتما** كتب بمعنى حكم وقدر في الازل او اوجب او كتبه في اللوح المحفوظ او انه تكتب السعادة والشقاوة في بطن امه على جبينه او بين عينيه او في رق لابرى في عنقه كما ورد وهو اما تمثيل لسبق شقاوته وسعادته او هو على حقيقته وظاهره وحتما بمعنى لازما واجبا لا بد منه ولما كان الشقاء لا يهتدي لمعرفته منه على حاله مفتبسا من القران فقال **ومن كان في هذه** الدار الدنيا **أعمى** عن مشاهدة الايات الظاهرة **فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا** أتى بالصيغة البديعة من

شبكة الألوكة www.alukah.net

الاكتفا للتسجع وعماه لعدم رؤيته طريق النجاة وهذه اشارة للدنيا اي
من كان في الدنيا اعمى القلب والبصيرة لا يبصر رشده كان في الاخرة اعمى على طريق النجاة
لا يراها واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد اولان الاهتداء بعد لا يتسع
والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل اعمى الثاني افعل تفضيل كاجهل وابله
ولذا لم يملهما ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل عامة في حكم
المتوسطة كاعلم بخلاف النعت فان الفه منطرفة لفظا وحكما وكانت
عرضة للامالة من حيث الفا تصيرياء في التثنية واما الهاء حمزة والكسائي وورش
على اصله بين بين فيهما واورد عليه انه ينتقض بمثل قوله الذي هو ادنى والكافرين
الا ترى ان حمزة والكسائي وابا بكرا اما لهما في الموضعين مع قيام هذا الاحتمال
في الثاني ويمكن ان يقال مراده ان الفه في حكم المتوسطة والموضع اللايق للامالة
آخر الكلمة حيث تصير ياء عند التثنية فنبه ابو عمرو ويعقوب على الفرق بين الكلمتين
بامالة الاولى دون الثاني ويقال من امال الثاني راعى المشاكلة بين وبين اصله
وهو المعنى الحقيقي وفي بعض الشروح قالوا لكونه اسم تفضيل اما ابو عمرو الاولى دونه
لان الفه غير منطرفة لما مر كما قاله الفارسي والزمخشري وفيه انهم اماله وا ولا
ادنى من ذلك مع التصريح بمن فلا يملوه اذا قدرت معه اولى واحري اقول
ذكروا للامالة اسبابا كجاورة الكسرة او الهاء ولا يشترط فيه تطرف وكونها
منقلبة عن يا او تصيرياء في التثنية ونحوها ولهذا يشترط فيه ان يكون الفه
منطرفة كما في التسهيل ثم انهم قالوا اسباب الامالة مجوزة لا موجبة فاذا انتفى
لها ما يجعلها في حكم المتوسطة وقارنت ما هي منطرفة حقيقة فترك امالته
اذا اميل الثاني للفرق بينهما ارجح من الامالة فيه فسقط ما ذكر برمته لانهم
لم يعنوا ان افعل التفضيل مع كون ظاهرة او مقدرة فيه مانع من الامالة بل
مرجح لتركها لا سيما مع قصد الفرق بين افعل التفضيل وغيره وليس فيما
ذكرناه اباه واما الكافرين فلا يحتاج للعذر لما مر فان قلت شرط افعل
التفضيل ان لا يصاغ وصفه على افعل فعلى كالعيوب وما قابلها والالوان لان
حق فعله ان يكون ثلاثيا كما مر رعاية لاصله وقال ابن مالك رحمه الله تعالى
الاقرب ان يقال لما كان بناء الوصف من هذا النوع على افعل كاعور لم يبن منه اسم
تفضيل ليلا يلتبس احدهما بالاخر قلت قد اجيب عنه بانه في العيوب الظاهرة
وهذا من العيوب الباطنة وهذا على التعليل الاول ظاهر واما على الثاني فغير تام
الا ان يقال حق وصفه ان لا يكون على افعل فعلاء ويشهد له قول الجوهري عمي وما

خالفه

خالفه محمول على غير شذوذا فاذا اريد بالعمى عمى البصيرة فلا اشكال فيه فان
اريد عمى البصر عقوبة لهم فوجه التوفيق بينه وبين قوله فاذا هم قيام ينظرون
ان في القيامة مواقف مختلفة باختلاف احوالهم والاقتباس هنا مبين لما قبله
ومثبت له وعطفه رعاية للنظم فانه لما ذكر ان من كذب واعرض عن ايات الله
متحتم الشقاوة عقبه بما يدل عليه من كلام الله وفي الكشاف ان العمى حقيقة
في البصر والبصيرة والعمة مخصوص بالثاني فحينئذ يجوز بنا اسم التفضيل
منه فان كان حقيقة في البصر فقط لم يتجه بناؤه كما في دوح الجوهري لان ما يمتنع في
الحقيقة يمتنع في مجازها لانا اذا قلنا لا يجوز بنا التعجب من الموتة لا يصح ان يقال
ما اموته فمن منع بنا التفضيل من الالوان والعيوب لا يجوز بعد التجوز فيه
والقول بانه تمثيل فلا يجدي الا الفساد إذ لا يجوز في مفرداته فهو غفلة
من قائله وسيأتي الكلام على الاقتباس في ادر الخطبة ولما ذكر انه صلى الله عليه
وسلم وصل الى اعلا مراتب الكمال وان كمال غيره انما هو لبعد ابنه والاقتباس
من نور شريعته ناسب ان يعظمه ويدعو له اذا بعض حقه وتوسلا به الى الله في
قبول حمده واتمام قصده فقال صلى الله عليه وسلم والصلاة في العرف
عبادة معروفة وفي اللغة الدعا وفي اشتقاقها كلام مفصل في محله سيأتي
بعض الكلام عليه وما اشتهر من الهاء من الله رحمة ومن الملايكة استغفار ومن
الادميين تضرع ودعاء صح عن السلف ويد تمسك الشافعي في الجمع بين معنيي
المشترك ورده صاحب التوضيح بما هو مذكور في كتب الاصول ولما فيه من
معنى التعطف عدي بعلى لتضمنه مع تعدي الدعا بها للمضرة وعقب الحمد بالصلاة
لقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك فان السلف شروع بلا اذكار الا وتذكر معي
كما سيأتي ولذا ذهب كثير من الشافعية الى كراهة افراد الصلاة عن السلام
لفظا وكتابة او هو خلاف الاولى كما سيأتي بيانه والسلام اسم مصدر بمعنى
التسليم وحق الانبيا عليهم الصلاة والسلام بالصلاة والسلام استقلالا لانهم
كاحق الصحابة رضوان الله عليهم غالبا بالترضية وغيرهم بالترحم كما سيأتي في
محله والاصح انه لا يكره الدعا بالرحمة للنبي صلى الله عليه وسلم كما لا يكره التسليم
على الصحابة رضي الله عنهم وان كان من اداب الشريعة ترك رغما للشيعة في
التسليم على الال البيت وعندي انه يكره الدعا بالرحمة للنبي صلى الله عليه وسلم من العامة
في موطن لم تؤثر فيه لا سيما منفردا اصلاة اسم مصدر منصوب على المفعولية
المطلقة لافادة تقوية عامله وتقدير معناه تتموو تنمى كذا في حمال النسخ كما قاله

التلساني وفي بعضها تنمى بفتح المثناة وكسر الميم وتنمى بضم المثناة الفوقية
وفتح الميم وفي المغني ان الاول اصح واوضح رواية ودراية وفي المصباح نمى الشيء
ينمي من باب رمى نما بالفتح والملك كثر وزاد وفي لغة نما ينمو من باب قعد ونميته
الى اسنده نميا وانتمى انتسب وضبط الثاني على الرواية الاولى بفتح المثناه واليم
مضارع نمى بمعنى كاتى ياتي وعلى ضمه تامة وفتح ميمه وهو مجهول من نما المحدث
ينميه اي يرفعه ويبلغه فالمراد بالاول انها تكثر وتضاعف الحسنات او هو دعا
بتكثيرها الى غير النهاية والثاني بمعنى ترفع الى الملا الاعلى لقبولها اليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقيل ينمى الاول بصيغة الحروف اي تزيد وتوفع بنفسها
بنفسها كالشجرة وفي نسخة صحيحة تنموا بالواو وضعف بان صاحب الصحاح
ضعفه وبرده حكايته في القاموس وغيره انتهى والظاهر ان تنمو الاول بمعنى
تزيد والثاني بمعنى تبلغ وترفع وتبلغه لما سياتي من ان لله ملائكة تبلغه
صلى الله عليه وسلم صلاة من صلى عليه فلا حاجة لما قيل من ان الثاني بصيغة
المجهول اي يزاد عليها بانضمام مثلها معها فاندفعت المناقشة بان كل رحمة تنمى فهي
تنمى على انه يحتمل التاكيد انتهى فانه تعسف انت في غنية عنه بما قدمناه وكذا ما
قيل من ان المطلوب صلاة مستمرة مستقرة تنميها فتنموا وتزيدها فتزيد
وهذه الجملة للانشائية والخبرية كما بيناك عليه وعلى اله عطف على قوله وقيل
على المجرور باعادة الجار واصل معناه الاتباع ولذا فسر لهم فيما سياتي ولم يضف
في الاكثر المطرد الا الى العقلاء الاشراف وزيد فيه المذكور والكل اغلبي لقولهم
آل الله وآل البيت قال

وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

فهو اخص من الاهل ثم خص في العرف ببني هاشم وبني المطلب وقيل هم عترته
واهل بيته وقيل هم جميع امته كما سياتي في كلام والختار
الامام مالك والنووي والاصح جواز اضافته الى الضمير وان زعم المبرد انه
من لحن العامة وانداد اانسب يقال اهله واصله اول لان الكثير يرجع اليه
في المهمات وقيل اصله اهله فقلبت الهاء همزة والهمزة الفا واستدل بتصغير
على اهيل ولاه ليل فيه لان قيل اهل واهيل وآل واويل قيل كان ينبغي ذكره
الصحب لان الصلاة تنسحب عليهم واجيب بان معناه هنا الامة او الاتقيا
منهم فيشملهم مع الاختصار وهذا مذهب مالك والمصنف مالكي وقد ابن
عبد السلام رحمه الله بانه لا يستحب الا من ورد ذكره في الحديث من الآل والازواج

والذرية

والذرية وهم غير مرضي وسلم تسليما سلم بصيغة الماضي او الامر وهذا موجود
في اكثر النسخ وقد سقط من بعضها كما في بعض الشروح وهو يحتمل ان يكون
تسليما على من ذكر قبله تاكيدا له بحسب المعنى لفعله ومصدره او لقوله وعلى
اله عطفه على صله الصلاة السابقة على السلام بعد تشويكه معهم في اصل
الصلاة والتسليم تميز الشرفه وعلو قدره ولما كان المتبحر ان لا يفرد الآل
بالصلاة عن السلام اردفه به تتميما للمقام كما ارتضاه الشارح الفاضل
ويحتمل ان يفيد العطف التشريك في الصلاة والسلام ويكون ما ذكر تاكيدا
وهذا دعا المقصود به تعظيمه ومعناه السلام عليه او اجعله سالما من النقائص
والافات واما تاكيد السلام بالمصدر دون الصلاة اقتدا بالنظم المجيد
فلان الصلاة من الله ومن الملائكة رحمة وتعظيم واقعة منهم بلا تردد واما
البشر فلما صدر عن بعضهم كالكفرة ما صدر من اذيتهم وتنقصهم
الصلاة بالتسليم من النقائص والانقياد واكد لوقوع الانكار وما يخالفه
وهذا خفي على بعض الناس وقال الفاكهاني الصلاة لما اكذ باعلام بانه
وملائكته يصلون عليه وتعظيمها اعتنا بشانها ولاكذلك السلام
فحسن توكيده بالمصدر جريا له وهو لا يجدي هنا توهم لانه اخبر ان الله عز
وجل صلى عليه بقوله صلى الله فيكون قوله بعده وسلم بصيغة الامر
اي سلم اي السلام عليه فيطابق الآية لفظا ومعنى وهو تعسف غني
عن الرد ثم ان المصنف رحمه الله اتى بسجع الخطبة على روى واحد وهو بجعل
كل فاصلتين على حده وهو اسلوب من اساليب السجع ثم ديله بما هو خارج عن
السجع ومثله كثير في الخطب فمن توهم انه منه واورد عليه ان يطول بعض
فقرة وهو معيب فقد وهم اذ لا يتوهم ان تسليما كالقافية هنا الا بالنظر
اما بعد اما حرف شرط لوقوع الثاني بعدها لفظا او تقديرا وتوكيد لان
معناها مهما يكن من شيء فقد علق شروطها على وقوع شيء ما في الكون
مما لا يخلو عنه ظروف فكانه قال انه واقع على كل حال البته وتفصيل غالبا
او دائما بتقدير معاد فيما لم يذكر ويفصل بينها وبين الفا ما مور ذكرها
النحاة منها الظرف هنا والعامل اما او فعل مقدر او ما في حيز الجواب وهو
مبني على الضم كغيره من الظروف المقطوعة عن الاضافة ولجاز هشام فتحه من غير
تنوين قال ابن النحاس انه غير معروف وروى عن سيبويه رفعها ونصبها كما
فصل في محله واما بعد فقيل الفا فصل الخطاب واختلفوا في اول من تكلم بها

أشرق الله قلبي وقلبك أشرقت الشمس ونحوها بمعنى أضاءت وهو لازم كما قال تعالى وأشرقت الارض بنور ربها وقد استعمل متعديا في كلام المولدين كما هنا فيكون اما جعلا له على اضاءة لانه بمعناه والشيء يحمل على نظيره وضده وأضاء جاء متعديا ولازما كما صرحوا به وهو يتضمن معناه أو معنى التصيير اى صير الله قلوبنا مشرقة كما قيل به في قوله

• ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها • شمس الضحى وأبو اسحاق والقمر •

والخطاب هنا للسائل الآتي وهذه جملة دعائية معترضة بين الشرط والجزا لانه بعد ذكر الطرق لا يذكر فاصل آخر والقلب معروف ويطلق على العقل والروح وما قيل انه لطيفة ربانية لها تعلق بالقلب الجسماني لا يوقف على حقيقتها تبع فيه بعض الصوفية وكانه أراد الاخير ثم ان المصنف رحمه الله بدا بنفسه في الدعا كما ورد في القرآن رب اغفر لي ولوالدي وفي حديث رواه الترمذي كان صلى الله عليه وسلم اذا ذكر احدا ودعا له بدا بنفسه وقد وقع ما يخالفه كثيرا فقال الزركشي في حواشي ابن الصلاح بان ذلك اذا كان المدعو به واحدا فان تغاير فهو مخير وقال النخعي رحمه الله كانوا يقولون اذا دعوت فابدا بنفسك فانك لا تدري في اى دعائك يستجاب لك فبين العلة فيه وليس هذا مخصوصا بالحديث الآخر وهو كان صلى الله عليه وسلم اذا ذكر احد من الانبيا عليهم الصلاة والسلام بدا بنفسه فقال رحمة الله علينا وعلى اخي كذا فانه لم يذكر للتخصيص وفي شرح العقيدة البرهانية للتفتزاني انه يقدم الدعا للاخوان ايثارا لهم لما ورد في الحديث ان العبد اذا دعا لاخيه المسلم قال الله تعالى عبدي وبك ابدا فاى فضيلة للنفس وزاهدة وهي كونه مبدوا به في الاجابة فمقام الايثار مقام عال شريف فان شاء بدا بنفسه وان شاء بغيره انتهى فقد علم مما قالوه انه اذا دعا لنفسه وغيره في الافضل من طرقه أقوال قد جمع بينها بالها بحسب المقام لكل امرء ما نوى بانوار اليقين الانوار جمع نور وهو كالضوء الا ان بينهما فرقا ولذا قال الله تعالى جعل الشمس ضيا والقمر نورا وفيه تفصيل ذكرناه في حواشي البيضاوي وهل هو حرم او لا فيه كلام في كتب الحكمة فقيل عرض يحصل في الاجرام عند مقابلة النير بتوسط حرم شفاف كالهوا والماء والمفيض له المبدا الفياض للصور بالشروط المعدات للافاضة فلولا قصور القسرية ما احتاجت لواسطة وقد قيل ان مشاهدة كل ما يرى بتوسط نور النار بمثابة علم اليقين ومعاينة جرم النار المفيض للنور على ما يقبل الافاضة بمثابة حق اليقين والاتصال

به عين اليقين ثم ان النور لما كان ظاهرا بنفسه مظهرا لغيره شاع اطلاقه على ما ضاهاه كالوحي والعلم والعقل فان فهمت فنور على نور واليقين ايقان العلم بنفي الشك والشبه عنه بالاستدلال ولذلك لا يوصف به علم الله والمعنى الحضوري والضروري فنور اليقين اما قبل لجبين المآى اليقين الذي هو كالنور في قوة الظهور وقيل المراد الأدلة المبينة له استعارة أو العقل اي رزقنا الله عقلا سليما نهتدي بنوره الى سبيل الرشاد وشرح مشكاة صدورنا لتعلم علوما تعا ساطعة البرهان ودعا بذلك لان ما سأله يتوقف عليه وقيل المراد بنور اليقين العلم اللدني وهي معرفة الذات والصفات بمشاهدة كشفية لا بحجج ادلة عقلية ونقلية ومنه علم الخضر وهذه مرتبة فوق مرتبة الايمان بالغيب ولا يخفى بعده ولطفك لطف كقعدد من اللطف وهو الرفق والرافة وهو من صفات الله وفيه تفاسير منها التوفيق والبر والاحسان او معاملة عباده بذلك وايصاله من حيث لا يشعرون ولذا يوصف بالخفا وجعل تذييلا لقوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير ومن ثم قيل انه من اللطافة المقابلة للكثافة وقيل انه العلم بالدقايق التي يهتدى لها والمشهور تعديته بالباء كقوله تعالى الله لطيف بعباده وجا معدى باللام في قوله ان ربي لطيف لما يشا لما فيه من معنى التوفيق والتيسير او تضمين لهذا أو لمعنى الايصال كما ذهب اليه صاحب العمدة والراغب وذهب صاحب الجمل الى انه حقيقة وفي النهاية يقال لطف به وله اذا رفق واليه اشار من قال هو لاجتماع الرفق في الفعل والعلم بدقايق المصالح وايصالها لمن قدرت له ولذا جمع المصنف رحمه الله بين حرفي التعدية فقال بما لطف به لاوليائه المتقين وهو انما يتعدى باحدهما فاما ان يقدر لاحدهما متعلقا أو يجعل الباء سببية لا معدية وفي نسخة بما لطف به بعباده بالباء فيهما وهو ايضا مما مر فلا اعتبار على كلامه كما توهم والاولياء جمع ولي فعيل بمعنى فاعل لانه موال لله أو بمعنى مفعول لانه تعالى امره وله بمعنى عام وهو كل مسلم منقاد لله وخاص وهو العارف بالله وصفاته المواظب على طاعته المجتنب للمعاصي المعرض عن اللذات والشهوات المستغرق في شهود الذات المتخلي بكل خلق محمود وله مراتب الا انه لا يشترط فيه ان يكون له كرامة وقال الدواني هو المتقي العارف بالله وصفاته المتوجه بكليته قلبه الى جناب قدسه قالوا والمراد بالمعرفة ما كان عن كشف صريح صحيح بعد التهذيب

ابن الحنبلي

شبكة الألوكة www.alukah.net

أو ملاحظة ذاته وصفاته في كل افعاله وعند الصوفية هو الفاني في الله
الباقي به والفنا الاستغراق في مشاهدته القبلية حتى لا يشعر بغيره حتى
بنفسه وعدم شعوره وهو انتهاء السير اليه والبقاء به لكونه مظهرا لافعال
الله ومراداته من غير اختيار والتبتل صفة كاشفة او المراد لها معنى خاص لان
المتبتل اسم فاعل من الوقاية وهي الصيانة وفي العرف من تبتل نفسه عما يضر في الاخرى
وله مراتب اولها المتبتل من العذاب بالتبرى عن الشرك وعليه قوله والزمهم
كلمة التقوى وثانيها التجنب عما يوثم فعلا وتركا حتى الصغائر عند قوم وعليه
قوله ولوان اهل القرى امنوا واتقوا وثالثها ان يتنزه عما يشغله عن الحق
فينقطع اليه بكليته وهو المراد بقوله اتقوا الله حق تقاته فهود عا بان يوفقه
لتيسير ما يسر الذين شرفهم الله عز وجل بنزل قدسه الشرف في الاصل
المكان العالي تقل لعلو الرتبة والمنزلة والنزل بضمتين ويخفف بتسكين ثانيه
وهو الاصل والريع في الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من
الشيء وهو ايضا ما يهيأ للضيف اذا نزل ثم قيل لمطلق الزاد والكرامة وهذا هو
المراد هنا ويكون بمعنى المنزل والمسكن قال تعالى كانت لهم جنات الفردوس
نزلا ويصح ارادته ايضا والقدس بضمتين ويخفف مصدر بمعنى المطهر واسم
جبل المقدس لطهارته بالعبادة فيه والمقدس من اسماء الله بمعنى المنزه عما
لا يليق به والمبارك وقدس الله وخطيرة قدسه الجنة وهو المراد اي مشوفهم
بالكرامة لهم في جنته او باسكانهم اياها فيها او بكرامة تطهيرهم اياهم او
بجعل الطهارة نزلا على الاضافة البيانية كما قيل والحاصل انه خصهم بتشريفه
وعلو منازلهم وتطهيرهم لهم عن النقايص ولتقدم التحلي عقبه بقوله واوحشهم
عن الخليقة بانسه في نسخة من بدل من اوحش ماضي بمعنى صيرهم في وحشة ونفرة
عما لا يلايم ومنه الوحش والانس ضده وهو التقرب مع الانبساط لما لا يهوى
ولذا قيل الانس ارتفاع الوحشة مع وجود الهيبة وقيل هو انبساط المحب الى
المحبوب والوحش بالتسكين والوحش بكسر الحاء صفة منه بمعنى المتوحش وشاع
في العرف ولذا تطرف القايل • ووحشة لم تزل تحركها يد النوى فهي دايما وحشة
والخليقة بمعنى الخلق والناس ويكون بمعنى الخلق والطبيعة وبمعنى الجدير يقال
خليقة بكل مدح خليقته وبانسه سببيه يعني انسهم بالله واستغراقهم
في مشاهدته نفرهم عن من سواه والانس هنا روحاني كما قيل •

• فالجسم مني للجليس موانسي • وحبيب قلبي في الفؤاد انيسي •

وخصهم

وخصهم من معرفته من بيانية مبينة لما الآتية ان قلنا بجواز تقديم
البيان على المبين كما ذهب اليه بعض النحاة والمانع يقول هو بيان لامر مقدر
والا فتفصيل لما ابهم واجمل في ذلك القدر ومعرفة الله معرفة ذاته
وصفاته بوجه ما ولها مراتب وهذا مما لا خلاف فيه انما الخلاف في معرفة
الذات بالكنه هل هي واقعة امر لا ممكنة امرا لا كما فصل في الكلام ومعنى المعرفة
معروف ومشاهدة عجايب ملكوته المشاهدة المعاينة من الشهود وهو
الحضور والملكوت صفة مبالغة من الملك كالرحموت من الرحمة وقد يخص بما
يقابل عالم الشهادة وعالم الملك قيل وهو المراد هنا وهو ما غاب عن الحس وقيل
بل المراد هنا الملك المشاهدين في قوله من معرفة ابتدائيه لا بيانية اي
ان الله خص اولياءه بما سرهم وولهم لا لهم لما عرفوا نظروا في عجايب مصنوعاته
فنشا لهم ما يملا نضرة وسرورا ثم تزلت بهم حيرة بين الطرفين •

• في الوصول واليأس • حيرة عمت فاي فتى • دار عرفانا فلم يحر ومن •

تحتمل البيانية بنا على جواز تقدمها كما مر ففيه احتمالات لكل منها وجهة واثار
قدرته اثارا بالمد جمع اثر واثار القدرة المقدورات البارزة في الوجود بعد تعلق
القدرة بها من بين الممكنات وقد حمل هذا على عالم المشاهدة المحسوس وما
قبله على عالم الغيب كما سمعته انفا وهو الاحسن من حمله على الثاني بما ملا قلوبهم
حيرة بفتح الحا المهملة وسكون الباء الموحدة ويجوز فتحها كما قال التونسي ثم
راء مهملة تليها هاء تانيث وملا مهموز ضد فرغ والحيرة السرور وهو منصوب
على التمييز وما الموصولة عبارة عما انكشف لهم من المعارف الالهية من مطالعة
صحف الوجودات ولطايف المصنوعات والقلب معروف وتعيين بلطيفة
روحانية تكلف كما مر وولهم عقولهم في عظمته حيرة وله مشدد اللام تفعيل من
الوله يقال وله يله وله يلهه من باب تعب وفي لغة قليلة من باب وعد والذكر والاله
والوله ويجوز في الانثى والهة كذا في المصباح والوله الحزن او ذهاب العقل
الناشئ منه وفي المصباح وله اذا ذهب عقله من باب فرح او حزن وقيل الوله
لغة نفس الحيرة والعقل فوق للنفس بها ادراك الانسان وتميز عما سواه •

• لولا العقول لكان ادنى ضيغم • ادنى الى شرف من الانسان •

والحيرة بفتح الحا المهملة وسكون المثناة التحتية والراء المهملة قال في المصباح حار
في امره يحار حيرة من باب تعب وحيرة لم يدر وجه الصواب فيه فهو حيران وقال
الازهري اصله ان ينظر الانسان الى شيء فيحشاه ضوء فيصرف بصره عنه

عرضي

نحي

وفي الصحاح الوله ذهاب العقل او التحير من شدة الوجد وهو في العرف كونه
مبهوتا او قريبا من المعرفة والدهول فان اعتبر فيه العقل او الحيرة فلا بد فيه
من التجريد والا فلا وهو منصوب على انه مفعول مطلق لوله او تمييز والمعنى
انهم تحيروا عن ادراكها فكلما ازدادت العظمة ازداد العقل تحيرا او ثبورا فان
العظمة جلال الله وكبريائه هي التي تقف العقول دونها وفي حديث الكبرياء ردائي
والعظمة ازاري اشار الى الفرق بينهما وهو ان الكبير من هو في ذاته كبير غيره
اولا وسواء عرفت هذه الصفة اولا والعظيم عبارة عن كونه بحيث يستعظم غيره
فالصفة الاولى ذاتية لا اضافية والذاتية اعلا واشرف فلذا جعلها ازارا وتلك
ردا او قيل له متكبر دون متعظم فتامله وفي العباب تجنيس ولف ونشر ان قلنا
الذي ملأ القلوب سرورا معرفته والذي حير العقول عجايب ملكوته والاثار قدرته
لان من عرفه ابتهج بعبوديته وتوقب فيضه والعبد يزهو اعلى مقدار مولاه واثر
تلك المشاهد الوله والحيرة لان عيون البصاير لا تطيق النظر لاسعة انوار القدس
فجعلهم له ولحدا الفا اوتفريعية والهم في الاصل مصدر بمعنى
الحزن والعزيمة والارادة وكل مطلوب بهمة ويعنيك وكل من المعاني غير الاول
جايز هنا اي لما شاهد وابا هر قدرته وتحيرت عقولهم في كبريا عظمته
علموا ان ما سواه كلا شي فوجهوا جميع وجوه الارادة والعزيمة اليه وجعلوا
قبلتهم واحدة فلا مراد لهم سواه لاشتغالهم به عما عداه
تملك بعض حبك كل قلبي فان ترد الزيادة هات قلبا
وفي التفسير الكبير ورد عنه صلى الله عليه وسلم من جعل همومه هما واحدا كفاه
الله هم الدنيا والاخرة فكان العبد يقول همومي في الدنيا والاخرة غير متناهية
فانا لا اقدر على دفع حاجاتي ولا تحصيل مهماتي بل القادر عليها الله سبحانه وتعالى
فانا لذلك اجعل همي مشغولا بذكره ولساني واقفا على ذكره فاذا فعلت ذلك كفاني
بمحمته مهمات الدنيا والاخرة وقلت انا في معناه
من صير همه جميعا هما يكتال به السرور كيلا مجما
والحرفي بذاك حتما جما من يسبح لا يخاف بحرا طما
وباقي سبيله لاصلة المعنى جعلوا قصدهم واعتنامهم به تعالى حال كونه
واحدا في القصدية فلا يقصد سواه او حال كونه قصدهم واحد وقيل المعنى
انهم جعلوه واحدا فلم يريدوا منه الا اياه الا ان فيه قصورا فعرفوا انهم لم يبق
لهم طلب ومطلب فتصدوا لا بشي وهذا معنى قولهم اخر ما يخرج من الصديقين حب

الجاه فتجلى لهم جماله في الجلال حتى نسوا انفسهم ونسيانهم وهو كلام لقيس
لكنه لا يناسب كلام المصنف والجار والمجرور يجوز ان يكون مفعولا ثانيا لجعل
وواحدا حال من الضمير المجرور او من الضمير المستتر في الجار والمجرور وهو الاولى
ولم يروا حقيقة لا مجازا وقيل لا حقيقة ولا مجازا في الدارين الدنيا والاخرة
واصل معنى الدار معروف وقد شاع في لسان الشرع فيما ذكر حتى صار حقيقة فيهما
فكانهما لغلبتهما عند الله بمنزلة دار انزل فيها بعض عبيده والخافل يظنه مجازا
سكنها وتقدم كراها غير مشاهدا الضمير لله وجملة لم يروا معطوفة على
جملة جعلوا لانهم اذا لم يهتموا بغير ولهوا عما عداه ويحتمل عطفها على اول الجمل
وهذا محتمل لمعنيين الاول ان يريد ان في الكون مشاهدات سواه ولكن العارف
المستغرق في مشاهدة جماله وجلاله لا يراها وهذه مشاهدة الصديقين وتسميها
الصوفية الفناء في التوحيد والثاني ان يريد انه ليس في الوجود غير لان كل
شي هالك الا وجهه وكان الله ولا شي معه وهو الان كما كان على ما قاله اهل الباطن
الشهود فالمراد انه لا مشاهد حتى يروه على حد قوله لا ترى الضب بها ينجحر
ورجح بعضهم الاول والمشاهد اسم مفعول بمعنى المدرك بحاسة البصر من الشهود
وهو المعاينة او الحضور وفي الشروح هنا كلام طويل لا حاجة لنا به فهم بمشاهدة
جماله وجلاله يتنعمون الجمال الحسن الذاتي لا الصوري والمتبادر من الحسن
الثاني ولذا لا يوصف به الله بدون تقييد وورد وصف الله به في الحديث
فقال ان الله جميل يحب الجمال وليس مثاله كما في فصله شرحه والجلال
العظمة يعني انهم يشاهدون جمال ربهم وانوار ذاته بعيون البصاير
والبصر في الاخرة يرونه دون احاطة كروية غيره ويومئ اليه جعل المشاهد
نفس الجمال والتنعم الترفه والتلذذ فلا نعيم لهم بغير تلك المشاهدة كما قال
تعالى ورضوان من الله اكبر على ما بينه المفسرون ولم يخلق الجن والانس
الا للعبادة ولها تصفية الباطن وصقل الحواس حتى يعبد الله كانه يراه وقوله
بمشاهدة متعلق بيتنعمون قدم عليه للحصر ولرعاية الفاصلة وفي نسخة
كماله بدل جماله والتنعم بالجمال والكمال ظاهر ولما الجلال فقيل انه يقتضي
الادب والخوف فلا يناسب التنعيم فيحتاج للتاويل او التغليب وليس كذلك
فان القرب ممن عظم وجل من ان تتقرب لحظاير قدسه اعظم رفعا من غير
فانه من تقرب من سلطان جليل يسر ويفتخر بقربه وفي حكم ابن عطا الله النعيم
وان تنوعت مطاعمه انما هو بشهوده واقتراب والعذاب وان تنوع انما

شبكة الألوكة www.alukah.net

هو بوجود عذابه وبين آثار قدرته اى مقدوراته وعجايب عظمته
يترددون يعنى انهم قايمون فى مقام حايلة فيه افكارهم لا يعتبرون من الجرى
فى ميادين الاعتبار فتهرب تارة الى بدايع المصنوعات المشاهدة فى مرأى اثار
باهر قدرته وتارة ترقى لسرادق عظمته فتظل اعناقهم خاضعة وعيون ابصارهم
حاشعة والتردد المجى والذهاب فشبهت حركات الافهام المعنوية بحركات الاجسام
الجسمية ومنه التردد بمعنى الشك قال الشاعر

لا تنكرن عدم الزيارة سيدى ٭ فمحبتى طبع بغير تردد

والمراد انهم مواظبون على التفكر فى عظمة الله ففيه استعارة تمثيلية وبالانقطاع
اوالبه الانقطاع مطاوع قطعه اذ افضله فانقطع ثم شاع فى التوجه لاحد ولامر
ونزل غير وهو المراد هنا ولذا عداه بالى وتتعدى باللام ايضا يعنى انهم توجهوا
الى الله ظاهرا وباطنا وقطعوا علايق الخلايق لتوكلهم عليه ورضاهم بما قضاه
وقدر ويحملهم امورهم معوضة الى الله عزوا وتقود الان عبد الملك العظيم
الملازم لسدته قوى عزيز ولذا ورد فى الحديث من خاف الله خاف منه كل شئ والتوكل
عليه يتعززون والتعزز تتعل من العوضد الذل ويكون بمعنى القوة ومنه قوله
تعالى فعززنا بثالث وكلا المعنيين جايز هنا لحين جمع لحج بزنة حذراى ملازمين
مداومين لذكر الله وقولهم هذا من اللهجة بفتح الهاء وسكونها وفى اللغة اللسان
أوطرفه ويطلق على الكلام يقال هو فصيح اللهجة ولهج بالشئ من باب تعب اوولع
به ولزمه كما فى المصباح فما بصادق قوله قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون
يعنى ان هؤلاء المخلصين لله المختصين به الذين شغلوا ظاهرهم وباطنهم بمحبته
ورد هود ايما ذكر الله والاعراض عما سواه متمثلين لهذه الاية يعنون انهم مراقبون
لله معرضون عن غيره فلذا يامرون انفسهم اويامر بعضهم بعضا بما ذكر والقصد
مطابقة الخبر للواقع مع الاعتقاد كما هو معروف وصفت هذه الجملة الانشايية
به نظرا لما تضمنه اولقوله مقدر كرينا الله ونحوه اولان المشاركة مآله بحق لانتباه
ومقصود المصنف رحمه الله التمثيل به كما تمثل به الشبلى رحمه الله لمن قال له اوصنى
فقال عليك بالله ودع ماسواه وكن معه ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون ولهذا سقط
ما اورده الشراح من انه كيف وصف الانشا بالصدق وان الاية ليست مناسبة
هنا فانها هكذا وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شئ قل
من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه قراطيس تبدونها
وتخفون كثيرا الى الخر اى قل الله الذى انزل التوراة وانزلها فامرهم بالجواب

منكرى

منكرى الوحى اما لتعيين الجواب اوتنبيها على انه لم يكن غير اوتنبيها على انهم مبهوتون
لا يقدرون على الجواب ثم قاله ذرهم فى اباطيلهم كما عليك الا البلاغ وجملة يلعبون
حالية فتمثل لها المصنف رحمه الله لترك ماسوى الله والانقطاع له كما يمثل لها التيلى
وان كان بيانها فى التلاوة لمعنى اخر اذ يكفى لمثله بوجه ما وقيل وصف هذا القول
بانه صادق وصف له بصفة صاحبه مثل كتاب صادق وقيل الصدق هنا هو
الخلوص والثبات والكمال كصادق الخلوق ومنه الصداقة ولا حاجة اليه لما مر
واضافة صادق لجرد تطيفة واستعارة الخوض من الشئ فى الما للاقتحام فى الباطل
كما قرن المفترون ونحو استعارة الحياض وفى بعض النسخ بعد قوله وهى جملة معترضة
أوحالية للتعظيم والتمييز والاشارة الى ان ضميره لله فليس هذا اقتباسا كما
توهم لان شرطه ان لا يذكر انه من كلام الله ثم انه قيل ان معنى هذه الاية قل يا محمد
جوابا لهم عن قولهم من انزل التوراة الله انزلها ثم ذرهم الكفار فى اباطيلهم وهو لا يناسب
هذا المقام الا ان يقال مآل الامر بقول الحق والاعراض عن الباطل اقول ما كون
يذرا اى فى بادى النظر وليس بشئ لما مر وان سلمه الشراح واجابوا بان المراد لجيين
مثل هذا اقتدا بقوله تعالى فى دفع المنكرين المغرورين بالدنيا التى امرها
لهو ولعب باطل الا ما فيها من ذكر الله فيتم الاقتباس من نور التنزيل وينا سب
المقام ومقام المصنف اجل من ان يخفى عليه مثله وهو على طرف التمام وهاهنا
بحث وهو انه قيل ان ذكر الله بتكبير الجلالة بدعة لا ثواب فيها قال الخطاب
فى شرح مختصر شرح الشيخ خليل سيل المحز ابن عبد السلام رحمه الله عمن يقول الله
الله هل على ذلك هل هو مثل سبحان الله والحمد لله والله ونحو فاجاب بانه
بدعة لم تنقل مثله عن احد من السلف وانما يفعله الجهلة والذكر المشروع لابد
فيه كلا من أن يكون جملة مفيدة والاتباع خير من الابتداع ونحو ما افتى به البلقينى
رحمه الله فى قوم لا يزالون محمد محمد كثيرا ثم يقولون فى اخره مكرم معظم فاجاب بانه
ترك ادب وبدعة لم تنقل ولا يثاب عليها وكذا قولهم على محمد على محمد وتابعه
عليه كثير من العلما اقول ما ذكر فى اسم النبى صلى الله عليه وسلم مكررا وكونه بدعة غير
ظاهر لانه لم يتعبد بمثله مع انه داخل فيما نهى عنه لقوله لا تجعلوا دعا الرسول
بينكم كدعا بعضكم بعضا ولم يرد تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم الا بالدعا والصلاة
عليه فلو عظم بمثل ذلك كان مراغما للسنة ولو ذكر احدا سلطانا باسمه زجروه
واهانوه فما بالك باشرف الخلق واعظمهم واما ذكر الله تعالى فقد ورد الامر
به ووعد ذاكره بالثواب فى ايات واحاديث لا تحصى كقوله تعالى الذاكرين الله كثيرا

عيسى سيد

شبكة الألوكة www.alukah.net

والذاكرات وفي الحديث القدسي من شغله ذكري عن مسيلتي أعطيته افضل ما
اعطي السائلين اي غير ذلك مما لا يحصى ولم يقيد بقيد على ان الذاكر قصد التعظيم
والتوحيد فهو اذا قال الله ملاحظ المعناه فكانه قال معبودي واجب الوجود
مستحق لجميع المحامد ولم يزل الله من العلما والصلحا يفعلونه من غير نكير وكان
الاستاذ البكري رحمه الله ينحله ويقولوا استغفر الله مما سوى الله وكل كون
يقول الله وفي مجلسه اجلة العلما والمشايخ وهذا هو الحق وقد صنف في رد مقاله
ابن عبد السلام هذه عدة مسايل رايناها وممن صنف فيها القطب القسطلاني
والعارف بالله المرصفي والشيخ عبد الكريم الخلوتي وبه افتى من عاصرناه اللهم
احشرنا في جملة الذاكرين ولا تجعلنا من الغافلين فانك جواب انا واكد لان
المسؤل عنه يحسن توكيده والخطاب لسايل معين بحقق سأله او لغير معين مفروض
وما قيل من ان مقام المصنف رحمه الله اعلا من ان يفرض سايلا يخاطبه وان قوله
كررت السوال وما بعده باباه ليس بشئ لانه كثيرا ما يقع ما بعد مثله وفرض
الامور لنكت واقع في القران والحديث كثيرا كقوله اذ المجرمون وعنين مما لا يحصى
ويجوز ان يكون من باب التجريد كقوله • طحابك قلب في الحسان طروب • وما بين
انا والجواب معترض كررت السوال التكرار اعادة ذكر الشئ من قصد اعدادا ويطلق
على الذكر الثاني والاول ومجموعهما على مجموع الجار متعلق بكررت لما فيه من معنى
الالحاح والسوال الطلب ويكون سوال استفهام وسوال استعظام وهما معروفان
والجمع اسم مفعول من الجمع ضد التفريق وفي الحرف كتاب مجمع من كلام الخبر كما في قوله

• لله مجموع له رونق • كرونق الحبات في عقدها •
• كادت مجامع الورا عنه • تموت للخلة في جلدها •

ففي عبارته هضم لنفسه بانه ليس فيه الا الجمع والتقدير في تاليف مجموع وتقدير
في شان مجموع زكيك وفي متعلقه بالسوال الا بكررت لانه لا يتعدى بنى بخلاف
السوال فانه يتعدى بنفسه وبعن ومن وفي اذا كان بمعنى الرجا والشفاعة
دون الاستعطا فيقول سالت الامير في كذا ويحتمل ان يكون للتعليل كداخلة
النار في هذه فيصح تعليقه بكررت ايضا يتضمن التضمن جعل الشئ في ضمن الشئ
وداخله والتعبير بهم لانهم يجعلون اللفظ ظرفا للمعنى لانه المقصود منه او هو
من ظرفية الكل للجزء لما فيه من زيادة شرح وبيان وغيره لذا وقد يعكس كما في فصل
من شرح المفتاح والمعنى ان يحتوي عليه وتضمين يتحصل منه وبسببه فيه تسمح التعريف
بقدر المصطفى التعريف الاعلام واصله جعل الغير عالما والتعريف في الميزان معروف

ويجوز

سيدعيسى
وابن تجبل والرضي

ارادته على بعد فيه وقدر الشيخ مقدار ان غلب في رتبة شرفه واصله تقدير الشئ
بوزن وبحر والمصطفى المختار المنتخب افتعال من الصفوة وهو صفة غلبت على النبي
صلى الله عليه وسلم ولم تبلغ حد العلمية كالرحمن ولو كان علما بالغلبة لوجب تعريفه باللام
او الاضافة وليس كذلك وانما ذكرني الاسما كانهم لم يخصوها بالاعلام كما سياتي فما
قيل من انه لقب وضعي او بالعلمية واللام للح الاصل ليس بشئ لانه لم يقع في عهده وانما
صلى الله عليه وسلم توقيفية على المشهور قيل ولو قال ببعض قدر المصطفى صلى الله عليه وسلم
كان احسن ولا يخفى انه لا يلزم من سواله وقوع مسؤله ولذا قيل حلتني امرا امر اعلى
انه اذا اريد الاجمال سقط القيل والقال عليه الصلاة والسلام وفي نسخة صلى الله
عليه وسلم لانه لم يقصد التجمع حتى يرد عليه ان الاوفق بالتجمع الاولى وانه يلزم طول
الفقرة الاخيرة ويعتذر له بانه اشار لجوان والاموفيه سهل واشار الصلاة
لله كما سياتي اكثر تعظيما وما يجب له من توقير تعظيم واكرام افعال من كوم نقص
وعزا عده معززا معظما بحجته وتعظيم اله واصحابه وما حكم من لم يوف اي
يتمم ويكمل من وفاه حقه اذا اعطاه اياه وافيا تاما والحكم ما حكم به خطاب
الله المتعلق به واجب عظيم ذلك القدر اي مقامه الشريف وهو من اضافة الصفة
لموصوفها اي القدر العظيم واضافة واجب لاميه واحد مفعول يوف محذوف اي
لم يوفه اي يوف النبي صلى الله عليه وسلم اولم يوف واجب قدر حقه فالمحذوف الاول
او الثاني وهو بمعنى يتمم ويكمل فلا حذف لتعديه لواحد وما يجب في محل
نصب معطوف على تعريف وكذا ما حكم استفهامية اي يتضمن جواز هذا السوال وقبل
موصوله والعايد مقدر وعلى الاول المضاف المقدر هو المفعول وهو وان اكتسب
الصدارة مما اضيف اليه لا يصح عمل ما قبله فيه الا انه قصد به لفظه على طريق
الحكاية اي جواب قولك ما حكم الى اخره فلا يلزمه عمل ما قبل الاستفهام فيه ولا تعليق
العامل على المعطوف دون المعطوف عليه وتعليق يتضمن وليس من افعال القلوب
فيجاب بانه ضمن معناه وذلك من وضع الظاهر موضع المضمر وتعليق العامل
بواسطة حرف حتى يجاب بانها تنجاة له كما في شرح التسهيل ومنه تعليق فكر
ونظر نحو فلينظر ايها ازكى طعاما لتعديها بفي ولما واجب ما يجب اعتقاده في حقه
صلى الله عليه وسلم او قصر في حق منصبه الجليل التقصير والاقصار ترك ما لابد
منه وفي الحكم قيل قصر عنه اذا انزكه وهو لا يقدر عليه وحقه لا يستحقه مما لا بد منه
والمنصب بفتح الميم وكسر الصاد في كلام العرب بمعنى الحسب والشرف كما ذكره اهل
اللغة واستفاض في كلام الفصحا كما قال ابو تمام • ومنصب نماه • والدسماه • وفي

الصحاح يقال له منصب * وزان مسجد اى علو ورفعة وفلان له منصب صدق *
يراد به المثبت والمحمد ومن لم يقف على هذا قال انه فى اللغة المرجع ويطلق على
المرتبة وقبل القدر فكانه من نصب اذا جد وارتفع واما المنصب بمعنى العمل فلو
لم يرد فى كلام مهر اصلا كقوله * نصب المنصب او هى جلدى * وعناى من مدارأة *
السفل فكانه لانه نصب فيه للتطرق الامور وهو من النصب والحيلة والاطلاق
على ما يوضع عليه القدر كقول ابى تميم *

* كم قلت لما قال غبطا وقد * اربح من منصبه المجب *
* لا تعجبوا ان فاز من غبطه * فالقلب مطبوع على المنصب *

وفيه مع استعماله المولد تعريض آخر فلامة ظفر اى تقصير قليل بمقدار قلامة ظفر
فنصبه لانه قائم مقام المصدر او بنزع الخافض بعد حذف المضاف وقلامة فعالة
من القلم وهو القطع من الاطراف سواء كانت من ظفر او من غيره كالشجرة ولذا سمى القوبة
لقطعه وهو قبل القطع براع وقصته كما ذكره اهل اللغة واضافته الى الظفر لامية
كيد زيد فلا وجه للقول بانه تجريد وزنه فعال تكون لما يلقى من الشئ كالقمامة
والكناسة وشذ من الخلاصة مع مافيه والظفر للانسان معروف وفيه لغات
افصحها ظفر بضمتين ويسكن للتخفيف وجمعه اظفار وربما جمع على اظفور ويقال
ظفر بزنة جمل واظفور كاسبوع وقول الجوهرى انه جمع ظفر سهوا ومن ظفيان
القلم اراد ان يقول اظفر فزاد الواو وقلامة الظفر كناية عن القلم والخفاء
كما قال ابو نواس *

* ايها المدعى سليمى سفاها * لست منها ولا قلامة ظفر *

وبقلامة الظفر يشبه الهلال وتظرف فيه سعد الدين بن عربى حيث قال

* نادت من اهواه وهو مقلم * اظفاره يا نزهة المتامل *
* ابعدت ظفرك وهو بعضك فالذى يهواك اجدر بالبعاد الاطول *
* فاجابنى اظفى قلامتها * عن حاجة لكن بمعنى عن لى *
لا ريك بانى بالهلال يقيسنى * ان الهلال قلامة من انملى *

يعنى انه حقير متبدل عندى والمراد بعدم تقيده حقه ترك ما حقه ان يترك كله
او بعضه والتقصير ترك ذكر على ما ينبغى تاويل ما قبله فلا يلزمه عطف
الخاص على العام او قدا باه النحاة او يعتذر بان الاول بمعنى كثيرا وهذا بمعنى
قليلا ونحو وان اجمع للمن ما الاسلافنا جمع سلف وسلف جمع سالف وهو من
مضى من اسلافك واقربائك ثم عم لكل متقدم من الناس والمراد من تقدمه من العلما

وهو

وهو المتبادر عند الاطلاق وهذا فى محل جر معطوف على مجموع وايمتنا اى
ايمة الدين المقتدى بهم من اصحاب الكتب والمذاهب جمع امام واصله ايمة بهمزتين
فابدلت الثانية با قيل ويجوز ان يراد ايمة مذهب المالكية من مقال بيان لما وابينه
بتنزيل صور وامثال ابين بالنصب عطفا على اجمع اى يوضح ما ينقله من المتقدمين
بذكر جمعى افراده او صيغانه او امثلته فاستعير التنزيل وهو الاهباط من علو الى
سفل لذكر الافراد الخارجية فان الكلى لعدم تحققه فى الخارج بعيد من الافهام كالمعانى
والجزئى محسوس فهو كالشاغل والصور جمع كبر بضاد مهملة جمع صورة وهى النوع *
او الصفة او العود كما ذكره اهل اللغة ومنه قول العلما صورة المسئلة كذا والامثال جمع
مثال او مثل وفى بعض النسخ سور بسينين مهملة كما ذكره بن هرسلان قال والمراد به
الآيات من تسمية البعض باسم الكل مجازا والتنزيل معروف والفرق بينه وبين الانزال
مشهور على ما فيه وقيل انه هنا بمعنى الترتيب كما ذكره وهذا كله تكلف فالحق انه بالصاق
فان المراد توضيحه بتصويره بما يحاكيه فى الخارج وذكر نظائره فاعلم اى اذا ترجح
عن الخاطر فى الطلب فاعلم امرء بالعلم لصعوبة ما طلبه قبل الشروع فيه ليلقى فكره
لوسعه اعتنابه وبجوابه وكثيرا ما ياتى به المصنفون لذلك وقد استعملته العرب
كما فى قوله *

* فاعلم فعلم المرء ينفعه * ان سوف ياتى كلما قدرا *

فلذا خصه بالدعاله بالاكرام فقال اكرمك الله بعد ما دعى لنفسه وله سابقا
وهى جملة معترضة دعائية او جعلك الله تعالى معززا مكرما لما حسن سوالك وعظم
ما سالت عنه وكرمك باعالى على ندور مثله ويجوز ان يقال انه اكرمه بسوالة
له لاعتقاده انه اهل لما طلبه ممن يخوض به فى غمص فلذا اجازاه بهذا الدعا انك
حلتنى بالحا المهملة اى كلفتنى ما يشق كحمل الاثقال فهو استعارة تمثيلية كما فى قوله *
انا عرضنا الامانة على السموات والارض فابين ان يحملنها من ذلك الاشارة للمسئول
عنه ومن بيانية على احد القولين فى جواز تقدمها على المبين كما مر او ابتدائية لان
حمله لذلك ابتدا امها طلبه منه ثم انتهى الى الزيادة ويحتمل ان تكون تعليلية امرا امرا
امرا الاول بفتح الهمزة واحد الامور ويحتمل ان يكون واحد الاوامر والاول اولى والثانى
بكسرها وهو بمعنى عظيم او منكر او عجيب والكل محتمل هنا الا ان الاول اولى اى كلفتنى
امرا عظيما لا اصفه او منكرا عندى او عجيب طلبه منى لانى لست باهل له ففيه
تواضع وهضم لنفسه وارهقتنى بتا للخطاب والارهاق والرهق تكليف ما لا يطاق
واصل معنى رهق غشيه وقد فسر قوله ولا ترهقنى من امرى عسرا فلا تكلفنى

امرًا صعبًا لا أقدر عليه وهو التحفظ عن التقصير فيما سأله فيما ندبتني اى طلبته
منى ومنه المندوب عسرًا بزنة فعلى وهو الامر العسير وارقيتني من الرقى وهو
الصعود للمكان العالى اى الجائنى اليه بتكويرسؤالك والحاحك فى طلب الاجابة بما
كلمتني ما صدر به اى بتكليمك ما سألته وهو من الكلفة وهو المشقة والتكلين
المشاق وكلفته الامر حملته بمشقة ويتعدى لمفعول ثان بالتضعيف والكلف
تغير فى الوجه كالبهق كما قلت فى قصيدة

• للدر قلت وقد حكى وجناله • فضح التكلف سمة المتكلف •

مرتقى مصعدا وصعودًا صعبًا وعراشا قا ملا قلبى رعبًا خوفا وفزعًا وفيه
استعارة مكنية وتخييلية وفى جعله عاليا اشارة الى علو قدره وشرفه فإن
الكلام فى ذلك المسؤل وهو تعليل لما ذكر من الصعوبة والمشقة يستدعى تقرير لصول
اى تقتضى ما لا بد منه من التقرير وهو التحقيق والتثبت وفى النهاية التقرير
ترويل الكلام على المخاطب حتى يفهمه ومنه تقرير الدرس للطلبة وأصل
معناه جعل الشئ قارا فى مكانه والمراد قراره فى الذهن او الخارج او لجمع اصل وهو
فى اللغة الاساس وفى الاصطلاح ما يبتنى عليه غيره والقاعدة الكلية والدليل
ويصح ارادة كل منها وتقديمه على ما بعده ظاهر هذا اى لهذا التهذيب
امور مفصلة والفصول جمع فصل بمعنى فاصل او مفصول وتحرير الشئ تلخيصه
واظهار زبدته واصل معناه جعل الشئ جزا اى خالصا ومنه حر الوجه لاكرم موضع
منه وحر الطين ما لم يخالطه غبن والحر مقابل العبد واما التحرير بمعنى الكتابة
فخاص اريد به عام واصله الكتابة الملخصة او كتابة العتاقة اى الاظهار
والتبيان وهو منصوب معطوف على مفعول يستدعى لا على الكلام كما توهم فانه
تعسف لركاكة المعنى وان صح عن غوامض جمع غامض او غامضة وهو خلاف الواضح
واصله المكان المنخفض من الارض فاريد به ما ذكر لخفائه وجعله غامضة لمناسبة
الحقايق فى الثانيث امر تافه لا يلتفت لمثله لان فاعل الصفة لا يجمع على فواعل
لانه مخصوص بصفات من يعقل بشروطه واما اسما الاجناس وصفات ما لا يعقل
فيجوز فيها فجعلها بمنزلة الاسما غلبة ودقايق من علم الحقايق جمع دقيقة فعيله
من الدقة وهى خلاف الغلظ او صغير الجرم فاستعير لما يصعب ادراكه ثم شاع حتى
صار حقيقة عرفية لان الدقيق كذلك والمراد به بعض احواله التى لا تدركها العقول
القاصرة مما يدرك بالكشف ومشاهدة عين البصيرة الصافية فليست هى الغوامض
السابقة لا سيما اذا اقترنت بامن قبل البعثة فليست بمعنى لان المقام يقتضى فيه

بيانو

بيانى

تلمسانى

سيد عيسى

التكرار

التكرار وكيف يتأتى هذا مع قوله من علم الحقايق وهى جمع حقيقة وهى الذات والما
هية المركبة من الذاتيات او العلوم المدركة بتصنه البالغ كما اصطلح عليه ارباب السلوك
وهى غير منافية للمعنى الاول وهو فى كلام العرب الامور التى يحق حمايتها والانفة
عن تركها من الرؤسا وقال الخليل الحقيقة ما يصير الى حق الامر ووجوبه كما قال

• الم تر انى حميت حقيقتى • وباشرت حد الموت والموت دولفا •

قاله المرزوقى مما يجب للنبى صلى الله عليه وسلم بيانا لما قبله وقيل انه بيان للمكتوم
وما يجب له كالعصمة وعموم رسالته وشرفه ذاتا وحسبا ونسبا ونحو ويضاف
اليه أن ينسب ويوصف به وعطفه لانه غير مقابل لما قبله وهو كالقيد له وقيل
المراد به خصايصه صلى الله عليه وسلم ولا يرد عليه ما سيصرح به لما سيأتى أو يمتنع
عليه كالعيوب والنقايص وما لا يليق بمقام الرسالة أو يجوز عليه من امور البشر
كالاسقام والاعراض التى لا تورث نفرة ويضاف وما بعده معطوف على الصلة لا على
موصول لمحذوف كما جوزه الكوفيون فى نحو قوله

• امن يهجو رسول الله منكم • ويمدحه وينصره سوائى •

كما بين فى محله ومعرفة النبى والرسول والرسالة والنبوة والخلة والمحبة روى
بالنصب عطفا على مفعول يستدعى وروى بالجر عطفا على ما يجب لا على دقايق كما فى
المغنى وقيل على المضاف اليه تقرير والمراد بالمعرفة هنا معناها المشهور لا التعريف
وان جاز وانما استدعى الحال معرفة هذه لانبينا كثيرا من صفاته صلى الله عليه وسلم
عليها وخصايص هذه الرتبة العلية مجرور ومعطوف على النبى والدرجة واحدة الدرج
وهى المراقى والمراد بها هنا رتبة النبوة والرسالة لنبينا صلى الله عليه وسلم وغيره
ولذا لم يقل خصايصه ولكونه الجامع لهذه الصفات كلها والخصايص ما يختص به
ولا يتعداه لغيره جمع خاصة أو خاصة على كلام فيه فى شرح المفتاح وههنا
مهامه ههنا اشارة الى المسلك الذى سلكه للوصول لمقصده والمهامه جمع
مهمه كجعفر وهو القفر والمفازة البعيدة وقيل انها سميت بها لانها لكونها مخوفة
يخفض فيها الاصوات فيقول كل لرفيقه مه مه كما سميت المفازة اصمت فيح بفا
مكسورة وياساكنة وحا مهملة جمع افيح وفيحاوى الارض الواسعة والمهمة بذكر
ويوبك كما قال • ومهمه مغبرة ارجاؤه • وفى هذا الاستشهاد نظر وهذه استعارة
تمثيلية تشبه بيان ما ذكر لصعوبته بعلاه لاحتياجه لسعة الاطلاع وتوقفه على
انتاد دقيقة فى معرفة مقام النبوة فانه قد يقع فيها ما لا يليق به صلى الله عليه وسلم
أو يصفه بما ليس فيه فيدخل فى زمرة من كذب عليه صلى الله عليه وسلم وهذا من عطف

شبكة الألوكة www.alukah.net

القصة على القصة لبيان صعوبة ما كلفه الشائل بطريق اخر حيث جعله اولا مجلا شاخصا
وعلى صعوده ثم بعد النزول منه بمفازة بعيدة كما قيل

• كيف الوصول الى سعاد ودونها • قلل الجبال ودونها حتوف •

ومما يقتضي منه العجب ما قيل انه جواب سؤال مقدر اى كيف زعمت انك كلفت امرا
عظيما صعبا وهذا امرا لا صعوبة فيه فاجاب بانه كيف لا يصعب وسالكه
محتاج لاقتحام مهامه فيح هذا شانها وكيف يصح جعله جوابا للسؤال مقدرا مع
اقترانه بالواو مع انه لا وجه للسؤال ولا للجواب سوى تسويد وجه الصحف بجار
فيها القطا حار بحار كخاف يخاف اذ لم يهتد لمقصده وضير فيها للمهامة والقطا طائر
معروف واحدته قطاة وهى توصف بسرعة الطيران والاهتداء فى الظلمات والتكبير
يحق بقال الفائز المائز مسيرة عشرة ايام ثم تعود من ليلتها فلا تخطئ صادرة ولا
واردة ولذا ضرب بها المثل فقيل اهدى من القطا كما قيل

• والناس اهدى فى القبيح من القطا • واضل فى الحسنى من الغربان •

وهذا اما داخل فى التمثيل او ترشيح له للمبالغة فى بعد هذا المقصد والمراد انه
مما يضل ارباب الهداية وتحير فيه وقيل انه استعارة اخرى تصريحية وتقصر
عنها الخطا وفى نسخة بها بدل عنها وتقصر بفتح التاء وسكون القاف وضم الصاد
مضارع قصر بزنة كرم ضد طال والخابض الخائض جمع خطوة بضم الخاء وفتحها وهى
ما بين القدمين والمعنى ان هذه المهامه مع سعتها وكونها لا يعلمها سالكها وغيره
اولكونها وعرة ذات شوك وصخور تمنع المائى فيها من مد الخطا وبا لها بمعنى فى او سببية
وعلى النسخة الاخرى قصرها عنها بمعنى التجوز عنها لما مر او لطولها او هو على حد قوله
• ولا ترى الضب بها ينجحر • فالمراد انها لا تسلك وهو من جملة الترشيح او التمثيل
او هو تمثيلية اخرى وعلى كل حال فالمراد صعوبة ما كلف به وان الافكار فيها بطيئة
الحركات او عاجزة عنها راسا وما بعده كالتجريد كما ستراه وهجاهل مرفوع غير منون
جمع مجهل وهو المفازة التى لا اعلام فيها كما فى المغنى وهو المراد هنا وقيل المجهل
المفازة ايضا وفى القاموس المجهل ما يحملك على الجهل وجهله تجهيلا نسبه اليه وارض
مجهل كمقعد لا يهتدى فيها ولا يثنى ولا يجمع انتهى وقال ابن سيده فى قوله انا
لنضع من مجاهل قوم ما مجاهل فيه ليس له واحد يكسر عليه الا قولهم جهل وقفل
لا يجمع على مفاعل فهو من قبيل ملامح ومحاسن انتهى وفيه نظر لا يخفى وعلى القول بان
مجهل اسم الارض لا يثنى ولا يجمع فجمع المصنف رحمه الله له اما على القياس لان مفعل
ومفعلة يجمعان اطرادا على مفاعل او يكون ثبت عنده فان قلت ما معنى

قوله فى القاموس ما يحملك على الجهل قلت يريد ما ذكره اهل اللغة والعربية من ان صيغة
مفعل تكون للزمان فى كلام العرب لا يقتضى وقوع ما اشتق منه ويرجعوا اليه وان لم
يقع بالفعل كقولهم الولد مبخلة ومجبنة اى يجعل المرء جبانا لتخلفه بسببه عن الحرب
وبخيلا لحرصه على بقايه ليرثى ولده وبخيلا لحرصه على بقايه ليرثى ولده وبخيلا
ليبقى ماله لولده وهو من نوادر العربية فاعرفه تضل فيه الاحلام تضل بفتح
الفوقية وكسر الضاد المعجمة مضارع اضل اذا لم يهتد او بمعنى هلك والاحلام
جمع حلم بكسر الحاء وسكون اللام بمعنى العقل اى المعقول غير مهتدية لمعرفتها على
الاستعارة المكنية والتخييلية او هو اسناد مجازى وهو احسن من تقدير ذوى
الاحلام لانه يزيل لها رونق الكلام وجعل الاحلام مجازا عن اصحابها والمراد
الصعوبة بعيد او لم تهتد بعلم علم يقتد مبنى للفاعل اى ان لم يحصل لها
الهداية لتمسكها بها وسلوكها به ليلها وبجوز بنائه للمجهول وعلم بفتحتين
العلامة المنصوبة فى الطريق لتعرف بها ولذا سميت نصبا ويكون بمعنى
الجبل ايضا لانه يهتدى به كما قال الخنسا

• وان صخرا لتأتم الهداة به • كانه علم فى راسه نار •

وفى قولها صخرا وهو اسم اخيها لطيفة اتفاقية هنا لمناسبة الجبل وعلم ضد جهل
لاضافة المشبه به للمشبه كقوله ذهب الاصيل على لجين الماء وقد يضاف
المشبه للمشبه به كما تقول نهرت منه ما الدر المذاب ولك ان تقول انه استعار
العلم بفتحتين للكبير من العلما لاعتداد الناس بعلمه كما يقال فلان جبل فى العلم
او لعلو قدره واشتهاره كما فسر به البيت وبين علم وعلم تجنيس وقيل فى عبارة
المصنف رحمه الله ان علم الاول بكسر فسكون والثانى بفتحتين عكس المشهور وهو
وان لم يخل من وجه صحة خلاف الاولى وتطرسديد النظر بمعنى الابصار والفكر
وهو ترتيب امور معلومة للتادى الى مجهول وقيل ملاحظة العقول لتحصيل المجهول
والملاحظة توجه النفس نحو المعلوم الحاضر فى ذهنه والسديد مآله سداد بفتح
السين وهو الصواب من القول والعمل وان لم يحصل بالنظر ومدلحض مخطوف
على مقامة وهو مكان الدحض بدال وحاء مهملتين وضاد معجمة وهو الزلق
وسقوط المائى ونحو مما يزيل الاقدام عن محالها الوحل ونحو وفيه استعارة تصريحية
بتشبيه الوقوع فى الخطا المطالب ودقتها بزلة القدم فى المزالق المؤدية
للسقوط فقوله تزل بها الاقدام بفتح حرف المضارعة وكسر الزاى المعجمة او فتحها
من الزلل وهو الزلق فى الطين ونحو ويجوز به عن الخطا فهو تاكيد للمدلحض وترشيح

أو تجريد نحوي والاقدام جمع قدم وهو معروف وهو استعارة تمثيلية لكثرة الخطا
وما قيل من ان المراد بالاقدام العقول في الاذهان المدركة بجامع الايصال الى المرام
على انه استعارة تصريحية غير شيء بعيد واستعارة الرجل للعقل لا تخفى ركاكتها على من له عقل
ان لم تعتمد على توفيق من الله عز وجل الاعتماد افتعال من العدة وهي في الاصل ما
يتلوء عليه ويستند اليه ثم شاع في كل ما يعول عليه وهو بمعناه الاصلي مناسب
لما حض والثاني مناسب للمقصود ففيه تورية والتوفيق خلق القدرة على الطاعة
وقيل خلق الطاعة وقيل تسهيل سبيل الخير واصله جعل الاسباب على وفق المسببات
وهو تفعيل من الوفق كما ان المسببات افتعال منه ثم خص بما ذكر وهو او فق
باصله من قول المعتزلة انه اظهار الايات الدالة على وحدانيته وابداع ما يعرف به
الانسان كالعقل والسمع والبصر لطفا منه تعالى والتأييد التقوية والاعانة
من الابد وهو القوة والمعنى انه ان لم يعنه الله بتوفيقه وتاييده زل وخطا وما
احسن تذييل الخير والضلال بقوله ان لم يهتد الى آخره وتذييل الزلل والدحض
بقوله ان لم يعتمد ولما كان ما ذكر للسائل من صعوبة مطلوبة وتوقفه على امور خفية
يشعر بعدم اجابته استدرك دفعة بقوله لكني لما رجوته بكسر اللام الجارة وتخفيف
ما الموصولة والعائد لها الهاء ويجوز ان يكون موصوفة وليس لما بفتح اللام وتشديد
الميم ولا ما المصدرية لاحتياجه للتكلف والجار والمجرور متعلق بمقدر مقدما او مؤخر
للحصر اي اجبتك لهذا دون غيره او دون غيرك والرجا ترقب ما يرجى حصوله والفرق
بينه وبين الطمع ان الراجي مؤمل لحدوث الفوت لبسبب له وقد يستعمل كل منهما بمعنى الآخر
كقوله والذي اطمع ان يغفر لي وآلك قدم نفسه لما يقتضيه المقام ولان المرء
يبدأ بنفسه في الخير وليس الايثار مطلوبا في كل محل ولذا استحب تقديم المرء نفسه
في الدعا خلافا لما قيل ان النفس تراعى حالها اولا الا من شرفت نفسه فانه يؤثر غيره
من نوال وثواب في هذا السؤال والجواب فيه نشر غير مرتب لان الجواب والثواب
ناظر لقوله لي والسؤال والجواب لقوله آلك والنوال العطا كالتأييل والنال والتناول
تفاعل منه والثواب العطا من ثاب اذا رجع وهو الجزا بخيرا وشر لكن العرف
والشرع خصصه بالخير كما في النهاية وهو المراد هنا ومن بيانية مبينة لما على الوجهين
وقد يقال ليس فيه توزيع لتعلق كل منهما بكل منهما كما ذهب اليه بعض الشراح لان
للمصنف رحمه الله عطا من الله لما صنفه وله ثواب عليه وللسائل نوال وعطا
لوصوله لسؤله وثواب لتسببه لايجاد هذا الكتاب والدال على الخير كفاعله ووجه
الأول ان النوال عطاء دنيوي عاجل للسائل بسؤاله والثواب اخروي للمصنف رحمه الله

تعالى

تعالى على اجابته لان المتبادر من النوال الدنيوي ومن الثواب الاخروي فلا وجه
من انه من انه لا دليل عليه وفي بعض النسخ ثواب النوال بالاضافة وهو مؤيد
للثاني بتعريف قدرة الجسيم التعريف التبيين والتبسيب والقدر شرف الرتبة
والجسيم العظيم الجسم فاريد به مطلق العظيم على انه مجاز مرسل او استعارة بتشبيه
العظم المعنوي بالحسي والقدر الجسيم ان كان علو مرتبة عند الله والناس فهو
مغاير لما بعده وعطفه عليه ظاهر وان اريد اتصافه بكل صفة حميدة فهو من
عطف الخاص على العام والى كل منهما ذهب بعض الشراح وخلقه العظيم الخلق بضمتين
وسكون ثانيه تخفيفا وهو الطبيعة والسجية وقد عرفوه بان ملكة للنفس تصدر
عنها الافعال بسهولة من غير فكر وروية فخرج بالملكة كل عارض غير قار من الاحوال
ويصدوره عن النفس ما يصدر عن الجوارح كالكتابة وغيرها من الصنايع بقيد السهولة
ما كان بصعوبة كالصبر على بعض النوايب وكذا ما صدر بغير تفكر فكله لا يسمى
خلقا والخلق للنفس بمنزلة الخلق للبدن والخلق الحسن من اعظم المنن من الله
وفي الحديث اكثر ما يدخل الناس تقوى الله وحسن الخلق وخلق النبي صلى الله عليه وسلم
اعظم الاخلاق قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وسياتي الكلام فيه وبيان
خصايصه جمع خصيصة وهي ما خصه الله به فانفرد به عن كل ما سواه او انفرد
به عن غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام او عن امته والاولى خصايصه مطلقة
حقيقية وما عداها اضافية وليس جمع خاصة لانها كالخاص خلاف العامة لا بمعنى
ما تفرد به واما الخاصة بمعنى الاثر الذي يظهر سببه كجذب المغناطيس الحديد فمن
مصطلح الاطبا لخواص التراكيب عند اهل المعاني كما فصل في شروح المفتاح وما ذهب
اليه بعض علما الشافعية من منع الكلام على الخصايص النبوية او كراهته قيل انه متاول
وقيل غير صحيح كما في الخصايص الكبرى وسياتي بيانه وقيل الخلاف في بيان ما حرم علينا
كنزع لامته وخاينة الاعين وفيه نظر والحق ان منها ما يلزم ذكره ليلا يقتدى
به غيره او يدفع توهم ارتكابه لغير المشروع كزيادة زوجاته على اربع وما هو
مستحب كعزمها ويدخل فيها ما اختصت به امته عليه الصلاة والسلام وادا عرفت
هذا فقوله التي لم تجتمع قبله في مخلوق بيان شامل لسائر الاقسام لان المراد
انه تفرد بمجموعها دون كل فرد فرد منها فاعرفه وما يدان الله تعالى به اي يعبد
ويطاع لامر به من الدين المعروف وهو معطوف على خصايصه وقيل على
قدر من حقه بيان لما وقد ورد في الادعية المأثورة اسالك بحق محمد
فقالوا المراد بحقه رتبته ومنزلته او الحق الذي جعله الله له على امته تفضلا

شبكة الألوكة www.alukah.net

به عليه كما في الدر المنظم لابن حجر والمراد هنا الثاني وهو ما يجب له صلى
الله عليه وسلم على امته من حق بمعنى ثبت ويجوز ان يراد به ما يقابل الباطل
من اليقين الثابت حقيقته بالدليل كما قيل وفيه تكلف كالقول بان من للتبعيض
لان اضافته للعموم فلو كانت بيانية لزم اه عابيان جميع حقوقه او المراد جنس
الحقوق فتامل **الذي هو ارفع الحقوق** صفة مادحة والمراد الفاء ارفع من غيرها
من حقوق البشر لما عداها حتى حقوق الله وارفع من الرفعة وهي الحلو والشرف
فتعريف الحقوق للعهد او الاستغراق العرفي ويجوز ان يكون صفة مخصصة للحق
وتخصيص الارفع منها بالذكر اهتماما به والمراد بيانه على طريق الاجمال اذ التفصيل
يضيق عنه الحصر **ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا**
الاستيقان استفعال من اليقين من يقن كفرح واستيقن وتيقن واتقن بمعنى علم
علما محققا لا شبهة فيه لاتقانه بالادلة النافية للشبه ولذا قيل انه لا يوصف
به علم الله ويقال ثلج اليقين دون العلم كما فصلناه في عناية القاضي وقوله ويزداد
افتعال من الزيادة وفيه دليل على ان الايمان تقبل الزيادة والنقص والكلام فيه
مفصل في محله لا حاجة لنا به هنا واقتبس المصنف رحمه الله الاية هنا تعليلا
لتعريف قدره وخلته وخصائصه الذي به يتيقن ذلك او لكون انعقاده بيان
حقوقه فكانه قال بتعريف فضائله وخصائصه بتحقق تيقن اهل الكتاب
حقيقة رسالته لموافقته لنعته المذكور في كتبهم ويزداد ايمان المومنين من امته
لتحقق ما له من المحامد فالمراد باهل الكتاب اليهود والنصارى والكتاب التوراة
والانجيل وغيرهما من الكتب السماوية وتخصيص هولا بالذكر ليس للحصر لان المراد
تعميمه وشموله لجميع اهل العلم باحوال الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا بمجرد اتباع
معنى النظم القراني وان لم يطابق السياق كما قيل وقد يقال المراد بالذين اوتوا الكتاب
اهل العلم بالتفسير والحديث ومن بعدهم ما عداهم من المومنين والمعنى ان هذا التعريف
المتيقن ما تضمنته العلما ويزيد ايمان العوام ويجوز للمقتبس ان يقصد غير المراد به
على طريق التمثيل وان كانت هذه الاية ورد في عدد خزنة جهنم وكونهم تسعة عشر
فانه مما استيقنه اهل الكتاب لموافقة ما عندهم وازداد ايمان غيرهم لعلمهم بذلك
وفي الاية دليل على ان الايمان مما يقبل الزيادة والنقصان والكلام فيه مشهور
فلا حاجة لذكره اذ لا يخفى ان ايمان الانبيا والملايكة عليهم الصلاة والسلام كايمان
غيرهم فان قلنا بدخول الاعمال فيه فهو ظاهر كما بين في الاصول **ولما** بكسر اللام
وتخفيف الميم من ما الموصولة او الموصوفة وتقدير العايد كما مر وهو علة ثانية

للتعريف

للتعريف المستفاد من هذا الكتاب **اخذ الله على الذين اوتوا الكتاب** المراد
بالذين اوتوا الكتاب هنا ايضا اهل العلم مطلقا او اهل الكتب المتقدمة في التوراة
او اليهود كما هو احد التفاسير في هذه الاية وقد استدل بها على وجوب نشر العلم
والمراد بما العهد والميثاق الذي اخذه الانبيا عليهم الصلاة والسلام على امهم
ان يبلغوا ما سمعوه كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم الا ليبلغ الشاهد منكم الغايب
ونحن وقيل المراد ما اخذ من العهد يوم الست بربكم في عالم الذر **لتبيننه للناس**
ولا تكتمونه فنبذوه وراظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا ولم يعل الاية
بثمانيها لعدم مناسبة باقيها لما اراده والضميران المنصوبان للنبي صلى الله عليه
وسلم لعلمه بما سبق في كلام المصنف رحمه الله وان كان في النظم بخلافه فلا حاجة
الى القول هنا بانه علم من السياق وان لم يجر له ذكر كما قيل وقيل هما للكتاب وهو عام
للعلوم والعلما ويدخل فيه امر النبي صلى الله عليه وسلم دخولا اوليا ولم يوكد يكتمونه
كما اكد لتبيننه قبله اما لانه جملة جوابية ولا يكتمونه حالية وليست كما قيل بتقدير
مبتدا اي وهم لا يكتمونه لاجل الواو الحالية لان الحال المنفية يجوز فيها الوجهان
وليست كالمضارع المثبت كما صرح به النحاة او هو معطوف على الجواب فهو جواب
والجواب المنفي لا يوكد قيل وهو صواب **تنبيه** قال الزركشي في قواعد
تصنيف كتب العلم لمن منحه الله فهما واطلاعا فرض كفاية ولم تزل هذه الامة قصر
اعمارها في ازياء وترق في المواهب والعلم فلا يحل تركه فلو ترك التصنيف
لضيع العلم على الناس وقد قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين الى اخره
وفي التوراة علم مجازا كما علمت مجازا انتهى **فان قلت** قوله لتبيننه هل
هو جواب قسم معلوم عن السياق او مقدر **قلت** هذا يحتمل الا ان ابن الاثير
قال في كتاب البديع ان للعرب الفاظا تتلقاها تارة بما يتلقى به القسم كقوله
تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس الاية وتارة
لا تتلقاها به كقوله واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم
بقوة وتارة يكون الذي بعدها يحتمل الامرين كقوله واذ اخذنا ميثاقكم لا
تسفكون دماءكم وفي معنى هذه الاية قوله ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات
والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون
قال شيخ والدي ابن حجر قال ابن عباس وجماعة انما نزلت في اليهود
والنصارى وقيل في اليهود لكتمهم صفته صلى الله عليه وسلم التي في التوراة وقيل
هي عامة وهو الصواب لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ثم ذكر الاية

شبكة الألوكة www.alukah.net

التى ذكرها المصنف رحمه الله تعالى وقالا انها نزلت فى اليهود وكتمهم صفته
صلى الله عليه وسلم وغيرها والعبرة فيها ايضا بعموم اللفظ والبيان كما نزل
على الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الكتب والوحى والهدى الادلة العقلية والد
والتعليمية قال وقوله فى الآية الثانية من بعد ظرف ليقوله يكتمون لا لانزلنا
الفساد المعنى يعنى ان البيان متاخر عن الكتم لا عن الانزال لسبقه عليه وهو
غير مسلم لجواز ان يراد بما انزل وبين ما انزل فى التوراة وبين الاسلاف بنى اسرائيل
وبالكتم كتم اليهود الذين كانوا فى زمن نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى هذا
يجوز تعلقه بكلمنهما ولما استدل على ما ادعاه بالنظم الكريم عقبه بالاستدلال
بالحديث فقال ولما بكسر اللام وتخفيف الميم ايضا حدثنا ابو الوليد هشام
ابن احمد الفقيه رحمه الله هو الامام القرطبى الزاهد المحدث المعروف بابن
العواد احد شيوخ المصنف رحمه الله وقد اجتمع للمصنف رحمه الله من الشيوخ بين
من سمع منه ومن اجاز مائة شيخ وهو ممن عرض عليه القضاء فلم يقبله وتوفى
بقرطبة سنة تسع وخمسمائة ومولده سنة اثنين وخمسين واربعمائة بقراءتى
عليه قال المحدثون من سمع من لفظ شيخه يقول حدثنا واخبرنا وانبانا قال
العراقى وهو متحد ومن قرأ عليه او سمع بقراءة غيره عليه فالاجود ان يقول
قرأت على فلان او قرئ عليه وانا اسمع كما فصل فى مصطلح الاثر ولذا قال
المصنف رحمه الله بقراءتى عليه قال حدثنا الحسين بن محمد هو الحافظ ابو
على الغسانى المشهور قال حدثنا ابو عمر اى قال الحسين حدثنا ابو عمر وهو
شيخ الاسلام حافظ المغرب بن عبد البر عاصم النمرى القرطبى صاحب الاستيعاب
وغيره من الكتب الجليلة ولد فى ربيع الاخر سنة ثمان وستين وثلاثمائة بقرطبة
وتوفى بشاطبة ليلة الجمعة سلخ ربيع الآخر سنة ثلاث وستين واربعمائة وعمره
خمس وتسعون سنة وقوله النمرى بفتح النون والميم نسبة الى عمر بفتح وكسر
الميم اسم قبيله وهو فى الاصل اسم جدهم عمر ابن قاسط ابن هنب وفتحت ميمه فى
النسبة تخفيفا ليلا تتوالى كسرتان وياء مشددة على القياس المطرد فى كل
مكسور العين مضموم الفا او مكسورها او مفتوحها فان كان مكسورها كما بلى
جاز فيه الفتح وابقا كسرها كما ذكره النحاة قال حدثنا ابو محمد بن عبد المومن
فى المتمنى هو ابو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المومن القرطبى من قدماء شيوخ بن عبد
البر وفى الميزان انه كان تاجرا صدوقا لقى الكبار واخذ عنهم الا انه لم يكن جيد
الضبط فربما وقع له الخلل والمصنف رحمه الله نسبه لجده حدثنا ابو بكر محمد بن بكر

المعروف

المعروف بابن داسة من مشايخ المحدثين المشهورين وداسة بدال مهملة تليها
الف ثم سين مهملة بعدها تاء تانيث وهو احد رواة سنن ابى داود قال حدثنا
سليمان بن الاشعث هو الامام الحافظ ابو داود سليمان بن الاشعث بن اسحق
ابن بشير بن سداد بن عمرو الازدى صاحب السنن ولد سنة ستين ومائتين
وسمع بمصر والحجاز والعراق من خلق كثير وروى عنه ابن داسة وغيره وله ترجمة
مفصلة فى التواريخ ومات فى سادس عشر شوال سنة خمس وسبعين ومائتين
بالبصرة قال حدثنا موسى بن اسماعيل هو ابو سلمة بن اسماعيل المنقرى
التبوذكى نسبة لتبوذك بمثناة فوقية مفتوحة فموحدة مضمومة فذال معجمة
مفتوحة تليها كاف اسم موضع نزل قوم من اهله عند ابى سلمة هذا فقيل له
تبوذكى او لانه كان له دارها واصل معنى التبوذكى من يبيع ما فى بطون الدجاج
كالبيض ونحوه وقيل انه نسبة ايضا لبيع التبوذك وهو السرجين وموسى
هذا روى عنه اصحاب السنن وثقوه وقيل انه فيه لين توفى سنة ثلاث
وعشرين ومائتين قال حدثنا حماد اطلقه والمراد به كما قاله البرهانى الحلبى
حماد بن سلمة بن دينار احد الاعلام مولى قريش او تميم وهو ثقة لم يتهم الا من رق
دينه وقيل انه كان من الابدال لانه تزوج كثيرا ولم يولد له وهو من عاد لهم
كسرعة الصلاة لطى الزمان لهما او لغيرهم كما ذكره السيوطى فى ترجمة بن الهمام
رحمه الله وكان مجاب الدعوة ولم يرد حماد بن زيد وان كان من الكبار ايضا لانه
التبوذكى تفرد بالرواية عن حماد بن سلمة ولم يرد وعن حماد بن زيد كما قاله بن الجوزى
فى كتاب الجمال فى اسما الرجال فما فى بعض الحواشى من انه حماد بن زيد وهم توفى سنة
مائة وسبع وستين وله ترجمة فى الميزان قال حدثنا على بن الحكم البنانى البصرى
وقد روى عنه الحمادان وعداه من المحدثين توفى سنة احدى وثلاثين ومائة وهو
ثقة وقيل فيه لين عن عطا هو اسم مشترك بين جماعة منهم بن رماح ابو محمد
المكى القرشى مولاهم احد الاعلام روى عن عايشة وجابر وابن عباس وزيد
ابن ارقم رضى الله تعالى عنهم وروى عنه الاوزاعى وابو حنيفة وغيرهما وعاش
ثمانين سنة وتوفى سنة خمس او اربع عشرة ومائة وهو من كبار التابعين المتفق
على توثيقه وجلالته وفى المتمنى انما ميزته لاشتراك اسم بين جماعة روى عن ابى
هريرة رضى الله تعالى عنه وهذا هو المراد هنا وقال التلمسانى المراد به عطا بن
يسار الهلالى مولى ميمونة ام المومنين رضى الله عنها ورجح الاول بان الذهبى
وابن الجوزى لم يذكرا لعطا بن يسار رواية عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه

رد التلمسانى

ردعلى الحلبى

والايخفى انه لايلزم من عدم ذكرهما ان لايكون له رواية عنه فى الواقع مع ان النووى وغيره قالوا له رواية عنه اقول هذا كله خبط عشواء وان المصنف رحمه الله روى هذا عن ابن عبد البر وقد ذكره فى كتاب العلم وصرح بانه ابن ابى رباح كما رايته فيه وعبارته قال حدثنا على عبد الوارث بن سفيان ان قاسم بن اصبغ حدثهم قال حدثنا بكر بن حماد قال حدثنا مسدد قال حدثنا عبد الوارث عن على ابن الحكم عن رجل عن عطا ابن ابى رباح عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم وساق الحديث والرجل الذى يرويه عن عطا يقولون انه الحجاج بن ارطاة وليس عندى كذلك والحجاج بن ارطاة مشهور بالتدليس ورواه حماد بن سلمة عن على بن الحكم ولم يقل عن رجل وكذلك رواه عمارة الصيدلانى عن على بن الحكم عن عطا عن ابى هريرة رضى الله عنه ثم ذكر له طرقا اخر وقال قال الحسن وخلنا فاغتممنا وخرجنا فلم نرد الا غما اللهم اليك نشكو هذا الغيث الذى كنا نحدث ان اخبارهم ينفعهو وان مسكنا عنهم وكلنا هم الى نهى سديد لولا ما اخذ الله على العلماء فى علمهم ما انبانا هم بشئ ابدا وكان ابو هريرة رضى الله عنه يقول لولا اياتان فى كتاب الله ما حدثتكم شيئا ان الذين يكتمون ما انزلنا والتى تليها الحديث انتهى فاخذ المصنف رحمه الله ما قاله ابن عبد البر وقدم فيه واخر وغيره وبدل انه فى اصله صرح بان عطا هو عطا ابن ابى رباح فما فى الحواشى ناشئ من عدم الوقوف على قول الائمة عن ابى هريرة الدوسى وهو ممن غلبت كنيته اسمه ولذلك اختلف فيه وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم كناه لما راه يحمل هرة فى كمه وقيل الكنى لغيره صلى الله عليه وسلم وفى اسمه اقوال نحو الثلاثين اشهرها انه عبد الله او عبد الرحمن وكان اسمه فى الجاهلية عبد شمس واسلم عام خيبر وشهدها ولازم مجلس النبى صلى الله عليه وسلم صابرا زاهدا اولا عاعا حافظا للصحابة رضى الله عنهم وروى عنه ما لم يرو غيره وفى البخارى عنه انه قال لم يحفظ احد اكثر منى الا عبد الله بن عمرو بن العاص فانه كان يكتب وانا لا اكتب وكان النبى صلى الله عليه وسلم دعا له بالحفظ فلم ينس شيئا سمعه بعد والحديث فيه معروف ومات بالمدينة وقيل بالعقيق وفى الشروح الجديدة نقلا عن بحران هرة مجرورة بالكسرة لان المجموع علم منقول والمنقول يبقى على اصله قبل النقل لان جزء العلم غير علم فلا يخرج عن تنكيره وصرفه ولو اعطى مثله حكم العلم لم تدخل اللام فى مثل شمس الدين فيجوز ابو الهريرة وابو هريرة بالتنوين وكونه غير منصرف للعلمية والتانيث لان المضاف والمضاف اليه ككلمة والحق ورد عليه انه يلزمه رعاية

وابن حنبل والعرضى

الاصل

الاصل والحال فى لغة واحدة فيعرب اعراب المضاف نظرا لاصله ويمنع صرفه نظرا للحال ثم قال ان البرهان الحلبى قال هريرة لا ينصرف لكثرة الاستعمال والحال فيه من غير طايل وانا اقول هذا كلام ناش من عدم التامل وهو مما يقتضى منه العجب فان السماع فيه منع الصرف وكتب العربية مشحونة بنقله عن علما العربية وهو مصرح به فى ايضاح بن الحاجب وفى كتب بن مالك ونقله شراح التسهيل واتفق عليه شراح الكشاف فانهم بقاطبتهم قالوا فى شهر رمضان المركب الاضافى اذا جعل علما فالجزء الثانى هو المنظور اليه فى احكام العلمية ولزوم ال اذا قارنت المواضع وامتناعها فى غيرها كابن داية وصرح به سيبويه وابو على رحمهما الله وانما عزهم فيه كلام بعض المتاخرين من المغاربة نعم فى بعض حواشى الفضل انه لامانع من لمح اصله الا انه ياباه السماع وقد اشبعنا الكلام عليه فى السوابح فان اردت شفا العليل فانظره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة قال السيوطى رحمه الله فى تخريج احاديث هذا الكتاب هذا الحديث اسنده المصنف رحمه الله من طريق ابى داود واخرجه الترمذى وحسنه وابن حبان والحاكم وابن ماجة بسند صحيح من طريق محمد بن سيرين انتهى واسنده ايضا بن عبد البر من طرق كما مر فما نقل عن الامام احمد من انه لم يصح وعن غيره من انه ضعيف لا يلتفت اليه وفى الفاظ طرقه اختلاف ففى بعضها كتم علما مما ينفع الله به الناس وفى بعض شر كتمه بدل فكتمه والمراد كما قالوا بالعلم المتوعد على كتمه ما يلزم تعليمه وتبليغه كتعليم حديث عهد باسلام ما يتعلق بالصلاة ومستشرف الحلال والحرام ولا حاجة لتقييده باهلية السائل لحديث واضع العلم عند غير اهله كمقلد الدر رقاب الخنازير لانه ليس على اطلاقه فان الافتا فرض كفاية فان تعين كان فرض عين وقال الغزالى ايد الله الدين ببقائهم يجب على الامام فى كل مسافة قصران يضع فيها من يعلم الناس امور دينهم ومن العلم ما هو فرض كفاية كالفقه وما هو فرض عين كمعرفة الله وما يجب له وما يستحيل عليه ومباح كالعلوم التى ليست بدينية وحرام كالسحر والشعبذة والكهنة الاخفا والجام بزنة ركاب ما يوضع فى فم الدابة معروف وهو معرب لكام او لغام وقيل انه عربى لتصريفه كالجهم وملجم وهو فى المعرب نار والجه اذا وضعه فى فمه والجه الغرق اذا وصل الماء لفمه ويقال الجم اذا سكت قال ابو نواس

متى برا القمت خيرك من ذا الكلام ... انما السالم من الجم فاه بلجام

والالجام في السكوت والغرق فجاز شاع حتى صار بمنزلة الحقيقة والجمة الغرق بمعنى
اهلكه أبلغ من علا عليه الماء لما فيه من بيان سبب هلاكه بمعنى النفس والمقصود
هنا انه بحر فجلته كما في الجمة الغرق وان يراد احراق لسانه بدخول النار فيه أو
بوضع حديدة محماة فيه ويجعل ذلك علامة عليه كالحيوانات العجم فجوزي
من جنس عمله لفظا ومعنى فهو مستعار لما يمنع الكلام كاللجام المانع من الجماح او هو
مجاز مرسل والاستعارة التخييلية غير مناسبة هنا وبالجام للاله او المصاحبة
وقيل ان الله يخلق له صورة لجام من نار يوضع في فيه وقيل انه تشبيه لما
وصل فيه من النار وخص اللجام لتشبيهه بدابة منعت عما تريد وهو تكلف
وهذه الآية في قوله يوم تشهد عليهم السنتهم الآية لان في القيامة مواقف
متعددة لكل منها حال يخصه سمي به اليوم الموعود لقيام الناس فيه من قبورهم
او لوقوفهم فيه كما يقال له الموقف وهو يوم الحشر والحساب او هو من
قام بمعنى ظهر تتمة وفائدة مهمة قال النووي في الاذكار ذكر الفقها
والمحدثون انه يجوز ويستحب العمل في الفضايل والترغيب والترهيب
بالحديث الضعيف ما لم يكن موضوعا واما الاحكام كالحلال والحرام والا
والمعاملات فلا يعمل فيها الا بالحديث الصحيح أو الحسن الا ان يكون في
احتياط في شئ من ذلك كما اذا ورد حديث ضعيف بكراهة بعض البيوع او
الانكحة فان المستحب ان يتنزه عن ذلك ولكن لا يجب انتهى وخالف بن العربي
في ذلك فقال ان الحديث الضعيف لا يعمل به مطلقا وقال السخاوي في كتابه
القول البديع سمعت شيخنا ابن حجر رحمه الله تعالى يقول مرارا شرائط العمل
بالحديث الضعيف ثلاثة اقوال الاول متفق عليه وهو ان يكون الضعيف
غير شديد كحديث من انفرد من الكذابين والمتهمين من فحش غلطه والثاني ان
يكون مندرجا تحت اصل عام فيخرج ما يخترع بحيث لا يكون له اصل اصلا
والثالث ان لا يعتقد عند العمل به ثبوته لئلا ينسب الى النبي صلى الله عليه وسلم
ما لم يقله والاخيران عن بن عبد السلام وابن دقيق العيد والاول نقل
العلائي الاتفاق عليه وعن احمد انه يعمل به اذا لم يوجد غيره وفي رواية
عنه ضعيف الحديث احب الينا من راي الرجال وذكر ابن حزم الاجماع على ان
مذهب ابي حنيفة ان ضعيف الحديث اولى عنده من الراي والقياس اذا لم يجد
في الباب غيره فتحصل ان في العمل بالحديث الضعيف ثلاثة مذاهب لا يعمل
به مطلقا يعمل به في الفضائل بشروطه وقيد ابن الصلاح رحمه الله جواز روايته

الضعيف

الضعيف باحتمال صدقه في الباطن وهل يشترط في الاحتمال أن يكون قويا
أو لا فيه خلاف وظاهر كلام مسلم رحمه الله تعالى انه اذا لم يكن قويا لا يعتبر
به انتهى وللعلامة الزرقاني في انموذجه على هذه المسالة اشكال أورده على القوم
وحاول الجواب عنه بما زاده اشكالا وليس بشئ وهو انه قال اتفقوا على انه لا يعمل
بالحديث الضعيف ولا يثبت به الاحكام الشرعية ثم انهم ذكروا انه يجوز بل
يستحب العمل به في فضايل الاعمال كما في الاذكار وفيه اشكال لان جواز العمل
واستحبابه من الاحكام الخمسة الشرعية فاذا استحب العمل به كان ثبوت ذلك
بالحديث الضعيف وهو ينافي ما تقدم ويناقضه وحاول بعضهم التقصي عنه بان
المراد انه يجوز روايته وهو لا يرتبط بما قالوه والذي يصلح للتعويل عليه
أن يقال اذا وجد حديث في فضيلة عمل من الاعمال لا يحتمل الحرمة والكراهية
يجوز العمل به ويستحب لانه مأمون الخطر ومرجو النفع اذ هو دائر بين
الاباحة والاستحباب فالاحتياط العمل به وجاء للثواب فان دار بين الحرمة
والاستحباب لا يعمل به وان دار بين الكراهة والاستحباب فهو اسهل لان
المباح يصير بالنية مستحبا فجواز العمل به واستحبابه مشروط بعدم احتمال
الحرمة الا اذا لم توجد الحرمة فجواز العمل به ليس لاجل الحديث على ان الاباحة
ايضا من الاحكام الخمسة فالحق ان الجواز معلوم من خارج والاستحباب معلوم
من القواعد الشرعية الدالة على استحباب الاحتياط في الدين فلم يثبت شئ
من الاحكام بالحديث انتهى أقول اذا احطت خبرا بما قدمناه في
كلام الحافظ السخاوي عرفت ان ما قاله الجلال مخالف لكلامهم برمته
وما نقله من الاتفاق غير صحيح مع ما سمعته من الاقوال والاحتمالات
التي ابداها لا تفيد سوى تشويه وجه القرطاس والذي اوقعه في الحيرة
توهمه ان عدم ثبوت الاحكام به متفق عليه وانه يلزم من العمل به في الفضا
الفضائل والترغيب انه يثبت به حكم من الاحكام وكلاهما غير صحيح اما
الاول فلان من الايمة من جوز العمل به بشروطه وقدمه على
القياس واما الثاني فان ثبوت الفضايل والترغيب لا يلزمه الحكم الاتي
انه لو روى حديث ضعيف في ثواب بعض الامور الثابت استحبابها والترغيب
فيه أو في فضايل بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم او الاذكار
المأثورة لم يلزم مما ذكر ثبوت حكم اصلا ولا حاجة لتخصيص الاحكام والاعمال
كما توهم للفرق الظاهر بين الاعمال وفضايل الاعمال واذا ظهر عدم الصواب

رد على الدواني

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لان القوس فى غير يد بارتيها ظهر انه لا اشكال ولا خلل ولا اختلال فبادرت
بادر فاعل بمعنى فعل والمبادرة العجلة الى فعل ما يرغب فيه وهو يتعدى بنفسه
وبالى يقال بادرته وبادرت اليه ولما كانت الفا لا تدخل فى خبر كان لا سيما اذا
كان ضميرا فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها قالوا انه معطوف على مقدر هو الخبر
المتعلق به قوله لما اى لكنى اجيبك لما رجوته فبادرت الى اخره الى نكت اى
الى جميع نكت وتاليفها ونكت جمع نكتة كنقط ونقطة ويجمع ايضا على نكات
بالكسر كنقعة وبقاع وعليه اقتصر فى القاموس وسمع فيه ايضا نكات بالضم وقيل
الفه للاشباع والنكتة المعنى الدقيق القادر والكلام القليل الحسن وهى فى الاصل
فعلة من النكت وهو النبش الخفيف فى التراب بعود ونحوه والانسان بفعله اذا
تفكر امرا خفى فتقلت لما ذكر اما لتانى فى النفس او لانه يحتاج لفكر وتامل او هى منقولة
من النكتة بمعنى نقطة من لون تخالف ما هى فيه اما لدقتها فى النظر بالنسبة لما هى
فيه او لمخالفتها لغيرها من الكلام وما قيل من انها تطلق على قليل صدا فى
وجه المراة او السيف كالوسخ كما ورد فى حديث الجمعة لا يناسب المقام مع انه
ماخوذ مما مر مسفرة فى نسخة سافرة وفى اخرى سافرة مسفرة بالجمع بينهما
من الاسفار وهو الكشف مطلقا وقوله فى القاموس سفرت المراة كشفت عن
وجهها تمثيل لا تخصيص حتى يكون تجريدا كما قيل لقوله تعالى والصبح اذا
اسفر وفى المغنى سفر بمعنى كشف قال

• سفرن بدورا وانتقين اهلة • وانثنين غصونا والتقين جاذرا •

وعلى نسخة سافرة مسفرة ينبغى ان يتغايرا فمسفرة بمعنى مشرقة مضيئة وسافرة
بمعنى كاشفة للغرض بحيث لا يحتاج لكتاب اخر قيل وفى وصف النكت بالاسفار
لطافة ونكتة اى لانها تكشف ما تحت التراب وهو امر سهل عن وجه الغرض
الوجه بمعنى الجهة المقصودة والوجه الذى به المواجهة ويستعار لخيار الشى واوله
ولرئيس القوم والغرض بغين وضاد معجمتين بينهما راء مهملة مفتوحة كما وله الهدف
ويتجوز به عن الفائدة المقصودة من الشى وهو حقيقة عرفية لكونه مقصدا وهو
قبل الشيوع استعارة او مجاز مرسل من استعمال المقيد فى المطلق او الشى فى لازمه
والنكت المسفرة العبارات الدالة على المراد والوجه ان كان بمعنى الجارحة ففى الغرض
استعارة مكنية بتشبيهها بالناقة او استعارة ايضا مؤديا من ذلك الحق المفترض
مودى اسم فاعل من ادى اداه نادية اذا اوصله من الاداء ومحال من فاعل بادرت او من
وجه الغرض والاشارة الى الاول الغرض الذى هو تعريف حق المصطفى صلى الله

عليه وسلم ومن الداخلة عليه بيانية بناء على جواز تقدمها على المبين او تبعيضية
لان حق المصطفى اكثر من ان يحيط به كتاب وهو الحق وعلى الثانى الاشارة للحق
الذى هو نعت اسم الاشارة وهو على الوجهين مفعوله لتخديه لمفعولين والثانى
على الاول الحق والمفترض صفته وعلى الثانى هو المفترض ويصح ان يفسر هنا بوصلا
الى السائل مراده او قاضيا الحقه كانه ليقين اجابته عليه دين فى ذمته يلزمه اداؤه
والافتراض افتعال من الفرض والمراد به اللازم جعله فرضا مبالغة والكلام فى
الفرض والواجب مشهور ولا فرق بينهما عند الشافعية وعندنا ما ثبت بنص قطعى
فرض وغيره واجب وما ثبت بدليل ظنى واجب وقد يستعمل كل منهما بمعنى الاخر واعتقاد
ما فى هذا الكتاب واجب جلته لابيانه كتابة وتاليفا ولذا قيل انه هنا
فرض كفاية واعاد المصنف رحمه الله تعالى اللام الجارة فى قوله لما اشارة الى
استقلال كل منهما بالعلية لاجابة سواله ولا شك فى كفاية كل واحد منهما فان
الاجر الجزيل والعطا الجليل اذا ترتب على فعل يكفى فيه تقرير وان لم يدون
والمقصد اذا كان طريقان فالسالك مخير فى سلوك ايهما شا لا سيما وهذه
الطريق اكثر ثوابا واحسن لعدم انقطاعها وفى الحديث اذا مات بن ادم انقطع
عمله الا من ثلاث صدقة جارية او ولد صالح يدعو له او علم ينتفع به واما
كراهة بعض السلف تدوين الكتب فلا صحة له على اطلاقه فان السلف على
خلافه وقد امر عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه وناهيك به الزهرى
بتدوين الحديث وكتابته كما فى البخارى وكان ذلك اول ما صنف فى الحديث
لا اول ما كتب منه فان من الصحابة رضى الله تعالى عنهم من كتبه كما مر ولذا حكى
بعضهم الاجماع على جوازه وانما منع بعضهم منه فى العصر الاول لخوف التباسه بالقران
اذا لم يكن حينئذ يدون غيره مع عدم الاحتياج له فسقط ما قيل من ان العلتين
الاخيرتين لا يقتضيان المقصود هنا واقتضا اعادة العامل الاستقلال فى
غاية الظهور فلا حاجة لابيانه كما قيل اختلستها الاختلاس الاخذ بسرعة خفية
فقوله على استحياء تاكيد او تجريد فان فسر بالاخذ خفية او بالاستلاب
كما فى القاموس فهو تاسيس ومنهم من لحظ فيه قيد القهر او المكابرة ففيه
لطف لجعله كالمحارب للزمان ليتنال فرصة ينتهزها كما قيل

• انتهز الفرصة ان الفرصه • تغير ان لم تنتهزها غصه •

وفى المغنى اختلسوها بضمير الجمع وتكلف والعتوجيهة بان المراد ان القوم لتخلسها
من يد العوابق وانا تلقيتها منهم ودونتها وصح رواية هذه النسخة وقال

عيسى سيد

السيد المشهور خلافه وهو الوجه لا الصواب كما توهم **لما المرء بصدده** المرء مثلث الميم الانسان وفسر بعض اللغويين بالرجل والاول اظهر وليس هذا التفات ولا تفنن لان المراد التعميم ولذا لم يقل لما انا والصدد بفتحتين ومهملات بمعنى المقابلة او القرب والثاني اقرب وهو تعليل لمبادرة والاستعجال او للاختلاء يعني انه اسرع فيه لخوف ان تحول العوائق بينه وبين مراده **من شغل البدن والبال** الشغل بضم الشين المعجمة ويجوز فتحها وبالغين المعجمة المضمومة واسكانها يقال شغله اذا عاقه واشغله بالهمز لغة رديئة وكتبه بعض عمال الصاحب له في رقعة فوقع عليها من يكتب اشغالي لا يصلح اشغالي ولا وجه لتزييف صاحب القاموس فيه والبدن معروف والبال له معان منها الفكر والحال والقلب وهو اقرب هنا ولو فسر بالقلب صح اي الامراض والهموم عائقة عما يريد وقلما يخلو عاقل من مثله فان الهموم بقدر الهمم **بما طوقه** ماض مجهول بضم الطاء المهملة وكسر الواو المشددة ويتعدى لمفعولين او لهما المستتر القائم مقام الفاعل والثاني ضمير الغائب وهو من الطوق بمعنى الطاقة والوسع فالمعنى ما كلف وابتلي به او طوق المعلق فهو استعارة لما الزمه به ومنه طوق الحمامة لبياض عنقها كما قال المتنبي

• أقامت في الرقاب له اياد • بها الاطواق والناس الحمام •

وهذا ورد في كلام العرب لكل امر لازم محمود اكان او مذموما وقوله في كشف الكشاف انه لم يرد الا في الذم لا وجه له لانه سالحاتما ابن له عن ابل له اعناقها الفرى فقال له طوقتك مجد الدهر طوق الحمام كما ذكر في مراة الزمان ويأتي له من الفصل الثالث مزيد بيان وفي الشرح هنا كلام طويل بغير طائل

رد للكشف

من مقاليد المحنة بيان لما والمقاليد اما جمع لا واحد له من لفظه او واحده مقلد او مقلاد او اقليد وهو معرب كليد بمعنى القفل ومعناه بعد التعريب المفتاح او الحزمة والاول انسب باصله وورده بمعنى الحبل المفتول ومنه ضاقت مقاليده اي امور هذا المحصل ما قالوه في معناه وحينئذ فالمراد به ما كلفه ولزمه من الامور الشاغلة ومنه تقليد الاعمال السلطانية من الامور الدنيوية على انه ما خوذ من المعنى الاول والثاني لانها كالمفتاح لغيرها او اسباب لغيرها او كالخزانة او كالحبل المفتول في عنقه الذي يربطه على ما كلف به ويعوقه عن السعي فيما يريد او هو كناية عن كل محنة لان من اعطي مفتاح شي فكانه مسلم له فالمعنى انه ابتلي بجميع المحن او بكثير منها فان فسر طوقه بجعله طوقا له اوجعل

عرضي

المقاليد

المقاليد بمعنى الحبال المفتولة وجعل كونها في خفاقة بمنزلة العقود والاطواق التي تتحلى بها على انه استعارة تمكنية كما قاله التسهيل في قوله تعالى في جيدها حبل من مسد كان وجها وجيها واما جعل المقاليد بمعنى القلائد لاقتضاء التطويق له كما قيل فلو ساعدته اللغة كان حسنا والمحنة اسم للامتحان بمعنى الاختبار والتجربة ويكون بمعنى المصيبة والبلية اما لان المرء مختبر بها فيعترف صبره وتجلده او لان الله يختبر بها عباده اي يعاملهم معاملة المختبر ليجزيهم الجزاء الاوفى او لان المبتلى بها يختبر بها زمانه واصدقاءه واخوانه

• جزا الله المصائب كل خير • عرفت بها عدوي من صديقي •

وفي المعتقى المراد بالمحنة هنا مباشرة القضا الذي ابتلي به المصنف رحمه الله تعالى وكانه صح له بنقل عنه فانه نعمة والقضا اعظم مصيبة لكونه على خطر عظيم **التي ابتلي بها** صفة كاشفة او موكدة ان فسرت المحنة بالبلية والابتلاء مختص بما يسوء النا وان كان في الاصل بمعنى الاختبار والمرء قد يختبر بما يحب ليتظر هل يشكر وبما يكن ليتظر هل يصبر امر لا فالبلا يكون حسنا وسيا ولذا قيل ابلى بلا حسنا فالصفة حينئذ مخصصة **فكادت تشغل عن كل فرض ونفل** اي عوايق الدهر ومحنة قاربت ان تعوقه عما لهم من امور الدين ولم يقل شغلته لانه غير واقع والاداء عالبس بمناسب للمقام وتشغل بفتح المثناة الفوقية والغين المعجمة الحلقية بمعنى تعوق وضم التا وكسر الغين لغة ردية وقال كل فرض ليدخل فيه المطلوب والغرض والواجب والمكتوب متقارب المعاني وقد فرق بينها كما مر بان الاول ما ثبت بدليل قطعي وغيره بخلافه وقيل الغرض ما الاختلاف فيه او ثبت بذلك والنفل والسنة والمستحب والتطوع ما لم يطلب طلبا جازما ومنهم من فرق بينها كما فصل في محله **وتزده بعد حسن التنويه الى اسفل سفل** اي ترده في تلك الشواغل والعوايق بعد حسن وداده روض شبابي واستاء غصن قوامي لحكسه ذلك من تعويج فتاتي وتضريب ما حياتي او تعدل بي عن الطريق المستقيم المستبين الى اسفل سافلين وسجن سجين لينتقلها عن عباد رب العالمين او المراد نزد نوع الانسان بعد ما كان في احسن صورة مستجمعا لخواص الكائنات لانه النسخة الكبرى فايما بوظايف عبوديته الى ضد ذلك لان المراد بقوله لما المرء بصدد ما استعد له كل احد بالطبع في امور دينه ودنياه وذكر الامر العام المسلم يقتضي دخول المتكلم فيه بطريق

شبكة الألوكة www.alukah.net

برهانى وهو ابلغ واسفل سفل كاسفل سافلين وقد فسره المفسرون بالهرم
وارذل العمر والهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة والمراد هنا الاخير
وفيه لف ونشر فقوله بما طوقه ناظر لشغل الباب وترده الى اخره لشغل
البدن فانه لغاية ضعفه وظهور عجزه فان فسر بالنار على ان شغل البدن داخل
فى المحنة والمشغول عن جميع الفرائض والنوافل من اهل الترك الشامل وليس
هذا للمصنف ولا لانسان معين بل للجنس كقوله ان الانسان لفى خسر ومع ذلك
كاد فى الاثبات نفى فلا يرد عليه شئ مما يتوهم وهو لم يذكر الاية حتى يرد عليه
ما قيل المراد بالتسويم الاستقامة فى الدين واسفل سفل اتباع الهوى وايثار الدنيا
على مرضات ربه كما كنى عن تولى النفس وهو المذكور فى قوله تعالى ولكنه اخلد
الى الارض واتبع هواه فهو الاسفل هنا لا المذكور فى سورة التين لانه غير ملائم
هنا لاختصاصه بالكفرة وقد مر لك ما يتضح به فى هذا الكلام من الخلل والتسفل
ضد العلو وهو يكون حسيا ومعنويا ثم شرع فى التاسف على ما ابتلى به نوع الانسان
وعلى ما ضاهاه بما ابتلى به هو فى نفسه فقال ولو اراد الله بالانسان خيرا اى
لو اراد الله بجنس الانسان خيرا وجميع افراده خيرا حتى اكون مندرجا فيهم وخيرا
بمعنى خير محض بحيث لا يصدر عنه سواه كما قال تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين
وهذا مراد من قال خيرا كاملا ومن ظن تغاير ما فقد وهم اذ الخير انما يحمل اذا
لم يكن معه شر كما لا يخفى لجعل شغله فاعل شغل المستتر الظاهر انه لله ويجوز
ان يكون للانسان واما الضمير المضاف اليه فهو للانسان لا غير والمراد بشغله
ما يشغل به نفسه من افعاله واقواله لوقوعه فى مقابلة همه وقيل المراد به
ما يشغل قلبه وقالبه من العبادة فان منها قلبية كمعرفة الله وبدنية كالحج
فلا وجه لتخصيصه وهمه اى ما يهتم به ويعتنى به او ما يعزم عليه عزما مصمما
من همت بالشئ اهم بالضم من باب فتح يقعد يعطف على الاول من قبيل عطف
المتغايرين وعلى الثانى من عطف الخاص على العام ويجوز ان يراد به الحزن فهو
من عطف المتغايرين والحزن وبينهما فرق وقد يحيان بمعنى لكن الاول اقعد
لان هذا الايلائم ما بعده لان الحزن لا يكون الا مستقبلا ولذا احتاجوا للتاول
قوله انى ليحزننى ان تذهبوا به وايضا الحزن لا يكون فيما يجد الا بتكلف كاعتبار
فوائد من اقتصر عليه فقد قصر حيث قال الهم الحزن والمراد بالشغل الفعل
الاختيارى والحزن انفعال النفس لخوف ما سياتى وليس المراد الارادة كما توهم
من هم بكذا اذا اراده فان كلام المصنف رحمه الله تعالى مقتبس من الحديث وهو

قوله

عرضى

ابن الحنبل

عرضى

قوله صلى الله عليه وسلم تفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم فان من كانت
الدنيا اكبر همه انساه الله ضيعته وجعل فقرا بين عينيه ومن كانت الاخرة اكبر
همه جعل الله غناه فى قلبه وجمع شمله واتته الدنيا راغمة ولا يخفى ان ما فسر به الحزن
غير مستقيم وان كلام المصنف رحمه الله معنى اخر بدليل سياقه وسياقه مع ان الهم
فى الحديث ايضا يجوز ان يكون بمعنى الارادة وبعضه ما وقع فى بعض طرق الحديث
وكانت الاخرة نيته فتدبر وقوله كله تاكيد للشغل والهم معا او تاكيد
للثانى وتاكيد الاول مقدر كما قيل ولم يتعرض صاحب المغنى لانواع الحذف
له فاين حذف التاكيد بناء فى المقصود منه مع انه لا مانع منه ويجوز جعله
تاكيدا للثانى كما قيل لان الهم اذا لم يكن فى شئ يدل على عدم الاستقلال به بنحوى
الخطاب وجعل مبنى للفاعل وبناؤه للمجهول خلاف الظاهر وان احتمله وقوله فيما
متعلق بجعل او بالسفل والهم على التنازع فيقدر فى احدهما بجد غدا او يوم
محله بفتح الحاء لا بكسرها فانه غير مناسب هنا وهو بمعنى المكان الذى يحل
فيه وسياتى المراد منه والجد والهزل ضدان معروفان والغد اليوم الذى بعد
يومك ويكون بمعنى المستقبل مطلقا وقد يراد به يوم القيامة وهو المراد هنا
وفى المثل لكل يوم رزق يوما وليس له غد فهو كناية
عن يوم الموت واصله غدو وربما جاء على الاصل فى ضرورة الشعر كقول ذى
الرمة

وما الناس الا كالديار واهلها ... بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

وفى الشروح يجوز فى يجد ويذم ان يبنيا للفاعل وينصب محل على التنازع ويجوز بناؤهما
للمجهول والرفع وضمير له او للانسان ايضا والمحل مكان الاقامة وليس المحل
بملقى كالمقام فى قول السماخ

وما قوم ورثن بغيت عنه ... مقام الذيب كالرجل اللعين

وهذا هو الظاهر الا ان زيادة الاسماء موغلة ولذا قيل ان حمد المحل وذمه
كناية عن حمد وذم فى نفسه على ابلغ وجه او بجعل حمد جزايه وذمه كهو
فيجوز فى نسبته وقيل المراد بمحله من صدر عنه وعبر به عن الفاعل ايما لما
عليه الاشعرى رحمه الله تعالى من ان الفاعل الحقيقى هو الله والعبد محل
لكسبه ومباشرته لما خلقه الله واوجده فان قلت كيف يكون شغل
العبد الذى يريد به خيرا ما يذم وهو الحرام وما يتوب منه قلت اجيب بان
الشغل اعم من الشغل بالفعل وبالترك فيشغله لما يجد بفعله وفيما يذم بتركه

وهما

وعرضى سيد

فيجعل شغله واهتمامه بفعل ما يجد من الواجب والمندوب وترك ما يذم من الحرام والمكروه وقيل انه تكلف والمراد بالشغل ما يذم اشتغال قلبه به ويؤيده عطف الهم عليه فالاشتغال بالطاعة لفعلها وبالمعصية للحذر منها ولا يخفى انه لا فرق بينه وما قبله وقد يقال الاشتغال فيما يجد والهم بمعنى الحزن فيما يذم وهو حسن والتقدير في معرفة ما يجد ويذم كما قيل

• عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه • ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه •

ولك ان تقول المراد بما يجد ويذم الامور المهمة التي من شأنها ذلك يعني ان اشتغاله وهمته في معالي الامور دون سفسافها وعد اقيد لما كما هو معروف في القيد المتوسط وقد يفسر غدا بالمستقبل للانسان بعد موته كما قيل

• وانما المرء حديث بعده • لكن حديثا حسنا لمن وعا •

او قد مثله في الثاني واذا شمل الشغل القلبي فاولا تاماه ولا حاجة لجعلها بمعنى الواو وقيل المراد بما يجد ويذم التجرد عن العلائق مما يجد في القيامة وينفع اليوم لفقر صاحبه فعد اقيد للاول فقط واو لتنافر محليهما وفاعلهما وفي بعض النسخ محله مرفوع نائب عن الفاعل وجعل مجهول وما بعده مرفوع ايضا رعاية للفاصلة وهو متجه ايضا وفي بعض النسخ اولا يذم بزيادة لا فيه على ان ما يجد الطاعات وما لا يذم المباحات اي شغله وهمه المباحات او الطاعات فلا يلزم وقوع او بين المتراد فين لبعده الا ان همه في المباحات لا يناسب المقام فان نصب روى الاولى وبنى جعل للفاعل نصب محله على الظرفية اشارة الى اعتبار الزمان والمكان في كلما كما قيل في قوله تعالى لا املك لكم ضرا ولا رشدا اذ لم يقابل الضر بالنفع والرشد بالغي والاظهر ان يقال انه لما ذكر انه مطوق بالمحن الشاغلة عن الخيرات نبه بان هذا يقتضي التطرق الاولى ومن اراد الله به خيرا صرفه عن الالتفات الى المصائب وجعل شغله منصورا على كسب الخير وحزنه على ما فرط فيه من اشتغاله بما يذم فانه قل ما يخلو منه احد ومن حاسب نفسه قطع العلائق ولم تقعده العوائق كما قيل

• اراك تطلب دنيا لست تدركها • فكيف تدرك اخرى لست تطلبها •

فليس شر بفتح المثلثة والميم المشددة وهو اسم اشارة مبني على الفتح وتوسم بها الكلمة لا لها لمحتمة في الوقف وقيل الها تانيث في لغة قليلة واختلف فيه هل هو موضوع للبعيد او القريب وكل منهما صحيح هنا وفي شرح التسهيل كونها للقريب اقرب وهي من قولهم ومن ثمة كان كذا اشارة لمعنى يكون هنا

لغير ولذا افتقروها بمن احل وهو استعارة بجعل منشا الشئ كمكانه ويوخذ منه التعليل فان كانت من تعليلية فهو ظاهر وان كانت ابتدائية فالتعليل يفهم من السياق كما افاده بعض محاريحمه الله تعالى في الايات البينات والفا فصيحة او تعليلية تفريعية والاشارة للدار الاخرة ومكان القيامة كما قيل لانها نصب غير المومن ومن تعلم من قوله غدا والاحسن انها اشارة الى الزمان الذي دل عليه فالها قد يشار بها اليه اي اذا انكشف الغطا في ذلك اليوم عرفته انه ليس فيه غير ما ذكر سوى حضر النعيم سوى بمعنى غير والحضر مصدر حضر ضد غاب كالحضور وفي النهاية حضرة الرجل قربه ويكون بمعنى المجلس والفناء والكتاب في الانشائيات يستعملونه للتعظيم كالمقام العالي وحضرة الخليفة نادبا باضافة ماله لمحله فالمراد هنا تعظيم النعيم او المراد به الجنة لمقابلته بالجحيم والنعيم المسرة والترفه في المعيشة وفي نسخة نضرة النعيم اي بهجته وحسن منظره او عذاب الجحيم العذاب العقاب الشديد والجحيم المكان الشديد الحر والنار المتاججة واسم جهنم والاضافة لامية لا بمعنى في ولا لادنى ملابسة كما قيل لانه عدول عن الظاهر لغير فائدة والحصر بالنسبة لما يجري به المرء اي ليس في الاخرة الا احد هذين الامرين وليس فيها تصرف لاحد فينبغي الاهتمام بامرها وبهذا ظهر للمراد وانه ينبغي للعاقل ان لا يزال مفكرا في الاخرة ومعرفة ما يذم ويودي للعذاب الاليم وما يجد فيودي للنعيم المقيم فيداب في الطاعة والعمل الصالح حتى تحمد عاقبته وعذاب بالجر عطف على حضر او النعيم تهكما به والاول اولى وهذا امتنانا على عدم الاعتراف او بادخالها في النعيم باعتبار المآل للنعيم او بعد نعيما بالنسبة للجحيم ولكان عليه بخويصته وفي نسخة بخويصة نفسه وهو عطف على جواب لو واعادة اللام فيه اشارة الى انه جواب اخر مستقل وليس من تتمة ما قبله والضمير المستتر في كان للانسان وجعله لله بتقدير لو كان الله متصرفا في شانه ليلزم خويصة تصغير من غير داع وعليه متعلق بمقدر وكذا بخويصته لكان الواجب عليه اهتمامه بنفسه لانه لما ذكر انه استعجل بما طلب من الخير وخاف من محن الدهر الشاغلة وعروض ما يضعف عزمه وبدنه العلائق عنه وعن غيره من العبادة كالقضاء وامور الدنيا عقبه بان من يرد الله به خيرا وفقه لاشتغاله بما هو خير لان مآل الجزاء عمله من خير وشر فينظر ما يقدم عليه ويتقيد باصلاح نفسه بالعمل الصالح والعلم فيدع العوائق من امور غيره وامور نفسه التي لا تهمه فان من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه

شبكة الألوكة www.alukah.net

فعلى هذا عليه ليس متعلقا للامر وقيل انه اسم فعل للاغراء وهو الحث والطلب
لانه يقال عليك وعلى وعليه بمعنى الزم والاخير شاذ وعلى هذا يتعدى بنفسه
وقد يتعدى بالباء نحو عليك بذات الدين فيفتشر بما يناسبه وقال الرضى الباء زائدة وهي
تزاد كثيرا بعد اسماء الافعال لضعفها في العمل لانه فسر على بناولني وعليه بليلزم وقال
ابن عصفور في حديث من لم يستطع فعليه بالصوم الصوم مبتدا خبره عليه والباء
زائدة واعترض بانه يقتضي ايجاب الصوم وزيادة الباء في مبتدا غير جسب وفيه
كلام طويل في كتب العربية فعليه متعلق بمقدر اواسم فعل وبخويصة متعلق بمقدر
كامر او بعليه او هو مبتدا والباء زائدة وعليه خبر مقدم لتاكيد الحصر والجملة
خبر كان كما بيناه وخويصة بضم الخاء وفتح الواو وسكون الياء لان با التصغير لا تحرك
وصاد مهملة تصغير خاصة وهي ما يختص وحيث وقع خويصة مع النفس او اريد به
النفس لم يرد الا مصغرا والتصغير للتقليل والتحقير وقد يراد لغيرهما والاول هو الاصل
ففيه اشارة الى ان من تقيد بنفسه قلت امور وخفت احواله فلم يصرف زمانه
الا في المهمات وفي الحديث عليك بخويصة نفسك فالمراد بالخويصة النفس واضافتها
لتغاير اللفظ والمفهوم كعرق النسا او هو من اضافة العام للخاص كمدينة بغداد
او المراد عوارضها الذاتية المختصة لها وينفعه دون الناس وما لا يفيد وقيل
هو الموت وتهيى اسبابه ولا يخفى بعده واستفاد مهجته المهجة لها معان منها الروح
وهو المراد والاستفاد والانقياد التخليص اي عليه بتخليص روحه من العذاب
باصلاحها وصولها عن القبايح وعمل صالح يستنزيده الاستزادة طلب الزيادة
وليس الطلب مرادا بل المراد المبالغة في زيادته ويجوز ابقاؤه على اصله ووصفه
بالزيادة اشارة الى انه ليس بفرض والصالح المحمود شرعا وقدمه على العلم لانه
المقصود او للترقي وعلم نافع يفيده ويستفيده من العلوم الشرعية وما لا بد
منه كالعقايد المحتمة وقدم الافادة وان كانت مؤخرة عن الاستفادة لانها
انسب بالمقام واشرف جبر الله صدع قلوبنا الجبر اصلاح ما انكسر ومنه الجبيرة
والصدع الشق وهو الكسر الذي لم يبن في الاجرام الصلبة كالزجاج والعظم
وفيه اشارة الى ان هذه القلوب كالجارة فتسوغ فيها استعارة الجبر او تجوز بالاطلاق
في المقيد اي ازال الله ما في قلوبنا من النقايص واصلح ما فيها من العيوب والاحسن
ان يقال دعا بان يزيل الله ما في قلبه من العلقة والقسوة المانعة عن قبول ما
ينفعه فشبه القلوب القاسية وتحيلته في صدع والجبر ترشيح وهذا اولى
مما شروح وغفر عظيم ذنوبنا من اضافة الصفة للموصوف بحسب الاصل وخص

العظيم

العظيم اما لان الصغاير من الله بمغفر لقابا لمكفرات المشهورة كالصلوات الخمس ونحوها
اولان من يغفر الذنب العظيم يغفر غيره بالطريق الاولى اولان كل ذنب عظيم نظرا
لعظمة من عصى كما قيل ان الذنوب كلها كبائر فان قلت ما الفرق بين العفو
والمغفرة قلت بين مفهوميهما بحسب الوضع عموم وخصوص فان المغفرة
من الغفر وهو الستر والعفو بمعنى المحو ولا يلزم من الستر المحو وعكسه كان
يحاسبه بذنب على رؤس الاشهاد ثم يعفو عنه او يستر ويجازيه عليه اما بالنظر
لكرم الله فهو او استر عفا فيهما عموم وخصوص مطلق ولذا يقال في مقام
الملاطفة في الاكثر عفا الله عنه كما سياتي في تفسير قوله تعالى عفا الله
عنك وجعل جميع استعدادنا معنى الاستعداد طلب العدة بالضم وهي ما لا بد
منه لوجود الشيء ثم شاع في لازمه وهو التهيو وهو المراد هنا ويكون بمعنى الاستحقاق
كما في المحاكمات وهما متقاربان لمعادنا اي جعل اشتغالنا بما فيه عون لنا
على النجاة والفوز بالسعادة في الاخرة والمعاد محل العود فخص بالمحشر لعود
الارواح لابدانها فيه او تعود للقاء الله ليجزيهم باعمالهم كقوله تعالى اليه
مرجعكم وللمفسرين في قوله ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد
اقوال منها ما ذكر ومنها انه الجنة لانهم كانوا فيها في عالم الذر اولا لها لكونها
معدة لهم كانهم كانوا فيها في عالم الذر اولا لها لكونها معدة لهم كما لهم كانوا فيها
فان العرب تجري ما هو بالقوة الممكنة مجرى ما بالفعل فيقولون جفنة يتعشى
فيها ثلاثة رجال اي واسعة وعليه قول ابن القيم

• محى على جنات عدن فالها • منا زلك الاولى وفيها المخيم •

ونوفر دواعينا معطوف على جميع او استعداد والتوفر الكثرة والقوة والدواعي
جمع داع او داعية وهي ما يحمل على فعل الشيء قال الاسنوي في شرح منهاج البيضاوي
او اعلم الانسان او ظن او اعتقد ان له في الفعل او الترك مصلحة راجحة حصل في
قلبه اليه ميل جازم فهذا العلم ونحوه هو المسمى بالداعية مجازا من دعاه لكذا
اذا طلبه فكان علمه بالمصلحة طلب منه الفعل وقد يسمى الداعي غرضا وهذا هو
المراد لانه المعروف في كلامهم وقيل المراد عوننا وطلبنا ودواعي الدهر
ما يستدعيه من الحوادث والمراد اعمالنا وما نطلبه انتهى فالمقصود الدعا
بان يجعل الله سببا مصرفا لما ذكر وهذا كله بيان لما قدمه فيما يجيئنا هو
افعال او تفعيل من النجاة وهي الخلاص مما يخشى كعذاب الله وما يبعد عنه وكان
الظاهر ان يقول لما يجيئنا لانه على المعنى الاول يتعدى باللام لكنه جعل شدة

حنبل زاده

ابن الحنبلي

عرضي

سيد

الواقع

ميله لكانها ممكنة فيه فالظرفية مجازية كقوله لاصلبنكم في جذوع النخل
وقيل الدواعي تضاف لما يترتب عليه كدواعي الولي وليس بلازم كقولهم وداعي
الدهر وكما في عبارة المصنف رحمه الله تعالى **وتقربنا اليه زلفى** زلفى فعلى من
ازلف بمعنى ادنى وقرب قال الله تعالى وازلفت الجنة للمتقين فالمراد قرب
او تقريب كامل فهو مفعول مطلق منصوب بالفعل المذكور من معناه كجلس قعودا
او بمقدر من لفظة ففيه ايجاز بليغ كما في تبيان الطيبي لان معنى انبته نباتا
انبته فنبت نباتا والمراد قرب المنزلة والرتبة المعنوية باكرام الله تعالى الذي
هو اقرب من حبل الوريد **وتحطيئا** بضم المثناة التحتية من الحطوط بضم الخاء وكسره
وهي القبول وعلو المرتبة عند من تحب وهو قريب معنى مما قبله لان القرب
المكاني يترتب عنه البارى وما ورد في حقه في القرآن والحديث المراد به قرب
باعتبار علمه به أو كرامته لديه وهذا هو المراد هنا ولذا فسر بعضهم الحطوط
بالتفصيل على الغرفا لمعنى انه طلب من الله ان يكرمه ويفضله على غيره لتغاير
الجملتان بحسب الظاهر وان تغايرا بمعنى وما اورد عليه من انه لا يفيد ما ذكرناه
لانه انما يفيد اذا تعدي بعلى كما قاله الجوهري رحمه الله تعالى ولا صلة
له هنا لا وجه له لانه غير مسلم مع ان باب التقدير واسع **منة** متعلق بما
قبله وهو جر وقيل تنازع فيه هو وما بعده على القول بتوسط المتنازع
فيه ولا حاجة الى جعله متعلقا بمصادر تلك الافعال لانه تقدير لاداعي
اليه والمنة تكون بمعنى تعداد الجميل وهي تحسن من الله ومن اسمايه المنان
ويقبح من غيره ولذا قيل المنة تهدم الصنيعة والظاهر انها مكروهة
لخبر من كفر النعمة وجحدها وقيل انها حرام من كل احد وقيل حرمتها
مختصة بالنبي صلى الله عليه وسلم لقوله ولا تمنن تستكثر فانكان من عدم الاطلاع
وتكون نفس الانعام **ورحمته** بالجر معطوف على منه وهي في الاصل رقة القلب
ولامتناع ذلك في حقه تعالى اريد لها غايتها وهي اللطف والاحسان فهي
من صفات الافعال او ارادته فهي صفة ذاتية والباقي في قوله بمنه سببيه وقيل
انها بمعنى الاستشفاع واورد عليه انه معنى غريب لم يقله احد من النحاة وردبان
مراده انها للتعدية ولكن اريد التشفع بمدخولها كما يقال في بسملة الها
للتبرك فالمراد انه توسل الى الله به كما ورد اعوذ بك منك ولك ان تقول انها
للقسم الاستعطافي ومآله الاستشفاع وتمثيليته له بقوله بحياتك صريح فيما قلناه
فلا غرابة ولا استغراب الا من عدم التدبر لغير بقي الكلام في ان القسم الاستعطافي

الواقع في السؤال هل يختص بالبا. والوقوع بعد الاوامر لا ظاهر كلامهم انه
لم يسمع الا كذلك وفي الكشف في اول سورة النسا انه غير لازم **ولما نويت** لما
بالفتح والتشديد ظرف زمان عامله جوابه والنية القصد وفي العرف القصد
المقارن للفعل وغير المقارن عزم **تقريبه** اي جعله تقريبا الى الافهام او الى
الحصول بالتدريج الاتي ونحوه والتقريب عند اهل المعقول سوق الدليل على
وجه يقتضي المطلوب **ودرجت تبويبه** اصل التدريج جعل درجة بعد درجة
وفي الصحاح درجه اليه ادناه على التدريج وتبويبه مصدر مبني للمفعول اي
جعله ذا ابواب والمراد انه رتبه بابا بابا وقد يراد بالتدريج الثاني والتمهل
كما قيل

• درج الايام تندرج • وبيوت الهم لا تلج •

يعني انه سهله ورتبه ترتيبا حسنا مناسبا **ومهدت تاصيله** اصل
التمهيد بسط المهاد وهو الفراش والتاصيل ذكر القواعد والاصول يعني
انه ذكر فيه قواعد وادلة تبتنى عليها مسائل ابوابه فليست مجرد دعوى خالية
عن الادلة والنقول الصحيحة وليس المراد انه سهله واوضحه كما لا يخفى
وخلصت تفصيله اي ميزت فصوله او فروع قواعده وتفاصيلها عن الجار
والادلة واصل التخليص الاخراج والابعاد من الخلاص قيل ويحتمل ان يراد
بالتاصيل الاجمال وعبر به رعاية للفاصلة ولو قيل انه على هذا من الاصول
والقواعد كان اظهر **وانتخبت حضن** بالحا المهملة اي قصدت من نحا ينحو اذا
قصده واصله انتحوت وفي نسخة انتخبت بالخا المعجمة والموحدة والحضن
اصل معناه الحبس والمراد به حصر الكل او الكلي في اجزايه او جزياته اي قصدت
او اختصرت حصر انواعه في هذه الابواب او الابواب المعينة فلا وجه
لتفسيرين بالاختصار على النسخة المشهورة وحصر الكل في اجزايه ظاهر وقوله
في عروس الافراح انه لا يمكن لان الحصر جعل الشي في محل محيط به فالمحيط حاصر
والمحاط محصور مظروف وشان الكل مع اجزايه على العكس لان الكل محيط
بالاجزا والاجزا منحصرة في الكل فكيف يجعل الكل منحصرا فيها ليس بشي لانه
اصطلاح لا مشاحة فيه والمراد ان الاجزا المتصلة لا يخرج عنها الكل كما لا يخرج المظروف
عن ظرفه وهو امر سهل **وتحصيله** اي جعله حاصلا فيه بعد جمعه من الكتب المعتبرة
وقيل المراد ان الناس يحصلونه لاختصاره وضبطه فان ما كل من طلب حصله ولا
كل من حصله اصله ولا كل من اصله فصله ولا كل من اصله وصله **توجته** جواب

شبكة الألوكة www.alukah.net

لما والمراد سمّيته واصل معنى الترجمة التعبير عن لغة باخرى ويكون بمعنى التبليغ لما خفى من الكلام لبعد قائله او لحائل بينه وبين سامعه او لقصور فهمه كما فى شروح البخارى ومنه قوله

• ان الثمانين وبلغتها • قد احوجت سمعى الى ترجمان •

واطلاق الترجمة على التسمية على طريق التشبيه لجعل معرفة المسمّى باسمه كمعرفة المعنى بالتعبير عنه بلغة اخرى وهو مجاز متعارف والقول بانه التسمية قبل الخروج من الذهن الى الخارج لانه لما كان غير معلوم عبّر عنه بالترجمة الجامع بينهما تكلف لا حاجة اليه لما عرفته والترجمان هو المبلغ عربى وقيل انه معرب دربغمان تصرموا فيه وفيه لغات فى كتب اللغة **بالشفا** متعلق بترجمته بمعنى تسميته **بتعريف حقوق المصطفى** الباء سببيّة متعلقة بالشفا او بمعنى فى قال ابن الجوزى رحمه الله تعالى فى كتاب نزهة العيون الشفاء ملايم للنفس يزيل عنها الاذى ويستعمل فى القرآن على ثلاثة اوجه الفرح كقوله ويشف صدور قوم مؤمنين اى يسرهم والعافية كقوله واذا امرضت فهو يشفين والبيان كقوله شفاء لما فى الصدور وهو مع ما بعده مما علم منقوله والكلام فى اسما الكتب هل هى اسما جنس او اعلام جنسية او شخصية ومسمّاها المعانى او الالفاظ والنقوش او مجموعها احتمالات ليس هذا محل تفصيلها والشفا ممدود وقصره هنا للوقف على فواصل السجع كالقوافى والممدود يجوز ان يقصر اذا وقف عليه حقيقة او تقديرا او هو لمشاكلة مصطفى وهى مجنونة محضة فلا عبار عليه وما قيل من انه قصر لانه قصر عن بيان هذه الحقوق لطيفة لا تصلح للتوجيه وقيل انه ضرورة فالضرورة كما تجرى فى الشعر تجرى فى السجع كما فى شروح التسهيل وهو غريب من قائله واغرب منه تجويز مد المصطفى وغيره مما لا طائل تحته واسمه موافق لسماه فان السلف الصالحين قالوا انه جرب لشفا الامراض وفك عقد الشدائد وفيه امان من الغرق والحرق والطاعون ببركته صلى الله عليه وسلم واذا صح الاعتقاد حصل المراد وقد كنت حال كتابة هذا المحل فى ضيق صدر وحرج وانا الان منتظر لكل خير وفرج كما قلت

• يا رب ظهرى مثقل بالعنا • وما اقاسى من شدائد الجفا •
• والمتن قد كل وصدرى به • ضيق فوسّعه بشرح الشفا •

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد النبى الامى الطاهر الزكى صلاة تحل بها العقد وتفرج بها الكرب **وحصرت الكلام فيه فى اقسام اربعة** ضمير فيه للكتاب او للتعريف حقوق المصطفى والجار والمجرور متعلق بالكلام او حال منه والحصر والقصر بمعنى الحبس

لغة واصطلاحا تخصيص شئ بشئ بحيث لا يتجاوزه ووجه الحصر فى مثله استقرائى وجعل عقليا بالعناية تكلف وضمير فيه ان كان للكتاب كما هو المتبادر فهو من حصر الكل فى اجزائه وتسمية الجزء قسما باعتبار معناه لغة والفرق بين الجزء والجزى ان الاول لا يطلق القسم عليه اذ كل واحد منها لا يسمّى كتابا حقيقة وفى الاصطلاح القسم الجزئى لا الجزء فان اطلق عليه فهو مجاز لمشابهته له كما يقال تقسيم الكل الى اجزائه وادعى بعضهم انه حقيقى ايضا ولا مانع منه وان لم نر نقله بعضهم فان عاد الضمير للتعريف فهو من تقسيم الكل لجزئياته والاقسام على ظاهرها **القسم الاول فى تعظيم العلى الاعلى بهذا النبى الكريم** صلى الله عليه وسلم **قولا وفعلا** التعظيم والتبجيل والتفخيم بمعنى وهو توقير وتكريم بما يرفع قدر او يظهر رفعته والعلى من اسمائه تعالى من العلو اذ هو جل شانه هو العلى حقيقة علوا منزها عن الجهة والحلول ويوصف بالاعلا ايضا وان كان لا علو لغيره بالنسبة اليه واعلا المقادير بعد قدر الله قدر نبينا صلى الله عليه وسلم ولا يخفى موقع العلى الاعلى هنا قال التعظيم انما يحتد به من العظيم وعلو رتبة النبى صلى الله عليه وسلم وان ناسب ان يشار اليه بما يدل على البعد الا ان المصنف رحمه الله تعالى اثر اشارة القرب اشارة الى تعظيم الله له قربة منه وادنى منزلته وانه ينبغى لمن يحبه ان يكون نصب عينه كانه حاضر ولذا قال النبى دون الرسول لان النبوة اتصال صرف بالله والرسالة وساطة بينه وبين الخلق وبهذا الاعتبار كانت افضل كما فى قواعد القرافى وسياتى الكلام مفصلا فيه والاشارة تاتى للتعظيم كما بينه اهل المعانى **وتوجيه الكلام فيه** توجه بصيغة الماضى اى تم وكمل من قولهم توجه اذا صار ذا وجاهة اى جاه وليس المراد كما فى بعض الشروح انه حصل وجه الكلام فيه والوجه السبيل والجهة المقصودة بالتوجه لما فيه من التكلف وقوله **فى اربعة ابواب** من حصر الكل فى اجزائه لا الكلى فى جزئياته كما توهم **الباب الاول فى ثنائه عليه واظهار عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول** الباب يطلق على الفرجة التى يدخل منها الدار وعلى ما يسد به ويغلق من خشب ونحو ويطلق فى عرف المعرّ على مسايل من الكتاب متناسبة افردت بترجمة لان ما فيها من المسايل والقواعد يتوصل به لمعرفة جزئياته اولانه يصولها ويحفظها وقيل انه بمعنى البابة وهى النوع وهو سجع بارد وهو قد يشتمل على الفصول جمع فصل وهو نوع من المسايل منفصل عما غيره او ترجمته فاصلة بينه وبينه فهو مصدر بمعنى فاعل او مفعول كما يشتمل الكتاب على الابواب غالبا والثنا الوصف بالجميل ولا يختص باللسان

فى المشهور لقوله انت كما اثنيت على نفسك على ما فيه وقدر الشئ مقداره وشرفه
رتبته ويكون بمعنى التعظيم كما فى قوله وما قدروا الله حق قدره اى عظموه
حق تعظيمه فى احد الوجوه فيجوز تفسيرهما هنا بكل منهما ولديه بمعنى عنده وبينهما
فرق مشهور واذا قيل عند الله فله معان لاستحالة حقيقته عليه تعالى
فيكون بمعنى علم الله او حكمه كما فى قوله فاولئك عند الله هم الكاذبون وبينهما
فرق دقيق بيناه فى حواشى القاضى فى سورة النور ويكون بمعنى فضل الله
كما فى قوله قالت هو من عند الله **الباب الثانى فى تكميل الله**
له المحاسن خلقا وخلقا المحاسن جمع حسن على خلاف القياس او هو جمع لواحد
مقدر كمحسن المعنى وخلقا وخلقا بفتح فسكون وضم وسكون منصوبان على
التمييز والخلق الايجاد والخلق السجية والطبيعة وهى ملكة راسخة فى النفس
لا تقبل الزوال بسهولة على الاصح وهى للنفس كالخلق للجسم لان احدهما صورته
الباطنة والاخر صورته الظاهرة وبحسن الاخلاق وقبحها يكون الحمد والذم وما
يترتب عليه وحسن الصورة يدل على حسن السيرة ولذا يمدح به كمل الرجال ولذا لخطا
الامدى رحمه الله تعالى من اعترض على ابى تمام فى وصف ممدوحه بالجمال لانه يليق
بالعزل لما ذكرنا **وقد انه لجميع الفضائل** القران بوزن الحيال مصدر بمعنى
الجمع وجميع مفعوله وفضائل جمع فضيلة وهى الصفة الحميدة مطلقا سواء كان لها
اثر متعد او لا وقد يختص بالثانى الفضائل وبالاول الفواضل وكان شيخنا
الزيادى رحمه الله تعالى يقول فى مثله اذا افترقا اجتمعا واذا اجتمعا افترقا
كالفقير والمسكين وهو كلام حسن **الدينية والدنيوية** الدينية منسوبة
للدين وهو وضع الهى سابق لذوى العقول باختيارهم المحوج الى ما هو خير
لهم بالذات فى العقبى فيخص بالدين الحق الذى جاءت به الرسل عليهم الصلاة
والسلام ويستعمل فيما يشمل الباطل كما فى قوله تعالى لكم دينكم ولى دين ان لم
نقل انه ينافى اوبحسب اعتقادهم والمراد الاول هنا وللدين معان اخر كالجزاء
والطاعة والدنيوية منسوبة للدنيا وهى الارض وما عليها من المخلوقات
واحوالها ويطلق على المال وما يملك وفى النهاية انه اسم لهذه الحياة والمراد
بالاول العبادة ونحوها وبالثانى نحو حسن خلقه صلى الله عليه وسلم وصحة
بدنه وغيره للاول وهى فعلى مونث ادنى افعل تفضيل لكنها جرت مجرى الاسماء وجردت
من معنى التفضيل ولوازمه ولذا اورد تنوينها شذوذا وفى النسبة اليها ثلاث
لغات حذف الف فيقال دنى وقلبها واوا فيقال دنيوى وزيادة الف فيقال

دنياوى

دنياوى كما بين فى علم التصريف وهذا له مضمومة وقد يكسر من الدنو بمعنى القرب
وقبل من الدناءة كما قال الشاعر

• • •
• اعاذل دنيا تسترى من دناءتها • دنيا والافمن مكروهها الدانى •

ووجه التسمية ظاهر والدنيا قد تقابل بالدين كما ورد فى الحديث وغيره وقد
يقابل بالاخرة ايضا وكل منهما صحيح فصيح فلا وجه لما قيل من ان الدنيا بمعانيها
لا تقابل بالدين لكن شاع مقابلتها له وهو المراد بقرينة المقابلة او المراد
ما نسب الى الدنيا فقط فان المنسوب الى الدين منسوب الى الاخرة ايضا ولا يخفى
ما فيه من الخلل فتدبر **نسقا** ضمير فيه للنبى صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بمحذوف
او بقوله نسقا بناء على جواز وتسقا حال من جميع فان كان مصدرا فهو ما وول
بصفة والا فهو على ظاهره من بقاء الدر نسق وكلام نسق على نظام واحد فالمراد
انه جمعها على وجه متناسب ياخذ بعضه بحجز بعض وفترها التلمسانى تبعا
ولا وجه له **وفيه سبعة وعشرون فصلا** قال السيد ليس فى الكتاب
الا ستة وعشرون فالظاهر انه عد ما بين ترجمة الباب الى الفصل فصلا
وان لم يسم به وكذا الحال فى جميع ما عد من الفصول الا فى موضعين يقل الكلام
فيهما بين الترجمة والفصل فلا تغفل لكنه لم يعد القسم الى الباب بابا لانه
العادة تسمية المسائل المجمة بالباب ولم يدخل فى باب لتعلقه بالابواب كلها
وقد سبقه اليه التلمسانى وزاد عليه انه لم يذكر اوصاف الفصول بالعدد بحيث يقول
الاول والثانى الى اخره الا فى الباب الاول فيعلم منه ان الصدور عنده من جملة الفصول
وبذلك يستقيم الامر ويتم العدد **الباب الثالث فيما ورد**
من صحيح الاخبار ومشهورها الجر فى الرف واللغة ما ينقل عن الغير وزاد
فيه اهل العربية واحتمل الصدق والكذب فى حده اتباعه والمحدثون يستعملونه
بمعنى الحديث وقد يفرقون بينهما فيقولون الحديث ما جاء عن النبى صلى الله عليه
وسلم والخبر ما جاء عن غيره ولذا قيل لصاحب التاريخ اخبارى بصيغة الجمع وقيل
بينهما عموم وخصوص فكل حديث خبر ولا عكس وعبر به المصنف هنا رحمه الله تعالى
لانه اشمل واذا كانا بمعنى فالمراد به ما اضيف اليه صلى الله عليه وسلم قولا او فعلا
او تقريرا ونحو ويدخل فيه ما هم به قلبه اذا علم به بوجه من الوجوه وكذا
ما يتعلق بجلبته الشريفة وفى هذا المقام تفصيل مذكور فى مصطلح
الحديث والصحيح والحسن كل منهما اما لذاته او لغيره لانه اذا رواه عدل تام
الضبط واتصل سنده ولم يكن معللا ولا شاذا فهو الصحيح لذاته فان لم يسلم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مما يضعفه والمجبر بتعداد الطرق ونحو فهو الصحيح لغيره ومالم يشتمل على اعلاه
صفات القبول فهو حسن والمشهور ما تعددت رواته ولم يصل الى حد التواتر
ويطلق على ما شاع مطلقا وان لم تتعدد طرقه وان كانت شهرته بين المحدثين
او لا وهو الذي عناه المصنف رحمه الله هنا ولذا عطفه على الصحيح واهل
الحديث يستعملونه بهذا المعنى ايضا كما ذكره ابن حجر رحمه الله ويدل عليه قول
المصنف رحمه الله في اول هذا الباب اعلم ان الاحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا
وقد اقتصرنا على صحيحها ومشهورها انتهى وقيل المراد ما اشتهر بين المحدثين على
انه من عطف الخاص على العام بتعظيم قدره متعلق بورد عند ربه متعلق بقدره لانه
مصدر بمعنى رفعته او منزلته وقيل انه حال من قدره وجاء من المضاف اليه لان
المضاف صفة له فكانه هو المعمول لان تقدير قدره العظيم حال كونه كائنا عند
ربه فتدبر ومنزلته اي رتبته الرفيعة عنده ايضا والعرب تقول المنزل في
الحسي والمنزلة في المعنوي كالمكان والمكانة فكان التاء للنقل ومما خصه به في الدارين
الدنيا والاخرة وتسميتها بهذا شايعة كما مر لانهما مسكن ابن ادم فاما ان تكون الدار
حقيقتها هذا ثم خصت بما يحيط به بناء ونحوه او تكون مجازا صار حقيقة عرفية
وخواص النبي صلى الله عليه وسلم منها ما خص به عن سائر الخلق حتى الرسل ومنها
ما هو بالنسبة للرسل عليهم الصلاة والسلام ومنها ما هو بالنسبة لامته كما مر وسيأتي
من كرامته اي ما فيه تكريم وتبجيل له صلى الله عليه وسلم فمن بيانية او تعليلية
كقوله مما خطاياهم اغرقوا وهو بيان لان المذكور هنا بعض الخصائص التي خص
بها تعظيما له صلى الله عليه وسلم دون ما خص به صلى الله عليه وسلم من بعض الاحكام
الجزئية المخصوصة بالتحليل والتحريم مما لا يظهر فيه التكريم وان تضمنه في الجملة
ولم يذكر ذلك وهو غير مناسب لغرض التاليف وفيه اثنى عشر فصلا
هكذا هو في النسخ كلها وهو المروي عنه مع ان الفصول خمسة عشر وقد سلك
الشراح في الجواب عنه مسالك منها ما قال التلمساني ان الثلاثة الزائدة
بعد ما اكمل العدد اجنبته من هذا الباب مناسبة للباب الاول لانه ذكر جملة
في اسمائه صلى الله عليه وسلم في اثنائه كقوله رؤف رحيم وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين وذي قوة عند ذي العرش والله نور السموات الى اخره الى اخر ما
ذكره في حقه صلى الله عليه وسلم فهم منه ان الفصول الثلاثة انما وضعها
بعد ان تم مراده ولاح في خاطره امر يجدر تركه اوجب ذكرها وجعلها ذيلا
لهذا الباب وذكر من كلامه ما يدل عليه ومنها انه كان عازما على جعلها اثنى عشر

فلما

فلما وصل الى الباب الثالث اقتضى الحال زيادتها وهذا بناء على ان الخطبة
مقدمة على التاليف والقول بان قول السابق بويت ودرجت يابا ه غير مسلم
وهذا كما انه جعل القسم الرابع بابين مع انه زاد عليه ثالثا ومنها ان مفهوم العدد غير
معتبر وهذا اضعفها لان كلامهم في الاستدلال به في النصوص واما في الخاطبات
فلا فالحاصل الحاذيل للاثنى عشر المقصودة او امور زاده على ما كان في نصوصه
وذهبنه الباب الرابع فيما اظهره الله على يديه
من الآيات والمعجزات الآيات جمع اية ولها معان منها العلامة الدالة على نبوته
صلى الله عليه وسلم في اصلها اربعة اقوال لاهل العربية احدها للخليل رحمه الله تعالى
وهو ان اصلها ايية بفتحتين بزنة فعلة فقلبت الياء الاولى الفا لتحركها وانفتاح
ما قبلها على خلاف القياس اذ هو يقتضي قلبها الثانية او الادغام لتقدمه على
الاعلال الثاني للكسائي رحمه الله تعالى ان اصلها ايية على وزن فاعلة هو
فحذفت عين الكلمة والقياس الادغام كدابة الثالث للفراء رحمه الله تعالى
اصلها ايية بسكون الياء الاولى فقلبت الفا على خلاف القياس الرابع لبعضهم
اصلها ايية بكسر الياء الاولى فقلبت الفا لثقل التضعيف والمعجزة امر خارق
للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة والبشر اظهره الله على يديه صلى الله عليه وسلم واسناده الى الله
تعالى لانها من افعاله كما قاله ابن الهمام رحمه الله تعالى واما كونها قد
تكون من قبل الترك كان يقول نبي آيته صدقي ان اضع يدي على راسي ولا يقدر
احد على ذلك فلمدلول لا يعتد به اولانه باعتبار انه كف كالفعل الوجودي
وكذا اخباره عن الغيب وانما اسند الى النبي صلى الله عليه وسلم باعتبار صدوره
عنه وان كان بايجاد الله وخلقه على ما عليه اهل السنة والاية والمعجزة يشتركان
في الدلالة على صدقه لكن الاية اعم لانها لا يشترط فيها مقارنة النبوة والتحدي
فكل معجزة اية ولا عكس فشق صدره صلى الله عليه وسلم وتسليم الحجر عليه
قبل البعثة ونحوه اية وليس بمعجزة واما قول السهيلي رحمه الله تعالى بعض
الخوارق انها علامة للنبوة لا معجزة بناء على عدم اقترانها بالتحدي المشروط
عنده فرده ابن الهمام رحمه الله تعالى عليه بان امر مبني على دعوى النبوة في كل
زمان يرد عليه وسيأتي للمصنف رحمه الله كلام في هذا وشرفه به من الخصائص
والكرامات وفيه ثلاثون فصلا المذكور في الكتاب تسعة وعشرون
لكنه عد صدر الباب فصلا كما مر ونبه عليه التلمساني والخصائص جمع خصيصة
وهي الصفة الخاصة به سواء كانت في ذاته او صفاته او فيما يصدر عنه صلى الله عليه وسلم

من معجزاته وكراماته فهي يشتمل على امور كثيرة ذكرنا في الباب الثالث تفضيله
في ذاته وسيادته صلى الله عليه وسلم لبني آدم في الدارين وقربه من ربه بالآيات
والمحجة والخلة وذكرنا هنا ما جرى على يديه من المعجزات وما ضاهاها من الكرامات
فمقصد البابين وما ذكر مختلف معنى وان تشابه العنوان كما يعرف بالنظر في
الكتاب فلا يرد عليه ان ما ذكرنا هو بعينه في الثالث من قوله وما خصه
وهو قبيح وغاية ما يقال في توجيهه انه اراد في كل موضع بيان سابقه **اي**
اشتراك البابين فالمراد في الثالث الكرامات التي لم يقصد لها اثبات
النبوة وكونها علامة كالاسرا والامور الاخروية وفي الثاني ما يقصد به
ذلك وفيه ما فيه انتهى وقد عرفت سقوطه وانما اوقعه فيه اتحاد العنوان
ظاهرا وهو على طرف الثمام على انا نقول انهما متغايران معنى كما يعرف بالتامل
العاد ق وقيل ان الخصائص والمعجزات ايات كما سياتي في بابه والكرامة
لغوية لا اصطلاحية فلا سنا في المعجزة واما الكرامة التي خص بها صلى الله عليه
وسلم في الدارين المذكورة قبله فقد قيل انهما ايضا لم يقصد به اثبات النبوة ولا
كونها علامة عليها كالاسرا والطائل تحته وقيل الكرامات هنا الخوارق
التي قبل دعوى الرسالة وفي شرح المواقف انها تسمى كرامة وارهاصا وهو التاسيس
ولسبقها على اظهار الرسالة كانت كالتاسيس لها فان قلت اخبار عن المغيبات كيف يعد معجزة قلت هو على قسمين ما وقع في حياته صلى الله عليه وسلم
كعير قريش ونحوه ولا شبهة في كونه معجزة وما وقع بعده كاخبار صلى الله
وذي الشدية وتسميته كرامة اقرب لعدم مقارنته للتحدي والقول بانه
معجز لجزم عنه سواء كان الجزم عن دليل او لا لا يجدي **القسم الثاني فيما يجب على الانام**
اي يلزمهم حتما ياثموا بتركه والانام الخلق او الانس والجن او كل ما على وجه الارض
والمناسب هنا الثاني وقيل انه ما يعتريه النوم **من حقوقه** صلى الله عليه وسلم
جمع حق وهو الامر الثابت له وقد مر تفسيران **ويترتب القول فيه في اربعة ابواب**
يترتب اي يمكن او يذكر مرتبا من الترتيب وهو جعل كل شيء في مرتبته اللايقة به
وكونه من تقسيم الكل او الكلي تعد مرجع ما فيه **الباب الاول في فرض**
الايمان به اي كون التصديق برسالته صلى الله عليه وسلم فرضا فالاضافة للمفعول
او هي لامية او بيانية فيجب الايمان به صلى الله عليه وسلم وبشريعته والها
ناسخة لغيرها ووجوب ذلك على كل من بلغته الدعوة **ووجوب طاعته** اي طاعته
صلى الله عليه وسلم والانقياد له **ووجوب اتباع سنته** اي طريقته صلى الله عليه وسلم

التي

التي امرنا باتباعها امر ايجاب **وفيه خمسة فصول** وقد اجاد في تقسيمه فعبر
بالفرض تارة وبالوجوب اخرى كما قال في القسم الاول وتوجه الكلام فيه وفي الثاني
ويترتب القول فيه وفي الثالث وتحرير القول فيه وفي الرابع وينقسم الكلام فيه
الباب الثاني في لزوم محبته ومناصحته صلى
الله عليه وسلم **وفيه ستة فصول** النصح والنصيحة والمناصحة ارادة الخير
للغير وارشاده له وهي كلمة جامعة كما سياتي والمعاملة على حقيقتها لا لها ان تفعل
ويقول لصحبه ما يفعله الآخر به وان لم يتخذا فنصيحته الامة ايمانهم بما جاء به
صلى الله عليه وسلم وانقيادهم لاوامره ونواهيه ونصيحة النبي صلى الله عليه
وسلم لهم تبليغهم ما امر بتبليغه وارشادهم للخير وقيل انه بمعنى النصح كالمحادعة
في قوله يخادعون الله وما ذكر في الكتاب من ثواب محبته ونحو استطرادي وله
تحقيق في شروح الكشاف **الباب الثالث في تعظيم**
امره اي شانه وحاله كتعظيم حديثه وآله صلى الله عليه وسلم قيل اللايق هنا
تقديم اللزوم الاتي لانه وسيطه فيقول لزوم تعظيم امره وتوقين فكانه اشار الى
تقديمه تقديرا لان من اللازم تعظيم امره وتوقين فهو من عطف العام على الخاص
وليس الامر بمعنى الطلب منا وفي ذكره ايما الى ان توقين اشد لزوما من توقير
امره مع ما في تركه او لان المبادرة الى ذكر تعظيمه لشدة الاعتناء بشان التعظيم
في كلامه تترقى من الادنى الى الاعلى **ولزوم توقين وبن** توقين تعظيم ذاته
واحواله ومن ينسب اليه وامته ومعاهده وشان بحيث لا يدانيه احد فيه
فدل سراحه على لزوم تعظيمه صلى الله عليه وسلم فلا وجه لما مر وبن بكسر الباء
واصل معنى البر السعة ومنه البر بالفتح مقابل البر ثم شاع في الشفقة والاحسان والصلة وهو المراد هنا وصلته صلى الله عليه وسلم بصلة اتباعه
من اهله وغيرهم ممن ذكر **الباب الرابع في حكم الصلاة**
عليه صلى الله عليه وسلم **والتسليم** من الفرضية والاستحباب على كيفية مخصوصة
فقوله **وفرض ذلك** اي فرضيته او الفروض منه من عطف الخاص على **وفضيلة**
اي فضيلة المذكور من الصلاة والسلام ولتاويله بما ذكر افرد الضمير ويكثر
مثله في اسم الاشارة كقوله عوان بين ذلك **وفيه عشرة فصول** مع ما ذكر معه
استطرادا كفضيلة المدينة وسكناها ومسجدها وفضل الصلاة فيه وفي
مسجد مكة وزيارته صلى الله عليه وسلم **القسم الثالث فيما يستحيل في حقه**
صلى الله عليه وسلم اي يمتنع امتناعا قويا حتى يلحق بالمحال عقلا كالكذب ونحوه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

واصل معنى الاستحالة التغير من حال الى حال ومنه استعمال الخمر خلا ويقال استحال
اذا صار اعوج وقد ورد في كلام العرب واستعماله في كلامهم كثير كما وقع
في عبارة الكتاب ومن لم يقف عليه اعترض على قول المتنبي كأنك مستقيم في
محال **وما يجوز عليه** اي يصح اذ ينسب اليه سواء كان واجبا او جايزا والمراد
ما يصح اضافته به صلى الله عليه وسلم كاعراض لا تشين مرتبته العلية من الامور
الامور من الامور المتعلقة بالدين وغيرها لان الجواز بمعنى الاباحة من الاحكام
الشرعية فقوله **وما يمتنع ويصح من الامور البشرية ان يضاف اليه** المراد
به الامور المتعلقة بالدنيا دون الدين فيصح التقابل لان معناه ما يعرض
لنوع الانسان في بدنه ويجوز ان يريد به ما يستحيل ويجوز على انه عطف تفسير
فلا يرد عليه ما قيل انه لم يذكر ما يجب واللايق ذكره او انه اذا بين ما
يستحيل فقد بين ما يجب لان استحالة الشي تستلزم وجوب نقيضه فلذا الزم
اجمل واختصر والمراد باضافته ان يقول انه منتف به او ما انه من ذكر ما يجب
وقد تعرض له فيما ياتي فيما باه جعله ثمرة وليا لانه من اعظم الثمرات كما لا يخفى
وهذا القسم اكرمك الله جملة دعائية والمعنى جعلك الله مبجلا مكرما
هو سر الكتاب اي خلاصته او افضله او المخفي منه والمراد انه المقصود
بالذات منه ولما كان ما تضمنه من بيان ما تصح اضافته اليه وما لا تصح
مما تمس الحاجة اليه في تعريف عظيم مقامه وجليل مقداره هو المقصود من
التاليف ليلا يتبع لحد فيما لا يليق بمقامه او يترك ما لا بد منه كان ما ذكر
هنا زبدة الكتاب ولبه وقيل السر بمعنى الاصل كان ما سبقه مبنى على
العصمة من الرذايل ولا تساعده اللغة **ولباب ثمرة هذه الابواب** كل شي خالص
كما قاله الزبيدي ومنه اللب للعقل ولبيك اي اجابة مع اخلاص والثمرة
بمعناها الاصلي وتكون بمعنى الفايدة والنتيجة والغاية وهو مجاز مشهور والاولى
المشار اليها جملة ابواب الكتاب او البعض السابق من الابواب شيا على انه كالقواعد
لما بعده وما بعده كالامور المبنية عليه فهو كالثمرة له فاضافة اللباب بيانية
كما قيل وهذا استعارة مصرحة بتشبيه مقصوده بثمرة ذاته لب وقيل الفا
مكنية وتخييلية بجعل الكتاب بمنزلة شجرة مثمرة تشبيها مضمرا في النفس
واثبات الثمرة تخييل واضافته كذهب الاصيلي ورد بان القواعد تابا له اذ لا ذكر
للكتاب في هذه الفقرة ولا يخفى ان مراده بالكتاب هذه الابواب لان الكتاب
عبارة عنها وقيل المراد بالثمرة ما يستفاد من غيره او المقصود ولما كان

غين

حنبلي

عرضي

عرضي

غين كالدليل عليه كان كالدليل او المراد ان ثمرة اي تعلم والانتفاع به لباب
الثمرات **وما قبله** اي ما ذكر قبل هذا القسم من الابواب والاقسام ما هو
كالقواعد القواعد في الاصل الاساس وخشبات تركب الهودج فيها والعمد
واتى بالكاف لانها ليست قواعد كلية بل شخصية اذ موضوعها ذات النبي صلى
الله عليه وسلم كما قيل والاظهر تشبيهها بالقواعد الحقيقية **والتمهيدات**
جمع تمهيد اي امر تمهد وهو في الاصل مصدر بمعنى اتخاذ المهاد والفراش كما مر
والمراد القاعدة ونحوها تهيئة له **والدلايل على ما نورده** ضمير فيه للقسم ونورد
بمعنى نذكره من ورد الماء وهو الذهاب للشرب ويقابله الصدر ثم تجوز به
عن الاتيان بشي وما والدلايل جمع دليل على خلاف القياس وفي الايات البينات
انه جمع دلالة فان فعالة يجمع على فعايل قياسا وذكر امام الحرمين انها تكون
بمعنى الدليل والظاهر انه مجاز وياتي ايضاح ذلك مبسوطا عند قوله فصل
ومن دلايل نبوته وعلاماته رسالته **من النكت البينات** قد مر ان النكت
الامور الدقيقة الغامضة فجعلها بينات جمع بينة بمعنى واضحة بالنسبة
للاذكيا ولما كان ما قبله من استحقاق التوقير والجلالة وثبوت النبوة والرسالة
كالدليل على ما يجب له صلى الله عليه وسلم ويمتنع عليه لانه اذا قيل يستحيل عليه
النقايص لعلو قدره وشرفه وظهور صحة جعله دليلا الا انه لم يكن مستلزما
له استلزاما عقليا جعل كالدليل والاستدلال عليه يعلم من علم الكلام وما في غين
اقتضاء وان كان لا شبهة فيه لمن جلا الايمان مراة ذهنه ويحتمل البينة منا ان
تكون بمعنى بينة المدعي او موايهام وتورية لقوله بعد **وهو الحاكم على ما بعده**
تشبيه بليغ اي كالحاكم على القسم الرابع من اجزاء سابقه ومنقصه صلى الله
عليه وسلم والحكم خطاب الله المتعلق باقعال المكلفين واجراؤه وابرامه ايضا
ولا يخفى موقعه منا والحاكم في الحقيقة هو القاضي ونحن لا نقسم ونحو
فان مسايله ومن يعلمها اذا حقق ما يجب له ويجوز بين له ذلك فجعل بين ذلك
كالحكم في شانه صلى الله عليه وسلم وشان منتصره **والمنجز من غرض هذه التاليف**
وعده الوعد معروف والانجاز ايقاع ما وعد به واعطاؤه واصل معناه الاتمام او
الاحضار من نجز الامر والغرض هو المقصود من الشي ومن ابتدايية او بيانية
والمراد بالغرض هنا تعريف حقوق المصطفى وضمير وعده راجع لما رجع له قوله
هو او للحاكم لا للغرض والمنجز بصيغة الافعال او التفعيل وفاعله ما رجع اليه الضمير
ايضا والفاعل الحقيقي هو المصنف رحمه الله تعالى فالنسبة مجازية او هو استعارة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مكتبة محبلة مرشحة بجعل هذا القسم لتتميمه غرض التاليف كانه كونه وعد
التفضل بمقصوده والجابة السائل لما سال منه بالتاليف جملة الكتاب فكانه بهذا انجز
للوفا بالكل او هو من قبيل الجعرفة والسائل وان لم يسال ما في هذا القسم صريحا
الا انه لما استدعى ذلك كان كانه مقصور له بالذات فلذا اعتنى به المصنف رحمه
الله وعند التقضي هو تفعل من الاستقصا بالقاف والضاد المهملة وهو بلوغ
اقصى الشئ وغايته او طلبه كما في قوله

• • يا مطلبا يسعى لي في عجب اربه • إليك آل التقضي وانتهى الطلب •

وفي بعض النسخ التقضي بضاد معجمة من تقضى الامراء اتم ومضى او بمعنى التقاضي
والالحاح ويحتمل على الوجهين ان يكون اصله تقتضي فابدل احدى المثلثين يا
للتخفيف كما قيل في تظنيت تظنيت واللام في قوله لموعدته بمعنى وعده او موعوده
صلة له او تعليلية وانجاز الموعد مقابل الخلف قال تعالى انه لا يخلف الميعاد
والوعد يكون في الخير والثواب والوعيد في ضده ويجوز الخلف فيه ولو من
الله وقد يكون الكلام الواحد وعدا ووعيدا باعتبارين كقول الله لاهلكن من
عادى رسلي فانه نصر لهم وهاهنا اشكال مشهور وهو ان تخلفه الوعيد
كذب غير جايز على الله تعالى وعن انس رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجز له ومن اوعده على عمل
عقابا فهو بالخيار وسيل ابو عمرو بن العلا رحمه الله تعالى ايجوز ان يعد الله على
عمل ثوابا ثم لا ينجز قال لا قال فاذا اوعد عقابا افلا بد ان ينجز فقال له من قبل
المعجز اتيت ان العرب كانت شرفها ان تفي بالوعد وان لا تفي بالوعيد قال

• • واني وان اوعدته او وعدته • لمخلف ايعادي ومنجز موعدي •

قالوا ولا يلزمه الكذب لان الكذب يكون في الماضي والخلف في المستقبل لان
فساده ظاهر لانه عدم المطابقة مطلقا بالاتفاق بل لان الوعيد مشروط معدة
مسلة معلمة من شيء اخر كعدم الاصرار او عدم التوبة او عدم العفو فيكون في قوة
الشرطية فلا يلزم خلفا وقيل ان الوعد والوعيد انشا لا يتصف به كما ذكره
علما الرسول في مثل قولهم الصبي يقاوم الاسد انه لانشا التعجب وفي قوله رب اني
وضعتها انثى لانشا الحصر وقال بعض المشايخ الوعد حق العبد والوعيد
حق الله والكريم قد يترك حقه ولا يسامح فيه وفي قواعد العراقي اختلف
في لزوم الوعد والوفاية الفقها فقال مالك لا يلزم وبه قضى عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه وقال سحنون يلزم اذا دخل في امر كقوله لاخر بع داري وانا اقرضك

درهم

وارم تشرى بها دارا تسكنها هذا ما قالوه برمتهم في هذه ولها تتمة لعل الدهر
يجز ميعادها والتقضي عن عهدته هو تفعل بالقاف والضاد المهملة منقوص
بمعنى الخروج والخلاص وبينه وبين ما قبله تجنيس والعهدة بضم العين
المهملة وهاء ساكنة يليها دال مهملة ضمان ما يتهدد العاقل في ذمته فيلزمه
واصل معناه الوثيقة فجعل المصنف رحمه الله اجابة سايله كما مر التزمه في ذمته
يلزمه اداؤه ففيه استعارة تصريحية وعند متعلق بما بعده من قوله بشرق
به صدر العدو واللعين بشرق من شرق بشرق كفرح يفرح من الشرق وهو
وقوف الشراب ونحوه في الحلق والغصة مثلثة لكن استعملها في غير المايعات
اكثر والمعروف اسناده للحلق الذي هو مجراه كقوله

• • لو يغير الما صدري شرق • كنت كالغصان بالما اعتصاري •

ويسند للانسان نفسه واما اسناده للصدر كما في عبارة المصنف رحمه الله
فغير معروف فكانه قصد به المبالغة في كثرته وعدم الخلاص منه لان الغصة
تكون سايغة لسعته فاذا كان الصدر نفسه شرقا لا يدفع وشرق هنا
بمعنى تالم واغتاظ كما في قول الاعشى

• • وتشرق بالقول الذي قد اذعته • كما شرقت صدر القناة من الدم •

وليس في قوله صدر القناة شاهد للمصنف رحمه الله وتعريف العدو جنسي
او استغراقي وهم اعدا الرسول صلى الله عليه وسلم ووصفه باللعين للذم
لا للتقييد اذ كل عدو له صلى الله عليه وسلم كافر مستحق للعنة واصله المطرد
مطلقا كما في قول الشماخ

• • ذعرت به القطا وبقيت عنه • مقام الذئب كالرجل اللعين •

ثم خص بالمطرود عن رحمة الله او للعهد والمراد به ابليس بقرينة اللعين
لانه مطوق باللعنة ليوم الدين وقيل يشرق بمعنى يضيق كضيق صدر من
شرق بريقه عند موته وفي المغني بضيق صدر حسدا او يشرق قلبه المؤمن
باليقين مضارع اشرق يشرق اذا اضا وهو لازم وجوز بعضهم تعديته
كما في قوله

• • ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها • شمس الضحى وابو اسحاق والقمر •

والباليه او سببيه كما في قوله تعالى واشرقت الارض بنور ربها والقلب
مشبه بما يقبل الاضاءة او بمشكاة واليقين مشبه بالنور كما يشبه به مطلق
العلم ويشبه الجهل بالظلمة ويجوز فتح يا يشرق لانه يقال شرقت الشمس واشرقت

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بمعنى والمعروف المزيد وان اثبت أهل اللغة ثلاثيته ايضا والاشراق صفة
الكواكب ونحوها وما يقع عليه الضوء عن الاجرام وتملؤا نوار الضمير المضاف
اليه للبيتين والاضافة له مع انه جعل قبله النور عين البيتين اما لانه من قبيل
لجين الماء اشارة الى ان الاضافة لا تخص القلب بل تفيض على ما حوله فتملؤ أو
المراد بالأنوار أنوار أخر حاصلة من ذلك النور ايضا كالهداية الى الحق ودفع
ودفع الشبه ونحو كان نور الشمس الذاتي يحصل منه انوار اخر تملؤ الكون والمراد
بكونها مالية له انها عامة شاملة له وهو استعارة مكنية مخيلة حيث شبهت
الانوار بالمياه النابضة من البحار واثبت لها الملء ويجوز عود الضمير للقلب جوانح
صدره جمع جانحة وهي الضلوع التي تلي الصدر تحت الترائب كالضلوع مما يلي
الظهر ولذا اضيفت للصدر واضافة الصدر لضمير القلب لما بينهما من الملابسة التامة
والقلب معروف وتفسيره بلطيفة مدركة مرتبطة بهيكل الانسان وقع لبعض
الصوفية وهو مخالف للغة ومراد المصنف رحمه الله فلا وجه له كما مر ويقدر
العاقل النبي صلى الله عليه وسلم حق قدره يقدر بزنة ينصر يعرف مقدار
ويتصور عظيم مقامه صلى الله عليه وسلم كما هو وقد فسر ابن عباس رضي الله عنهما
قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره بما عرفوه حق معرفته والعاقل
بعين مهملة وقاف وخ حواشي التلمساني انه بعين معجمة وقال والمراد انه يكون
سببا لتنبيه الغافل وقدرته وكلام يقبل انه رواية قلنا انه تحريف من الناسخ
ومن لبب اذا تنبه لما قاله المصنف رحمه الله واحاط به خبرا عرفا اجمالا لا تفصيلا لشانه
صلى الله عليه وسلم ولمعت من افق البيتين له بوارق برهانه وان لم يحط بجلته فانه لا تسعه
العقول ولا يحيط به نطاق البيان كما قال

• انما مثلوا صفاتك للنا • س كما مثل النجوم الماء •

ويقدر معطوف على يشرق ويتحرر الكلام فيه أي يتم ويجي محررا مهذبا في هذا
القسم وفيه متعلق بالكلام لانه مصدر او اسم مصدر او بجعل عمل فعله او حاله منه وقوله
في بابين متعلق بيتحرر الباب الاول يختص بالامور
الدينية اي الامور المتعلقة بما يجب ويجوز ويمتنع عليه بحسب الشرع والدين
وينشبث به القول في العصمة التشبث بمثناة فوقية وشين معجمة وباء موحدة
مشددة ومثلثة التعلق والتمسك بما فيه ضعف كقولهم الخريق ينشبث
بالحشيش اي النبات ويثير به لما فهم مما قبله اي بما ذكر او بما يختص الى آخره وجعله
لكونه مرتبطا به كانه متمسك به وفي التعبير به مع العصمة لطف لانها في الأصل

بمعنى

بمعنى الربط ثم صارت بمعنى المنع وخصت عرفا بمنع الله عبده عن جميع ما لا يرضاه
من الذنوب بحرف حفظ الله له أو بخلق الله له صفة نفسانية تمنعه عن ارتكابها
ولكونها يخلق الله لمن يختار تفضلا منه لا يلزم انه مبني على القول بالايجاب
وان الذنوب كسبية وهو ليس مذهب اهل السنة وتكون ايضا بمعنى صونه عن
اذية اعدائه بحيث لا يقدرون عليها كما في قوله والله يعصمك من الناس كما
سيأتي واذا وقع لبعض الاولياء نحو حفظ الاعصمة فلا ينال لغير الانبياء عليهم
الصلاة والسلام انه معصوم ولذا اختلف في الدعاء بالعصمة لغيرهم هل يجوز
أم لا والصحيح كما قاله ابن حجر في الزواجر انه يجوز لانه ورد في الادعية المأثورة
اللهم اعصمنا في الحركات والسكنات لكنه بمعنى مطلق الحفظ وسيأتي تحقيقه
وتعلق العصمة بما ذكر لفا ومبدوه ومنشاؤه وفيه اي في هذا الباب
ستة عشر فصلا الباب الثاني لأحواله الدنيوية اي الطارئة
عليه صلى الله عليه وسلم في الدنيا من جهة الاشباح لا من جهة الارواح ولذا قال
وما يجوز طروه عليه أي عروضه وحدوثه يقال طرا مهموز بزنة قعد طروا
كقعود وتبدل همزته واوا فتدغم في مثلها فيقال طر وكعلو وقد سمع ذلك كما في
كتب اللغة القاموس وغيره ولا فرق بينهما وان كان في كلام ابن القطاع ما يقتضيه
وفي المقتفى انه ضبط هنا بتشديد الواو واذا اسند الى الناس كان بمعنى القصد
ويقال طرا علينا فلان فلذا قال من الاعراض البشرية جمع عرض بفتحتين
وهو ما يعرض له من جهة ظاهرة سواء كان عرضا قارا أم لا والاطباء يحصونه بغير
القار فيقولون عرض ومرض ووصف الاعراض بالطروء والحدوث حقيقة ولو
فسر بالعدوم كان مجازا لكنه لا داعي له لما مر والبشرية المنسوبة للبشر فيها
اشارة الى الفاعير مختصة به وما يجوز احتراز عن الاعراض المنقصة التي لا تجوز
عليه فلا اطناب فيه كما توهم القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام من
معنى الحكم والوجوه جمع وجه له معان مجازية منها النوع والقسم يقال الكلام على
اربعة اوجه ونصرفها نحوها وتبدلها كتصريف الرياح وقيل تبينها وكونها بمعنى تنويعها وذكر الوجوه تجريد عند ولعل الجادة بلا فائدة والمراد بيان انواع
الاحكام المتعلقة بها وما يلزم من قالها على من تنقصه متعلق بيتصرف اي
بنسبة ما فيه نقص لجنابه صلى الله عليه وسلم المبرا عن النقائص او سبه السب
الشتم اي بيان حكم من سبه صلى الله عليه وسلم والفرق بينه وبين ما قبله ان الب
المجاهرة بالصفات الذميمة والتنقيص اعم منه فان من قال له يا محمد فقد نقصه

سيه

شبكة الألوكة www.alukah.net

سيد

سيد

ابن الحنبلي

وليس بشتم له وينبغي ان يخص بغير الشتم فليسا متساويين ولا بينهما عموم وخصوص حتى يرد عليه انه لا يصح العطف باو هنا او يتكلف فيقال لحكم العام غير حكم الخاص او يقال السب بمعنى اللعن وعلى متعلقة بيصرف او بالحكم وكونها بمعنى الى اي تحول وجه الاحكام اليه على انه استعارة تحسن من غير داع ويجوز كونها للجار والمجرور حالا وينقسم الكلام فيه في بابين ضمن ينقسم معنى يتحرر وتميم كما عبر به قبيله فمن قال معناه الى بابين او حال كونه فيهما الى امور فقد تكلف.

الباب الاول في بيان ما هو في حقه سب ونقص

النقص هنا اعم من السب او بمعناه كما مر فلذا عطف بالواو وليسا بمعنى كما قيل وقيل الواو وبمعنى او كما يفهم من كلامه الآتي من تعريض او نص المراد بالنص هنا الصريح وله معان اخر كلفظ القرآن ولفظ الحديث والدلالة على ما لا يحتمل اللفظ غيره والتعريض ما يفيد معنى يلوح له الكلام ويومي اليه كانه يوخذ من عرضه اي جانبه يقال نظر اليه بعرض وجهه وهو قسم من اقسام الكناية والمراد به هنا ما يقابل النص لو فوعه عديلا له وفيه كلام طويل في كتب المعاني والتفسير بيناه في حواشي البيضاوي الباب الثاني في حكم شانيه هو اسم فاعل مهموز الاخر من الشنان وهو البغض والعداوة ويجوز ابدال الهمزة يا وفتح نونه وتسكينها ومؤذيه هو الآتي بما فيه اذية له قولا او فعلا يقال اذاه يوذيه ايذاء واذا ولا عبرة بما في القاموس من انكار للايذا كما بيناه في كتابنا شفا الغليل ومنتقصه وفي نسخة صحيحة منتقصه بتقديم النون على المثناة الفوقية يقال انتقصه وتنقصه اذا اتى بما فيه نقص لكمال قدره من قول او فعل او ترك يقتضي ذلك وعقوبته عطف على حكم او على شانيه والضمير على كل واحد لتاويله بالمذكور او على احدهما لانه عين الاخر والعقوبة هو العفو ما يقع في مقابلة ذنب واما قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به فهو مشاكلة او بمعناه اللغوي وذكر استتابته مخطوف على حكم والمراد به ما يتعلق بتوبته من القبول وعدمه اثباتا او نفيا واصل معناه طلب التوبة وقيل الاستفعال للتحويل عن اصله الى غيره كقوله ان البغاة بارضنا يستسر اي يتحول من البغابة الى البشرية فالمراد به التحول الى التوبة بعد الكفر فتدبر والصلاة عليه اي الصلاة عليه على جنازة من ذكر بعد موته وورائته اي حكم ورائته نفيا واثباتا كما في ميراث المرتد وهل يورث هو من غيره اولا وتاخر الصلاة والوراثة عن الاستتابة في غاية الاستحكام لمعاد فتدبر محزه وفيه عشر فصول كذا في كثير من النسخ وهو سهو من

من قلم

سيد

عرضي

عرضي وابن الحنبلي

من قلم الناسخ والصواب كما في بعض النسخ خمسة فصول وهو الذي صححه مخلطاي والتميمي في حواشيه وهو الظاهر ولا يتاتى فيه ما مر في الزيادة كما قيل اذ لو كان زيادة لم يضر ضرر النقص فكان المصنف رحمه الله تعالى بيض له ولم يلحقه بعد افول هذا ما قالوه بومتهم وسياتي قريبا ما يرشدك الى الصواب فيه وختمناه اي جعلنا ختام هذا القسم لا الباب الثاني كما قيل او الضمير للكتاب بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسائل ووصله للبابين اللذين قبله اي لما ناسب هذا القسم جعله مكملا لما قبله من المسائل ومتصلا به بان عده بابا ثالثا من هذا القسم وان لم يكن منه والوصلة بضم الواو الاتصال وهو اسم مصدر بمعنى الفاعل ولولا ما قصده كان هذا خاتمة الكتاب او قسما خامسا في حكم من سب الله ورسله عليهم الصلاة والسلام مطلقا او غير نبينا صلى الله عليه وسلم وملائكته وكتبه وآل النبي عليه الصلاة والسلام وصحبه رضي الله تعالى عنهم اي في حكم من صدر منه سب لواحد من هولاء او للجميع او لغير بعين منهما مجتمعا ومنفردا او لا بنا فيه كون من الموصولة تفيد العموم حتى يتوهم انه بقي حكم من سب فردا من هولاء غير مذكور والعطف بالواو لا يقتضي انه في حكم من سب على سبيل الاجتماع مع ان المراد الاعم من ذلك كما لا يخفى ولا حاجة الى ان يقال الواو بمعنى او فان العموم يكفي لصحة امكان شموله سواء كان ذلك في الواقع اولا مع ان مثله انما يرتفق فيه اذا كان في كلام يستدل بلفظه كالقران والحديث اما في كلام المصنفين فلا مع ان تعريف الموصول كاللام فيجري فيه اقسامها فسقط ما في بعض الشروح هنا من التعسف واختتم الكلام فيه بالمبني للمجهول وفي بعض النسخ يختصر بالمضارع والاختصار تقليل اللفظ مع تكثير المعنى اي جعل الكلام منصفا بالاختصار فيما ذكر في خمسة فصول قيل الصواب في عشرة كما في بعض النسخ وهو المطابق للواقع واما كون الزيادة بدت له بعد بناء على تقدم الخطبة على التاليف او العدد لا مفهوم له فلا ينافي الزيادة فقد مر ما فيه وذلك ان تقول ان ضمير فيه ليس للباب الثالث حتى يرد عليه ما ذكر بل لما تقدم اجمالا والمعنى انه كان همم او يجعل الباب الثاني عشرة فصول فاختصر في خمسة واورد للخمسة الباقية بابا ثالثا فصارت فصول خمسة وهذا وان كان في غاية الخفا احسن من حمله على الخطا وهذا ما وعدنا ان نبه فان صادف محز القبول والا فاطرحه في زوايا الفضول ويكون هذا معنى قوله وبتمامها اي بتمام هذه الفصول المكملة لما قبلها بتحزب الكتاب تفعل من تحزيبهم وزاي حجة اي تنوقوا في فهمه مطاوع بحزقال ابن القطاع بحزت الحاجة واحزلقا فتحزبت ففيتها وقالوا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عرضي

بحرنا بالفتح والكسر اشهر وفي عينه انه بمعنى يحضر اويتم اوينقطع وفي المقنع
اخرت حاجتك قضيتها والكتاب حاجة للسائل موعود بها وهو مختلف في النسخ
ففي بعضها من الافتعال وفي بعضها من التفعل والكل بمعنى والمختار المزيد لانه
ابلغ وقيل ليفيد انه بفعله فيه في الملائكة اقوال لاهل اللغة فقيل جمع ملك بزنة
فعل شذوذا او قيل مفرده ملأل كشلال حذفت همزته بعد القاء حركتها على
ما قبلها ثم ردت للجمع فوزنه فعائل وهمزته زائدة وقيل ملاك على وزن مفعل
فيهما زائدة ووزن جمعه مفاعله وقيل مفرده مالك بقلب فوزن جمعه معافله
وقيل مفرده ملاكة كفعالة من لاكه يلوكه فحذفت عينه تخفيفا ووزنه
مفلة وملائكة وزنه مفاعلة ويقال فيه ملايك ايضا وتم الاقسام يعني الاربعة
المذكورة والابواب ويلوح في غرة الايمان لمعة منيرة يلوح بالحاء المهملة بمعنى
يبدو ويظهر والغرة في الاصل بياض في جبهة الفرس ويطلق على كل شئ وأوله
واللمعة بضم اللام من لمع الشئ يلمع لمعانا اذا اضاء وجمعه لمع ولماع كبرمة وبرام
واللمعة ايضا البقعة فيها كلا والقطعة من النبت اذا يبست فابيضت وموضع لا يصيب
ما الغسل ذكره الصغاني وعليه استعمال الفقهاء واما اللمعة بالفتح فمصدر لمع والرواية
والرواية هنا على الضم ومنيرة من انار ويكون لازما ومتعديا اي ذات نور ويكون
بمعنى بين واضح ومبين ومظهر والمراد انه اذا تم ما في كتابه وانتقش في صحائف
الاذهان ازداد نور الايمان لان الايمان بالله ورسله عليهم الصلاة والسلام
اذا اقرن بتعظيم هذا النبي الكريم ومحبته والعلم بما تودي اليه مخالفته من النكال
اوصل صاحبه الى علليين اذا عرفت هذا فيلوح ان قرئ بالمثناة الفوقية ففاعل
لمعة وان كانت بالتحتية ففاعله ضمير ما ذكر ولمعة الموصوف تمييز او حال وغرة
الايمان اشرفه واظهره فاضافته حقيقية او هو كلجين الماء لانه به يتم صاحبه
وتظهر سعادته في الدارين او يظهر انه جواد سابق في حلبة السابقين الاولين
ففيه استعارة مكنية وتخييلية وعلى الرفع فيه تجريد كقوله •
وفي الرحمن للضعفا كافي • واللمعة هي الغرة او غرة الايمان بمعنى ظاهره وعلاه
على انه استعارة مصرحة وجعل ما ذكر فيه لمعة فيه اي نورا لا يخا عليه لائقة
زيادة في ايمانه واشار بانه لمعة الى انه من جنسه لا يكاد يتميز عنه وان كان البياض
يقبل الزيادة حتى يتميز بعضه عن بعض بشدة بياضه ولذا وصفه بالاشارة فان
فهمت فهو نور على نور وفي بعض الشروح انه شبه الايمان بفرس يخص صاحبه من المهالك
والامر محمود في جنسه ففيه استعارة مكنية واثبات الغرة تخييل او شبه كتابه

هذا لمعة منيرة في غرة فرس على نهج الاستعارة المصرحة وكنى بغير الايمان
عن الكتب المؤلفة في شانه صلى الله عليه وسلم وكنى باللمعة عن كتابه وان له من بينها
شانا لجمعه ما تفرق فيها وفاعل تلوح لمعة لا ضمير الكتاب كما توهم او الغرة و
مطلق البياض والايمان التصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم واضافته من
اضافة الصفة لموصوفها اي في الدين التي يلوح لمعة منيرة واللمعة كتابه فكانه
زاد بياض الدين ونوره وتنكير لمعة للتعظيم او للتقليل بالنسبة لشرف مقامه
والاول اولى ولا يلزم من كون كتابه منيرا سلب النور عن غيره من الكتب حتى يكون
دعوى غاية ان لدر زيادة عليها واعترض على المصنف رحمه الله تعالى بجعله اللمعة
في الغرة بانها لا تظهر فيها فكانه عليه ان يقول يلوح في جبهة الايمان غرة وبما قررناه
علم ان هذا ليس محل عن المرام وانه غني عن الرد ولك ان تقول اللمعة هنا جزء من الغرة
لا امر زايد عليها والمعنى ان الايمان كالغرة المميزة لصاحبها لان هذه الامة غر
محجلون ويعني ان هذا الكتاب شعبة من شعبه وهذا احسن واوضح مما
قالوه وقوله وفي تاج التراجم من خطبة اي عبارة الدالة عليه لاستلزامها لاظهار
الايمان والاقرار به بمنزلة تاج على راس عظيم لدلالتها على رفعة قدره وما يدل
منها على هذه المعاني كدر منظم هذا التاج ومناسبة الغرة للتاج والدرة ظاهر
فهو على هذا خبر مبتدا فتدبر عبارته او هي درة على الاستخدام لان ما تقدم معان
وهذه الفاظ وكونها قرينة ظاهر وفيه استعارة مكنية لتشبيه العارف بها
بذي سلطان واثبت له ما هو من لوازمه والتراجم جمع ترجم بمعنى العبارة في كلام
كثير كقوله في ادب الكاتب ترجمة تروق بلا معنى وقد مر انه معرب وفي شرح
ادب الكاتب انه عربي وهي تفعله من الرجم يقال رجمت اذا ظننت قال تعالى رجما
بالغيب قال • ما كان من غيب ورجم ظنون • فكان الترجمان الذي يصيب بظنه
معنى كلام المتكلم بلسانين ويقال ترجمان وتراجمان وفي النهاية تراجم جمع ترجمان
بفتح التاء وضمها وهو المترجم وفيه نظر وخطيرة بخا معجمة وطاء مهملتين بمعنى ذات
قدر عظيم وقيل التراجم ما الف في معناه كدلائل النبوة لترجمتها عن نعوت النبوة
وجوز بعضهم ان يراد بالتراجم العلماء بنا على انه جمع ترجمان وهو بعيد جدا ولما ذكر
ان كتابه من الانوار الربانية اردفه بجعله من بين نظائره كدرة باعها اما على انه
شبه التراجم اي الكتب بالملوك للانقياد لها والعمل بما يقتضيه وشبه كتب السير بناتها
الذي به جرها وكتابه بدرة نفيسة فيه تشبيها بليغا او استعارة تمثيلية او مكنية
تخييلية مرشحة او تاج التراجم كلجين الماء وفيه اشارة الى ان كتب المتقدمين في غنى عنه

ابن الحنبلي

شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي تاج معطوف على قوله في غرة فهو متعلق بتلوح **تزيح كل لبس** تزيل كترتيل
وزنا ومعنى والضمير المستتر فيه راجع لما يرجع له ضمير يلوح وهو جملة الاقسام
والابواب ويجوز رجوعه للمعة وهو اولى من رجوعه لدرة لان التهابها
ظلمة اللبس وان رجحوه لقربه وعدم العاطف ومثل هذه الجمل بعد النكرات المتبادر
انها صفات وان جاز ان تكون استينافية واما كونها حالا فبعيد واللبس في الاصل
الخلط او الاختلاط قال تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل فالمراد الاشتباه
او الشبهة يعني ان كتابه يزيل الاشتباه في احواله صلى الله عليه وسلم او في
الدين في الجملة وقيل اللبس هنا بضم اللام الشبهة **ويوضح كل ثخين وحدس** لفظ
عدس سقط من بعض النسخ ووقع في بعضها على انه قافيه فهو قفرة مستقلة
وفي المعنى انه سقط من نسخة المصنف فتحتين قافيه مع ما بعدها على نمط واحد
وله وجه التخين والحدس متقاربان وهما الاعتقاد بمجرد الظن والتوهم وعند
اهل الميزان الحدسيات امور يحكم فيها العقل بما يلوح للنفس من الامارات الدالة على الحكم
بان القمر يستفيد الضوء من الشمس بواسطة بشكلات نون بحسب قربه وبعده
منها فالمراد هنا ان كتابه هذا يوضح الامور المتوهمة بحيث يشرق عليها انوار
اليقين فيضمحل التخمين ويطلق الحدس ايضا على سرعة الانتقال من المبادي
للمطالب والمراد الاول لانه حقيقة لغة **ويشف صدور قوم مومنين** م
مناسبة هذا للكتاب وللمعنى المقصود في الاية ظاهر لان المراد انه يشفيهم
من مرض الجهل والشبه والغيظ حيث حكم بقتل العدو كما حكم منا بقتل الشاب
الا انه وقع هنا في نسخة يشف بدون يا في اخره لانه مجزوم وفي النظم الكريم
وفي نسخة بيا في اخره لانه مستانف مرفوع في كلام المصنف رحمه الله اذ لم يتقدم
ما يقتضي الجزم قالوا وهو صحيح هكذا في بعض المشايخ لمخلطاي والنسخة
الاولى لا وجه لها هنا الا قصد حكاية التلاوة والاقتباس واورد عليه
انه جعله في كلامه ولا موجب للحذف فيه وكيف تقصد التلاوة والضمير في
الاية لله لا للدرة واللمعة حتى يرد عليه انه ينبغي ان تكون العبارة تشفي
بالتانيث لان فاعله ضمير المونث ويعتذر عنه بانه عائد عليها باعتبار كونها
كناية عن الكتاب كما قيل فانه تكلفات في غنى عنه بما سمعته آنفا والاية
قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم
مومنين وهو مجزوم فيها في جواب امر غير مذكور ولا مقدر في كلام المصنف
رحمه الله تعالى ولا يخفى ان الحكاية مسوغة لما ذكروا والمقتبس قد يبقى بلفظه وقد

يتغير كما في قول ابن الرومي • فقد انزلت جاجاني • بواد غير ذي زرع • فان المراد في
القران واد لا نبات فيه وفي الشعر رجل لا خير فيه كما ان المراد في النظم بالتوهم بنو
خزاعة وهنا مطلق المومنين والمراد انه يشف صدورهم بما يقنعون عليه من صفات
صلى الله عليه وسلم لا يمانه حتى يقال ان المومنين قلوبهم مشفية ويجاب
بان الايمان يقبل الزيادة وزيادة الشفا شفا فانه كلام ناش من سوالهم وقد
اختلفوا في جواز الاقتباس فاجازه بعضهم مطلقا ومنعه اخرون مطلقا
وفصل بعضهم فقال الحق جوازه ولو مع تغيير لفظه اذا لم يقصد التلاوة
ولم ينقل الى معنى سخيف من هزل ونحو فان فيه تلاعبا بالقران لا يجوز ولذا
نقل عن الامام مالك رحمه الله انه لا يجوز التفاول من المصحف وما وقع في
فتاوى الصوفية من ان عليا كرم الله وجهه فعله لا اصل له وفي كتب فقه
الشافعية جواز ذلك مع الكراهة **ويصدع بالحق** اي يجهر بما يدل على الحق وهو
الامر الثابت في حقه صلى الله عليه وسلم وقال ابن عرفة رحمه الله تعالى في قوله
فاصدع بما تومر اي فرق بين الحق والباطل يقال تصدع القوم اذا تفرقوا اي
يظهر به او يفصل او يحكم وياتي الكلام على هذه الاية عند ذكر المصنف لها وما
قيل انه يحتمل مشتق بالحق اي يظهر من خلال تراكيبه تعسف لا داعي له وقيل
المراد بالحق هنا القران لما فيه من كثير من ايا ته وقد جا الحق مرادا به القران في الايات
وهو تكلف ايضا وهو في الاصل استعارة من صدع الانا اذا شقه وقيل المراد بشق
القلوب بما فيه من الادلة القاطعة والبراهين الساطعة **ويعرض عن الجاهلين**
بحقوق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والغافلين عن عمل قدم واعراض الكتاب
استعارة لعدم التفاته لاقوا طهر ذكرا وردا لمنكر الحشر ونحوه فلا يعبوا بهم
فانه انما صنف كتابه للمومنين او المراد عدم انتفاعهم به فانهم كتبت عليهم الشقا
والسامع للحق اما مومن يستشفي به صدره ويزداد ايقانا او كافر له عقل سليم
يرجى قبوله للحق او ذو غباوة مفرطة او معاند فاشار الى الاول بقوله يشفي
والى الثاني بقوله يصدع والى الاخيرة بقوله يعرض الى اخره وهذا لا يلاحظه المصنف
رحمه الله تعالى في كلامه لان كتابه انما صنفه للمومنين كما صرح به وقد يراد في
بعض الاقسام من بعض اضافيهم في بعض الصفات **وبالله سبحانه لا إله سواه استعين**
في النسخ هنا اختلاف ففي بعضها يدل سبحانه وتعالى وفي بعضها اسقاطهما
وفي بعضها لا إله إلا الله الحق المبين وليس فيه اختلاف معنى والتسبيح
التنزيه عما لا يليق وسبحان مصدر سبح والكلام عليه ليس هذا محله طلب

ابن الحنبلي

سيد

عرضي

شبكة الألوكة www.alukah.net

المعونة من الله على ما قصده من التأليف والانتفاع به وسبحه لان السائل ينبغي له
يقدم الحمد والتعظيم قبل الطلب كما وقع في الفاتحة فنزهه ان يخيب قاصده ولذا قال
لا اله سواه اي لا معبود ولا مقصود في المهمات سواه والجملتان معترضتان بين استعن
ومعموله المقدم للاهتمام وافادة الحصر لان الاستعانة الحقيقية لا تكون الا
من الله وغيره وسائط ولذا استشكل حصر الاستعانة في اياك نستعين مع
الاستعانة باسمه في بسم الله على احد الوجوه واجيب بان طلب المعونة لا يكون الا
من الله واما معونة الشفاعة والتوسل فيكون من غيره كانبيائه ورسله كما
ذكره شراح الكشاف والمعونة اما ضرورية يتوقف عليها الفعل كالالة او مسهلة
كالراحلة للقادر على المشي كما فصله القاضي في تفسيره واياك نستعين قيل وعلى
نسخة بالله لا سواه اشكال لان التقديم يفيد الحصر والعطف بلا يفيده ايضا
ولذا منع اهل المعاني العطف به بعد الحصر كما في عبارة المصنف وقالوا انه غير صحيح
عندهم ثم اجاب بان الذي منعوه بعد ما والا فلا يقال ما قام الا زيد لا عمرو
واما بعد حصر التقديم ونحوه فلم يقف عليه فيجوز ان يفرق بينهما مع افادته
الحصر وقصده غير متعين الى اخره ما قرره فلا طائل فيه اقول هذا عجيب
منه فان هذه المسالة ذكرها عبد القاهر والسكاكي ووقع في كلام الزمخشري في
مواضع ما يخالفه كقوله في سورة آل عمران ما مني الاشهوات لا غير وذكر شراحه
كلهم ان هذا لم يقم عليه دليل عند العلامة والخلاف انما هو بعد ما والا والنفي الصريح
لا في غيره فالجواب والسؤال ساقط وقد تكلمنا عليه في الشواهد ثم انه شرع في المقصود
فقال القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى اسما الكتب والفاظ التراجم
فيها الختمالات مشهورة اقربها ان المراد بها الالفاظ والمعروف الظروف
وقوالب للمعاني فاذا عكس كما هنا فهو بتقدير مضاف اي في بيان تعظيم الى آخره
والبيان يكون بهذا اللفظ وغيره فهو من ظرفية الخاص في العام لدخوله فيه وشموله
له فشبه احد الشمولين بالاخر وعلى المشهور المعنى لما يحيل او لا واتى له بلفظ نقدين
كان كالمظروف المفصود الذي يوتى له سطوف مناسب او هو كاللباس كما فصلوه وقيل
في بمعنى اللام والمراد بكونه فيه انه مقصود منه فلا يناقي ذكر غيره بطريق التبعية
والعلي هو العالي شانه في نفسه والاعلى عما عداه فالاول بالنظر لذاته فلذا قدم
والثاني بالنظر لغيره وليس للتفضيل على معنى فانه لا يشاركه ولا يدانيه شيء
ولذا تعدى بعن فقال تعالى عما يقول الظالمون لبعده عن مخلوقاته ولذا قال
سبح اسم ربك الاعلى فان قلت لما نزلت هذه الاية قال اجعلوها في سجودكم

ولما نزل

سيد

عرضي

ولما نزل فسبح باسم ربك العظيم قال اجعلوها في ركوعكم فما وجده قلت
هو الهام والقاء الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحي وقد فهم من الموحى به
لان تنزيه الخالق المنعم عن مشاركة مخلوقاته في علو وتعظيم يكون قولا واعتقادا
وفعلا ومشاركة القول للاعتقاد والفعل بالتلبس بما يدل عليه واظهر وضع
اشرف اعضائه في تراب الذل الذي ينبت العز وكل مكان ينبت العز طيب
فلذا كان العبد اقرب ما يكون من ربه وهو ساجد وكان دعاؤه مستجابا
ولما كثر تعظيم العظما بالانحناء قائما امر بان يقول سبحان ربي العظيم في
الركوع ومن هنا يفهم ذكر وجه الاسم والرب وفي تعبير المصنف رحمه الله من البلاغة
ما عرفته فان تعظيم العظيم اعظم والعلو في المكان فعله علا يعلو كدعا يدعو وفي
الرتبة يعلى كرضي يرضى لقد رالنبي المصطفى صلى الله عليه وسلم وتقدم معنا
قولا وفعلا وفي نسخة لقدر المصطفى وهو متعلق معنى بتعظيم واللام
للتقوية وفي تعظيم قدره اي ربنه تعظيم ابلغ من تعظيم ذاته والمراد بالله
ما ورد في القران والكتب السماوية والاحاديث القدسية وبالفعل ما خصه
به من التاييد ورفع ذكره ودينه ونسخ شريعته لما عداها واكرامه صلى الله
عليه وسلم بالمعجزات وغيرها والاوجه لتخصيص الاول بالقولي والثاني بالمعجزات
الا ان يكون قد اقتصر على اعظم ما عظم به فليس بسهو كما قيل قال القاضي الاما
ابو الفضل هو عياض ابن موسى اليحصبي بفتح السين نسبة لسبتة بلدة بالغرب
لان كان بها قاضيا كما مر ولذا اشتهر بالقاضي الحصبي كالحركات الثلاث في الصاد
كما مر وهي قبيلة من العرب وقد قدمنا ترجمته وقد افرد ها بعض اهل العصر بجزء سماه
زهر الرياض في محاسن عياض وما وقع في النسخ من قوله الامام من تلامذته
الناسخ لانه لا يمدح نفسه كما تقدم لا اخفا على من مارس شيئا من العلم اي ليس
شيء من الخفاء والاستتار عند من له علم ومارس بمعنى عالج ولازم من الممارسة وهي
وضع الحيل في البكرة للمشي ويقال مرسى الشيء اذا مرسه كما في افعال ابن القوطية
ثم شاع في كل ملابسة مع المزاولة والملازمة وشبه المراد به شيء قليل او شيء
تعتد به والاول ابلغ والثاني انسب بالممارسة ونفي الامر والمراد بالعلم
المعلومات او الوصول والقواعد مطلقا او الشرع منها وليس المراد به الملكة
ولا الصورة الذهنية والشيء كما يصح ان يعلم ويجبر عنه والوجود في الخارج ويصح
ابقاؤه على عمومه كما يقال فلان ليس بشيء اي ليس مما يصدق عليه لفظ شيء ولا مانع
منه كما قيل او خص بادني لمحة خص بضم الخاء على صيغة المجهول الماضي بمعناه

عرضي

شبكة الألوكة www.alukah.net

الأصلي من التخصيص وقيل انه بمعنى فضل اى صار ذا فضل ان لم يكن التخصيص اضافيا
والمقام يابى ذلك لان المراد ان الله خصه بشئ قليل من الغهردون ان يعطيه شدة فهم
وذكاء فان ما ذكر اذا لم يخف على مثله لم يخف على احد غيره والواو على اصلها لاحد الشيئين
اى لا يخفى على مثل هذين ولا حاجة الى جعلها بمعنى الواو والغهر تصور المعنى
من اللغط او سرعة الانتقال ويجوز ان يكون او بمعنى بل كما فى قول جرير كانوا ثمانين
اوزاد وا ثمانية لولا رجاوك قد قتلت اولادى فهى للترقى ممن عنده علم الى من لا ادرى
فهم وادنى يكون بمعنى اصغر مقابل الاكبر وبمعنى اقل مقابل الاكثر وبمعنى الخس
وارذل مقابل اشرف كما فى قوله تعالى اتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير
والكل من دامة دنى وقيل الاخيرة مقلوب ادون من الدون وهو الردى اى
اردى ولمحة بفتح اللام من اللمح وهو كما فى القاموس اختلاس النظر وسرعته فلذا
كنى بها عن القلة كقوله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر وقال التلمسانى
اللمحة بالضم قليل النظر وبالفتح المسرة وقيل فان صح الضم هنا فالمراد بالادنى الاقل
وبالفهم القليل وهذا بطريق الكمية والاول بطريق الكيفية ومن فى قوله
من فهم ان كانت بيانية فهو استعارة بجعل ما للبصر للبصيرة ويويده انه وقع
فى نسخة بادنى لحظة واللحظ النظر بمؤخر العين وان كانت ابتدائيه اى لمحة
ناشئة من فهم فهو يجوز فيه ان يكون باقيا على حقيقته وفى نسخة من الفهم
معرفا بتعظيم الله قدر نبينا اى مرتبته وشرفه صلى الله عليه وسلم والباء
قيل الفا للملابسة وقيل بمعنى فى وقيل بمعنى من اى من جهته وقيل
الفاسببيه وهل هو مستقر او لغو فى متعلقه احتمالات وجوه اشار اليها
الشراح وعلى كل حال لم يأتوا بما يثلج الصدر والظاهر ان مراد المصنف رحمه الله
تعالى انه لا خفاء فى تعظيم صلى الله عليه وسلم عند من له ادنى بصيرة وحينئذ
فخفاء اسم لا وقوله على الى آخره متعلق به لانه يتعدى بعلى يقال خفى عليه
كذا فهو حينئذ منون لشبهه بالمضاف بتعلق الجار ويجوز بناؤه على الفتح على
لغة حكاها نحاة بغداد وقد روى قوله صلى الله عليه وسلم لا مانع لما اعطيت
بلا تنوين فقال المحقق الحفيد رحمه الله تعالى جمهور النحاة على وجوب التنوين
فى مثله لجعل الظرف معمولا له فيكون شبيها بالمضاف واما جعله معمولا لقدر على
انه خبر لا فلا يناسب المعنى اذ المقصود كونه للاسم لا للخبر كما لا يخفى لكن بعض
النحاة جوز ترك التنوين وكذا جوزه الزمخشرى وتبعه القاضى فى قوله لا تثريب
عليكم اليوم الى انه منعه فى قوله لا غالب لكم اليوم فكانه مال الى المذهبين فى الموضعين

انهما فان قلنا على متعلقه بخفا على الوجهين فقوله بتعظيم الى آخره خبر لا والباء
بمعنى فى او الملابسة او بمعنى من والظرف مستقر فان قلنا انه لغو فالباء متعلقة
بعلم او بفهم لان العلم قد يتعدى بالباء وقد ربا لنصب متعلق بتعظيم وخصوصه
اياه اى تخصيصه بنبينا الكريم صلى الله عليه وسلم من بين سائر الناس فالخصوص
بمعنى التخصيص لا بمعنى التفضل كما توهم فانه عدول عن الظاهر بغير داع وهو
مصدر مضاف للفاعل وهو ضمير الله والضمير المنفصل للنبى صلى الله عليه وسلم
وهو مفعوله بفضائل ومحاسن ومناقب كلها مجرورة بالفتح لمنع الصرف
والجار والمجرور متعلق بخصوص والمراد ما اعطاه الله له من الكمال النفسى والقدسى
خلقا وخلقا وصورة وسيرة من الامور الدينية والدنيوية التى لا يدانيه فيها
احد وهذه عبارات متقاربة معنى متغايرة مفهوما وقد تفسر بمعان متغايرة
متباينة فيقال المراد بالفضائل ما تفرد به من العلم والعمل وبالمحاسن ما يتعلق
بذاته الكريمة وبالمناقب ما يفتخر به من عموم رسالته صلى الله عليه وسلم وسيادته
وشفاعته فى المحشر كما هو مقتضى العطف وافضل الفضائل جمع فضيلة وقد
يخص بما لا يتوقف تحققه على لقدرى ائم ويقابله الفواضل كما مر والمحاسن
الحسن فى الصور جمع حسن على خلاف القياس او جمع محسن وهو الموضع الحسن من
البدن كما فى القاموس والمناقب ما يفتخر به كما مر وضده المثالب وحاول بعضهم
اثبات تغايرها بما لا تساعده اللغة عليه وبانى فى الحديث انا سيد ولد آدم ولا فخر
اى انا لا افتخر به كعادة الناس وان كان لا فخر اعظم من فخره وقوله ولا فخر
احتراس وتكميل وهو يكون فى الاول والآخر والوسط خلافا لمن خصه بالاخيرين
فالاول كقوله

• • • • فسقى ديارك غير مفسدها • صوب الحيا وديمة تهمى •

فان الدعا بالسلامة اولا احتراس ولا بينا فيه قوله لا زال كما صرح به بعض الادبا
وان غفل عنه من فضل بيت طرفة ولا تنضبط الزحام فتضبط بالتاء الفوقية
ويجوز بالتحتية على ان الضمير للفضائل وما معها او للمذكور واصل الضبط
الحفظ بالامساك بيد ونحوها واما كونها بمعنى الاحصاء والحصر ومعنى الضابط
للقضية الكلية وقيل بينهما فرق عرفى فلم يرد فى اللغة واما استعمله المصنفون
والمولدون كان الكلى لجميع افراده حافظ لها وممسك وللتحوز وجه اى ما ذكر
لا يمكن احصاؤه وتفصيله وبزمام روى بالباء واللام كما قاله التلمسانى والاول
اظهر والثانى اشهر فان با التبيية ولام التعليل متقاربان معنى والزمام بكسر

شبكة الألوكة www.alukah.net

الزاي المعجمة مايزهد به اي يشد النعل والثاقة ولا تختص بالثانى كما فى القاموس
وفى كلامه هنا استعارة تصريحية او تمثيلية فالقول بانه لا استعارة فيه وان
فسر بمطلق الشد لا وجه له وانما هو كما قيل فى المثل كثرة الشد تورخى فافهم واما
جعله استعارة مكنية بتشبيه الفضائل بناقة قوية تغلب صاحبها فتركيك
جدا او تنويهه من عظيم قدره يقال نوهت باسمه اذا رفعت ذكره واشعت
تعظيمه قال تعالى ورفعنا لك ذكرك وفى حديث عمر رضى الله تعالى عنه
انا اول من نوه بالعرب اي رفع ذكرهم بالديوان والاعطاء وهو مجرور بالعطف
على التعظيم او الخصوص وعظيم قدره بمعنى قدره العظيم وفى نسخة
لعظيم قدره باللام والمشهور بين المبينة لمقدر يفسر قوله بما تكلمه الالسنة
والاقلام او له بنا على جواز تقديم البيان على المبين كما ذهب اليه بعض النحاة فلا
وجه لرده بمنع تقدير ما فى خبر الصلة عليها لانه على هذا متعلق بمقدر او حال
من الموصول وقيل من بمعنى اللام او زائدة وبما متعلق بتنويه وما عيانة من امور
او وجوم وتكل بمعنى تعنى وتتعب الالسنة والاقلام عن احصائها او على تشبيه
الالسنة والاقلام مناسبة تامة فانهم قالوا القلم احد اللسانين فيشبه احدهما
بالاخر ويبنى له كما قيل

• والسنة الاقلام تشكره بما • صنيع الذى اوليت فى اليد والغمر •

يلتفت الى من قال انه لا يبنى منه فعل وقال بعض اهل اللغة الثنا يكون فى الخير
والشر والثنا لا يكون الا فى الذكر الجميل والقول الحق هو الاول انتهى فالصحيح
ان الثنا مخصوص بالمدح والثناء عام فيه وفى مقابلة وليس مخصوصا باللسان
كما مر فثنا الله حقيقى ولا دخل للاصطلاح فيه كما توهم فهو اظهار الصفات الكمالية
مطلقا والله تعالى لما مهد بساط الوجود ومد مائدة الجود فى ساحة الامكان
كشف كمال صفاته واظهر نعم مبدعاته والاخلاق جمع خلق بضمتين وبضم
فسكون الطبع والسجية التى فطر الله عليها والاداب بالمد جمع ادب والادب فى اللغة
كما قاله البطليوسى اد بان ادب نفس واد ب درس ويقال ادب خبرة واد ب عشرة كما
قيل

• ياسائلى عن ادب الخبره • احسن منه ادب العشره •

وقال الجواليقى فى شرح ادب الكاتب الادب الذى كانت العرب تعرفه هو ما يحسن
من الاخلاق وفعل المكارم كترك التسفه وبذل المجهود وحسن اللقاء قال الغنوى

لم يمنع الناس منى ما اردت ولا • اعطيهم ما اراد واحسن ذا ادبا •

كانه

سيد

عرضي

عرضي

سيد

عرضي

كانه ينكر على نفسه او يعطيه الناس ولا يعطيهم واصطلح الناس بعد الاسلام
بمدة طويلة على ان يسموا العالم بالنحو والتفرد باو يسموا هذه العلوم ادبا وهو
من كلام المولدين واشتقاقه من الادب وهو العجب او من الادب مصدر ادب القوم
اذا دعاهم قال طرفة

• نحن فى المشتاة ندعو الجفلا • لا ترى الادب منا ينتقر •

فكانه يتعجب منه لحسنه او من صاحبه لفضله اذ يدعو الناس الى المحامد والفضل
وينهاهم عن القبائح والجهل والخلل منه اديب فانا اديب انتهى فالادب هنا بمعناه
اللغوى وهو اجتماع خصال الخير والفقها يطلقونه على ما يقرب من السنن فى العادة
وفى بعض الشروح الادب حسن التناول والاخذ وحض العباد على التزامه
الحض بحاء مهملة وضاد معجمة والحث بمثلثة الطلب الشديد السريع والالتزام افتعل
من اللزوم فهو بمعنى الالزام التبليغ ويكون بمعنى المعانقة وهو مجاز عن اللزوم
ايضا او كناية متفرعة على المجاز وعلى كل حال فالمراد به عدم المفارقة لما كان عليه
من الاخلاق والاداب كما قال تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة
فانه صلى الله عليه وسلم كانت له طاعات ومحاسن فامرنا باتباعه فيها وامرهم
الله تعالى ايضا بذلك بقوله وما اتاكم الرسول فخذوه وفيه اشارة الى
انها على قسمين قسم امرنا باتباعه وقسم لم يؤمر به كالامور الجبلية والخصائص
النبوية وله اوصف الاسوة بحسنة وان كان كل ما هو عليه حسن قيل والمراد
به ما كان فرضا ونفلا فان التزم فنحن نلتزم فعله وفرضيته وان التزمه
نفلا فنحن نلتزمه ونلتزم كونه نفلا والحاصل انا نلتزم ما التزمه على
الوجه الذى التزمه اذ المرجع به كما يعلم من مقابله وهذا كلام حسن الا انه
ينبو عنه قوله وتقليد ايجابه لمنافاة الايجاب للنفلية ولك ان تقول انما
عنى المصنف رحمه الله تعالى انما امرنا باتباعه فيه على قسمين مستحب
اشار اليه بقوله لحض العباد على التزامه فان الطلب يكون ايجابيا وغير ايجابى
كما بين فى الاصول واجبا شار اليه بقوله تقليد ايجابه فليس هذا تاكيدا
لما قبله كما قيل وحمل الفقرتين على الايجاب يخل بالاداب والتقليد وضع
القلادة فى الجيد استعير للالتزام استعارة تصريحية اصلية لا تبعية ويجوز
جعله مجازا مرسلا والتقليد والايجاب مصدران مضافان للمفعول ويجوز فى
الثانى ان يكون مضافا للفاعل وما قيل من ان الثانى اخص من الاول والايجاب
ليس بمعناه الحقيقى بل هو مبالغة فى الاحتراز عن تركه او مجاز عن الاتيان من اوجب

اذا آتى بالوجيهة والضمير ان لما صرح به او للنبى صلى الله عليه وسلم اى ما خصه
به على التراامر تعسف لا ينبغى ان يصدر عن مثله **فكان جل جلاله** الجلال
العظمة وفى جعل الجلال جليلا مبالغة فى تعظيمه كما حققه الامام المرزوقى
فى جدجده وقال الاصمعى الجلال لا يوصف به غير الله لغة وقيل انه قد يوصف
به غيره كقول الحماسى

• • • • • الم على ارض تقادم عهدها • بالجزع واستلب الزمان جد الها •

ويجوز ان يكون المعنى جلت عظمته عن ان يساويها عظمة غيره مما يسمى عظمة
عند الناس فالاسناد حقيقى فان اريد جلت ذاته من جهة كبريائها فالاسناد مجازى
لجدجدة والتفريع على ما قبله على ما اعطاه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم والثنا
عليه واعلا مقامه فانه يدل على انه **هو الذى نفضل واولى** ايا نعم واعطى
افضل رسله عطايا جزيلة جليلة بان خلقه اعظم الناس حسبا ونسبا وجعله
اشرف الرسل واكثرهم امة وهذا ناظر لقوله تعظيم قدره واولى بمعنى اعطى
وفى النهاية انه العطاء من غير مكافاة فعلى الاول هو عطف تفسيرى وعلى
الثانى من عطف الخاص على العام **ثم طهره وزكى** الطهارة الحسية معلومة والمعنى
نظافة الظاهر والباطن من الاوصاف الذميمة والاخلاق الرديئة وزكى يكون
بمعنى طهر وبمعنى نمى ويجوز ارادة كل منهما فالمعنى انه طهره وزاد طهارته وهذا
ناظر لاخلاقه واداب صلى الله عليه وسلم والعطف للتراخى الزمانى او الرتبى
لما بين التخلية والتحلية من البعد وليست هذه التخلية موخرة على ما فسرناه **ثم**
مدح واثنى على رسوله صلى الله عليه وسلم فى مواضع كثيرة من القران كقوله
وانك لعلى خلق عظيم ونحو مما يانى وهذا ناظر لقوله واثنى الى اخره والمدح
الثنا بكل جميل اختياريا كان اولا ولذا اختار واما كونه للاشعار باختصاص
الحمد بالله فبعيد جدا والكلام على الثنا قد مر وقيل المراد بالتفضل هنا
التفضل علينا بهذا النبى الكريم والرسول العظيم الذى هو نعمة ورحمة والتطهير
تطهيرنا من الشرك والاثام والثنا علينا بكنتم خير امة ونحن وهو لا يناسب
السياق والسياق **ثم اثاب عليه الجزا الاوفى** اثاب بمعنى اعطا الثواب
وهو الجزا فاما ان تجريدا واثاب بمعنى اعطا والجزا مفعول مطلق من غير لفظه
كجلست قعودا فلا حاجة اليه مع الاوفى وهو يتعدى لمفعولين فالاول مقدر
اى اثابه وعليه ضمير راجع لما تفضل عليه والوافى بمعنى التام والاوفى افعل
تفضيل منه **فله الفضل عودا وبدا** اى اولا واخرا والبدا والابتدا والعود الرجوع

الرجوع والابتدا يقابل بالانتها ويقابل بالعود ايضا ومنه المبدى المعيد والغفر
الانعام والاحسان مطلقا او من غير مقابل وهما مصدوبان على الظرفية وقيل على
نزع الخافض اى انه تعالى ابتدا بانعامه على نبيه صلى الله عليه وسلم بان
خلقه على اتم خلقه واكملها ثم زكاه وطهره ظاهرا وباطنا ثم عاد على
احسانه فتممه وزاده الثنا الجميل والثواب الجزيل ولو لم ينبه لانه اوجده
واقدره تفضلا منه كان ذلك له وقيل المراد بالبدء الخلق والايجاد والعود
الجزا والمعاد كقوله انه هو يبدئ ويعيد والسياق ياباه لتفرعه على ما قبله
بالفا الواقعة احسن موقع فالمراد انه تفضل عليه بما اولاه من المحاسن والمناقب
ونسب ما فعله تكرما له ثم مدحه به واثابه عليه اتم ثواب وكان بذلك
متفضلا فى البدء والعود **والحمد اولى واحرى** اى هو المستحق للحمد فى اول الامر
واخره او فى الدنيا والاخرة لانه المتفضل ايما فى الدارين وقيل تقديره
اولى الحمد واحراه لانه صيغة تفضيل وقد حقق اهل اللغة ان يكون اسما للتفضيل
وظرفا بمعنى قبل فيجرى عليه احكامه ووزنه على الاول افعل وعلى الثانى
فوعل وهذا اينون فيقال اولاى اذا كان اسم تفضيل تجرى عليه احكامه ومونثه
اولى ومونث الاول اولة وقد ثبت ذلك عن العرب كما ذكره المرزوقى فى شرح
الفصيح ومقابلهما اخرى واخرة وقد تغلب عليهما الاسمية للدارين فيصيران
بمنزلة اسمين حاملين يستعملان استعمالهما لان اسم التفضيل يلزم التذكير والافراد
ان لم يضف او يقترن بالالف واللام ولذا خطى ابو نواس فى قوله

• • • • • كان صغرى وكبرى من فواقعها • خصباء رعل ارض من الذهب •

وان اجابوا عنه كما فصلناه فى شرح الدرة واما كونه وصفا مجردا عن التفضيل
ومثله يجوز فيه المطابقة وعدمها فرد بانه سماعى كما فى التسهيل وغيره وباء ن
معنى التفضيل مراد منه بلا شبهة لان الدنيا متقدمة والاخرى متاخرة فلا يصح
ان يقال انهما تجردا عنه ولا يخفى ما فيه فانه سمع فى القران والكلام ومثله كاف فى
ثبوته مع انه يرد على مدعاه بالنقض لانه اذا كان التفضيل مرادا منه كيف يقال
انه غلبت عليه الاسمية فهل هذا الا جمع بين الحاوى والملاح واعلم ان ما ذكر
للمصنف معنى بليغ فانه ذكر انه تعالى ينعم بانواع النعم ثم يمدح عبده ويثنى
عليه لقبوله لنعمائه ويجزيه على ذلك اتم جزائه وهو احسن من قول ابن طباطبا
ممدوحه

• لا تنكرن اهدا انالك منطقا • منك استفدنا حسنه ونظامه •

شبكة الألوكة www.alukah.net

• فالله عز وجل يشكر من • يتلو عليه وحيه وكلامه •
ولم تظاهر في معناه في كتب الأدب وفي ليام الخلق عكسه فان منهم من اذا رأى من
انعم عليه متجملا قد يحسده ويوذيه وهو احد الوجوه في قوله المتنبي •
•• واظلم أهل الأرض من بات حاسدا • لمن بات في نعمائه يتقلب •
ومنها ما ابرزن أي اظهرن ظهورا تاما لان أصله جعله على بوار بالفتح اي مكان مرتفع
العيان ما يشاهد بفتح العين ولا تفتح فيه العين لانه مصدر عاينه معاينة
وعيانا كقتال وفي المثل كما سيأتي في كلام المصنف ليس الخبر كالعيان بل ورد في الحديث
وروي كثيرون منهم احمد وابن حبان يرحم الله احئ موسى ليس العاين كالمخبر اخبر
تبارك وتعالى أن قومه فتنوا به فلم يلق الالواح فلما رأى ما عاينهم القى الالواح
فكسر منها ما انكسر وروى للعيان اي ما ابرزن الله للعيان فاللام للتعدية
او للتعليل قيل والمراد به ما علم يقينا سواء كان مشاهدا او منقولا بتيقن
ويصير كالمشاهد لانه عد منها تابيده بالمعجزات وليست كلها مشاهدة مع انه
بالنسبة لمن بعد عصر غير مشاهد الا انه بمنزلته لصحته لا لتواتره لان
ادعاءه في جميعها التواتر غير مسلم وذلك ان تقول انه تغليب لقوة المشاهد
ولكثرته من خلقه بفتح الخاء وسكون اللام كما قيده الشمني وفي المفتاح انه
بضمها ولو بارز للعيان بالمعنى السابق والمعطوف هو التخصيص به فلا
تكرار فما قيل انه غير سديد لانه ما ابرزن للعيان ولانه سيذكر غير سديد
قيل والمناسب لقوله وتخصيصه وتابيده ان يكون الخلق بمعنى التخليق
والايجاد وهو تاويل من غير حاجة وضمير خلقه لله او للنبي صلى الله عليه وسلم
واعلم ان هذا كله انما يحتاج اليه اذا جعل قوله وتخصيصه الآتي مجرورا
معطوفا على خلقه اما لو رفع وعطف على ما ابرزن لم يحتج الى تكلف وعلى
الاول كيف يعترض على من جعل الخلق بضم الخاء فتدبر على انحو وجوه الكمال
والجلال الجار متعلق بخلقه سواء كان بمعنى تخليقه اما لا او صفة مصدر مقدر
اي خلقا كائنا على الي اخره او حال من المضاف قيل والتقدير اذا قرئ بالضم
المطبوع على اتم الوجوه او هو متعلق بمضاف مقدر اي ابراز خلقه او هو
حال والوجوه الانواع والمراد اتم الوجوه المتحققة في زمن ما او الوجوه الممكنة
وهو احسن اذ لم يوجد مخلوق يدانيه صلى الله عليه وسلم فضلا عن ان يساويه
ولا داعي لهذه التكلفات فاندفع عن التاويل والمراد بالجلال مهابته في غير
رايه وتخصيصه بالمحاسن الجميلة من بيان المحاسن والجميلة من الجمال وهو الاعم

بالصفات الحميدة ولذا اورد الملا قد على الله كما مر في حديث ان الله جميل يحب
الجمال وفي عرفة اللغة حسن الصورة المشاهد وهو بهذا المعنى لا يطلق على
الله وهو مراد المصنف في الحواشي التلمسانية الجميلة والحميدة كلاهما نعت فالاول
بمعنى فاعل لان الفعل منه جمل بضم الميم اي لازم والثاني بمعنى مفعول ولا بد
من لحوق التاء في احد كل واحد منهما لانه صفة للجمع ولا يجوز ان يوصف الجمع بمفرد
بخلاف ما اذا كان للواحد فانه لا يخلو اما ان يكون بمعنى فاعل كعليم او بمعنى
مفعول كجريح وفي المحصول للنحو التاء في فعيلة للنقل من الوصفية الى الاسمية
وتقديره ان هذه التاء من فعيل بمعنى مفعول اذا كان تابعا للموصوف لم يلفظ
وقد تثبت كخصلة حميدة وصفته حميدة فاذا حذف موصوفه جرى مجرى الاسماء
فتثبت فيه التاء كهذه جريحة واما اذا كان فعيل بمعنى فاعل فانه بالتاء فتحققه
فانه مفيد اقول فهم من كلامه ان الموصوف اذا كان جمعا تثبت تاء
على كل حال ولم نر من ذكره غيره وبقية كلامه ظاهر والاخلاق الحميدة اي
المحمودة وهي الصفات المعنوية التي هي للباطن كالصورة للظاهر وعليها مدار كمال
البشرية والثواب والعقاب قيل وهو مبالغة او مجاز او التخصيص في الجملة
لانه لم يرد عد الخصائص هنا فقط ولذا فسر التلمساني التخصيص بالتعيين ولا
مانع من حمله على ظاهره من نظرا لكمالها او مجموعها والمذاهب الكريمة المذاهب
جمع مذهب وهو الطريق ويطلق على ما اختير من الافعال وغيرها كما يقال
مذهب الفقهاء والمراد مسالك صلى الله عليه وسلم في احواله مع امته او في نفسه
وللناس فيما يعشقون مذاهب • وهو ماخوذ من الذهاب وهو الخروج الى المقاصد
سواء وصل اليها ام لا ولذا اختلف فقهاؤنا فيه فقيل لا يشترط الوصول وقال
نصير يشترط لقوله تعالى اذهبا الى فرعون فانه بمعنى ليتيا ه والكريمة بمعنى
الحسنة النفيسة المطلوبة لاهل الكمال وقيل هي بمعنى العزيزة المتنزهة
عن النقائص والفضائل العديدة اي المعدودة من الفاخر من قولهم فلان عديد
بني فلان اذا كان يعد فيهم ويعتد به او المراد الكثيرة قال صاحب الحكم في قوله
تعالى سنين عددا اجعله الزجاج مصدرا وقال المعنى تعد عددا ويجوز ان
يكون نعتا لسنين والمعنى ذوات عدد والفائدة في قوله عددا في الاشياء المعدودة
انك تريد توكيد كثرة الشئ لانه اذا قل فهم مقداره وعدد فلم يحتج الى ان يعد
واذا كثر احتاج الى العد فالعدد في قولك اقمت اياما عددا تريد به الكثرة
انتهى فتامل بعض الشراح هنا نقلا عن التلمساني انه من العد بالكسر للما الكثير

سيد
سيد
عرضي
سيد
دلجي
سيد

حنبلي

تكلف نشأ من ان ذكر العدد يدل على القلة كما ذكر ابن هشام عن ابن عبد السلام في هذه الآية من ان عدد بمعنى معدود وقد ذكر ليدل على القلة لان ما كثر في الغالب لا يمكن عده ولا يمكن هذا هنا لانها ذكرت لتعظيم القصة فلعل ذكرها لمناسبة رؤس الاى انتهى **وتأييده بالمعجزات الباهرة** التأييد النصر والتقوية من الايد وهو القوة والمعجزات جمع معجزة اسم فاعل من الاعجاز افعال من العجز ضد القدرة والمراد اثبات العجز واظهاره ممن شأنه التحدي وقيل المعجز مجاز عن عدم القدرة كالجهل لعدم العلم وهما في الاصل امر وجودي او متعلق به فيمن شأنه القدرة فلا يقال عجز الجبل عن تحركه وهو امر خارق للعادة مقرون بالتحدي او بزمانه على وجه يدل على صدق مدعي النبوة الذي من شأنه التحدي فلا يشترط فيه التحدي بالفعل والباهرة بمعنى الجيدة او الظاهرة ظهورا لا يمكن ستره ومنه قمر باهر اي تام الاضاءة او الغالبة لمن يهم بمعارضتها وبه فسر قوله

• ثم قالوا لنجيها قلت بحرا • عدد الرمل والحصا والتراب •

والبراهين الواضحة جمع برهان وهو الدليل القوي الذي يحصل به اليقين وليس المراد به البرهان المنطقي ليأتي وانيا وان شمله والواضحة بمعنى الظاهرة **والكرامات البينة** جمع كرامة وهي امر اكرم الله به من اصطفاه من عباده المتقين بدون تحد ودعوى نبوة فيكون للنبي والولي واعم من المعجزة لاشتراط مقارنة النبوة والتحدي بالقوة او بالفعل وبقولنا الكرم الى اخره خرج السحر وما يصدر من الكهنة والشياطين وجعل الوصف بها شاملا لما قبلها حتى البراهين تقسف ركبتك **التي شاهدها من عاصره** اي كان في عصره ومدة حياته والمشاهدة الرؤية بالعين من الشهود وهو الحضور عنده او المراد علمها علما متيقنا فيدخل فيه نحو ابن ام مكتوم رضي الله تعالى عنه ويشمل ما سبق مما لا يدرك بالبصر **ورآها من ادركه** اصل معنى الادراك اللحوق يقال ادرك زمنه اذا خفه ومنه ادرك الطعام والثمر اذا لحق حال النضج وادراك الغلام بلوغ حال الرجولية فادراك البصر لشيء لحوقه له برويته ثم شاع في معنى العلم مطلقا وهذه الجملة مفسرة لما قبلها فليست حشوا زايدا كما توهم ويمكن الفرق بينهما باريد بالاولى من طالت صحبته له صلى الله عليه وسلم وشاهد حاله كلها من الاولين والسابقين وبهذه من بعدهم على ان الاطناب في مقام الخطابة مستحسن وفي نسخة عاصرها او ادركها والاولى اولى **وعلمها علم يقين من جا بعده** من التابعين فمن بعدهم لتواتر بعضها واشتهر بعض اخر منها ونحو ذلك

مما ينفي الشبه وعلم اليقين كشجى الاراك فاضافته لامية او بيانية على راي ويلحق به ما كان بطريق الكشف **حتى انتهى علم ذلك الينا** اصل معنى انتهى بلغ النهاية ولذا يكون كما في قوله وكل شيء بلغ لحد انتهى والمراد انه بلغها ووصل الينا لان من انتهى اليه شيء وصله وضمير الينا للمتاخرين ومن بعدهم الى الحشر وهذا يناسب ما مر من تفسير من ادركه بمتاخري الصحابة ممن ولد بعد البعثة لان لفظ الادراك يشير اليه اشارة ما فتكون عبارته شاملة لجميع الامة تفصيلا والا فهذا داخل فيما قبله لانهم ممن جاء بعده **وفاضت انوارها علينا** اصل معنى الفيض في الماوخوه من المايعات يقال فاض السيل اذا كثر وسال وافاض بالالف لغة وفاض الانا فيضا امتلا وافاضه صاحبه ملاه وفاض الخير كثر واستفاض الحديث انتشر واشتهر فهو مستفيض ولا يقال مستفاض وهو لحن عند الاصمعي واثبته بعضهم فشبه الانوار وانتشارها بما سايل متدفق والمراد بانوارها ما ظهر من بركته صلى الله عليه وسلم والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم او للعلم لانه ورد اطلاق النور على كل منهما او اراد بالنور الايمان وما يترتب عليه من العلوم الشرعية الموصلة لسعادة الدارين المنقذة من ظلمة الضلال وفي نسخة وفاضت حقيقته وانوارها اي الحقيقة المحمدية وما لها من الكمال في نفس الامر وضمير انوارها للحقيقة او للكرامات **صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا** اي دايما عقب ما ذكر مما وصل للامة من خبره بالدعالة صلى الله عليه وسلم ولاله الذين هم واسطة بيننا وبينه صلى الله عليه وسلم فيما وصل الينا ففيه شبه لف ونشر **حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الحسين محمد بن الحافظ قراءة مني عليه** قراءة منصوب بنزع الخافض اي بقراءة مني عليه او مفعول مطلق وانا اقراه قراءة وقراءة ومني عليه صفتان له وهذا الحديث اسنده المصنف رحمه الله تعالى من طريق الترمذي وهو حديث حسن اخرجه احمد والبيهقي في سننه والقاضي المذكور شيخ المصنف قرا عليه بالاندلس وهو ابن فيرة ابن حيون الصدفي السرقسطي الاندلسي المعروف بابن سكرة وهو من المشهورين بعلم الحديث وترجمته مفصلة في اسما الرجال وقال الشهيد لانه استشهد ببعض ثغور الاندلس في وقعة وقعت في سادس ربيع الاول سنة اربع عشرة وخمسماية وله من العمر نحوا من ستين سنة والحافظ وصف لكل من اكثر رواية الحديث وانتقدها وقد انقطع هذا في عصرنا وكان اخر الحفاظ السيوطي والسخاوي وبين بقوله قراءة الى اخره وجه الاخذ عنه فانه كما تقدم يكون بقراءة الشيخ وقراءة التلميذ عليه وقراءة

شبكة الألوكة www.alukah.net

غين وهو يسمع والغالب الاول فاذا كان غين احتاج للبيان حتى منع ابن الصلاح
رحمه الله تعالى ان يقول من قرا على الشيخ حدثنا مطلقا وان اجاز غين كما فصله
حدثنا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار ابن احمد المخرم بالحامي بفتح الحا
المهملة وتخفيف الميمين سمع من ابن شاذان وخلق كثير بعده وكان من اهل الخير
والصلاح وابو الفضل احمد بن خيرون في المقتفى هو الحافظ الناقد ابو الفضل
احمد بن الحسن بن احمد بن خيرون البغدادي الباقلاني سمع من بن عمل بن شاذان وابي
بكر البرقاني وروى عنه خلق كثير وروى عنه نتيجة الخطب ابو بكر وابو علي
ابن سكوة وابو مر العبدري وترجمته مشهورة وهو عدل متقن توفي في رجب
سنة ثمان وثمانين واربعماية وله من العمر اربع وثمانون سنة وقد ذكره في الميزان
وصحح عليه وخيرون بفتح الخا المعجمة تليها مثناة تحتية ساكنة وعن المروي
ان الاصل في خيرون الصرف الا ان المحدثين لا يصرفونه لشبهه بجمع المذكر السالم
انتهى يعني ان هذه الصيغة لما لم تعهد في الاعلام المفردة اشبه من الاسم الاعجمي
وهو احد الوجوه في امثاله من الاعلام التي على هذه الزنة كزيدون وعبدون كما
في شرح التسهيل فان فيه لغات فيعرب بالحروف اعراب الجمع حكاية لاصله ويعرب
بالحركات مع لزوم الياء كصلين او الواو كهارون ويمتنع حينئذ من الصرف
كما ذكرناه وقال ابو العلا المقرى بجعل الفتحة الصلاة واوا فهذا منه
ولذا منع صرفه وهو غريب جدا فقول بعضهم كانه اراد بمنع الصرف مجرد
منع الكسر والتنوين والا فصيغة صيغة منتهى الجموع وتبعه الشارحان خيط
ناش من عدم الوقوف على كلام النحاة في امثاله قال حدثنا ابو علي البغدادي
احمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر ويعرف بابن زوج الحرة كما ذكره ابن ماكولا
رحمه الله وقال انه سمع علي ابن علي السبخي جامع الترمذي ببغداد ويعلى بفتح
المثناة التحتية وسكون العين المهملة واللام المفتوحة مقصورة قال لاحدثنا
ابو علي السبخي بكسر السين المهملة ثم نون ساكنة ثم جيم ثم ياء نسبة لشيخ
مرو وهو كما قال بن ماكولا وابو علي الحسين بن محمد بن احمد بن شعيبة المروزي
السبخي ورد بغداد وحدث عن الترمذي بجامع عن ابي العباس محمد ابن احمد
ابن محبوب عن الترمذي وسمع عنه وروى عنه زوج الحرة وغيره قال حدثنا
محمد بن محبوب هو العباس المحبوبي المروزي راوي جامع الترمذي قال
حدثنا ابو عيسى ابن سورة الحافظ سورة بفتح السين المهملة تليها واو ساكنة
ثم راء مهملة وهاء والد ابي عيسى الترمذي الضرير المحدث المشهور وتضافيفه كلها

والسنن

سيد
ابن الجبل
والمرضي

قيل انه ولد اكمه وسمع ابن قتيبة وغيره مات بترمذ في رجب
سنة مايتين وتسعة وسبعين وقال الذهبي في الميزان انه ثقة مجمع عليه
ولا عبرة بطعن ابن حزم فيه لانه لم يعرف احواله وترمذ بفتح المثناة الفوقية
وكسر الميم وبكسرهما وهو المشهور وبضمهما كما قاله السمعاني قال حدثنا
اسحاق بن منصور الكوسج الحافظ المشهور توفي سنة احدى وخمسين ومايتين
وهو ثقة في الرواية قال حدثنا عبد الرزاق بن همام بن نافع ابو بكر الصنعاني
احد الاعلام الثقات الذين يروى عنهم اصحاب الكتب الستة وهذا حديث
حسن مسند في الترمذي وغيره ولم يروه الا عن عبد الرزاق فهو غريب كما قال
صاحب المقتفى والسيوطي في تخريج احاديث هذا الكتاب اخبرنا معمر هو بفتح
الميمين بينهما عين ساكنة مهملة وبالراء معمر بن راشد ابن عروة البصري عالم
اليمن ثقة له اوهام معروفة احتملت له في سعة ما اتقن وله ترجمة في
الميزان توفي في رمضان سنة ثلاث او اربع وخمسين وماية باليمن اخرج له
الجماعة قال معمر طلبت العلم سنة مات الحسن وفي اربع عشرة عن قتادة
هو ابن دعامة ابو الخطاب السدوسي الاعمى الحافظ المفسر روى عن عبد الله
ابن سرجس وانس وخلق كثير وعن ايوب وشعبة وخلق توفي سنة سبعة عشر
بعد الماية وقيل غير ذلك وله ترجمة في الميزان عن انس ابن مالك الصحابي
المشهور رضي الله تعالى عنه وستاتي ترجمته في الباب الثاني ان النبي صلى
الله عليه وسلم اتي بالبراق بصيغة المجهول اي اتاه جبريل عليه الصلاة والسلام
به فحذف فاعله لشهرته كما صرح به في غير هذه الرواية ولانه يعلم من اخر الحديث
وبراق كحذاء دابة فوق الحمار ودون البغل سمي به لشدة سرعته كما يقال مر
كانه برق خاطف او لشدة تلالوه وبريقه او بياضه وقال المصنف رحمه الله تعالى
انما سمي به لانه ذو لونين كما يقال شاة برقاء اذا كان خلال بياضها سواد
سوه واورد عليه انه مخالف لما صرح به في بعض طرق هذا الحديث من انه
ابيض الا ان يقال انه باعتبار الاغلب فيه وفي كتاب خيل النبي صلى الله عليه وسلم
ان وجهه كوجه الانسان وذنبه كذنب الغزال وقوائمه كقوائم النور وجلده
كالفرس وقال الثعلبي جسده كالانسان وذنبه كذنب البعير وعرفه بعين
مضمومة وراء مهملتين وفاكعرف الفرس وقوائمه كقوائم الابل واظلافه
كالبقر لها قوة وظهره كدرة بيضاء وله جناحان في فخذيه بضع حافره
عند منتهى طرفه كما ورد في الصحيح وهو مذكر وسمع تانيثه باعتبار الدابة

وقيل تذكيره كتذكير المسلمات وتذكيره وصفه فان مبنى التذكير على عدم التانيث لانه الاصل لفظا ومعنى وقال ابن الملقن انه ليس بذكر ولا انثى وقول جبريل في رواية تاتي يا براق لا تنفري لا ينافيه لانه نظرا لظاهر حاله واحتمال التاويل او نظرا للحقوق تاتا الوحده اذ لم يقيم دليل على احد الشقوق وقوله تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين اغلبي او مخصوص بدواب الارض وصيغة المذكر لا تختص بما له مونث لانها الاصل فلا جمع بين معنيين متنافيين في قايم وقايمة كما توهمه الكندي وهو ملك خلق على هذه الصورة لحمل الانبيا عليهم الصلاة والسلام ولا مانع منه كديك العرش او هو دابة مخلوقة في الجنة وقد قالوا انها تدخلها بعضو وابا الارض ايضا وبلغوها نحو عشرة ونظمهوها في شعر مشهور شعر

- براق شفيع الخلق ناقة صالح ٭ وعجل لابراهيم كبش لنجله
- وهدهد بلقيس ونملة بعلها ٭ حمار عزير كلب كهف لمثله
- وحوت ابن متى ثم باقون لمن ٭ يبر بام في رخا ومحله
- فهذا عشر في الجنان وغيرها ٭ يكون ترابا يوم حشر لكله

ليلة اسرى به بصيغة المجهول والجار والمجرور قايم مقام فاعله وليلة منصوب على الظرفية باق والاسرا كان ليلا في سبع وعشرين ومع الاول وقيل لسبعة عشر خلت من رمضان وقيل سبع وعشرين من ربيع الاخر وقيل من رجب وقيل انه كان في شوال وكان ليلا لانه ادل على القرب وسنه صلى الله عليه وسلم خمسون سنة وتسعة اشهر واسرى وسري بمعنى وهما سير الليل وقيل اسرى لاوله وسرى لاخره واختار السهيلي ان سرى لازم واسرى متعد نزل مفعوله والاسرا والمعراج كانا في ليلة واحدة يقظة بجسده على الاصح وبينهما فرق سياتي لان ماذكر هنا استطرادي ملجا مسرجا محمان بزنة مصحف اي مهيا للركوب بسرجه ولجامه حالان من البراق وهل هو علم او اسم جنس منحصر في فرد كالشمس الظاهر الثاني لوروده معرفا ومنكرا والقول بتعدده والاستدلال عليه بقوله ومن كل شئ خلقنا زوجين مما لا ينبغي الاشتغال به لكن الامام السهيلي رحمه الله تعالى افاد انه كان قبل النبي صلى الله عليه وسلم تركبه الانبيا عليهم الصلاة والسلام وذكره في شرح السيرة وستسمعه عن قريب فاستصعب عليه ضمير استصعب للبراق او للركوب المعلوم من السياق وضمير عليه للنبي صلى الله عليه وسلم اي انه صلى الله عليه وسلم لما اراد ركوبه لم يفر حتى يركبه ويجوز عود ضمير عليه للبراق

ايضا اي صار الركوب صعبا على البراق كما قيل وهو تكلف والفعل مبنى للفاعل ويجوز بناؤه للمفعول لانه سمع من العرب لازما ومتعديا يقال استصعب الامر علينا بمعنى صعب واستصعبت الامراي وجدته صعبا يعني انه امتنع وابى ان يركب بسهولة ولذا فسر بنفر اي شمس كما ورد في بعض الروايات ويقال دابة شموس وشموص بمعنى حرون وروى ان جبريل عليه الصلاة والسلام مسك ركابه وميكايل عليه الصلاة والسلام زمامه ومن هنا علم ان قول بعض الشعرا في مدحه صلى الله عليه وسلم جبريل خادمه وميكايل ليس بمنكر لما فيه من ترك الادب كما توهم وسبب استصعابه فيه وجوه منها انه لم يركبه احد قبله قال الشمني رحمه الله تعالى وهو مبني على ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام لم تركبه او هو لبعد عهده بالركوب لطول زمن الفترة وما قيل من ان الخلاف فيه الظاهر انه في ركوب هذا النوع لجواز تعدد شخصه وهو الشخص لم يركبه احد منهم وان ركبوا غيره اولما في جبلة الفرس الاصيل من عدم التذلل كلام رواه ورداية وقيل انه كان نشاطا وفرحا بركوبه صلى الله عليه وسلم ويابا ه ماروي من انها نفرت ونفشت عرفها وقيل كان خوفا من تقصيره في حقه صلى الله عليه وسلم وقيل انما توقف حتى ياخذ عليه العهد ان يركبه في الجنة كما في قصة الجذع وحنينه ومن الغريب ما في تذكرة القرطبي في تفسير قوله تعالى خلق الموت والحياة ان الموت خلق في صورة كبش والحياة في صورة فرس انثى بلقا وقد كانت الانبيا عليهم الصلاة والسلام يركبونها وحكاه ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وطعن الحلبي في صحته عنه وقال السهيلي في الروض الانف بعد ما نقل الخلاف في ان البراق هل كانت تركبه الانبيا عليهم الصلاة والسلام قبل النبي صلى الله عليه وسلم اولا وما ورده فيه ان سبب نفار ما ورده في كتاب البعث ان جبريل عليه الصلاة والسلام قال له يا محمد هل مسست الصخرة اليوم فقال ما مسستها ولكن مررت بها فقال تبا لمن يعبد من دون الله وقد اختلفوا في المراد بالصخرة فيه فقيل الذهب وعبادتها حبها كما يقال عبد الدرهم والدينار وقيل لكل شئ مغنا طيس ومعنا طيس الانسان الذهب وقيل هو صنم مذهب كسر صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وسببه لما اهانه اولارادة كسره او غير ذلك وقال ابن حجر رحمه الله تعالى هذا واه جدا اقول في الخصايص الكبرى ان ابا يعلى وابن عدي والبيهقي وابن عساكر اخرجوا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم شهد مع المشركين بعض مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول

لصاحبه اذهب بنا حتى نقوم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف
تقوم خلفه وانما عهده باستلام الاصنام قريب فلم يحد بعد ذلك لمشاهدهم قال
الطبري والبيهقي معنى قوله انما عهده الى اخره انه شهد من استلم الاصنام لا انه
صلى الله عليه وسلم استلمها او المشاهد مشاهد الحلف ونحوه لا مشاهد
الاصنام وقال ابن حجر هذا الحديث انكروه وانما المنكر قوله انما عهده الى اخره
فان ظاهره انه باشر الاستلام وليس مرادا انما المراد انه شهد استلام المشركين
لها وروي ايضا ان بوانة صنم كانت لقريش تشهده يوما في السنة وابو طالب
معهم فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ان يحضر فابى فغضب هو وعماته
وقالوا له يا محمد ما تريد ان تحضر لتومك عيدا او تكثرهم جماعة فلم يزالوا به حتى
ذهب وعاد مرعوبا فزعا فقالت له عماته ما دهاك قال اني اخشى ان يكون بي لمم
فقلن له ما كان الله ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما رابيته قال
اني كلما دنوت من صنم منها تمثل لي رجل ابيض يصيح وراك يا محمد لا تمسه
فما عاد صلى الله عليه وسلم الى عيدهم حتى تنبأ وانما فصلنا هذا لان الامام السبكي
تردد فيه في الوضوء بقي هنا هل ازدف النبي صلى الله عليه وسلم جبريل امر لا فذكر
البرهان انه ازدفه خلفه وفي رواية انه ركب قدامه والذي ظهر لي انه انما اعتصب
لما يعرف النبي صلى الله عليه وسلم وظن انه غير نبي فلما عرف حمله لما اعلم جبريل عليها
الصلاة والسلام بانه نبي الله فقال جبريل عليه الصلاة والسلام للبراق لما
فعل هذا وجبريل علم للملك المشهور وفيه لغات وصلت اربعة عشر لغة جبريل
وجبرين وغيرهما مما يأتي في انشا الباب الثاني وبعضها قرى وهو عبراني او
سرياني ومعناه عبد الله على الاصح وايل اسم الله في لغتهم وليس بمعنى عبد
وما قيل من ان ايل لا يعرف من اسمائه الله ليس بشيء انجمد وتفعل هذا وفي
نسخة زيادة يا براق وفي رواية ابن حبان ما حملك على هذا ما ركبك خلق قط اكرم
على الله منه وروى البيهقي يا براق والله ما ركبك مثله وروي البزار يا براقة
لا تنفري من محمد فوالله ما ركبك ملك مقرب ولا نبي مرسل افضل من محمد ولا
اكرم على الله منه قال قد علمت انه كذلك وانه صاحب الشفاعة وانى احب ان
اكون في شفاعته فقال انت في شفاعتي ان شاء الله قيل ففي رواية
المصنف رحمه الله تعالى اختصار فان قيل بتعدد الاسراء قالا مر سهل وليس
كما قال فانه اختلف في رواية لا اختصار ولا استنهام انكاري وقدم الظرف لتخصيص
الانكار او زيادته لانه صلى الله عليه وسلم اجل من علاه فلا يليق النفار منه والاشمئ

راجعة

راجعة لمصدر استصعب او لما فهم منه كما اشار اليه بقوله ما ركبك احد
اكرم على الله منه الفا للتشبيه واكرم افعل تفضيل من الكرم وهو وصف
جامع لكل خير وشرف وضده اللوم والكرم في العرف بمعنى الجود فيقابله البخل
والمراد هنا الاول فان قلت المراد انه ليس احد عند الله اكرم منه ولا افضل
ولا مثله ولا يدانيه والعيان قاصر قلت قال في شرح المقاصد استدلوا على
تفضيل الصديق بحديث ما طلعت شمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين
على افضل من ابي بكر رضي الله تعالى عنه ومثله وان كان ظاهره في افضليته
الغير لكن انما يساق لاثبات افضلية المذكور وهذا افاد افضلية ابي بكر رضي
الله تعالى عنه والتوقف ان الغالب في مثل كل اثنين هو التفاضل دون
التساوي فاذا نفي افضلية احدهما ثبت افضلية الاخر انتهى وقيل اذا قيل
ليس في البلد افضل منه فالمراد ليس فيها من يساويه ويدانيه فضلا عمن
يزيد عليه وهو معروف في استعمال البلغاء وروى منا ما ركبك مثله وهو يؤيده
فهو كناية اذ الافضل لا بد له من مساواة الفضول من بعض الوجوه وان زاد
في بعض اخر فقصد بنفيه نفي لازمه وهو المساواة وفيه بحث وظاهر الحديث
ان البراق ركبه غير نبينا صلى الله عليه وسلم وقد مر انه ثابت وقال النووي انه
انه لم يصح وقال ابن حجر رواياته كلها واهية ولذا قيل انه هنا ان المعنى هنا انه
لم يركبك احد فكيف ركبك اكرم منه على حد قوله ولا ترى الضب بها ينجحر
وقيل الذي رواه النسائي والسهيلي وابن هشام والقرطبي انه ركبه
غير من الانبياء عليهم الصلاة والسلام حتى قيل ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم
كان يحج عليه في كل سنة حتى قيل له براق ابراهيم وقول النووي اشتراك جميع
الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيه يحتاج لنقل صحيح يحتمل انه انكار لعموم
المشاركة ثم ان ركوبه صلى الله عليه وسلم له انما هو لبيت المقدس ثم ربط
في الصخرة ولم يصعد عليه بل على رفرف اي معراج من نور وقال الشيخ عز الدين
ابن غانم المقدسي في كتاب شجرة الايمان ان مركبه صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس
الاول البراق ثم مركبه الثاني الى سما الدنيا المعراج الثالث من سما الدنيا الى السما
السابعة اجنحة الملائكة ثم مركب الرابع الى سدرة المنتهى الجناح جبريل ثم مركبه
الخامس الوفرف الاخضر من النور سدرة ما بين الخافقين قال هو من كلام
الراوي عن انس رضي الله عنه فارفض عرقا ارفض بهمزة وراسا كنه وراء مهملة
وفاء وضاد معجمة مشددة بزنة احمر بمعنى سال ويصيب وعرقا تمييز محول عن

حفيه

سيد

عرضي

سيد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الفاعل وعرقه لحمله أو مهابته من استصعابه وثبوت المحل لنحو غير مستبعد وقيل
أرفض بمعنى نرشرش عرقه وقال ابن رسلان عن المصنف رحمه الله تعالى إن
ارفض بمعنى جرى على الأرض وبرك كما روى انقض أيضا والمعروف في كتب
اللغة الأول وفي بعض الروايات ارفض عرقا وقرو في السيرة ثم
قرو فتبين بانه جرى عرقه ثم سكن وانقاد وترك النفار وقلت
في معناه بديهة شعر
• عرق البراق وقد زاد محمد • يعلو عليه لأجل جل مصالحه •
• فكانه لفنان خجلا غدا • لتاسف يبكي بكل جوارحه •
واعلم ان المصنف رحمه الله انما ذكر هذا الحديث مسندا على خلاف رأيه في هذا
الكتاب وغير اسلوبه في غيره من الاقسام والابواب لانه لما كان هذا
أول الاقسام • وتاج التراجم والمرام • وتقدم له لاهتمامه به صدر بحث
ثابت فيه من الدلالة على ما أراد بيانه من التعظيم قولا وفعلا ما لم يتيسر
لغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام • مما تقصر عنه الأفهام • وتتحير فيه
العقول والأوهام • وهو دعوة الملك الجليل له ليلا لخطابه قدسه كما يدعى
القرب المطلع على الاسرار وارسل لدعوته عظام ملائكته ببراق مسوح ملجم
على عادة الملوك اذا عظموا من دعوا أرسلوا له بعض المقربين بمركوب كانوا
يسمونه فورما للنوبة فاوصله الى حرم عزته لمكان لا يصل اليه سواه وكلمه
بغير واسطة وتجلى له بلا حجاب ولذا قال جبريل عليه الصلاة والسلام
انه أكرم خلقه عليه وسيأتي تفصيله في بابه إن شاء الله تعالى
الباب الأول في ثناء الله تعالى عليه الثناء المدح كما تقدم
تقريره واظهار عظيم قدره لديه بقول غير ثناء ظاهرا كالقسم به والأمر
باتباعه فهما متغايران اذ الأصل في العطف المتغايرا واراد بالفعل القول الصريح
في ثنا وغيره والمراد عظيم قدره صلى الله عليه وسلم بالنسبة لغيره من الانبياء
عليهم الصلاة والسلام او مطلقا فبينهما عموم وخصوص وجهي وهو تباين
جزئي فالثناء من غير تفضيل ينفرد به الأول وبينفرد الثاني بالاسراء ونحوه ومادة
الاجتماع تفضيله بالقول على غيره فان اريد بالثناء ما يدل على الكمال مطلقا بطريق
المجاز فالعطف للتفسير والتوضيح اعلم ان في كتاب الله العزيز بالجر
صفة له او الكتاب لان العزيز معناه القوي الغالب ويقال عز الله اذا غلبه
وفي المثل من عز بز وهو من اسمائه تعالى ويوصف القرآن به وهو المراد بالكتاب

لا بمعاينته وإعجازه فاق كل كتاب وغلبه واعلم ان من العلم ما يفيد ربه ما ينتفي
من الكلام تقوية وتاكيدا او حثا على القابل لما بعده تنبيها على انه مما ينبغي أن
يعلم ولا يترك وقد ورد كذلك في القرآن وكلام العرب كقوله فاعلم أنه
لا إله إلا الله ولذا التزم بعده غالبا ان المؤكدة كقوله
• فاعلم فعلم المرء ينفعه • ان سوف يأتي كل ما قدرا •
آيات كثيرة اسم ان وصفته جمع آية وأصل معناها العلامة والجماعة ثم
خصت بمقدار من القرآن وجمع من الحروف له مبدأ ومنقطع مندرج في سورة
في الأكثر وفي اشتقاقها وتصريفها ما مر شيء منه مفصحة بجميل ذكر المصطفى
صلى الله عليه وسلم اي مبينة له والافصاح لغة الكشف ويقال أفصح اذا
اتى بكلام فصيح وهو يتعدى بعن والمصنف رحمه الله تعالى عداه بالباء
ولم يسمع فهي بمعنى عن فانها تاتي بمعناها ولا يختص هذا بمادة السؤال كما
في قوله عز وجل فاسأل به خبيرا أو هو مضمن معنى ناطقة أي دالة ومحمولة على
ما هو بمعناه كما تقدم او المراد انها مبنية في حقه لها والباء الملابسة من افصح
اللبن اذا ذهبت رغوته وجميل ذكره الجميل وتفسيره بان الذكر الجميل يظهر لها
لا يخفى ما فيه والجميل المحمود من الصفات وخصه بعضهم بالاختياري ولنا
فيه كلام في حواشي التهذيب وعد محاسنه أي تفصيلها لما بينهما من الملازمة
في الجملة وفيه ايما الى ان تفصيلها لا يحيط به نطاق البيان وتعظيم امره أي
شانه وماله في نفسه أو هو مقابل النفسي والمراد بالجناب اتباعه فترك النهي
اكتفاء لان الأمر بالشيء نهي عن ضده او المراد مطلق الطلب مجازا وتنويه
قدره اي رفعه باساعته على وجه التعظيم والتكريم يقال نوه باسمه تنويها
اذا رفعه كما قال تعالى ورفعنا لك ذكرك قيل هو نصريح باللازم أو
تعميم بعد التخصيص اعتمدنا منها أي من الآيات والمراد باعتماده على بعضها
اقتصاره عليه أو جعله عمدة مقصودا بالذات وعني بالتتبع ويقال اعتمد على
كذا اذا اتكا عليه وليس بمراد هنا وجملة اعتمدنا صفة آيات وجمعنا معطوف
عليه وقيل انها حال من المجرور بعدها على رأي من جوز تقديم الحال على صاحبها
المجرور وفيه نظر على ما ظهر معناه وبان فحواه ظهر وبان بمعنى اي اتضح والكشف
والمعنى ما يفهم من اللفظ ويراد به ما يقابل الذات والمراد الأول والظهور ضد
الخفا لا ما اصطلح عليه الاصوليون والنحوي لغة كالمعنى والنحوي عند الاصوليين
بمعنى مفهوم الموافقة ويمد ويقصر والاشهر فيها القصر كذا قال ابو علي في المقصور

سيد
سيد
شبكة الألوكة www.alukah.net

عرضي

عرضي

ابن اقبرس

والممدود ما خوذ من الفحا وهى النواحل والابراز قيل ويبغى ان يراد به هنا
مطلق المفهوم وهو معتبر بلا خلاف ولذا اعتبره فقهاؤنا فى ظاهر الرواية وانما
الخلاف فى صحة الاستدلال به من المنصوص فلا وجه لما قيل المصنف رحمه الله
مالكى المذهب ومالك رضى الله عنه لا يقول بالمفهوم حتى يجاب بان صاحب الملخص
نقل عنه انه قائل به لخروجه عن سنن السداد وقيل بمعناه اللغوى فهو
من عطف احد المترادفين على الاخر وقد تخص الغوى بما يفهم قطعا او من خلال
التراكيب وان لم يكن بالمطابقة **وجمعناه ذلك** المعتمد عليه **فى عشر فصول**
الفصل الاول فيما جاء من ذلك مجئ المدح والثنا وليس من قبيل
المعمول المذكور والمدح والثنا متقاربان وليس من عطف الخاص على العام
كما قيل **وتعداد المحاسن** بالجر عطفا على المدح وذكر الحلبى انه صحح نصبه ووجه
بان اصله وبجى تعدادا على انه مفعول مطلق معطوف على مثله بحذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكونه منصوبا على الحالية سهو وتعداد
بفتح التا مصدر بمعنى التعديد **كقوله** تعالى **لقد جاءكم رسول من انفسكم الاية**
بالنصب بتقدير اعنى او اذكروا او اقرا اشارة لبقية الاية اختصارا قال بعض
المفسرين هذه الاية اخر اية نزلت وقد قيل يستفتونك فى اخر النساء واخر سورة
براءة وقيل اية الربا واراد بعضهم التوفيق فلم يساعده التوفيق ووقع
فى حديث جمع القران ان هذه الاية لم توجد الا مع خزيمة الانصارى رضى الله تعالى
عنه ووقع فى البخارى مثله فى قوله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
الى اخره واستشكل ذلك بانه بنا فى اتفاقهم على تواتر القران واجيب بان المراد
التثبت فى تلقيها ممن تلقاها عن النبى صلى الله عليه وسلم بغير واسطة والمبالغة
فى استظهار ما كتب بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم او انه وجد من شاركه فى
حفظها فتواترت وقيل المنفى وجودها مكتوبة لا محفوظة فتدبر **قال**
ابو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى نسبة لسمرقند مدينة معروفة بفارس
قال التلمسانى المصحح فى النسخ بفتح السين والرا وسكون الميم والمعروف فتح الميم
وسكون الرا وتبع فيه صاحب القاموس اذ قال اسكان الميم وفتح الرا لحن وفيه
نظر وهى معرب شمركند وشمر اسم رجل وكند بمعنى قرية والسمرقندى هذا هو الامام
الجليل المعروف بامام الهدى وهو نصر بن محمد بن احمد بن ابراهيم الفقيه الحنفى المشهور
صاحب التصانيف الجليلة كالتفسير والنوازل وخزانة الفتاوى وتنبيه
الغافلين والبستان توفى ليلة الثلاثا لاحدى عشرة خلت من جمادى الاخرة

كذا

منهم منزلة غيرهم لغفلتهم عن عظيم هذه النعم والتقصير عن شكرها وقيل هو لقصد
اعلام الجاهل واظهار المنة على العالم واستبعد وقيل إن قوله بالمومنين التفات
مراعى فيه نكات او هو من وضع الظاهر موضع المضمر تشريفا لهم واهانة لمن عداهم
وفي الالتفات بعدهنا ورد بان المومنين لاسيما الصحابة رضي الله تعالى عنهم
عالمون بمدلول هذا الخبر فلا اعلام لهم بحسب الحقيقة الا ان ينزلوا منزلة
غيرهم لغفلتهم عن هذه النعمة وشكرها والعمل بمقتضاها اوارادة مجرد توجيه
الكلام نحوهم والاظهر ان المقصود هنا اظهار المنة وتنبيه من غفل عن هذه
الصفات وفوايدها كما مر اقول هذا زبدة القيل والقال هنا ومحت
الرغوة اللبن الفصيح فان هذا مع ما فيه من التكرار والتقصير محتاج للتنقيح
والتنقير فان وضع الظاهر موضع المضمر لايخرجه عن الالتفات وان جاز ان
يقال انه تجريد بنا على عدم المغايرة بينهما ولما كان الكلام هنا ليس محل التاكيد
لعدم جهل المومنين وتردد هم في مضمونه احتاج للتوجيه فتدبر او العرب
على ان المراد بانفسهم جنسهم وانه صلى الله عليه وسلم عزى مثلهم وقد رجح هذا
اكثر المفسرين لتبادره ولان قوله بعد فان تولوا فقل حسبي الله يدل على
عموم اختصاصه بالمومنين وقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام ربنا وابعث
فيهم رسولا منهم قد فسر بما ذكر لان ضمير منهم عايد على الامة المسلمة السابقة
في قوله من ذريتنا اى ابراهيم واسماعيل اذ لا امة من ذريتهما الا العرب كما قيل
واحتمال اختصاص بعثته صلى الله عليه وسلم لهم مدفوع بالقراين والادلة القاطعة
وهذا الان العرب كلهم من ذرية اسماعيل عليه الصلاة والسلام والصحيح عند
اهل التاريخ خلافه قال ابن قتيبة في كتاب تفصيل العرب اسماعيل ليس اول من
نطق بالعربية لان العرب من ولد قحطان وهو اول من تكلم بالعربية حين تبلبلت
الالسن ببابل وسار حتى نزل باليمن هو واولاده ثم نطق بعد ثمود بلسانه
وشخص حتى نزل بالحجاز وكان منهم تسعة قبايل قديمة فبقيت السنتهم بالعربية وبعث
فيهم هود وصالح وشعيب عليهم الصلاة والسلام ولما بقا الله اسماعيل الحرم وهو
صغير وانبط له زمزم مرت به رفقة من جرهم فراوا ماله ربكونوا راوه فاخبر لقحطان
بنسبه وحاله فتبركوا به وبمكانه ونزلوا معه فنشا اسماعيل عليه الصلاة والسلام
معهم بين ولدانهم وتكلم بلسانهم فانكحوه منهم وقالوا نطق بالعربية ثم غبروه
فقالوا بالعربية لسان الحمير ويقال لهم العرب العاربة ولغيرهم المتعربة والمستعربة
الداخلة في العرب لتبرن وعلى انتهى والذي قاله الازهري كما مر انهم نزلوا ببقعة او سكنوا

بلدة

بلدة يقال لها عربة فسموا بها عربا او اهل مكة لانهم اقرب نسبا اليه صلى
الله عليه وسلم اولانهم اول من جاليه اولانهم اشرف العرب وهو اشرف فهو
خير من خيار وهذا لايقتضي تخصيص بعثته صلى الله عليه وسلم بهم لان التخصيص
المذكور لايفيد الحصر وانما يقتضي الترجيح وعموم الرسالة مخصوص به صلى الله
عليه وسلم كما صرحت به النصوص واتفقوا عليه ولا يرد عليه ان نوحا عليه
الصلاة والسلام كان مبعوثا لاهل الارض كافة بعد الطوفان لانه لم يبق
على الارض الا من كان معه فعموم رسالته لهم بعد موجود غيرهم كادم صلى الله
عليه وسلم واما نبينا صلى الله عليه وسلم فعموم رسالته من اصل بعثته على ان دعوة
نوح عليه الصلاة والسلام لم تعم من بعده وكون نوح عليه الصلاة والسلام
اول الرسل كما ورد في الحديث الصحيح فقد بينه شراح البخاري بما لا مزيد عليه
واستدل لعموم رسالة نوح صلى الله عليه وسلم بدعايه على جميع اهل الارض حتى
هلكوا غير اهل السفينة واجيب بجواز بعثة غيره في زمانه وعلمه بانهم لا يومنون
به فدعا على من لم يومن من قومهم الا انه لم ينقل لنا وايضا شريعة نوح عليه
الصلاة والسلام لم تبق الى القيامة لنسخها وقال ابن عطية انه دعا قومه
للتوحيد وبلغهم فاشركوا فدعا عليهم لانه عليه الصلاة والسلام لطول مدة
اشتهر امره في جميع الارض وقال ابن دقيق العيد الدعوة للدعوة يجوز ان تكون
عامة في حق الانبيا عليهم الصلاة والسلام وان لم تعم فروع شريعته لان
منهم من قاتل غير قومه على الشرك وهو كلام حسن او جميع الناس من بني
ادم الموجودين في عصره ومن بعدهم الى يوم القيامة لا من تقدمه لان المذكور
هنا ليس البعثة وحدها بل بعثته لمن صعب عليه عنته وحرص على هدايته
لشفقته التامة عليهم وقد رجح بعضهم هذا التفسير على غيره لما في الثلاثة
الاول من ايهام الاختصاص وان دفع بان الادلة قد قامت على خلافه وقد
مر ان في الاول وضع الظاهر موضع المضمر لتشريفهم والاشارة الى مستثنى ما ذكر
ولذا رجح بعضهم وقدمنا الكلام في ترجيح بعض هذه الوجوه والمنة عليهم بكونه
من جنسهم لمشاهدتهم معجزاته التي يدعوهم للسعادة مع ما فيه من الرفق بهم لان
الجنس لجنسه اميل وانيس به ولذا قيل لو كان ملكا لبعثه الا صلية لم يتيسر
لهم التلقي عنه والا التبس عليهم فان قلت ما وجه قول بعض الشراح المراد بالناس
جميع المكلفين فيشمل الجن وقد صرح في القاموس باطلاقه عليهم قلت قد صرح
به جماعة من اهل اللغة والتفسير وصرح به ابن خالويه رحمه الله والعرب تقول ناس

عرضي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من الجن وفي الحديث جاء قوم فوقفوا فقيل لهم من انتم فقالوا اناس
من الجن ولذا جوز بعضهم في قوله تعالى من الجنة والناس ان يكون بيانا
للناس ومن الغريب قول السكي انه مشترك بينهما قارة يكون بمعنى الانسان
واصله اناس وتارة يكون شاملا لهما واصله على هذا انوس بمعنى تحرك وقيل
الناس هنا شامل لمن تقدم عهد الرسالة بنظر دقيق والظاهر على الثلاثة
الاخيرة انه نزل الكل منزلة الجاهل فاعلمهم او العالم فقصد اظهار المنة اوعلم
وقيل قصد اعلام الجاهل واظهار المنة للعالم وفي صحته نظر اقول
وجه جعل المحي شاملا لمن تقدم انه اخذ عليهم الميثاق على ان يومنوا به
ويخبروا امتهم بانه سيبعث فلما جاءهم خبره جعل كانه جاءهم حقيقة اولانه
سيشفع لهم في المحشر وكان مجيئه لهم كغيرهم ولا يخفى بعده وان صح ثم
ان اعلام الله بفائدة الخبر اولازمها اذا كان لكثيرين لا مانع من قصد اعلام
بعض والاضنان على بعض كما انه لا مانع من قصدهما معا للجميع بان يعلمهم
بما فيه نفع عظيم ويمتن به فالتردد في صحته لا وجه له **على اختلاف المفسرين**
اي اعلامنا مبينا على اختلافهم في اختيار بعض لبعض هذه الوجوه واحر لاخر
لما لهم من وجوه الترجيح كما اشرنا اليه **من المواجه بهذا الخطاب**
من بفتح الميم اسم استفهام نونه مكسورة لالتقاء الساكنين وكونه بكسر
الميم حرف جر بيان للمومنين اي من الذين وجه اليهم الخطاب بعيد غير لايق
والمواجه بفتح الميم اسم مفعول مرفوع خبرا او مبتدا على القولين والمواجه
الخاطب لمقابلة وجهه لوجهك والخطاب مصدر خاطبه اذا شافهه
بالكلام ويطلق على توجيه الكلام للغير وعلى الكلام الموجه وعلى ما يدل
عليه كالكاف ويصح ارادة كل منها هنا وعلى ما مر متعلق بمقدر صفة او
خبر مبتدا مقدر اي هذا وما ذكر مبني الى اخره واصله في جواب القائل
من المواجه الى اخره والاختلاف مصدر منعد بالحرف يقال اختلف في كذا
والاختلاف في ما مر من التخصيص والتعميم فالمطلوب بيتعين احد الوجوه
للسائل وهو كما قيل معلق عنه عامله وان تعدى بالحرف تعليق افعال
القلوب لما تضمنه معنى العلم كما قالوه في قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن
عملا او على قول يونس يجريه في جميع الافعال او الجملة الاستفهامية مستانفة
كما في قوله تعالى ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون في قراءة من
فتح الميم فتعلق الخلاف متروك او مقدر كانه لما ذكر الابة قيل فيما اختلفوا فقيل

في جواب القائل كما قدروه وقد قيل عليه انه مع سماجته فيه ان هذا
السوال المقدر لا يتولد من ذكر الاختلاف وايضا المصنف رحمه الله تعالى
لم يقصده وليس مرادا في هذه الاية الى اخرها طول بغير طائل مع ذكره امورا
منفصلة من العربية ليس هذا محلها والخلاف والاختلاف متقاربان الا ان علما
الحنفية فرقوا بينهما كما ذكره الخصاف في ادب القضا فقال الخلاف
ما وقع في محل لا يجوز فيه الاجتهاد وهو ما كان مخالفا للكتاب والسنة
والاجماع والاختلاف بخلافه بان يكون في محل يجوز فيه الاجتهاد فالاول
لو حكم به قاض ورفع لغيره يجوز له فسخه بخلاف الثاني وهذا معنى قولهم
خلاف لا اختلاف انهم **بعث فيهم رسولا من انفسهم** ان بالفتح وهو
مع ما بعده سد مسد مفعولي اعلم وان كان مصدرا مفردا بحسب التاويل
الا انه لاشتماله على النسبة في حكم الجملة فليس كالمصدر الصريح من جميع الوجوه
كما بينه النحاة كما ذكروه وقد افردناه بالتاليف في الرسايل ولذا قال
المحققون انه لا يحتاج لتقدير مضاف اذا وقع خبرا كما توهمه وانفسهم هنا
بضم الفاجع نفسي والضمير في بعث راجع لله وكون انه بعث الى اخر بدل
من قوله لهذا الخطاب بدل كل واشتمال تكلف غير محتاج اليه وهذا جار على
الوجوه كلها فان كان الخطاب للمومنين فالمراد بكونه من انفسهم انه على صفتهم
ومعتقدهم وان كان للعرب فالمراد انه من صميمهم ونوعهم وان كان
لاهل مكة فالمراد انه نشا من نوبتهم وبين اظهرهم وان كان للناس فالمراد
انه من جنسهم وليس هذا على بعض الوجوه كما توهم وفيه اشارة الى شرف من
بعث منهم ومن هنا نعلم ان شموله للجن غير مناسب للمقام **يعرفونه** بيان
لفايدة كونه منهم وهي معرفتهم لذاته وصفاته واحواله وذكره في الكتب القديمة
وتواتر اخبار وضاءة انواره وهذا جار على الوجوه كلها ايضا والمراد
بالمعرفة المعرفة بالفعل او بالقوة لان عندهم ما لا يخفى من ذلك وبالغه
على التغليب ولم يره معروفة بونته حتى يكون كفرهم عنادا كما قيل
وان صح بالتاويل السابق **ويتحققون مكانه** اي قدره ورتبته ويحتمل
ان يراد محله الحقيقي خصوصا اذا كان الخطاب لاهل مكة وهذا ليس تحته
كبير فايدة الا ان يكنى به عن معنى بعيد مثل انهم بما يونه ولا يقدرون على
اذيته او انهم يعلمون انه صلى الله عليه وسلم لم ياخذ ما جاء به عن احد وفي
نسخة مكانته بالتاء وهي اولى لان المكان يستعمل في المكان الحقيقي والمجازي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بخلاف المكانة فانها تختص بالثانى كما صرّح به اهل اللغة فكان التانيث للنقل
وهذه النسخة انسب بالمقام وبقوله يختصمون فتدبّر **ويعلمون صدقه**
وامانته لانه صلى الله عليه وسلم كان معروفا بذلك حتى كان يدعى قبل
البعثة بالامين وتوضع عنده الودايع والامانات وهذا على اطلاقه
من غير نظر لدعوى النبوة ولما قبلها فلا حاجة الى ان يقال المراد ما عدا ها
ويويده حديث هرقل مع ابى سفيان رضى الله تعالى عنه المذكور فى
الصحيحين **ولا يتهمونه بالكذب** اى لا يصفونه ولو افتراء وتهمة لانه
نشأ بين اظهرهم وجربوه فلم يسمع من احد ما يتهم به ولذا قال هرقل فى حديث
البخارى ما كان ليدع الناس على الكذب ويكذب على الله تعالى وهو بهم
بمعنى غلط او ظن واتهمه ادخل التهمة عليه او نسبها له وفى القاموس تهمه كعلم
ما يأتيهم به وفى معنى التقريب انهامه فدتسكن وفى النهاية اتهمته ظننت
فيه ما نسب اليه وبالكذب للسببية او للملابسة اى لا ينسبون اليه ولا يظنّ
ملابسته بالكذب اولا يتهمونه بسبب الكذب وقيل الها للتعدية **وترك**
النصيحة لهم ترك بالجر معطوف على الكذب اى لم يتهمه احد بترك النصيحة
حتى كانوا يرجعون اليه فى مشكلهم ومشاورتهم قبل الدعوة للنبوة والله
والنصيحة ضد الغش وفى معناها لغة اختلاف فقيل وهو الاشهر معناها
الخلوص يقال نصحه اذا اراد له الخير واظهره وغشّه فى ضده ومنه التوبة
النصوح وهى الخاصة ظاهرا وباطنا الذى لا يرجع صاحبها عنها ابدا وراب
فى فتاوى ابن تيمية ان من الناس من قال ان نصوحا اسم رجل كان فى زمن عيسى
صلى الله عليه وسلم تاب توبة مشهورة فامر النبى صلى الله عليه وسلم ان يتوب
الناس توبة كتوبته قال وهو كذب من قائله اذ لم يسمع باحد سمى نصوحا فى
الاعصر المتقدمة ولم يقل هذا احد من المسلمين فضلا عن العلماء وانما ذكره
هذا لانى سمعت بعض جهلة الوعاظ من الروم يذكره فى مجالس فاياك
ان تغتر بمثله **لكونه منهم** متعلق ببعرفون او به او بما بعده وعلى التنازع لانه
تعليل لمجموع الكلام او هو خبر مبتدا اى وهذا لكونه الى اخره وهو جار على
الوجوه كلها وقيل انه متعلق بيعلمون فان القريب يعرف حال القريب
او بلا يتهمون فيكون دليلا له وقد مر ان الكلام يحتمل ان المراد انهم يعلمون
نبوته صلى الله عليه وسلم بالقوة او بالفعل وقد تقدم ما فيه فتذكره **وان لم**
يكن فى العرب قبيلة الا ولها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة او قرابة

انه بالفتح

انه بالفتح وهو وما بعده فى محل جر عطفا على كونه وهو عطف مغاير او تفسيرى
تفصيلى وهذا اولى من عطفه على انه الاول لبعده ولانه لم يعهد به الابتكلف
بان ينزل وقوعه منزلة الاعلام وقبيلة بفتح القاف بنواب واحد وجمعه
قبيل وقيل مما بمعنى وهو الجماعة وقيل بينهما فرق فالاول بنواب واحد
والثانى من ابا مختلفة او هو اعم وطبقات انساب العرب ستة وهى الشعب
بالفتح وهو اكبرها ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة
وهى العشرة وقد نظمها التاوفى فى قوله **شعر**

- شعب بفتح الشين والقبيلة • من بعدها عمارة اصيلة •
- وهى بكسر العين تروى ثم قل • بطن وفخذ بعدها ولا تحل •
- وسادس فصيلة تؤويه • وهى العشيرة التى تليه •

والشعوب بضم العين جمع شعب بفتحها فى العجم والاسباط فى بنى اسرائيل
كالقبايل فى العرب ولذا قيل فيمن يفضل العجم على العرب شعوسة ونب
له وهو جمع لانه كانصارى وقوله الاولها الى اخره يعنى به ان فى كل قبيلة
من العرب له صلى الله عليه وسلم اب اوجد اولم ولو جدة بدون واسطة
وفى هذه الجملة الواقعة بعد الامع الواو قولان فذهب الزمخشرى الى انها
صفة والواو لالصاقها بالموصوف تشبيها لها بالحال والجمهور على انها
حالية والمعنى لم تكن قبيلة على حال من الاحوال الا على هذه الحال من اتصال
النسب لامتناع الواو والتفريع فى الصفات كما فصل فى محله والمراد
بالقرابة القرب من عمود النسب الفرعى والاصلى مطلقا الا انها
فى العرف اذا اطلقت خصت بالفرعى ولذا الواصى او وقف على
اقاربه لم تدخل فروعه واصوله والفرق ظاهر بينه وبين اقرب اقاربه
والقرابة بالفتح تكون مصدرا بمعنى القرب يقال هو ذو قرابة ولا يقال
من قرابته الا نحو زيد او يكون اسم جمع بمعنى الاقارب وانكار الحريرى له فى
الدرة بينا رده فى شرحها والمراد فى عبارة المصنف رحمه الله تعالى بالقرابة
المعنى العرفى لانه لو كان بمعناه الحقيقى لغة لزم عطف العام على الخاص
بأو وهو انما يكون بالواو وكعكسه وفى شرح السيد ان يكون بأو نادرا ٥
والاول هو المعروف عند النحاة كما فى المغنى وغيره وقوله لم يكن فى العرب
الى اخره ورد فى الاثر كما اخرجه ابو نعيم فى الدلايل من طريق الكلبى عن ابى صالح
عن ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير هذه الاية قيل ومثله لا يكون من قبل

شبكة الألوكة www.alukah.net

الرّاي فهو في حكم الحديث المرفوع وفيه بحث الا انه سياتي رفعه ايضا
واخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن بطن من قريش الا وله فيه
الله عليه وسلم به قرابة كما قال حسان رضي الله تعالى عنه •
• وسطت نسبتي الذوائب منهم • كلها ارفيها اب لي عظيم •
ووقع في بعض نسخ الشفا عند بعض الشراح هنا زيادة وهي قوله وهو
عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة
في القربى قال السيوطي رحمه الله تعالى في تخريج احاديث هذا الكتاب ان هذا
له طرق كثيرة استوفيتها في الدر المنثور منها ما اخرجه البخاري من طريق
طاوس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لم يكن بطن من قريش الا كان لي فيهم قرابة الا نصلوا ما بيني وبينكم من القرابة
واخرج الطبراني بنحو من طريق سعيد ابن جبير عنه قال قال الغزالي على
هذا قرابة اهل مكة خاصة وعلى ما رواه ابو نعيم في الدلائل كما مر قرابة
جميع العرب لاتصال نسبه صلى الله عليه وسلم بهم كما مر معنى الاية عند ابن عباس
رضي الله عنهما الا تودوني لاجل القرابة بيني وبينكم والخطاب لقريش
خاصة لما رواه الضحاك من ان المشركين كانوا يوذونه فنزلت وما روي
من انها نزلت في ال البيت خاصة فقال ابن حجر انه موضوع وما روي من انها
نزلت في الانصار لانه لما قدم المدينة قالوا له يا رسول الله انك تنوبك نوائب
وقد جمعنا لك مالا نستعين به عليها فنزلت قال ابن حجر انه ضعيف ويبطله
ان الاية مكية واقوى ما روي في سبب نزولها ما اخرجه قتادة من
ان المشركين قالوا لعل محمدا يطلب اجرا على ما يتعاطاه فنزلت وهذا محتمل
ما قالوه في سبب نزولها وقيل الاية مدنية والذي صححه ابن حجر يخالفه
وفي في قوله في القربى تعليلية كما في ان امراة دخلت النار في هرة الحديث
او هي للظرفية المجازية وهو حال او صفة ان جوزنا تقدير المتعلق معرفة
فكان القربى ظرفا للمودة واعلم انهم اختلفوا في هذا الاستثنا هل هو متصل
او منقطع فقيل انه متصل والاية منسوخة بقوله قل ما سالتكم من اجر
فهو لكم وقيل هو منقطع لان الانبيا عليهم الصلاة والسلام لا يبغون على
تبليغهم اجرا فالمعنى الى اذكركم المودة في القربى وفي زاد المسير انه لاختيار المختنين
فلا يشوبه نسخ وفي شرح البخاري ان الاية نزلت لاستكشاف شر الكفار فهي
منسوخة باية القتال وهو لا ينبو على كونها مدنية وبعضد الانقطاع ما في الكشاف

ابن رسلان

فان المودة

من ان المودة ليست اجرا حقيقة لان قرابتهم وصلته لازمة لهم مودة
وهو مقتضى السياق فما في بعض الشروح من ان الصحيح الذي يرتبط به كلامه
ما اخرجه البخاري من انه لم يكن بطن من قريش الا وله صلى الله عليه وسلم فيهم
قرابة لا ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى كما اخرجه ابو نعيم ليس بصحيح وفيما
ذكره الزمخشري اذ لزوم ايصال شي لاحد لا ينافي كونه اجرا مطلوبا بعمل نعم
المتبادر من الاجر انه ما لا يستحق الا بالعمل وما لزم بدونه لا يسمى اجرا والثواب
لازم للعمل فيه وذهب بعضهم الى جواز الوجهين فان نظر الى الظاهر او ان
المراد بالاجر مطلق ما يترتب على شي او بالمودة لوازمها يكون متصلا وهو
المراد في هذه الاية وان اريد حقيقته فهو منقطع وهو المنفي في الاية الاخرى
فلا منافاة ولا نسخ وهو كلام حسن اقول هذا زبدة ما محضه
التتبع وقد ظهر لك منه جواز الوجهين وان المودة اما مودة اقاربه له
او مودة بعضهم لبعض وما طلب اجره تبليغ الرسالة واداء الامانة وهو
صلى الله عليه وسلم حريص على هدايتهم وشفقته عليهم عد طاعتهم تقربا له
لما فيها من كثرة اتباعه وقع شوكته والقربى ذوي القرابة القريبة
او البعيدة كما قيل •
• اذا كان اصلي من تراب فكلها • بلادي وكل العالمين اقاربي •
فكلام المصنف رحمه الله تعالى منزل على الاقوال كلها والضمير في قوله وهو
عند الى اخره لجميع ما ذكر قبله او للاخير فلا عتبار عليه ثم شرع في توجيه القراة
بالفتح الشاذة فقال وكونه ولم يعطفه باو لتحقيق المعنيين والقرائين
كما قيل وقد جوز وا فيه ان يكون عطفا على مدخول اللام في قوله لكونه
والنصب لعطفه على مفعول اعلم او تعلمون والرفع على انه مبتدا اخبره قوله
الاية الى اخره واقتصر عليه في المغني واستبعده بعضهم ولا وجه له
فان الدراية والرواية تويده لانه ابتدا كلام لبيان القراة الشاذة
ولذا اخره من انفسهم وارفعهم وافضلهم على قراة الفتح اي بنا على
قراة الفتح للفا وهذه المتعاطفات متقاربة ولك ان تفسرها بما
يجعلها متقابلة والامر فيه سهل وافادة النظم لزيادة شرفه وفضله
لانه اخبار من الله تعالى الذي لا يتوهم عاقل خلافه فلا يرد عليه
ما قيل من ان المبنى على القراة كونه معلما به ومرادا من محوى النظم
لا اصله ولا ما نوهم من ان الامر كذلك قطعا فلا يبنى على القراة الشاذة

دلجي

سيد

سيّد

سيّد

نعم يرد على رفع كونه ويدفع بالتاويل وكذا ما قيل من انه مبنى على
القراة المتواترة ايضا فلذا قدمها وهو ظاهر السقوط بغير دفع وهذه
اي المنقبة والصفة الجميلة التى تضمنتها الاية على هذه القراة او على
القراتين او هذه الاية باعتبار ما تضمنته وكون الاشارة للوصف بالاسية
والتانيث لوغاية الخبر ارتكاب لما يحتاج للتاويل من غير داع له **نهاية**
المدح فى بابه وتنجه المقصود منه وهذا يمكن عوده الى القراتين وانكان
الظاهر الثانى فقط فعلى القراة الاولى لغاية المدح بعلو الحسب والنسب
لان العرب اشرف الناس وقد حازت كل قبيلة نوعا من ذلك فمن اتصل بجميعهم
حاز جميع محاسنهم وحلاوة السنتهم فكان صلى الله عليه وسلم اجل منهم كلهم وهذا
هو المقصود بكونه منهم وكذا اذا قلنا المراد جميع الناس وان توهم خلافه
فى قولك هو واحد من الناس او من بنى فلان ونحو وعلى الثانى هو لغاية
النهاية لانهم انفس الناس وهو اجلهم وافادته لهذا من بديع الكناية على
نمط قوله عز وجل كانت من القانتين وقوله فلان من العلما فانه ابلغ من كانت
قانتة وفلان عالم ولذا عدل عنه مع انه اوجز لافانه انه مع اتصافه برله
قدم راسخ فيه لا دخيل كقولك مثلك لا يبخل كما فى شرح المفتاح وهو مأخوذ من
كلام ابن جنى فى المحتسب وعبارته العرب تجعل لفظ مثل توكيدا وسببه انهم يريدون
جعله من جماعة هذا اوصافهم تبيينا للامر وتوكيدا له ولو كان فيه وحده لحاق
منه موضعه ولم ترسخ فيه قدمه ولم يومن عليه انتقاله الى ضده ومثله
قولهم فى مدح الانسان انت من القوم الكرام اي لك فى الفضل سابقة واول
وانت مقيم عليه محفوف به لست وحيلا فيه من غير اول ولا اصل فتحشى بزول
عنه ولما اريد مثل هذا فى الثنا على الله ولم يجز ان يكون تابعا فيه لسلفه ولا
موجودا فيه نظير عد لوابه الى وجه ثالث وهو ان يجعل قديما وراسخا عليه
فكانت اثبت له وذلك نحو وكان الله سميعا بصيرا انتهى اذا عرفت هذا فقول
بعض الشراح هنا انه يفهم من هذا الاعلام امران كونه من اشرفهم لان كان
اشرف وهو رسول الله فهو اشرف من الاشرف وهو لغاية المدح بالنسبة لغيره
فلا يرد عليه ان كونه من جملة اشرفهم ليس لغاية المدح انتهى ليس بشى فانظر الى
هذا مع سماجته وافلاسه من افادته وانظر بعين الانصاف لا بعين الرضا فيما
قلناه واعلم ان دخول من على افعل التفضيل كما فى عروس الافراح على وجهين الاول
ان يكون جماعة فاضلة مستوية فى المرتبة فى زيادة ما على غيرها فنقول فى كل منها

هو من الافضل ولا يقال ذلك عند تفاوتها الثانى ان يكون نوع افضل الانواع
فيقال فى كل فرد منه انه من الافضل كما فى قوله من انفسكم على قراة الفتح فتنبه لهذه
الدقيقة انتهى **اقول** هذا على ما قاله انما يفيد مدح قوم النبى صلى الله
عليه وسلم اولا ولا يلزم من شرف قوم شرف جميع افراده كما لا يخفى فالحق
ما قدمناه فانه انفس واعجب من هذا ثم اعلم ان فى كلام المصنف رحمه الله
تعالى بحثا ظاهرا لان ما فى الاية على هذه القراة ليس لغاية المدح لان
قولك هو انفس الخلق واقضلهم ابلغ منه مع ان الخطاب لم يشمل الانبيا عليهم
الصلاة والسلام وانما يتم اذا كانت من بيانية لا ابتدائية او تبعيضية كما
هو المتبادر فكونها لغاية هو المدح فى القران فيه خفا فالاظهر انه مبالغة
اريد بها الكمال انتهى فانظر فانه مع عدم وقوفه على مراد المصنف رحمه الله
تعالى لا محصل له ويقتضى ان الاية فيها عدول عن الابلغ وهذا مما يقضى
منه العجب **تنبيه** قال بعض الفضلا هنا فى حديث انا افصح من نطق بالضاد
بيد انى من قريش اي من نطق بالضاد العربية وبيد بمعنى من اجل ولا يلزم من كونه
من قريش الذين هم افصح العرب ان يكون افصحهم وممدوحا بالفصاحة وقد تردد
فيه زمانا حتى رايت الفاضل الكورانى فى شرح جمع الجوامع قال بعد ما ذكر الحديث
وان بيد بمعنى من اجل وفيه نظر قوي وهو ان كونه من قريش لا يقتضى كونه
افصح من قريش فالحق انها بمعنى غير من المدح الذي يشبه الذم **اقول**
هذه غفلة على غفلة لانه ترك اخر الحديث وهو ونشا بين بنى سعد والذى صححه ابن
حجر فى تخريج احاديث هذا الكتاب الرافعى انا سيد ولد ادم بيد انى من قريش
ونشات فى بنى سعد واسترضعت فى بنى زهر ويروى انا افصح العرب الى
اخره واللفظ الاول مقلوب فانه نشا فى بنى زهرة واسترضع فى بنى سعد واما
انا افصح من نطق بالضاد فلم يصح بمعنى انه انفق لسانه فى قبيلتين هما افصح
العرب واملحهم فحازب اللسانين المليحين وكل احد انما ينوق فى لسانه قومه
فقط فلزم منه ان يكون افصح من جميع العرب شان ما ظنه منجا لا منجا فيه فانه
لا يفيد اولا كونه افصح من سائر قريش فقد وقع فيما فر منه شان شيخنا رحمه
الله تعالى فى الايات البينات ذكر كلام الكورانى وردده على عادته فى التعصب
عليه انتصارا للجلال بما حاصله ان فيه جملة مقدرة ومثله كثير نقدرها وانا افصح
منهم فزاد فى الطنبور نغمة لا تطرب ولا تضحك **ثم وصفه بعد** اي بعد الاعلام
المذكور **باوصاف حميدة** اي محمودة او حامدة على التجوز فى النسبة **واثنى عليه**

نشات

الشهاب احمد
ابن قاسم

ابن الحنبل
والوضحى

هو فى

بمحامد كثيرة قيل ثم هنا بمعنى الفاء كما في قوله جرى في الأنابيب ثم اضطرب
لعدم الفاصلة بين الأعلام والوصف فالترتيب في الأخبار دون الحكم كما قاله النحاة
وردّه ابن عبد السلام في كتاب المجاز بأن في صحته نظرا لان الترتيب فيه ان تم
لا يتم التراخي الا بتعسف يرجع لغير من الوجوه فالأحسن ان يقال انها للتفاوت
الرتبي لان بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام واشرفهم نعمة عظيمة لكافة
الخلق وحرصه على هدايتهم وشفقته ولطفه بهم اعظم وذلك أن تقول وجه ما قاله
النحاة ان الترتيب المذكور لما كان على مقتضى من الالفاظ يجعلى حكم الكل كما قرره
الزمخشري في الاشارة اليه بذلك في قوله ذلك الكتاب لا ريب فيه على ان ما ذكر
كل منهما أمر ممتد يجوز عطفه باعتبار اخر بالفا أو باعتبار غيره ثم كما قالوا في
قول السكاكي فاضح ثم ليقل فهو تاسيس لا تاكيد والأوصاف جمع وصف بمعنى الوصف
به لا المصدر وحميدة بمعنى محمودة عند الله والناس والمحامد جمع محمدة وهي المحمود
به ايضا والثناء بالمحامد لا يغاير الوصف بالصفات الحميدة ولا يعاب مثله في
مقام الخطابة مع انه لما كانت الأوصاف جمع قلة عقبه بجمع الكثرة وفعا
للايهام والأول مطابق لظاهر الآية والثاني لما تضمنته لما لا يحصى
من حرصه صلى الله عليه وسلم على هدايتهم ورشدهم واسلامهم من بيانية
مبينة لما قبلها من الأوصاف وما بعده والحرص فرط الشره وقيل هو الشح
على الشيء ان يضيع وفيه نظر والمراد هنا شدة الطلب لما يريده ويحبه والهداية
الدلالة مطلقا او الموصلة وقيل المراد بها هنا الاهتداء لعطف الرشد عليها
وقيل المراد ما قاله الاشاعرة من انها خلق الاهتداء الى الايمان لا الدعوة
اليه والطاعة كما ذهب اليه المعتزلة لان حرصه صلى الله عليه وسلم ليتنى على
الدعوة التي على عادته ولا يخفى ما فيه وحرصه صلى الله عليه وسلم على الدعوة م
المراد طلب تاثيرها لا مجرد ها والرشد وان كان ضد الغي فهو الهداية
فينبغي تفسيره بالصلاح ظاهرا او باطنا لتغايرهما كما يقتضيه ظاهر العطف
وههنا بحث وهو ان ابن عبد السلام رحمه الله تعالى قال في القواعد في قوله
تعالى فان آنستم منهم رشدا اظهر الاحكام تنبني على ظاهر الامر حتى يظهر
خلافه وما يبطله لانه لو شدد بطلت التجارات والمعاملات وهذا يشكل
على اشتراط الشافعية في الرشد حسن التصرف في المال والصلاح في الدين بحيث
لا يلم بكبيرة ولا يصر على صغيرة فان اجماع المسلمين على معاملة المجهولين والحكم
لهم وعليهم وقبول اعتاقهم وهداياهم مما يأباه والآية لا تدل على ما ذكروه والعجب

رد لابن عبد السلام

من الامام فانه قال في النهاية اذ ابلغ الصبي ولم يوجد منه ما يخالف الرشد انفك
الحجر عنه أقول قد رد كلام الفقهاء بوجوه ثلاثة تخالفه الاجماع أو نص القرآن
ومناقضة الكلام النهاية لكن مع انه تبعهم فيه فكلامهم فاسد والله يعلم المفسد
من المصلح فان الذي قالوه معنى الرشد وحقيقته وهو صلاح الدين والدين بلا
شبهة والمشروط في الآية استيناس الرشد وهو كما قاله المفسرون احساسه
وابصاره وذلك بظهور امارته قاله النظر لظاهر الحال وهو الذي عوّل عليه
الفقهاء واشار اليه في النهاية فلا مخالفة بين ما قالوه والاسلام معروف
وهو مغاير لما قبله ولذا عطف بالواو وثم انه قيل ان المصنف قدم هذه الصفة
مع تاخرها في الآية لان المقام مقام مدح وهو في الحرص انسب والحمل وسياق
الآية للامتنان وهو كونه يعز عليه حالهم فاشار الى تفاوت المقامين
فان قيل المنة في الحرص انسب قلنا مسلك الآية على الترقي وما هنا بخلافه
للتفنن فتدبر وتدبر مقاصد المصنف رحمه الله تعالى ولطف نظمه او يقال
لما كانت العزة منشا لحرصه صلى الله عليه وسلم قدمت في الآية على وفق الواقع
لبيان حاله في ابتداء امره فلما حكاه المصنف رحمه الله بيانا لمحامده قدم المقصود
بالذات الذي به الحمد ثم انه جعل متعلق الحرص في كلامه هدايتهم للايمان وصلاح
شانهم كما ذهب اليه المفسرون لدلالة السياق عليه ولقوله في غير هذه الآية
ان تحرص على هداهم فان القرآن يفسر بعضه بعضا والحرص لا يتعلق بالذوات
وشدة ما يعنتهم من الاعنات قال الله تعالى ولو شاء الله لاعنتكم اي من
عنتكم فيتفاوت المعنيان وان تلازما لأوجه له قال في المصباح اعنته ادخل
عليه الأذى واعنته اوقعه في العنت وفيما يشق عليه تحمله انتهى ويضرهم
في دينهم واخرامهم يضر بفتح الياء وضم الضاد المعجمة مضارع ضر وري بضم الياء
وكسر الضاد مضارع اضر لانه يقال اضره واضر به فلا يلتفت لمن انكر لظنه
ان همزته انما تكون للتعدية ومعنى اضره واضر به اوقعه في الضرر والدنيا
ويقال في مقابله اخره واخرى كما في عبارة المصنف وعزيز عليه عطف على شدة
عطف تفسير كقوله تعالى انما اشكو بثي وحزني ففيه اشارة الى تفسير عزيز
في الآية وانه من عز عليه كذا اذا اصعب وشق كما قال

يعز علينا ان نفارق من نهوى وله معان اخر مفصلة في كتب اللغة
تركناها لعدم مناسبتها هنا قيل كان المناسب للتفسير وعطفه ان يوخر الاشهر
الاظهر فيقول اعزته وشدته لكنه عكس للمبادرة لما يعتمد المراد حتى يسلم السامع من

عرضي

شبكة الألوكة www.alukah.net

عن الانتظار ولا حاجة لجعل السنة غير الغفر للتنازع في علية فان التفسير لا
ينافي التنازع ورافته صلى الله عليه وسلم ورحمته بمومنيهم معطوف على
حرصه وقوله بمومنيهم متعلق بما قبله على التنازع ولا تنازع في الاية الاعلى راى من
يجوز التنازع في المتقدم والرافة مع الرحمة حيث وقعت مقدمة لا للفاصلة
كما قاله القاضي ومن تبعه لوقوعه كذلك في الحشو كقوله رافة ورحمة ورهبانية
ابتدعوها بل لان اصل معنى الرافة التلطف والشفقة وبقابلها العنف
والجبروت كما يشهد له كلام فصحاء العرب كقول قيس الرقيات

• ملكه ملك رافة ليس فيه • جبروت لهم ولا كبرياء •

فلذا قدمت على الرحمة بمعنى الانعام كما في المثل الانباس قبل الامساس والذي
عزهم قولهم في كتب اللغة الرافة اشد الرحمة كما في الصحاح وغيره والرحمة
في كلامهم بمعنى رقة القلب في حق البشر وهي في حقه تعالى بمعنى الانعام
اوارادته نظرا لغايتها وقد قلت هذا بطريق البحث ثم رايت الامام
القرطبي قال في شرح الاسماء الحسنى ما نصه قال الله تعالى وجعلنا في
قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة الاية وحيث ذكرهذان الوصفان قدم
الروف على الرحيم في الذكر وسببه ان الرحمة في المشاهد انما تحصل بمعنى في المرحوم
من فاقته وضعفه وحاجته والرافة تطلق عندنا على ما يحصل الرحمة
من شفقة على المرحوم وقال المشايخ الروف المتعطف والذي جاد بلطفه
ومن بعطفه انتهى فحدت الله تعالى على موافقة القواب ثم ان اضافة مومنيهم
للضمير ظاهر فان الضمير ليس للمومنين فقط ودخوله تحت قوله السابق اعلم
الله الى اخره يشعر بان رافته ورحمته صلى الله عليه وسلم بمومني المخاطبين على
الاقوال كلها حتى على القول بان المخاطبين المومنين وبينهما تدافع كما قيل
وتدفع التدافع بان الاضافة بيانية اي بالمومنين الذين هم المخاطبون واتي
بالظاهر ليبين علة الرافة والرحمة ولو قال لهم لفات هذا او قصد عود الضمير
على من ذكر غير المومنين في الوجه الاول ولا يخفى بعده وركاكته والاولى
ان يقال الضمير عايد على شئ مفهوم من الكلام كالمخاطبين اي من ذكروا والاية
قال بعضهم النازل هو الحسين ابن الفضل اعطاه اي اعطى الله نبيه
صلى الله عليه وسلم في هذه الاية تشريفا له صلى الله عليه وسلم اسمين من اسمايه
رؤف رحيم الظاهر رفعه موافقة للنظم على انه خبر مبتدا مقدر اي هما
رؤف رحيم ويجوز نصبه بمقدر وهو اعني واخص او على انه بدل من اسمين وجر

سيد قطب البيضاوي

ابن الحنبلي

عوضي

على انه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

على انه بدل من اسمايه والاسم تكون بمعنى العلو وما يقابل الفعل والحرف
وما يقابل الصفة المشتقة والمراد هنا ما يطلق على ذات ومسمى صفة كان امرا
وفي بدايع ابن القيم الاسما التي تطلق على الله وعلى غيره كحي عليم هل هي حقيقة
في الله مجاز في غيره او على العكس او حقيقة فيهما اقوال ثلاثة اظهرها الاخير
انتهى وقول المصنف رحمه الله تعالى اعطاه الى اخره فيه ميل الى القول
الاول فان قلت كيف يصح ما قاله عقلا ونقلا وبعض الاسما مجاز فيهما
كالنور وبعضها مجاز في الله حقيقة في غيره كالرحيم لان الرحمة رقة القلب
او بالعكس كالملك والقاضي القضاة قلت لم يعين بالحقيقة الوضعية
اللغوية ولو اراد ذلك لم يصح بل العقلية او العرفية الشرعية وقيل
انها مشتركة اشتراكا لفظيا لعدم تشاركهما في معنى ونقل عن الغزالي رحمه الله
تعالى فان قلت كثير من اسما الله تعالى مطلق على غيره كحي وكريم
وسميع وغيرها فكيف يكون هذا من خصايصه صلى الله عليه وسلم قلت قال
الغزالي المراد انه تعالى اعطاه اسما له بمعنى من المعاني التي اطلق لها على الله
فجعله صلى الله عليه وسلم متخلقا بها باخلاقه بوجه ما
وان لم يكن على الوجه الاكمل اللايق بجناب العزة كما قيل
كلما يصلح للمولى على العبد حرام • والمقصود انه لما ذكر صلى الله عليه وسلم في
القران وصفه بصفتين خلع عليه منهما خلعتي اكرامه العلي تميزه عما عداه وفي
تفسير ابن المنير المسمى بالبحر الكبير فان قلت ما وجه اختصاصه صلى الله عليه
بتسميته باسمين من اسمايه تعالى وقد سمى موسى عليه الصلاة والسلام
كذلك فقال تعالى وجاءهم رسول كريم وبالاعلى حيث قال لا تخف
انك انت الاعلى وسمى ابراهيم عليه الصلاة والسلام عليما واسماعيل عليه الصلاة
والسلام حليما عليما فقال في اية وبشروناه بغلام عليم وفي اخرى حليم قلت
وجه الخصوصية ايراد هما معا في سلك واحد ونسق متصل في القراة ولا يكاد
يوجد هذا الا في وصف الله تعالى لنفسه فهي كرامة اكرمه الله تعالى
بها ليدل على مكانته صلى الله عليه وسلم وان رتبته فوق سايرالرتب

تتمة اعلم ان الايات القرانية حيث ختمت باسمايه تعالى وقعت
مكورة وما كررا قال في معنى ما قبله كغفور رحيم فيفيد مبالغة في تلك
الصفة على وجه يليق بالربوبية او مغايرا له كعزيز حكيم لافادة احتراس
وتكميل لان العزيز قد يفعل بعزته ما لا تقتضيه الحكمة فلما اجرى ما هو من خصايصه

فى وصفه صلى الله عليه وسلم كان من الاختفاء بما لا يخفى فتدبر **ومثله فى الآية الاخرى** قوله سقط هذا من بعض النسخ ووقع بدون واو **لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم الآية** بالنصب كما مر اى اقرأ الآية او اذكرها فانها مماثلة لتلك فى الدلالة على انه مبعوث فى قوم هو من جنسهم سواضمت الفا او فتحت لانه اذا كان صلى الله عليه وسلم من اشرفهم كان منهم ضرورة وفى تفسير ابن المنير من انفسهم من جنسهم يعرفون حاله وانه ما قرأ ولا درس وقد جاءهم العلم دفعة فقص سير الاولين والآخرين على ما هى عليه حرفا بحرف فيعلم العاقل انه امر خارق من عند الخالق كل ذلك ابلاغ فى ظهور حجته ووضوع معجزته فكيف يليق ان يجعل المقتضى مانعا فيلحدون ويجحدون انتهى وقوله فى الآية الاخرى صفة مثله لانه نكرة متوغل فى الابهام لا يتعرف بالاضافة وليس بحال لانها لا تجئ من المبتدا على الاصح لان مثله لا يكون ذا حال كما توهم لان الاضافة ولو للنكرة مسوغة له بلا خلاف ويجوز ان يكون مثله مبتدا خبره فى الآية وما بعده بدلا منها او المن الانعام مطلقا او على من لا يطلب ويكون بمعنى تعداد النعم استكثارا لها وهو غير محمود الا من الله تعالى لانه يمنه يذكر العبد فيبعثه على الشكر ومن الخلق قبيح مطلقا ولذا نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن المن وهو مكروه من غيره ولذا قيل انه حرام ايضا فان كان لغرض صحيح جاز ولذا قيل المنة تهدم الصنيعة كما قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وكما قال الشاعر

• وان امرا اهدى الى صنيعة • وذكرنيها انه لبخيل •

وقال اخر

• اذا زرعت جميلا فاسقه غدقا • من المكارم حتى يثمر الشجر •
• ولا تشنه بمن منك تتبعه • فشيمة المن ان تؤذى به الثمر •

والمنعم المالك الحقيقى وعطاوه عز وعطا غيره ذل لانه يجعل يده سفلى **وفى الآية الاخرى هو الذى بعث فى الامين رسولا منهم الآية** فى هذه الآية امتنان وثناء عظيم كما تقدم والامى هو الذى لا يكتب ولا يقرأ الخط وان قرأ حفظه بالسماع من غيره وانما سمى اميا نسبة الى الام كانه كيوم ولدته امه فانه يكون على جملة من غير ان يحسن كتابة ونحوها او لامة العرب لانهم كانوا امميين الكتابة معدومة فيهم الا نادرا والاحكم له كما ورد فى الحديث بعثت الى امة امية

ثم اطلاق الامى على من كتب ومن لم يكتب كما قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما تغليبا وقيل الامى الذى يقرأ ولا يكتب والمراد بكونه منهم انه صلى الله عليه وسلم امى مثلهم قال الله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون ففيه اشارة الى حكمته وانه معجزة له صلى الله عليه وسلم لكونه مع ذلك اظهر علم الاولين والآخرين وقص سيرهم واخبارهم وفيه ايضا موافقة ما تقدم من بشارة الانبياء عليهم الصلاة والسلام به ونعته فى كتبهم بانه امى واليه بشارة الابى صيرى رحمه الله بقوله

• • كفاك بالعلم فى الامى معجزة • فى الجاهلية والتاديب فى اليتم • •

وبالاشارة الى الوجه الى الوجه الاول تظرف الفاضل

• • من اعجب الاشيا انى امرء • عمى خالى وابى امى • •

تنبيه قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى فى كتاب تخريج احاديث الرافعى عد فقهاء الشافعية رحمهم الله تعالى ان ما حرم الله عليه صلى الله عليه وسلم الخط والشعر وانما يجب التحريم ان قلنا انه صلى الله عليه وسلم كان يحسنهما واستدل بالآية المذكورة وبحديث انا امة امية لا نكتب ولا نحسب والاصح انه صلى الله عليه وسلم كان لا يحسنهما ولكن يميز بين جيد الشعر ورديه وادعى بعضهم انه صلى الله عليه وسلم صار يعلم الكتابة بعد ان كان لا يعلمها لقوله من قبله فى الآية فان عدم معرفته صلى الله عليه وسلم سبب الاعجاز فلما نزل القرآن واشتهر الاسلام وكثر المسلمون وظهرت المعجزة وامن الارتياب عرف حينئذ الكتابة وقد روى ابن ابى شيبة وغيره ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ قال بجاهد ذكرت هذا للسدى فقال قد قد سمعت اقواما يذكرون ذلك وليس فى الآية ما ينافيه وروى ابن ماجة عن انس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسرى بى على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر امثالها والقرض بثمانية عشر والقدرة على قراءة المكتوب فرع معرفة الكتابة واجيب باحتمال اقدار الله تعالى له على ذلك من غير تقدم معرفة الكتابة وهو ابلغ فى المعجزة او فيه تقدير اى سالت عن المكتوب فقيل لى هو كذا وفى حديث سهل ابن الحنظلية انه صلى الله عليه وسلم لما امر معاوية رضى الله تعالى عنه ان يكتب للافرع ابن حابس وعيينة ابن حصن قال عيينة ائتونى اذهب الى قومى بصحيفة كصحيفة المتلمس فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة فنظر فيها فقال كذب لك بما امر قال

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

شبكة الألوكة www.alukah.net

يونس ابن ميسرة راويه فترى انه صلى الله عليه وسلم كتب بعد ما انزل عليه
ومن الحجة عليه ما اخرجه البخاري في صلح الحديبية انه صلى الله عليه وسلم اخذ الكتاب
وليس يحسن ان يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد ابن عبد الله الحديث قال ابن
وحية واليه ذهب ابو ذر وابو الفتح النيسابوري وابو الواحد الباجي وصنف
فيه كتابا وسبقه اليه ابن شبه وقال انه صلى الله عليه وسلم كتب بيده في الحديبية
وقال ابو بكر ابن عربي لما قال الباجي هذا طعنوا عليه ورموه بالزندقة
وكان الامر عندهم متثبتا فعقد مجلسا للمناظرة فاقام الباجي الحجة
ونسبهم الى عدم المعرفة فكتب بذلك لعلماء الآفاق افريقية وصقلية
وغيرها فجاءت اجوبتهم بموافقته وان معرفة الكتابة بعد معرفة امية
صلى الله عليه وسلم لا ينافي المعجزة بل هي معجزة اخرى بعد معرفة امية وتتحقق
معجزته وعليه تتنزل الآية السابقة والحديث فان معرفته صلى الله عليه
وسلم من غير تقدم تعليم معجزة وصف ابو محمد ابن معوذ كتابا رد فيه على
الباجي وبين خطاه وحكى ان ابا محمد الهواري كان يرى راي الباجي فراى في
النوم ان قبر النبي صلى الله عليه وسلم انشق ومات فلم يستقر فانه هنالك
وقال لعله لاعتقادي لهذه المقالة ثم عقدت النوبة مع نفسي فسكن
واستقر ثم قص الرؤيا على ابن مغور فعبرها بذلك واستظهر بقوله تعالى
تكاد السموات ينفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا الاية ومحصل
ما اجاب به ابن مغوز ظاهر لحديث البراء ان القصة واحدة والكاتب فيها على
ابن ابي طالب كرم الله وجهه وقد وقع في رواية البخاري من حديث البراء ايضا
لما صالح النبي صلى الله عليه وسلم اهل الحديبية كتب علي رضي الله تعالى عنه
بينهم كتابا فكتب فيه محمد رسول الله فتحمل الرواية الاولى على ان معنى كتب امر
الكاتب ويدل عليه رواية المشهور في هذه القصة ايضا والله اني لرسول الله وانه
كذ بتوني اكتب محمد ابن عبد الله وقد ورد كثيرا في الاحاديث كتب بمعنى امر كحديث
انه صلى الله عليه وسلم كتب الى قيصر وكتب الى النجاشي وكتب الى كسرى ونحو
وكلها محمولة على انه امر بالكتابة ويشهد له قوله في بعض طرق هذا الحديث
لما امتنع الكاتب ان يمحو محمد رسول الله قال له صلى الله عليه وسلم ارني فاراه موضعه
فمحاه ثم ناوله لعلي رضي الله تعالى عنه فكتب بامره ابن عبد الله بدله واجاب
بعضهم بانه على تقدير حمله على ظاهره يحتمل ان يراد انه كتب مع عدم علمه بالكتابة
وتمييز الحروف كما يكتب بعض الملوك علاماتهم وهم اميون والى هذا ذهب القاضي

ابو جعفر السمناني انتهى ولا يخفى بعد هذا الجواب وان شاهدنا مثله نادرا وقوله
تعالى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم في هذه الاية غاية المدح كالتي قبلها
لما فيها من انه يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ولذا صرح بالمنة فيها كما مر بين
في التفسير فلا حاجة الى اعادته كما في الشرح الجديد وفي هذه ايذان بانه
تعالى اتم النعمة بارساله صلى الله عليه وسلم كما اكمل دينه وفي الكاف وجهان
احدهما ما ذهب اليه ابن جرير من انها متصلة بما قبلها من دعوة ابراهيم
عليه الصلاة والسلام وقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فبعث الله
محمدا صلى الله عليه وسلم ووعده بان يجعل من ذريته امة مسلمة فعنى الاية
لاتم نعمتي عليكم بالشريعة الحنيفية واهديكم لدين ابراهيم عليه الصلاة
والسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم اجابة لدعوته فهو متصل بما قبله كما مر
اليه الغرا وهي متعلقة بما بعدها وموفاذكروني اذكركم والخطاب
جار على الوجوه السابقة فبعثه بانه كما قاله ابراهيم تاليا لكلام ربه
لامته معلما الحكمة وقدم يزكيهم هنا واخر في دعوة ابراهيم عليه الصلاة
والسلام نظرا للقصد والفعل فيهما كما قاله القاضي احمد رحمه الله تعالى
يعني ان التزكية هي المقصود بالذات من تعليم الكتاب والحكمة فلذا قدمت
في الاية الاتية لانها اهم وبالفعل لا توجد الا بعدهم فلذا اخرت فرقا
بين المقامين قيل لو استشهد المصنف رحمه الله تعالى باية دعوة
ابراهيم لكان احسن واوفى بالمقصود لما اشتملت عليه من المدايح مع اقامة
وكن على السنة الانبيا السابقين عليه وعليهم الصلاة والسلام وليس
كما قال لان ما هنا اخبار من الله تعالى عما ذكر فيفيده وقوعه والدعا
لا يفيد والباب مفقود لنا الله تعالى عليه صلى الله عليه وسلم لا لشتا الانبيا
عليهم الصلاة والسلام وان حكاه الله تعالى فهذا ناش من عدم معرفة
مقاصد الكتاب وروى عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى من
انفسكم قال الفاضل الحلبي يعني في قراءة من فتح الفا كما قاله ابن رسلان
وبعضه ما في المواهب اللدنية عن ابن مردويه انه صلى الله عليه وسلم
قرا من انفسكم بالفتح وقال انا انفسكم نسبا الى آخر ما ذكره المصنف رحمه الله
تعالى من الحديث المرفوع وهذا مما اهمله المخرجون لاحاديث هذا الكتاب
فلذا قال قال نسبا وصهرا وحسبا تمييز لاسم التفضيل لابهامه المفصل
به الذي يفسر بتمييز وقد فسره النبي صلى الله عليه وسلم به كما عرفته والنسب

عرضي

ابن الحنبلي

شبكة الألوكة www.alukah.net

القرابة مطلقا أو من جهة الآباء وفي النهاية النسب الولادة القريبة
وهو صلى الله عليه وسلم اشرف الخلق نسبا وكذلك سائر الانبياء عليهم
الصلاة والسلام كما ورد في الحديث لا يبعث نبيا الا وهو ذو نسب في قومه
وفي المصباح النسب مصدر مطلق الوصلة بالقرابة يقال بينهما نسبا اي قرابة
سواء جاز بينهما التناكح اولا وجمع انساب ومنه استعيرت النسبة في المقادير
والصهر واحد الاصهار قال الخليل اهل بيت المرأة وقال الازهري
رحمه الله تعالى الصهر يشتمل على قرابات النساء من ذوي المحارم وذوات
المحارم كالابوين والاخوة واولادهم والاخوال والاعمام والخالات فهؤلاء
اصهار زوج المرأة ومن كان من قبل الزوج من ذوي قرابته فهم اصهار المرأة
ايضا وقال ابن السكيت كل من كان من قبل الزوج من ابيه أو اخيه او عمه فهم
الاحماء ومن كان من قبل المرأة فهم الاختان ويجمع الصنفين الاصهار وصاهرت
اليهم اذا تزوجت منهم والحسب بفتحتين ما يعد من المآثر وهو مصدر حسب بالضم
وقال ابن السكيت الحسب والكرم يكون في الانسان وان لم يكن لابائه ورجل
حسيب كريم بنفسه واما المجد والشرف فلا يوصف بهما الشخص الا اذا كان
فيه وفي ابائه وقال الازهري رحمه الله تعالى الحسب الشرف الثابت
للآباء وقوله صلى الله عليه وسلم تنكح المرأة لحسبها لانه مما يعتبر في همم
المثل فالحسب الفعال الحميدة له ولابائه ماخوذ من الحساب وهو عد المناقب
لانهم كانوا اذا تفاخروا عدوها **ليس في ابائي من لدن آدم** عليه الصلاة والسلام
سفاح كلنا نكاح وفي نسخة كلها نكاح بالهاء بدل النون وكذا وقع في سنن
الترمذي مرويا بالوجهين اي ليس في ابائي من حيث ابوتهم فيلزم ان لا يكون
في امهاته صلى الله عليه وسلم ايضا ذلك كما يدل عليه السياق ولدن ولدا ظرف
مكان بمعنى عند الا انها لا يستعمل الا في الحاضر يقال لدنه ولديه مال اذا
كان حاضرا وجاء من لدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي من عندنا وقد
يستعمل لدى في الزمان واذا اضيف لمضمر قلبت الفه ياء الا في لغة بني الحارث
وما قيل من ان لدن بمعنى عند الا انها لا تضع الا في ابتداء الغاية كما في عبارة
المصنف لحصر فيه لا وجه له فانه اغلبي والسفاح الزنا والفجور من سفحت
الماء اذا صببته فكانه اراق مائه واضاعه وعلى رواية كلها الضمير المونث
للوطيات واسناد النكاح لها حقيقة ان كان بمعنى الجماع ومجاز ان كان بمعنى
العقد فلا وجه للاطلاق في محل التقييد وعلى الاخرى وهي اصح الضمير للنبي صلى

الله عليه وسلم ولابائه واسناد النكاح لهم بتا ويل ذوي نكاح ونحوه او على التجوز
في الاسناد كانهم تخشموا من النكاح كقوله • فاما بي اقبال وادبار • والنكاح يطلق
على الوطي والعقد بالاختلاف في انه حقيقة فيهما او في احدهما على
اقوال مفصلة في الفروع والاصول قيل ولم يرد في النكاح الا بمعنى العقد
لانه في الوطي صريح في الجماع وفي العقد كناية عنه وهو اوفق بالبلاغة والادب
كما ذكره الزمخشري والراغب واذا كان بمعنى العقد هنا فالمراد به عقد صحيح
موافق لدين الاسلام او لغيره من الاديان السالفة وحيث اخبر عنه صلى
الله عليه وسلم فهو بوحي من الله انباه الله به انه صانه واسلافه عما يشين
وطهر ارحامهم عن دنس السفاح فلم يزل كما قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى
في الوفا ينقل من الاصلاب الطاهرة الى الارحام الطيبة مصفى مهذبا
لم يتشعب شعبتان الا كان في خيرهما وقال السيد ان المؤرخين اتفقوا على ان
هاجر ام اسماعيل عليه الصلاة والسلام كانت ملكا لابراهيم عليه الصلاة واللام
فان لم يكن هناك عتق وزواج تعين ان يكون المراد في الحديث النكاح بعموم
المجاز عقد صحيح مبيح الوطي اذ المقصود نفي الفجور فيشمل الزواج وغيره من غير
محذور كما حققوه هذا وظاهر الحديث انه لا فجور في الاباء مطلقا لكن الاظهر
بشهادة ما سبق وما يأتي وما في المواهب مرفوعا من انه لم يلتق ابواي على
السفاح ان المراد طهارة النسل كما اشرنا اليه وتبعه تلميذ ابن الحنبلي •

أقول ويمكن ان معنى لم يلتق ابواي لم يلتق نسب ابواي بقرينة الروايات
الاخر جمعا بينهما **وقال ابن الكلبي** محمد ابن السائب الكلبي ابو نضر المفسر النسابة
المحدث اخرج له الترمذي وستاتي نرجمته مفصلة ونسبته الى كلب وهي قبيلة
معروفة وتوفي في السنة التي مات فيها الشافعي وهي سنة اربع وعشرين
ومائة قال الحلبي وصاحب المقتفى هذا والمشهور ان الشافعي توفي شهيد يوم
الجمعة سلخ رجب سنة اربعة ومائتين وقال التلمساني وصاحب المواهب انه هشام
ابن محمد ابن السائب هو الوالد فلعله نسب الكتابة الآتية تارة الى نفسه حقيقة
او تجوزا فرواه المصنف رحمه الله تعالى كذا قال السيد **كتبت للنبي صلى الله**
عليه وسلم خمسمائة ام فما وجدت فيهن سفاحا اي وطيا بطريق الزنا قيل
اراد بالام ما يشمل الجدات ومن في حكمهن كام العم والعم واما العم الاب ونحوه
فان الجدات الحقيقية لا تقارب ذلك وقد عدوا الى ام عليه الصلاة والسلام
سبعة واربعين ابا ويعلم من هذا النقل ان السفاح لم يقع في الاقارب فما في الشرح

عرضي

سيد

شبكة الألوكة www.alukah.net

من ان ذلك النقل لعوطرتبة لأطائل تحته أقول هذا ه
اشارة الى السؤال المشهور على ما قاله ابن الكلبي رحمه تعالى من ان امهاته
صلى الله عليه وسلم وجداته لا تبلغ هذا العدد فكيف ما قاله وانت
اذا تاملت قول المصنف السابق لم يكن قبيلة من العرب الا ولها على
رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة او ولادة عرفت انهم لم يقفوا على المراد
فانهم جعلوا النسب شجرة لها اساق وعمود وشعب واغصان متفرقة
فان نظرنا الى عمود النسب وما عليه ومحاذيه لم يبلغ عدد الامهات ما يدانيه
فضلا عن ان يساويه وان نظرنا الى الفروع والشعب وسائر قبائل
العرب لجمعهم لهم به صلى الله عليه وسلم اتصال نسبي ونساوهم امهات له ولهذا
ابن الكلبي واضرابه بمثل ذلك غير مستبعدة فانهم لهم اعتنا بالانسان يعدونه
من اعظم علومهم ونوضيحه انك اذا نظرت لقبيلة وجدت لها من نسل رجل
واحد فجميع ذكورهم ابا له صلى الله عليه وسلم او اعمام او اخوال وجميع نسائهم
جدات او عمات او خالات لعده قرابتهم ولادة له والمراد ان نسبه صلى الله عليه
وسلم بحواشيه واطرافه جميل لم يمسسه دنس عار فاذا فتحت عين البصيرة
لم تجد غبارا فاعرفه وانما اطلت الكلام لان رايتهم استشكلوه والريات
احد فيه بما ينفي الغليل ولا شيأ مما كانت عليه الجاهلية وفي نسخة
مما كان وفي نسخة اهل الجاهلية وعلى النسخة الاخرى اهل مقدر والمراد الامة
او المراد بالجاهلية اهلها كما يطلق المجلس والمقام على اهله والجاهلية
زمان كثرت فيه الجهالة او الناس كذلك وهي ما قبل الاسلام او ايام الفترة
وقد تطلق على زمن الكفر مطلقا وعلى ما قبل الفتح والمراد انه ليس في نسبه
صلى الله عليه وسلم زنا ونحو مما يعاب وعطف قوله ولا شيأ الى اخره من عطف
العام على الخاص لان عطف الخاص على العام كما قيل فائدته كانت له انكحة
لا يعدونها سفاحا فحرمها الشرع كنكاح المصافحة وعد منها في بعض الشروح
امورا اكثرها زنا واطال فيها من غير طائل ومنها نكاح المقت وهو نكاح زوجة
الاب وارد عليه الزبير ابن بكار ما ذكره المؤرخون ان كنانة خلف على برة
بنت ادد زوجة ابيه خزيمة على ما كانت الجاهلية تفعله اذا مات الرجل خلف
على زوجته بعد اكبر بنيه من غيرها وورد بما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه
قال ما ولد من سفاح الجاهلية شيأ وولد في الاسلام وبما ذكره الامام
رحمه الله تعالى عن الكلبي وقد اجيب عنه باجوبة منها انه لم يكن سفاحا محرما قال

الشهيلي

الشهيلي رحمه الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم
من النساء الا ما قد سلف فان الاستثنا يدل على تحليله والله ليس في نسب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعاب والله لم تكن في اجداده صلى الله عليه وسلم
سفاح الا ترى انه لم يقل في شيء نهي عنه في القرآن الا ما قد سلف نحو
لا تقربوا الزنا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله ولا يستثنى من المعاصي
التي نهانا عنها الا في هذه وفي الجمع بين الاختين لانه كان مباحا في شرع من
قبلنا كما جمع يعقوب بين راحيل واختها ليا فقوله الا ما قد سلف فيه
التفات الى هذا المعنى وتنبيه على هذا المعنى ونقل هذه النكتة
عن ابن العربي وهذا بنا على ان نكاح زوجة الاب جايز قبل الاسلام وكانوا
اذا مات احدهم ورث اولياؤه نكاح زوجته ولو كرها فانزل الله تعالى
لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها وظاهر كلام بعض المفسرين كان جايزا
في اول الاسلام ويابا ه قوله انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فان كان
هنا بمعنى لم يزل وهو احد معانيها لا زايدة فانها لا تزاد اذا علمت وذهب
بعض المفسرين الى انه لم يكن حلالا ابدا وقوله الا ما قد سلف لا يدل
عليه ولذا اعترض من استدل به ودفع ما مر بما نقله الجاحظ من ان كنانة
من خزيمة وان خلف على زوجة ابيه بعده وهريرة بنت اوس بن طلحة وهي
اوسد فهي لم تلد منه ذكرا ولا انثى حتى تكون جدة للنبي صلى الله عليه وسلم
ولكن كانت بنت اخيها وهي موة بنت مر ابن اد بن طلحة اخت تميم بن مر
عند كنانة بن خزيمة فولدت له النضر بن كنانة وانما غلط كثير من الناس
سمعوا ان كنانة خلف على برة لاتحاد اسمها وتقارب نسبها قال وهو الذي
عليه اهل العلم بالنسب ومعاذ الله ان يكون اصاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم نكاح مقت وقد قال ما زلت من نكاح كنكاح الاسلام
ومن اعتقد غيره وشك في هذا الخبر فقد اساء واخطأ وكذا ما قيل من ان
هاشما خلف على واقد زوجة ابيه فانه رد بانها ليست جدة للنبي صلى الله
عليه وسلم فان ام عبد المطلب انصارية ولذا كانت الانصار اخواله صلى
الله عليه وسلم كما فصل في السير واعلم ان المصنف رحمه الله تعالى لما
ذكر ايات قرآنية فيها الثنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سودها
في ترتيبها بقي لم يبينه عليه احد من تكلم عليه فانه بدا بقوله لقد جاءكم رسول
من انفسكم الآية الدالة على ان الرسول الذي جاءهم ازال عنهم العنت والمشقة ومدلهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

للنور المبين وهو منهم معروف فيما بينهم ثم عقب ما ذكر من التخلية بما يدل
على التحلية من قوله لقد من الله الى آخره فدل على انه منه ونعمة عظيمة لنبيه
واشارة للعلوم والحكم والاتيان بكتاب لم يشرف بما يدانيه احد من الامم
ثم يختمه بما يؤكد هذه المنة من انهم اميون لا قدرة لهم على القراءة والكتابة
مع ان الكتب السالفة ليست بلسانهم فلو لم يبعث منهم هذا النبي الكريم
صلى الله عليه وسلم لم يتفقوا من الضلالة ويهتدوا للسعادة فاعرفه
وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين
قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا وروى اخرجك قال السيوطي
هذا الحديث اخرجه ابن سعد والبزار وابو نعيم في الدلائل بسند صحيح
عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو عبد الله ابن عباس ابن عبد المطلب
الصحابي المشهور حبر هذه الامة وترجمان القرآن الفائق في العلم والكرم
احد العبادلة توفي سنة ثمان وستين في ايام ابن الزبير وقد كف بصره كما
سياتي والتقلب تنقل من القلب وهو التحول من جهة الى اخرى وجعل اعلى
الشيء اسفله وهو بالمعنى الاول في الاية وفيها وجهان آخران غير
ما ذكره ابن عباس احدهما ان المراد تردده في تصفح احوال الصحابة في تهجدهم
بعد ما نسخ فرضية قيام الليل وان بيوتهم مملوءة بالذكر والصلاة ولهم
دوي كدوي النحل او تصرفك بين المصلين قياما وركوعا وسجودا اولا
قيل انه لم يذكر صلاة الجماعة الا في هذه الاية وعلى هذا اقتصر اكثر
المفسرين وعلى الاول اقتصر الرازي في اسرار التنزيل واستدل لها
على اسلام ابا النبي صلى الله عليه وسلم واجداده فقال انه كان ينتقل درة من
مساجد الى ساجد فيدل على ان اباه صلى الله عليه وسلم لم يكونوا مشركين
ويدل عليه ايضا ما ورد في الحديث من انه صلى الله عليه وسلم لم يزل ينقل
من اصلاب وارحام طاهرة وقد قال تعالى انما المشركون نجس وسياتي
تفصيله في حال الابوين والاجداد فيما ذكر لان المراد بتقلبه انتقاله من صلب
نبي الى نبي ولو مع الوسائط والمراد بالحديث انه ليس في اصوله سفاح كما
وفي الحديث تصريح بان هذا هو المراد فالمراد لتعظيم صلى الله عليه وسلم والثنا
عليه بعد ما مدحه بان الله طهر اصوله كما طهر فروعه وملايمة هذا المقابله
وهو وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك الى آخره
ظاهرة لان المعنى فوض امورك كلها في جميع احوالك الى يراك اذا قمت لكل

صلاة او

صلاة الليل او لصلاة ويراك في اخفى من هذا اذا كنت وحدة في اصلاب
المصلين وعبر عن الصلاة بالسجود لانه اعظم واقرب الى الله فان العبد اقرب
ما يكون من ربه وهو ساجد فالمراد انه يراك في ظهورك وبطونك لا تستوي الاثنا
والخفي في عمله خلافا لمن توهم انه لا ملايمة بينهما وبهذا ظهر ايضا مناسبة هذه
الاية لما قبلها في كلام المصنف ووجه تاخيرها والمراد بالرؤية ظاهرها
او الحفظ والكلاءة والرعاية كما يقال نظر الله اليك اي حفظك في جميع حالاتك
من حين كنت نطفة فكيف لا يحفظك من اعدائك وينصرك عليهم وسقط
ايضا ما يتوهم على هذا التفسير انه ان اريد ان جميع الاصلاب التي حوته كذلك
فالواقع خلافه والا فلا فرق بينه وبين غيره من بني اسماعيل عليه الصلاة
والسلام وقد روي عن ابن عباس ايضا ما ذكره غيره من المفسرين ففيه روايتان
عنه وقال جعفر هو جعفر الصادق ابو عبد الله ابن محمد ابن علي ابن الحسين
ابن علي ابن ابي طالب رضي الله عنهم وامه ام فروة بنت القاسم ابن محمد ابن ابي بكر الله
رضي الله تعالى عنه روى الحديث عن ابيه وعن نافع وعطا والزهري وغيرهم
وروى عنه كثير كمالك والسفيانين وابن جريج وابن اسحاق واتفقوا على
امامته وجلالته وسيادته وولد سنة ثمانين وتوفي سنة ثمان واربعين
ومائة قيل مسموما ودفن بالبقيع مع ابيه وجده وعمه في قبر واحد ويقال
انه ولد في الصديق مرتين لان امه ام فروة بنت القاسم ابن محمد الصديق وامها
اسماء بنت عبد الرحمن بن الصديق وكذا يقال لمن نتسب من جهتين ووثقه
في روايته الشافعي وابن معين وابو حاتم والذهبي وهو من فضلا اهل
البيت وعلمائهم والاحاديث المروية عنه مقبولة الا رواية اولاده اذا لم ترد
من طريق اخر فانهم رووا عنه مناكير كثيرة حتى ذهب بعض الناس الى تمريضه
ولا تزر وازرة وزر اخرى وكانه لذلك لقب بالصادق علم الله تعالى وتقدس
عجز خلقه عن طاعته في نسخة ضعف خلقه والطاعة اسم مصدر هو الاطاعة
من اطاع اذا انقاد واتبع الامر فلم يخالفه قال ابن فارس اذا امتثل لامره فقد
اطاعه اطاعة واذا وافقه فقد طاوعه والاستطاعة الطاعة والقدرة
اي انه عز وجل علم عجز القوي البشرية عن اطاعته كما ينبغي من غير ان يكون بينهم
وبينه واسطة من جنسهم لها تجرد باعتباره وتعلق بمقتضى الفطرة به بعضهم
على من هو دونه ولذا كانت الرسالة سفارة بين الله وبين العقلاء يرجع
لها عللهم فيما قصرت عنه عقولهم من مصالح الدنيا والاخرة ولا حاجة هنا

عرضي

كما قيل الى تفضيل معنى النبوة والرسالة **فعرفهم ذلك** العجز وانهم لو لم يكونوا عاجزين لم يقم بينه رسولا موصوفا بما سيأتي ولذا اقام الله عذر من لم يأته رسول فقال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا **لكي يعلموا انهم لا ٥**
ينالون الصنوف من خدمته ينالون بمعنى يصلون ويأخذون والصنوف بمعنى الصلة الخالص بفتح الصاد المهملة والصنو مثله وخدمته بمعنى عبادته وطاعته وصفوته خلوصها من الخطوظ النفسية فلا يشوبها ما يكدرها من التقصيرات **فاقام بينهم وبينه** وفي نسخة بينه وبينهم بتقديم المفيض على المستفيض لتقدمه ذاتا ورتبة وفي الاولى قدمهم لانهم المحتاجون للوسائط فقدموا رعاية للمقام واقامة بينهم جعله قائما موجودا بينهم او اقامة خليفته **له رسولا مخلوقا من جنسهم** وسقط رسولا من بعض النسخ اي بشرا منهم فليس الجنس منطقيا بل لغوي وهو اعم من المصطلح لشموله النوع وغيره وما قيل من ان المراد من جنسي شرفهم اذ اصل الكلام بالنظر الى الانسان الاشرف او المراد من العناصر ونحوها مما يعم الثقلين ولذا عدل للجنس كلام لا يناسب المقام وفيه تعقيد من غير حلاوة فتركه خير وفي الاخير يكون الظرف لغوا والقصد بهذا زيادة الايتناس وسهولة الاتباع وقوله **في الصورة** اي جنسيته صلى الله عليه وسلم انما هو بحسب الصورة الظاهرة لا المعنى الباطني لما سيأتي في القسم الثالث لتكون له المناسبة بين الجانبين فيتأهل للوساطة بين الله وعباده **والبسه** اي كساه الله حللا **من نعته الرافة والرحمة** ففيه استعارة مكنية والنعت والصفة بمعنى ورأيت في بعض كتب العربية ان بعض النحويين فرق بينهما فقال النعت لا يقال الا في غير الله لقولك نعت الثوب ونعت الفرس ولا يقال نعت الله بخلاف الوصف والصفة والمشهور هو الاول وعليه كلام المصنف رحمه الله تعالى والضمير المضاف اليه نعته لله والرافة مفعول البس الثاني وقد قدمنا لك الفرق بين الرافة والرحمة ووجه تقديمها وما وقع لهم من الغلط فيه فليكن على ذكر منك فان بعض الشراح اطال فيه هنا بغير طائل تنبيه قال القرافي في التنقيح شرح مسائل الاربعين الرحمة اصلها ميل الطبع ورقته وهو مستحيل على الله تعالى فيصرف للمجاز وهذه الرقة لها لوازم لان من رق طبعه اراد الاحسان واحسن وكلا مما يصح التجوز به وذهب الباقلاني الى ان التجوز عن الفعل فقال رحمته معاملته معاملة الراحم المرحوم وذهب الاشعري الى انهما ارادته فعلى راي القاضي الرحمة محدثة

سيد

ابن الحنبلي

وعلى راي

٨

وعلى راي الشيخ قديمة وعلى راي المقامي يجوز ان يقال اللهم اجمعنا في مستقر رحمتك وهو عنده الجنة وعلى راي الشيخ يحرم ذلك لان مستقرها الذات وفي القرآن مواضع لا تستقيم الا على احد الرايين فقوله ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما يتعين فيه الارادة لاقترانها بالعلم وهو صفة ذاتية والوسع وقوله هذا رحمة من ربي الاشارة الى السد وهو من باب الاحسان انتهى وهل هي مجاز مرسل او استعارة تبعية او تمثيلية احتمالات بيناها في حواشي القاضي واعلم ان المصنف رحمه الله تعالى لما ذكر في هذا المحل ايات دالة على نهاية الثناء على نبيه صلى الله عليه وسلم وكان معناها كلها ان الله بعث في هذه الامة الامية رسولا هو اعظم مخلوقاته حسبا ونسبا اودعه الاصلاب الطيبة والارحام الطاهرة وجعل واسطته انبياء ورسلا واوحى اليه بكتاب هو اعظم الكتب السماوية وجعله مشتملا على علوم الاولين والاخرين فاقام به الملة المسمحة وانتم به دينه ونصرهم على اعدائهم وملكهم الدنيا ولطف بهم اذ جعله بشرا منهم يخاطبهم بلسانهم وفي ذلك رافة بهم وانعم عليهم وعلى نبيه صلى الله عليه وسلم مثل ذلك اذ راى بهم وانعم عليهم بنعم الدنيا والاخرة ولذا وصفه بصفتين منجاوزتين في قوله بالمومنين رؤوف رحيم ومثله مما خص الله به نفسه فلما جعل خليفة الله خلع عليه خلعة فوق خلعة مميزا له وتكريما كما يفعله الملوك فقوله البسه من نعته الرافة والرحمة يعني به المذكور في الاية السابق ذكرها ولم يجمع لغيرهما فان قلت كيف هذا وقد وصف بصفات غيرهما وجمع له بين صفتين ايضا في قوله في اية الاسراء انه هو السميع البصير بنا على ان الضمير للعبد قلت هذا ما ذهب اكثر المفسرين الى خلافه وان هذا الضمير لله تعالى ولو قلنا انه له فهما ان الصفتان لم تحرا لما ذكرهنا ولا مناسبة لهما بهذا المقام فلذا خصهما المصنف رحمه الله تعالى بالذكر فما قيل معنى الباسه الرافة والرحمة انه وصفها بهما مما شاركه في اصل المعنى وان تغايرا في الحقيقة وانما بينهما مشاركة لفظية ومناسبة ما وانما خصهما من بين الصفات لكمال مناسبتهما لبعثته للثقلين ووساطته بينهما مع شدة الاحتياج لذلك كما قال صاحب معيار المريدين في قوله تخلقوا باخلاق الله معناه اتصفوا بالصفات المحمودة وتنزهوا عن الصفات المذمومة وليس معناه ان ياخذ من صفات القديم شيئا ومثاله من يوقد سراجا من سراج او ياخذ علما من عالم فانه لا ياخذ عين سراجه ولا عين علمه بل يحصل له من اشراق سراجه سراج ومن اضافة علمه علم اخر هو كلام من لم يصل الى الحق ومع انه لا محصل له وليس تحته كبير فايدة **واخرجه الى الخلق سفيرا**

شبكة الألوكة www.alukah.net

صادقا المراد انه اخرجه من العدم والتقدير الى الوجود الخارجي العيني او من الاصلاح والارحام والسفير الرسول والمصلح بين القوم والمراد الاول اي رسولا من الله لهم وهو ماخوذ من سفرت الشيء سفورا اذا كشفته واوضحته لانه يوضح ما امر به ويظهره واسفار الصبح والمراد بالخلق جنسهم أو جميعهم لعموم رسالته صلى الله عليه وسلم كما سياتي وصدقه صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى عصمه من الكذب ولم يوثر عليه تهمته به فضلا عن وقوعه كما مر في حديث هرقل **وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته** طاع واطاع بمعنى اي انقاد وادعن وقيل طاع بمعنى انقاد واطاع بمعنى اتبع الامر ولم يخالفه وليس بينهما بعد بحسب المال والموافقة ضد المخالفة ومعناها الاتفاق والتظاهر اي من اتفق معه على ما كان عليه في دينه وقبول ما جاء به فقد وافق الله والضمير الاول للرسول صلى الله عليه وسلم والثاني لله ويجوز العكس لانه لا اطاعة لله الا باطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا اطاعة للرسول الا باطاعة الله والمراد الاتحاد الحقيقي لانه لا ينطق عن الهوى فهو مبلغ والامر هو الله أو لانه لا يامر فيه طاعة الله وعباده فاطاعته عبادة وقيل المراد ان طاعته مثل طاعته في الوجوب لان الله امرنا باطاعته قيل وهو قصور الموافقة بعد الطاعة وهو بمعنى الاطاعة للتاكيد قيل وتوضيح الاتحاد الحقيقي ان من اطاع الرسول عليه الصلاة والسلام ليس له اطاعة لا يكون مطاعها الحق وهذا كما قيل ان وجود العرض في نفسه هو وجوده في الموضوع فليس للسواد وجود لا يكون تابعا للموضوع ولذا امتنع انتقاله عنه بخلاف وجود الجسم في الحيز فلذا انتقل كما قاله التفتازاني ورد بانه لا يستقيم هذا لان الاتحاد الحقيقي هو ان يصير شيا بعينه شيا اخر من غير ان يزول عنه شيء او ينضم اليه شيء وهنا قد الى اوامره ونواهيه كونها وحيا من الله تعالى ليست كاوامره ونواهيه بامور طبيعية قيل النبوة وهذا كقول السلطان لوزيره مر الناس عني بكذا فانه صادر من الوزير صورة وبعد امرا للوزير وهو في الحقيقة امر السلطان فالاتحاد مجازي بطريق الانتقال والتغير كما يقال صار الماء هوا اي زالت هيولاه صورة خلقتها اخرى أو هو من قبيل صار الابيض اسود او انضم اليه شيء اخر كصار التراب طينا وما قيل في توضيحه ايضا غير صحيح لان الاتحاد الحقيقي وعدم المغايرة والعرض لحقيقة مغايرة لحقيقة موضوعه فلا يقال ان حقيقة السواد هي حقيقة الجسم وهذا الفاضل جعل حقيقة طاعة النبي صلى الله عليه وسلم هي طاعة الله واين الوجود من الحقيقة وقد تقرر ان وجود العرض والجوهر زايد على ماهيتها

وبهذا لم يصدق تعريف الجوهر بانه ماهية اذا وجدت في الخارج لم يكن في موضوع على ذات الباري لان وجوده عين ذاته ثم ان معنى قولهم ان وجود العرض هو وجوده في موضعه انما لا يتمايزان في الاشارة الحسية وقد توهم من هذه العبارة ان وجود السواد مثلا في نفسه هو وجوده في الجسم وليس بشيء اذ يصح ان يقال كان وجد في نفسه قائما بالجسم وهذا يقتضي المغايرة **أقول** انما نقلت هذا مع طوله ليتبين ان في التسويد ارجالا وتحقيقه ان المدلولين اذا تغايرا بحسب المفهوم واتحدا في الخارج بحسب المصداق كالحيوان والمتحرك بالارادة يكون الاتحاد حقيقيا بحسب الخارج واطاعته الله واطاعته كذلك من غير شبهة فان الله اذا اوجب الصلاة وامر بها فامر الرسول عليه الصلاة واللام بها الخلق فامتثلوا فاطاعة الله واطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم اقامة الصلاة وهي امر واحد في الخارج وان تغايرا مفهوما فانه امر اضافي يختلف باختلاف المضاف اليه وكذا وجود العرض في نفسه ووجوده في موضوعه لعدم التمايز والانتقال بخلاف وجود الجسم وما انضم اليه شيء اخر كالخشب والسرير والماء المنقلب هو اليس من هذا القبيل لتغايرهما في الخارج فهذا القائل خبط خبط عشواء واطال من غير طائل فان قلت كيف يتم هذا ان قلنا باجتهاده صلى الله عليه وسلم فاذا امرهم باجتهاده هل يقال الطاعة امره اطاعة لله مع احتمال امره بخلافه كما في قصة الاسرا قلت نعم هو اطاعة لله لقوله واطيعوا الرسول من غير قيد ولذا عقبه المصنف رحمه الله تعالى بقوله **فقال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله** تقدم ان ضميري طاعته فيهما وجهان وقد قيل هنا ان جعل الضمير الاول لله يفيد ان طاعة الله منحصرة في طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لتعريف الطرفين لان المعتبر منهما ما وافق الشرع والشرع من الرسول صلى الله عليه وسلم فهو بلغ الا ان دلالة هذه الاية عليه ليست بظاهرة وتوضيحه كما ان معناها ليست له صلى الله عليه وسلم اطاعة الا وهي لله بتنزيل الموجود منزلة المعدوم كما في قوله وما رميت اذ رميت ويحتمل ان يكون معناها من يطع الرسول عليه الصلاة والسلام في تفاصيل ما جاء به فقد اطاع الله في قوله قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول الا ان هذه الاية هي الدالة على انه جعل طاعته كطاعة في اصل الوجوب لا في ذاته ووصفه لا لاية التي تلاها المصنف رحمه الله تعالى فلا يصح ان يقال معنى جعل طاعته انه جعلها قبلها

شبكة الألوكة www.alukah.net

في الوجوب لان قوله فقال الى آخره يأباه لتفسيره أو تفريعه عليه ما يخالفه
كما سيأتي ورد بأنه لا ينبغي قصر الدلالة على وجوب طاعته في الآية الثانية
ان الآية التي تلاها المصنف رحمه الله تعالى دالة على ذلك ايضا فان
مضمونها أنه جعل طاعته صلى الله عليه وسلم طاعة الله وطاعة الله
واجبة شرعا وعقلا فطاعته صلى الله عليه وسلم كذلك وان لم يكن مثلها
كذلك من كل الوجوه فدل ذلك على انه يجوز ان يكون مراد جعفر الصادق بقوله انه
جعل طاعته مثل طاعته في الوجوب وهو كلام حسن والذي جنح اليه
القائل ان القاضي وغيره قال في تفسير قوله من يطع الرسول الآية ان
الرسول صلى الله عليه وسلم مبلغ والآمر هو الله وهذا الحصر يقتضي انه لا
أمر ولا ناهي سواه وانه لا اطاعة لغيره الا بحسب الظاهر وانا أقول
هذا كله من ضيق العطن فان كون الأمر كله لله ليس فيه اشتباه وما على الرسول
الا البلاغ لكن لما كان العباد لا تطلع على ذلك الا بامر الرسول صلى الله عليه
وسلم وكانت طاعته ونفيذ بقه واجبان علينا جعل امرا ولهيا ومثله يعد
حقيقة بحسب اللغة كما قال في البردة

• • نبينا الآمر الناهي فلا أحد • أبر في قول لا منه ولا نعم • •

وفي هذا التفريع خفا ليس هذا محل بيانه فاي ناس في النظر لهذين الأمرين
وقوله طاعته تشبيه بليغ كقولك ابو يوسف ابو حنيفة ويجوز عكسه وجعله
عينه او عاقلا لان في الآية لان الشرط والجزاء متغايران نظرا لما في نفس المقام
ولكل مقام مقال وقال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين
هذا إما ابتداء كلام في ذكر ما جاء في الثناء من الله على رسوله صلى
الله عليه وسلم أو من تتمة كلام جعفر رضي الله تعالى عنه وبه
جزم في الشرح الجديد وهو حينئذ متصل بأول كلامه اي لما علم
عجزهم عن نيل صفو خدمته أقام بينه وبينهم سفيرا من جنسهم
رحمة لهم فانه انما بعث رحمة للعالمين او بقوله البسه من نعته
الرأفة والرحمة وهو أقرب والعالمين عام شامل للمتقين
والعصاة والكافرين كما سيأتي من انه صلى الله عليه وسلم رحمة
للكافرين بتأخير العذاب ومنع الاستيصال فمن خالفه فمنعه من
نفسه كعين جرت فانتفع بها قوم وكل أحرون فهي رحمة
لهما وما قيل ان المفسرين لم يتعرضوا لبيان نفي الغضب مع وقوعه

عرضي

عرضي

سيد

منه صلى الله عليه وسلم كثيرا وقد قصد الله ان يبعثه أن لا يؤمن به قوم
فيعذبهم وليس الحصر هنا نظرا لعموم العالمين لانه لو اريد به هذا قيل
وما أرسلناك رحمة الا للعالمين أو يقال القصد بالذات الرحمة
والغضب بالتبعية وهو في جنب الرحمة كالعدم او المعنى لاجل الرحمة على
الكل لا الغضب على الكل الى آخره ما قاله وأطال فيه من غير طائل ولعمري
ان ما ظنه مشكلا في غاية الظهور فانه صلى الله عليه وسلم رحمة
عامة شاملة كما ورد انما انا رحمة مهداة فانه لم يرد لأحد ضررا
وقد اجتهد في نفع كل احد ولكن من يضلل الله فما له من هاد وكان
صلى الله عليه وسلم لا يغضب لنفسه وانما يغضب لانتهاك حرمات
الله كما سيأتي بيانه ولعمري ان صاحب الكشاف اجل وأجل فلا حاجة
للاطالة هنا ورحمة مفعول له وللعالمين متعلق به اي ما أرسلناك
الا لترحم بك العالمين لهدايتك إياهم لسعادة الدارين وفي مسلم
قيل يا رسول الله ادع الله على المشركين فقال إني لم أبعث لعانا
انما بعثت رحمة ويجوز ان يكون حالا من الكاف اي الا ذا رحمة أو عين
الرحمة وليس للعالمين متعلق بأرسلنا لان ما قبل إلا لا يعمل فيما
بعدها الا في استثناء الفرع نحو ما مررت إلا بزيد والمعنى الا لأرحم
بالبناء للفاعل لا للمفعول كما قيل قال ابو بكر ابن طاهر قال الشمني
والبرهان الحلبي هو ابو بكر ابن طاهر ابن مفوز ابن احمد ابن مفوز الغافري
الشاطبي وقال التلمساني هو عبد الله ابن طاهر الابهري وهو من اقران
الشبلي ومن مشايخ الجياب صاحب الروع مات قبل الثلاثين وثلاثمائة
وهناك ابو بكر ابن طاهر واسمه محمد بن احمد بن طاهر الاشبلي القيسي يروي
عن ابي علي الغساني وروى عنه السهيلي والأول أقدم من الثاني وهو
المراد والله أعلم والذي عند سيدي ابو الحسن ابو بكر ابن طاهر ابن مفوز
ابن أحمد بن مفوز الغافري الشاطبي والله أعلم بهم هو انتهى زين الله
محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة يعلم من هذه العبارة ان في قوله
السابق البسه الرأفة والرحمة استعارة مكنية يجعل كل منهما كالحلة والخلعة
البهية فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق
الفاء هنا للتفسير والتفصيل وكونه مرفوع اسم كان وهو مصدر كان التامة
أي وجوده ورحمة منصوب خبرها وكونه لأجله وتقديره وقوله من ربنا

شبكة الألوكة www.alukah.net

قبيح وما بعده معطوف عليه والزينة ما يتزين به لباسا او غيره واضافة
الرحمة كلجين الماء او بيانية وقيل الزينة هنا اللباس اي البسه الله رحمة
رحمانية شاملة له وفيه اشارة الى المفاضلة منه من الله بها عليه غير الجبلة
البشرية والشمائل جمع شمال بالكسر خلقته الرجل اي خلقه وجمعه شمائل
ورجل كريم الشمائل اي في اخلاقه ومخالطته انتهى وبه سمي كتاب
الشمائل وما الطف قول ابن الوردي فيه مضمنا

• • يا الطف مرسل كريم • ما الطف هذه الشمائل • •
• • من يسمع لفظها تراه • كالغصن مع النسيم مائل • •

فعطف صفاته من عطف العام على الخاص ان لم يخصص بالصفات الظاهرة
والشمائل بخلافها وقال الشراح صفاته صلى الله عليه وسلم تشمل غضبه
وظاهر مراده لانه لا يغضب لنفسه وانما يغضب لله وغضبه للاصلاح
وهو رحمة في ذاته واما مراده الحسن فانه لمحبته والتصديق به الا ترى
ان عبد الله ابن سلام رضي الله عنه لما راه صلى الله عليه وسلم امن به
وقال لما رايت وجهه الشريف تبينت انه ليس بوجه كذاب فان
اريد بالخلق جميعهم كما مر فقوله فمن اصابه شيء من رحمته فهو الناجي
في الدارين اي الدنيا والاخرة والناجي بمعنى السالم من اصابة ما
يكرهه ويضره قيل المراد به من انتفع انتفاعا معتدا به بان يكون
مقصودا به او انتفع بشيء معتد به او ان وجوده صلى الله عليه وسلم وصفاته
هداية فمن اهتدى بشيء منها نجا وقيل المراد بشيء من رحمته انه
اهتدى لهدايته لان من لم يهتد كانه لم تصبه الرحمة كما ان من شرب
الماء مرة وكانه لم يشرب وهذا هو التفسير الصحيح وما قبله تكلف
فالمعنى ان من هداه الله للايمان به صلى الله عليه وسلم من كل مكروه ونال
من كل مرغوب واستقام الدنيا والاخرة لانعدام كروهها بعد العلم بما فيها من
تكفير السيئات وتبديل الحسنات من كل مكروه يلحق من لم يهتد فلم يؤمن
به في الدنيا كالقتل والسبي واخذ الجزية وفي الاخرة العذاب الخالد
والواصل فيهما الى كل محبوب اما في الدنيا فان كان ذا غنى ونعمة
فظاهر والا فالمؤمن العاقل اذا صبر وقام بوظائف العبودية في
دنيا سريعة الزوال كان ما اصابه من المكروه لايصاله للنعم الاخروية
محبوبا عنده واما حاله في الاخرة فغني عن البيان فما قيل انه يشكل عمومه

بالمؤمن

سيد

ابن الجبلي

بالمؤمن العاصي المعذب وبان مصايب المؤمنين في الدنيا كثيرة الا ان يقال في
الدارين متعلق بالمكروه والمحبوب او المراد انه سبب في الجملة او الكل بمعنى
الجمل لا وجه له فانه من فسر الوسواس الا ترى ان الله يقول وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين وفي نسخة اسقاط ان اي الم تعلم
ان الله لما قصر بعثته على الرحمة علم انه من اصابته هذه الرحمة لم ينل مكروها
او نيله ينافي الحصر وهذا ترغيب كما في حديث من قال لا اله الا الله دخل
الجنة فلا مسامحة في المدعى حتى يحتاج الى تاويل وهذه العبارة تسميها
العلما تنويرا لانها تشير الى ما بعدها موضح لما قبلها ولذا عبر بالرؤية
لجعله كالمحسوس وهذا من كلام ابن طاهر فلا نكرار فيه والكلام
على الاية مبسوط في التفسير وشهرته تغني عن ذكره فكانت
حياته رحمة ومماته رحمة كما قال صلى الله عليه وسلم حياتي
خير لكم وموتي خير لكم هذا الحديث رواه ابن مسعود رضي الله تعالى
عنه بسند صحيح ومرواه الحارث ابن اسامة في مسنده بسند صحيح ايضا
والحديث الذي بعده في صحيح مسلم وفي رواية يدل مماته اي كل منهما نافع
لامته صلى الله عليه وسلم فلا يتوهم انقطاع نفعه صلى الله عليه وسلم عنا
بموته لان كثيرا منا اذا مات انقطع عمله عنه وعن غيره الا ما استثنى والخير
النفع الذي يرغب فيه وهو يكون صفة مشبهة وافعل تفضيل مخفف
من اخير كسير من اشر ولا ينطق باصله الا ناد كقوله صلى الله عليه وسلم
بلال خير الناس وابن الاخير وقرى في الشواذ سيعلمون غدا من الكذاب
الاشر ويكون صفة كالخير بالتشديد ويجوز كل منهما هنا اي كل من حياته
صلى الله عليه وسلم وموته نفع لمن وخل تحت الخطاب او ان حياته
انفع من موته في وقتها وموته انفع في وقته من وجه لتنعه صلى الله
عليه وسلم لهم بنحو شفاعته عند عرض اعمالهم عليه يوم الاثنين وفتح
باب الاجتهاد وترك الاتكال والمشي على الاحتياط وكالاثابة بالحزن
لموته وتسهيل كل مصيبة بمصيبته والاعتبار به والرحمة الناشئة من اخلاق
امته وارتفاع السديد بتوقيفه وفي الحديث زيادة في بعض النسخ الصحيحة
وهي اما حياتي فابين لكم السنن واشرع لكم الشرائع واما موتي فان اعمالكم
تعرض علي فما رايت منها حسنا حمدت الله وما رايت منها سيئا استغفرت
وايضا فان الملائكة عليهم الصلاة والسلام تعرض عليه صلى الله عليه وسلم

سيد

صلاة من صلى عليه وتبلغها في وقت واحد وان لم يحص عددها كما سياتي

• كالشمس في كبد السما وضوءها • يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

كما في بعض الشروح ونقل في بعضها ما لا مساس له بالمقام وفيه نقلا عن ابن عزى انه صلى الله عليه وسلم قال اذا مت لا ازال انادى في قبرى امتى امتى حتى ينفخ في الصور فطمئن الاذان لما تدركه الروح الممكنة في قلبه وراسه من ذلك النداء فلذا استحبت الصلاة عليه اذا طنت الاذان او الشئ من حقه كما في العطاس كما قاله الترمذي رحمه الله تعالى ولعظم الاجر على مصيبته صلى الله عليه وسلم ولذا ساءت فاطمة انها خديجة رضى الله تعالى عنها وجميع اخواتها ممن مات في حياته صلى الله عليه وسلم لما في صحفها من مصيبتها به صلى الله عليه وسلم وقد قيل عليه انه لا شهرة في نوائها بهذا الرزء العظيم ولكن لم تفضل امهاتها بذلك بل بكون لها بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذا قال في سنن ابي داود لا اعدل ببضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا واما تفضيلها على اخواتها فلحديث فاطمة افضل نسا العالمين الا مريم بنت عمران ونحوه ولو كان تفضيلها بهذه المصيبة فضلت عايشة رضى الله عنها خديجة رضى الله عنها والاكثر على خلافه ثم اورد على حد الاجتهاد من الخبر الذي حصل بموته صلى الله عليه وسلم ان الاجتهاد من الصحابة رضى الله تعالى عنهم كما في زمنه ايضا كما بين في كتب الاصول ولك ان تقول المراد كثرته مع ما يتفرع عليه من المذاهب والتاليف قيل وعرض الملايكة عليهم الصلاة والسلام الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ممن لا يحصى في وقت واحد لا يثبت وهو مردود بانه ورد من طرق صحيحة كما سياتي مفصلا فلا وجه لانكاره والاحسن ان رحمته لهم في حياته لانه مداهم لسبل الخير وما دام صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم فهم امنون من عذاب الاستيصال والمسخ والخسف ونحو كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ورحمته لهم في بما لتقدم رضى الله عليه وسلم فوظا لهم كما سياتي وبه فسر قوله تعالى وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم ثم ان تفضيل فاطمة وعايشة رضى الله تعالى عنهما بما مر لا ينافي كون خديجة رضى الله عنها افضل لانه قد يكون في المفضول ما ليس في الفاضل كما لا يخفى واعلم انه حكى عن الاشعري والقشيري واصحابه انهم قالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم ليس بنبي في قبره وان رسالته صلى الله عليه وسلم انقطعت

ابن الحنبلي

موته

بموته وقد شنع عليهم بذلك جماعة وقالوا بتكفيرهم وقال السبكي انه افترا عليهم وقد كتب بذلك الى الافاق وكيف يقال مثله مع ما صح في الحديث من ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام احيا في قبورهم يصلون وانما فهم هذا عنهم الكرامة وادعوا انه لازم لمذهبهم ولازم المذهب ليس بمذهب فانه صلى الله عليه وسلم حي في قبره باق على ما كان عليه حتى سيل النووي رحمه الله تعالى عمن راه صلى الله عليه وسلم في منامه يامره بامر هل يجب عليه امره فاجاب بانه ان لم يخالف الشرع وكان له في خاصة نفسه ينبغي العمل به وانما لم يجب لان المنايم لا يضبط ما قيل له وانما لم يفهمه او يكون اشارة لما يحتاج للتاويل وهو كلام حسن فلا ينافي قوله صلى الله عليه وسلم من راني فقد راني فحفا الحديث وكما قال صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله رحمة بامة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا هذا حديث صحيح متنا وسندا رواه مسلم عن ابي موسى الاشعري رضى الله تعالى عنه فقال اذا اراد الله تعالى رحمة امة من عباده قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا بين يديها واذا اراد هلكة امة احيا نبيها فاهلكها وهو ينظر فاقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا امره وهكذا في النسخ بتقديم الفرط وقع في بعضها موخرا وكانه من الناسخ والذي في مسلم باضافة رحمة لامة مخالف لما في الشفا فقول المخرجين انه حديث مسلم لا يخفى ما فيه فلعله رواه من طريق اخر الا ان يقال انه رواه بالمعنى واقتصر على بعضه والامة للجماعة ثم شاع فيمن بعث اليهم الرسول صلى الله عليه وسلم ووجب عليهم اتباعه فان اتبعوه فهم امة الاجابة وهم وغيرهم امة الدعوة والمراد الاول والقبض في الاصل اخذ الشيء واستيفاوه يقال قبض المال والمتاع ويقال قبض الله او الملك زيدا او روحه والمشهور في الاستعمال الاول وكان العدول عنه هنا اشارة الى ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام احيا في قبورهم ولا تاكل الارض ابدانهم فهو لهم ليس كموت غيرهم فهم كمن ارسله الملك لامر فاتمه وعاد اليه والفرط بفتحتين اصله من يرسله الناس قدامهم لمنزل رحلتهم ليهيي لهم اوازمهم او لينظر ما به من ماء وعشب وانه هل يحسن نزول السفر به امر لا او ليزيل ما يخافه وينظر هل به عدو امر لا من فرط بمعنى تقدم فهو فعيل بمعنى فاعل كتبع بمعنى تابع لا جمع له كخدم وخادم ولا طلاقه على الواحد وغيره ويطلق على الطفل الذي يموت قبل ابويه او احدهما كما ورد

اعتراض على السيوطي وقطلوبغا

سيد

فى دعا الجنازة وهو من هذا القبيل لا معنى آخر فهو اما لانه يحصل بسببه اجر كمنافع المنازل او لما ورد من انه يقف على الحوض ليسقى ابويه وفيه استعارة بديعة لجعله القبر مناخا لكل احد سائرا اليه مورودا وكل وارد عليه ولذا يقال حياض الدنيا وموردها من صيرورته الحياة فى ظهر فالموت ورد لابد ان يرده وان الناس مسافرون ليست الدنيا دار اقامة لهم

• وانما فى الدنيا كركب سفينة • نظن وقوفا والزمان بنا يسرى •

ويقال أفرط فلان ابنه اذا مات قبله والسلف معناه ما تقدم اعطاه فى المال كالسلم ورد بمعنى القرض وسلف المرء من مضى من اباءه واقربائه لتقدم موته ولذا سمى الصدر الاول السلف الصالح فكان ما اصاب الامة بفقد نبيها صلى الله عليه وسلم جعل سلما او قرضا للاجر الذى يجازوا به على الصبر

• والصبر يحمد فى المواطن كلها • الا عليه فانه مذموم •

ولذا قيل لما قدم من العمل الصالح فرطا والنبى صلى الله عليه وسلم اب لامته لانه سبب لحياتهم الابدية كالاب الذى هو مبدء الحياة ولذا كانت زوجاته صلى الله عليه وسلم امهات المؤمنين ففى حياته صلى الله عليه وسلم من الرحمة ما لا يخفى كما مر فاذا ارتحل ومات انتقل لجوار ربه مع الرفيق الاعلى وهو راض عنهم لقبول ما بلغهم ونصرهم ومحبتهم له وشهاد تهم على بلاغه ولولا ذلك لاهلكوا فكانت رحلته صلى الله عليه وسلم رحمة لهم مع ما اصابهم من الاجر بمصيبته وحمده واستغفاره لهم اذ عرضت عليه اعمالهم فجزاه قريبا حيا وميتا خير الجزا قال السمرقندى الامام الحنفى وقد تقدمت ترجمته رحمة للعالمين يعنى الجن والانس هذا تفسير للاية المذكورة بان المراد به جنس العقلاء من الثقلين بقرينة صيغة جمع المذكر السالم وان كان جمع عالم وهو كل ما يعلم به الصانع من العقلا وغيرهم فالمفرد اعم من جمعه فخص ثم جمع بجعله صفة او ملحقا بها لان فاعل بالفتح اسم آلة كالخاتم والقالب وقيل غلب العقلا او جعل اسما لذوى العلم من الثقلين او الثقلين والملك والانس وقال الشريف الجرجانى يطلق على كل جنس لا فرد فهو للقدر المشترك بين الاجناس فيصح اطلاقه على كل جنس وعلى مجموعها لا للمجموع واذا عرف بلام الاستغراق شمل كل فرد من جنس كالاقاويل فمن فسره بجميع الخلق فعلى الاصل ومن فسره

بالجن والانس فعلى بعض الوجوه او خصه لانه صلى الله عليه وسلم مبعوث اليهما ومن فسره بالمومن والكافر اراد انه يشملهما لان معناه ذلك وهذا يقتضى ان هذا غير مخالف لقوله وقيل لجميع الخلق وسياقه مع تمريضه يابا ه فالحق كما فى بعض الشروح انه لما اختار تفسير العالمين بالثقلين ذكر تفسيرا لم يرتضه ثم اخذ فى بيان ما تكون به الرحمة على ما اختاره فقال للمومن رحمة بالهداية اى ارسله صلى الله عليه وسلم لمن امن بهدايته تزيد على هداية الايمان او لمن قدر ايمانه قيل وهو على الثانى عام شامل للملائكة والجماد ان قلنا انه صلى الله عليه وسلم مرسل اليهم على احد القولين فيه وسياتى تحقيقه وان عمته رحمته ايضا وقوله للمومن الى اخره بدل من قوله للعالمين او متعلق بمقدر وعلى الاول هو بيان لما اختاره وهو الظاهر وعلى الثانى يصلح لهما ورحمة للمنافق بالامان من القتل مطلقا بخلاف الكافر فانه لا يامن الا بامان او اداء الجزية والنفاق اسم اسلامى معناه اخفاء الكفر واظهار الاسلام ما خوذ من نافقا اليربوع او من النفق بمعنى السرب ورحمة للكافر بتاخير العذاب وفى نسخة المومنين والمنافقين والكافرين بالجمع والمراد تاخيره لما بعد الموت واما عذاب الدنيا بالخسف وغيره فلا يختص بطايفة وقيل المراد نفى الاستيصال والمسخ والخسف واورد عليه ايضا ان الزندبق سواء دخل فيه او فى الكافر عذابه مؤخر ايضا فالظاهر اشتراكهما فيه وتبين المنافق باجراء احكام الاسلام عليه ظاهرا او يقال انه اراد فى كل قسم ذكر رحمة مخصوصة من غير تخصيص والامان انسب بالمقام للعموم ثم ذكر ان من رحمة الكافر ايضا الشفاعة له من هول الموقف ورحمته صلى الله عليه وسلم لسائر المخلوقات فايضة اذ لولاه ما خلقت فتامل ○

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى تفسير هذه الاية وبيان من شمله العالمين هو رحمة للمومنين والكافرين اذ عوفوا اى عافاهم الله تعالى بالعفو عنهم عاجلا مما اصاب غيرهم من الامم الكاذبة اى المكذبة للانبيا السالفة فان الله عاقب من كفر منهم بالاستيصال والخسف والمسخ وما نزل عليهم من السماء فلا يرد من قتل فى غزوات نبينا صلى الله عليه وسلم واما النفاق فلم يشتهر فى الامم السالفة حتى يعلم حكمه وقول ابن عباس رضى الله عنهما هذا مسند البيهقى فى الطبرانى وذا لا يقبل البيهقى وفى تفسير ابن جرير

وابن ابى حاتم وحكى انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه الصلاة
والسلام حكى بالبنا للمجهول كما صححه البرهان فى المقتفى فهو مقطوع عن
كلام ابن عباس وما قيل من ان كونه مقطوعا غير مقطوع به بعيد ويجوز نيابة
للفاعل وهذا لم يوجد فى شئ من كتب الحديث فتامله كما فى تخريج السيوطى
وغيره هل اصابك من هذه الرحمة شئ فيه اشارة الى انه مرحوم مقرب
وانما السوال عن رحمة زائدة نالته من رحمة النبى صلى الله عليه وسلم وهذا
ان كان من كلام ابن عباس رضى الله عنهما ناظرا فى الاية على مختار الاولى فكانه
قال له هل دخلت فى العالمين فكانه قيل هل دخل فى الخلق فاصابه شئ من
هذه الرحمة وقيل لا شبهة فى انه صلى الله عليه وسلم واسطة كل رحمة
وخير وان رحمته اصابت جبريل وسواله اما ليعترف ويتحدث بالنعمة او
للتلذذ او من باب طرح المسالة والاختبار وهذه كلها امور واهية وجبريل
عليه الصلاة والسلام غير محتاج للاعتراف وكثرة اجتماعه به صلى الله عليه
وسلم تغنى عن التلذذ وطرح المسالة ليس بشئ قال كنت احشى العاقبة
بتقدير مضاف اى سوء العاقبة او المراد بالعاقبة السيئة بجعل التعريف للعهد
بقرينة الخشية فالها بمعنى الخوف وانما يكون فى المكروه والعاقبة ما يعقب
الشئ ويحصل منه خيرا كان او شرا فامنت بفتح الهمزة المقصورة وكسر
الميم والخفيفة مبنى للفاعل من الامن ضد الخوف وسيانى فيه ضبط غير مقبول
لثنا الله على بقوله انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين
مطاع ثم امين عند الله فى علمه او فى حكمه وقضائه اذ ثنا العظم يقتضى رضاه
وقبوله وهو لا يرضى ويقبل الا من كان مرحوما مقربا فلما علم ذلك من القران
الذى هو رحمة نازلة بمحمد صلى الله عليه وسلم اطمان خاطره وامن سوء الخاتمة
واما ما ورد من انه قال ما جفت لى عين منذ خلقت النار مخافة ان اعمى
فيقذف فى فيها وان الله تعالى قال له لم تبك وقد امنتك فمقال من يامن
مكرك كما فى الاحياء فهو لا ينافى ما ذكر لان المقرب لا يزال خائفا ممن يهابه
فانه لا يامن مكر الله الا القوم الكافرون او لانه من عظمة الله قد يزهل عن
الامان وقد مدح فى الاية بامور منها القوة وهى معلومة من الاحاديث
الواردة فى اقتلاع المدائن والجبال واهلاك صيحة كل من سمعها وهبوطه
الارض وصعوده فى طرفة عين الى غير ذلك ومكانته منزلته عند الله جلت
عظمته وشانه ولذا قال عند ذى العرش ولم يقل الله ونحوه وقربه من سرادقات

ابن الحنبل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عز الى مالم يصل اليه غيره من المقربين وهو مطاع فى السماء والارض امين على
سر الغيب والوحى وموازين القيامة لكن سيانى انهم اختلفوا فى رسول كريم
وان الاصح انه جبريل عليه الصلاة والسلام لقوله ولقد راه بالافق المبين
فان الراى هو النبى صلى الله عليه وسلم وهو المعبر عنه بصاحبكم والمرى جبريل
فى صورته الاصلية واكثر المفسرين ان المطاع الامين سيد العالمين وقد مر
ان امنت بوزن علمت مبنى للفاعل وقال التلمسانى انه مبنى للمفعول بضم الميم
ولم يزد على ذلك ولم يسنده لرواية والمشهور خلافه وعليه فان كان
بتشديد الميم فهو طامر وان كان بتخفيفها فهو ركيك جدا لانه ان كان من الامانة
ضد الخيانة فهو غير مناسب للمقام وكذلك وان كان من الامن فكذلك لان
امن لازم فانه متعد الا ترى قوله لا يامن مكر الله بل لان مفعوله الثانى
يكون من المعانى دون الذوات فيحتاج لتقدير وحذف على ان اصله
امن سوء عاقبتى ومثله لا ادعى له وكريم بمعنى جامع لانواع الخير ففيه شهادة
لرجحان الرتبة وليس المراد كريم مرسله كما قيل به فى التى الى كتاب كريم
وان جاز وفسر المصنف فيما سياتى فى الكلام على هذه الاية فى الفصل الخامس
من هذا الباب وروى عن جعفر ابن محمد الصادق تقدمت ترجمته
قريبا فى قوله تعالى فى سورة الواقعة فاما ان كان من المقربين فروح
وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك
من اصحاب اليمين فى هذه الاية وجوه ذكر منها هنا ما روى عن جعفر
الصادق لمناسبته لكونه صلى الله عليه وسلم رحمة ونعمة تامة ولما
عقد له الفصل من ثنا الله عليه وهو قوله فسلام اى سلامة لك
يا محمد من اصحاب اليمين اى بك فسره على ان اللام تعليلية والعلة
والسبب متغايران وان فرق بينهما اى لاجلك واجل كرامتك ومعناه انه
انما وقع سلام منهم من اجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم قد جعل
الله فى هذه الاية من حضر الموت ثلاثة اقسام مقربين واصحاب
اليمين ومكذبين ضالين فالمقربون فسرهم ابن عطية بوجهين الاول
الاصناف الاربعة المنعم عليهم فى قوله تعالى اولئك مع الذين انعم
الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين والثانى من لا
حساب عليهم من المؤمنين وقد فسر به السابق ايضا فى قوله ومنهم سابق
بالخيرات او اصحاب اليمين من غلبت حسناته سياته او عفى عنه ولو بعد حين

والمكذبون الضالون الكفرة والمنافقون وله تفصيل في التفسير لا يسعى
تكثير السواد به هنا وفسر مكي قوله فسلام لك من أصحاب اليمين بان الله
سلمه من عذابه قيل وعليه المخاطب بقوله لك المحتضر المذكور اولا والمعنى
فسلم ايها المحتضر سلاما حاصلا لك فحذف الفعل ورفع سلام بعد نصبه
مفعولا مطلقا الدال على الدوام والاستمرار وقوله لك صفة سلام ومن
تعليلية اى من أجل انك من اصحاب اليمين وانما وقيل المخاطب بقوله لك
النبي صلى الله عليه وسلم وسلام مبتدا ولك خبره ومن اصحاب اليمين
حال من الضمير المستكن في الخبر اي فلك يا محمد سلامة من جهة اصحاب
اليمين او من اصحاب اليمين خبره ولك حال واللام تعليلية اى سلامة
وامن من عذاب الله من جهة اصحاب اليمين حال كون ذلك لاجلك لشفاعتك
فيهم وهذا مراد جعفر وقدم الجار والمجرور الذى هو عامله وهو
متعلق من اصحاب اليمين لافادة الحصر اى انما سلم اصحاب اليمين لاجلك ومن
للابتدا اي سلامة ظهرت منهم انما هي لاجلك فليست انما المجرد المبالغة لان
اصحاب اليمين لم يكونوا مقربين فيهم مما يقتضي عدم السلامة فكانه
قال انما سلموا لاجلك ولكرامتك على الله ولا قلب في الاية وقال
قتادة المعنى سلموا من عذاب الله وسلمت عليهم الملائكة والمعنى لك يا محمد
منهم سلام اذ يزورونك في الجنة وقيل المعنى يدعون لك بان يصلي الله
عليهم ويسلم عليك او هو تحية اصحاب اليمين فتى السلامة هنا اقوال هذا
محصل ما في بعض الشروح على طول فيه وهو رد لما في شرح الحنبلي من انه على
قول جعفر الصادق في الاية قلب والمعنى فسلام منك حاصل بالمعنى
المذكور لهم فنسر لك بقوله بك لانه واقع موقع منك اى من اجلك وفي
القلب تنبيه على شرف اصحاب اليمين كما في عكس التشبيه في نحو قوله

وبدا الصباح كان غرته ... وجه الخليفة حين يمتدح

فان افادة الاية ان ليست سلام منهم الا من اجل كرامتك بمعونة المقام
فانما للمبالغة مع الحصر والافلج المبالغة كما في الجنى الداني عن ابن عطية
ان انما لا تفارقها المبالغة فان ساعد المعنى على الحصر صح والا بقيت المبالغة
وقيل المعنى فسلام لك منهم لانهم معك في الجنة واللام بمعنى على وقيل
معناه تقول لك الملائكة لمن مات من اصحاب اليمين مبشرين له ببشارتين سلام
لك انك من اصحاب اليمين انتهى اقول الظاهر ان مراده ان السلام بمعنى

السلامة

السلامة من العذاب واللام تعليلية بمعنى الباء كما مر وقوله اما الى آخره
بيان لحاصل المعنى المراد واصحاب اليمين بمعنى الغايزين لان اليمين يتبرك
بها كما يتشاءم بالشمال ولك متعلق بمقدر وهو كائن ومن متعلقة بمعدود
اي سلامة المعدود من اصحاب اليمين لاجلك او لك متعلق بالمقدم من
تاخير لافادة الحصر اى لم يجعلهم الله تعالى من اصحاب اليمين الا بسببك اي
لاتباعك او لشفاعتك لهم وفيه اقامة الظاهر مقام الضمير ونوضيحه
ان في الاية معان كما مر اختار منها المصنف ما ذكر لافادته ما ذكر من ثناء
الله على نبيه صلى الله عليه وسلم فان اما يفصل بينها وبين جوابها بشيء من
اجزا الجواب مفردا او في حكمه كجملة الشرط فما بعد الفاجلة هي جواب
الشرط وسلام مبتدا الان اصله سلامتهم ولك خبره ومن اصحاب الى آخره
حال من المضاف المقدر او من الضمير المستتر في الخبر والمعنى ان كان من اصحاب
اليمين فسلامتهم لاجلك وان كانوا من اصحاب اليمين والحصر من سياق
التقسيم او من التعليل ولا قلب كما توهم فتدبر وقال الله تبارك وتعالى
الله نور السموات والارض الاية اي اقرا الاية او اذكرها وهي الله
نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الى آخره وفي هذه الاية
اسرار ولطائف أفردها بالتاليف الامام الغزالي في كتاب سماه مشكاة
الانوار وفيه فوايد جمة وكذا الامام السهيلي قال كعب هو كعب الاحبار
ابن مانع بالمثناة الفوقية ابن هيبوع ويقال عمرو بن قيس ابن معن ابن جسم بن
عبد شمس بن وايل بن عوف بن حمير بن قطن بن عوف بن رهير بن ايمن بن حمير بن سبا
الحميري الشافعي ادرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره واسلم في خلافة
ابي بكر وقيل في خلافة عمر وصحبه واكثر الرواية عنه وعن غيره من الصحابة
وروى الصحابة عنه ايضا وكان ادرك الجاهلية على اليهودية وسكن اليمن
ثم سكن حمص بعد اسلامه ولها توفي في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين
ويقال له كعب الحبر بفتح الحاء وكسرها لكثرة علمه ويأتي فيه كلام متعلق
به وأخرج له اصحاب السنن وغيرهم وابن جبير هو سعيد ابن جبير الوالبي
مولاهم ابو عبد الله او ابو محمد التابعي العابد الزاهد الثقة احد اعلام رواة
الحكاة الحديث روى عن ابن عباس وغيره وروى عنه من لا يحصر وخرج له
اصحاب السنن وغيرهم وقتله الحجاج ظلما في سنة خمس وتسعين ولم يسلط
على احد بعده بدعوته رضي الله عنه عليه بذلك وقصته معه مشهورة المراد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بالنور الثاني هنا محمد صلى الله عليه وسلم النور من نار بنور اذا نفر
ومنه نوار للظبية وبه سميت المرأة فوضع له لانتشاره اولان الته الظلام
فكان ينفر منه ثم اطلق على الله وعلى النبي صلى الله عليه وسلم وعلى القران
كما في هذه الاية وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم لك الحمد
نور السموات والارض ومن فيهن والنور كما بينه في عناية القاضي عبد
الحكما كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطتها سائر المبصرات كما يفيض من النيرات
على الاجرام الكثيفة وزعم بعضهم انه اجرام صغار تنفصل من المضئ
وتتصل بالمستضئ كما قصلوه في كتبهم ويقرب منه الضوء الا ان الزمخشري
قال الاضاءة فرط الاشارة فقيل انه جعل الضوء ابلغ من النور لقوله تعالى
جعل الشمس ضياء والقمر نورا وانكره في الفلك الدائر وقال ليس له في اللغة
شاهد ولا في الاستعمال مساعد وقد سوى بينهما ابن السكيت ولا دليل في الاية
واجيب بان كلام ابن السكيت بحسب اصل الوضع وما ذكر بحسب الاستعمال كما في
الاساس والتحقيق ما في الكشف من ان الضوء فرع النور وهو الشعاع المنتشر
ولذا اطلق النور على الذوات دون الضوء ولكون الابصار متحللة الضوء كان
فيه مبالغة من جهة اخرى وتنوين ما حققه في الروض الانف في قول ورقة
ويظهر في البلاد ضياء نور • يقيم به البرية ان تموجا
بان في البيت ما يوضح الفرق بينهما وان الضياء الشعاع المنتشر عن النور فالنور
اصله ومبدؤه وكما قال تعالى فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وجعل
الشمس ضياء لان القمر لا ينشر عنه ما ينتشر عنها لا سيما في طرفي الشهر ولذا سمى الله
القمر نورا دون ضياء فعلم ان بينهما فرقا لغة واستعمالا وان في كل منهما ابلغية
من جهة وان اطلاق النور على الله وجهه ظاهر فسقط ما قيل ينبغي ان يكون
النور على الاطلاق اقوى لقوله الله نور السموات والارض لكنه انما يتجه
اذا لم يكن بمعنى النور والظاهر ان اطلاق النور على الله مجاز اما بمعنى المنور
او استعارة الا ان الغزالي رحمه الله تعالى قال في المشكاة انه حقيقة لان
النور معناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره فان فهمت فهو نور على نور ميل
لما قال الاشراقيون قال العلامة في شرح حكمة الاشراق الله نور السموات
والارض لا بمعنى منور مما على ما يقوله بعض المفسرين هربا من اطلاق اسم
النور عليه بل بمعنى انه محض النور الحق وان سائر الانوار شرر من نوره انتهى
وقد عرفت ان النبي صلى الله عليه وسلم سمي نورا ايضا فتفسير النور الثاني به كما قالوا

ظاهر الا ان قوله يأتي ما فيه وقوله تعالى مثل نوره اي مثل نور محمد
صلى الله عليه وسلم والمثل المماثل والمشابه والصفة العجيبة وللامام
الغزالي كلام لطيف في النور نورده وان طال لان كلام الحبيب لا يمل وهو النور
يشير الى الظهور وهو امر اضافي فقد يظهر الشيء لانسان ويبطن عن غيره
واضافة الظهور الى الحواس الدراكة اقوى واجلاها حاسة البصر والاشياء
بالنسبة اليها ثلاثة اقسام منها ما لا يبصر بنفسه كالاجسام المظلمة
ومنها ما يبصر ولا يبصر به غيره كالشمس والسراج والنور اسم لهذا القسم
الثالث وهو عبارة عما يبصر بنفسه ويبصر عنده غيره وقد يطلق على ما يفيض
منه على خواطر الاجسام الكثيفة فيقال وقع نور الشمس على الارض ولما كان
سر النور وروحه هو الظهور للادراك كان الادراك موقوفا على وجود
الظاهر المظهر واسم النور بالنور الباصر احق منه بالنور فلذا اطلقوا على
نور العين المبصرة وقالوا اللامعي فقد نور البصر فسموا الروح الباصرة نورا الا
انه موسوم بانواع النقصان فانه يبصر غيره ولا يبصر نفسه ولا ما بعد ولا
ما هو وراء حجاب ويبصر الظاهر دون الباطن ولا يبصر ما لا تناهى ويغلط
كثيرا فيرى الكبير صغيرا وعكسه والبعيد قريبا وعكسه والساكن متحركا
ساكنا ثم ان قلنا ان في قلب الانسان روحا ونفسا انسانية وعقلا وهي اولى
باسم النور لسلامتها من تلك النقائص الا ان المبصرات ليست عندها متساوية
لتفاوتها بالبداهة ونحوها وعند اشراق انوار الحكمة يصير العقل مبصرا
بالفعل بعد ان كان مبصرا بالقوة واعظم الحكمة كلام الله فمنزلة ايات القران
عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين الظاهرة انه به يتم الابصار
فلذا سمى القران نورا فقال تعالى النور الذي انزلنا فالعين عينان عين
ظاهرة هي من عالم الغيب بحكمة الشهادة وباطنة من عالم الغيبة دقيقة
اذا كان ما يبصر نفسه وغيره اولى باسم النور فان كان من جملة ما يبصر به
غيره ايضا مع انه يبصر نفسه وغيره فهو اولى باسم النور من الذي يوثر
في غيره اصلا بل بالجرى وان يسمى سراجا منيرا لفيضان انواره الى غيره
وهذه الخاصة توجد للروح القدسي النبوي او يفيض بواسطته انوار المعارف
على الخلائق وبهذا ظهر معنى تسمية محمد صلى الله عليه وسلم سراجا منيرا
وكذا الانبياء والعلماء وان تفاوتوا والذي يقتبس منه السراج جدير بان
يكنى عنه بالنار وهي التي تونس من جانب الطور وهذه السرج الارضية انما

النور الثاني

حسن چلبي

ظاهر

شبكة الألوكة www.alukah.net

تقتبس من انوار علويته والسروج القدسي النبوي يكاد زيته يضيء ولو لم
تمسسه نار ولكن انما يصير نورا على نور اذا مسسته النار ويقابل النور
الظلمة ولا ظلمة اشد من كتم العلم انتهى وقد اعترض على عبارة المصنف
رحمه الله تعالى بانها غير محررة واخرها منافٍ لاولها يقتضي ان النور
اطلق على النبي صلى الله عليه وسلم هنا فانه يطلق عليه كما مر فاذا كان
المراد بالنور في قوله مثل نور محمد صلى الله عليه وسلم فلا لائق التفريع
وان يكون الضمير راجعا لله سبحانه والمعنى مثل نبيه فقوله مثل نور
اي نور محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح بوجه والمنافق ان يقول نور الله
اي محمد واجيب بانه غير وارد لانه ليس كلاما واحدا صدر من كعب وابن جبير
بل كلامان اولهما لابن جبير وثانيهما لكعب على اللف والنشر المشوش وذلك
من عما قيل من ان اضافة النور لمحمد صلى الله عليه وسلم بيانية فالنور
منحصر في ذاته وعلى غيره الاضافة للتشريف والتعظيم ورد بانه ليس في كلامه
قرينة تدل على ما قاله ولم يقله غيره والمنقول عن كعب وابن جبير ان الضمير
المجرور لمحمد صلى الله عليه وسلم كما نقله المصنف عنهما وهو المنقول في تفسير
القرطبي والوقف الحسن على الله نور السموات والارض فقول المصنف
رحمه الله المراد بالنور الثاني محمد يعني به ان المقصود من النور الثاني
محمد فليس محمولا عليه حمل هو هو غايته انه تجوز في العبارة وهذا أقرب
واسلم من التكلف الا انه لا ينبغي ان تكون منع كون الاضافة بيانية ايضا

أقول هذا محصل ما قالوه من الاعتراض والجواب وانت اذا تأملته رأيته متعسفا ومثله لا يخفى على هو ولاء والذي ظهر لي ان المراد ان
النور الثاني محمد صلى الله عليه وسلم بطريق المجاز والاول هو الله اضيف لجميع
مخلوقاته للتعميم والثاني مضاف له للتشريف والتعظيم والثالث اضافته
كالجين المأتي به بيانا للتشبيه الذي بنيت عليه الاستعارة فالمعنى انه نور
عم نوره جميع مخلوقاته وخص نبيه صلى الله عليه وسلم باوفر سهم منه فسماه
باسمه والبسه حلته ثم البسه الرافة والرحمة ثم فسره بنور محمد اي هو محمد
النور المبين وبهذا ترتبط الآيات بما قبلها وياخذ كلام المصنف بعضه بحجز بعض
فينشط من الاشكال كما ينشط الخل من العقال وفي نسخة محمد باسقاط مثل ولا
غبار عليها وقال سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن
رفيع التستري كما يأتي الصالح المشهور الذي لم يسمح الدهر بمثله علما وورعا وله

كرامات

كرامات مشهورة صحب ذا النون المصري بمكة وتوفي سنة ثلاث وثمانين
في المحرم وقيل سنة ثلاث وسبعين ومائتين بالبصرة ومولده سنة مائتين
وقيل احدى وثمانين بتستر وهي بلد من كور الاهواز ويقال ششتر
بمعجمتين وبها قبر البراء بن مالك وقال النووي رحمه الله تعالى هي بمثناتين
من فوق الاولى مضمومة والثانية مفتوحة بينهما سين مهملة ساكنة مدينة
بخوزستان المعنى ان الله هادي اهل السموات والارض هذا التفسير هو
المأثور عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقال الامام الرازي في
شرح الاسما الحسنى هذا احسن الا ان تفسيره بما ذكر في الاسما الحسنى التسعة
والتسعين لا يجوز لانه يصير تكرارا محضا واجيب بانه يجوز ان يكون الهادي
اعم كما قالوه في الرؤوف الرحيم او يعتبر فيه هداية بالعهد الى حد لا يتناهى فيحكم
به المغايرة في الجملة كالرحمن الرحيم وقوله لا يجوز لا وجه له فان له نظائر في
هذه الاسما وفي شروح الكشاف معنى نور السموات والارض هادي العالمين
مبين ما يهتدون به ويتخلصون من ظلمات الكفر والضلال بوحي منزله
ونبي مرسل والتاويل الذي عليه التعويل ما يساعد النظم سياقا
وسياقا وما قبله من قوله سورة انزلناها الى هنا اشارة في ضمن ما بين
من الاحكام الى تزاهة ام المؤمنين وطهارة ساحة افضل المرسلين هدانا
بها الى معالم الحكم فذكر بعدها انه الهادي ثم قال يهدي الله لنوره من يشا
فاخذ الكلام بعضه بحجز بعض فما قيل من ان تشبيهه بالنور في الهداية
وبما كان عن ابن عباس رضي الله عنهما عليه مستنبشع عندي كلام لا وجه له
فاي استنباع في مثله وفي ذكر اهل اشارة الى ان الاضافة في الآية للسموات
والارض مجازية يجوز في نسبتها الاضافة كما في قوله تعالى مالك يوم الدين
او بتقدير مضاف والاول اولى وفي بعض الشروح الراوية عن المصنف
قراءة عليه نصب اهل والموروف الكسر ثم قال اي سهل رضي الله عنه
مثل نور محمد صلى الله عليه وسلم اذ كان مستودعا في الاصلاب وفي
نسخة في اصلابي آبائه وهذا من تتمة تفسير المذكور وقيل انه على تفسير
آخر منقول عن سهل ايضا كما نقله عنه البغوي في تفسيره والظاهر الاول
لان قوله ثم الى آخره نص فيه والضمير المستتر في كان راجع لنور محمد او لمحمد صلى
الله عليه وسلم نفسه ورجحه بعضهم بان محمدا صلى الله عليه وسلم كان في صلب
آبائه لا نور وفيه نظر اي مثل نور محمد صلى الله عليه وسلم وصفته العجيبة

ابن الحنبلي

عوضي

ابن الحنبلي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقت كونه في الى آخره والاصلاب جمع صلب بضم فسكون وقد تضم اللام اتباعا وفيه لغات تقدمت واصل معناه الشديد فسمي الظهر وعظم فيه ممتدا بين الكاملين لانه عجب الذنب وهي فقار الظهر الممتدة كالسلسلة قيل كان نور صلى الله عليه وسلم في جبهة آبائه من آدم الى ابيه عبد الله وهو نور حسي كالقمر في الليلة الظلماء والمستودع في الاصلاب مادة جسمه اللطيف والنور تابع لتلك المادة وكان يظهر في امهاته ايضا كما ورد في صحيح الاخبار واستدل في الاصلاب وجوده فيها كما قيل

انوار كانت بجبهة آدم ● لا تختفي عمن له عينان

وبصلب ادم كان وقت هبوطه ● وبصلب نوح وهو في الطوفان

قلت انكر اولا ان يكون النور في الاصلاب ثم اعترف به وكونه تابعا للمادة يقتضيه اقتضاء ظاهرا والمستودع بالفتح سياتي بيانه كذا صفتها كذا في نسخة وصفها كذا او كذا كناية عن قوله فيها مصباح الى آخره فانها استعملت كذلك اي صفة نور محمد صلى الله عليه وسلم كصفة نور مشكاة والمشكاة كوة غير نافذة والكوة بفتح الكاف وضمها اسم مالا ينفذ ولا يخرج وقيل انها معربة من الحبشية وقيل هي القنديل وقيل هي موضع الفتيلة منه وقيل بملاقته والمصباح القنديل وقيل الفتيلة ماخوذ من المصباح او المصباحة والسراج الفتيلة الموقودة والناس تطلقه على محلها وهو مجاز مشهور هذا معناه لغة واما المراد هنا فاشار اليه المصنف رحمه الله تعالى وارد بالمصباح قلبه وبالزجاجة صدره الزجاجة بالضم وهي مثلثة لكن هذا اعرفها واصحها وعلى ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى تكون المشكاة جسده الشريف وكون القلب في الصدر اي في جانبه الايسر مما لا شبهة فيه وهذا من تتمة كلام سهل وقيل انه ليس منه وللسلف تفاسير اخر هنا منها ان المشكاة ابوان ابيه والزجاجة اصلابهم والمصباح نور صلى الله عليه وسلم المستودع فيهم كما سياتي في شعر العباس رضي الله عنه وانما جعل المصباح في المشكاة لانه يكون فيها اقوى ضوءا وقيل المشكاة ابراهيم عليه الصلاة والسلام والزجاجة اسماعيل عليه الصلاة والسلام والمصباح محمد صلى الله عليه وسلم اي كانه اي صدره الشريف كوكب دري في الزواهر لابن الانباري الدري الكوكب المضيء وفيه خمس لغات ضم الدال وكسرها وفتحها مع الهمز وبدونها مشددا ايا قيل انه منسوب الى الدراهم وضيائه فوزنه فعلي وهو بالضم والهمز فعيل من درا الكوكب جرا ودفع او طلع

بغتة وهو شاذ لان فعيل من ابنية العرب ومريق اسم العصفور اعجمي وعده سيبويه رحمه الله من ابنيتهم وقال ابو عبيدة اصله ذرء وكسبوح بجعلات الضمة كسرة والواو ياء كما قالوا في عتوعتي ومن قال دري بكسر الدال كسر من اجل الياء التي بعده لمجانسة لها ومن قال انه منسوب للدر بناه على عدم فعيل فالهمزة من تغيرات النسب وعلى الكسر هو فعيل كسريب وسكين صفة مشبهة وهو افصحها والضم نادر والقول بانه لحن غير صحيح بعد وروده في القران وامادري بفتح الدال والهمز فساد لا نظير له الا سكينة بفتح السين في لغة حكاها ابو زيد فدري بمعنى متلالي مشرق غاية الاشراق ولم يجعلوا الضمير للقلب لاستتار قيل ولم يشبهه بالشمس او القمر لما يعرض لهما من الخسوف والكسوف ورد بان المصباح يعرض له الانطفاء بالكلية وهو قابل له في كل اوقاته فالصواب ان يقال ان هذا اوفق بالتشبيه باعتبار ان النيرين لا يجوز بهما مكان ضيق يسيران فيه وايضا اشراقهما عام للبر والفاجر بخلاف المصباح ولو تركوا هذا كله لكان احسن وقوله لما فيه من الايمان والحكمة ضمير فيه للصدر وجعل ذلك فيه بواسطة القلب ولو ارجع للقلب لم يبعد والحكمة العلم النافع ولا وجه لتخصيصها بعلوم القران وقيل المراد بها هنا النبوة كما في قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة توقد من شجرة مباركة في توقد قرات بالفوقية والتحتية والضم والفتح على الماضوية والمضارعية ولا تعين لشيء منها هنا وذهب بعضهم الى انه بالفوقية المفتوحة ماض لتكسر وايثاره على قراءة توقد بضم المثناة الفوقية وفتح القاف المخففة لان الضمير فيها اما للمشكاة او للزجاجة والضمير في الاول انما هو للمصباح مرادا به القنديل الذي في الزجاجة ونسبته التوقد اليه اولى من نسبة الايقاد اليهما وان قيل او قدت مع ما في التوقد من النسبة المكملة للاصل المشبه به الشاملة الى فرعه ومن للابتدا اي وذلك المصباح يوقد من زيت هذه الشجرة ومباركة بمعنى منتهى بها لكثرة منافعها وثباتها وللزيتون بركة عظيمة مشاهدة حتى ذكرها من كتاب الفلاحة ان الحكما يصنعون شيئا من اغصانها في بيوتهم في راس كل سنة تبركا بها اي من نور ابراهيم اي المراد بتوقد المصباح من هذه الشجرة وصول نور النبوة من ابيه ابراهيم عليهما الصلاة والسلام لان النسب يشبه بالشجرة وابراهيم عليه الصلاة والسلام ابو الانبيا وجد نبينا صلى الله عليه وسلم ودعوته وضرب المثل بالشجرة المباركة المثل كلام شبه مضربه بمورده وضربه ذكره كذلك من ضرب اللبن والخاتم

شبكة الألوكة www.alukah.net

اذ اصنعه على قالب مخصوص فضربه بمعنى بيانه ويكون المثل تشبيها واستعارة تمثيلية في الاكثر والمراد هنا الثاني لان شبه ظهور امة محمد صلى الله عليه وسلم المتصلة بابيه ابراهيم عليه الصلاة والسلام وتشبيه المتمسك بهما بمصباح اضاء بزيت من شجرة مباركة واقتصر على بعض اجزاء التمثيل لظهور ما فيه وفائدة التمثيل كما في الكشاف ابراز المعقول في هيئة المحسوس لتتضح وترسخ في الاذهان ولذا اكثر في الاحاديث والكتب الالهية وفي بعض الشروح كما في ضرب صدر محمد صلى الله عليه وسلم بالزجاجة وقلبه بالمصباح وما فيه من الايمان والعلم والحكمة بالنور وضوء المصباح الذي تحقق توقده من نار زيت هذه الشجرة ووصفها بلا شرقية ولا غربية اشارة الى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يكن يهوديا ولا نصرانيا بنا ويل حنيفا مسلما كما فسر به ابن عمر رضي الله تعالى عنهما لان النصاري تصلي للمشرق واليهود للغرب وعلى ما اختاره المصنف رحمه الله تعالى بعد قول سهل لا بد من اعتبار التقدير في الاية كمثل نور مشكاة كما قدرنا على قول سهل فسقط ما قيل من ان التقدير كمصباح في مشكاة اي كمثل ضوء في مشكاة بنا على ان في جانب المشبه قلبا كقوله

وكان النجوم بين دجاها • سنن لاح بينهن ابتداع

وفي شرح البخاري ان هذا الذي حكاه المصنف من ان المصباح كناية عن قلب محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة عن صدره والشجرة عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام تاويل بعيد عن ظاهر القرآن والصحيح ما عليه جمهور المفسرين من انه تعالى ضرب هذا مثلا لنوره وتمثالا لتصوراته لعباده الخلق اذ لولاه ما عرف الله قال وما اشبه هذا التاويل بتاويل المفصل قول الفرزدق

اخذنا بآفاق السماء عليكم • لنا قمراها والنجوم الطوالع

لما سأله الرشيد عنه فقال اراد بالقمرين ابراهيم ومحمدا صلى الله تعالى عليهما وسلم وبالنجوم الطوالع انت وابوك فقال له احسنت انتهى وفيه نظر وقوله تعالى يكاد زيتها يضيء اي يكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه اي تكليمه ودعواه النبوة وتحديه كهذا الزيت تبين مضارع بان بمعنى اتضح والكلام يكون مصدرا بمعنى التكليم كقوله • فان كلامها شفا لما بيا • او المراد به ما يتكلم به فيقدر مضاف اي قبل ايراد كلامه الذي يتكلم به وقبل ان يوحى

اليه فعلى هذا اشبه نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بزيت اخذ من شجرة للاضاءة فان النور المحري المأخوذ من النور الخليلي سبب لاضاءة سراج قلبه الذي اضاء به الكون وشبه الكلام بالنار لاظهار النبوة والدين واورد عليه ان نور محمد صلى الله عليه وسلم كان في الاصلاب قبل خلق جسمه الشريف وما فيه من قلب وصدر فكيف يصح تشبيه القلب والصدر بما مر الا ان يقال اصل المادة موجود مع كل واحد من اجزائها الاصول موجودة في الاصلاب كما سيأتي من تعلق الروح به فيتم التشبيه والاوجه ما روي عن كعب من انه مثل ضرب به الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال المشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح نبوته توقد من شجرتها ومحاسنه تظهر قبل الكلام وان يوحى اليه واذا فسر النور بمحمد صلى الله عليه وسلم والمشكاة بالصدر فالمراد كمثل ذي مشكاة او ان التشبيه باعتبار الاجزاء فلا تقدير انتهى وقيل اضاءة الزيت قبل ان تمسه النار اشارة الى ان نبوة ابراهيم التي هي بمثابة زيت تلك الشجرة وهكذا ايمانه يكاد يبين للناس قبل كلامه ولما كان قلب محمد صلى الله عليه وسلم بمثابة المصباح الذي يوقد ما فيه من زيت تلك الشجرة التي تكاد تضيء ولو لم تمسسه نار وكان ما فيه من نور الايمان والنبوة بمثابة نور ذلك الزيت كانا بحيث يبينان للناس قبل كلامه فاشار الى ذلك مكتفيا بذكر احدهما لحالة للاخر على المقايسة بقوله كهذا الزيت والاشارة للذي في الاية الموصوف بالاضاءة قبل اقتباس النار فالايضاح كالاضاءة كما ان الخفا كالاظلام والتكلم كاقتباس النار في ترتب ظهور شيء ما عليه وقد قيل في الاية غير هذا من الوجوه المنقولة في التفاسير واقتصر المصنف رحمه الله على ما ذكر لما فيه من الثناء على النبي صلى الله عليه وسلم وقد سماه الله نورا وسراجا منيرا لما ذكر ان بعضهم فسر النور في مثل نور محمد صلى الله عليه وسلم وهو مما استبعده كثير من العلما اردفه بما يغني عنه او يدفع الاستبعاد عنه فقال ان الله اطلق عليه النور في غير هذه الاية حيث سماه نورا على ما تقدم في كلام الغزالي وغيره من انه المرشد الهادي للناس بما يفيض عليه من الانوار القدسية والمنير الزائد النور والمظهر لغيره ما خفي عليه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين الخطاب لاهل مكة في قوله يا اهل الكتاب قد جاءكم الى اخره وقد فسر النور بالاسلام والكتاب شامل للتوراة والانجيل وكانوا يخفون ما فيهما من صفات

سيد
ابن الحنبلي

النبي صلى الله عليه وسلم وغيره فلذا فسر النور به وبالقرآن فسماه نورا
لكشفه ظلمات الجهل والضلال ولذا اتحد الضمير لاتحاد الطريق في هدايتهما
فان خلقه صلى الله عليه وسلم القرآن كما سيجيء وقال تعالى يا أيها النبي إنا أرسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه الاذن على
ظاهره لان امره اذن له او المراد به الارادة فانه كثيرا ما يجوز به عنها
وعن الامر كما في مجاز القرآن لابن عبد السلام رحمه الله تعالى وفسر
بتوفيقه ايضا وتيسيره وسراجا منيرا او اطلاق النور مريبا نه واطلاقه
على النبي صلى الله عليه وسلم والاسلام والقرآن فان كلا منها ينتفي البصيرة
على ادراك المعقولات كما ينتفي النور على ادراك المحسوسات وسماه شاهدا
لانه صلى الله عليه وسلم يشهد على امته بالقبول والانكار وعلى الرسل بالتبليغ
وعلى امهم وهو المبشر لهم بالجنة ونعيمها والنذير بضده لمن كفر وهو الداعي
الى توحيد الله وطاعته وتسميته صلى الله عليه وسلم بالسراج في غاية الوضوح
والبلاغة لانه يستضيء من الوحي ويضيء للناس بما اتاه به ففيه من البلاغة
في قولك شمس وقمر او وصف السراج بانه منير للتوكيد وقيل لان من السراج
ما لا يضيء اذا ارق فتيله وقل زيته وقد قيل ثلاثة تضيء رسول بطي
وسراج لا يضيء ومائدة ينتظر اليها من يجيء ومن هذا القبيل الذي عقد
هذا الفصل لذكره من ثنا الله على نبيه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى
ألم نشرح لك صدرك إلى آخر السورة الهمزة لانكار النفي ونفي
النفي اثبات فناسب عطف المثبت عليه وقوله الى آخر السورة يقتضي انها
كلها ثنا من الله على نبيه صلى الله عليه وسلم فان الكلام فيه والثناء حسب
الظاهر انما هو فيما اولها الى قوله ورفعنا لك وكوك قلت هذا
بحسب بادي النظر كما قيل وعند التحقيق هي كذلك باسرها فانها تدل على
نعم الله لها على رسوله صلى الله عليه وسلم وهي متضمنة للثنا
عليه بما اعطاه الله تعالى من الكمال الذي لم ينله سواه ولا يدانيه فيه
أحد وهو من ابلغ الثنا في قوله ان مع العسر يسرا اشارة الى انه ثبت له
لما افتحه من الشدائد كضيق الصدر والوزر المنتقض للظهر في مكابدة قومه
وايذائهم له وهو مدار ومعلى الدعوة والتبليغ فوعده بانه كثر ربسره
وزاده على عسره فانه لا يغلب عسر بيسرين على قاعدة اعادة النكرة والمعرفة
المشهورة وفي قوله فاذا فرغت فانصب اي اذا فرغت من التبليغ فانصب في

العبادة

العبادة اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم ادى الامانة ونصح الامة ومنت
له النعمة المستحقة لابلغ الشكر وهو العبادة فالسورة كلها متضمنة
لتعديد النعم صلى الله عليه وسلم مع مدحه والثنا عليه والشكر على
ما اولاه والابتهال اليه لا الى غيره في كل ما ينويه وبهذا تبين ان السورة
كلها من هذا القبيل شرح أي وسع الشرح قال الراغب اصل معناه
بسط اللحم ونحوه ومنه شرح الصدر وهو بسطه بنور الهي وقال غيره
التوسعة مطلقا فلا تختص بالظرف كما قيل انه من صفات الظروف
باعتبار امكان ظرفيتها لامور فوصف القلب به باعتبار اتصافه بامور
فان قيل شرح به أوله فهو منتصب به واذا اطلق كما في الآية فالمراد
تخليته للبقين ونحوه من غير قلق ونحوه من الكمال ويراد به
الفرح وعدم الانقباض ومنه شرحت الحديث اذا بينته وفسرته
وشرحت اللحم قطعته طولا وقد فسر ما هنا بالاخير بنا على انه بيان لشق
قلبه في صباه كما ذكره القاضي ومما يدل على ان اصل معناه الانبساط المقابل
للضيق قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد
ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا وتفسير المصنف له بالماضي المثبت
لان الاستفهام الانكاري نفي معنى ونفي النفي اثبات كما مر ولم يقلبه المضارع
ماضيا واختاره في النظم على شرح وهو اوضح واوجز لانه ابلغ لانه ذكر الشيء
بلازمه وهو اثبات بينة لانه كناية عن الاثبات اللازم له اي ان الله وسع
قلبه صلى الله عليه وسلم لمناجاة الحق ودعوة الخلق او بما اودع عليه
من العلم والحكمة او بما يسره من تلقي الوحي بعد ما شق عليه كما ذكره المفسرون والمراد بالصدر هنا القلب فهو تسمية للمحال باسم الحال
والظرف باسم المظروف والقلب معروف وتفسيره بالطيفة ربما
الانسان عن عداه ليس بشيء كما مر وقال ابن عباس رضي الله عنهما شرحه
بالاسلام وروي بالايمان اي التصديق الكامل المقرون بالعمل والكلام
عليه وعلى الاسلام ليس هذا محله اي يحلول فيه وقبوله واذعان حقيقته
واتباع مقتضاه وهذا اخرجه ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ابن مردويه
وابن المنذر من طريق عطا وابن ابي حاتم عن عكرمة وقال سهل
قد تقدمت ترجمته وقوله بنور الرسالة رواه الطيبي والرسالة
هي ارسال الله اياه لتبليغ وجيه والمعنى انه شرحه برسالة شبيهة بالنور

شبكة الألوكة www.alukah.net

لاظهارها للشريعة وسائر العلوم فهو كلجين الماء والمراد آثارها المضاهية
له فجعله معدنا للحقايق والباء للتعدية او للسببية وقال الحسن هو
الحسن ابن ابي الحسن البصري التابعي واسمه يسار بالتحتية والمهملة وهو من اجل
التابعين وهو في العلم والزهد واظهار الحق بمرتبة عالية غنية عن البيان
مكث ثلاثين سنة لم يضحك ولم يخرج من محل الطاعة ولقي كثيرا من
الصحابة وتروى عنه احاديث كثيرة وحيث اطلق المحدثون الحسن فهو
المراد وجلالته لم تختلف فيها ولم يخرج وانما الخلموا في كونه لقي عليا
رضي الله عنه وروى عنه فذهب كثير منهم الى انه لم يثبت روايته لرؤيا انه
البسه خرقة المشايخ الصوفية قدس الله ارواحهم ونفعنا بسرهم
على الطريقة المعروفة بينهم وذهب كثير من المحدثين الى انها بدعة لم تصح
ولكن لجلال السيوطي رحمه الله تعالى صنف فيها جزءا لطيفا وقال الها ثابتة
ايضا واثبت ايضا ان الحسن رحمه الله اجتمع بعلي كرم الله وجهه وكذا ذكره
الحافظ ابن حجر فلا عبرة بانكار مثله وسن الحسن متحمل لرؤية المثبت مقدم على
النافي فانه مولى للانصار وولد لسنتين سنة عشر ومائة وتوفي ابن ثمان
وثمانين سنة وكانت امه تخدم ام سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ورضي
عنها فكان اذا ابكى عندها في صغره ووضعت ثديها في فمه فاصابه بركتها حتى صار
يضرب به الامثال في العلم والزهد والفصاحة وله قصة مع الحجاج مشهورة
ملاه حكمة وعلما وروى كما في بعض النسخ حكما بضم الحاء المهملة وسكون الكاف
او بكسرها وفتح الكاف جمع حكمة وهي العلم بالحقايق النافعة والشريعة ولحكم
بالضم ايضا يكون بمعناها كما ورد في الحديث ان من الشعر لحكما وحكمة وقيل
انه يوبد رواية الحكمة هنا ما في حديث الشق لصدره من انه حشي ايمانا وحكمة
والحكم بالضم الفقه او القضا بالعدل او التصديق او الكمال والعطف للتاكيد
والتتميم وملوه مجاز عن عدم وسعة شيء غيره او عن كثرته وقيل انه جعل على
صورة جسم ثم ملي به فهو حقيقة وبعض اهل البصيرة يرى الايمان والعلم
مجسما شمعا ومضباحا ومشعلا وانا ارى ذلك من ثمرتهما كما سيجيء انتهى
وقيل معناه المراد بطهر قلبك اي ننظفه من حظ الشيطان ودنس
الاوهام وهو اشارة الى ما ورد في شق صدره الشريف واخراج علقة سوداء
منه وقوله هذا حظ الشيطان منك وسيأتي مفصلا مشروحا وفي بعض النسخ
لك قلبك كما في الاية وزيادة لك مع عدم الحاجة لها قيل للاشارة الى ان الله

غني عن العالمين فاللام للتعليل اي فعلنا ذلك لاجلك لا لاجلنا
لعدم احتياجنا لشيء من المخلوقات وعلى تفسير القاضي انه للاهتمام قبل
الايضاح فيفيد مبالغة وهذه النكتة جارية في الم نشرح لك صدرك وو
ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك بمعنى انه لما
ذكر الفعل علم ان ثمة مشروح ومرفوع وقيل لك اشد ابهامه وتوهم انه
اعرض عن ذكره فلما ذكر بعده صار اوقع في النفس واكد لانه في قوة ذكره
مرتين مجملا ومعينا لان لك بمعنى ينبغي لك نعم لما قال صدرك عينه قيل
والفضل للمتقدم حتى لا يؤذيك الوسواس قال ابن مالك فعلك ضربا
صحيح كدحرج وشاي مكور نحو كبكب ولهما مصدران مطردان ان فعللت وفعلال
بالكسر كزلزال وهو اقيس فيه وانما الفتح فورد فيه شاذا لكنه كثير في المكرر
كتمتام وفافاو وهو للمبالغة كقتال في النلاثي والحق انه صفة وجعله مصدرا
اريد به الفاعل او بتقدير ذو مما لا داعي له كما جنح اليه الزمخشري ومن تبعه
انتهى فعلى ما اختاره هو الوسواس بالفتح بمعنى الموسوس صفة حقيقية من
غير تاويل فهي بمعنى الشيطان وعلى ما اختاره الزمخشري يفسر بالوسوسة
لانه مصدر عنه ويجوز تفسيره بالشيطان على انه مجاز وتطهير قلبه مما ذكر
من حظ الشيطان والوسوسة اما بان خلقه سالم الصدر او هو اشارة الى ما
ورد في الحديث الصحيح من شق صدره وقلبه واخراج علقة سوداء منه وقوله
الملك هذا حظ الشيطان منك وغسله لما اراد الله تقديسه وتنويره بنور
مع حال طفوليته ليستعد لقبول ومشاهدة الملكوت ونحو مما لا تطيقه القوي
البشرية وهذا مما يوذن بانه على حقيقته وظاهره ولا يحتاج لتاويله
وقد فسر شرح الصدر بهذا وقيل بقوة المجاهدة وقيل بعدم التوجه
لغير الله وقال بعض الشراح الاولى شرح الشرح بجميع الكمالات القلبية التامة
لجميع ما ذكر جمعا بين الاقوال فان التخصيص بلا مخصص غير متجه وبهذا يندفع
الاشكال في هذه النفاسير وامثالها من ان ثبت كل منها بنقل فما وجه الجمع
بين المنقول والا فما وجه العدول عن التعميم مع ظهوره فنقول مقصود السلف
ان ما ذكر مراد من غير حصر والوسوسة حديث النفس والهواجس والخواطر
القلبية واصل معناها الحس والاصوات الخفية ولذا قيل لصوت
الحلي وسواس وقد اشتهر ذلك في كلام العرب وما احسن قول علي
الباخرزي في المعنى

شبكة الألوكة www.alukah.net

وخريدة تكسو الجمال لباسا • قاسى الفؤاد لحبها ما قاسى
جنت خلاخلها بنعمة ساقها • ولذاك سمى حوسها وسواسا

وما أحسن قول ابى الفتح البستى

يقال شعرك وسواس هديت به • وقد يقال لصوت الحلي وسواس

وفى الحديث ان الله تجاوز عن امتى ما وسوست به صدورها ما لم تعمل به أو تتكلم والكلام فى انه جميعه معفوا عنه وفى تفصيل كما بين فى محله لا حاجة للتطويل به هنا كما فى بعض الشروح واما شق القدر وما فيه فسيأتي فلا حاجة لتلقي الركبان به ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك الوزر الحمل الثقيل ووضعه ازالته عنه لانه اذا تعدى بعلى كان بمعنى الثقيل واذا تعدي بعن كان بمعنى الازالة وقال ابن عبد السلام فى مجاز القرآن شبه اسقاط ومؤاخذته بما سبق النبوة باسقاط مشاق الاحمال الثقيلة والوزر يكون بمعنى الذنب ايضا والانقاض حصول النقيض وهو صوت فقرات الظهر وقيل صوت الحمل او الرجل او المركوب اذا ثقل ما عليه ولا يدل هذا على عظم وزره بل المراد استعظامه له لشدة خوفه واجلاله لله انتهى فالانقاض الثقيل فى الحمل حتى يسمع له نقيض اي صوت كما قاله الازهري وقال ابن عرفة هو ثقل يجعل ما حمل عليه ينقض اي مهزول ضعيفا قيل وهذا تمثيل فان الظهر اذا ثقل حمله فاله نقيض والفعل بالمعنى المجازي على ظاهره او على ارادة الغرب اي كاد ينقض او على التشبيه البليغ او على تقدير لو كان وفيه بعد ولا يخفى ما فيه من التكلف فاختر لنفسك ما يخلو وسيأتى للمصنف كلام فى هذه الآية قيل ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة مرضه لما سيأتى من عصمته صلى الله عليه وسلم من الصغائر والكبائر قبلها وبعدها وهذا بنا على جواز صدور تغيرات تعرف عقلا او بشرع سابق انه خلاف الاولى او من امور حرمت عليه فى دينه فعدها اوزارا وان لم تكن كذلك فاندفع ما قيل من انه غير مناسب لكلامه الآتى فتدبر وقيل اراد تثقل هو ضد لخفة بكسر المثلثة وفتح القاف ويجوز تسكينها تخفيفا وللانثقال معان اخر مذكورة فى كتب اللغة اي اراد بالوزر ايام الجاهلية هي زمن الفترة بعد عيسى صلى الله عليه وسلم الى بعثته صلى الله عليه وسلم وتعلمها عدم رضاه بما هم عليه منها من الشرك وعبادة الاصنام والحروب والمقاتلة للخطوط

النفسانية

النفسانية وغيره لكنما استبحته صلى الله عليه وسلم لسلامة فطرته ٥
وقيل المراد بذلك ما أثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه
الماوردي اي الوزر مستعار من الحمل الثقيل لما قاساه من المشقة فى ابتدا تلقيه الوحي من هيبة الملك وحفظ ما يلقى اليه وتكذيب قومه وغيرهم لما عرض نفسه على القبائل وشدة اذيتهم له صلى الله عليه وسلم ولاصحابه رضى الله تعالى عنهم ووضع ذلك عنه بما فيه من قوة الصبر وتسهيل الله ذلك عليه بعد ما كان يخاف ان لا تبلغ الامانة ولا يقوى على مقاومتهم وهو بين اظهرهم لان هذه السور مكية ووضع الوزر فى القولين السابقين مجاز عن عدم خلق الذنب او خلق القدرة عليه كالحذف المستعمل عند المحققين فى عدم الاتيان بالمحذوف حقيقته او عرفية وحقيقته اللغوية اسقاطه بعد ذكره وقيل المراد بالوزر ثقل ذنوب امة الاجابة الموضوعة عنهم بالشفاعة والماوردي هو على ابن حبيب القاضي ابو الحسن الماوردي نسب ابوه لعمل او لبيعه والقياسي الوردي وهو صاحب التصانيف الجليلة فى التفسير فى التفسير وفقه الشافعية والاصول والحديث كالحاوي والاحكام السلطانية وهو كتاب جليل لم يصنف فى بابه مثله ولم ينصفه امام الحرمين حيث قال فى تصنيفه المسمى بالغياثي انه قال فى الاحكام يجوز ان يكون الذمي وزيرا ومن هذا مبلغ علمه ومنتهى فهمه كيف يتصدى للتصنيف والفتوى قال ابن الملقن فى طبقاته والذي جوز اي الماوردي انما هو وزارة التنفيذ لا التفويض فتنبه له قلت قد تنبهنا لذلك فرأينا جوابه غير صحيح وله رحلة لابى حامد ودرس بالبصرة وبغداد وانهم بالاعتزال مع انه خالفهم فى بعض أقوالهم مات رحمه الله تعالى سنة خمسين واربعمائة وقد بلغ ستا وثمانين سنة والسلمي بضم السين المهملة وفتح اللام منسوب لسليم بالتصغير وهو ابو عبد الرحمن السلمي صاحب الحقايق واسمه محمد ابن الحسين ابن موسى النيسابوري شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم ولد سنة ثلاثين وثلاثمائة وتوفى شعبان سنة اثنتى عشرة واربعمائة ونقل الذهبي عن يوسف القطان انه قال كان يضع الاحاديث للصوفية وقد خالفه فيه الخطيب وقال انه ثقة صاحب علم وحال كما نقله السبكي فى طبقاته واطال فى ترجمته بما لا يناسب الكتاب وقيل عصمناك ولولا ذلك لانقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي قيل انه

سيد

يعني ان الوضع مجاز عن ان ايجاده يجعل الذنوب وهذا القول بعيد والتعليل
بان العصمة ثابتة له صلى الله عليه وسلم فاسيداد المقصود ان كان العصمة والثنا
عليه وسياتي الكلام على هذا في القسم الثالث اقول لا بعد فيه فانه تقدم
ان وضعه بمعنى رفعه وازالته فاذا اريد بها منعناك منها العدم خلق الذنب
ودواعيه فيك او لعدم ادراك عليه لم يبعد لما في كل منهما من عدم تلبسه
بالوزر واي بعد في هذا وقد ورد مثله كثيرا السيرسل ما بالقوة منزلة
ما بالفعل الا ترى الى قوله في الحديث رفع القلم عن ثلاث ولم يوضع عليهم
قلم حتى يرفع والقول بان احدا من اهل اللغة لم يفسر وضع بمعنى عصم
عجيب من قائله ومثله غني عن الرد وقد نقل هذا القرطبي في تفسيره
والسر قدمي تقدم الكلام عليه ورفعنا لك ذكرك قال يحيى ابن اوس
بالنبوة يحيى ابن ادم ابن سليمان الاموي مولاهم الكوفي ابو زكريا
احد الاعلام الذين اخرج لهم اصحاب الكتب الستة وقد وثقه ابن
معين وغيره وتوفي سنة ثلاث بعد المائتين وروى عنه احمد ابن
حنبل وغيره ومن فسر رفع الذكر بالنبوة فشرح الصدر عنده اما
مفسر بالرسالة او المراد قبولها او يفسر بغيره لك ولنا فيه كلام سنبينه
ولا يلزم من رفعه صلى الله عليه وسلم بالنبوة تفرده بها غيره من الانبيا
عليهم الصلاة والسلام اذ يكفي رفعه على من في عصره وقيل المراد
بالنبوة ما سبق بها سائر الانبيا عليهم الصلاة والسلام بين الماء والطين
حيث اخذ الميثاق على ان من اذكر صلى الله عليه وسلم منهم اتبعه ولا
دليل عليه في كلام المصنف اقول هذا كلام شراح هذا الكتاب
وانما يحتاج اليه اذا لم ينقل المراد سوا تعلقت الباء برفع او بذكر انه شرف
ذكره صلى الله عليه وسلم حيث خاطبه بها النبي ويا ايها الرسول فعظمه
وقال لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا وهو المذكور في
شروح الكشاف ولكن هذا غير ما ذكره المصنف عندهم ولا وجه لهم وقيل
اذا ذكرت بضم التا والضمير لله ذكرت نبي بفتحها والخطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم والفعل مجهول فيهما اقول لا اله الا الله محمد رسول
الله قول بالرفع على الجملة قبله او جزمبتقدير امقدر بهو ويجوز نصبه بتقدير
اعني وما يضاهيه اي اعني بذكرك معي ذكر لا اله الى اخره وفي بعض النسخ
روى قول الى اخره قيل وهذا بنا على العادة او على الافضل المامور به وهذا

جواب عن سوال انه قد يقول المومن لا اله الا الله مقتصرا عليها وايضا
كثيرا ما يذكر الله وحده نحو سمع الله لمن حمده وربنا ولك الحمد كما ورد في كثير
من مواطن العبادة واجيب بان اداة الشرطية لا عموم لها ولذا قال
المنطقيون ان قضيتها جزئية وليس قول لا اله الا الله من جملة كلام من فسر
ورفعنا الى اخره بقوله اذا ذكرت ذلك معي لما سيذكره المصنف عن الخدري
وكذا هو في زاد المسير وفيه عقبة قال قتادة فليس خطيب ولا متشهد
ولا صاحب صلاة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول
الله الا تى في كلام المصنف وهذا تفسير ماثور عليه الجمهور والحصر
فيه مشكل بما مر والظاهر ان يجعل ذكره تعالى على فضل الذكر وهو لا اله الا
الله الى اخره حتى ورد انه يقوم مقام كل الاذكار وكل الصيد في جوف
الفرا والقرينة على هذا ان المقام مقام امتنان وتذكير بالنعم وكونه
مذكورا منه اذ اذكر افضل الذكر اليق بمقامهما وتوسط المصنف منا
قيل ومحصينة تمريض والقول للجمهور لا يخفى ما فيه انتهى ولم يرض
هذا الشارح المحقق فقال المراد ذكر المومن وهو لا يذكر الله الا ويذكر معه
رسوله صلى الله عليه وسلم فالمصلي اذا قال سمع الله لمن حمده هل يقولها
الا وفي ذهنه النبي صلى الله عليه وسلم لانه الذي امر بها فليتنبه المراد
بالذكر الذكر القولي فقط بل الاذكار الفعلية والتركيبة والقلبية
والقائيل فهم ان المراد بالذكر اللفظي وهذا افهم من لم يتبع مقاصد
الشريعة ثم اطال في هذا بما محصله ما ذكر ولم يات بشئ غير ان زاد
في التطريح بغلة وفي الطنبور نغمة اقول هذا جملة ما قالوه
في هذا التفسير الماثور ولم ياتوا بما تقر به عين التقرير فان قوله
اذا ذكرت ذكرت معي ان اخذ كلية خالف الواقع فانه كم ذكر الله وحده
وكم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وحده وان عين موضعا فهو ترجيح
بلا مرجح وان جعلت القضية مهملة فلا يخفى ما في الاهمال من الركاكة
وقد امعنت فيه النظر فلم ار ما يثلج وتردد السائل غير صفو حتى لاح
لي ان الجواب الحق ان يقال الذكر محمول على الذكر في مجامع العبادة ومشاهدها
فان ذكره صلى الله عليه وسلم مقرون بذكر الله في الواقع في الصلوات
والخطب فلا ترى مشهدا من مشاهد الاسلام الا وهو كذلك فلا ينفك
ذكر صلى الله عليه وسلم عن ذكر تعالى في يوم من الايام وليلة من الليالي

عرضي
عرضي
عرضي
سيد
جوابه
شبكة الألوكة www.alukah.net

بل ولا في وقت من الأوقات المعتد لها فتتجه الكلية فان قلت
من اين لك هذا التقييد فهل هو الا ترجيح من غير مرجح قلت المقام
ناطق بهذا القيد فان المراد التنويه بذكره صلى الله عليه وسلم واشاعة
على قدره الدال على قربه صلى الله عليه وسلم من ربه كقرب اسمه من اسمه
وانما يكون هذا بذكره في المحافل والمشاهد والجوامع والمساجد واي
اشاعة اقوى من الاذان الا في الاسواق والطرق التي يطرح فيها كل ذكر
ثم انهم اعترضوا على المصنف رحمه الله تعالى بانه يقبل في تفسير الجمهور
المأثور وليس بمناسب وهذا ايضا من قلة التيقظ فانه بالنظر الى تمام
وقوله لا اله الا الله وهو كذلك وقوله وقيل في الاذان دال عليه فسقط
ما قيل الوجه التقديم بدون التمريض ثم التردد في البيان وفي الاذان
ظرف لذكرت او رفعنا قيل وهو الاظهر على ما نقله في المعالم عن
مجاهد وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في الاذان والاقامة
والخطب والتشهد ولعل ذكر مجاهد الاذان ليس للتخصيص او لتخصيصه
برفع الصوت على المبالغة وقيل في الآخرة وقيل باخذ الميثاق على
الانبياء عليهم الصلاة والسلام بالمتابعة قيل وهذا مبني على الغالب
ايضا والا فقد يقتصر في الخطبة على ذكر الله تعالى وهو جائز عند الى
حنيفة ومثله نادر في المحكم حكم العدم وفي بعض النسخ في الاذان والاقامة
والنسخة الاولى اشهر ولما كانت الاقامة كالاذان وصفا وحكما ادخلت فيه
بطريق التغليب وقد ورد اطلاق الاذان على الاقامة ايضا والشيء بالشيء
يذكر واعلم ان تحقيق هذا المقام ما قاله الامام الشافعي في اول
رسالته الجديدة وبينه السبكي في تعليقه على الرسالة فقال رحمه الله
تعالى قال الامام رضي الله عنه عن مجاهد في تفسير الآية لا اذكر الا
ذكرت معي اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله قال الشافعي
يعني ذكره عند الايمان بالله والاذان ويحتمل ذكره عند تلاوة القرآن
وعند العمل بالطاعة والوقوف عن المعصية قال السبكي هذا الاحتمال
من الشافعي جيد جدا وهو مبني على ان المراد بالذكر الذكر بالقلب وهو صحيح
فعلى هذا يعم لان الفاعل للطاعة او الكاف عن المعصية امتثالا لامر الله
تعالى به ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بقلبه لانه المبلغ لها عن الله وهذا
اعم من الذكر باللسان فانه قاصر على الاسلام والاذان والتشهد والخطبة

التكي المتاخر

سيد

ابن الخيل

ونحوها

ونحوها قال الشافعي فلم نمس بنا نعمة ظهرت ولا بطنت قلبا بها خطا في
دين او دنيا او دفع عنا بها مكروه فيهما او في واحد منهما الا ومحمد صلى الله
عليه وسلم سببها انتهى اقول علم من هذا انه ان ابقى العموم والحصر
على ظاهره حمل الذكر على الذكر القلبي فيشمل كل موطن من مواطن العبادة
والطاعة فان العاقل المؤمن اذا ذكر الله تذكر من دل على معرفته
وهداه الى طاعته وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قيل فانت
باب الله اي امرء اتاه الله من غيرك لا يدخل ومن كلام النبوة الاولى من اراد
الوصول الى الله تعالى من غير باب النبوة قطعه الله تعالى عنه ولك
ان تقول المراد برفع ذكره تشريفه صلى الله عليه وسلم بمقارنته لذكره
في شعائر الدين الظاهرة واولها كلمتا الشهادة ومنها اساس الدين ثم
الاذان والصلاة والخطب فالحصر اضافي قال القاضي ابو
الفضل عياض وقد مر ان هذا من تصرف النساخ والا فهو يقول يقول
الفقير ونحو هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم الاساس
لما وقع في سورة الم نشرح وهو بيان لما حاصلها قال في المعنى التقرير جعلك
المخاطب على الاقرار والاعتراف بامر قد استقر ويجاب ان يليها الشيء الذي
تقرره به وحمل الزمخشري قوله ألم نعلم أن الله على كل شيء قدير على
التقرير مراده به التقرير بما بعد المنفي لا بالمنفي وغيره يجعله انكارا ابطا
فيكون اثباتا للمنفي والمصنف رحمه الله تعالى تبع فيما ذكره الزمخشري
ولكل وجهة هو موليها فعلى هذا التقرير تفصيل من الاقرار وقد يكون
من قر قرارا فيكون بمعنى تثبيت الحكم قيل وفي حمل ما منا عليه تكلف
لانه لا بد فيه من ايلاء المقرر اداة الاستفهام نحو ازيدا ضربت في تقرر
المفعول ومنا وليها المنفي ولم يقصد تقريره فينبغي ان يحمل على الاول
ويويده ما ورد في الحديث من انه صلى الله عليه وسلم قال سالت ربي
عز وجل فقلت يا رب انه قد كان انبيا قبلي منهم من سخرت له الريح
الى آخره فقال يا محمد الم نشرح لك صدرك الحديث اقول
يجوز ان يراد بتثبيت ما بعد النفي كما اريد في الاول الاقرار بما بعده
فان كلا منهما تاويل على خلاف الظاهر كما صرح به ابن هشام وادعى
الظهور في احدهما دون الاخر محكم وقد فسر التلمساني التقرير هنا بالتمهيد
على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده وكرامته عليه على متعلقة

شبكة الألوكة www.alukah.net

ابن الحنبلي

عرضي

بالتقدير سواء كان من الاقرار او بمعنى التثبيت اما الاول فلنا وليله بحمله على الاقرار وحمل يتعدى بعلى فلما كان ماولابه عدي تعديته واما على الثاني فظاهر وقيل ان على بمعنى الاقرار لان الباء يتعدي بها فتقول اقر بكذا وهو لقوله تعالى حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق وهذا منه وليس بمعنى التثبيت والا لقال المصنف تقرير من الله جل اسمه لعظيم نعمه وقيل عليه انه من التثبيت اي تثبيت من الله عز وجل لنبيه على ما احاط به علمه من عظيم نعمه وذلك لان هذه النعم علمها وخشي لعدم شكره ان لا يكون منعما فثبت فؤاده على شهود الها نعم جسيمة ولا يخفى ما فيه والباقي بان شرح الاتي للسببية او هي متعلقة بالتقرير على انه من الاقرار وعلى متعلقة بمقدر اي بينها على عظيم الى اخره فلا حاجة الى ما قيل ان على بمعنى الباء او المنزلة تقدم الها الرتبة العلية علوا معنويا وكرامته عليه يعني كونه مكرما معززا عنده موقرا بان شرح قلبه للايمان والهداية تقدم معنى الشرح وان شرح بمعنى وسع وفسح فهو لسعته يقبل ما يدخله من ايمانه وتصديقه بالله في اول امره وزيادة مراتب ايمانه والهداية بمعنى الاهتداء والمراد قبول الهداية او هدايته الناس كما قال تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة معطوف على شرح عطف تفسير والوعي الحفظ والحكمة فسرت بالنبوة وبالفقه في الدين وفهم القرآن والاتباع له وقيل الورع وحملها العلم بها والعمل مع الاتقان وهذا ناظر لتفاسير الاية السابقة وترك بعضها اكتفاء بحكمة فتذكر ورفع عنه ثقل امور الجاهلية عليه اي ازالها وثقل بزنة عنب ويجوز تشكيله وعليه متعلق به وهذا ناظر لقوله ووضعنا عنك وزرك وتفسيره بعد عام شامل لما مر والجاهلية ما كانت العرب عليه قبل الاسلام من الجهل بالله والشرائع وارتكاب امور رفعها الله لما جا الحق وزهق الباطل كما مر وبغضه لسيرها وما كانت عليه السيرة فعلة من سار يسير ويكون لازما ومتعديا ويقال منه سار واسار وسير والسيرة جمعها سير كسدرة وسدر وهي الهيئة والحالة وشاعت في الطريقة يقال سار سيرة حسنة او قبيحة كما قال • واول راض سيرة من يسيرها

وغلبت السير والسيرة في السنة اهل الشرع على المغازي كما في المصباح والمضاف اليه للجاهلية وقال التلمساني سيرها عوايدها وبغضه في النسخ

فعل ماض

سيد

فعل ماض مشدد مبني للفاعل وفي الطرز بفتحه مصدر اي بضم الموحدة وسكون المعجمة وعليه فتح والصواب ان يقال بعض لسيرها بالتضعيف والفاعل هو الله قال الشارح ولكن لم يوجد في نسختي سوى ما ذكرته اولا انتهى وفي بعض الشروح الذي في النسخ المقروءة على ابي ذر المحدث احر البرهان الحلبي بفتحه بصيغة الفعل المشدد المعطوف على رفع عنه وليس بالاسم المجرور بالعطف على امور الجاهلية لانه لم يرفع عنه ثقل بفتحه لسيرها لبقائه وبقاء لوازمه واما عطفه على وعى ففاسد مع ما فيه من ذكر معنى الوضع اذ معناه الرفع والحط الا ان يقال البغض اذا قارن العجز عن الشيء زاد وهذا كما قيل مع تكلفه غير مناسب لمعنى الاية او هو اشارة الى انه عبارة عن العصمة عن حيه اقول ما في الحواشي التلمسانية من تصحيح بفتحه بصيغة المصدر المجرور هو الصحيح وهو معطوف على العلم المضاف اليه وعى بمعنى فهم وضمير بفتحه المضاف اليه راجع لله اي وسع الله قلبه لفهم العلوم والحكم وفهم بفتح الله لما مر عليه حتى كان لا يخالطهم في اعيادهم ومجامعهم قبل البعثة كما قال الله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان وهذا كله ناظر لشرح صدره للاسلام ولا ادخال فيه لتفسير في تفسير كما توهموه وعلى قرائته بالفعل يكون في كلامه قلب من غير نكتة وحق العبادة بفتحه لسيرها بظهور دينه على الدين كله متعلق بشرح وقيل برفع وقيل الباء للمصاحبة بمعنى مع والظهور بمعنى الغلبة على حيث فهو اهله وابطل حكمه ولذا اتعدى بعلى واصله ضد الخفاء والدين الجنس الشامل للاديان ولذا اكد بكل وحط عنه عهدة اعبا الرسالة والنبوة معنى الحط التنزيل وهو قريب من الوضع فهذا اشارة لتفسير قوله ووضعنا عنك وزرك والرسالة والنبوة غير محتاجة للبيان لا سيما مناوا الاعبا بالمد كالاحمال والاثقال وزنا ومعنى جمع عبء بكسر العين المهملة وسكون الموحدة وهمز والعهدة بضم فسكون فعلة من العهد وله معان منها الامان والوثيقة والذمة ويقال تعهده ونعاهده اذا تردد اليه واصلحته وحفظته وتسمى وثيقة البيع عهدة لانه يرجع اليها عند الاحتياج ويقال عهدة هذا عليك اي تبعته وما تلزم منه فالمعنى هنا ان الله حمله احمال الرسالة والزمه باجرا احكامها وتبليغها وكان في اول الامر في حرج وشقه من خوف التقصير فلما

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يسّر الله له ذلك انشرح صدره واستراح من ثقلها وبريت ذمته من عهدتها
لما بلغ الأمة وأدى الرسالة فامتن الله عليه بما يتضمن الثناء العظيم من انه اقدره
على التحمل والمصابرة لذا قيل انحط العهدة مجاز عن توفيقه لمعالجة تلك
الاثقال وتحملها على الوجه اللايق وهو كلام حسن لتبليغه للناس ما نزل
اليهم وروي تبليغه بالباء بدل اللام وهما متقاربان اي حط عنه تلك الاحمال
واراحه من الاثقال لاجل انه بلغ ما امر به وما على الرسول الا البلاغ وقيل
معناه فعل ذلك لاجل ان يبلغ فالسببية غايية او اراد بيان الحط بان وفقه
على التبليغ على الكمال ولا يخفى انه غير مناسب للمقام مع ما فيه من التعقيد
بلا فايدة واما خص الناس وهو مبعوث للثقلين بالاتفاق والملايكة
ايضا كما سياتي بيانه لان حط الاصار انما هو بتبليغ الناس وتنبيههم
وكسر شوكتهم فانهم الذين عادوه وحاربوه وكذبوه واما الجن فمجرد سماع
القران اطاعوه ولم يقع منهم ما ينبغه وان كان منهم من لم يومن ولبسى الكلام
في بيان رسالته وعمومها حتى يعترض بتركهم عليه وقيل انه اكتفاء كقوله
سرابيل تقيكم الحر وقيل المراد بالناس ما يشمل الجن فانه قد ورد اطلاقه
عليهم وفي الحديث ناس من الجن وبه فسر قوله تعالى قل اعوذ برب الناس
وجعل قوله من الجنة والناس بيان له وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما وذهب بعضهم الى انه حقيقة وقال السبكي انه لفظ مشترك بحسب
الظاهر وهما معنيان متقاربان ولفظان متغايران فالناس بمعنى بني
آدم اصله اناس ومادته ان الناس من الانس ضد الوحشة وبالمعنى العام
للثقلين اصله لوس بمعنى تحرك وقيل انه اقتصر على الاشرف المقصود
بالذات وانت في غنى عنه كله بما مر وتنويهه تعظيم مكانه وجليل
رتبته ورفعة ذكره وقران اسمه قد مر انه تعالى ناه بالشيء نوها
ونوه به تنويها اذا رفع ذكره وعظمه ومر في حديث عمر انا اقول اول من نوه
بالعرب اي رفع ذكرهم بالديوان والاعطاء كما في المصباح وهذا اشارة لمعنى
قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك وتنويهه بالجر معطوف على قوله لتبليغه
لان تعظيم الله له ورفع ذكره له يروح قلبه ويسر لانه يدل على قبول رب
العزة لما فعله من اداء ما في عهدته وبه لجسمه وروحه في تتميم خدمته وهذا
في غاية الظهور وقيل معطوف على ان شرح وقيل على تقدير فهو مرفوع
والرائي لارتكابه مع بعده انه لكان الظاهر ان يقول لنوه تفسير الرفعنا

سيد
سيد
ابن الحنبلي
سيد
ابن الحنبلي
عرضي

على سننه السابق وانما عدل عن التعبير بالفعل الى عطف المصدر الصريح
المؤول ليدل بتوهم انه كلام مستانف والباقي قوله لتعظيم متعلقة بنوه وليست
زايدة فانه قيل نوه ونوه به كما قيل لان الاشهر هو التعدية بالباء كما مر
في كلام سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه وقوله رفعة ذكره بكسر الواو واخره
تاء تانيث مضاف لذكره وروي بفتحها واضافته للضمير ونصب ذكره وروي
عطف على جليل ورفعة ذكره اما بهذا الرفع او برفع رايه عليه واسم الثاني
منصوب مفعول قران بكسر القاف مصدر بمعنى الضم والجمع ومنه قران التمر
واقران غلط فيه وقيل رواية وفي نسخة وقران اسمه مع اسمه قال
قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد
ولا صاحب صلاة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله قد مرت ترجمة قتادة رحمه الله تعالى وتاتي ايضا ومر ايضا تحقيق
هذا الكلام الا انه بقيت امور ينبغي التنبيه لها وهي ان بعضهم قال مما
اما ذكر هنا هو الاكمل الجاري في العرف والعادة بخلاف البعثة اذ الشهادة
ليست شرطا في اصل الخطبة وهذا في الدنيا وبعلم امر الاخرة بالمعاينة
عليها وفي الحديث كل خطبة ليس فيها شهادة فهي كاليد الجذماء والمراد بالصلاة
الفرد الكامل المتبادر فلا تنزد صلاة الجنازة والمتشهد من تشهد بالوحدانية
سواء كان بهذا اللفظ كمن يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله
المروي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وعليه ابو حنيفة فلا يرد
انه قد يقتصر في خطبة الجمعة والعيدين وغيرهما على ذكر الله بالتسبيح
ونحوه قيل وهذا انما يرد لو كان قتادة رحمه الله قايلا به في عرض
وهذا ليس بشيء يتصدى لجوابه وقيل ان مراد قتادة بيان رفعة
ذكره في الدنيا التي هي عنوان رفعة الاخرة وقوله فليس خطيب الخ
يريد ان الخطباء قبله كانوا يعدون مآثرهم ومفاخر قومهم فلما محاه
الاسلام صارت الخطبة اسما للمشروعة بان مذهب كان واي خطبة
كانت كما في الحج والخسوف والعيد والجمعة وغيرها وفاعل ذلك كله يعتقد
وحدانية الله شاهدا بان محمدا رسول الله ممتثلا لامره مقتديا بهديه والمصلي
والمصلي لا يعتد بصلاته حتى يعتقد ذلك وانت ترى ما في هذا الكلام
الذي لا محصل له ولا يجدي شيئا فالقول ما قالت حذام والثمرة تحل على
الشجرة وقوله الا يقول بسنتي من اعم الاحوال اي ليس في حال من الاحوال الا

شبكة الألوكة www.alukah.net

قائلا وما قاله قتادة رواه عنه البيهقي وابن ابي حاتم فان قلت ما وجه
التفريع في قوله فليس الى اخره وامر الاخرة لا يعلم بالمغايبة والمشاهدة اعم
من الخطيب والمصلي فكان ينبغي تقديمه او تاخير قلت لخصه من اطلاق
الاية والحديث والتفريع وجهه ان من رفع الله ذكره في الدارين حقيق
بان يشهد له بذلك والمشهد المراد منه الاتي بكلمة الشهادة في غير الخطبة
والصلاة لان غيره يقال له خطيب ومصل فتدبر روى ابو سعيد
الخدري رضي الله تعالى عنه وهو سعد ابن مالك ابن سنان ابن عبيد
ابن ثعلبة بن عبيد بن الابجر وهو خدرة المنسوب اليه على الاصح
وسياتي الصحابي الانصاري ونسبته لخدرة بضم الخاء المعجمة وسكون الدال
المهملة بينهما راء مهملة وها وهو حي من الانصار سمي باسم جدهم ثم نسب اليه
لتميم فلا منافاة بينهما وقيل خدرة امه وهذا الحديث كما قاله السيوطي
والشيخ قاسم في تخريج احاديث هذا الكتاب اخرجه ابو يعلى في مسنده
وابن حبان في صحيحه والطبري في تفسيره واسناده حسن فلا وجه لما قيل
من ان في زاد المسير ما يخالفه فان ذاك من واد وهذا من واد ولا لما قيل
ان في المعالم انه صلى الله عليه وسلم سال جبريل عن هذه الاية فقال قال
الله الى اخره فلعله بعد السوال جاء وقال ان ربي الى اخره وقوله قال
الله نقل بالمعنى لان الرواية المنشدة ما في كلام المصنف وقوله ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال اتاني جبريل فقال ان ربي وربك يقول تدري
كيف رفعت ذكرك تقديره اتدري فحذف منه حرف الاستفهام وهو جائز
مع القرينة في النظم والنثر كما في المغني وغيره وقول الجاني انه قليل
مخصوص بالشعر مخالف للرواية والدراية وقد روى هذا الحديث ايضا
اتدري بثبوت الهمزة على اصلها سواء كان الاستفهام حقيقيا كقوله وان
زنا وان سرق او غير حقيقي كقوله تعالى سواء عليهم ءانذرتهم على
قراءة والاستشهاد بهذه الاية للتحقيق سهو فالاستفهام هنا غير حقيقي
لاستحالة على علام الغيوب والسرائر بل هو تقريري ليقرر بعده
علمه فيعلم من لدنه والمشهور في مثله ان معناه اتدري جواب هذا
السوال وليست كيف فيه خارجة عن معنى الاستفهام على ان المعنى كيفية
رفع ذكرك وان كانوا يقولون في بيان حاصل المعنى فما قيل من انه
مخرج عن معنى الاستفهام اي اتدري كيفية الرفع وهذا من الانبساط مع

ابن الحنبلي
سيد
عرضي
سيد
المحبوب

المحبوب لاجل زيادة التوجه والانتظار لكنة اعجمية مع ان لفظ الكيفية
لم يسمع من العرب كما صرح به اهل اللغة وتدري معلق عن الجملة التي بعده كما
في قول زهير

وما ادري وسوف لخال ادري ٥ اقوم آل حصن ام نساء

وكيف في محل نصب على الحال من المفعول على القاعدة المشهورة في اعرابها
من الفاء وقعت قبل كلام تام فهي حال والا فهي خبرا ان هذه القاعدة غير
مسلمة كما في المغني وشروح الكشاف وهي سوال عن الحال والصفة اي على اي حال
ومعنى رفعت لك ذكرك ولبست منصوبة بتدري لان لها الصدر ووقع
في بعض النسخ فقلت الله ورسوله المراد به هنا جبريل عليه الصلاة
والسلام لانه من رسل الملائكة الذين يرسلون بالوحي لانبيائه ورسله
عليهم الصلاة والسلام اعلم كذا عندي في نسخة مصححة مقروءة
على المشايخ وفي نسخة شرح عليها الشارح المحرير استظهارها وقال لم احدها
في نسخة من الشفا واللائق عدم ذكرها وليس كما قال والتفضيل اما في الزيادة
في مطلق العلم فلا يلزم ثبوت اصل العلم له في هذه المسالة او المراد اعلم فيها
نظرا الى ان حصول بعض الوجوه له تجويزا وظنا فالترجيح في الكيفية
والمطلوب حصول اليقين او وجه اخر واعلمية جبريل عليه الصلاة والسلام
منه صلى الله عليه وسلم مع انه علم علم الاولين والاخرين كما ثبت في الصحيح
او بالنظر الى علم الله فعلمهما اتم من علمه وان كان علمه اتم من علم احدهما او بالنظر
الى ان تلك الحالة لم تكن دايمة له صلى الله عليه وسلم كذا قاله الشارح المدقق
اقول الظاهر انه اراد تفضيلهما عليه صلى الله عليه وسلم في خصوص
هذا العلم او على الاطلاق اما على الله فظاهر واما جبريل فلعلمه ببعض
الامور التي لم يعلمها النبي صلى الله عليه وسلم لاعلام الله له بها او لكونها
في الملا الاعلى ولا يلزم من هذا شك ونقص لمقام النبوة حتى يلزم تكلف
ما اوعاه واما ما ورد في الحديث من انه صلى الله عليه وسلم علم علم الاولين
والاخرين فليس المراد به ما فهمه لانه لو كان كذلك علم المغيبات كلها وقد
امره الله بان يقول لا اعلم الغيب ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير
وقال لا ادري ما يفعل بي ولا بكم وهذا مما لا يشك فيه واما المراد انه
علم كل علم عند الاولين والاخرين متعلق بمعرفة الله واحوال الامم
السالفة والاتية اجمالا من خير وشر واوحي اليه بعض المغيبات ايضا واخبر

بها بعض اصحابه كما في حديث حذيفة فمتعلق افعل مني او من كل احد غيرهما او لا متعلق له كما في قوله الله اكبر في احد الوجوه وقيل المراد اعلم من كل عالم نحو الله اكبر او اعلم مني بناء على انه علم رفع ذكره وهذا مما لا ريب فيه او فهم من جبريل الله عالم بكيفية الوفع دونه والله جاز مخبرا بما له ولو كانت مما استاثر الله به قال جبريل ما المسئول عنها باعلم من السائل كما في حديث اخر والمراد انهما سيان في عدم العلم لان قولك ما زيد باعلم من عمرو المراد به نفي المساواة كما مر وهو احد احتمالاته في مثله واما ما ورد من علم النبي صلى الله عليه وسلم على الاولين والاخرين فلعله كان اخر احواله بها بعد انقطاع ايحاء جبريل له وقيل المراد ان الله اعلم من كل عالم ومنه يشهد العلم اي لا اعلم الا ما علمني ربي واما كونه علم علم الاولين والاخرين فهو نعمة من الله خصه بها ولم يرد انها انقطعت عنه والكريم لا يقطع عوائده كما انصر الله فيما مضى كذلك ينعم فيما بقي واحتياجه صلى الله عليه وسلم الى الوحي مقتضى مقام العبودية واظهار الافتقار من لوازمها وكون هذه اخر احواله غير بعيد لان هذه القصة وقعت ليلة الاسرا وهي من اوائل احواله وجبريل عليه الصلاة والسلام لم ينقطع عنه حتى فارق الدنيا وهذا مع ابتنائه على ما عنده من الطراز الاول وكذا ما قبله ولولا خوف ان يظن ان بالتسويد ارجا لاتركته راسا قال اذا ذكرت ذكرت معي قد مر شرحه قال ابن عطا جعلت تمام الايمان بذكري ذكرك لم يسم المصنف رحمه الله تعالى ابن عطا فلم يرد ما مراده به لان المشهور به اثنان فلذا قال المتلمساني هو ابو عبد الله محمد ابن عطا شيخ وقته وهو مات كما قاله القشيري سنة تسعة وتسعين وثلاثمائة وقال الشمني انه ابو العباس احمد ابن محمد ابن سهل بن عطا الزاهد البغدادي الادمي وجزم بان المراد هذا الشارح المحقق لان المشايخ قالوا ان له لسانا في فهم القرآن يختص به وكان صحب الجنيد وسئل رضي الله تعالى عنه عن الوجد والسماع فقال قالا هو صحيح فقيل له انه لم يبلغنا عن احد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم والتابعين انه تواجد فقال اما الصحابة فكوشفوا بالشريعة في سرهم وكانوا لا يغلبون عن تحمل الاحوال بخلاف من بعدهم فانه لم ينل هذه الرتبة وقوله بذكري معك روي بذكرك معي وهذه النسخة واضحة والاولى مشهورة مخالفة للظاهر لان مع تدخل على المتبوع وقد تجيء لمطلق المصاحبة وقد تقدم انه باعتبار الاكثر المعتاد في مواطن واقوال مخصوصة كقول المشهد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله

ابن الحنبلي

عرضي

وقد قيل

١٠

وقد قيل ان في كلام المصنف رحمه الله تعالى تكرارا وانتشارا والليق بالمصنف ذكر الاقوال ثم حاصل معنى الايمان وفي بعض العبارة قلبا يما الى شرفه صلى الله عليه وسلم كقوله لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية فاء ت الظاهر عكسه كما قيل واما اقول هذا من عدم الوقوف على مراده لانه لما ذكر السورة لما فيها من الثناء عليه صلى الله عليه وسلم الذي هو بصدره عقبها بذكر اقوال المفسرين فيها ثم لخصه ووضحه بعبارة فصيحة ثم ذكر الدليل على ما قالوه رواية مسندة ثم ختمه بكلام ارباب الطريقة من مشايخ الصوفية فانه مسك الختام ونقل لهم عبارات ثلاثة فقال ذكرك معي وذكري معك وذكرك غير ذكري وهذا بحسب المقامات كقولهم ما رايت شيئا الا رايت الله قبله او معه او بعده اما الاول فظاهر لانه صلى الله عليه وسلم رسوله وخليفته وهذا بحسب الحقيقة في نفس الامر واما الثاني فلانهم انما عرفوا الله منه وبعد معرفته كما قيل وتقدم

فانت باب الله اي امره انا ومن غيرك لا يدخل

واما الثالث فلانه من ذكره من حيث كونه رسولا مبلغا عن الله فقد ذكر الله ومن هنا قيل من رآني فقد راى الحق فلا تكرار ولا قلب الا لمن لبى له قلب ينظر بعينه الحق وجعل ذكرهما الايمان اما لان الايمان عنده نفس الجنان وتصديق باللسان كما هو قول لاهل السنة واما من يقول بانه مجرد التصديق فجعله تمامه باعتبار انه لا يعتد به بدونه ولا يترتب عليه الاحكام ما لم يبن به لسانا لان الامر مبني على الظاهر والله اعلم بالسرائر قيل وهذا قول غير قتادة لانه لم يعتبر كونه من تتمة الايمان فتوهم المعينية فاسد وفيه نظر فتدبر وقال ايضا اي وقال ابن عطا المصري قولا كالذي قبله وايضا مفعول مطلق لفعل مقدر من اضاه اعاد ورجع قيل واستعير هنا لمجرد الانضمام ولك ان تبقيه على معناه الحقيقي لانه عاد لكلام ابن عطا رحمه الله تعالى جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكري ذكرا مفعولا ثانيا لجعل والظرف بعده صفة او تمييز محول عن المفعول والجار والمجرور هو الثاني والمعنى واحد اي كان ذكرك عين ذكري لعدم انفكاك عنه غالبا او هو مثله في التقرب به والاجرا وهو معدود من افراده لما ورد ان كل مطيع لله ذاكره والاستثناء مجازي والفا تفسيرية او تقريعية وقال جعفر ابن محمد الصادق تقدم بيانه قريبا لا يذكرك

سيد

عرضي

احر بالرسالة الا ذكرى بالربوبية الاستثنا من اعم الاحوال والجملة التي بعد
التي بعد الحالية ولا حاجة لتقدير قد معها كما ذكره النحاة والربوبية صفة مصدر
من الرب وهذه اليا تسمى اليا المصدرية ولا بد معها من تا التانيث وفي هذه التا
بحث ذكرناه في رسالة المصدر والسوانح ومعنى كلام جعفر رضي الله تعالى
عنه انه لا يعترف احد برسالتك الا بعد ان يعترف بوحدانية الله وربوبيته
لانه يجب معرفة الله عقلا قبل ذلك لئلا يلزم الدور كما ذهب اليه الماتريدية
او سمعا كما ذهب اليه غيرهم كما تقرر في الاصول وقيل المراد الاوقد اراد
ذلك او عبر بالمضارع عن الماضي مبالغة في تحقيق وقوعه وفي الاول اشكال لعدم
مقارنة الحال العامل وذلك لان المراد بالرسالة انه رسول الله صلى الله عليه
وسلم والعادة ان يقال رسول الله ورسول رب العالمين ونحوه اولان معنى
الرسالة شرعا انه انسان اوحي اليه بشرع بعثه الله لتبليغ احكامه والالوهية
جامعة للربوبية وخصت الربوبية هنا لمناسبتها للرسالة المربوبية الرسول
للمرسل اليه وقيل المراد ان من آمن بك آمن بي وفيه تكلف ظاهر ثم ان ما
قاله الصادق وغيره يشترك فيه الانبيا عليهم الصلاة والسلام بحسب الظاهر
فالانسب حمله على ما يظهر فيه الاختصاص والتميز انتهى وقد عرفت معناه
وانه محول على الايمان بالله ورسوله والاعتراف بذلك المقتضي لمقارنة اسمه
مع النعت باظهاره والندابة على روس الاشهاد كما يفصح عنه التعبير بالرفع
الذي بينه وبين الوضع صنعة الطباق واما عدم مقارنة الحال فظاهر التتوط
لتقدم الايمان بالله اوارادته على الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم واما
التلفظ بما يدل على ذلك فلذكره عقبه من غير فاصل بعد مقارنا عرفا ومثله
يكفي عند النحاة فلا حاجة الى جعل الحال مقدرة واما ادعاه من عدم الاختصاص
بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد علم مما مر ان هذه المقارنة في ندا الاذان والاقامة
والخطب والصلاة والاتيان بكلمة الشهادة المعتبر في الاعتداد بالايمان وهذا
كله مختص بهذه الامة فيختص القران الواقع فيه بهذه الكيفية بسيدها ونبيها
عليه افضل الصلاة والسلام لاختصاصها حقيقيا بالنسبة لكل من عداه من
الرسل والامر وهذا في غاية الظهور واشار بعضهم في ذلك الى الشفاعة
المراد بالبعض من فسر قوله عز وجل ورفعنا لك ذكرك المشار اليه بقوله
في ذلك جعلنا ذكرك مرفوعا في الدنيا والاخرة فانه في الاخرة بالشفاعة
وهو احد اقوال خمسة فيه وقيل هو الماوردي وقال البرهان لا اعرفه

تتمة

سيد

سيد

تتمة لطيفة لما ذكر الله عز وجل في اخر السورة التي قبل هذه
ولسوف يعطيك ربك فترضى الى قوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث
ثم ان بعدها بقوله الم نشرح لك قال بعض المشايخ اشارة الى ان شكر
النعمة والاعتراف والرضا بها ما بنشا منه انشراح الصدر ورفعة الذكر ثم
وسط بينهما اعبا الرسالة التي تنقض الظهور فذلك عشرين بيسرين فلذا قال
فان مع العسر الى اخره ثم اشار الى مقصوده من الدنيا انما هو اداء خدمة
الامانة وانه لا راحة للمؤمن دون لقا ربه الذي هو مطلبه لا ما سواه فلذا
قال فاذا فرغت فانصب ولم يقل له استرح استوح بل اجتهد فيما يقربك
الى الله تعالى فارغب كما قال تعالى اذا جا نصر الله والفتح الى اخرها
فتنبه لاسرار التنزيل ومن ذكره معه انه قرن طاعته بطاعته واسمه
باسمه فقال اطيعوا الله والرسول وامنوا بالله ورسوله لما قرر
الشا من الله برفعة قدره وذكره فانه اذا ذكر ذكر معه كما مر وذكر القران في
كلام الناس وما يحكى عنهم اتبعه بما هو من قبيله وهو ذكر الله جل وعلا
لنفسه وذكر الرسول معه معطوفا عليه من غير فاصل كالايتين المذكورتين
وفيهما زيادة على ما ذكر لعطف ان طاعته وطاعته لان احدهما لا يتفك عن
الاخر كما قال من يطع الرسول فقد اطاع الله والمقارنة المصاحبة كما قالك
عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه وكل قرين بالمقارن يهتدي
ومصاحبة الاسمين ظاهرة فيما ذكروا اما مصاحبة الطاعة الطاعة للطاعة
فهي معنوية لا لفظية منا بمعنى انها لا تنفك عنها بل هي عينها كما مر وجعل
هذين من قبيل الذكر المقارن لذكره امر حقيقي لا من قبيل عموم المجاز ولا من
من قبيل الجمع بين الحقيقة والمجاز كما قيل فان في الايتين كذلك لاقتران
الطاعة لله بطاعته في قوله اطيعوا الله والرسول لانه بمعنى واطيعوا الرسول
واما قوله امنوا بالله ورسوله فمثاله لمقارنة الاسم الاسم على اللغة والنشر
المرتب وبعضهم جعل كلا منا لاحدهما فاحتاج الى التكلف فقال معنى
الطاعة الانقياد وقد يكون بحسب الظاهر كالاسلام الذي هو الانقياد والا
والاستسلام وقد يكون بحسب الظاهر والباطن كما قدمنا في الايمان ومنهم من قال
الذكر هنا عدم الغفلة ومطيع الله اذا كر الله كمطيع الرسول صلى الله عليه وسلم فكل
من قرن طاعته بطاعته وقرن اسمه باسمه اذكر الله عز وجل ولرسوله صلى الله
عليه وسلم معه حقيقة وليس هنا ذكر مجازي فمن زعم ان الذكر الاول مجاز والثاني

السيد وابن الحنبلي

حلبي

شبكة الألوكة www.alukah.net

حقيقته وان الاية من باب عموم المجاز اذ المراد بالذكر هنا معنى يعمها فرارا من الجمع
بين الحقيقة والمجاز فقد ارتكب شططا انتهى والحاصل ان المصنف رحمه الله
تعالى ان قصد اقتران الاسمين وزاد الطاعة لوقوعهما في الاية والحديث
فالامر في الحقيقة ظاهر من غير ارتكاب شئ مما قالوه وان اراد بيان كل منهما على
الفرد والتنزلان في كليهما اقتران الاسمين فظاهر ايضا وان اراد قران الطاعة
والاسمين في كل منهما فهو الذي يحتاج للتكليف ومن ذكره خبر مقدم وان قرن مبتدا
مؤخر واما كون من مبتدا لانها بمعنى بعض كما قيل في قوله ومن الناس من يقول
امنا في البقرة فلا وجه له فجمع بينهما بواو العطف المشترك بكسر الراء
المشددة وضمير بينهما للاسمين والطاعتين وجعلها مشتركة لافادتها المشاركة
المتعاطفين في الحكم في غير ترتيب والجمع به دال على التعظيم والمناسبة بخلاف
ترك لا لتهما على تفاوت الرتبة لا التسوية وكذا الفاء والواو محتملة للامور
الثلاثة التقدم والتاخر والمعية على الصحيح ولا يجوز جمع هذا الكلام
في غير حقه عليه السلام قيل اي جواز امن غير نهي فلا يباح واعلم ان الجواز يطلق
في لسان حملة الشرع على امور كرفع الحرج اعم من ان يكون وجبا او مندوبا
او مكروها وعلى مستوى طرفي الفعل والترك وعلى ما ليس بلازم وهو
اصطلاح الفقهاء في العفو وهذا كله ظاهر والغريب ما في قواعد الزركشي
ان جاز كذا استعملوه في الوجوب قال وهو ظاهر فيما اذا كان الفعل دائرا
بين الحرمة والوجوب فيستفاد من قولهم يجوز رفع الحرمة اي تشريك
الله وغيره بالعطف بالواو في حكم من الاحكام لا يجوز الا في حق النبي صلى الله عليه
وسلم لانه امر شرف به رسوله صلى الله عليه وسلم كما مر في تفسير ورفعنا لك
ذكرك وقد اعترض بعض الشراح على هذا وقال ان القاضي وهم فيه فان الذي
لا يجوز لغير النبي صلى الله عليه وسلم جمع اسم الله واسمه مع اسم غير النبي في ضمير يعود
على الله وعلى صاحب الاسم فلا يجوز لنا ان نستعمله الا ان يرد على الله كقوله ان
الله وملائكته يصلون على النبي واما عطف اسم ظاهر بالواو على اسم الله فما ظن
ان احدا يمنعه وكيف يختص هذا بالنبي صلى الله عليه وسلم مع قوله من كان عدوا لله
وملائكته ورسله وقوله كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله وفي الحديث
القدسي قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين وقيل ايضا ان اراد
ان مثله لم يرد في القران وغيره فليس كذلك وان اراد ان مثله لم يرد انه لا يجوز
لنا فاي مانع من ان يقال الله واطع القاضي والامير لقوله اطيعوا الله واطيعوا

الرسول

الرسول واولي الامر منكم واجاب بعضهم بان مراده انه منهي عنه تنزيها
واده بالورود الحديث بما يدل على رعاية الادب في اللفظ وترك ما يوهم خلافه
بالاتفاق واطلق نفي الجواز اعتمادا على تصريح الخطابي وغيره ولا دليل في
الاية لما سيجيء ولاحتمال الجواز بالتبعية نعم يشكل هذا بقوله تعالى
كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله ومن كان عدوا لله وملائكته وان
اشكولي ولوالديك ومثله في الحديث الا ان يقال انه لبيان الجواز وهو
من الشارع بالفعل اولي واقوى وان يختص النهي بالامة والله يفعل ما يريد
كما ذكره القرطبي في معنى الجمع بالضمير وان يكون المواضع الواردة مختصة
او الممنوع جمع الامة معه فلا يرد الاولان فتامل وقال تلميذه ابن
الحنبلي قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فيه التشريك
بين الطاعتين طاعة الله وطاعة رسوله بالواو وفي حق غير الرسول صلى الله
عليه وسلم لكنه بالتبعية ولذا لم يكرر اطيعوا مرة اخرى كما لم يكرر اللام في
حديث الدين النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم في العامة فاندفع
ما مر وقيل كلام الغزالي في الاحياء لعل انه حرام كما ذكره في باب
افات اللسان الا ان الله تعالى يعفو عن العوام مثله ونقل كلامه واطال
بما هذا محصله وسيأتي تحقيق هذا المقام في شرح الحديث الاتي بما يتلج
به الصدر ان شاء الله تعالى حدثنا الشيخ ابو علي الحسين ابن محمد الجياني
الحافظ فيما اجازه لي وقرانه على الثقة عنه الشيخ من طعن في السن ثم شاع
في كل من تصدر لافادة العلوم وابو علي الحسين ابن محمد بن احمد الغساني الجياني
بفتح الجيم وتشديد الياء التحتية والف ونون تليها ياء النسبة الى الجيان وهي بلدة
بالاندلس ولد في المحرم سنة سبع وعشرين واربعمائة وحمل عن ابن عبد البر وغيره
من الائمة وروى عن ابن الحكم وابن سكن وزمير وخلق وتوفي في ليلة الجمعة
لاثنى عشر خلت من شعبان سنة ثمان وتسعين واربعمائة ولم يخرج
من الاندلس وقوله وقرانه على الثقة عنه الثقة كعدة مصدر وثق به
ومناداة اليمنه واستوثقه احكم ثم تجوز بالمصدر عن المؤمن على الحديث
وغيره وشاع حتى صار حقيقة ولم يعين المصنف رحمه الله تعالى من اراد
قال البرهان لا اعرفه وكانه ابن سكن وقد تقدمت ترجمته وقوله اجازه يعني
بعني انه روى عنه بالاجازة وان كان يمكنه السماع منه فذكر ان روايته عنه
بواسطة قال السيد ان شاء الله تعالى وتوثيق مثل المصنف رحمه الله لشخص يخرجه عن حكم

المجهول وابهام التعديل وفيه خلاف في كتب المصطلح فمنهم من قبله بناء على الاحتجاج
بالمرسل ومنهم من قال لا يكتفى به ومنهم من فرق بين تعديل العالم وغيره
كقول مالك اخبرني الثقة وكذا بقوله الشافعي رضي الله تعالى عنه وقيل
يقبل ممن اذا عرف انه اذا اطلق يعني به معينا وقال ابو حاتم الرازي
اذا قال الشافعي حدثني الثقة عن ابن جريج فهو مسلم ابن خالد الزنجي واذا قال
اخبرني الثقة عن الوليد ابن كثير فهو عمرو بن ابي سلمة واذا قال اخبرني الثقة
عن صالح مولى التوءمة فهو ابراهيم ابن ابي يحيى والاجازة يأتي الكلام عليها وفي
ان يقول له اجزت لك ان تروي عني كذا او جميع مروياتي وفي تصحيح لفظها
كلام في ابن الصلاح فيه كلام كتبناه في حواشيه ليس هذا محله وهي مقبولة ولا
عبرة بقول ابي طاهر الدباس انها لا تقبل بعد ما انزل من غيرها وانما قدمها المصنف
رحمه الله تعالى لعلو سنده فيها على السماع الذي بعدها وان كان بينهما
فرق حدثنا ابو عمرو النمري هو العلامة الحافظ ابن عبد البر وقد تقدمت
ترجمته قال حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن هو عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن احد
شيوخ بن عبد البر تقدم وذكره ايضا وكذا ابو بكر ابن داسة تقدم ايضا ابو داود
السجزي وهو سليمان ابن الاشعث صاحب السنن وسجستان والسجزي
بكسر السين المهملة تليها جيم ساكنة وزاي معجمة منسوب الى سجستان على
خلاف القياس وقيل انه منسوب الى سجز وهو اسم سجستان او
بلدة منها قاله في جامع الاصول وهو الاشبه وهو اقليم بغرب خراسان
حدثنا ابو داود الطيالسي قال حدثنا شعبة عن منصور بن عبد
الله ابن بشار عن حذيفة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
الطيالسي هو هشام ابن عبد الملك الحافظ الامام المتقن الثبت ومن ظرف
اخباره انه عن سبعين امراة وهذا في غاية الغرابة روى عنه احمد وابو داود
وقال احمد انه كان في عصره شيخ الاسلام واخرج له اصحاب الكتب الستة
توفي سنة سبع وعشرين ومائتين وله من العمر اربع وتسعون سنة كما في الميزان واما عبد
الله ابن بشار فبمثناة تحتية ثم سين مهملة الجهني الكوفي اخرج له ابو داود
والنسائي توفي عام احدى وثلاثين ومائة ولهم عبد الله ابن بشار كنية
ابو همام لكن قال الحافظ البرهان الله لم يرو لواحد منهما رواية عن حذيفة
في الكتب الستة واما خارجها فلا ادري وليس في الكتب الستة احد يقال له
عبد الله ابن بشار بالموحدة والشين المعجمة انتهى وهذا الحديث روى من طرق

كثيرة

كثيرة واما حذيفة فترجمته مسطورة مشهورة فلا حاجة لذكرها وشعبة
هو ابن الحجاج ابن الورد الحافظ امير المؤمنين في الحديث كما قاله ابن الجزري وممن يقال
له هذا اللقب ايضا سفيان الثوري قال لا يقولن احدكم ما شاء الله وشاء
فلان ولكن ما شاء الله ثم شاء فلان قال التلمساني وقع في نسخة بعد ثم اي
ثم ما شاء وعليه صحح الغرني وفي الطرة ثم شاء بدون ما وهو كذا بخط القاضي وهذا
هو الاشهر وهو المروي في شرح مسلم للنووي وهذا النهي تنزيهي لرعاية
الادب بترك العطف بالواو والموهمة التساوي كما سيأتي بخلاف ثم الدالة
على البعد رتبة وزمانا وفي شرح النجاني انما جاء النهي عن التشريك في المشية
بين الله وغيره لايهامه ان مشيته تعالى موقوفة على مشيئة غيره تعالى عن
ذلك فاذا اخلصت المشيئة لله جاز ان يعلق الفعل على مشيئة غيره مجازا
بشرط التراخي وعطف مشيئة العبد على مشيئة الله على ان تكون ما موصولة
او على ان تكون مصدرية وعلى الوجهين الخبر محذوف اي كائن او كائنة انتهى
ثم انه قيل ان هذا وان لم يكن فيه عطف غير اسم الله على اسمه فيه التنفير عما
يوهم سوء الادب لفظا واستنباطه مما ذكر على ان قوله ما شاء الله الى اخره في وقوع
ما شاء الله وفلان هو شامل لما شاء الله ومحمد وبعضه ما ورد في الحديث عن
الطفيل انه راى ناسا من اليهود والنصارى فقالوا له نعم القوم انتم لولا
قولكم ما شاء الله وشاء محمد وفي رواية انهم قالوا له انكم تشركون ولا تدرون
فاخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فقام خطيبا ونهى عن ذلك وسوغ ان يقال
ما شاء الله وحده ثم محمد وقول المصنف رحمه الله تعالى السابق لا يجوز
هذا الجمع في غير حفه لا يوجب جوازه في حفه الا في الاماكن كلها وانما يدل
على جواز الجمع بين الاسمين والطاعنين وقد صرح بعضهم بكراهة اعوذ بالله
وبك ولولا الله وفلان انتهى ثم ان هذا الحديث روي بلفظ اخر وهو لا
يقولوا ما شاء الله وشاء محمد بل قولوا ما شاء الله ثم شئت قال العلامة
الطوخي في كتابه اللآلي لهذا تنبيه على تراخي رتبة المخلوق عن الخالق
والواو تفيد الجمع والشريك بلا ترتيب فان قيل قد اقرهم صلى الله عليه
وسلم على قولهم الله ورسوله اعلم ولم يامرهم ان يقولوا ثم رسوله اجيب
بان في ما شاء الله وشئت نسوية بينهما في اصل المشيئة وقوتها لفظا ولا كذلك
الله ورسوله اعلم فان اعلميته بالنسبة اليهم حق وبين الله ورسوله اشتراك
في اصل الاعلمية لان الله اعلم من الرسول وكل احد والرسول اعلم من غيره من الصحابة

ابن الحنبلي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وغيرهم ولانه تعالى صرح بتبعية الخالق له في المشيئة بقوله وما تشاءون الا ان يشاء الله وفيه نظر لان علم الخالق متاخر عن علمه تعالى ايضا وبقي في هذا المقام كلام سنذكره بعد شرح الحديث الاتي قال الخطابي بالمعجمة والتشديد والموحدة وهو ابو سليمان حمد بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وقيل اسمه احمد بن محمد بن ابراهيم البستي المعروف بالخطابي وجاء عنه انه قال اني انما سميت بحمد لكن الناس كتبوا احمد فتركته قيل انه نسبة زيد ابن الخطاب بن نفيل العدوي اخي امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وقال الذهبي لم يثبت هذا وكان راسا في سائر العلوم لا سيما الحديث والفقه والادب شافعي المذهب اخذ العلوم عن كثير من القفال واللغة عن ابي عمر الزاهد وصنف التصانيف الجليلة المشهورة منها معالم السنن وغريب الحديث وشرح اسماء الله الحسنى وغير ذلك وله شعر حسن توفي ببست سنة ثمان وثلاثمائة رحمه الله تعالى ارشده هو صلى الله عليه وسلم الى الادب في تقديم مشيئة الله على مشيئة من سواه ارشده له على العدي وهداه لما فيه الرشاد والصلاح وفي المصباح عن ابي زيد يقال ارشده اليه وله وعليه والادب رياضة النفس ومحاسن الاخلاق وفعله ادبته واديته ومنه اديته تاديبا اذا عاقبته على اساءته لانه يدعوه الى حقيقة الادب اي دلهم على رعاية الادب في كلامهم هذا اما الادب المعروف بين الناس ومنه العلوم الادبية فاصطلاح لم يرد في كلام العرب العربا والمشيئة الارادة وفرق الحنفية بينهما كما فصلوه في الاصل والفرع لكنهما متقاربان معنى وليس هذا محل تحقيقه وقال ابن عطا الله الادب الوقوف مع المستحسنات ولاختارها بثم التي للنسق والتراخي بخلاف الواو التي هي للاشتراك ضمير اختارها لمطلق المشيئة او لمشيئة الله او لمشيئة من سواه اي اختار المشيئة ملتبسة بثم على المشيئة بالواو وليس هذا من باب الحذف والايصال واصله اختار لها كقوله عز وجل واختار موسى قومه سبعين رجلا ليفانتا فانه لا داعي له هنا اي ارشدهم الى ان يراعوا الادب في هذا بتقديم مشيئة الله وتاخير مشيئة غيره محفوظة بثم والنسق العطف باحد الحروف المشهورة من نسقته اذا ضممته والتراخي تفاعل من الرخي واصل معناه الاتساع ومنه تراخى الامر تراخيا امتد زمانه وفي الامر تراخ اي فسحة كما في المصباح والواو لمطلق الجمع والاشتراك في الحكم ونحوه من غير دلالة على ترتيب ولا تنافيه في الواقع ايضا

فليس

فليس في ذكرها رعاية الادب والدلالة على عدم المساواة بل ربما يوهم خلافه لا سيما اذا لوحظ العدول عن ثم اليها فاندفع ما قيل من ان الواو لمطلق الجمع لا للمساواة الدالة على ترك الادب وما ذكره المصنف رحمه الله هو الصحيح عند النحاة وقد انكر الفراء ان ثم على التراخي وقال بعضهم ان الواو تفيد الترتيب والترتيب يكون حقيقيا وذكريا ولابن عبد السلام كلام فيه في كتاب المجاز كما نا نترك المصنف مؤنة ذكره وهذا الحديث اخرجه ابو داود والنسائي وغيرهما وهو حديث صحيح ثم انه قيل هنا ان المنع في الحديث ان كان لاجل الجمع بين الله وغيره في حكم الاتيان بالواو فالاستفهام به ظاهر وان كان الامر في المشيئين فهو يدل على النهي عما يوهم خلاف الحق وترك الادب فيفيد مدعى المصنف استنباطا فلا يرد عليه ان المنع في الحديث انما هو لاجل ان مشيئة العبد متاخرة عن مشيئة الله تعالى لا للعطف والجمع وايضا في الكلام ايهام توقف مشيئة الله على مشيئة العبد فمنع لهذا لانه على التقدير الذي يفيد مدعاه ايضا كما مر ثم ان ظاهر كلام المصنف يقتضي انه لا يمنع الجمع بين مشيئة الله ورسوله بالواو وينافيه ما رواه البيهقي رحمه الله تعالى في حديث طويل لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد فان صح خص بما ذكره المصنف من الطاعة والايمان ونحوهما لم يرد فيه نهي فائدة في بعض الشروح ان قوله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن اذا ضم لقوله وما تشاءون الا ان يشاء الله انتج انما يشاءون كائن لا محالة وهو خلف لتخلف كثير من مشيئتهم واجيب بان المعنى ما تشاءون شيئا كائنا الا ما شاء الله كينونته ومثله الحديث الاخر اي فهو مثله في التنزيه عما يوهم من العبارة وهو حديث صحيح في صحيح مسلم وسنن ابي داود مسندا ان خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم هذا الخطيب هو عدي بن حاتم كما قاله الطوفي وقال البرهان الحلبي لا اعرف اسمه وقال بعض الحفاظ انه ثابت ابن قيس بن شماس وهو خطيب الانصار الصحابي الانصاري الذي شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وان في عبارة المصنف مفتوحة ويجوز كسرها على الحكاية والخطبة مصدر خطب ويطلق على الكلام نفسه وهي معروفة وهذا الخطيب كان قد خطب قومه عند النبي صلى الله عليه وسلم على عادة العرب في الخطب للامور المهمة وللنكاح قاعدا او قائما وكذا كان النبي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

صلى الله عليه وسلم يخطب للامور ثم حدث المنبر بعد الهجرة فقال
من يطع الله ورسوله فقد رشد قال في المصباح الرشد الصلاح وهو
خلاف الغي والضلال ورشد رشدا من باب نفع ورشد يرشد من باب
قتل فهو راشد والاسم الرشاد ويتعدي بالهمزة انتهى وقد قال مثله عين
من اهل اللغة فسن رشد في الحديث مفتوحة وهو المشهور رواية ويجوز
كسرها وروى من باب علم ايضا وهو من الغريب ماحكاه التبكي في طبقاته
ان شهاب الدين بن المرحل قرا على الحافظ المزي رشد بكسر الشين فرد عليه
وقال رشد بالفتح وقال له قال الله لعلهم يرشدون فقال ابن المرحل وكذلك
قال فاولئك تحروا رشدا فسكت يعني الحافظ ان يفعل المضموم مضارع
فعل مفتوحا او مضموما والثاني غير محتمل فتعين الاول فاجابه بان مصدره
ورد على فعل بالتحريك وهو مصدر رفعل المكسور قال ابن هشام والذي في
كتاب سيبويه رشد كسخط فجاء السماع على وفق سماع ابن المرحل
فليدون قال التبكي ولا وجه للقياس مع الرواية فان المروي في الحديث
هو المشهور في اللغة انتهى وكذا نقله السيوطي في شرح سنن ابي داود واذا
جاء نهر الله بطل نهر معقل وعن بعضهم قيل اثر المصنف رواية الوقف
بعضهم لنظر منشا القول بان المنع للوقوف وان لم يرض به كما ستراه وقد
خفي هذا على المعلقين انتهى قلت كيف يخفى وقد ذكر الزبيدي فلا ينبغي مثله
من مثله فقد غوي في النهاية غوى يغوى من باب ضرب والغي والغواية
الضلال والانهماك في الباطل وفي شرح سنن ابي داود غوى روي بفتح الواو
وكسرها قال عياض والصواب الفتح انتهى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
بئس خطيب القوم انت قم او قال اذهب وفي سنن ابي داود قم اذهب بئس خطيب
القوم انت فان لم تتعدد القصة فبعضهما رواية بالمعنى الا ان قوله او قال
يقتضي شك الراوي ويحتمل انه اختلاف في الرواية ان كان القائل غير الراوي
الاول وهو معطوف على مقدر مثله او معطوف على الاول فتدبر ولم يكتف بقوله
بئس الى اخره حتى زاد طرده للزجر تنبيها على ان من لا ادب له لا يصلح
لصحبة والتكلم بحضرته والمراد بقم ايضا اذهب من مجلسي كما قاله
كاس اذا ابصرت في القوم محتسما في الحال قالت له قم غير مطرود
واما على الرواية الاخرى فاذهب بدل من قم مفسر له او باسقاط العاطف
اي قم فاذهب وبئس مستوف لجميع الذم كاستيفائهم لجميع المدح وقم لما كان

المراد به

المراد به الطرد كما عرفته لم يقتض كونه قاعدا وهذه الخطبة يخطبها القاعد
والقائم كخطبة النكاح فمن قال لعله كان يخطب قاعدا ولعلها لم تكن خطبة
مشروعة كالجمعة فانها يجب فيها القيام لغير عاجز بل خطبة فصيحة او مفاصح
على عاتقهم فقد اخطا في فهم المراد وليت يتوهم ان يخطب للجمعة غيره بحضرته
صلى الله عليه وسلم قال ابو سليمان هو الخطابي كرم اي النبي
صلى الله عليه وسلم الجمع بين الاسمين بحرف الكناية اي كره ان يعبر عنهما بضمير
واحد فيعيده مضافا مقدرا اي سمى بسمي الاسمين بكلمة واحدة وهي ضمير التثنية
في قوله يعصيهما والحرف له معان منها الوجه والكلمة المخصوصة عند النحاة
ومطلق الكلمة والطريقة قال الازهري في التهذيب كل كلمة تقرا
على وجوه من القرآن تسمى حرفا فيقال هذا حرف ابن مسعود رضي الله
تعالى عنه اي الكلمة التي قراها او قرانه ومنه الحديث انزل القرآن على
سبعة احرف في احد الاقوال وللناس فيه كلام كثير حتى افرد بالتاليف
واما بحي الكناية بمعنى الضمير فاصطلاح كما في الكشاف في اول سورة البقرة وقال
الرضي الكناية في اللغة والاصطلاح ان يعبر عن معنى لفظا كان او معنى
بلفظ غير صريح في الدلالة عليه اما للابهام على السامع كجاءني فلان او
للاختصار كالضمائر الراجعة الى متقدم انتهى فحرف الكناية بمعنى وجه
الكناية او طريقة الكناية او كلمتها وهي الضمير وهذا مما لا شبهة فيه وان
توهش في الاختصار بان بعض الضمائر اطول من بعض الظاهر كزيد واياه
فقيل بانه اغلبي وعدل عنه الشريف في شرح الكشاف وعلل بدفع التكرار
والامر فيه سهل فمن قال هنا حرف الكناية انه وهي ضمير الغايب
بان اراد معنانا من ضمير واحد والحرف لغوي افرد لارادة الجنس او لشدة
الايصال او لانه الاصل لها وقال الرضي الكناية غير الصريح لدلالته
على المعنى بواسطة المرجع ولا يخفى ان انا وانت فيهما صريح بالمراد وقال
التلمساني الضمير مطلقا يسمى كناية من الكن وهو الستر انتهى فقد نفخ في غير
صوم فانه كيف يعد صريحا بواسطة حضور معناه وهو صادق على كل
متكلم ومخاطب وانما يدل صريحا بواسطة حضور معناه والعجب ممن نقل
اطلاق الحرف على الكلمة عن حواشي التسبية للعماد وممن تبعه وقال انه اصطلاح
منطوق وفي الشرح الجديد ان الكراهة هنا تنزيهية وكلام الاخبار يقتضي انها
تحريمية وفيه ان ثابتا كان خطيب النبي صلى الله عليه وسلم كان حسان رضي الله

سيد عيسى

الحنبلي وابن العربي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تعالى عنه شاعرهم ولما قدم وفد تميم على النبي صلى الله عليه وسلم وقام خطيبهم
فخطب وافتخر فقام ثابت رضي الله تعالى عنه فخطب بكلام جزل وهو من كبار
الصحابة الأنصار شهد المشاهد وبشره النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة
كما ورد في الحديث فكيف يقال له بيس خطيب القوم انت واجاب عنه بانه
لا ينافي ذلك زجره لخطابه بمخالفة الأدب لا سيما وقد ورد في الحديث الصحيح
انه صلى الله عليه وسلم قال شارطت ربي فقال اللهم انما انا بشر فاي
المسلمين لعنته او سببته او اذيته وشتمته فاجعله له زكاة واجرا
او رحمة وفي رواية لجعله كفارة له يوم القيامة وفي رواية ابي داود في
السنن بدل قوله فقد غوى فانه لا يضر الا نفسه لما فيه اي الجمع من التسوية
اللاتي تبان المراد بها وذهب غيره الى انه انما كره له الوقوف على بعضها وقول
ابن سليمان اعم لما روي في الحديث انه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر
الوقوف على بعضهما وقال المووي الصواب ان سبب النهي ان الخطبة
شانها الايضاح واحتساب الرمز ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا تكلم
بكلمة اعادها ثلاثا لتفهم لاكراهة الجمع بين الاسمين بالكناية لانه ورد
في مواضع منها قوله صلى الله عليه وسلم ان يكون الله ورسوله احب اليه
لا سواهما وقال العلامي في كتاب الفصول المفيدة قيل في الجمع بين هذه
الاحاديث وجوه منها ان هذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم فانه يعطى
مقام الربوبية حقه ولا يتوهم فيه تسوية له بما عداه اصلا بخلاف غيره
من الامة فانه مظنة التسوية عند الاطلاق والجمع في الضمائر بين الله وغيره
فلذا اجاز الجمع بينهما في كلام النبي صلى الله عليه وسلم في قوله من كان الله ورسوله
احب اليه مما سواهما وغيره لذا وامر النبي صلى الله عليه وسلم الخطيب بالافراد
ليلا يوهم كلامه التسوية والمخاطب الوفد الذين قرب عهدهم بالاسلام
ومثله قوله لا تقولوا ما شاء الله وشئت الى اخره ويعلم منه ما في كلام الله
بالطريق الاولى ويرد عليه حديث ابي مسعود رضي الله عنه الذي علم فيه
الامة ما يقولونه عند الحاجة فان فيه ومن يعصهما فيدل على عدم الخصوصية
الا ان يقال يوخذ من مجموع الحديثين انهم يقولون في خطبة الحاجة ومن
يعص الله ورسوله ولا يجمع فيها وفيه نظر ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم
حين انكر على ذلك الخطيب كان هناك من يتوهم منه التسوية بين المقامين
عند الجمع في الضمير ولعل هذا اقرب مما قبله ومنها ان ذلك الجمع لم يكن على وجه

التحتم بل على وجه الندب والارشاد الى الاولى لما في افراد اسم الله عز وجل
من التعظيم له به ليدل انه ورد خلافه في الاحاديث وهو قريب مما قاله
الاصوليون من ان الواو لا تفيد الترتيب ومنها ان ذلك الانكار كان مختصا
بذلك الخطيب لانه فهم منه التسوية فيختص بمن كان حاله كذلك ولعل
هذا الجواب هو الاقوى لانها واقعة حال وذلك لاحتمال الا انه اذاه
انهم اليه حديث ابي داود الذي علم فيه النبي صلى الله عليه وسلم امته كيفية
خطبة الحاجة قوى الاحتمال ومثله قيل في حديث لا تفضلوني على
موسى عليه الصلاة والسلام انتهى أقول في هذا المقام اضطراب
واشكال لان مقصود المصنف رحمه الله تعالى ذكرنا الله على رسوله
صلى الله عليه وسلم وما يدل على رفعة قدره فلما انتهى الى انه رفع ذكره
حيث قرنه بذكره واوضح فيه انه قرن طاعته بطاعته بالواو المشركة
عقبه بحديث النهي قوله ما شاء الله وشئت فلان مويدا به انه لا يجوز العطف
بالواو في حق غير النبي صلى الله عليه وسلم بنا على هذه الرواية والنهي عن
عطف مشيئته بالواو دون ثم ثم نرقى الى النهي عن جمع اسم الله وغيره
في كلام واحد وهو كلام متجاذب الاطراف في حسب الظاهر سواء قلنا النهي
تنزيهي او تحريمي على الصحيح لكن اذا تاملت كلامه وجدته مخالفا
لما في نفس الامر فان العطف بالواو على اسم الله لا يختص بالنبي صلى الله عليه
وسلم لوروده في حق غيره صلى الله عليه وسلم كثيرا في القران والحديث
ولا مانع منه عقلا وشرعا والحديث الاول فيه رواية اخرى صحيحة
كما مر ما شاء الله وشاء محمد فلا يكون مويدا له بل مخالفا وجمع الضمير ورد
في القران والاحاديث كقوله ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما
ولما راى الناس هذا مخالفا لما نورد هب بعضهم الى التوقيف وبعضهم
الى التلفيق فقال بعضهم انه كان في ابتداء الهجرة ثم نسخ وقيل الهجرة
شانها الافصاح وان كلام الرسول جملة واحدة ايقاع الظاهر فيها
قليل لغة بخلاف كلام المصنف الخطيب وان النبي صلى الله عليه وسلم
لو افرده كان معظما وهو اعظم الناس تواضعا وقيل انه ادب شرعي
مخصوص بغير كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فلا يرد ما في القران
والحديث وقيل فعله النبي صلى الله عليه وسلم لبيان الجواز واما الحديث
الاول فذهب بعض المحققين الى انه مخصوص بالمشيئة لقوله ما شاء الله كان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وما لم يشأ لم يكن وقوله وما تشاؤن الا أن يشاء الله فانه ندب
لتعليق الامور بمشيئة الله وحده فلا يجوز تشريك غير مشيئة الله سواء
في ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وغيره الا بدليل دال على التراخي فان
نفس مشيئة العبد بمشيئة الله ايضا لانه الذي خلق فيه الدواعي وغايته
ما يوجه به كلام المصنف رحمه الله تعالى انه مكروه في حق غير النبي
صلى الله عليه وسلم اذا كان في كلام الله وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم
من الايهام وانه لما ذكر في العطف الى بالمشيئة وما بعده استطرادا او اعرفت
هذا فقوله لما فيه من التسوية اي في تثنية الضمير وجمعه تسوية بينهما لانه
لفظ واحد منفصل لا سيما اذا الوحظ العدول عن العطف الدال على التفاوت
بالتقديم والتبعية ولذا قال من يعص الله ورسوله ولبس في الواو تسوية
عند المصنف رحمه الله تعالى كما قيل بل تشريك ان الواو تقتضي التغاير
والاستقلال لقيامها مقام تكرار العامل او تقديره معها وقول النحاة
العطف بالواو وبمعنى الضمير لو يريد ومن جميع الوجوه وقوله ذهب غيره اي غير
الخطابي الى انه كره من الخطيب وقوفه على بعضها بناء على انه فعل ذلك لعي او
سعال ونحوه فيوهم عطفه على الفاعل فيكون العاصي راشدا وهو فاسد
قيل المراد بالوقوف سكتة خفيفة تقطع النفس لا قطع الكلام مرة
واحدة كما مر وانما سكت اشارة لمحل الذم واكتفى بالمفسود وتنبيها على
جواز الحذف اولا مهولا ونسيانا ولا حاجة لما ان كلف وصرفه عن ظاهره
وقوله وقول ابي سلمان اصح اي من القول بان الانكار عليه لوقفه لا للجمع
في الضمير لان قوله له قل ومن يعص الله ورسوله صريح فيه واما القول
بان الجمع وارد ايضا الى اخره فقد عرفته وما فيه فلا حاجة للتطويل
به واما قوله اصح دون هو الصحيح فلان عدم ذكر الوقوف والرد عليه
بما مر والرد عليه بما ذكر لا بعينه لا سيما مع احتمال تعدد القضية وقد
اختلف المنقولون واصحاب المعاني قال بعض الشراح لم يرد بعلم
المعاني هنا علم البلاغة المشهور بل اراد من لهم زيادة اختصاص بالبحث
عن معاني الكتاب والسنة غير المفسرين بقرينة المقابلة وجوز ان يراد
المعنى المعروف لما فيه من المجاز الذي هو من مباحثه كما سيأتي في قوله
تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي هل واو يصلون راجعة
وعائدة على الله تعالى والملائكة أم لا وفي نسخة وعلى ملائكته ورجع بعضهم

بعلي والى والمراد بالرجوع والعود ارادتهما منه بقرينة ما قبله وهو
معروف غني عن الشرح وهل هنا بمعنى الهمزة فلذا عادت لنها ام كما ورد
في الحديث هل تزوجت بكرا ام ثيبا والكلام عليه مبسوط في محله وقوله في قوله
متعلق باختلف والتقدير المشهور في امثاله اختلفوا في جواب هل الى اخره
اذ لا اختلاف في الاستفهام وانما الخلاف في الوجوب وعدمه فهل الضمير عائد
على الله تعالى والملائكة أم على الملائكة فقط وخبر الجلالة محذوف اي
ان الله يصلي وملائكته يصلون واجازه اي الرجوع اليهما بعضهم ومنهم
اخرون لعلة التشريك اي لزوم التشريك بين الله والملائكة والتسوية
بينهما في عبارة واحدة مع ضمير الواو وان كان معنى الصلاة في حقهما واحدا
كما مر من انه ممنوع لما فيه من عدم رعاية التعظيم الدال على التفريق
او بنفسه على ما فيه فان كان هذا التعليل نقل مذهبا لبعض من منع فلا
كلام فيه والمصنف رحمه الله تعالى نقله واجل من ان يكون لم يفهم مراد هم
فسقط ما في بعض الشروح من انه لم يقله احد سواه والمنع له علة اخرى
مذكورة في كتب اصول الفقه وهي لزوم استعمال اللفظ المشترك في معنييه
او الجمع بين الحقيقة والمجاز فانهم قالوا الصلاة من الله رحمة ومن الملائكة
استغفار ومن الادميين تضرع ودعاء فان كانت هذه معان حقيقة
لزم الاول والا بان يكون في واحد منها حقيقة وفي غيره مجاز لزم الثاني
واجيب بانه على تسليم صحة النقل من عموم المجاز وهو استعماله في معنى
عام مجازي شامل لهما على الاحتمالين او من عموم المشترك فلا يلزم ما ادعاه
المجوزون الذين استدلوا بهذه الاية وبان المنع على ما ادعاه المصنف رحمه
الله تعالى انما هو في غير الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في مقام يوهم تسمية
الله بغيره لان حق لهما لا يفعل الله فيه ما يشاء ويحلفه على من يشاء وهو لا
يسئل عما يفعل كما مر تحقيقه وقد صرح به القرطبي في تفسيره هنا وفي تفسير
القاضي لقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته يصلي عليكم بالرحمة
وملائكته بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلاة المعنى
المشترك وهو العناية بصلاح امركم وظهور شرفكم مستعار من الصلاة
بمعنى الدعاء وقيل الرحم والانعطاف الصوري وفي دقايق المنهاج للنووي ان
التفسير المذكور للصلاة شرعي وكلام شيخ الاسلام تركيبا يقتضي انه لغوي
واعلم ان في تفسير الصلاة السابق كلاما لنا فيه رسالة مستقلة وليس هذا

شبكة الألوكة www.alukah.net

محلها فحسك من القلادة ما احاط بالجيد وخصوا الضير بالملائكة وقدروا
الآية ان الله يصلي وملائكته يصلون اي من ذهب الى ان العلة الشريك
ولم يجوزه مطلقا خص الضير بالملائكة وقدر في الاول خبرا فالتقدير عنده
ان الله يصلي وملائكته يصلون فحذف من الاول ما يدل عليه الثاني على عكس المشهور
في الحذف والتقدير ولكن مثله جايز ان قري بنصب ملائكته عطفا
على اسم ان فان رفع تعين كونه كذلك وعلته عند المصنف رحمه الله تعالى
الهروب من التشريك وعند غيره مامر وكون الحذف من الاول لدلالة الثاني
عليه ضعيف غير مسلم مع انه قيل عليه ايضا انه على هذا التقدير وان اندفع
التشريك لم يندفع ايهامه بحسب الظاهر من اللفظ وقد روي عن عمر
رضي الله عنه انه قال من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك
طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله من فضيلتك
خبر مقدم او عند متعلق به وان جعل مبتدا موخر والعكس بجعل من
التبعيضية لكونها بمعنى بعض مبتدا محذوف للسياق من غير احتياج وان ذكره
بعضهم في قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا كما مر وهذا الحديث قال
المخرجون انهم لم يجدوه في شئ من كتب الحديث وان ورد ما هو بمعناه في
صحيح البخاري عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه من اطاعني فقد
اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني
ومن عصى اميري فقد عصاني وقال تعالى قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله الآية هذا يحتمل ان يكون استيناقا من المصنف
رحمه الله تعالى ويحتمل ان يكون من كلام عمر رضي الله تعالى عنه ايضا وهو
المقصود بالذكر هنا وانما نقل اول كلامه ليكون مذكورا بتمامه فلا يرد
عليه ما قيل من انه قد سبق بلفظه فلا فايدة فيه غير الاطالة وقيل
انه لا تكرار فيه على كلا التقديرين لاختلاف المقامين فانه اولا ذكر اقتران
اسمه باسمه وطاعته بطاعته لرفع ذكره واعلاء قدره وذكره هنا لان الله عظمه
مع تاديبه مع ربه فجعل طاعته نفس طاعته ولا يخفى انه لا محصل له مع ذلك
ان نقول انما نحن فيه ابلغ مما مر فيكون في مدحه لا قتران شئ بشئ دون كونه
عينه بحيث لا يمكن انفكاك احدهما عن الاخر وان من عصى النبي صلى الله عليه وسلم
عصى الله فان كان هذا مراده فمرحبا بالوفاق وعلى كل حال فليس في ذكر
هذا مع ما مر كبير فايدة فلو اقتصر على احدهما حصل المراد وقال القاضي

في تفسيره المحبة ميل النفس الى الشئ لكمال ادرك فيه بحيث يحملها على ما يقربه
اليه والكمال الحقيقي ليس الا لله عز وجل وان ما يراه العبد كمالا من نفسه
او من غيره فهو من الله او بالله والى الله فلا ينبغي المحبة الا لله وفي الله وذلك يقتضي
ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه له فلذا فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت
مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ومطاوعته ولهذا علمت وجه الملازمة
في الشرطية وقال الامام اتفق المتكلمون على ان المحبة نوع من انواع الارادة وان
الارادة لا تتعلق لها الا بالحوادث والمنافع فيستحيل تعلقها بذاته وصفاته
فاذا قيل العبد يحب الله فمعناه يجب طاعته وثوابه ونحو ذلك واما محبة
الله فهي ارادة عبارة عن ارادة الخير له في الدارين ونقل الشارح الفاضل
ان العارفين قالوا بان العبد يحب الله لذاته واما حبه لشئ آخر فقد تحبه
تارة له والقول ضعيف لانه لا يمكن ان يقال ان كل شئ انما كان محبوبا بالمعنى
آخر فلا بد من الانتهاء الى شئ يكون محبوبا لذاته فكما نعلم ان اللذة محبوبة
لذاتها كذلك نعلم ان الكمال محبوب لذاته فمن سمع اخبار رستم في شجاعته
مال قلبه اليه مع القطع بان محبته معصية فعلمنا ان الكمال محبوب
لذاته واكمل الكمال لله فيقتضي انه محبوب لذاته من ذاته وقيل
المراد منا ان صدقتم في دعوى المحبة فاتبعوني فان اتباعي علامة ذلك
فاذا اتبعتموني يزيدكم الله فضلا فيحبكم فتعم الملازمة او هو امر اعتباري
اي انما تعتبر محبتكم باتباعي او هي قضية اتفاقية او بواسطة قضية
ضرورية عرفية اقول هذا محصل ما قالوه وفي الشرح الجديد
هنا كلام طويل من غير طايل والحق الحقيق بالقبول ان المصنف رحمه الله تعالى
قصد بعد ما ذكر ان الله رفع ذكره وطاعته قربني ذكره وطاعته ان يبين
ان طاعته تقتضي محبة الله ورضوانه الذي هو اكبر من جميع ما مر لان
محبة الله واجبة اذ بها يكمل الايمان فانه لا يؤمن احد حتى يكون الله
احب اليه من نفسه وحبه لا يكون الا بطاعته
ان المحب لمن يحب مطيع • وطاعته انما تكون بطاعة رسوله صلى الله عليه
وسلم اعظم ما مور به لقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول ومتابعة الرسول
صلى الله عليه وسلم اتباعه في اوامره ونواهيه فاذا كان هذا تحقق محبة
الله ومن احبه الله احبه كما قيل
لا وحق الخضوع عند التلاقي • ما جزا من يحب الا يحب

ابن الحنبلي
سيد
دلجي
عرضي
وتعيين

وبهذا علمت ان ذكر اية الطاعة امر لازم لنا ليتم الدليل على انه صلى الله عليه وسلم
احب الخلق الى الله تعالى لانه يجب من اتبعه فادعا التكرار من فصول الانظار
وما بعده من فتق الديباج وتوقيعه بالحبشي وبهذا عرفت معنى محبة الله له
لعبده ومحبة عبده له وروي كما رواه ابن الجوزي عن ابن عباس رضي الله
عنهما وابن المنذر عن مجاهد وقتادة انه لما نزلت هذه الاية قالوا اي
الكفار او المنافقون والقائل منهم عبد الله ابن ابي ابن سلول لعنه الله نزل
قوله منزلة قولهم كلهم لعظمته عندهم انما يريد ان يتخذ حنانا كما اتخذت
النصارى عيسى صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى قل اطيعوا
الله والرسول فان تولوا فان طاعته بطاعته ورغما لهم الحنان بفتح الحا المهملة
بعدها نون مخففة بليها الف ونون ومعناه الرحمة والعطف
ومنه قوله وحنانا من لدنا وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما ادري
ما الحنان وفي النهاية ان ورقة مر بلال رضي الله عنه وهو يعذب
في الله فقال والله لئن قتلتموه لاتخذنه حنانا والحنان الرحمة والف
والعطف والرزق والبركة اي لاجعلن قبر موضع حنان اي مظنة
رحمة وبركة فاتمسح به كما يتمسح بقبور الصالحين الذين قتلوا في سبيل
الله من الامم الماضية والمعنى على هذا انه محمدا صلى الله عليه وسلم يريد
ان يجعلنا ممن نتبرك به ونخضع له خضوعا يودي لعبادته كما عبدت
النصارى عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام لان محبة الله بالاطاعة
والخضوع له بالعبادة وقد جعل اتباعه يتوقف عليه محبة الله قيل
وفيما ذكره صاحب النهاية نظر لان بلالا رضي الله تعالى عنه انما عذب
بعد ما اسلم وورقة مات قبل البعثة وفيه تامل فانه قيل ان القائل
ذلك زيد بن عمرو بن نفيل واما قول المعترض ان ورقة اسلم قبل البعثة
فليس بصحيح لما في البخاري مما يخالفه صريحا وانما الذي لم يدرك البعثة
زيد المذكور والنصارى مفردة عند سيبويه نصران وموتنته نصرانة
ولم يستعمل بيا النسبة وقال الخليل واحد نصرى كمهرى ومهارى وقيل
هو منسوب الى نصر وهي قرية نزلها عيسى عليه الصلاة والسلام
وقال قتادة هي ناصرة ولكنه غير في النسب ونصارى ممنوع من الصرف
للالف وهم قوم عيسى عليه الصلاة والسلام وقد افترقوا فرقا بسبب
قصة يونس المفصلة في التواريخ وذكرها هنا التلمساني ايضا وعيسى ابن

ابن الحنبلي

ابن الحنبلي

مريم ابنت عمران بن ماثان قال التلمساني لم يذكر الله امراة في القران
باسمها الا مريم وذكرها في نحو ثلاثين موضعا والحكمة فيه ان الملوك والاشراف لا يذكرون حرائرهن باسمائهن بل يكنون عنهن بالاهل والعيال ونحو فاذا ذكروا الامام لم يكنوا ولم يحتشموا التصريح فلذا صرح باسمها اشارة الى الفاضلة من اماء الله وابنها عبد من عبيد الله رد على اليهود الذين قالوا في عيسى عليه الصلاة والسلام ومريم ما قالوه وهو كلام حسن جدا وعيسى ليس بمشتق من العيس بمعنى البياض لانه اعجمي معرب اسم اعجمي والاشتقاق مختص بكلام العرب وان كانوا اذا عربوه الحقوه بكلامهم وتصرفوا فيه فقد يفرضون اشتقاقه لبيان وزنه وحكمه وعيسى عليه الصلاة والسلام رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة او اربع وهو الاشهر عند المفسرين والمحدثين وقيل ثمانون سنة وقيل مائة وعشرين سنة كما نقله ابن حجر في الاصابة واختلف ايضا في مكثه في الدنيا بعد نزوله من السما فقيل سبع سنين وقيل اربعين وقيل غير ذلك ونزول الاية رد لما قالوه لامر بطاعته وتوقيره بما يليق به ففيه تكذيب لهم وتنفيه ورغما بالراء المهملة والغين المعجمة والميم مثلث الراء تذليل وقهرا واكراه واصله من الرغام وهو التراب لان المهان يسحب في الارض على التراب ثم عم فقيل رغم الله انفه ورغما عليه اي قهرا وذلا وغيظا وهو منصوب مفعولا له اي ارادة ذلك لهم وتحصيله وفيما ذكر من تعظيمه صلى الله عليه وسلم وتذليل اعدائه انتهى مناسبة بغرض المصنف رحمه الله تعالى هنا وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى في سورة ام الكتاب وهي سورة الفاتحة ولها اسما كثيرة مذكورة مبينة في محلها لا حاجة لنا بذكرها هنا ووجه هذه التسمية فيه وجوه اشهرها القاسمية به لانها مبدوة ومفتتحة فكالفاتحة او لاشتمالها على مقاصد اجمالا ووجه التسمية لا يلزم الحراده مع ما فيها من المرجحات وفيه تحقيقات تكلفت شروح الكشاف فعليك بها ان اردتها اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم فقال ابو العالية والحسن البصري تقدمت ترجمته واما ابو العالية فهو اسم مشترك والذي ترجمه الشراح انه رفيع ابن مهران التابعي الذي اسلم في خلافة الصديق رضي الله تعالى عنه فانه خرج له الشيخان وله تفسير مات في سنة تسعين على الصحيح وقيل هو رزياد ابن فيروز البراء بتشديد

المهملة لانه كان يبري السهل وهو ايضا ممن خرج له الشيخان ومات في سنة تسعين
ايضا وتردد بعضهم في المراد به هنا ورفيع بالتصغير كما قاله النووي في تهذيبه
الرياحي نسبة لامراة من بني رياح اعتقته سايبة فهو مولاها اسلم بعد عامين
من موت النبي صلى الله عليه وسلم وروي عنه اصحاب الكتب الستة ومعنى السائبة
ان يعتق ويترك ولاؤه وميراثه طلبا للاجر وهذا مما كان في الجاهلية
ونهي عنه في الاسلام وهذا مما اخرجه ابن جرير وابن ابي حاتم عن ابي العالية
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وصححه ورواه الحسن البصري كما ذكره
المصنف رحمه الله وبسمها ام الكتاب وام القران على طريق الاستعارة مأثور
مشهور وان اطلق الاول على غيره كاللوح المحفوظ والقول بان هذه التسمية
مكروهة مما لا يلتفت اليه وان ذكره بعضهم تكثيرا للسواد قيل وانما اه
صرح المصنف رحمه الله تعالى باسم السورة مع ظهوره وكونه على خلاف
عادته فيما ذكره من الايات لما فيه من تعظيم الله له واعتنايه بشانه حيث
ذكره في اول كتابه ومبدا خطابه الصراط المستقيم هو رسول الله صلى
الله عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه جملة اهدنا الدعائية بيان للمعونة
المطلوبة والكلام على الهداية وتعديتها وموانعها مفصلة في حواشينا في
تفسير البيضاوي والصراط جادة الطريق من الشرط وهو الابتلاع ٥
ومثله سمية لقما وفري بالصاد والسين وباشمامها زايا خالصة في
رواية ضعيفة وهو يذكر ويونث والمراد به هنا طريق الحق وهو ملة
الاسلام او القران او الايمان وتوابعه او الاسلام وشرايعه او السبيل
المعتدل او طريق النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر رضي الله عنهما او
النبيين عليهم الصلاة والسلام او طريق الجنة او طريق السنة والجماعة
او طريق الخوف والرجا او جسر جهنم وهذا ما عليه اكثر المفسرين قال
الامام السهيلي ويرد على بعضها ان المراد بهذا ما بعده من قوله صراط الذين
الى اخره قلت ليس هذا متفقا عليه نعم يرد على ما ذكره المصنف انه اذا فسر
بالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه يصير المعنى اهدنا النبي وصحبه ولا معنى له
الا بتقدير طريق النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه وفيه ركاكة لا تخفى ولذا قيل
الظاهر على هذا انه شبههم بالطريق الحق في ايصاله للمطلوب اي اهدنا ايا هم
لنؤمن بهم ونتبعهم وقيل سمي المرشد للطريق طريقا تسمية للدال باسم المدلول
اي المسبب فهو مجاز مرسل كما قيل وفي المعالم حكاية هذا القول بلفظ طريق رسول

عرضي

سيد

عرضي

الله صلى الله عليه وسلم فهو اما رواية او اشارة الى خلاف مضاف فيه كما ذكر
والمستقيم المستوى من غير اعوجاج والاستقامة تكون حسية ومعنوية وقوله
واصحابه يجوز فيه الرفع عطفا على رسول الله او خيار ورجح هذا الماسياتي والجر
عطفا على اهل بيته وبه جزم في المغني فالمعنى خيار اصحابه والاضافة بيانية
هنا وهناك اذ جميع اهل بيته واصحابه خيار عدول حتى من لابس الفتن منهم
لاجتهادهم وعلى عدالتهم مشى ابن الهمام في تحريره وجزم به العراقي وابن عبد
البر وعليه الاكثر وحكى اجماع اهل السنة والجماعة عليه ويجوز ان تكون الاضافة
لامية سواء جعلت الخيرية بمعنى العدالة ام لا لتفاوت مراتبهم فيها والنعمة لين العيش
وخصه واصلها من النعومة وهمزة انعم للنص وهو احد معان ستة
افعل وهي نحو اربعة وعشرين معنى حكاه عنها ابو الحسن الماوردي وقد تقدمت
ترجمته وهذا الاثر رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما وصححه
وحكى مكي نحوه عنهما وهو ابو محمد ابن ابي طالب شيخ الصوفية واهل السنة المتخصر في
التفسير وغيره من المعلوم وله تفسير كبير وكمانة العون كتاب جليل توفي بقرطبة
سنة سبع وثلاثين واربعماية واصله من القيروان ولدها ثم انتقل الى الاندلس
وسكن قرطبة ولها توفي ودفن وقال مكي هو اي الصراط المستقيم
في الفاتحة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه العطف اما تفسيري فالجملة
بيانية للمحكي او هو قول اخر فلمكي فيه قولان وليست الجملة مستانفة الا ان يراد انها
معطوفة على جملة مستانفة وقوله ابو بكر وعمر رضي الله عنهما بدل من صاحبيه
او عطف بيان وابو بكر رضي الله عنه افضل الصحابة واسبقهم في الصحبة وهو
افضل من طلعت عليه الشمس بعد النبي صلى الله عليه وسلم باتفاق اهل السنة
ولا عبرة بخلاف الشيعة فيه اسلم هو وابواه وابنه وحفدته وهو الصاحب
في الغار وفي السر والجهار ولم يزل ملحوظا بعين الرضى موحدا لم يسجد لصنم
قط وقال ابو الحسن الاشعري لم يزل بعين الرضا منه وقد اختلف في مواده فقيل
لم يزل مؤمنا قبل البعثة وبعدها وقيل لم يزل بحالة غير مغضوب عليه فيها لعلم
الله بانه سيومن ويصير من خلص الابرار وقال السبكي لو كان كذلك ساواه كثير
من الصحابة رضي الله تعالى عنهم في ذلك وهذه الجهالة لم تثبت عنه والصواب
ان يقال لم يثبت عنه كفر بالله قلت هذا هو المعنى الاول بعينه والذي اراه
ان ضمير منه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد انه لم يفارقه عين ولم يخالفه بيت
شنه وبهذا استحق التقدم على غيره وتوفي سنة اربع عشرة وله اربع وستون سنة

وعمر هو ابن الخطاب ابن نفيل ابن عبد بن عبد العزي بن رياح بن عبد الله بن قرط
ابن رزاح بن عدي بن كعب بن لوي بن غالب القرشي العدوي ابو حفص امير
المؤمنين روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم احاديث كثيرة وروي عنه
كثير من الصحابة والتابعين وقد صنف ابن كثير كتابا مستقلا في ترجمته م
وسيرته وما روى عنه مات رضي الله تعالى عنه سنة ثلاثة وعشرين
وعمره ثلاث وستون على المشهور وفضايله غنية عن البيان وحكى ابو
الليث السمرقندي تقدمت ترجمته مثله عن ابي العالية السابق ذكره والمراد
بالمماثلة مشاركته في تفسير الصراط بالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
رضي الله عنهم وان اختلف في تخصيص الاصحاب وعدمه في قوله صراط الذين
انعمت عليهم هو بدل مما قبله او عطف بيان فهو عين الاول وقال السبكي
رحمه الله من الغريب ما قيل انه غير الاول فكانه على راي من يجوز حرف العطف والله
واختلف هل لله على الكافر نعمة فاثبتها المعتزلة ونفاها غيرهم و النعمت
للفاعل استعطاف لقبول الدعا بالهداية وغير وصف عند سيبويه وبدل من الذين
عند ابي علي ومن الضمير عند غيره على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة والايمان
والسلامة من غضب الله انتهى فالمراد عند هذا القايل بالذين انعمت عليهم النبي
صلى الله عليه وسلم وخيار اهل بيته وصحبه فهو بدل او هذا التفسير مع ما سبق
على الاحتمال والبدل فلا حاجة الى القول بان ابا العالية هذا غير القايل
بان الصراط النبي صلى الله عليه وسلم فيما سبق لتنافيهما ولا يخفى ان قوله مثله يابا
قال اي ابو الليث فبلغه ذلك اي سمع هذا التفسير الحسن السابق ذكره ٥
فقال صدق والله ونصح اي صدق ابو العالية فيما قاله وانه تفسير للاية
والقسم لتاكيد صدقه وجزمه بما قاله او غلبة ظنه وقال بعض الشراح
اكثر المفسرين على ان المنعم عليهم في هذه الاية هم المذكورون في قوله فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين وهو
قول ابن عباس رضي الله عنهما واذا نظرت الى قوله وحسن اولئك رفيقا
وجمعت بينه وبين قوله صراط الذين انعمت عليهم تجد شرحا له لان الصراط
الطريق وهو محتاج للترفيق وفي الحديث خير الوقف اربعة يعني قوله من النبيين
والصديقين الى اخره فانهم اربعة وهذا ما نبه عليه الامام السهيلي اقول وفي
من اللطايف ما قاله الحوى تلميذ الفخر الرازي في كتاب له سماه اقاليم النعاليم
ان بسم الله الرحمن الرحيم اشارة الى حقيقته الكاملة التي لا يحيط بها ادراك مدرك

التلمساني وابن
الجبلي والدجي

وهو الله

وهو الله في الازل خلق الخلق برحمته ولهذا لا يقال رحمن لغير ثم بعد الخلق
ابقى المخلوق بالرزق ورزقه بالرحمة فهو رحيم اي له رحمة بها يرزق ولذا
قيل لغيره رحيم لانه قد يجري الرزق على يد غيره فهو اذا رحمن رحيم
خلق ورزق فتمت نعمته فوجب شكره فلذا قال الحمد لله رب العالمين
ثم انه تعالى في مرة اخرى بعد الموت والفوت يخلق المكلفين كما كانوا
ويرزقهم في الدار الاخرة فهو رحمن رحيم كما كان فلذا قال مالك يوم الدين
فاذا تبين انه الخالق الرازق اولا واخرا فلا عبادة الا له فقال اياك نعبد
ولما كانت النعمة لا تفنى ولا يفنى لها الشكر من عباده الضعفا قال اياك
نستعين لتكون العبادة كما يرضى لعباده ويليق بجلاله فاذا عبدناه واعناه
على الوصول اليه ليحصل الشرف الاقصى بالمسول بين يديه وذلك بسلوك
طريق يوصل اليه فقال اهدنا الصراط المستقيم ومن اراد سلوك طريق بعيد
لا بد له من رفيق فقال صراط الذين الى اخره اي النبيين والصديقين فهم
احسن الرفقا ثم اذا وجد الطريق خيف قطاع الطريق فقال غير الى اخر
واذا امن منهم خيف الضلال في الطريق لاشتباه معالمه فقال ولا الضالين
انتهى وحكى الماوردي السابق ذكره ذلك في تفسير صراط الذين انعمت عليهم
عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم المدني وهو يروي عن ابيه وابن المنكدر
وروي عنه اصبغ وقتيبة وهشام وضعفوه وله تفسير وترجمة في الميزان
واخرج له اصحاب السنن وتوفي سنة اثنين وثمانين بعد المايتين وفي تفسير
الصراط بالنبي صلى الله عليه وسلم واتباعه من الثنا ما لا يخفى لا سيما ذكره
في ام الكتاب ومبديه الواجب قراءته في كل صلاة وهو سر ذكر اسم السوق
على خلاف عادته كما مر وحكى ابو عبد الرحمن السلمي من ذكره وترجمته عن
بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى انه محمد
صلى الله عليه وسلم اول الاية فمن يكفر بالطاغوت ويومن بالله فقد
استمسك بالعروة الوثقى الى اخره والطاغوت ما يعبد من دون وقيل
الشيطان ويفي وزنه واشتقاقه كلام في التفسير واستمسك مبالغة
في التمسك وامسك ومسك واستمسك بمعنى والعروة في الاصل النباتة
في الارض ويقال لما تعقد في الحبل ليدخل فيه اليد للتمسك ومنه عروة القميص
والكوز ثم استعيرت لكل ما يعتصم به ويلتجا اليه والوثقى فعلا من الوثاقة
وهي الاحكام والشد الوثيق الربط المحكم الذي لا انفصام له اي لا انقطاع ولا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

القصال فاذا اريد لها النبى صلى الله عليه وسلم فهو استعارة من المجاز ومجاز
على المجاز الشهر الاول والسحافة بالحقيقة والمراد ان من صدق وآمن به
سلم كل سوء فى الدنيا والاخرة فهو استعارة تصريحية والاستمساك ترشيح
او استعارة تبعية فان فسرت بالتوحيد والاسلام كما روى عن النبى صلى
الله عليه وسلم فى صحيح البخاري فالمراد ان نفعه والسلامة بسببه محكمة
متصلة فى الدارين وصاحبه امن من السقوط والانقطاع وقوله عن بعضهم
قال بعض الشراح لم اعرفه ولم ان ولا وجه لاستبعاد ما ذكر مع صحته وظهور
وجه التجوز فيه وقيل الاسلام وقيل شهادة التوحيد اى قال بعضهم
هذا معنى العروة الوثقى وهو ظاهر مناسب وشهادة التوحيد قول اشهد
ان لا اله الا الله وقريب منه تفسيره بلا اله الا الله وهى كلمة التوحيد اى
الايمان بوحدانية الله تعالى قيل واول هذين القولين الصق بقوله
فمن يكفر بالطاغوت الى اخره وعليهما فنفيه شامل ما اجابه محمد صلى الله عليه وسلم
ويلزمه الثناء عليه نفسه والظاهر عند النجاني غيره وان الاية استعارة لعقد
لنفسه عقدا وثيقا لا تزل معه قدمه ومن شان العرب تشبيه المعانى بالذات
المرئية فيشبه فى الاية التمسك بالدين بالتمسك بعروة وثيقة لا تنقطع ايضا
ونحو قول السعد فى شرح الكشاف شبه التدين بالدين الحق والثبات
على الهدى والايمان بالعروة الوثقى فى الحبل المحكم المامون من انقطاعه
فذكر المشبه به واريد المشبه ولا يمتنع كون العروة استعارة للنهر او الكتاب
كما فى قوله واعتصموا بحبل الله انتهى وعد هذا اقرب من استعاره لذات النبى صلى
الله عليه وسلم لا يرد عليه شئ مما مر وقال سهل هو سهل ابن عبد الله التستري
وقد قدمنا ترجمته فى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال
نعمة محمد صلى الله عليه وسلم فى هذه الاية بلاغة عظيمة حيث قال
نعمة الله ولم يقل نعم الله والتا للوحدة بحسب الاصل والعدد يقتضى
الكثرة ولذا قال الحساب الواحد ليس بعدد الا انه قد يعم
وقد يستغرق نوعية او جنسية فلك ان تقول فيه ايما الى ان النعمة
الواحدة ولو كانت الواحدة حقيقية تشتمل على نعم لا تحصى بنعمة واحدة
مثلا ومى تشتمل على صحة كل جزء جزء فى كل حين ظاهرا وباطنا فلو اراد
احد تفصيلها عجز وافى حواشى المطول للسيرامى المعنى ان تشرعوا فى عد افراد
نعمة من الله لا تطيقون عدها وانما الى بان وعدم العد مقطوع به نظرا الى

دلجي

ابن الحنبلي

نوم

تومم ان يطاق انتهى واصل معنى الاحصاء الحد بالحصا وكانت العرب تفعله
كما قال الاعشى

ولست بالاكثر منهم حصى ٭ وانما العدة للكاثر

ثم صار حقيقة فى العد مطلقا والمراد هنا الحصر والاستقصا لان ما ليس
كذلك لا يعد والا لكان المعنى ان تعدوا نعم الله لا تعدوها او المراد
ان تزيدوا اعدها قال وقوله قال اعاده تاكيدا للاول وللفصل بين
كلام الله وتفسيره والقائل هو سهل والنعمة تكون بمعنى الانعام والانعام
والمنعم به فان اريد الاول فالبا للتعدية تقول انعم عليه بكذا ومحمد صلى
الله عليه وسلم هو المنعم به لانه النعمة العظمى لكونه رحمة لسائر الخلق كما
وقع فى نسخة مروية عن المصنف نعمة محمد من غير با وان اريد الثانى فالبا
سببية فالمعنى بنعمة كائنة بسببه او انعامه ففيه فوايد ومنافع لا تحصى
فلا منافاة بين عدم الاحصا وكون المنعم به محمدا صلى الله عليه وسلم فلا
وجه لما قيل من ان من اعظم المنعم والمراد بالمعنى الاعم المتناول لها
بقوله لا تخصوها والا فالنعمة به من اعرف المعارف المعلومة والاحصا
انما يكون فى المعدود لقوله واحصى كل شئ عددا انتهى واضافة نعمة يجوز
ان تكون للعهد والاستغراق لان الاضافة تاتى له اللام كما تقرر فى الاصول
فعدم الاحصا لها اولما يترتب عليها وقال تعالى والذي جا بالصدق
وصدق به اولئك هم المتقون الاية بين اكثر المفسرين على ان
الذي جا هو محمد صلى الله عليه وسلم وفى المراد بالذي هنا تفاسير منها
انه محمد صلى الله عليه وسلم وعليه اكثر المفسرين وهو فى غاية الوضوح
واقتصر عليه المصنف رحمه الله تعالى لمناسبته لما عقد له الفصل
من المدح والثناء عليه بانه صادق مصدق وقيل هو جبريل عليه الصلوة
والسلام وقيل انه مفرد لفظا جمع معنى لان تقديره الفريق او الجنس
الذي بعضه جا بالصدق وهو النبى صلى الله عليه وسلم وبعضه صدق
به وهم المؤمنون وقيل معنى جا بالصدق امن بالصدق الذي هو لا اله
الا الله او القران فاولئك هم المتقون مبنى على ان المراد هو ومن تبعه
كما فى قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون او تنزيل الواحد
منزلة الجماعة تعظيما له وقال التفتازانى الاوجه ان يراد بالثانى النبى صلى
الله عليه وسلم والامة فاولئك على ظاهره وفيه نظر واختلف فى تفسير الذي

دلجي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

صدق به كما اشار اليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله **وقال بعضهم ولو**
اي محمد صلى الله عليه وسلم **الذي صدق به** المراد بالبعض ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما لانهم نقلوا هذا التفسير عنه ومعنى صدق به امن به كما في
الكشاف وفي المعالم معناه صدق الرسول به اي بلغه الى الخلق وقال
البيضاوي صدق به فاداه اليهم كما نزل او صار صادقا بسببه لانه معجز يدل
على صدقه انتهى وقيل في هذا اخفا الا ان يقال معناه جعل الخلق مصدقا
به وهو بالتبليغ فليتامل وقيل ضمير به للصدق فيتناول الرسول والمومنين
والذي مبتدا **اخبره اولئك وهذه الايات** قد دلت على انه صلى الله عليه
وسلم جاء من عند ربه بصدق دلت معجزاته على صدقه قطعا وان صدق جبريل
عليه الصلاة والسلام فيما اتاه به ووصفه متق وحصر التقوى فيه
لان المراد به تقوي كاملة لا تيسر لغيره والحصر من تقريب الطرفين
وفيه مدح عظيم له واعلم ان الذي قد ياتي بمعنى الذين ويعنى عنه في غير تخصيص
كثيرا اذا اريد به الجنس لا افرادا منه مخصوصة فلفظه مفرد ومعناه جمع لتقدير
موصوف له مفرد اللفظ مجموع كالفريق ونحوه كما مر وفي شرح التسهيل التقدير
في هذه الاية الجمع او الفريق الذي جاء الى اخر فله جهتان بحسب اللفظ والمعنى
روعي اللفظ فوصف بالمفرد وروعي المعنى فعاد عليه ضمير الجماعة كقوله
كمثل الذي استوقد نارا وليس الذي اصله الذين فخفف بحذف النون كما يجوز
بعض النحاة لانه لو كان كذلك لم يجز افراد عايده فان اريد بالموصول جماعة معينة
لم يجز افراده الا نادرا كقوله

وان الذي فاحت لفيخ دماؤهم ● ثم القوم كل القوم يا ام خالد

قاله ابن مالك في شرح التسهيل **وقري** في الشواذ والقاري هو عكرمة ابو صالح
وصدق على التحنيث قال في المصباح صدق خلاف كذب وصدقته يتعدى
ولا يتعدى وصدقته بالتشديل نسبته الى الصدق وقلت له صدقت انتهى
والصدق يكون في الافعال ايضا فيقال حمل حملة صادقة كما قاله الراغب
اي الخبر عن الله بما هو صحيح نسبته الى الله مطابق لما في الواقع وهو ايضا
معتقد ومصدق به فانه قد يقول انسان امرا واقعا لا يعتقده كقول
المرء العالم حادث او جد الله او المراد انه صدق في تبليغه الوحي كما انزل
اليه وقيل المعنى انه صادق بسببه لكونه معجزة له فسقط ما قيل من انه
مكرر مع قوله الذي جاء بالصدق والتاسيس اولى من التاكيد مع ما فيه من الخطا

وترك الادب لان القراة لا يعترض عليها ولو كانت شاذة **وقال غيرهم** وفي نسخة
قال غيره والافراد نظرا الافراد لفظ البعض والجمع نظرا الى المعنى لانهم جماعة
والقايل قتادة ومقاتل **الذي صدق به المومنون** يعني على القراتين
وتفسير الذي جاء بالصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم فاخبار اولئك الى اخره
على ظاهره لكنه كما قيل يلزم في تقدير موصول اي والذين صدق فوايه وهو
ممنوع عند بعض النحاة وجوزه اخرون وقال انه الحق رواية ودراية اذ
دل عليه دليل ومن قوله تعالى قولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم
اي وما انزل اليكم وقول حسان رضي الله عنه

فمن ينصر رسول الله منكم ● ويمدحه وينصره سواء

وارتضاه ابن مالك والمانعون يمنعون تخريج الاية عليه ويقولون هي
حالية بتقدير قد او يقولون الذي بمعنى الجنس الذي الخ من غير حاجة الى
التقدير **وقيل ابو بكر رضي الله تعالى عنه وقيل علي كرم الله وجهه**
وقيل غير هذا من الاقوال كتفسيره بجبريل او بمحمد صلى الله عليه وسلم
وقيل الذي جاء بالصدق وصدق به المومنون الذين يجيئون في القيامة
بالقران ويقولون هذا الذي جاء بالصدق وقد اتبعناه واما تخصيص
ابي بكر رضي الله تعالى عنه فلانه الصديق الاكبر الذي سبق الناس كلهم لتصديقه
صلى الله عليه وسلم ولم يصدر منه غير قط وكذا علي كرم الله وجهه فانه
يسمى الصديق الاكبر صغر الذي لم يلتبس بكفر قط ولم يسجد لغير الله مع صغر
وكون ابيه على غير الملة ولذا خص بقول علي كرم الله وجهه وقيل
تخصيصهما للاولية في التصديق او للتصديق في اول اللقا وهذا منقول
عن مجاهد ولا يرد على هذا ولا على ما قبله انه يلزمه حذف الموصول بدون
الصلة او ان يراد بموصول مع صلة شيء ومنه مع صلة اخرى اخر لان الموصول
هنا واحد لفظا جمع معنى بتقدير موصوف كذلك كفريق ونحوه والصلة
له على التوزيع اي جمع بعضه جاء به وبعضهم صدقه فلا محذور فيه كما ذكره الطيبي
وهذا جار في الوجه الاخير اذ لا مانع منه فلا وجه لقول القاضي ومن تبعه
انه اذا كان الجاي النبي صلى الله عليه وسلم والمصدق ابو بكر ونحو يلزم اضمار
الذي وهو غير جايز مع انه ذكر هذا في الوجه السابق وليس بينهما فارق والفرق
بانهما قرد ان متشخصان هنا لا يجدي نفعا لما مر ولا حاجة الى ان الذي اصله
الذين فخفف بحذف النون لطوله بالصلة **اقول** الذي غره هو لان الذي لا يراد

عرضي

سيد
عرضي

متعدد الا اذا كان غير مخصص بمعنى قال فى التسهيل يعنى عن الزين الذى فى
غير تخصيص كثيرا وفيه للضرورة قليلا انتهى وعن مجاهد قال السيوطى رواه
عنه ابن جرير وابن ابى حاتم ومجاهد من كبار التابعين وهو ابو محمد ابن جبر بفتح
بفتح الجيم وسكون الموحدة والرا المهملة المقرى المفسر الزاهد العابد روى
عنه اصحاب السنن وغيرهم ووثقه المحدثون كما ذكره الذهبى فى ترجمته وقوله
فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه سنة احدى وعشرين وتوفى بمكة سنة اثنين
او ثلاث ومائة وهو ساجد وقيل انه رآى هاروت وماروت وكاد يتلف
فى قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه
رضى الله تعالى عنهم قيل انه مبالغة لكونه سببا للذكر امرا به جعل غير الذكر
كرجل عدل او على تقدير مضاف اى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله
ذكر رحمت ربك ولا وجه لما قيل من انه بعيد خارج عن النص وافراده على المعنى
الاول نظرا لاصله فانه يستوى فيه الواحد المذكور وغيره واطمينان القلب
سكونه وعدم اضطرابه يقال اطمان بالوضع اذا اقام به واتخذه وطنا
وموضع مطمئن منخفض واختلف اهل اللغة فيه فقيل ان اطمان كاحمار ثم
همز وقيل كانت الهمزة مقدمة على الميم فقلبت والمشهور ان الذكر على
ظاهره واطمينان القلب به لاستيناسه به والتعبير بالمضارع لاستمرار
التجدد اى يدوام ذكره وروى عن مجاهد ايضا ان المراد بذكر الله هنا القرآن
وفى الحديث القدسى اذا كان الغالب على عبدى الاشتغال بذكرى جعلت همه ولذته
فى ذكرى اللهم اجعلنا ممن يطمئن قلبه بذكرك ويكون همه وقفه
بحمدك وشكرك الفصل الثانى فى وصفه تعالى له بالشهادة
اى بانه صلى الله عليه وسلم شاهد على امته بالتبليغ اليهم وعلى سائر الامم بتبليغ
انبيائهم لهم وفى بعض النسخ الصحيحة فى وصفه له تعالى بتقديم له والمعنى
ظاهر وليست احدى النسختين جديرة بالحك والحكم بالتسقيم كما قيل لظهور المعنى
وان ضمير وصفه والمستتر فى قوله تعالى لله وضمير له للرسول ونحوهم خلافه بعيد
كما فى قوله تعالى لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة
واصيلا فانه لا يتوهم عود ضمير يسبحوه لرسوله والقول بعوده له على ان المعنى
يستحوا معه مستبعد جدا او الشهادة مشتقة من المشاهدة وهى المعاينة والمراد لها
الخبر القاطع تقول شهد على كذا ويكون شهد بمعنى حضر وما يتعلق بها من الثنا
والكرامة اى الاكرام له ويكون اسم مصدر بمعنى الحاصل بالمصدر وهو الاكرام

يعنى ان المقصود فى الفصل الاول ثنا الله ومدحه لنبيه صلى الله عليه وسلم بكونه
انفس الناس ذاتا وحسبا ونسبا وكونه خيرا ورحمة عامة فى حياته ومماته وكونه
نورا محضا منورا للعالم وكونه ذا صدر واسع منشرح ورفعة قدر واسمه بمقابلة
لاسم ربه وذكره وانه الصراط المستقيم والمقصود هنا ان الله جعله شاهدا
على امته واسائر الامم وانبيائهم وما ذكر فيه من الثنا والاكرام مذكورة
بالتبعية للشهادة استطرد لمناسبته له وبهذا تبين مغايرة ما عقد
له الفصلان فلا تكرار ولا عموم ولا خصوص بقرينة المقابلة كما قيل
وستقف عليه قريبا قال الله تعالى يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا الآية اى وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا كما مر وشاهدا
وما عطف عليه حال مقدرة ومن عادة المصنف ان يذكر الآية فى محل لغرض ثم
يسوقها فى محل لغرض ثم يسوقها فى محل اخر لغيره فذكر هذه الآية اولا لتاييد
كونه نورا ثم ذكرها هنا لكونها شاهدا على التبليغ فلذلك قال جمع الله تعالى
له صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية ضروبا اى انواعا جمع ضرب اى
صنف او هو جمع ضرب وضرب بالفتح والكسر وهو النظير اى امورا متناسبة
متماثلة من رتب الاثرة وجملة اوصاف المدحة رتب بضم ففتح جمع رتبة
وهى كالمرتبة والمنزلة المقام المعنوى والاثرة كما فى المفتتى بضم الهمزة وسكون
المثلثة ثم راء مهملة بليها تا تانيث كذا اضبط هنا والاثرة بالفتح فى الهمزة
والتاء وبضم الهمزة وكسرها مع اسكان الثا الاستبداد بالشئ والانفراد
به والمدحة بكسر الميم الثنا والذكر الحسن فاذا فتحت الميم قلت المدح انتهى
وقيل الاثرة بضم الاول وكسره وسكون المثلثة وبفتحهما وهو الافصح
كما ذكره النووى الانفراد بالشئ ويكون اسما لما به الانفراد كذا قرره ومقتضاه
ان فى الآية امورا مخصوصة انفرد لها صلى الله عليه وسلم وليس كذلك فالوجه
انها بالضم المكرمة كما فى القاموس او المراد الانفراد بالذكر فى الجملة او تحمل الاوصاف
على معنى يختص به بمعنى انها اذا فسرت بالمكرمة والفضيلة فلا اشكال فى كلام
المصنف وان فسرت بالانفراد ليقتضى ان ما ذكر هنا من خصائصه صلى الله
عليه وسلم وليس كذلك فالوجه انها بالضم المكرمة فيحتاج للتاويل بما قاله
وقد تبعوا فيه بعض الشراح فى اعتراضه بقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة
بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا الآن قوله هؤلاء للمبعوث اليهم اللهم الا ان
تحمل الاشارة الى جميع اهل المحشر ولا دليل فيه انتهى ولا يخفى ان ما ذكر من ان الجواب

والسؤال لا وجه له اما الاول فلان قوله الآتي وهي من خصائصه يأباه واما
الثاني فلانه بعد تفسير الشهادة بالقاء الشهادة على الامة بابلاغهم ما ارسله
الله به والبشارة لمن اطاعه في ذلك والنذارة لمن عصاه كيف يتوهم مشاركة
غيره له في ذلك وهذا مما يقضي منه العجب عندي وهذا حديث صحيح اجمالي فضله
وقال فجعله شاهدا على امته لنفسه بابلاغهم مصدر مضاف الى مفعوله
الاول اي بسبب ابلاغه اياهم الرسالة مفعوله الثاني واعجب منه انه فسر ه
بقوله اي مقبولا قوله عند الله من غير طلب بينة كما هو شان الشاهد العدل
صرح به الزمخشري فالشهادة مجازا انتهى وهي اي شهادته عليهم لنفسه
من خصائصه صلى الله عليه وسلم وقال الفاضل ابن الحنبلي انما كانت الشهادة
المذكورة من خصائصه صلى الله عليه وسلم لان غيره من الانبياء عليهم الصلاة واللام
وان كان ذا شهادة بمقتضى قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك
على هؤلاء شهيدا الا انه مطالب بالبينة وشهادته لا تقبل الا بشهادة محمد صلى
الله عليه وسلم وامته له بالتبليغ لامهم فنحن نشهد بذلك وقد بين الله تعالى
هذا بقوله لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فقد
ولانا الله بركة الشهادة على جميع الخليقة وجعلنا اولا مكانا وان كنا آخرا
زمانا فلله الحمد على ذلك وفي البخاري انه صلى الله وسلم عليه قال يدعى نوح
عليه الصلاة والسلام يوم القيامة فيقول لبيك رب فيقول هل
بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما اتانا من نذير
فيقول له من يشهد لك فيقول محمد صلى الله عليه وسلم وامته فيشهدون الحديث
وقيل الشهادة في هذه الاية شهادة للانبياء عليهم الصلاة والسلام بتبليغهم
وهي من خصائصه ايضا بالنسبة لبقية الانبياء عليهم الصلاة والسلام شهادة
محمد صلى الله عليه وسلم بذلك وقد مر في الفصل الاول عن اللباب ما فيه تعميما
لشهادات متعددة وهو الوجه حيث لا مخصص انتهى وفي شرحه هنا خبط
وخلط لا حاجة لنا به ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته فيه
كلام سيأتي في الفصل التاسع والانذار والتخويف والاعلام بما يحذر منه
والتبشير الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ولذا قالوا لو قال لعبده ايكم بشرني
بقدوم زيد فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو الذي اظهر سروره فلو
قال اخبرني عتقوا جميعا ومنه البشرة وتباشير الصبح واما قوله تعالى
فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم كقوله تحيتهم بينهم ضرب وجيع فهو مجاز من

استعمال

استعمال اللفظ في ضد معناه كذا في الشرح الجديد وفيه خطأ فاحش تنبه فيه
غيره فان اردت تحقيقه فانظر في حواشيتنا على البيضاوي فانك لا تجد
في غيرها وداعيا الى الله باذنه توحيده وعبادته وداعي اسم فاعل من الدعوة
وهي طلب الاقبال اي انه صلى الله عليه وسلم دعا الناس الى اعتقاد وحدانيته
الله تعالى ابتهلت اليه بالسؤال ودعوت زيدا ناديته وطلبت اقباله
فمن قال ان اصل الدعوة للطعام لم يصب والعبادة خدمة الله والخضوع له ولا
يتم الا بالاخلاص فلذا قال وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وتفسير
التوحيد هنا بالدين عدول عن الظاهر بلا سبب وقيل ان المصنف رحمه
الله اشار الى ان الدعاء الى الله يراد به الدعاء الى الاقرار بوجوده وتوحيده
وما يجب الايمان به من صفاته وما يجب تنزهه عنه وقيده بقوله باذنه
اي تيسيره اشارة الى انه امر صعب لا يتاتى الا بمعونته وبجيء بمعنى العلم
كقوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله وقوله وما كان لنفس ان تموت
الا باذن الله اي بعلمه وتوقيته انتهى اقول هذا الكلام غير منقح والتحقيق
فيه ما قاله العز بن عبد السلام في كتاب مجاز القرآن ان اذن الله مشيته
واراداته لان الغالب في الاذن ان لا يقع الا بمشيته واختياره والملازمة
الغالبة تصحح المجاز او بامر التكوين فان الامر يلازمه مشية الامر
غالبا وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى فهزموهم باذن الله
بامر الله وقوله كن وهو من مجاز التمثيل شبه سهولة الاشياء في قدرته
بسهولة هذه الكلمة على الناطق بها تفهيما لسرعة نفوذ مشيته وقدرته
فيما يريده ويعبر بالاذن عن التيسير والتسهيل كما في قوله تعالى والله
يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه اي بتيسيره وتسهيله اذ لا يحسن ان
يقال دعوته باذني ولا قمت وقعدت باذني ولذا قال الزمخشري
يجوز ان يراد بالاذن الامر اي يدعوكم الى المغفرة بامر اياكم بطاعته وكلاهما
من مجاز الملازمة انتهى وسراجا منيرا يهتدي به الى الحق وروي
يهدي به وهو اشارة الى وجه التشبيه وتنوير لها وكلاهما مجهول
مضموم الباء روي عن المصنف رحمه الله تعالى وقد مر تفسيره وانه
صلى الله عليه وسلم يهدي به في ظلمات الجهالة ويقتبس من انواره
وقد وصفه الله في هذه الاية بخمس صفات قابل منها بما يناسبها غير صفة
الشهادة اذ لم يقل له راقبني لان الامر بالمراقبة يناسب المشاهدة فما بعده

دلجي

سيد

عرضي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كالتفصيل فقابل البشارة ببشارة المؤمنين بالفضل الكبير وقابل
الانذار بالنهي عن متابعة الكفار والمبالاة باذاهم وقابل الرغوق بتسيير بالامر
بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به لان من كفاه الله برهانا حيه
حقيق بان يكتفي به عن سواه وقال ابن عطية رحمه الله هذه الاية ارجى
اية في القران لانه امن بتبشير المؤمنين بالفضل الكبير وقد فسر هذا
الفضل بقوله في اية اخرى والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات
الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير **حدثنا الشيخ**
ابو محمد بن عتاب بفتح العين المهملة وتشديد المثناة الفوقية والف وباء
موحدة علم منقول من صنة بمعنى كثير العتب والشيخ فوق الكهل وهو في العرف
اسم لكل من تصدى لافادة العلم كما مر وهو عبد الرحمن بن عتاب شيخ المهم
رحمه الله ان سمع منه في رحلته للاندلس وهو من علماء الحديث توفي في جمادي
الاولى سنة عشرين وخمسماية **قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد** وهو ابو
القاسم حاتم بن محمد بن عبد الرحمن بن حاتم التميمي المعروف بابن الطرابلسي تلميذ
ابي علي الغساني قرا عليه البخاري مرات وروى عنه وعن القابسي وغيره
قال **حدثنا ابو الحسن القابسي** وهو الحافظ الفقيه العلامة ابو الحسن
علي بن محمد بن خلف المعافري اخذ بافريقه عن بن مسرور بن الدباغ وداود بن
اسماعيل وبمصر عن حمزة بن محمد الحافظ ولد سنة اربع وعشرين وثلثماية وتوفي
في ربيع الاخر سنة ثلاث واربعماية بمدينة القيروان وكان ضريرا وكتبه
في نهاية الصحة ضبطها له ثقات اصحابه والقابسي بقاف والف وباء موحدة
وسين مهملة وياء نسبة نسب لقابس وهي بلدة بالمغرب سفاقس وطرابلس
ولم يكن منها ولكنه عرف بها وعنه كان يشدد عمامته عمامة اهل قابس شد
اهل قابس قال **حدثنا ابو زيد المروزي** وهو محمد بن احمد بن عبد الله بن محمد
الامام المحرر الزاهد العابد المجمع على جلالته وعظمته جاور بمكة وحدث بها
وببغداد بصحيح البخاري عن الفربري وهي اجل الرواية عنه لجلالة ابي زيد وتوفي
بمرو يوم الخميس ثلاث عشر رجب سنة احدى وسبعين وثلاثماية وترجمته
مشهورة ونسبته لمرو البلدة المعروفة واذا نسب اليها الناس يزيدون الزاي
على خلاف القياس وفي الثياب وغيرها يقال مروي فرقا بينهما ومن اللطايف
قولي في هذا في ارجوزة •

ومروزي جاء في الاساسي • والثوب مروي على القياس

قال

قال **حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف** هو الفربري المشهور سمع البخاري
من مصنفه مرتين مرة بفربر ومرة ببخارى ورواه وفربر بكسر الفا
وفتحها وفتح الرا المهملة وسكون الباء الموحدة تليها راء مهملة قرية
من قرى بخارى وهو ثقة ورع زاهد حافظ ترجمته مشهورة ولد
سنة احدى وثلاثين ومايتين وتوفي سنة عشرين وثلاثماية
لعشر بقين من شوال ويوسف اسم اعجمي مثلث السين وليس مشتقا من
الاسف وان وافق ذلك لفظه في قول الله يا اسفا على يوسف قال
حدثنا البخاري وهو الامام الحافظ الورع الزاهد محمد بن اسماعيل
ابن ابراهيم الجعفي البخاري الامام الورع الزاهد المتفق على جلالته وتاليفه
اصح الكتب بعد كتاب الله وترجمته مشهورة ولد سنة اربع وتسعين وماية
وتوفي بفريابة حرتنك من اعمال بخارى سنة ستة وخمسين ومايتين
قال **حدثنا محمد بن سنان** هو محمد بن سنان العوقي الامام ابو بكر يروي
عن همام وجرير بن صارم وفليح وروي عنه اصحاب السنن قال
حدثنا فليح بفاء ولام وحاء مهملة وهو لقب له تصغير فلح صفة مشبهة
من الفلاح ويحتمل ان يكون تصغير مفلح او افلح تصغير ترخيم وهو فليح بن سليمان
ابن ابي المغيرة بن حنين واسمه عبد الملك توفي سنة ثمان وستين وماية
وهو عدوي مدني روي سعيد بن الحارث وضمرة بن سعيد ونافع وغيرهم
وروى عنه ابنه واصحاب الكتب الستة وقال بن معين وابو حاتم
والنسائي انه ليس بالقوي وقال الحافظ بن حجر صدوق لكنه كثير الخطا
ولكن النسخة اعتمداه قال **حدثنا هلال** هو هلال بن علي وهو هلال
ابن ابي ميمون يروي عن انس وعطاء بن يسار وابي سلمة وعنه مالك وفليح
وغيرهما واخرج له اصحاب الكتب الستة وقال النسائي ليس به باس
قال الواقدي مات في اخر خلافة هشام بن عبد الملك **عن عطاء بن يسار**
بفتح الياء التحتية والسين المخففة المهملة ابو محمد المدني من كبار التابعين
توفي سنة اربع وتسعين وماية او ثلاث وهذا الحديث تفرد به البخاري
واخرجه في التفسير بغير هذا السند ايضا **قال لقيت عبد الله بن عمرو بن**
العاص وابو عمرو مشهورة قال بن التلمساني جوز بعضهم تركها وعبد
الله هذا هو ابو محمد ويقال ابو عبد الرحمن القرشي السهمي الزاهد العابد
الصحابي كان بينه وبين ابيه في السن اثنتا عشرة سنة وامه ريطة بنت

منبه وكان صلى الله عليه وسلم يقول نعم أهل البيت عبد الله وأبو عبد الله
وأم عبد الله اسلم عبد الله قبل ابيه وكان كثير الرواية والعبادة عن النبي صلى
الله عليه وسلم حتى قيل انه اكثر رواية من ابي هريرة رضي الله عنه لانه
كان يكتب وابو هريرة لا يكتب كما مر وانما لم تشتهر روايته كابي هريرة
لانه سكن مصر والوارد ون اليها قليل وابو هريرة سكن المدينة ٥
والمسلمون يقصدون لقاء من كل وجهة وتفصيل ترجمته مشهورة توفي بفلسطين
وعمره ثلاث وسبعون سنة وعمروا بوه اشهر من ان يذكر والعاصي يرسم بالياء
ويرد نهاء وانبا نها اولى وقال ابن الصلاح كتبه كثير في حالة الوصل بالياء وفي
حالة الوقف بحذفها ولا وجه لمن انكره فانه لغة لبعض العرب شبهوا ما فيه
الالف واللام بالنون لتعاقب اللام والتنوين وبما قرئ في السبعة الكبير المتعال
ونحو والذي عز المكوان النحاة خصوص بالمنكر كما ذكروه في باب الرسم فقلت
أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني صفته المذكورة في التوراة
بدليل قوله في الجواب انه لموصوف في التوراة فان السؤال يعاد في الجواب صراحة
أو ضمنا وهو من القواعد الاصولية كما وقع مصرحا به في روايات الصحيح
واخبر بتعدي للامر المسؤل عنه والمنقول عنه للخبر ايضا كالخبر عن النبي
صلى الله عليه وسلم وان كان المشهور في الاول تقويته بالباء وهذا مما لا شبهة
فيه عندي فلا حاجة لما قيل من انه انما تعدى لها هنا وهو مخبر به لا عنه لتضمنه
معنى الكشف اي اخبرني كاشفا عنها وموضحا لها وقوله انه يجوز ان يريد جعل
صفة النبي صلى الله عليه وسلم موضوعا يحمل عليه ما ذكر في التوراة وانه لا يصح تقييد
معنى السؤال نفسه خارج عن جادة الصواب وكذا ما قيل انه نظر اللفظ فتدبر
قال اجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن أي قال
عبد الله رضي الله تعالى عنه لمن قال له اخبرني ما صفته صلى الله عليه وسلم
في التوراة اجل اي نعم هي مذكورة فيها لان كلا واجل كما في المغني لان كلامه
يقتضي ان صفته صلى الله عليه وسلم مذكورة فيها واجل كما في المغني لتصديق
الخبر واعلام المستفهم ووعد الطالب وصرح في القاموس بانها تجيء بعد
الاستفهام وغيره فقال اجل كنعم الا انه احسن منه في التصديق ونعم
احسن منه في الاستعلام وقال الرضي هي لتصديق الخبر ولا تجيء بعد ما فيه معنى
الطلب وهو المنقول عن الزمخشري وجماعة فالوجه على هذا كما قيل انه
بعد خبر ضمني وهو انه موصوف في التوراة واما تقدير الاستفهام او جعله

عرضي سيد

رد لابن الحنبلي

سيد

لتصديق

ابن الحنبلي

لتصديق خبر من نفسه فليس بشيء انتهى ومر رد على بعض الشراح حيث قال
اجل معنى نعم حرف ايجاب وهو ما قل عند من شرط فيه تصديق المخبر ونقض
المخبر او هو تصديق لخبر نفسه ولذا اردفه بقوله والله والتاكيد لا القسم للاعتناء
به لان السائل غير منكر او لتنزيله منزلته لغفلته عنه او لما شاع من انكار
اليهود وتحريفهم وفي شرح السهيلي اجل لتصديق الخبر ماضيا او غيره مثبتا او
منفيا ولا تجيء بعد الاستفهام ومن الاخفش انه يجيء بعده الا انه في الخبر احسن
من نعم ونعم احسن في الاستفهام منها ولم يذكر مجيئها بعد الطلب كما في هذا
الحديث الا انه يقطع النزاع كما قيل صحح نحوك بالحديث ولا تصحح الحديث
بنحوك وهذا بنا على جواز الاحكام النحوية وفيه تفصيل في شرح المغني
وفي قوله والله دليل على جواز الحلف من غير تحليف بلا كراهة وقد ورد كثيرا
في الاحاديث والتوراة اسم لكتاب الله المنزل على موسى صلى الله عليه وسلم
وهي كلمة غير عربية بل معربة وفي وزنها واصلها كلام طويل
ليس هذا محله فان قلت عبد الله رضي الله تعالى عنه قرشي عربي فلا يناسب
سؤاله عما في التوراة والتوراة وغيره من الكتب القديمة قال الفقهاء لا يجوز
قراءة قرآنه وجه هذا قلت ان عبد الله كان يكتب ويقرأ كما مر وقال البرهان
الحلبي في المقتفى انه رضي الله تعالى عنه قرشي عربي فلا يناسب سؤاله
عما في التوراة والتوراة وغيره من الكتب القديمة قال الفقهاء لا يجوز
قراءة قرآنه وجه هذا قلت ان عبد الله كان يقرأ ويكتب كما مر قال البرهان الحلبي
في المقتفى انه رضي الله تعالى عنه كان يحفظ التوراة وقد روى البزار من حديث
ابن لهيعة عن وهب ان عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما
رأى في الأنام في احدى يديه عسلا وفي الاخرى سمنا وهو يلعقهما
فلما أصبح ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له تقرأ الكتابين التوراة
والقرآن فكان يقرأ ومما ذكر هذا الحديث ببعض شيوخي انتهى واما النهي عن
قراءتها وان صرح به الفقهاء فليس على اطلاقه لوقوعه في زمن النبي صلى الله عليه
وسلم لكثير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم من غير انكار فهو مقيد بمن لم يميز المنسوخ
والمحرف منها ويضيع وقته في الاشتغال بها واما غيره فلا يمنع منه بل قد يطلب
لالزامهم فيما انكروه منها كما في قصة الرجم وياتي لذلك مزيد بسط عن هذا
وقوله ببعض صفته في القرآن في بعض النسخ ببعض ما في القرآن وفيه دلالة
على ان وصفه صلى الله عليه وسلم في القرآن اكثر مما في التوراة لتفصيله وان

حكم قراءة التوراة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تفرق في ايات وسور متعددة وهذا مما لا شبهة فيه فما قيل من ان فيه
كلفة تامة الا ان يقال المراد توافق الكتابين على بعضها وان زاد كل منهما
على الاخر ولا وجه له عند من له ادنى بصيرة وقوله في التوراة كما سياتي اهـ
لك كل خلق كريم ولو سلم انه اشتمل من قوله وانك لعلى خلق عظيم مخصوص
بمدح خلقه صلى الله عليه وسلم والصفات اعم منه فلا حاجة الى تكلف الجواب
بانه وعد يحتمل عدم التنجيز او التعليق او التخصيص وقد وقع في الشروح
هنا كلام طويل بلا طائل وقوله يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا بدل من بعض او بيان له وقد تقدم تفسيرهن ولفظ النبي صادق
بمحمد مع قوله ارسلناك وخطاب نبينا صلى الله عليه وسلم بما في التوراة
خطاب للحاضر في العلم كما جعل كالماضي لتحققه او حكاية لما يقال في المستقبل
او لجعله على نهج استحضار الصور الاتية والتعبير بما يعبر به في ذلك الزمان
على قياس حكاية الحال الماضية ونادى الكليم ثم خاطب الحبيب التفاتا قيل
كونه بتقدير سيقول له في المستقبل كما قيل في قوله كنتم خير امة اخرجت
للناس او تقديره يقال لهم في القيامة كنتم في الدنيا باداء ان ما سيقال
في المستقبل ليس فيه حرز للامين والذي فيه داعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا
وما ذكره من الالتفات انما يتمشى على راي السكاكي كذا قيل وفي الشرح لحديد
هذا نوع والاخر لغيره او ضمير بن لغايبين من الالتفات كما في الضمائر كان
يذكر ضميرين لخاطبين احدهما للواحد والاخر لغيره او ضميرين لغايبين كذلك ومنا
ضمير في اصل الندا اي ادعوك ايها النبي وهو للكليم صلى الله عليه وسلم وهذا هو
المراد بالالتفات المذكور لا ما ذهب اليه الجمهور ولا السكاكي انتهى اقول
الغرابة منه فان ما ظنه غريبا ذكره جميع اهل المعاني وهو عندهم يسمى
الافنان وتلوين الخطاب والاداء باسم الالتفات والاعتراض انما ياتي اذا وقف
على اول عبارة التوراة فان كان قبله كان خطاب لموسى صلى الله عليه وسلم
فاعتراضه وارد والا فلا وحرز للامين الحرز بكسر الحاء وكون الوا المهملتين
ثم راي معجمة هو في الاصل مصدر بمعنى الحفظ ثم شاع وصار حقيقة في المكان
الذي يحفظ فيه فيقال احرز حرزه من الحصن حصين ومنه احترز عن كذا اي تحفظ
منه واحرز قصب السبق اي حازه فجعله نفسه حرزا مبالغة لحفظه اموالهم
وانفسهم في الدارين والمراد بالامين العرب لغلبة الامية فيهم وقيل لانهم لاقوام
لهم وخصهم مع عموم دعوته صلى الله عليه وسلم لشرفهم اولا رسالته صلى الله عليه وسلم

بين اظهرهم اولان الحفظ من العجم اختص بهم وقيل المراد حفظه لهم من افات
النفوس وغوائل الدهر او من افات العجم وتغلبهم او من مطلق العذاب ما دام
صلى الله عليه وسلم فيهم لقوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
او من عذاب الاستيصال لحديث سالت ربي عز وجل ثلاث خصال فاعطاني
اثنين ومنعني الثالثة ولاشتقاق هلال السنة والفرق والثالثة كون
باسهم بينهم انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل قدم العبودية لشرفها
كما قال لا تدعوني الا بيا عبدها فانه اشرف اسمائي
ولذا خص وصفها بالذكر في الاسرا ولبست بالمعنى العام الذي يتصف به
كل مخلوق بل بالمعنى الخاص الذي رضيه الله لعبده حتى اطلعه على خطاب
قدسه وجعله رسولا مبلغا عنه وكفاه جميع مؤناته فقال اليس الله بكاف
عبده فان الملك لا يرضى بوقوف عبده ببابه غيره واحتياجه لسواه واهانته
لاحد له فانه هو الذي يوده به فلذا قال سميتك المتوكل دون جعلتك او وصفه
المنادي بشدة توكله الذي صيره علما له ولذا قيل ان فيه اشعارا بشدة
توكله صلى الله عليه وسلم الساري في امته ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب
في الاسواق فيه التفات من الخطاب اذ مقتضى الظاهر ان يقول لست ان لم
يكن هذا كلاما اخر من التوراة ضمه عبد الله رضي الله عنه الى الاول وفي
الالتفات هنا بعد النظرية هنا حسن الاقتباس اذ لم يواجهه بمثله
وان كان منفيا واللفظ كما في المصباح الرجل الشديد الغليظ القلب يقال
منه فظ يفظ من باب تعب فظاظة اذا غلظ حتى يعاب في غير موضعه وغلظ
خلاف رق غلظة بالكسر وحكى في البارع التثليث وعذاب غليظ شديد الالم
وغلظ الرجل اشتد واغلظ له في القول عنفه وغلظ بالتخفيف اكدها انتهى
فمعنى ليس بفظ انه ليس له قسوة قلب ولا تشديد على الناس لانه
ملتزم محاولين بغليظ اما تاكيد له او بمعنى انه لا يعنف الناس والمراد
انه ليس بسيئ الخلق قال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من
حولك ولذا قيل المعنى ليس بسيئ الخلق ولا غليظ القلب ليوافق الاية
وقيل ليس شديد القول فلا تكرار فيه ولا ينافيه وقوع الغلظة والشدة
اللايقة او الواجبة احيانا لانها لا تنافي حسن الخلق والمراد بفيهما حسب
الطبيعة والخلقة او في غيرهما واما ما وقع في الصحيح في حق عمر رضي الله
عنه انت افظ واغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقصد قائله

التفضيل بل هو لاصل الفعل قيل ولفظ من يا باه وقيل انه من قبيل الحل
احلى من العسل واختاره الدماميني في حواشي البخاري اي غلطتك يا عمر
اشد من غلطته من رقته صلى الله عليه وسلم والوجه انه بالنظر الى الفاظ
في محلها فما وقع من امير المؤمنين رضي الله تعالى عنه ازيد مما وقع منه صلى
الله عليه وسلم لانه رحمة للعالمين وشفيع للمذنبين فهو يختار الايسر الاحسن
فيما هو محله والفاروق رضي الله تعالى عنه اختار الفاظة اللايقة
فاختار كل منهما الاحسن لو وغايته ان الفاروق ترك في بعض الاوقات
الاولى لاحتياجه لما لم يحتج له صلى الله عليه وسلم ولاخذ ورد في مثله والنجاب
والصحاب صيغة مبالغة من الصخب وهو ارتفاع الصوت وشدته وهما
لغتان في كل صاد لاصقت حرف الحلق وهو من غير اعراب امر مذموم رجحوا الما
افصح والسين لغة ربيعة وقد روى بالوجهين هنا وقوله في الاسواق جمع
سوق وهو موضع يجمع فيه الناس للبيع والشراء ونحوه وهو يذكر ويونث والسوق
خلاف الملك والمكان ولما كان في الغالب محلا لارتفاع الاصوات والصياح
لاسيما من الدلالين قيد به والمراد نفيه عنه صلى الله عليه وسلم مطلقا
لانه اذا انتفى في المحل المعتاد فيه انتفى في غيره بالطريق الاولى وهو ابلغ من
الاطلاق وافصح لانه نفى به دليل على حد قوله

ولا ترى الضب بها ينجحر • وللعرب في مثله ثلاث لغات مقاصد نفيها ونفي
القيد ونفي المقيد وهذا هو الارجح هنا لان فيه اثبات دخوله صلى الله عليه وسلم
للاسواق تواضعا وتركا لعادة الجبابرة من الملوك وردا لتوهم ما لهذا
الرسول يا كل الطعام ويمشي في الاسواق لانهم قالوا لما اظهر صلى الله عليه وسلم
الدعوة انه ينبغي ان لا ياكل ولا يشرب ويكون ملكا او لا يدخل السوق ليكون
ملكا وفي الشرح الجديد انه ليس بسخاب في موضع من المواضع فالنفي للمقيد لا انتفا
المطلق وانما نفى المقيد اتيانا للتصريح بنفي ما هم عليه من القبيح او للمبالغة
في نفي المطلق بجعله دليلا لكونه مقررا معروفا وقال الطيبي رحمه الله المراد
نفي الصخابية وكونه في الاسواق وهو عجيب لان نفي الصخابية فيها لا ينافي كونه
فيها بلا صخابية ولا الصخابية من غير كونه فيها بشهادة الذوق وقال شيخنا
الاقرب الى الفهم انه نفى المقيد لشناعته مع انه مظنة وموضع اعتياد الناس
ليفيد انه لا يفعله في غيره بالاولى ولا يراد ان صخابا بصيغة مبالغة فيتقدير
توجه النفي الى قيده وهو في الاسواق تثبت له الصخابة لانا نمنعه بان الصيغة له

هنا للنسبة كخياط ومنه وما ربك بظلام في احد الوجوه ولا ضير اذا كان
المراد نفي الصخابة المقيدة لانتفائها مطلقة لان نفي مطلقها لا ينافي ثبوت
اصل الصخب له وهو قد ثبت في محله كالخطبة والتلبية ونحوهما انتهى
اقول فيه نظر من وجهين ان رده على الطيبي ونجيبه ليس في محله لما
عرفت من انه احد الاحتمالات في امثاله وما ذكره امدح لانه نفى عنه صلى
الله عليه وسلم اعتياد الصخب واعتياد دخول الاسواق كارباب الدنيا
الثاني انه ادعى ان المبالغة لا تناسب هنا والتجا الى جعل الصيغة للنسب
وليس بلازم لجواز كون المبالغة في النفي لا في المنفي كما ذهب اليه خاتمة
المفسرين في الآية الا ان فيه نظرا لان صرف المبالغة للقيد الذي في الصيغة
ليس بالسهل مع امكان التغاضي عنه بوجه وفي هذا المقام مباحث اخر مذكورة
في هذا المحل وقد افردناها في رسالة مستقلة ولا يدفع بالشبه ولكن يعفوا
ويغفر لان خلقه صلى الله عليه وسلم القرآن وقد قال تعالى وجزاء
سيئة سيئة مثلها فمن عفى واصلح فاجره على الله فلذا قال ولكن يعفو ويغفر
فلا يسئ لمن اساء اليه ويدفع بالتي هي احسن وفي الآية مشاكلة وكذا في
كلام المصنف وان كان نفيا فقد يرد وفي ذكر المغفرة بعد العفو تاكيد ان
كانا بمعنى او يعفو اتاه ويستر اخرى فلا يفضح فيقول في خطبه ما
بال اقوام يفعلون كذا كذا قيل وفي كلام التفتازاني ميل للاول
وقيل بين العفو والمغفرة في حق غير الله فرق فان العفو لغة
بمعنى المحو فهو ازالة السيئة من ظاهره وخاطر والمغفرة مشتقة من الغفر
وهو الستر ولا يلزم من ستر ها ازالتها وقوله ولكن الى آخره استدراك
بانه لا يلزم من عدم جزائها عملها العفو بجواز ان يكله الى الله تعالى ويوخره
للاخرة انتهى اقول قد ورد العفو الغفور في اسماء الله وتغاير
مفهوميهما واشتقاقهما مما لا شبهة فيه ثم بعد ذلك قيل انهما متساويان
وهو المشهور والتحقيق ان بينهما فرقا من وجوه منها ما نقله الامام القرطبي
في شرح الاسماء الحسنى عن بعض العلماء ان الغفران ستر لا يتبع معه عقاب
وعتاب والعفو انما يكون بعد عقاب او عتاب فان اشتغل في غيره فهو بطريق
المجاز ومر في الخطبة الكلام فيه ايضا فتذكر ولن يقبضه الله حتى
يقيم به الملة العوجاء الملة الدين وبينهما فرق والعوجاء مونث
اعوج وهو ضد المستقيم ولكثرة اطلاق الملة على الكفر فسرها بعضهم

شبكة الألوكة www.alukah.net

هنا به وقال الشارح المحقق العرج ضد الاستقامة وهو كما في النهاية
بفتح العين في المرئي وبالكسر في غيره وكلام القاموس يدل على التعميم وأما
المعوج جعله مستقيما والمراد بالملة هنا ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام
التي عوجتها العرب بتغييرها كما قال تعالى واتبع ملة إبراهيم لا ملة الكفر
كما توهم فانه از التها انتهى وفي النهاية الملة العوجا ملة ابراهيم عليه
الصلاة والسلام التي غيرتها العرب عن استقامتها لانهم ذرية اسماعيل
ابن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام وكانوا يزعمون انهم على ملته الحنيفية
والحنيف من يوحد الله ويعبده لان الحنيف في اللغة الاستقامة وانما
قيل للمائل الرجل احنف تملحا وتفاولا وكان ابراهيم عليه الصلاة
والسلام حنيفا اي مستقيما وبهذا تعين المراد بالملة وقبضه الله اي
توفاه وقبض روحه واصل القبض اخذ المال واستيفاؤه فاطلاقه على
هذا بتشبيه الحياة والروح بالمال كما قال عمارة

اذا كان رأس المال عمرك فاحترس ٭ عليه من الانفاق في غير واجب

أو هم من باب استعمال المقيد في المطلق ثم شاع فصار حقيقة فيه بان يقولوا
لا اله الا الله اقتصر على هذا وجعله عبارة عن الدين القيم لان المعوج
الواقع عموده الشرك وعبادة الاصنام وبهذا يستقيم وقيل المعنى انهم
ياتون بكلمة التوحيد وذلك كما قيل عصمة دمايهم واموالهم غير ان المبنى هو
التصديق بها عن صميم القلب وانما لم يقل محمد رسول الله وهي قرينة
كلمة التوحيد التي لا تكاد تنفك عنها اكتفاء على حد سرابيل تقيكم الحر
والقول بانها زيادة على الملة الابراهيمية فلذا لم يذكرها هنا فيه انه يجب
على امته الخليل قبل وجود محمد صلى الله عليه وسلم ان تصدق بان محمدا رسول
الله كما صدق به ابراهيم نفسه وقيل المراد بالرجوع الى التوحيد ولا ينافيه
زيادة الايمان بشئ اخر فيه اشارة الى ان الاعوجاج من جهة الشرك
هذا محصل ما في الشرح وفيه بحث لانا لا نسلم انه بعينه داخل في الايمان الا
التفضيلي للام السابقة ومثله لا يقال بالراي وما ذكر لا يناسب ما نحن فيه
ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا قد مر هذا في الخطبة
وهذا الحديث مروي في البخاري بتانيث ضميرها على انه راجع لكلمة التوحيد
والمصنف رحمه الله ذكره فجعله عائدا عليها باعتبار اللفظ او للنبي صلى الله عليه
وسلم وروى البيهقي عن كعب ليبصر الله به اعينا عورا ويقيم به السنة معوجة

عرضي

ابن الحنبلي

حتى

حتى تشهد الى آخره وهو هنا بنصب اعينا وما عطف عليه ويفتح بالتحتية
وعلى رواية البخاري بالفوقية المضمومة ورفع الاعين وما بعده ووقع
في رواية اعين عمي بالاضافة وكذا الكلام في الاذان والقلوب وعلى هذا
فالعمي جمع اعمى وكذا الصم جمع اصم وعلى الاول جمع عمياء وصما قيل والظاهر
ثبوتها في التوراة فلا اشكال اقول لا يخفى ان التوراة عبرانية
وهذه ترجمة وان اختلف لفظها معناها واحد فلا اشكال فيها لعدم
تغايرها الا في العمى والعور والذي في القران صم بكم عمي وكان النكتة فيه
ان التوحيد اثبات الله ونفي ما سواه فهم لما اثبتوا الله والشريك كانوا كفاقد
لحدي عينيه او العور عبارة عن ذهاب العين مطلقا ثم ان العمى يوصف
به العين وصاحبها حقيقة فتقصر على الثاني تقصير وفتح العين عبارة
عن الابصار اما لما فيه من فتح الاجفان او لتشبيه الابصار بفتح الباب
وقد شاع هذا حتى صار حقيقة وعكس حتى شبهت الابواب المغلقة بالاعين
العمي كما قيل

فقد اغلقت ابوابه دائما ٭ كانها اجفان عميان

وقال

واقسم لو جاء الخيال بزورة لصادف باب الجفن يفتح مقتلا

وفيه معنى قيق ليس هذا محله وازالة الاحساس في الحواس المذكورة باذات
تصيبها فشبهت لعدم نفعها بالموت الا انه لا يقال فتح اذنه وقلبه فهو على
خد قولهم منقلا اسيفا ورمحا والغلف جمع اغلف وهو الذي عليه
غلاف اي غشاء وغطاء كقوله تعالى وقالوا قلوبنا في اكنة وقالوا
قلوبنا غلف بضم فسكون وقرئ بضمتين على انه جمع غلاف كحمار وحمر
اي هي اوعية للعلم وليس هذا بمناسب هنا فهو بالسكون لا غير اذ المعنى
لا ينظر ولا يسمع ولا يفي ما جيت به وذكر مثله ذكر بصيغة المجهول
والذي في البخاري ذكره في صحيحه تعليقا عبد الله بن سلام وكعب
الاحبار عبد الله بن سلام بفتح السين المهملة ولام مخففة لا غير
ونقل التلمساني انه يخفف ويشدد وكذا اسلام بن الحقيق ومحمد
ابن سلام شيخ البخاري وسلام بن شكام وما عداه بالتشديد وقال
الزاهي في الغيثة نحو سلام كلمة فتفعل سلمة بن سلام الحرو المعتزلي وابن
سلام هذا اسلم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وكان

سيد

سيد

حبرا عالما بالتوراة والقرآن وشهد له النبي صلى الله عليه وسلم
بالجنة وتوفي سنة ثلاث وأربعين وهو اسرائيلي من ولد
يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام
وكان اسمه في الجاهلية حصينا فسماه النبي صلى الله عليه وسلم
عبد الله ونزل في فضله قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل
على مثله وقوله تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده
علم الكتاب وحضر مع عمر رضي الله عنه فتح القدس والجابية وهو
انصاري خزرجي بالولاء وكان من كبار الصحابة روى له اصحاب الكتب الستة
وغيرهم وقد مر ان كعب الاحبار هو كعب بن ماتع بالمثناة من فوق بن
هيتوع يكنى بابي اسحاق الحميري التابعي المشهور ادرك النبي صلى الله عليه
وسلم ولم يره واسلم في خلافة ابي بكر رضي الله عنه وقيل في خلافة عمر
رضي الله تعالى عنه وكان على اليهودية وصحب عمر رضي الله تعالى عنه
كثيرا وعن غير كثيب كصهيب وابن المسيب وسكن حمص بعد ما كان
باليمن واتفقوا على سعة علمه وشدة دينه وتوثيقه وتوفي في خلافة
عثمان سنة اثنين وثلاثين متوجها الى العراق وقيل توفي بحمص
كما مر وكان يقال له كعب الاحبار ويقال له كعب الحبر بكسر الحاء وفتحها
كما مر باضافة الاسم للقب ولقب به لكثرة علمه او لكثرة كتابته فالحبر
بمعنى المداد الذي يكتب به والحبر ايضا بمعنى العالم كذا في المصباح وتهذيب
الاسماء للنووي وفي مثلثات بن السيد فقوله في القاموس كعب الحبر ولا
تقبل الاخبار غير صحيح وهذا الحديث اخرجه البيهقي في السنن الكبرى
ودلائل النبوة وذكره بن ظفر في كتابه خير البشر الذي افرده كما في
الكتب السالفة من التبشير بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو كتاب بديع في معناه
رأيناه ورويناه ومر ان هذا الحديث رواه البخاري مسندا عن عبد
الله بن عمرو بن العاص كما ذكره المصنف رحمه الله تعالى ورواه عن ابن سلام
تعليقا على عادته في تعليق ما كان بقضى رجاله على غير شرطه كما بينه
شراحه وفيما ذكروه مخالفة لما في فتوح الشام للواقدي وفي بعض طرقه
عن ابن اسحاق الطرق جمع طريق وهي معروفة وتطلق على الروايات
والاسانيد لانضمامها بالحديث وتلاقي القائل
له حديث في الجود مشتهر ... تروى به عنه الركبان من طرق

وفي المغني للبرهان كان هذا في الاصل عن ابي اسحاق فضرب عليه
وكتب في الحاشية ابن اسحاق وهو الامام محمد بن اسحاق ابن ابي بكر ويقال
له ابو عبد الله المطلبي مولاهم المدني صاحب المغازي رأى انسا رضي
الله عنه وروى عن عطاء والزهري وطبقته وعنه شعبه والحماوان
وخلق كثير وكان من بحور العلم صدوقا وله غرايب ربما تستنكر لسعة
حفظه ولذا اختلف في الاحتجاج وحديثه حسن وفوق الحسن صححه
جماعة واخرج له اصحاب السنن وله ترجمة في الميزان توفي سنة احدى
وخمسين ومائة وقيل اثنين وقيل سنة خمسين وجده من سبي
العراق وهو اول سبي دخل بها المدينة منها وقد طعن فيه هشام لروايه
عن فاطمة بنت المنذر وقال كيف يراها وليس بشيء لجواز ان يسمع منها
وفي خلف الحجاب كما روي الناس عن عايشة رضي الله عنها وغيرها
وكذلك طعن فيه الامام مالك وقال انه دجال من الدجاجلة
الا انه روي عنه انه رجع عن ذلك والقادح فيه غير منصف لانه
كان اعلم الناس بالانساب وانما انكر عليه ما كان يأخذه عن اولاد
اليهود الذين اسلموا بعضها ذكر في الفتوحات من عورات المسلمين
واشعار النجاشي لحرصه على الرواية مع ان عليه المعول في المغازي
وكان شعبه وسفيان يوثقانه ويقولان هو امير المؤمنين في الحديث
قال السيوطي هذه الطريق اخرجها ابن ابي حاتم عن وهب بن منبه
في تفسير سورة الفتح ووقع في حواشي التلمساني هنا زيادة وعبد
الرحمن بن زيد وقال هو عمرو بن عبد الله ابن علي السبيعي نراي عليا
واسامة بن زيد والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم ولم اره هكذا في النسخ
ولا صحيح في الاسواق بكسر الخاصفة مشبهة تفيد المبالغة باعتبار
افادة النعوت وقد مر بيانه ولا متزين بالفحش فحش كمنع وزنا ومعنى
فكل شيء جاوز الحد فهو فاحش والفحش القول السيء ويطلق على الزنا
وقيل في تفسير قوله ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين
بفاحشة والحاصل انه كل قبيح قولا كان او فعلا ومتزين روي بزاي
معجمة ومثناة تحتية ونون وروي بدال المهملة من الدين وروي منقوصا
متزي بابدال النون من الزي وهو اللباس والهيئة اي لا تلبس بامر قبيح
او يحتمل به ويباهى به ولا يرد على ظاهره انه يوهم انه قد يأتي به غير متجاوزا

شبكة الألوكة www.alukah.net

وغير متزين به لانه لا مفهوم له لجريه على عادة ارباب الفحش في المباهاة بها وقيل انه استعارة تهكمية وقيل التزين بمعنى الاتصاف على التجريد او المراد انه لا يرى الفحش في المباهات بها وقيل انه استعارة تهكمية وقيل التزين بمعنى الاتصاف على التجريد او المراد انه لا يرى الفحش زينة فهي تهكمية وهذا علامة من علاماته صلى الله عليه وسلم لانه نشا بين قوم يتزينون بالفواحش كالقتل والزنا والطواف عراة فاتى بما يخالف عادتهم ولا قوال الخنا قوة الفعال صيغة مبالغة اي كثير القول والخنا بخا معجمة ونون مفتوحة قبيح الكلام وهذا مع ما قبله يفيد انه لا يصدر عنه صلى الله عليه وسلم شيء منه قليلا او كثيرا الان الفحش بمعناه وقيل فعال هنا للنسبة اي ليس بذي قول للخنا كتمار ولبان وليس المراد انه اشارة الى انه ربما يقوله لموجب لان ما كان لموجب ليس بفاحش وقيل المراد نفي المبالغة وايا ما يكن اصل قوله للصيانة عن توهم الكذب في كلامه لو صدر عنه ما يوهم فحشا ما وعن الهلال الذي يتمم ذلك التوهم فوق الهلال الذي يتمم توهم انه ربما يقول الخنا ولما ذكر صفات التخلية بقوله ليس بفظ الى اخره اخذ في صفات التحلية بطريق الوعد من لا يخلف وعده فقال اسدده بكل جميل متسببا نفعا للمقتصد اعلاما قبله ولذا لم يعطف وقيل انه جواب سؤال تقديره فما تفعل به بعد ان صنته عن النقائص فقال اسدده الى آخره والجميل الحسن صورة كان او معنى والمراد ما مر في الحديث ان الله جميل يحب الجمال والتسديد التوفيق للسداد وهو الصواب والقصد من القول والعمل وتيسيره يشمل تيسير جميعه وبعضه فقوله بكل جميل يليق به واهب له كل خلق كريم اهب بفتحتين مضارع وهب بمعنى اعطى والخلق بضمتين وتسكن اللام السجية والطبيعة التي فطر الله عليها وهو يوصف بالكرم بمعنى الخير والجمال يقال اكرم كرما اذا فعل ويكون بمعنى العطاء الكثير وليس بمراد هنا وان اوهمه قوله هنا اهب فتنبه توريته وقيل هو من قبيل عطف الخاص على العام للاهتمام ويقال لكل صفة خلق ولذا يجمع على اخلاق فلا حاجة الى تقدير كل فرد خلق كما توهم وهو وعد منه تعالى وهو لا يخلف الميعاد وفيه نظر وكونه جامعا لمكارم الاخلاق غير محتاج للبيان وسيأتي بعضه واجعل السكينة لباسه والشعار اي اجعل مضاجع المتكلم وهو الله والسكينة بفتح السين وكسر الكاف المخففة شقريا

نون وها وفيها لغة بكسر السين وتشديد الكاف نقلها المصنف رحمه الله تعالى في مشارقه ولجا قري في الشواذ ومعنى فعيلة من التكون والمراد بها هنا الوقار والطمأنينة وورد ت في القرآن في قوله عز وجل هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين وورد في الاحاديث الصحيحة بمعان اخر قيل انها مشتركة فيها وللمفسرين فيها اقوال فعن علي رضي الله تعالى عنه انها ريح هفافة وقيل انها ملك له وجه انسان وله رأسان وعينان ذات اشعة وطست من ذهب فغسل فيه قلوب الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل انها شيء كان يلقى فيه موسى عليه الصلاة والسلام الالواح والعصى وقيل هي رحمة وقال السيوطي رحمه الله تعالى انها اسم ملك مخصوص وفي حديث الوحي غشيه صلى الله عليه وسلم السكينة وهي ما كان يلحقه عند نزوله وقيل انها صورة هو مع بني اسرائيل اذا ظهرت انهزمت اعداؤهم وفي حديث بنا الكعبة فارسل الله السكينة وهي سرعة المرور والمراد هنا الاول واما هذه المعاني فيحمل عليها ما ورد في الاحاديث ولا حاجة لذكرها هنا ولما كان التكون والوقار مبدوه ما يلوح لقلبه في مراقبته جعله في الاية في القلب ويلزمه ما يظهر عليه من الخشوع والتثبت وباعتباره جعله لباسا له من باب تشبيه المعقول بالمحسوس فكل منهما وجه وجيه بليغ فلا حاجة الى التوفيق بينهما بان ما في الاية بمعنى ملك يسكن قلب المؤمن ويومنه او العقل كما قيل والبر الطاعة والاحسان او زيادته والخير والرحمة والشعار بمعنى اللباس الذي يلي الجسد سمي به لانه ليس شعر وبدنه ويكون بمعنى العلامة ايضا والمناسب منا الاول لذكره مع اللباس ويقابل الشعار بهذا المعنى الدثار وهو ما ينفصل به الانسان وفي الحديث الانصار شعار والناس دثار اي لهم خاصة له صلى الله عليه وسلم والناس عامة او هو اقرب اليه من غيرهم وهو بزنة اللباس ولما كانت السكينة ظاهرة فيه صلى الله عليه وسلم في سائر احواله ويراها كل احد برا وفاجرا جعلها لباسا والبر والخير والرحمة وان لازمه ايضا وعلم حوالة انما يقف عليه المؤمنون ببصائرهم جعله شعارا فانظر حسن موقعه مع ما قبله وما بعده ايضا وهو قوله والتقوى ضميره لان الضمير ما يضمر في القلب والضمير الموضع والمنزل قال مستقر لها في مضر القلب والحشا سريرة وذو يومر تبلى السرائر

ويسمى القلب ضميرا لخفائه أو لانه محله فانظر كيف انتقل من الظاهر للخفي ثم الاخفى مع ما فيه من شبه اللف والنشر والتشريع الامور السلبية والتقوى عبارة عما يقي العذاب في الآخرة ولها مراتب اولها البرى عن الشرك والثاني التنزه عن كل ما يوثم والثالث أن يتنزه عما يشغل سره عن الله وبهذا علمت السابها مع الضمير **والحكمة مقبولة** الحكمة كالحكم كل كلام جامع لما يرشد الى الحق فيشمل المواعظ والامثال لانتفاع الناس بها ويطلق على العلوم الشرعية وتطلق على القضايا العدل وبه فسر قوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة والقرآن وتفسيرها هاهنا بالعلم باحوال الموجودات على ما هي عليه بقدر الطاقة أو تطلق المعلومات كما قيل غير مناسب وان صح والمقبول يكون مصدرا واسم مفعول فالمراد انها بعقله وادراكه أو ما يعقله كله حكم ومواعظ وعلوم نافعة لانه لا ينطق عن الهوى **واجعل الصدق والوفا طبيعته** اي لا ينطق بغير ما وافق الواقع واذا عاقد احدا او واعد وعدا لا يخلفه لهذا امر طبيعي له جعله الله **والمعروف خلقه** المعروف والعرف قال في المصباح هو الخير والرفق والاحسان ومنه قولهم من كان آمرا بالمعروف اي من امر بخير فاليأمر برفق انتهى ويقابله المنكر والمعروف ما تعرفه وتألفه العقول واذا قيل المعروف كاسمه معروف **والعدل سيرته** العدل القصد في الامور وهو ضد الجور والسيرة فعلة فمعناها في الاصل الهيئة في السير ثم صارت اسما للطريقة يقال سار سيرة حسنة أي طريقة وحاله العدل وعدم الخروج عن الحق قال الله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان قيل في تفسيره العدل الفرائض والاحسان النافلة وقيل العدل استواء السريرة والعلانية والاحسان ان تفضل السريرة العلانية وقيل العدل الانصاف والاحسان التفضل وقال ابن عطية العدل فعل كل مفروض من العقائد والعبادة واداء الامانات والانصاف والاحسان فعل المندوب وقال البغوي العدل بين العبد وربه ايثار حق الله على حظ نفسه واجتناب الفواحش وامتثال الاوامر وبينه وبين نفسه منعها عافيه هلاكها والصبر بينه وبين غيره بذل النصيحة وترك الخيانة وانصافهم من نفسه والصبر على اذاهم قيل جعل العدل سيرته صلى الله عليه وسلم لا ينافي ان يكون الاحسان سيرته في محل يليق به ولا يكون العفو طبيعة له صلى الله عليه وسلم لمصلحة

يتلبق بالمقام وقيل عليه ان الاحسان أخص من العدل فان تمثيل المشركين بحمزة رضي الله تعالى عنه في احد وعدم تمثيل النبي صلى الله عليه وسلم بقتلاهم احسان ولو فعله كان عدلا ومقتضى هذا ان الاحسان ينفرد عن العدل وليس كذلك واما العفو فان كان باذن الشرع كعفوه صلى الله عليه وسلم عن الذي اخترط سيفه ليقتله فهو عفو وعدل وعفو عما لم يؤذن كالحدود لم يقع منه لعصمته صلى الله عليه وسلم عن مثله **أقول** هذا القائل فسر العدل بالمساواة في المكافاة ان خيرا فخير وان شرا فشر والاحسان ان يقابل الخير بمثله وزيادة والشر بافل منه ومقتضاه تغاير هما ومراده المقابلة فيما لا بد من مقابلته وترك العفو عنه فلو اذن الشرع العفو والتغافل وفعله لم يكن عدلا ولا جورا بل مرتبة زائدة على العدل والمعترض ظن ان كل ما ليس بعدل جور وليس كذلك **والحق شريعته** اي رأيه في النسخ المقروءة بنصبهما عطفا على مفعول اجعل وجيئ لا يرد عليه شيء كما اورد على الرفع فان تعريف طرفي المسند والمسند اليه يقتضي الحصر فيقتضي بمفهومه ان ما عداه من الشرايع باطل وليس كذلك ولذا قال البعض المراد الحق الكامل الذي لا ينسخ وقيل الحصر على ظاهره ولا يحتاج في تصحيحه الى تقدير ذلك الوصف أو جعل التعريف عهديا عبارة عنه لان شريعته في زمن موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام لم يكن في الشرايع حق حق غيرها وما سواها باطل كذا في النسخة التي عندي ولا محل لها ولا يندفع السؤال بما قاله ولك أن تقول ان شريعته في زمانه هي الحق لا غيرها لانتساخ الشرايع بها والكلام يفيد هذا بدون تقدير والحق الثابت وخلافه الباطل وما يستحقه الانسان على غيره والشريعة ما بينه صلى الله عليه وسلم الذي شرعه لامته وهي قانون الهي وضعه الله على لسان رسله عليهم الصلاة والسلام يسوقهم الى خير الدارين والشريعة قيل انها في الاصل الطريق الواضح المستقيم كالشرعة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ويكون بمعنى المشرعة والمورودة اي المحل الذي يشرب منه من حافة نهر ونحو ثم نقلت للدين اما لانه طريق الخير والنجاة أو لتضمنها ما هو سبب للحياة الباقية كالمورودة المتضمنة لسبب الحياة الفانية وورد بان معناها انما هو الطريق والمورودة انما سميت بها لانها موصلة للماء وفيه نظر لا يخفى **والهدي امامه** والهدي الدلالة بالطف

ولذا اختصت بالخير ولها انواع اولها خلق القوي والمشاعر الظاهرة
والباطنة التي يتمكن بها من الاهتداء لمصالحه والثاني نصب الدلائل الحقة
والثالث ارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام وانزال الكتب والرابع
ان يكشف عن قلوبهم حتى يشاهدوا الاشياء فان قلت هذا من سوء الفهم
فان المراد ان خلقها بمنزلة الدلالة فيها وقوله امامه بكسر الهمزة بضبط
البرهان الحلبي وهو الظاهر وضبطه بعضهم بفتحها وهو بمعنى قدام لاحدى
الجهات الست ومعناه على الاول مقتداه ومشبعه وبه سمي الامام للاقتداء
به وقال تعالى لابراهيم عليه الصلاة والسلام اني جاعلك للناس
اماما اي انه منبع للهدي وهو كناية عن ملازمته له وعدم انفكاكه عنه
وقيل انه تفريعه للعهد اي هدي الانبياء عليهم الصلاة والسلام لقوله
تعالى اولئك الذين هدي الله فبهداهم اقتده والمراد بهداهم ما اتفقوا
عليه من التوحيد والاصول لا الفروع ويجوز ان يراد بالامام الطريق
كما قيل في قوله وانهما لبامام وعلى الفتح فالمراد بطريق الكناية اي انه
ملاحظ له كما يقال في حقه انه ظهري وخلف ظهري والاسلام ملته بنصبها
ورفعها كما مر وهو المصحح في النسخ التي عندنا وهو الاحسن قيل المراد ان الاسلام
وهو عام اسم لهذه الملة فالمعنى انه جعلها خير الملل وسماها بهذا الاسم او هو
عام والمراد الكامل منه وهذه التسمية صريحا او ضمنا لقوله هو سماكم المسلمين
من قبل اي من قبل نزول القرآن سماهم بذلك في الكتب الالهية والظاهر ان هذه
الصفات السلبية والايجابية ذكرت في التوراة والانجيل تفريقا له صلى الله
عليه وسلم فينبغي حملها على الكامل منها ليكون من خصائصه صلى الله عليه وسلم
التي تميز بها عن غيره والملة كالدين والشريعة تطلق على الاسلام وغيره وهي
متغايرة بحسب المفهوم متحدة بحسب الخارج والاسلام اصل معناه اللغوي
الاستسلام والانقياد ثم خص لسان الشرع بالانقياد لما جاءت به الرسل
والانبياء عليهم الصلاة والسلام بلا خلاف في انما الخلاف في اختصاص الاسلام
بامة محمد صلى الله عليه وسلم والمشهور انه لا يختص بهم فيقال لكل ملة اسلام ولها
مسلمون ولكل نبي مسلم ولقوله تعالى في حق لوط عليه الصلاة والسلام فما
وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وقيل انه توصف به هذه الامة ويوصف
به غيرهم من الانبياء عليهم الصلاة والسلام دون امهم وارتضى هذا السيوطي
وصنف فيه رسالة مستقلة واطال فيها وتبعه بعض الشراح هنا ثم قال ان الاسلام

كيف تشمل هذه الانواع والاول لم يرد هم الله عليه قال ح

سيد

ابن الحبلي

عرضي

بالمعنى

بالمعنى الشرعي المتضمن للشهادتين وسائر الاحكام المفروضة على هذه الامة
تختص بهذه الامة دون جميع من عداهم من الامم والانبياء عليهم الصلاة والسلام
وهو اسم منقول كالصلاة واما بالمعنى اللغوي كالانقياد فهو عام لكل
منقاد لشريعة من الشرائع ويؤيده قوله تعالى هو سماكم المسلمين من
قبل اقول فيما قاله السيوطي نظر لا يخفى ثم ان معنى الاسلام
والفرق بينه وبين الايمان مفصل في كتب الاصول فلا حاجة لذكره هنا
واحمد اسمه اي جعل اسمه احمد وسماه به في الكتب القديمة قبل وجوده وهو
علم منقول من اسم التفضيل اي هو اكثر حمدا لله من سائر الانبياء عليهم الصلاة
والسلام وجميع الخلق وهو صاحب لواء الحمد يوم القيامة كما سياتي وقال
السخاوي في سفر السعادة انه صفة كاحمر وابيض نقلت لهذه وسياتي
الكلام عليه في اسمائه صلى الله عليه وسلم ولما ذكر صفاته الموصوف بها
في نفسه شرع في صفاته التي لوحظ فيها غيره وهو جواب لسؤال مقدر تقديره
هل ينفع بهذا الظاهر المطهر الكامل في نفسه غيره اهدي به بعد
الضلالة كما قيل وقيل انما فضله لعلو مرتبة الهداية سواء كانت الايصال
او الدلالة الموصلة واهدي بفتح الهمزة مضارع هدي وفيه تقوية لمدحه
السابق والمراد الهداية الى ما به النجاة والى ما به تكمل الناجي فلذا
قال واعلم به بعد الجهالة والضلالة بمعنى الضلال وهو سلوك غير الطريق
الموصلة ويقال اضل الشيء اذا ضيعه وهي تكون قصد وعمد وبغير قصد
كقوله فعلتها اذا وانا من الضالين اي المخطيين وبين الهداية والضلالة
صنعة الطباق البديعية والباء للتبيين او للتعدية واعلم مضارع بضم
الهمزة وتشديد اللام كما في المقتفى والجهالة بفتح الجيم مصدرها الضلالة
بمعنى الجهل والجهل والجهالة ضد العلم وهو الاعتقاد الذي لا يطابق الواقع
وفي المصباح جهلت الشيء جهلا وجهالة خلاف علمته وفي المثل كفى بالشك
جهلا انتهى وارفع به بعد الخمالة ضبط ابن رسلان بفتح الخاء المعجمة والميم
ونقل عن بعض النحاة انه لا يقال خمالة وانما يقال خمولة وفي الصحاح الخامل
الساقط الذي لا نباهة له وقد خمل يخمل خمولا واخمله انا وفي الجمهرة رجل خامل
الذكر بين الخمول والخمولة وهو ضد النبيه والنابه اقول هذا الحديث
صحيح وثبوت هذه اللفظة فيه يكفي دليلا لصحتها او هو لمشاكلة الصلالة
والالف واو معها ولو قلنا انه غير قياس والمراد برفعه جعل الدين والتوحيد

بعد ما ترك في الفترة لغلبة الجهل مشهورا شايعا فهو مجاز كقوله تعالى
ورفعنا لك ذكرك اي الرفع وبين الجهالة والجهالة طباق او شبهه وايم
به بعد النكرة يقال اسميته كرمته وسميته بالتشديد وبتعديه بنفسه
وبالباء كسميته زيدا او بزيد او اجعلته اسما له وعلما وبالتشديد بضبطه
البرهان في المفتي وروى بضم الهمزة وسكون السين المهملة والنكرة بضم
النون وسكون الكاف وفتح النون وكسر الكاف خلاف المعرفة ويطلق بمعنى المجهول
كقول الشاعر في مجهول النسب * وامه معرفة لكن ابوه نكرة * والباء للتسببية
اي اعرف الناس بسببه او بما اوحيه اليه الناس المجهولين او اعرفهم ما جهلوه من
التوحيد او اعرف الناس مما لم يعرفوه من الانبياء وقصصهم وقيل الاولى التعميم
وقيل المراد اعرف به من هو في حكم النكرة غير معروف ولا يشهر موصوف
وهو تكلف وبين التعريف والتنكير شبه الطباق ومعنى هذا وما قبله اني
ارسله في زمان جهالة وضلالة وفترة فهو من بدء اول مساكين الناس وضعفائهم
على عادة الرسل عليهم الصلاة والسلام فيصيرون به بعد جهولهم
وكونهم مجهولين اعز الناس واكرمهم فان من الصحابة رضي الله تعالى عنهم
من كان بدويا او اعرابيا بعد اشراق نور النبوة صار صدرا تقبل الجباة
يديه ورجليه وقد كان الدين والعلم قبيل بعثته عليه الصلاة والسلام نكرة
لانقبل التعريف فافاض الله منه على امته ما لم تسمع به الامم حتى ابدعوا علوما
ونوالب تحار فيها الافكار فجزاه الله خير الجزاء وهذا من خصايصه صلى الله عليه
وسلم واكثريه بعد القلة اكثر بضم الهمزة وسكون الكاف وكسر المثلثة وتحتا
او بفتح الكاف وتشديد المثلثة المكسورة لانه يتعدى بالهمزة والتضعيف
قال تعالى قد جاد لتنا فاكثرت جدالنا وقولهم اكثر من الاكل يحتمل زيادة من
وحذف المفعول من الاكل كما في المصباح والمراد انه يكثر به الارزاق مطلقا او على
من اتبعه او اكثر امته بعد قلتها في ابتدا امره او بعد عدمها لان القلة ترد
في كلام العرب بمعنى العدم ايضا وهو بعيد وقيل المراد اكثر به قواعد الملة
بعد القلة لانهم كانوا بملة عوجا فاقامها واعاد منها ما نقص بكلمة التوحيد
وهو تكلف فاغنى به العيلة اغنى مضارع من الاغنا وهو اعطا الغنى والميله
بفتح المهملة وسكون التحتية الفقر قال الله تعالى ووجدك عائلا فاغنى
من عاله اذا قام به بامره وكفله والعامة تقول عيله بمعنى عيال جمع عيل كجياد
وجيد ولو استعمل بلبيغ كان له وجه من المجاز والصحيح ورود العيله بمعنى عيال

المنفرد او اكثر

كما فصله

كما فصله البيهقي في كتاب الانتصار للشافعي والمراد ما كان هو وامته عليه
في ابتدا امرهم ثم صار بعد ذلك لهم من النعم والسعة بما احل لهم من الغنايم
وفتح من الممالك ما هو غنى عن الشرح والبيان واجمع به بعد الفرقة اي اجمع
به بعد تباين الناس بين الناس بعد افتراقهم وتنافر قلوبهم لما بينهم من العداوة
المودية للحروب وترك الديار كما كان بين العرب والعجم وبين قبايل العرب
وبين القبيلة الواحدة الانترى ما كان بين المسلمين والمشركين مما ادى الى
الهجرة وترك الاوطان وبين الاوس والخزرج من الحروب والمهاجاة بل بين
الاب والابن والاخ واخيه كما قال ابو فراس

وقبلي كان الغدر في الناس سبة * وذم زمان واستلام خليل
وفارق عمرو بن الزبير شقيقه * وخلى امير المؤمنين عقيل

فلما جاء الاسلام الف الله بين قلوبهم وسل احقادهم وصفا بينهم حتى صار الواحد
منهم يبذل عن احدى زوجتيه للاخر ويقطع بردة نصفين او المراد انه جمع العقايد
والملل على التوحيد وملة الدين او المراد الاعم منها فقوله والف بين قلوب
مختلفة واهوا متشتته واممم متفرقة عطف تفسير لما قبله ومتفرقة
كما قال التلمساني بتقديم التاء على الفا من التفرق وبتقديم الفاء على التا من
الافتراق في نسخة العزيزي والتاليف جعل الاشيا مؤتلفة مجتمعة اي اجمع
بينهم على مودة واستلاف بعد الافتراق والعداوة كما قال تعالى واذكروا
نعمة الله عليكم اذ كنتم اعدا فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا واسناد
التاليف الى الله في الاية لا ينافي كون التاليف بسبب النبي صلى الله عليه وسلم لانه
السبب الظاهري والفاعل الحقيقي هو الله والتاليف بين القلوب يستلزم التاليف
بين الذوات فلا منافاة بينهما كما توهم والمراد التاليف بين عقايدهم بحيث
تكون عقيدتهم واحدة منتفية على الحق والتوحيد والاهوا جمع هوى والميل
وهو ميل النفس لما تشتهيه وتحبه والمشتته المتفرقه اي اجعل همومهم
واحدا منتفيا محمودا او الهوى غلب اطلاقه على المذموم كما قال الله تعالى
ولين اتبعت اهوايهم بعد ما جاءك من العلم والامر جمع امة وهي الفرقة
من الناس وغيرهم يعني ان كل امة كانت على دين واعتقاد وعلى طريقة منهم من يعبد
الاصنام ومنهم من يعبد الكواكب ومنهم من هو على دين موسى عليه الصلاة والسلام
ومنهم من هو على دين عيسى عليه الصلاة والسلام فنسخ الله بشريعته صلى الله
عليه وسلم جميع الشرايع وجعل الدين دينا واحدا قيما من حاد عنه هلك وشقي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في الدارين واجعل امته خير امة اخرجت للناس كما قال تعالى كنتم خير
امة اخرجت للناس اي انه تعالى قضى ذلك وقدره في الازل وعالم الذر واخرجت
بمعنى اوجدت وخلقت او اخرجت من العدم والمراد امة الاجابة وهم
من امن به صلى الله عليه وسلم ويطلق على امة الدعوة وهم جميع الناس
الموجودين بعد بعثته صلى الله عليه وسلم وقيل المراد كنتم مذكورين في
الامم الذين قبلكم موصوفين لخيريته نبيكم ودينكم او بما بينه من قوله بعد
تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله وفي هذه الاية
دليل على ان اجماعهم حجة وفي حديث اخر اخبرنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن صفته في التوراة رواه الطبراني وابو نعيم في الدلايل عن ابن
مسعود رضي الله عنه والدارمي عن كعب موقوفا ورواه باسناد ضعيف
عبدي احمد المختار اضافه اليه تشريفا له واحمد عطف بيان او بدل والمختار
الذي اختاره من جميع خلقه وهو بمعنى المصطفى صلى الله عليه وسلم مولده
بمكة اي موضع ولادته صلى الله عليه وسلم في هذه البقعة الشريفة ومهاجره
اي محل هجرته الذي هاجر اليه صلى الله عليه وسلم بالمدينة او قال طيبة والمدينة
المصر الجامع وزنها فعيلة لانها من مدن وقيل مفعلة بفتح الميم من دان غلبت
على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم والجمع مدائن بالهمز على القول باصالة الميم
ووزنها فعائل وبغير همز على القول بزيادتها ووزنها مفاعل لان للبا اصلا
في الحكة قترد اليه كما قيل في معايش والهجرة في اللغة الترك ثم خصت بترك
مكان لاخر وكانت واجبة قبل فتح مكة وللمسلمين هجرتان للحبشة وللمدينة
وغالب الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقع لهم الهجرة لعداوة الناس لهم وكان
اسم المدينة يثرب فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لما فيه من ايهام معنى
التثريب ولها اسامٍ منها ما ذكر وهو طيبة بفتح الطا وتخفيف اليا الساكنة
مونث طيب بالفتح لغة في الطيب بمعنى الرايحة الطيبة او هي مخففة من طيبة
بالتشديد وبها لطابة ايضا والمراد انها مطهرة من الشرك والخبائث وقوله
او قال شك من الراوي فيما قاله النبي صلى الله عليه وسلم وطيبة مجرور بالفتح
لمنعه من الصرف لتقدير او قال لطيبة لامر فوع لتقدير هي مهاجره طيبة وان جاز
على بعد فيه قيل وظرفية طيبة لمهاجره بضم الميم وفتح الجيم من ظرفية الكلي
للجزئي كما يقال الانسان في زيد وكذا مولده بمكة ولو قيل انه مصدر ميمي لم
يبعد فتدبر امته الحامدون لله على كل حال الحامدون الكثيرون الحمد وتعريف

الطرفين

الطرفين يفيد الحصر فكثرة الحمد مختصة بهذه الامة على كل حال من قيام وقعود
واضطجاع وسفر وحضر في السرا والضرا لان الله مستحق الحمد استحقاقا
ذاتيا فلا يختص بحال دون حال وهو بالنظر للمجموع او الغالب او المتعين منهم
او هذا من شانهم وحمله على الكل تكلف كما قيل ولحمد لا يلزم ان يكون في مقابلة
النعمة كالشكر فلا يحتاج الحمد في الضرا للتوجيه وان كان العبد منعما عليه
في كل حال بنعمة الايجاد والجوارح والحواس والضرا منفعة بالثواب عليها
وحفظ عن الاضرار لك ان تقول كثرة الحمد في هذه الامة لما في اوقات
الصلوات من قراءة سورة الحمد والثنا على الله فيها على ابلغ وجه لم
يقع لغيرهم من الامم واعلم ان في بعض الشروح الاعتراض على المصنف وغيره
ممن اكثر النقل من التوراة وغيرها من الكتب المنسوخة وقد حرفوا الفاظها
قراءتها والنظر فيها فانها محرفة مبدلة وبالغ بعض الفقها فقال يحرم
الاستجابا وقراءتها وهذا انما لا ينبغي التلفظ به ثم انهم اختلفوا لذلك
في تحريفها وتبديلها هل هو بتغييرها بالزيادة والنقصان او بتاويلها
وتفسيرها بغير المراد منها وقالوا الاشتغال بها يا في الغرض من نسخها فلا يجوز
وذهب بعضهم الى ان التحريف في التاويل لا غير لاستحالته بعد انتشارها
وكثرة نسخها ولا مانع من قراءتها لمعرفة صفة النبي صلى الله عليه وسلم
فيها ولا لزامهم بما انكروه وكيف يجرم هذا وقد قال الله تعالى
قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين ووقع في الاحاديث
النقل عنها ولو حرفوها لحرفوا اية الرجم التي الزمهم عبد الله بن سلام
رضي الله تعالى عنه بها وقد ارتضى هذا ابن تيمية وفي شرح
النجاني اذا وجد فيها ما يفيد النظر فيه والاشتغال به وهو كلام حسن
وقال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي الاية
اي اقرا واذكرها بين الايتين بتمامها اعني الذي يجدونه مكتوبا
عندهم في التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل
لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي
كانت عليهم فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل
معه اولئك هم المفلحون قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا
الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فامنوا بالله
ورسوله النبي الامي الذي يومن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وانما اقتصر المصنف على بعضهما للاختصار ونحن ذكرنا هما ايضا
لمن لم يحفظ فالله ادخارا ليواب التوالاوة وانما ذكر المصنف هاتين الآيتين
لان المفصل معقود للشهادة اي لكونه عليه الصلاة والسلام شاهدا على
امته وغيرهم ولما يتعلق بها وذكر اولا ما يدل على مقصوده من القران العظيم
ثم بين بانه موصوف بذلك في الكتب الالهية كالتوراة والانجيل ثم
ذكر هذه الآيات لتعلقها بما ذكر لانها تدل على صحة ما نقل من التوراة
في ذكره فيها وقد قال في الترجمة ذكر الشهادة وما يتعلق بها وقد قيل
انه ذكر استطرادا لما في الآية الاولى من التنبيه على ان وصفه واسمه
مذكور في التوراة كما نقله وفي الثانية ذكر كونه رسولا ونبيا اميا
كما في التوراة وقيل ذكرت لما فرض من الثنا والمدح له صلى الله عليه
وسلم ولما تاول قوله وسعت رحمتي كل شئ قال ابليس لعنه الله تعالى
انا شئ فطمع في الرحمة فلما سمع قوله فسا كتبها للذين يتقون ايس من ارساله
الرحمة وقالت اليهود والنصارى نحن شئ متقون ندخلون في هذه الرحمة
فلما سمعوا قوله الذين يتبعون الرسول النبي الى آخره خرجوا من العموم
وهذا كما روى سعد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال
كتبها الله لهذه الامة وهو كما قيل مبني على ان الذين خبر مبتدا التقدير هم
الذين الى آخره او بدل بعض ان كان تعريف الموصول هنا للاستغراق فان كان
للعهد فهو بدل كل من كل فان جعل الذين مبتدا وقوله يامرهم الى آخره خبره
فلا تخصيص الا انه يخالفه التفسير المأثور عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما والقول بان البدل مخصص هبا اليه كثير من الاصوليين كابن الحاجب
وغيره وانكره الهندي لان المبدل منه في نية الطرح ولا حجة له فيه وان لم
يكن مطروحا من كل الوجوه فطرحه يدل على خلاف مدعاه ونقل عن الشافعي
رحمه الله تعالى انه كان يقول بدل البعض والاشتمال من المخصصات وهو
الحق والامي هو الذي لا يقرا ولا يكتب وهو صفة مادحة للنبي صلى الله عليه وسلم
وقد مر تقريره والقول بانه صلى الله عليه وسلم كتب بيده بعد ذلك تقدم
ما فيه وانه نسبة لام القرى او لامه التي ولدته وفي شرح التجاني انه قوي
في الشواذ الامي بفتح الهمزة منسوب الى الام بمعنى القصد لانه مقصود لكل احد
باتباعه واتباع شريعته وفي تقديم الرسول على النبي مع انه اخص منه مخالفة
للظاهر فقيل لانه ارسل فانبا عن الله بمعنى انه بمعناه اللغوي وهو المبني لا بمعنى

عرضي

من اوحى اليه بشوع سواء امر بتبليغه أم لا وقيل قدم الرسول للانضمام
به ولذا ورد النبي صلى الله عليه وسلم على البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه لما قال له
امنت بكتابك الذي انزلت وبرسولك التي ارسلت وقال له قل وبنبيك
الذي ارسلت ليكون الكلام جاريا على الترتيب اللائق به وليسلم من التكرار
وقيل انما اخر النبي لدفع احتمال ان يراد بالرسول معناه اللغوي واحتمال
ان يراد بالنبي معناه وحقيقته اللغوية ايضا اجيب عنه بانه يحصل
من الاجتماع معنى ليس في الانفراد وقيل ليس الصفة مجرد النبي بل النبي
الامي لاشتهاره بذلك في الكتب السالفة فالمقصود الاخبار بمجموعهما
كالرمان حلو حامض فهو اخص من الرسول او ذكر النبي للتتميم فذكر اولا
الاعلى ثم الادنى ليستوعب جميع صفاته لا للترقي ومعنى وجدانه
في التوراة والانجيل انهم يجدونه فيهما اسما وصفة والمعروف ضد المنكر
وهو ما عرف انه طاعة لله من ترك الاوزار ومن الاتيان بمكارم الاخلاق
كصلة الرحم والطيبات كل حسن حلال والخبائث ما كان بخلافه كالخنزير
وكل مستقذر ويدخل فيه الربا والسحت بمعنى الرشوة التي تسحت البركة
ووضع الاصر بمعنى الثقل او العهد لان بني اسرائيل اخذ عليهم العهد بالتزام
امور شاقة كقرض موضع النجاسة وحرم الغنائم فخفف الله عن هذه
الامة بعدم التكليف بها وعزروه بمعنى وقروه وعظموه ونصروه
بدفع اعدائه عنه والمراد بالنور الذي انزل معه القران اي اتبعوا القران
مع اتباعه اشارة الكتاب والسنة والمفلحون الفائزون بكل خير وقال
الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الآية ذكر هذه الاية لتعلقها
بما تقدم في التوراة من قوله ليس بفظ ولا غليظ اي فبرحمة من الله
وما مزيدة لتاكيد الكلام وتزيينه وزعم ابن كيسان ان ما نكرة تامة
في محل جر ورحمة بدل والاولى هو الوجه اي برحمة الله لك وتوفيقه
ولطفه بك ان خلقك لينا مهذب الاخلاق جموعا صبورا لا يؤاخذ الناس
بما فرط منهم حتى جبلت القلوب على محبتك ولو لم يكن كذلك كنت
فظا اي شديدا غليظ القلب متجاوزا للحد لا يالفونك فينفرون
عنك يقال فضضت الشئ فضا فانفض اذا فرقته قيل فامتناع
التفرق عنه لامتناع كونه فظا غليظا كما هو شان لو فالشرطية يصح
فيها استثنا نقيض التالي لزوم لنقيض مقدمه اي لم ينفضوا من حوله فلم

دلجي

من اوحى

يكن فظا غليظا فانتفاكونه فظا غليظا اللازم لانتفاء الانفضاض
المرتب على كونه فظا غليظا بطريق قياس الخلف لانه اثبات مقصود
بابطال نقيضه وقيل الاولى ان يقال المعنى لكن لم تكن فظا فلذلك
لم ينفضوا والمقصود اظهار المنة وان عدم الانفضاض الذي من اللين الذي
هو من رحمة الله فيها ترهيب وترغيب ولكل وجهة وقيل ليس
المراد الاستدلال بانتفاء الانفضاض على لينه وانتفاء كونه غليظ القلب
كما في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله الى اخره حيث استدل بانتفاء الفساد
على انتفاء تعدد الالهة لان التحقيق ان لولا تفيد امتناع الشرط لامتناع
الجزاء وانما يقتضي انتفاء ما يليها واستلزامه لتاليه كما قرروه على انه
صلى الله عليه وسلم عالم بحاله وانه ولين وقوله فبما رحمة الى اخره ليس لافادة
انه ولين وانما هو لافادة ان لينه ليس الا برحمة منه تعالى وما ذكروا انما
يكون استدلالا لو لم يكن عالما بحاله الا ان يقال المقصود بالاستدلال
غيره تعريضا ولو قيل لان باللعينة لم يكن تعريضا اصلا فتدبر وقال
في الكشاف ما مزيدة للتوكيد والدلالة على ان لينه صلى الله عليه وسلم لهم ما كان
الا برحمة من الله وبخ فبما نقضهم ميثاقهم وقال المحقق التفتازاني في
شرحه الحصر انما استفيد من تقديم الجار والمجرور وزيادة ما انما
تفيد تاكيدا لذلك فلذا قيل ان في كلامه حذفا اي ما مزيدة والظرف
مقدم للتاكيد والدلالة الى اخره انتهى فهو من باب اللف التقديري
وتبعهم بعض الشراح هنا اقول ما ارتكبوه من التكلف من عدم
الوقوف على مذهب الزمخشري في هذه المسالة فانه ذهب الى ان زيادة حرف
في التركيب يفيد الحصر والذوق السليم شاهد له فان تقوية الحكم قد يقتضي
الحكم ان لا يشاركه غير فيه قال ابن هشام في رسالته المشهورة في اعراب
لا اله الا الله ذهب الزمخشري الى ان الله مبتدا والا اله خبره وقال في اثنا
تقريره انحو ما جاءني رجل بفيد نفي واحد غير معين فيجوز السامع مجيء
اثنين فاذا قيل ما جاءني من رجل علم انه لم يجيء احد من جنس الرجال ومن
ثم صح ان يقال ما جاءني رجل بل رجلان ولم يصح ما جاءني من رجل بل رجلان
وكذا في برحمة من الله لنت لهم وفبما نقضهم ميثاقهم لعنا هم لو لم يوت بما
جوزنا ان اللين واللعن كانا للنسبين المذكورين ولغيرهما وحيث وجدت ما قطعنا
بان اللين لم يكن الا للرحمة وان اللعن لم يكن الا لنقض الميثاق انتهى ويؤيده

قول الفقها

قول الفقها ان السبب الموهوم لا يعتبر الا في مقابلة السبب الظاهر
كما اذا رأينا قتيلا في محلة اعدائه لا يقال ان غيرهم قتله وحمله الى
محلتهم كما في شرح الهداية ثم قال فاذا كنت مجبولا على اللطف
واللين فاعف عنهم ما صدر منهم في حقك واستغفر الله واطلب منه
المغفرة لهم وطيب قلوبهم بمشاورتهم فيما تريد فاذا انفقت الشورى
على امر اعزم وتوكل فان الله يحب المتوكلين والمحبة قال
السمرقندي رحمه الله تعالى تقدم بيانه وترجمته ذكرهم اي ذكر
النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وفي نسخة ذكره وذكر مشده فيهما
وقيل انه مخفف منه اي انعامه او امتنانه عليهم انه جعله رسولا
رحيما وقالين الجانب بفتح الهمزة بدلا من منه او بتقدير بانه والضمير
لله او للشان وخص المؤمنين بالذكر مع عموم رحمته لان الاية في حقهم والضمير
راجع اليهم وقد تقدم الفرق بين الرافة والرحمة في موضعين وقوله
لين الجانب يصح ان يكون تفسيرا للروف والجانب اي الذي يليهم منه وهو كناية
عن معاملته لهم ومواجهته ولين بتشديد الياء وروي بتخفيفها من اللين
بكسر اللام ضد الخشونة ولو كان فظا خشنا في القول لانفضوا من حوله
المعروف ان الخشونة ضد النعومة والملاسة الا ان الجوهري جعلها ضد
اللين وهو الواقع في كلام العرب

كقول الحماسي

اذا القوام بنصري معشر خشن عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا

لان اللين في الغالب من الرقة والملاسة فهي عبارة عن الشدة في القول والفعل
وقد يمدح بها اذا كانت على من يستحقها يستحقها كما في البيت وقوله اشداء على
الكفار رحماء بينهم وكونها طبعا وسجية مطردة غير ممدوح وقد قيل
ان ظاهر قول المصنف رحمه الله هنا ان خشونة القول صفة مبينة للغاظة
فيكون التفرق مرتبا على مجرد الخشونة وعلى امر واحد وهو في الاية مرتب على
امرين الغاظة وغلظة القلب فما فسر به الاية غير موافق لها فيحتاج
هذا للتصحيح والتوفيق فاما ان يقال انه اشار الى ان التفرق مرتب على
الاول وحينئذ يلزمه ترتبه على ما تركب منه ومع غيره من جنسه وفيه ان
لزوم ترتبه على خشونة القول والفعل غير مسلم ويجوز ان يكون فظا في
كلامه بمعنى غليظ القلب وخشنا بمعنى فظا ولما كان منشا الخشونة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

هذه الغلظة قدمها في الغلظة في الآية واقتصر عليها المصنف رحمه الله تعالى
فان الامر القلبي انما يثمر بعد قول او فعل فتامل **اقول** لك ان تقول
ترتب التفرق في الآية على الامرين الذي سلمه المعترض غير مسلم لان الجوهري
قال الغلظ الخليظ وقال في المصباح رجل فظ غليظ شديد غليظ القلب
يقال منه فظ بفظ القلب من تعب فظاظة اذا اغلظ حتى يعاب في غير
موضعه انتهى فتكون الصفة الثانية في الآية مبينة للاولى كقوله تعالى
خلق الانسان هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا
فقطاني التفسير بمعنى غليظ القلب وقوله خشنا في القول بيان لما به تظهر
الغطاظة ففي الآية صفة واحدة وفي التفسير اثنتان عكسما توهمه للمو
ومن دابه ان يستسمن الورم على ان ما بني عليه كلامه من كون خشنا صفة
اساس في الهوى وما بناه عليه كبنيان القصور على الثلوج **لكن جعله سمحا**
سهلا طلقا بارا طيبا سمح بوزن ضرب مصدر كالسماحة بمعنى
سهلا ومنه الحديث أبيتكم بالملة الحنيفية السهلة وفسره بعضهم بجواد
كريم والسهل بزنته وكذا كلها بعده الذي لا صعوبة فيه اولا فظاظة
ولا غلظة والطلق بالفتح هنا وبجوز تثليثه صفة مشبهة وهو في الاصل
يوصف به فيقال طلق الوجه اي غير عبوس فيه بشاشة وسرور ويوصف
به صاحبه ايضا كما هنا ويكون بمعنى الجواد وليس بمناسب للمقام كما قيل
وفيه لغات نظمها ابن مالك رحمه الله تعالى في قوله

من دابه الافصاح حين ينطق طلق طليق وطلق وطلق

والبار من فيه خير وشفقه ورفق واحسان ورحمة واللطيف الشفيق
لانه صلى الله عليه وسلم اشفق الناس على امته وهو من اسمايه تعالى
قال تعالى الله لطيف بعباده وفسر بالخبير العالم بخفيات
الامور وهذه الصفات تفهم من اللين ونفي غلظة القلب فان البخل في محل
الاتفاق من عدم الشفقة وطلاقة الوجه من عدم الغطاظة لا لفا
تلزمه غالبا والباقي في ظاهر **هكذا اقاله الضحاك** قال البرهان الحلبي هو
ابن مزاحم الهلالي الخراساني التابعي روى عن ابي هريرة رضي الله
تعالى عنه وابن عباس رضي الله تعالى عنهما وغيرهما من الصحابة ضعفه
بعضهم لكن احمد وابن معين وثقاه وروى عنه اصحاب السنن وغيرهم
ولم ترجمته في الميزان وتوفي سنة خمس ومايه وقيل غير ذلك ومن اجلة التابعين

ايضا الضحاك ابن قيس المعروف بالاخنف ولشهرته بالاخنف لم يجز
احد من الحواشي ان يكون المراد به هذا ومن حسن الاتفاق موافقة معناه
اسم الراوي للمروي وهكذا بمعنى مثل هذا وهاهنا للتشبيه والكاف للتشبيه
وذا اسم اشارة والمماثلة والمغايرة باعتبار ان اللفظ القائم بمتكلم
غير القائم باخر وان اتحد نوعهما او حرف التشبيه مقحم غير مقصود اي هذا
وسترى تحقيقه قريبا **وقال تعالى وكذلك جعلناكم امة**
وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
سياتي تفسير هذه الآية وفسر بعض الشراح قوله لذلك فقال اسم
الاشارة المجرور بالكاف التي للتشبيه واللام قيل كاف الخطاب لبيان كون
المشار اليه بعيدا او هو ما فهم من الآية قبلها اي وكما جعلناكم مهتدين
الى صراط مستقيم او جعلنا قبلكم افضل القبل **اقول** هذا خلاف
ما ارتضاه المحققون من شراح الكشاف فيه وفي امثاله قال العلامة التفتازاني
رحمه الله تعالى في قول الكشاف اي ومثل ذلك جعل يريد ان ذلك اشارة
الى مصدر الفعل المذكور بعده لا الى جعل اخر يقصد تشبيه هذا الجعل
العجيب به على ما يتوهم من ان المعنى ومثل جعل الكعبة قبلة
جعلناكم امة وسطا واذا تحققت هذا فالكاف مقحمة اقحاما كاللازم
لا يكادون يتركونه في لغة العرب وغيرهم هكذا ينبغي ان يفهم
هذا المقام انتهى **اقول** هكذا قاله الطيبي وغيره ولم ازل ابحث
عن هذا كل من تاقفته من الفضلا فلم اظفر بما يثلج الصدر فتصفحت
الدفاتر وراجعت خزائن الضمائر فرايت في شرح القصايد الطوال
في شرح قول زهير

كذلك خيمهم ولكل قوم ● اذا مستهم الضراخيم

نقلا عن الجرجاني انه قيل لغط كذلك يكون تثبيتا لخبر متقدم او
متاخر فهي تقيض كلا لانها تنفي ذلك فمعنى البيت ان هرما واباه نبت
لهم حسن ودفع الملمات اذا نزلت بقومهم وان كانت الاخلاق
تتغير عند نزول الشدايد وحلول العظايم ومثله قوله تعالى
كذلك نسلكه في قلوب المجرمين انتهى فقد علمت من هذا ما ذهب اليه
اهل المعاني من ان كذلك يكون في كلام العرب لتثبيت ما بعدها وتقريره
من غير نظر للتشبيه وانه طريق مسلوك لبلغا العرب وتوضيحه ان وجه

رد على البيضاوي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يكون المشبه كثيرا في النوعية والجنسية كقولك هذا الثوب كهذا الثوب
في كونه خزا او بزا وهذا التشبيه يستلزم وجود امثاله وثبوته
في ضمن النوع فاريد به على طريق الكناية بمجرد الثبوت لما بعده
ولما كانت الجملة تدل على الثبوت كان معناها موجودا ابدا ولفاوهي موكدة
له فكانت كالكلمة الزائدة وهذا معنى قولهم الفاء مقحمة واما
دلالتها على كون ما بعدها عجيبا غريبا فلان ما ليس كذلك لا يحتاج
لبيان فلما اهتم باثباته في الكلام البليغ علم انه امر غريب ولهذا
تبين لك معنى قوله ومثل هذا الجعل العجيب فان قلت ما مناسبة
كونهم امة وسطا شهدا على الناس لما سبق له النظم من تحويل القبلة
قلت وجهه ان اهل الكتاب لما انكروا تحولهم عن قبلة من قبلهم
رد عليهم انكارهم بان هذه الامة واهل هذه الملة شهدا عليكم يوم الجزا
وشهدتهم مقبولة عند الله فانهم احق باتباعهم والاقتدا باهل قبلتهم
ولا وجه لانكاركم عليهم لان قولهم وفعلهم مقبولة ودينكم وهذا تحقيق
لما سبق اليه فعليك باد خار جوان في حقاق الاذهان فانك لا تراه في غير
هذا المكان قال ابو الحسن القابسي تقدم الكلام في ترجمته
ونسبته ابانا الله تعالى اي بين واظهر فضل نبينا صلى الله عليه
وسلم وفضل امته بهذه الاية الباء للتعدية او السببية واختار بعض
كونها ظرفية بمعنى في لقوله وفي قوله في الاية الاخرى وهي قوله
هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا
شهدا على الناس ضمير هو لله اي الله عز وجل سماكم المسلمين فيما اوحاه
لرسله عليهم الصلاة والسلام في الكتب القديمة ثم سماكم به في هذا
القران كما تقدم وقيل المعنى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام سماكم
المسلمين قبل هذا الوقت في قوله واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا
امة مسلمة لك او ابراهيم عليه الصلاة والسلام سماكم مسلمين كما نقل
عنه في هذا القران وقوله ليكون متعلق بسماكم وفسرت شهادته بتزكية
شهادة المخاطبين وتصديقها على ان على الاولى بمعنى اللام وشهادتهم
للانبيا عليهم الصلاة والسلام على امهم وعلى الثانية على اصلها ان كان المراد
بالناس لهم او بمعنى اللام ان كان المراد ايامهم فيتطابق هذه الاية وما قبلها
كما سياتي في كلام المصنف وتعاكسهما لنظما لان التزكية موخرة زمانا عن

الشهادة في الاولى والمزكى موخر رتبة عن المزكي في الثانية وترقى
في مدح المخاطبين في الثانية ببيان انهم سيشهدون ويزكيهم من لا ينطق
عن الهوى وللاهتمام به قدم ذكره في الثانية وان مثله سيزكيهم ومنهم من فسر
شهادتهم بما مر وشهادته على المخاطبين بالتبليغ فيتطابق الاتيان
على هذا والظاهر ان شهادتهم هذه قبل شهادته تلك فلذا قدمت
في احديهما واخرت في اخرى لان السياق لهم بدلالة صدرها وان ذكر
النبي صلى الله عليه وسلم فيها وشهادته بالتبليغ وهم غير منكرين لان لهم
لم يقضوا حق ما افترض عليهم فنزلوا منزلة من لم يبلغه لعدم جريه على
موجبها كالشهادة عليهم واستشكلوا كون لام ليكون للتعليل اذ المراد
شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم بالتبليغ على المخاطبين لانها لا تتوقف
على تسميتهم مسلمين وجعلهم مسلمين بدليل ان من الرسل عليهم الصلاة والسلام
من يشهد على امهم بالتبليغ ولا اسلام لهم فلذا فسرت بالشهادة بالتبليغ
مع الاطاعة وقيل مناط العلية الشهادة الثانية وفيه ما لا يخفى ومنهم من
جعلها لام العاقبة وكذلك اي كما ابانت الاولى فضلهم ابان قوله تعالى
فكيف اذا جيئنا من كل امة بشهيد الاية المراد بالامة جماعة فيها
نبيها والشهيد هو النبي صلى الله عليه وسلم الذي يشهد على ما علم اي كيف
يكون حالهم اذا شهد بصلاحهم وفسادهم او بالاخير فقط او على التبليغ
ويجوز التعميم واقتصر اكثرهم على الاول لانه انسب بالتوبيخ والاية
بالنسب اي اذكرها او بنبيها وهو قوله وجيئنا بك على هؤلا شهيدا اه
اي جيئنا بك يا محمد على هؤلا الشهداء شهيدا على صدقهم او على الامم او على
التبليغ او على امتك بالتزكية ولا منافاة بين كون النبي صلى الله عليه وسلم
شاهدا للانبيا عليهم الصلاة والسلام وعلى الامم وبين ما سياتي من
امته صلى الله عليه وسلم يشهدون وهو يزكيهم اما لانه صلى الله عليه
وسلم يشهد معهم وهو يزكيهم او انه جعل التزكية شهادة لانها في حكمها
وقوله تعالى وسطا اي عدلا اخيارا الوسط بفتح السين ما وقع
بين الطرفين بحيث تكون نسبته اليهما متساوية وقد يراد به ما يكتنف
من جوانبه ولو من غير تساو كما في المصباح وبسكونها بمعنى بين والفرق
بينهما كلام لاهل اللغة بينته في شرح الدرة ثم استعير لاحسن الشيء
وخياره ولذا قيل خير الامور اوسطها وقال الشاعر

حب التناهي غلط خير الامور الوسط

ورد هذا الامام السهيلي في الروض الانف وقال الوسط يكون مدحا وذما كقولهم نقل من معقن وسط قالوا الوسط اخو الدون وانما يمدح به في مقامين احدهما الشهادة لتوسط الشاهد في الحق وعدم ميله الى احد الجانبين والثاني النسب كما قيل في وصف ام المؤمنين خديجة رضي الله تعالى عنها انها كانت وسيطة من قومها الا ان وسط القبيلة اعرقها وصميمها لاحاطت الاباء والامهات به من كل جانب فلذا كان مدحا والاطراف يتنازع اليها الخلل والاوسط محميه عنه ولهذا المعنى اشار الطائي بقوله في وصف قلعة

كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت ... بها الحوادث حتى اصبحت طرفا

واورد عليه التجاني في شرحه انه مخالف للغة فانهم متفقون فيها على ان الوسط صفة مدح ومنه الصلاة الوسطى وليبي وارد فان استعمال الوسط فيما ذكر مجاز فلا يلزم اطراده والسهيلي رحمه الله تعالى لا ينكر كونه بمعنى الخيار وانما ينكر لزوم ذلك له كما قاله بعضهم ومنها عرفت انه يرد بمعنى العدل وبمعنى الخيار وبهما فسرت الآية والعدل معناه ظاهر والخيار يكون اسما مفردا بمعنى المختار والخيار ويكون جمعا لخير كسهم وسهام كما صرح به في المصباح والعدل في الاصل مصدر فلذا اطلق على الواحد والجماعة وقد جمع فيقال عدول ولذا افرده المصنف رحمه الله تعالى هنا وجمعه فيما سياتي فلا منافاة بينهما وقيل على المصنف ان النبي صلى الله عليه وسلم فسر الوسط في هذه الآية بالعدل في حديث رواه الترمذي وصححه وثبت تفسيره به وفي صحيح البخاري والعدل والخيار معنيان متغايران وقد رجح الاول بتقديمه لشمول الثاني للجماد ولذا الخ وعطف الزمخشري بأو وجمع المصنف بينهما ان اراد ان معناهما مراد ان معاني الآية فالاكثر على منع مثله وان اراد احدهما فلا ينبغي العدول لما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم اذ الطالب ان يبين مراد الله حتما لا اختيارا والمصنف اعلى شانا من ان لا يعرف مثله الا ان يقال انه ذكر الثاني بالتبعية للاول للزومه له انتهى اقول قد ظهر لك مما قدمناه ان الخيار بمعنى الخير والمختار وكل عدل فهو خير مختار فذكر المصنف له بعد العدل دون عطفه بالواو واو لجعله صفة مادحة للعدل لان العدل من هذه الامة لا بد ان يكون خيرا فلا منافاة بين ما ذكره وبين الحديث وليس

سيد

مثله مما يستشكل ويستصعب وفيه اشارة الى ان التفسيرين مآلهما واحد وعطف الزمخشري له باو للتخيير بين التفسيرين اللذين ذكرهما السلف فان مآلهما واحد فان اختيارهم للشهادة يدل على انهم عدول فلا ينافي التفسير المأثور بل يناسبه مناسبة تامة فلا وجه لما قيل هنا من ان كلام المصنف رحمه الله تعالى محل تامل حيث افرد عدلا هنا ووصفه بخيار وهو جمع خير مع جمعه في قوله عدولا وكذا اخيارا لما عرفته والعدل يطلق على الواحد وغيره كما في الصحاح يقال قوم عدل وعدول فاذكر كم كله من ضيق الطحن وفحط الغطن وفي تركيبه حزازة لانه يحتاج الى تقدير اي قوله وسطا اي عدلا اخيارا فيه تفصيل لهم ومدح وقوله ومعنى هذه الآية وكما هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم امة وسطا اخيارا عدولا لتشهدوا للانبياء عليهم الصلاة والسلام على امهم ويشهد لكم الرسول صلى الله عليه وسلم بالصدق اشارة الى ان المتشبث به في هذه الآية وهي قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا الى اخره الهداية المذكورة في قوله قبله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وقيل المعنى كما اصطفينا ابراهيم عليه الصلاة والسلام او كما فضلناكم بهذه الفضيلة وقد بينا لك ان المحققين من شراح الكشاف على ان المشار اليه ما بعده ولم يقصد التشبيه بما قبله وقد مر تفصيله وهو على هذا صفة مصدر مقدر للفعل المذكور بعده والجار والمجرور في محل نصب اي جعلناكم جعلا كذا وهذا مع ظهوره غفل عنه من قال اسم الاشارة هنا على هذا في محل رفع على الابتداء على ان جعلناكم بنا ويل جعلنا اياكم فيكون كالضمير الذي يفسره خبره نحو هي الاحياتنا الدنيا وهذا تعسف لا معنى له وقوله بان الى اخره تنازعه الفعلان ويشهد بالنصب والتخصيص بهذه الامة من فحوى الخطاب لانهم اذا كانوا شهداء على جميع الامم السالفة وانبيائهم والرسول شاهد لهم لم يبق احد من بني آدم يشهد هذه الشهادة فاحصرت او تقول المصنف رحمه الله تعالى لها لكي المذهب ومذهب مالك رحمه الله تعالى افادة لام التعليل الحصر كما نقله الخطابي في شرح الآثار عنه في استدلاله بقوله والخير لتركبوها على حرمة اكلها فان اردت تفصيله فانظره فما قيل من ان التخصيص من السياق او نظرا للواقع الى اخرها ذكره واطال فيه من غير طائل بعد ما استشكله

سيد

ابن الخيل

شبكة الألوكة www.alukah.net

غير ظاهر وفي قوله يشهدوا الى آخره اشارة الى ان على بمعنى اللام لا للمضرة لانها اذا دخلت على المشهود به لا تكون للمضرة وقيل ضمن الشهيد معنى الرقيب وقدم للتخصيص متعلقه وعليه فالناس في الآية بمعنى الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا باس به وقيل ان الله جل جلاله هذا ابلغ من قوله جل وعلا فانه على نهج جدجته اذا سأل الانبيا عليهم الصلاة والسلام هل بلغتم ليظهر حال الامم وفضل هذه الامة فانه يعلم السر واخفى فيقولون نعم فتقول امهم ما جانا من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد صلى الله عليه وسلم للانبيا عليهم الصلاة والسلام ويزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم قال السيوطي في تخريجه هذا حديث مرفوع اخرجه البخاري من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه وقيل عليه ان البغوي روى ان الله يجمع الاولين والاخرين في صعيد واحد ثم يقول للكفار الم يأتكم نذير فينكرون ويسأل الانبيا عليهم الصلاة والسلام عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة واقامة الحجة فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون انهم قد بلغوا فتقول الامم من اين علموا هذا وقد اتوا بعدنا فيقولون يا ولينا ارسلت الينا رسولا وانزلت علينا كتابا اخبرتنا فيه بتبليغ الرسل ثم يؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بصدقهم وما ذكره المخرج فيه نظر واضح انما اخرجه البخاري انما هو في نوح عليه الصلاة والسلام وامته لا ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى ولذا قيل والحكمة في هذا اظهار فضل نبينا صلى الله عليه وسلم على سائر الانبيا عليهم الصلاة والسلام وفضل امته على سائر الامم بقبول شهادتهم وتزكية افضل الخلق لهم والله تعالى عالم غني عن السؤال وفيه معنى حسن لكونهم وسطا لتوسطهم بين الامم والنبي صلى الله عليه وسلم ولظهور علمهم وعدالتهم واقامة الحجة على غيرهم وقيل معنى الآية انكم حجة على من خالفكم قال في المغني انكم بفتح الهمزة وفي النسخة التي ذكرت بفتحها وكسرها بالتمام اي اجماعهم حجة وشهادتهم مقبولة معتبرة والنبي صلى الله عليه وسلم حجة على الجميع كما قاله السمرقندي ايضا وقال تعالى وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم اي لهم تقدم ورتبة رفيعة عند

الله عبر عنها بالقدم لان السبق لها كما سميت النعمة يدا لان بها العطا وايضا الى الصدق لبيان فضله ومزيته قال ابو عبيد كل سابق خير قدم وفيه اشارة هنا الى الصدق بمعنى الخير مجازا قيل كان حقه ان يذكر هذا في فضل الشفاعة واجيب عنه بان هذا الفضل لما كان معقودا لوصف الله له بالشهادة وما يتعلق بها كالتبشير بما يدل على فضله وفضلهم عند الله استطرادا التبشير بالشفاعة مع احتمال ان يراد بقدم الصدق تزكيته المفرونة بتصديقه ففيه مناسبة تامة لما نحن فيه قال قتادة والحسن وزيد بن اسلم قتادة هو ابن دعامة السدوسي الحافظ المفسر روى عنه خلق كثير وهو ثقة ثبت الا انه قيل فيه انه مدلس توفي كهلا سنة سبعة عشر او ثمان عشرة بعد المائة وترجمته مفصلة في الميزان والحسن البصري تقدمت ترجمته وزيد بن اسلم هو الفقيه مولى عمر رضي الله عنه وهو ثقة حديثه صحيح توفي سنة ست وثلاثين بعد المائة وله ترجمة في الكامل والميزان قدم صدق مبتدا واخبر المفسر له قوله هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع في نسخة لهم وروى لشفع وشفيع فالقدم على هذا الشفيع سمي قدما لتقدمه وسياتي قريبا تفسيرين بالشفاعة عن ابي سعيد الخدري بتقدير قدم انسان صدق اي صادق كرجل صادق عدل والشفاعة طلب نفع للغير ومثله لا يوصف بالصدق والكذب فاما ان يتجوز بالصدق عن القبول لمشابهته لتحقق ما شفع فيه فيصير كالخبر المطابق للواقع او يقال المراد شفاعة يقدم صاحبها على رجائها كما في قولهم حمل حملة صادقة وقيل المراد ان الشفيع صادق في خبره ومن يكون كذلك تقبل شفاعته وعن الحسن ايضا اي سبيتهم بينهم اي وفاته صلى الله عليه وسلم قبلهم كما تقدم انه فرط لهم وسابقه بنفعهم حياته ومماته كالغيث ان جئته وفاك ريقه • وان تاخرت عنه لح في الطلب

وعن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه تقدم ان اسمه سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن الابجر بضم الحاء المهملة وجيم وهو بن خدرة بضم الخاء المعجمة واسكان الدال المهملة الذي نسب اليه على الاصح وقيل خدرة ام الابجر الصحابي الرفيع القدر المشهور من اصحاب الشجرة توفي بالمدينة

ابن افرس
ابن الحنبلي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ودفن بالبقيع سنة اربع وسبعين وروى عنه احاديث كثيرة هي شفاعة
نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وهو شفيع صدق عند ربهم جعلت
الشفاعة سابقة لتقدمها او تقدم صاحبها وقوله وهو شفيع الى آخره
اشارة الى ان الصدق صفة مضاف مقدر والصدق بمعنى الصادق او بقاه
المصدري وقيل انه اشارة الى جواز تفسير القدم به صلى الله عليه
وسلم باعتبار الشفاعة ايضا كما مر او الى المسامحة في تفسير بالشفاعة
فتوافق الاقوال وقال سهل تقدم الكلام عليه هي سابقة رحمة
أودعها الله في محمد صلى الله عليه وسلم قال التلمساني أودعها بفتح
الهمزة والدال والعين وفي نسخة العزفي بضم الهمزة وكسر الدال وضم
عين المضارع وفتحه اذا استقطت في ورفع محمد على انه نائب عن الفاعل
وهو الله وليس ما قاله بشيء لان ودع يتعدى بنفسه لمفعولين على كل حال
فتضمن على كل حال معنى الحفظ ونحوه هنا ولا باس به ومعناه اجعله متضمنا
لها لينتفع الناس بها عند الحاجة والتبس لما مر او في الاول وسابقه
رحمة بمعنى رحمة سابقة او الاضافة بيانية وقيل هي رحمة قدمها بوفاته
لما في الحديث اذا اراد الله بامة رحمة قبض نبيها قبلها فجعله فرطا لها
وسلفا ويتقدم تفصيله ومثل القدم هنا ما ورد في الحديث في صفة
النار يضع الجبار فيها قدمه اي من تقدم في علم الله خلقه لها والجبار اسم
الله وقيل الجبار بمعنى الجبارين والقدم على ظاهره وليس هذا
محل تفصيله قال محمد بن علي الترمذي الامام الحافظ ابو عبد الله
محمد بن الحسن بن بشر الزاهد المؤذن الحكيم وليس هو صاحب السنن وهذا
يروي عن ابيه وقتيبة بن سعيد وغيرهما وروى عنه خلق كثير
لما قدم نيسابور سنة خمس وثمانين ومائتين وعاش نحو من ثمانين سنة
وقد طعن الناس في اعتقاده لكلام صدر عنه في بعض تصانيفه والله
اعلم بالسرائر وتزيد فيها الغات تقدمت هو امام الصادقين والقدوة
السيد المطاع والسائل المجاب محمد صلى الله عليه وسلم حكاه
السلمي بضم السين وفتح اللام ابو عبد الرحمن شيخ الصوفية وقد
تقدم الكلام عليه وهو ضمير عائد على قدم صدق وتذكيره رعاية لمعنى
العضو ونحوه والصادق معناه ظاهر وقال الفاضل الرملاني الصديق
فعيل من الصدق واصله في القول والخبر واختلفوا في تفسيره وورد في

سيد

ابن الحنبلي

الشرح

الشرع لمعاني يجمعها كلها المبالغة في الصدق وتكثيره فاما اقوال
العلماء فيه فقيل الصديق من كثر منه الصدق وقيل من لم يكذب قط وقيل
من لم يتأت منه الكذب لتعوده الصدق وقيل من صدق بقوله واعتقاده
وحقق بصدقه واعتقاده فعله واشتهر حتى بلغ درجة تلي درجة الانبياء عليهم
الصلاة والسلام وورد في القرآن العظيم في مواضع كقوله تعالى اولئك
هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم واولئك اشارة الى
اتصف بالصفات السابقة فمن اتصف بها هو الصديق والشهيد ويعني
بالشهداء الانبياء عليهم الصلاة والسلام الذين هم شهداء على الناس يوم القيمة
فلهم اجر ونور لم تره عين ولا اذن به سمعت الى اخر ما فصله ونقل
فيه كلام ارباب الكشف والصديقية مرتبة قبل النبوة ليس فوقها درجة
الا النبوة فهي الولاية وتنضم للنبوة ايضا كولاية النبي ولذا قال الله تعالى
في حق ابراهيم عليه الصلاة والسلام انه كان صديقا نبيا ووصف به النبي
هنا ومناسبة هذه الاية وتفسيرها لما عقد له الفصل ظاهرة لان العدل
في الشهادة المقبول قوله لا يكون الا صادقا فاصدق بقاء وقد قرنت الشهادة
بالصديقية في القرآن على القول المرضي فما قيل من ان هذه الاية
ليس فيها الوصف بالشهادة وما يتبعها وانها ليست من الفصل وتخصيصها
بالاستطراد غير واضح لا وجه له لا سيما وكونه صلى الله عليه وسلم اماما
مطاعا مجابا مما يدل على قبول كلامه وعدم رد شهادته الفصل
الثالث فيما ورد خطابه اياه اي خطاب الله لنبيه الكريم
صلى الله عليه وسلم والخطاب في الاصل مصدر بمعنى المخاطبة
وهي توجيه الكلام للغير ويطلق على الكلام المخاطب به وعلى الاول
هي نسبة بين المتخاطبين وهي بالنسبة الى الكلام الازلي القائم بالنفس
محال ولذا اختلف في صدق الخطاب على الكلام النفسي كما
حكاه ابن الحاجب ويصح ارادة المعنيين هنا فالظرفية
مجازية من ظرفية الخاص في العام وقيل انه بتقدير حين والورود
بمعنى المجيء والوقوع مجازا مشهورا او حقيقة عرفية وقيل انه يجوز في
اسناد الورود الى ما خوطب به مجازا عقليا بتشبيهه المبرة والملاطفة
بشريعة المنابجامع الانتفاع ففيه استعارة مكنية وتخييلية ولا يخفى
ما فيه فتدبر وتذكر ويكون في بمعنى من تأويل من غير داع مورد الملاطفة والرفق

سيد

سيد

ابن اقبرس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مورد اسم مكان من صدر ميمي بمعنى الورود والملاطفة المعاملة بلطف
وشفقة والمعاتبة مجازية لتنزيله استحقاقه له بمنزلة فعله او هي لاجل
الفعل من غير مشاركة ولذا عطف عليه المبرة بمعنى البر وهو الاحسان
والخير ولا يخفى ان الفصول معقودة لمعان متغايرة وتغايرها ظاهر
فلا حاجة لما قيل ان المراد هنا لطف ومبرة لم يكن مما سبق من المدح
والشفقة او القسم فمن ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت
لهم في نسخة بدل قوله تعالى عز وجل وضمير لهم للمنافقين المتخلفين في
غزوة تبوك وذلك اشارة لما ورد على الوجه المذكور قال في الكشاف
وتبعه البيضاوي ان هذا كناية عن الخيانة لان العفو مراد فيها ومعناه
اخطأت وبئسما فعلت وقد شنع الناس عليه في هذا حتى كان سببا لمنع
الناس من قراءة كتابه كما حكي عن الامام السبكي لما فيه من ترك الادب وقال
ابن المنير في تفسيره المسمى بالبحر عفا الله عنك دعامة في الكلام يقصد
المتكلم بها ملاطفة المخاطب وهو عادة العرب في التلطف بتقديم
الدعا لاستدعاء الاصغا او خبر معناه لا عهدة عليك لانه تعالى غفر
لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فهو تخصيص وتمييز لان الاذن ذنب متعلق
به العفو لان تحمله ومسامحته لهم مع اذاهم حملا للمسئة على نفسه
واسقاطا للحظوظ فهو عتب عليه بلطف لا ملامة اي قد بالغت في الامثال
والاحتمال الغاية وزدت ما اجحف بك في محبة الله وطاعته والرفق
بالبر والفاجر وابن هذا من التخطية والزمخشري نزع به هنا عرق العجم
لاساءة الادب على النبي صلى الله عليه وسلم واراد بقضهم ان يصالح ذلك
فاسد فقال بدا بالعفو قبل الذنب ولو عكس انقطع مناط قلبه وكله ذهول
عن عتب الحبيب في حيفيه على نقيه وهو تخفيف لا تعنيف ومدح لا قدح
وهذا كما قيل له اذ جهد وجد في العبادة ما انزلنا عليك القرآن
لتشقى ولعلك باخع نفسك والعفو ان كان يستدعي ذنبا كاستدعا
رضي الله عنك لغضب سابق فهو هنا تنبيه على انه امر ان يرفق بنفسه
فكانه قيل لان ابيت الا الحكم والاحتمال فانت غير مواخذ بل مثاب لمن يرجى
له في لين وراحة فيعمل بالعزيمة فيقال له ما كان هذا بلازم لك فاذ المقتلة
فلا عهدة عليك ايجابا بالجملة ورفعا للقدر لالتزامه ما لا يلزمه وذلك انهم ادعوا
الطاعة وزاحموا المطيعين في رتبتهم فاستاذنوا ليكون قعودهم باذن لا بنا في

دعواهم ولو لم

دعواهم ولو لم يؤذن لهم هتكوا حجاب الهيبة وخلعوا ربقة الطاعة
وقامت الحجة عليهم لانهم ليستوا في ورود ولا صدر فلما اذن لهم تمت مكيدتهم
واليه الاشارة بقوله حتى يتبين لك الى اخره وليس في هذا مخالفة
مصلحة مرضية فان الله بين انه باذنه لهم طبق نحو الكراهة فانه لا مصلحة
في خروجهم بل فيه مفسدة شموها وعاقبة شنعا لانهم لو خرجوا كانوا مخذ
مخذولين باعتين الفتنة يمشون بالنميمة ويثيرون غبار الضغاين
مشتتين للشمل كالظربان فالهم ذباب يقعون على الدبر والقذر فكان
المصلحة العظمى في قعودهم وان كان فيه سترة امرهم واحتمالا للكرهم
وغاية الخايلة التباس امرهم وقيام حجتهم وهو قد عرفهم وانكشفت
له عورتهم ولكن لم يفضحهم حلما وكرما واتساع صدر وكضاق نطاق
عمر رضي الله تعالى عنه عن ذلك واشار بضرب اعناقهم فقال له صلى الله
عليه وسلم لا يا عمر لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه فانه قد يخدش
الصدور السليمة ويوقع في حصايد الالسنة فاشفق على القدو فاستبقاه
وعلى الولي ان تزحزحه الشبه عن رتبة نقاه وحمل عب ذلك نفسه
في ذات الله انتهى اقول جزاه الله خيرا عما اهداه للعقول النليه
من النفس النحف ودافع به عن حرم النبوة العالي الرتبة لمن عرف وانت
اذا تاملت ما بعد من النظم تراه مصرحا بما افاده الم تسمع قوله تعالى
لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولا وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة
وفيكم سماعون لهم فاي راي اشد من الاذن في تخلفهم واي حلم اعظم من الستر
فكيف يكون في اول الكلام عتاب واخر بيان لان ما وقع عين الصواب ولو
كان هذا في رسالة كاتب مزقها سلطانه فاظنك بمالك الملك تعالى شانه
قال ابو محمد مكي قيل هذا افتتاح كلام اي هذا جار على
نهج البلغا وارباب الترسل والانشا في ابتدا كلامهم بالدعا توقيرا وتعظيما
وفيه اشارة الى ان هذه الجملة انشائيه دعائية على ارجح الاحتمالين فيها كما
سمعته انفا بمنزلة اضحك الله واعزك الله اي هو مثله في انه دعا
للتعظيم لم يلتفت اليه لما يوهمه الدعا بالصلاح من الفساد ولغيره من الذل
كما ورد في الحديث لقد عجبت من يوسف عليه الصلاة والسلام وكرمه
وصبره والله يغفر له وقدم هذا المصنف لانه التحقيق المرضي عنده لما
ستعرفه في قوله وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو

قبل ان يخبره بالذنب وعون هذا هو ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي الكوفي الزاهد الفقيه اخو عبيد الراوي عن ابي هريرة وابن عباس وجمع وقيل روايته عن الصحابة مرسلة وليس بتابعي لكن له حديث عن ابن عمر رضي الله عنهما في مسلم وروى عنه الزهري وابو حنيفة وابو العيس واخرج له احاديث كثيرة وهو ثقة توفي في حدود الستين بعد المائة وفي نسخة خبر بدل اخبر والمعنى واحد وكذا اخبر لكن في المقتفى ان يخبر في النسخة المصححة بالتشديد وهو الصحيح وهو مع اخبر من تنويع الكلام لان اخبر وخبره بمعنى والتنويع ان يكون في الكلمة لغتان فيجمع بينهما كقول بشار

اذا انكرتني بلدة او نكرتها خرجت مع البازي على سواد

ففي العبارة ثلاثة اوجه قيل المراد بالذنب هنا خلاف الاولى والاليق لانحسنات الابرار سيئات المقربين والوجه هو الاول وبعض الشراح ارجع هذا الما قبله وزد بان بينهما فرقا ظاهرا لانه على الاول لا ذنب اصلا وعلى الثاني انشائيه وغائيه وعلى هذا هي خبرية فان اراد ان المال والحرص ما قال ثم ان هذا كيف يعد ذنبا وان لم تقل الجهاد فرض كفاية فتخلف بعضهم باذن لا باس فيه لا سيما اذا كان في ذلك مصلحة ونفع وقال نفطويه اللاتي ذكرهم اذا امر الملك احدا على جيش كان ذلك تخييرا له فيما يامرهم وينهاهم فيمتنع العتب عليه فيما فعله لمصلحة لا سيما اذا كان مقامه في غاية الجلالة عنده وحكى السمرقندي عن بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت لهم فيه ايهام لان عفا من المعافاة لاشتراكهما في اصل المادة وليس بمراد بل قصد التجنيس للفرق بينهما ولذا ورد الجمع بينهما في الحديث نسالك العفو والعافية والمعافاة الزائمة وفيه اشارة الى ان الذنب كالمرض والعفو عنه بمنزلة الطب الشافي له الا انه قيل عليه انه سليم القلب ليس بمناسب هنا لانه وان كان مدحا في نحو قوله الا من اتى الله بقلب سليم لانه معناه خلوصه من الغل والغش الا انه صار في الاستعمال عبارة عن الغفلة وضعف الراي وقلة الحزم والعزم كما في باب التفاسير واجيب عنه بان ما ورد مدحا في القرآن يجوز التعبير به في مقام المدح وان اوهم خلافه لعرف طارئ عليه وفيه نظر وقد تقدم الكلام على السمرقندي وترجمته قال

ابن الحنبلي

ولو بدا

ولو بدا النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اذنت لهم بدا امبني للفاعل وفاعله ضمير يعود على الله والنبي منصوب مفعول وبدا مهموز بمعنى ابتدا لا معتل بمعنى ظهر لخيف عليه اي لخاف عليه من يحبه لا الله ان ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام لتاثيره في قلبه وجلالة قائله ومهابته خصوصا من هو اخوف الناس منه لعلمه بما لم يعلمه غيره وسياتي الكلام عليه وفيه مبالغة والمراد كما قيل انه كاد ان يخاف عليه او يخاف عليه من لا يعرف انه امن مغفور له او خيف عليه بحسب الظاهر ان يكون شانه ذلك في ذاته ومثله لا يوجب خللا في المقصود كما توهم وهذا مبني على ان خوف النبي صلى الله عليه وسلم من العقاب بعد تامين الله له من غير جائز وسياتي تفصيله وانفطار القلب وانشقاقه عبارة عن الخوف المهلك كما تنشق الاجسام من خشية الله كما قال تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله لكن الله تعالى اخبره بالعفو حتى سكن قلبه سكن ماض بالتشديد والتخفيف وفي نسخة سكن وقلبه مرفوع او منصوب وروي يسكن مضارع مضموم الاول مشدد وقلبه منصوب مفعول ويجوز تخفيفه ورفع قلبه بمعنى انه تعالى لرافته به صلى الله عليه وسلم ورحمته قدم العفو اولا ليسكن قبله اي بطمين وبامن قيل المراد به وموله السكون وعدم الاضطراب لامنه او يومن من قبيل سجان من صغر البعوض واعترض عليه بمعنى الشراح بانه طائل تحت هذا الكلام لانه خوطب باشد منه نحو فلا تكونن من الجاهلين ولم يضطرب لتامين الله له بقوله ليغفر لك الله ونحو وارد بانا لا نسلم انه اشد منه او مثله فانه نهي عن الواقع فيه من غير عتب وتخويف كما سيجي ولو سلم فهذا اعتراض اشد تخويفا من النهي مع انه لا يلزم من عدم الرعاية في مقام عدمها في مقام اخر ولا من الرعاية واللازم الامن من النار ونحوها على ان الوعد لا يمنع الدهشة والخوف من الصدمة كما سيقع للانبيا عليهم الصلاة والسلام في يوم القيامة والعشرة المبشرة بالجنة يخافون من سوء العاقبة لاحتمالات وسياتي تحقيق هذا ان شا الله تعالى في محله ثم قال لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب ثم هنا المجرد الترتيب الذكري بغير مهملة او بمهملة لتنزيل ما تقضى وانقدم بمنزلة البعيد كما حقق في قوله ذلك

شبكة الألوكة www.alukah.net

الكتاب في احد الوجوه ويتبين بمعنى يتضح ويظهر ويتميز هذا
من هذا او ينفصل فيتعلق من به باعتبار ما تضمنه من الانفصال وحتى متعلق
بمقدر لا باذنت لفساد المعنى اي حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين
اي لم اذنت للمنافقين بالتخلف عن تبوك كان عليك ان لا تأذن لهم
حتى يتبين لك الى اخره كما في لباب التفاسير وغيره والاستفهام فيه
استعارى مما قدروه وفي هذا المذكور من تقديم العفو وتاخير السؤال
من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب المنزلة المرتبة المعنوية
وعند ظرف مكان اذا اضيف الى المنزلة عن المكان فهي بمعنى في علم الله او في
حكمه كما في قوله كان عند الله عظيما وبينهما فرق دقيق ويكون للقرب المحسوس
كما في قوله ابن لي عندك بيتا في الجنة وبمعنى لحسانه وانعامه كما في قوله
قالت هو من عند الله كما مر فاختر لنفسك ما يحلو اولب العقل والمراد الكامل
او هو على ظاهره مبالغة ومن بيان مقدم على المبين عند من اجاز تقديمه
او هو بيان للمقدر بهم وما بعد بيان او صفة اخرى للمبهم ومن اكرامه تعالى
اياه صلى الله عليه وسلم وبر به لرعاية خاطره والتسلية له وتقديم
العفو والعفو في اول خطابه كما مر فتذكر ما ينقطع دون معرفة غايته
بناط القلب يناط فعال من المنوط وهو التعليق ومنه المناط فقلبت
واوه يا لانكسار ما قبلها وهو عرق غليظ تعلق به القلب من الوتين
وقيل هو الوتين نفسه فاذا انقطع مات صاحبه فلذا كني به
عن الموت قال ابن خالويه في كتاب ليس في اسماء المنية قال الله عز وجل
الا ان تقطع قلوبهم معناه الا ان يموتوا يقال قطع قلبه ودمي بنيطة
ورماه الله بذنبه وطالبه بجمته اذا مات انتهى وللنياط معان اخر كالعرق
المستوطن القلب والمراد ان له صلى الله عليه وسلم مرتبة عند الله ومنزلة اكرمه
بها وانعم عليه بما لا تطيق العقول معرفة كنهه وغايته ولا تفي الاعمار بتحصيله
وعلى تعلن واصفيه بجسنه • يفنى الزمان وفيه ما لا يوصف
فانقطاع النياط كناية عن تعذر وصعوبة مسلكه او عبارة وصعوبة
مسلكه او عبارة عن عدم وفا الاعمار به وحيلولة الموت دونه وما قيل
من انه يجوز ان يكون اشارة الى ان من عرف كمال اكرام الله ورعايته له عرف
انه في غاية التقصير فيخاف خوفا يثمر الهلاك تعسف وارتكاب لما يأباه
محوى الكلام والغاية هنا النهاية وتفسيرها بالفائدة غير مناسب ومنهم من

سيد

فسرها بجملة الشئ وجعله استعارة وهو بعيد ودون هنا بمعنى قبل
كقولك دون الديار منازل قال ثعلوبة هو لقب لابي عبد الله ابراهيم
ابن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن ابي صفرة
الازدي النحوي الواسطي صاحب التصانيف الجليلة توفي في صفر سنة
ثلاث وعشرين وثلاثمائة وقيل سنة اربع ببغداد وقيل بواسط
وولد سنة اربع واربعين ومائتين وقيل خمسين ولقب به لرناة منظره وا
والنغط معروف ومعرب وفي هذا وامثاله لكسيبويه الاصل الصحيح فيه
فتح الواو وسكون الياء وبعضهم يسكن الواو ويفتح الياء وقيل انه من تغيير
المحدثين تحسنا من لفظويه ولذا قيل في هجايه احرقه الله بنصف اسمه •
وصير الياء في صياحا عليه • وقال العمري ان هذا مما احدثه المولدون وهو
بلغة اهل البصرة اداة تصغير ويجوز فيه كسر النون وفتحها ويجوز في
مثله الاعراب والبناء على كسر الها لتركيبها تركيب برح وهو الاقيس
ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الاية وحاشاه
من ذلك اي والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عن ان يفعل ما يستحق العتاب
عليه وقد تقدم الكلام على حاشا مفصلا وانه لا عتاب في هذه الاية
بل فيها اعزاز له والكرام بالدعالة وتصويب لفعله والتعبير بالعتاب
فيه اشارة الى ان ما فعله خلاف الاولى عند صاحب القيل بل كان
مخيرا بين الاذن وعدمه اذ لم يتقدمه نهي كما قيل وفيه نظر
والاولى ان يقول لنزول وحي عليه صلى الله عليه وسلم في ذلك لقوله فاذن
لمن شئت منهم كما سيأتي في اول القسم الثالث الا ان ابن الجوزي قال ان هذه
الاية منسوخة بقوله فاذن لمن شئت الى اخره ولفظ مخيرا هنا بالمثناة
التحتية وقال البرهان الحلبي انه بعض النسخ مخبرا بموحدة بخطه
وهما نسختان مصححتان عنده والاولى اولى والمعنى على هذه انه صلى
الله عليه وسلم ما دون له بوحي غير متلو لم يخبرهم به تحريضا لهم على الجهاد فلما
اذن لهم اعلمهم الله انه لو لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم وهم يدعون
بطلب الاذن انه لو لم يأذن لهم ما تخلفوا فاذا ظهر كذبهم وانكشف مغطاهم
لزم شق العصا وما يترتب عليه فكان ما فعله اولى واصوب وانه لا حرج
عليه في الاذن لهم اي ليس فيما فعله ضيق واثم لكن لو صبر تبين امرهم
وفيه اشارة الى كمال الرفق به صلى الله عليه وسلم والرعاية له وانه لم يقع منه تقصير

ابن الحنبلي

يقتضي العتاب ولا خطأ في الاجتهاد ولا ارتكاب لخلاف الاولى كما توهم قال
القاضي ابو الفضل هو المصنف عياض كما مر يجب على المسلم المجاهد
نفسه بتهذيب الاخلاق والصبر وكسر شهوتها كما يدل عليه ما بعده فانه
الجهاد الاكبر قيل الوجوب هنا اعم من الشرعي بل ما لا يليق تركه وهو
شايع بهذا المعنى كما صرح به في شرح المواقف وغيره فيشمل المسنون
والمندوب وفي تعبيره بالمسلم المجاهد لطف لم يبنهوا عليه لتعريضه بانهم
منافقون تاركون للجهاد الرايض بزمام الشريعة خلقه هو من رضت
الدابة اروضها اذا ذللتها لتنقاد لما يريد ويلين شكيمتها والزمام ما يقودها
كاللجام ففيه استعارة مكنية وتخييلية والزمام بمعناه الحقيقي او عبارة
عن الاحكام الشرعية على حد ينقضون عهد الله وفسر التلمساني الرياضة
بالتغنيم والزمام بالتسبب والطريقة وفي كلامه تسامح ولا يستغرب مثله
ان يتادب فاعل يجب باداب القران وفي نسخة باداب القران بصيغة الجمع
والادب كما قاله الازهري وغيره يقع على كل رياضة محمودة يتخرج
بها الانسان في فضيلة من الفضايل ومنه ادبه اذا عاقبه على اساءته لانه
داع لحقيقة الادب وادب ادبا من باب ضرب صنع صنيعا كالطعام
ودعى الناس اليه فهو اديب بوزنه فاعل قال نحن في الشتاة ندعو الجفلا
لا ترى الادب فينا ينتقر ومنه المادبة للمايدة والقران مادبة الله وهو
الداعي اليها وفي كلام المصنف رحمه الله اشارة الى الحط على مثل التوبيخ
مما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم واما الادب في مقامه الشريف بما لم
يقله لرب العزة اذ قال له عفا الله عنك لما اذنت لهم ودعاله وقال
هنا اخطاتم وبيس ما فعلت وقد قدمه لك بما فيه في قوله وفعله
ومعاطاته ومحاوراته الجار والمجرور متعلق بيتادب ومعاطاته
من العطاء والعطية وهي ما يعطيه قال في المصباح ومنه المعاطاة
لانها مناولة لكن استعملها الفقهاء في مناولة خاصة ومنه فلان يتعاطى
كذا اذا اقدم عليه انتهى فالمعاطاة هنا مصدر المراد به هنا الافعال
الواقعة معه فهي اخص من الفعل كما ان المجاورة مخاطبة ومصاحبته
فهي اخص من القول فما قيل من ان المعاطاة الفعلية جمع معاطاة
كعادة وعادات في قوله لوكل معاداة المعاداة على ما فيه من احتمال
افراده هما وربط بابهما ومحاوراته القولية جمع محاورة بالحا المهملة وهي المجاوبة

ومعاطاته

ومعاملاته وان احتملت الافراد الا ان محاوراته جمع قطعا فناسب ان يكون
مقابله جمعا انتهى لا وجه له كما مر فهو صلى الله عليه وسلم عنصر المعارف
الحقيقية ورؤضة الاداب الدينية والدنيوية ضمير هو للنبي صلى الله
عليه وسلم كما علم او للقران وهذا ارجح وعليه الشراح والعنصر بضم الصاد
المهملة ويجوز فتحها بمعنى الاصل وفسره التلمساني بالمنبع ولا وجه له
والمعارف العلوم او المعلومات والحقيقية المتحققة في نفس الامر والروضة
ارض ذات مياه واشجار وازهار طيبة متنزهة والمراد بالدينية هو ما يتعلق
بالعبادة والتوحيد ونحو من الامور الشرعية والدنيوية ما يوخذ من
الشريعة متعلقا بالدنيا فهي دينية ايضا ككرم الاخلاق وحسن العشرة
وتدبير المعيشة شبهه بالرياض لما فيه مما يدفع الكدورات البشرية ولين
الارواح الزكية او شبه الاداب بالمياه والازهار فهو تشبيه لذكر الطرفين
فيه لا لان وصفه بالدينية والدنيوية يابا له كما قيل ولا يصح كونه استعارة
كما قيل الاعلى قول او تاويل بعيد فتدبر وليتامل التامل تتعلل
من الامل وهو رجاء ما يبعد حصوله من الخير نقل لمعنى اخر وهو كما في
المصباح التدبر واعادة النظر في الشيء مرة بعد اخرى حتى تعرفه
والمصنفون يستعملونه فيما فيه دقة او شبهة واللام لامر الغايب
وفاعله ضمير راجع للمسلم وفي العبارة حزازة ولو اسقط اللام وعطفه
على يتادب كان اولى وعلى هذه النسخة قال بعض الشراح انه امر
معطوف على محذوف اي ويتادب ميلا مع المعنى لانه في معنى ليتادب
فهو كما قيل في قوله تعالى ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات
وليذيقكم اي ليبشركم وليذيقكم وان كان الاولى انه بتقدير وارسلها ليذيقكم
كما في المغني ومن العجب ما قيل انه امر معطوف على يتادب ولو قيل انه
من عطف القصة على القصة كان اسهل هذه الملاطفة النجيبة كما تقدم
حيث قدم الدعاء والتبشير على ما يوهم الاعتراض والعتاب مراعاة لخاطر
صلى الله عليه وسلم وتطييبا لقلبه وهو العلي الغني عن عبادة الفعال
لما يريد فكيف بالامة الذين يجب عليهم التادب معه في السوة الى رب
الارباب متعلق بملاطفة او صفة لها بتقدير الكاينة والرب الموجد
المربي والسيد المالك مصدر وصف به مبالغة او صفة مشبهة وفي اختصاصه
به تعالى اقوال فقيل يختص به اذا اطلق من غير اضافة وكان مفردا فاذا

ابن اقبرس

ودلجي

سيد

ابن اقبرس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

جمع كما في عبارة المصنف جاز لعدم الابهام بالواحد الاحد كقوله ارباب
متفرقون واما قوله
وهو الرب والشهيد على • يوم الحوارين والبلاء
وقوله
ارب يبول الثعلبان برأسه • لقد ذل من بالت عليه الثعالب
فنادر جاهلي لا يعتد به وليس الكلام في صحته بحسب اللغة بل
هل هو حرام او مكروه وقيل انما ينهى عن كثرة استعماله واضافته للعقلا
بخلاف رب العرش والدار والاصح انه انما ينهى عنه اذا اوهم معنى المعبود فحل
النهي كون السؤال من الرب العالم الغني عن خلقه كما اشار اليه بقوله المنعم
على الكل المستغني عن الجميع ليبين ما انعم به واستغنى فيه ليفيد العموم
وكذا كل اطلاق لم تقم قرينة على تقييده والسين هنا ليست للطلب بل
للتاكيد للغنا وعرف الكل بالالف واللام كقولهم بذل الكل والبعض وربما
لم يسمعا معروفان بهما في كلام العرب كما ذكره الجوهري وغيره من ائمة
اللغة وقد جوزه الجوهري فقال كل وبعض معرفتان ولم يجئ عن العرب
بالالف واللام وهو جايز لان فيهما معنى الاضافة اضفتا او لم تضف
انتهى يعني انه يلزم الاضافة لفظا او تقديرا الا ان الالف واللام قد
تقوم مقام الاضافة وتسد مسدها كما صرح به النحاة والقياس يقتضي صحة
دخولها عليهما الا انه تسمح في قوله معرفتان ويجوز به على مضافين لانهما
يضافان للنكرة كثيرا مطردا نحو كل رجل يقول كذا مع ان فيما قالوه نظرا
لان كلا عام يسمع بعينه يمتنع وقد ذكر ابن خالوية في كتاب ليس انه سمع
نادرا فالحق ما قاله الجوهري ولا اعتراض عليه وارد في المصنف المنعم
بالمستغني اشارة الى انه لم يرد بانعامه فايدة ولا حاجة له به وامر بالتامل
حثا على رعاية الادب في حقه تعالى وليستثير ما فيها اي في الملاطفة او الادب
القرائية من الفوائد ويستثير بالمثناة الفوقية والمثلثة بعد سين الطلب
من اثار الارض كما قال تعالى اثاروا الارض وعمروها اي حركه وبحث كما
يثار الصيد من مكمنه والتواب من مقره ومنه اثارة القتنة والسير والمعنى
يظهره لنفسه وغيره وفي نسخة ابن ارسلان ليستبين بالنون بدل الزاي
وفي نسخة بعض الشراح بتبين ويستثير وهو كالعلى التفسيري قال
وهو مجزوم معطوف على يتامل اي يتعرف وينقحص ويجوز رفعه وقد وقع

فنسخة هو

في نسخة هو ويستثير بمعنى ينجب ويستخرج مرفوعان انتهى فيجوز عطفهما
على يتامل ورفعهما عطفا على يتادب او في جواب الامر بتقدير ان بعد الواو
اي ليكن منه الامران التامل والاستثارة وتعيين هذا كما في بعض الشروح
لاداعي له والفوايد جمع فايدة وهي ما يتنبه له الذكي من ملاطفة الله له وحسن
خطابه وليونه والسؤال عما هو اعلم المشير الى انه خبير بما صدر منه واقف
على ما حققوه من مكايدهم حارس لصباب حقوقهم من منافعها وتعظيمه
وروتق خطابه من المبدا والختام المقتضى للزوم الادب معه وكيف ابتدا
بالاكرام قبل العتب وانس بالعفو قبل ذكر الذنب ان كان ثمة ذنب
كيف اسم استفهام لسال به عن الكيفية والحالة وقد يخرج عن الاستفهام والصدارة
كما فصله شراح البخاري في باب كيف كان بدء الوحي ولا حاجة لنا به هنا
وابتدا بفتح التا والهمزة وثمة تقدم الكلام عليها اسم اشارة بمعنى هناك
والها المرسومة للسكت والوقف وفيه لغة ايضا بتا التانيث وهي
احتمال هنا وفي قوله ان كان ذنبا اشارة الى انه لا ذنب له صلى الله عليه وسلم
بل هو من محاسنه كما قال البحتري
او المحاسني اللاتي ادل بها كانت ذنوبي فعدل لي كيف اعتذر
واذا لم يكن ذنب ولا ارتكاب بخلاف الاولى لم يكن عليه ملامة وعتب فهذا
يدل على ان قوله قبل العتب المراد منه ان كان هناك عتب ولظهوره استغنى
المصنف عن ذكره فهذا من بدايع الاكتفا وقد حام حوله هذا من قال لم يقل
المصنف رحمه الله ان كان عتب كما قال ان كان ذنب اكتفا بالثاني عن الاول
لانهما نظيران وشيخنا حمل العتب على ما هو صورته ليلايتنافى ما سنذكره من
انه لا عتب عليه اصلا وغلطوا من ذهب اليه والمراد بالذنب خلاف الاولى
وهذا كله من ضيق العطن فتدبر وكذا من الروايد جعله كيف مفعولا
وانس بمد الهمزة بزنة فاتل وروى بالقصر وتشديد النون وقوله
وكيف قيل معطوف على ما فيها والظاهر انه معطوف على هذه الملاطفة
اي وليتامل كيف الى اخره وبعينه قوله فيما سياتي ثم انظر كيف بدا
الخلق فتنبه له وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم
شيئا قليلا اي لولا ان ثبتناك على الحق والصواب والسداد قاربت
الميل الى مرادهم ميلا ما قليلا ففي الاية تصريح بان الله عصمه صلى الله عليه
وسلم عن الميل الى خلاف الصواب فضلا عن الوقوع فيه وفيه دليل ظاهر على

ابن الحنبلي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ما قدمه من انه لا ذنب لدراسا وفيما فسروه به اشارة الى ان العفو ليس عن ذنب
وتقصير قال بعض المتكلمين اي المفسرين الذين تكلموا على
هذه الآية وكثيرا ما يستعمل المصنف وغيره بهذا المعنى اللغوي ويجوز
ان يراد المعنى المصطلح اي اهل علم الكلام واصول الدين لتعلق هذا بعصمة
الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهي من مباحثه فلا وجه لما قيل ان المنقول
عنهم من غير ذلك العلم عاتب الله الانبيا عليهم الصلاة والسلام بعد
الزلات وعاتب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه العتب
والعتاب مخاطبة من توزه بما صدر منه مما لا يناسب ليزيله او ليترك العود
له وهو يكون ناشيا عن المحبة والاذلال والزلات جمع زلة بالفتح من الزلل
واصله وحوض القدم ثم عبر به عن الوقوع فيما لا يرضى من غير قصد ولذا
فسر بالخطا وفي التعبير بالوقوع بمعنى الصدور في الواقع مع الزلل لطف
لان من زل وقع وضمير وقوعه للذنب ويجوز عوده لنبينا صلى الله عليه وسلم
بتقدير قبل وقوعه في الذنب ولك ان تقول نقدر قبل احتمال وقوعه
كما يدل عليه لتعبيره في الآية بقوله كدت تركن اي تميل لان القرب من الميل
للذنب يقتضي عدم وقوعه والمراد بزلات الانبيا عليهم الصلاة والسلام
خلاف الاولى الذي هو بالنسبة لعلو مقامهم كالزلة من غيرهم وخفائه
قيل كان اللايق مع عدم وقوعه فان القبيلة تقتضي الوقوع بحسب
الظاهر وان صرحوا بانه غير لازم بدليل قوله تعالى لنفد البحر قبل
ان تنفد كلمات ربي وفي بعض الشروح معترضا على ما نقله المصنف رحمه
الله بانه لا عتب فيما ذكروا انما هو تذكير العصمة له صلى الله عليه وسلم وهو
منافٍ لما سيأتي من عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام عن الكبائر والقبائح
ومقامهم منزه عن الزلات وان صدر عنهم ما هو بصورتها فهو بحكم لسان الجواز
والتشريع للام وقال الصفوي العتاب قبل وقوع الذنب يستلزم امرين
احدهما وقوع العتاب في زمن لم يقع فيه الذنب والآخر وقوع الذنب بعده فاستعمله
في لازمه الاول فقط مجازا فان قلت العتاب مخاطبة الادلال ومذاكرة الموجدة
يقال عاتبه وعتب عليه قال

اذا ذهب العتاب فليس ود ● ويبقى الود ما بقي العتاب

قلت جزم محققوا المفسرين بانه صلى الله عليه وسلم لم يهم بالركون اليهم
والعتاب عتابان عتاب منجز وكما قال لقد كدت تركن اليهم وهذا انما يكون مع

ابن الحنبلي

ابن اقبرس

كيدودة

كيدودة الركون وعتاب معلق كما في قوله ولولا ان ثبتناك الى اخره وهذا
انما يكون مع عدمه اي لو لم نثبتك وقع منك ذنب القرب من الركون لكنا ثبتناك
فلم يقع والمنقول عن بعض المتكلمين وان اقتضاه المصنف لا ينافي ما جزم به
من انه صلى الله عليه وسلم لم يعاتب اصلا لان المنفي المنجز المستلزم للوقوع والمثبت
خلافه كذا قيل ولا يخفى ما فيه فتامل ليكون بذلك المذكور او العتب
على ما اوعاه اشد انتهاها اي اقوى في تركه لما ذكر مما لا يليق به والانتهاء
افتعال من النهي يقال نهاه فانتهى لامن النهاية ومحافظة لشرائط المحبة
اي مداومة لما تقتضيه المحبة من قدر الهمة على ما يرتضيه المحبوب وهذه غاية
العناية من الله به صلى الله عليه وسلم وهذه اشارة الى المعاتبة قبل
الوقوع لما ذكر من الفوايد ولذا قالت او هو لرعاية الخبر والعناية
قصد المساعدة والاعتناء بحفظه وامره يقال عتبت بامر فلان بالبنا للمفعول
عناية وعنيا شغلت به وهذه اقوى من عناية الله بغيره من الانبيا فلذا جعلها
غاية وقيل انما جعلها غاية مبالغة ثم انظر كيف بدا بانبائه وسلامته
قبل ذكر ما عاتبه عليه وخيف ان يركن النية اني بثم لبعد مرتبة هذا مما
قبله لان في المعطوف عليه احتمال صدور الزلة وفي هذا اكرامه وتامينه
من صدور ما منه وهو اما من كلام المصنف رحمه الله او من تتمة كلام ذلك البعض
ملتفتا من الغيبة الى الخطاب ايقاظا للمامور وحثا له على التامل وهو
من عطف القصة على القصة او عطف على مقدر اي تامل ما ذكرته انظر والنظر
بمعنى الشكر والمقدر مستعار من نظر البصر وقيل ثم مجردة عن المهلة
اولان الفراغ من ذلك التامل انما يكون بعد مهلة وبدا بانبائه اي لم يقل
لقد كدت تركن لولا ان ثبتناك وقال بثباته ولم يقل بتثبيته كما في الاية
لان قوله كدت يدل عليه وهو محل المدح اولان تثبيت الله يلزمه الثبات
والسلامة عما خيف عليه والمعاتب عليه الركون وخيف مبني للمجهول اي
وقع الخوف ممن هو شانه وقيل فاعله المقدر هو الله وان كانت خفيفة
الخوف مستحيل عليه لان المراد معاملته معاملة من يخاف عليه ما ذكر كما قالوا
في قوله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا ليعاملكم معاملة المحبة ولا اختبار
ولا ابتلا اي خاف عليه القرب من الركون وفيه مبالغة لانه اذا خاف عليه القرب
من شيء خاف عليه ذلك الشيء بالطريق الاولى وهذا لا محذور فيه حتى يقال
المراد بالركون في عبارة المصنف الوقوع لانه هو الخوف فهو غير الركون المذكور

ابن الحنبلي

سيد

ابن الحنبلي

سيد

سيد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فى الآية وقيل ان كدت من افعال المقاربة وقد اخبر به موكدا بقوله لقد
ومثله مما يعتب عليه الا ان قوله شيأ قليلا يدل على انه مما لا يضر لقلته وهو
عناية به صلى الله عليه وسلم ونعمة عظمى لانه تعالى صفاه من شوائب الخطرات
القلبية التى لا ثبات لها وانما يؤاخذ بما وقع عن عزم وتصميم كما قالوه فى تفسير
قوله وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وله تفصيل ليس هذا محله
فنى اثنا عنه براءته وفى على تخويفه تامينه وكرامته اثناء الشئ بالمد خلاف
وتضاعيفه يقال جاء فى اثنا الناس اى بينهم جمع ثنى بكسر فسكون وياء
تحتية او ثنا بالقصر والمراد بكون البراءة فى اثنا العتب انها معه فى كلام
واحد بلا فاصل فلا يعترض عليه لانه مقدم هنا كما قيل لان الدال على
البراءة قوله لقد تبتناك وفى قوله اليه اى داخله او فى ضمنه او فى تخويفه
للطى فيما ذكر اذ لم يفهم منه صريحا قيل المطوى وفيه بعد وتامينه وكرامته
بتثبيتنا الله له وتنزيهه عن القرب الى الميل يعنى انه عتب بالركون للاعداء
وتخويف بقوله اذا لاذقناك العذاب معلق بما هو صريح فى عصمة الله له صلى
الله عليه وسلم عن القرب فضلا عن الوقوع فيه تعريضا بالمنافقين واستماعا
لهم على حد قوله • اياك اعنى فاسمعى يا جارة • وقد تقدم انه لا عتب ولا ذنب
وانما هو تكريم فلذا قيل انه كان ينبغى للمصنف رحمه الله تعالى تركه وكلامه
فى غاية الظهور فلا حاجة لان يقدر فيه اثنا الكلام الدال على العتب والتخويف
فانه لا داعى له ومثله قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم
لا يكذبونك الآية اى مثل ما تقدم فى اللطف به او مثل لولا ان ثبتناك فى
الشفقة والتسلية وهو اقرب او مثل عفا الله عنك فى الملاطفة والتهوين
وضمير انه للشان وقد للتحقيق والمضارع بمعنى الماضى وبمعنى رعاية للنسبة
لسائر معلوماته والذى يقولونه انه ساحر او شاعر او كذاب ونحوه مما لا يضر
اى لا تحزن لنفسك كما فى الكشاف ويدل عليه ما بعده ولكن الظالمين بآيات
الله يجحدون وهو خبر اريد به لازم الفائدة كقوله انى وضعتها انثى اذ
المقصود تطييب قلبه صلى الله عليه وسلم قال على رضى الله عنه وكرم وجهه
وهذا رواه الترمذى وصححه الحاكم قال ابو جهل هذه كنية كناه بها رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان يكنى ابا الحكم فالله كناه اباجهل والناس كنوه ابا
الحكم والجهل وان كان ضد العلم فالمعروف فى كلام العرب انه ضد الحكم كما قال
الا لا يجهلن احد علينا • فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وهو عمرو بن

وهو عمرو بن هشام فرعون هذه الامة وقد قيل انه مع جهله وكفره كان
يحمى العصاة ولذا قيل له مصفر استه وكان صلى الله عليه وسلم فى اول
الاسلام يرجو اسلامه ويقول اللهم اعز الاسلام باحد الرجلين ابو جهل
او عمر بن الخطاب فلما اسلم عمر رضى الله عنه علم انه هو الذى اجيبت فيه
دعوته صلى الله عليه وسلم وان اباجهل اشقاه الله فقتل ببدر واختلف
فى قاتله كما فصل فى السير واسلم ابنه عكرمه وحسن اسلامه ونصر الله به
الدين تحقيقا لرجا النبى صلى الله عليه وسلم للنبى صلى الله عليه وسلم انا
لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به وفى نسخة مصححة من الشفا
ما جئت به بدون با الجحده لآيات الله عنادا او بغيا اى ننكره ونجعله كاذبا
مع انك صادق عندنا وفى لباب التفاسير قال ابو ميسرة ان النبى صلى الله
عليه وسلم مر بابى جهل واصحابه فقال والله يا محمد انا ما نكذبك انك
عندنا لصادق ولكنا نكذب ما جئت به فنزلت هذه الآية فهذا سبب نزولها
كما قال المصنف فانزل الله تعالى انهم لا يكذبونك الآية وعزاه ابن
الجوزى الى ناجية بن كعب من المفسرين وقد فسره به على قراءة يكذبونك
بالتشديد وما فى الكشاف واللباب من قوله وانك عندنا لصادق مروى
فى الحديث قال السيد عيسى وهذا بظاهره فاسد لان كذب القول يستلزم
كذب قائله الا ان يكون ناقلا غير ملتزم للصحة والنبى صلى الله عليه وسلم انما
ذكره على انه حق من عند الله وقال الطيبى لا نعتقدك كاذبا وانما ننسب
الكذب لما جئت به عنادا وحسدا فقوله لكن نكذب ما جئت به فى موضع
نحسدك اقامة للسبب مقام المسبب وفيه بعد وقيل المعنى لا نقصد
نسبتك للكذب ونخبرك به لانا جربناك فوجدناك على خلافه وانما
عرضنا ابطال الكلام او لا نقول من عاداتك الكذب لكنا ننكر النبوة فلا
يلزم ان يكون كذابا او انك غير متعمد للكذب بل تخيلت امرا باطلا
فالتكذيب بالنسبة لافتعاله فاكذبناك ليكون غيبا وهذا احسن التاويلات
وقيل ناقل ونحن نكذب المنقول لا الناقل وفيه ما مر انتهى وفى
اللباب المعنى لا نخصك بالتكذيب ونقل ابن الجوزى عن قتادة لا يكذبونك
بحجة قلبهتا وعنادا او لا يكذبونك اعتقادا بل قولا وهذا ما ارتضاه
الطيبى هذا زبدة كلامهم وسياتى فى كلام المصنف رحمه الله تعالى ما يوافقه
وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما كذب قومه حزن فجاءه جبريل

شبكة الألوكة www.alukah.net

عليه الصلاة والسلام قال السيوطي في تخريجه هذا لم اجده وكذا قاله غيره قيل وهذا من قصوره ولم يرد على هذا وهو عجيب منه فقال ما يحزنك قال كذبني قومي لما حرف وجود لوجود او وجوب لوجوب كما فصله النحاة والاكثر الافصح في جوابه عدم اقترانه بالفا وورد اقترانه بها ومن يأباه يقدر لها جوابا تحذوفا وقوله حزن هو الجواب وحزن واحزن لغتان سابعتان فصيحتان بهما جا التنزيل فقوله يحزنك يجوز فيه فتح الياء وضمها وقوله يكذبني بالتشديد وروى اكذبني وهي لغة ايضا واراد تكذيبهم حيث قالوا ان ما جا به كاذب ودون ان يقولوا انه كاذب او حيث قالوا انه كاذب واليه اشار المصنف رحمه الله بما ياتي من انهم معترفون بصدقه صلى الله عليه وسلم قولا واعتقادا او يروى او اعتقادا اشارة الى القولين السالفين كما مر فقال انهم يعلمون انك صادق فانزل الله تعالى الاية فهو سبب النزول على احد القولين وفيه دليل على ان المنفي في الاية العلم في هذه الاية منزع لطيف الماخذ منزع بفتح الميم والزاي المعجمة والعين المهملة محل النزع مصدر ميمي بمعنى المفعول فسره التلمساني بالماخذ ورده بان ما بعده يابا ه فالمراد به ثي يرجع اليه قال في القاموس المنزعة ما يرجع اليه الرجل من امره ورايه واقتصر عليه صاحب المغني والمنزع بكسر الميم السهم يقال نزعت في القوس نزعا وانتزع بنزع اي نزع وفي المثل عاد السهم الى منزعه اي رجع الحق الى اهله قاله الامام المرزوقي ولطيف الماخذ اي خفي دقيق اخذه واستنباطه منها من تسلية الله تعالى له عليه الصلاة والسلام والطافه في القول قال البرهان الطافه بكسر الهمزة في النسخ التي وقفت عليها مصدر من الطفه بكذا اذا ابره به كما في الصحاح والتسلية تطييب القلب بما يذهب حزنه ويفرح كربه ومن لبيان المنزع بتقدير انه صادق عندهم قولا واعتقادا كما اشار اليه بقوله بان قر عنده انه صادق عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا واعتقادا او كانوا يسمونه قبل النبوة الامين الباسيه او الله وقر بمعنى بين وحقق هذا بحيث قر وثبت في نفسه لما في الاية من بيان ذلك مؤكدا بان وجعلهم ظالمين جاحدين لما قالوه وكونهم غير مكذبين له تحقيقه وسنسمعه قريبا ومر انه روى اواعتقادا اشارة الى القولين في الاية وروى ان الاخفش قال لابي جهل لعنه الله يوم بدر ليس هنا غيري وغيرك اخبرني عن محمد اصادق

هو كاذب

هو او كاذب فقال انه والله لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش ثم انه يكون ان عدم الكذب يستلزم الصدق عند الجمهور فالاعتراف باحدهما كانه اعتراف بالاخر فلا يرد ان عدم الكذب اعم وان ورد ان عدم نسبة الكذب اليه لا يستلزم نسبة الصدق لجواز ان لا يعرفوا باحدهما ولو سلم فالاية فسرت بالنفي اعتقادا او قولا فمن اين تقرير الامرين الا ان يقال ان المراد بعدم الكذب الحكم بعدم الكذب لانهم لم يستكتوا في حقه وهو بمنزلة الحكم بالصدق فالمصنف جمع بين التفسيرين وهو عادته والاوجه انه عدم التكذيب وانهم يستلزمه لكنه قد يكون كذلك محمل عليه بقرينة ما عرف منهم لا بطريق اللزوم وهم وان كذبوه لكن منهم من لم يكذب في بعض الاحيان كما مر والاظهر ان المراد نفي التكذيب باحد الوجوه والتاويلات السابقه فلا يناقض في التكذيب كما اشار اليه البيضاوي وهذا غاية ما يمكن هنا ملخصا وقوله واعتقادا على نهج قوله ورنحن الحواجب والعيونا • وكلام النحاة فيه مشهور وتسميته صلى الله عليه وسلم قبل البعثة بالامين مشهور في كتب الحديث وسمي بمحمد في نفسه وباليا فدفع بهذا التقرير تمامض نفسه بسمة الكذب الدفع بالزال المهملة منع الشي قبل وصوله وبعد الوصول يحول رفعا ولذا قالوا الدفع اسهل من الرفع وفي التعبير به اشارة الى عدم تلبسه صلى الله عليه وسلم بما افتروه والتقرير براي مهملتين هو ما تضمنه قوله بان قول الى اخره وفي بعض النسخ التقدير بدال بدل الرا كما ذكره التلمساني وقال ان الذي في اصل القاضي بالرا ومعناه على ملاك النسخة فرض الشي وتقريره وبالرا بمعنى تبيينه وتمهيده وكل واحد منهما قريب من الاخر والامتماض برا مهملة ساكنه واخره ضاد معجمة افتعال من الرمضة وهي شدة الحرارة شبه ما اشتد عليه واقلعه للحر من قلبه والسمة العلامة واصلها وسمة فحذفت فاوه كعدة والمراد وصفهم بها والاضافة لامية او بيانية اي سمة هي الكذب في قولهم انه كاذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال ولكن الظالمين بايات الله يجحدون الى اخره عطف على قوله وثم للتراخي الرتبي والاشارة الى بعد الذم عنه او هي للترتيب الذكري لا حاجة لتجريدها للجر والعطف كما قيل والمراد بتسميتهم وصفهم بما ذكر وعبر به اشارة الى انه ذلك صار كالعلم لهم وبين التسمية والسمة تجنيس وتسميتهم جاحدين لانه لما اخبر عنهم بانهم يجحدون فكانه قال جاحدين وقدم الجحد

شبكة الألوكة www.alukah.net

مع تاخره فى الاية لانه المقصود بالذكر ولان ظلمهم هنا بجحدهم ولذا وضع
الظاهر موضع المضمر ولم يقل ولكن تنبها على انجحده نسا من ظلمهم الثابت
فيهم لان ترتب الحكم على وصف يشعر بعليته ولذا عدل عن جاحدين الى يجحدون
ويجحدهم بايات الله اما انكار حقيقتها او انكار كونها من الله والباقيل انها للتعدية
للجحد معنى التكذيب الا انه قال فى القاموس جحد حقه وجحد بحقه اذا انكره وهو
يقتضى خلافه **حاشاه من الوصم** حاشا فعل ماض اي نزه الله عز وجل النبى صلى
الله عليه وسلم وبراه بالصاد المهملة فى اللغة مطلق النقص والعيب
والمراد به الكذب المذكور فى الاية **وطوقهم بالمعاندة** طوقه فعل ماض من الطوق
وهو ما احاط بالعنق ثم صار مثلا للزوم وقال فى كشف الكشاف فى شرح
قوله طوقهم لها طوق الحمامة ان لا يقال الا للامر المذموم الذى لا يعارف من
اتصف به فخصه بالذم كقول حسان رضى الله عنه

لو لا سوابقك طوقتك لها طوق الحمامة اي هجوتك اقول

فى اختصاصه بالذم نظر لما نقل فى مراة الزمان عن حاتم الطاى انه قال لابنه
لما سالة عن ابله التى نحرها للقرى وقال له ما فعلت الابل فقال طوقتك مجد
الدهر طوق الحمامة وعليه قول المتنبى

أقامت فى الرقاب له اياد ... بحى الاطواق والناس الحمام

والبا للتعدية وقيل انها للتبيين **بتكذيب الايات حقيقة الظلم** هذه
الجملة متعلقة بالمعاندة وحقيقة منصوب مضاف للظلم مفعول ثان لطوق
بمعنى جعلهم كالطوق فى اعناقهم للزومها ففيه استعارة مكنية وتجعله حقيقة
الظلم الذى هو وضع الشئ فى غير موضعه لانهم وصفوه صلى الله عليه وسلم بالكذب
وهم كاذبون وعبر عنه بالاسم الدال على الثبوت وكون اسم الفاعل للحدوث كما ذكره
النحاة غير مسلم عند اهل المعانى كما قيل **اقول** ما ذكره غير واضح لان
اسم الفاعل انما يدل على الثبوت وكون اسم الفاعل اذا الحق بالاسما كالمومن والكافر
والاخلاف فى هذا بين النحاة واهل المعانى كما مر **او الجحد انما يكون ممن علم الشئ**
ثم انكره ثم للتفاوت الرتبى او الحقيقى كما مر وهذا مما صرح به اهل اللغة ففى
القاموس والصحاح وغيرهما جحد اي انكر مع العلم فما قيل انه بقيد بقيد
ووجه استبعاده انه يكون ممن جهل كما قاله ولذا ذكر ايمتنا الحنفية فى الاصول
انه لو قال للخصم امقرات ام جاحد فان قال مقر او جاحد فقد اقر وبنفى ان
يقيد هذا بمن كان من اهل اللسان **كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها**

انفسهم ظلما وعلوا انى لهذه الاية استدلال على ما ادعاه وقيل على
انا لا نسلم دلالتها على ما ادعاه فانه لو قيل انكروها واستيقنتها انفسهم
كان صحيحا فيكفى لمدعاه النقل من ايمة اللغة كما مر ولذا ذهب بعض الشراح
الى انه تمثيل لا استدلال وفيه نظر واستيقن وتيقن بمعنى لان فائدة ذكر
الانفس انهم جحدوا بالستهم واستيقنوها فى قلوبهم وضمائرهم والعلو
هنا بمعنى التكبر عن الانقياد للحق عنادا او فى شرح الصفوى اقول اليقين فى
اصطلاحهم الاعتقاد الثابت الجازم المطابق للواقع والعلم اعم فلو اريد بالجحود
الانكار مع العلم كما ذكره المصنف افاد قوله واستيقنتها معنى جديدا على هذا
الاصطلاح فلا يرد فيما ذكره لكن اللغويون واهل العربية فسروا اليقين بالعلم
والاظهر حينئذ ان يكون المراد فى الاية مجرد الانكار ليكون قوله استيقنتها تاسيسا
لا تاكيدا لما فهم ضمنا ولذا فسر كثير من المفسرين الجحود بالانكار واليقين بالعلم
ويمكن ان يكون مراد المصنف رحمه الله ان الجحود يطلق على الانكار بشرط ان يكون
مع العلم وهو خارج عن مفهومه شرط لصحة اطلاقه وهو فى الاية كذلك
قطعا لقوله فاستيقنتها فيتم الاستشهاد بالاية بلا نزاع واستيقنتها تصريح
بما يمكن ان يفهم منه فتامله فانه دقيق انتهى قيل وهو مبنى على ان الشاهد
والمثال شيئان فى جواز وقوعهما بعد الكاف وبعضه مجئ الكاف للتعليل كقوله
واشكروه كما هداكم وعلى ان اليقين بمعنى العلم شرط خارج عن مفهوم الجحود وانه
انما يتم الاستشهاد على التقدير الاول لا الثانى مع انه لا يتم الاستشهاد عليهما
جميعا والحق انه تمثيل **اقول** اذا علمت ان حقيقة الجحود ان كان عن علم فادعاء انه
شرط خارج نفستف وجريرة والاية الثانية انما جاء بها المصنف رحمه الله تعالى
للاستشهاد للمعنوى وبيانه انه تعالى قال فى الاية الاولى ولكن الظالمين
بايات الله يجحدون والدليل العقلى والنقلى على ان المراد انكار عن علم والا لم
يكونوا ظالمين بجحودهم لان الجهل قد يعذر صاحبه لكن لما كان فيها خفا اتى بالاية
الثانية لما فيها من التصريح بانهم كانوا عالمين والاستدلال بمعناها لا بلفظ
الجحد فيها كما توهمه فوقعوا فيما وقعوا فيه بقى فى ذكر اليقين تاكيد ان لم
يكن اخص من العلم وهذا ظاهر فانظر كيف خفى على من يدعى انه بيضة
البلد ثم عزاه والشبه بما ذكره عمن قبله **ووعده النصر بقوله ولقد**
كذبت رسل الاية التعزية من العزا وهو الصبر ومعناها تسلية المصاب
بما يخفف حزنه قال

ابن اقبرس
ابن الحنبلي
سيد
دلجي
شبكة الألوكة www.alukah.net

مى الشمس سكنها فى السما فعز الفواد عزاجميلا

وتخصص فى العرف بما يقع عند الموت كقول ابى فراس

كن المعزى لا المعزى به ان كان لابد من الواحد

وقوله وانسه بفتح الهمزة من غير مد وتشديد النون او بالمد وتخفيفها اى اذهب وخشه وقلقه مما لقيه منهم ورجح الاول لمشاكلته لعزاه ٧ وقوله ووعده النصرة فى الاية لقوله فيها ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل للكلمات الله اى مواعيده بنصر انبيائه واوليائه لقوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان وقوله فيها انا لننصر رسلنا والوعد فيها لهم وله ظاهر ولا حاجة لما قيل ان فى هذه الاية دليلا على تحقق مقام النبوة فانه غنى عن البيان وقوله بما ذكره عمن قبله روى عمن كان قبله اى فهون عليك واصبر حتى يأتيك النصر وقد كذب اخوانك وصبروا حتى نصروا وهذه الاية تدل على ان نفى التكذيب فى الاية السابقة ليس على اطلاقه كما ذكره البيضاوى ويحتمل ان يكون المعنى هون عليك جحودهم لايات الله وما جيت به واصبر فان اخوانك قد كذبوا واوذوا حتى نصروا فلا تدل الاية على ما ذكروه قد قيل فى معنى الاية انها كقول السيد بعدم ما اهانوك بل اهانوني قاصدة التعظيم الامر وتقريبه ان اهانتك اهانتى لانتفى الاهانة وهو كلام حسن جدا فمن قرأ لا يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا اى قراءة نافع والكسائى من الكذبة كالجلسة اذا اوجد كاذبا وبخيلا وهذا احد معنى صيغة الافعال كما ذكره النحاة فى ابنية الفعل ومعناه ان صيغة الثلاثى موضوعة لاتصاف الفاعل بالحدث فاذا دخلت عليه الهمزة كان لمعانى احدها واحدان الفاعل للمفعول منتصبا بالحدث الذى دل عليه الثلاثى وهو معنى حقيقى وضعت له هذه الصيغة ويلزم من كونهم لا يجدونه منتصبا به انهم لا يعتقدون كذبه سواء قالوا انه كاذب ام لا ففيه تسلية له صلى الله عليه وسلم ايضا وقال الفراء والكسائى لا يقولون انك كاذب الفراء هو الامام ابو زكريا يحيى ابن زياد بن عبد الله بن منظور الاسلمى الديلمى الكوفى النحوى اللغوى المفسر كان ابرع الكوفيين واعلمهم بفنون الادب وتفسيره من اجل التفاسير وعليه اعتماد الزمخشرى توفى سنة سبع ومائتين بطريق مكة وعمره ثلاث وستون سنة وانما لقب بالفراء لانه كان يفرى الكلام ويفتقه فليس بنبطى للفراء

لعلها

لعلمها او يبيعها والكسائى هو ابو الحسن على بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الاردى الكوفى احد القراء السبعة امام النحو واللغة والقراءات عاش بضعا وثمانين سنة ومات فى سنة ثلاث وثمانين ومائة بنبوية قرية من قرى الرى وقيل بطوس والذى لقبه بالكسائى حمزة شيخه لانه كان يجيئه متلثما بكساء وقيل لانه احرم فى كساء لما لم يجد هذا المعين السابق فى كتب النحو المشهورة السد الصغرى قال هنا انهذا بنا على ان الكذب كالكذب للنسبة كما صرح به الامام والقاضى او ان معنا بين كذبه كما فى القاموس ويؤيده ما نقله الواحدى عن الفراء ان معناه لا يجعلونك كذابا بل يقولون ان ما جئت به باطل وفى الصحاح نقلا عن الكسائى ان اكذبته بمعنى اخبرته انه جاء بالكذب وهو لا يوافق المنقول وبالجملة ان فى هذه النقول اضطرابا وتبعه ابن الحنبلى فى شرحه وهو كله من قصر الباع وقلة الاطلاع فان هذا المعنى صرح به ائمة العربية قال ابن عصفور فى كتاب الممتنع من معانى افعل التسمية كقولهم اكفرته واخطأته اى سميته كافرا ومخطئا انتهى وهو معنى النسبة فى العرف لانهم يقولون نسبه للزنا اذا قال انه زان فالاولى انما هو من عدم الوقوف على الصواب وقيل لا يحجونك على كذبك ولا يستهونه عطف تفسير لان معنى يحجونك يقهرونك حجة مبتة لما اوعوه وفى نظم النسخ لا يحجمونك قيل كانه تفسير بالملازم فان من عاينه لا يجحلونك كاذبا والجحل انما يكون اذا اثبتوا كذبه فيلزم من نفى الجحل نفى الاحتجاج ومعناه على النسخة الاخرى ان منهم من يعرف بطلان قوله فلا اعتداد به الا انه لا يناسب قوله ولا يشقه اقول الصحيح الاول وتوجيهه ان افعل يكون للدلالة على الشئ والاتيان به وهو انما يكون بالبيان والحجة لا بما ذكره قال فى المتنع تقول ابصره اى دله على وجود المبصر واعقلته اى وصلت عقلته اليه واما على النسخة الاخرى فالمعنى ظاهر وبما قررناه علمت سقوط ما قيل من ان هذا التفسير لا يناسب المقام ولا يلائم الجحد ومن قرأ بالتشديد لا ينسبونك الى الكذب كقولهم فسقته اذا نسبته الى الفسق وفسقه اذا نسبته لبنى تميم وهذه النسبة اعم من النسبة المصطلح عليها وهذا على الوجوه السابقة وقيل لا يعتقدون كذبك وهذا توفيق بين ما ورد فيه التصريح بتكذيبهم له صلى الله عليه وسلم وما فى هذه الاية من قوله لا يكذبونك بان المنفى قولهم والمنفى اعتقاده هو لمعنى ما قالوه واورد عليه بان الاعتقاد المنفى لا يخلو امن ان يكون جازما فيكون عين التفسير الاول وحكايته تقتضى انه غيره او غير جازم بان يظنوا صدقه ويتوهموا كذبه وهذا انما

سيد

يشق عليه فليس فيه تطمين له كما في الاول وروي بان المراد الاول بلا شبهة واحتمال
للثاني بعيد وقصد المـ بعد ما قرر نقل اقوال المفسرين في القراءتين
لينزل ما قاله عليه بدليل تفريعه عليه بالفاء في قوله فمن قرأ الى آخره والمعتمد
نوهم ان ما هنا مخالف ومغاير لما قبله فقال ما قال والظاهر انه لا اختصاص
لهذين القولين بقراءة دون قراءة ولو قالا الاختصاص ولو قيل بالاختصاص لم
يكن فيه باس فان منهم من جعل القراءتين بمعنى كما قالوا قللت واقللت وكثرت
واكثرت ولو قالوا ولك ان تقول المعنى على هذا ان بقيتهم مطلقا لجعل ما قالوه
بمنزلة العدم لعلمهم بخلافه كما قيل في قوله تعالى لا ريب فيه مع كثرة المرتابين
فيه وهذا يدل على انهم معترفون بصدقه اعتقادا فقط الا ان قولهم بمنزلة العدم
وما قرن المصنف وارتضاه مبني على انهم معترفون بصدقه حقيقة فولاه واغ
فلا غبار عليه ومما ذكر من خصائصه صلى الله عليه وسلم وبرائه به الخصائص
جمع خصيصة وهي ما اختص به دون غيره تمييزا له صلى الله عليه وسلم وتفضيلا
له على غيره كما مر وآتى بمن اشارة الى كثرتها حتى افردت بالتصنيف وبرائه
به احسانه ولطفه كما مر ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام
باسمائهم فقال يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة يا ابا البشر صلى الله عليه وسلم المقدم عليهم وهو
علم ممنوع بالاتفاق للعلمية والعجمة ووزنه فاعل كازر وعازر وجمعه اوادم وادمون
وقيل انه عربي مشتق من ادم الارض او من الادمة لون بين السواد والحمرة
واصله على هذا أأدم بهمزة بدلت الثانية الفا ووزنه افعل ومنعه من
الصرف العلمية ووزن الفعل ومن الغريب ما قيل انه منقول من فعل رباعي كما
حكي عن الطبري وفيه نظر يا نوح يا ابراهيم يا داود يا عيسى يا زكريا يا يحيى
وروي تقديم يا عيسى على ما قبله وهذه الاعلام وقوع الخطاب بها في القرآن
كقوله يا آدم انبئهم باسمائهم غني عن البيان ولم يخاطب هو بصيغة المجهول وضمير
هو للنبي صلى الله عليه وسلم اي لم يخاطبه الله في القرآن باسمه وفي نسخة لم يخاطبه
بالبناء للفاعل والضمير وقبل هي الاولى ولا وجه له الا بعد اره في ندائه تعالى
تعظيم وملاطفة لمنزلته عنده بكقوله يا ايها النبي يا ايها الرسول يا ايها
المزمل يا ايها المدثر يعني النبي والرسول معلوم وقدم النبي لانه اعم كقوله
تعالى يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال يا ايها الرسول لا يحزنك الذين
في الكفر يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا يا ايها المدثر قم فانذر قيل الخاصة انما
هي عدم الخطاب بالاسم وجعله خاصة بحسب الظاهر المشهور لئلا يشكل بما سيجيء من ان يا عيسى

بمعنى يا محمد ونحو ما قيل في طه ايضا فيعتذر عنه بانه بنا على عدم ثبوت هذا
وفي العدول عن الاسم الى الصفات الحسية تعظيم في العرف يعرفه كل احد وفي شرح
التجاني انه صلى الله عليه وسلم لم يذكر باسمه في النداء وذكر في الخبر كقوله محمد رسول الله
وما محمد الا رسول لانه ورد مورد التعيين والتعليم لان صاحب هذا الاسم
هو الرسول ونحو قوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لما لم يرد هذا المورد
لم يذكر اسمه والمزمل اصله المتزمل اي الملتف بثوب ونحوه وفيه تفاسير اخر
والمدثر اصله المتدثر اي لابس الدثار وهو البرد الذي فوق الثياب
وفيهما تلميح الى قول خديجة رضي الله عنها حين رجع من حراء زملوني زملوني
وفي رواية دثروني والقصة مشهورة في كتب الحديث اي غطوني وذكر المدثر
والمزمل للملاطفة والتاسيس على عادة العرب مخاطبة قال لا يزال على
حاله حين الخطاب كقوله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه يا ابا تراب لما
راه نائما عليه فلو ناداه سبحانه وتعالى باسمه وبامر غير هذه الملاطفه وفوده
لرحف شق عليه فلذا ابداه بما يونسه وفيه نكتة ذكرها الامام السهيلي وذلك
لانه صلى الله عليه وسلم قال انا النذير العريان وهو مثل للعرب يمثل به النبي كما
الله عليه وسلم وكان يقوله من بالغ في الانذار يقرب العدو لان المستغيث كان يتعرى
ويرفع ثوبه ليرى من بعيد ليلا يشق المرور وصوته وقيل اصله ان رجلا
سلبه العدو فجاء قومه منذرا على تلك الحال فقوله يا ايها المدثر قم فانذر
وقوله انا النذير العريان اي مثل مثله في عبارة فيه اشارة الى ان التدثر يضاد
النذير ففيه تلميح وتلويح وتطرف للملاطفه كما في الاستعارة التلميحية التي
ذكرها اهل المعاني وان لم تكن منها وما ذكره المصنف رحمه الله في خطاب
الله له باسمه في القرآن فلا يرد عليه كما توهم خطاب الله له بقوله انك لا تهدي
من احببت وقوله له في المحشر ارفع راسك وقل يسمع لك يا محمد ولم يقل
يا ايها النبي ويا ايها الرسول وان قيل الحكمة فيه ان اخصر ففيه سرعة النجاة
وتطويل الكلام غير مناسب في مقام الاذن بالشفاعة وقال السيوطي ان
الله شرف امته صلى الله عليه وسلم بخطابهم في القرآن بقوله يا ايها الذين
امنوا وخاطب الامم السالفة بيا ايها المساكين واعلم انه قال
في الامساع انه لا يجوز لاحد ان يناديه باسمه فيقول يا احمد يا محمد بل يقول يا نبي
الله يا رسول الله لقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
وقوله ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض وبهذا فسره مجاهد والضحاك

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومقاتل وسعيد بن جبير واجيب عن قول الاعرابي انا نارسولك الحديث
بانه قبل النبي او هو صدر منه قبل اسلامه وهل مثله الكنية نحو يا ابا القاسم فيه
نظر انتهى وياتي الكلام على ذلك والظاهر ان ذلك مخصوص بخطاب المشافهة
في حضور حال حياته **الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم**
قدره وفي نسخة عز وجل **صلى الله عليه وسلم** وفي نسخة تسليما والقسم يكون
بمعنى الاقسام وهو الاتيان بالقسم وهو المراد ويكون بمعنى المقسم به وقال
النحاة انه مصدر ليس بجار على فعله وقياسه الاقسام وهو في عرفهم جملة انشائية يؤكد
بها جملة اخرى لا على جهة التبعية **قال تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون**
المقصود من هذا الفصل بيان القسم نفسه لا المقسم عليه كما في الفصل الذي يقفو
فمغايرهما والفرق بينهما ظاهر قالبا في بعظيم قدره القسم لا سببية حتى يتداخل
القصدان فيحتاج لارتكاب تكلفات في الفرق بينهما وعظيم قدره اما بمعنى
قدره العظيم او الاضافة بيانية والمقسم به حياته وذاته ونحوهما والمقصود
من المقسم به تعظيمه وتقرير المقسم عليه في الذهن وتمكينه والعرب من عادتها
ان تقسم بالشيء اذا اردت تعظيمه حتى تجعل الجملة قسما من غير حرف القسم وهذا
هو القسم الذي عدوه من انواع البديع كقوله

بقيت وفري واحرفت عن العلا ولقيت اضيافي بوجه عبوس
ان لم اشن على ابن حرب غارة لم تخل يوما من لقاب نفوس

قال المرزوقي هذا من الايمان الشريفة ولفظه لفظ الخبر وظاهره الدعاء
ومحصوله القسم وكرر هذا في مواضع من شرح الحماسية واشار اليه الزمخشري
وقل من نبه له وهذه الاية في قصة لوط عليه الصلاة والسلام وما ذكره المصنف
رحمه الله مبني على ان هذا الخطاب لنبينا صلى الله عليه وسلم على احد الوجهين
فيها وفي الكشاف انه على ارادة القول اي قالت الملائكة للوط عليه الصلاة والسلام
لعمرك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرجح الاول لانه المناسب
للسياق ورجح المصنف رحمه الله تعالى الثاني لانه تعالى لما قص عليه قصته
بتمامها الى قوله هؤلاء بناتي خاطبه ببيان ما هم عليه من الضلالة مقسما بحياته
واختاره لموافقته لمقتضى الحال وضمير انهم لقوم لوط وسكرتهم غفلتهم وغلبة
الهوى والشهوة عليهم حتى صاروا سكارى لا يميزوه الخطا من الصواب ويعمهون
يتحيرون لعمى بصائرهم والعمى في البصر والعمه في البصيرة كما مر وفيه استعارة
تحقيقية من سكنة بالفتح وشبه تمكنهم في الغفلة المحيطة بهم بتمكن المظروف في الظرف

لانهم لم يقدموا النصح للامة طباعهم وحسده انفسهم ففيه استعارة اخرى تبعية
حرفية وقيل ان ضمير انهم لقريش وقال النجاني انه بعيد لانقطاع الآية
به عما بعدها وما قبلها ولذا قيل ان الجملة على هذا معترضة وعبر بالمضارع
حكاية للحال الماضية او لتنزيله الماضي بالحال فتدبر اتفق اهل التفسير في هذا
الكلام او اللفظ الذي هو لعمرك انه قسم من الله جل جلاله هو اسناد مجازي
كجرحه وسعد سعده كما مر وتحقيقه في كتب المعاني **عمدة حياة محمد صلى**
الله عليه وسلم المدة بالضم مقدار من الزمان قليلا كان او كثيرا من مد اذا بسطه
وفي بعض الشروح القسم للتعظيم اذ لم يقسم بحياة احد غيره والكلام مسوق
للاخبار بقبائح قوم لوط عليه الصلاة والسلام واهلاكهم تنبيها على ان من
كان هذا دابه لا عن ارتكاب مثله من المفاسد ودعوى المصنف رحمه
الله الاتفاق دعوى غير مقبولة لقول جماعة من المفسرين انه قسم بمدة حياة
لوط عليه الصلاة والسلام اذ قالت له الملائكة ذلك بشهادة السياق انتهى
وكذا القول بانه تعالى لم يقسم بمدة حياة لاحد غير محمد صلى الله عليه وسلم على
ما ياتي وقيل ايضا العمر مدة الحياة اي سواء كانت المدة بتمامها او بقصرها وقيل
المراد البقاء فلا اتفاق ايضا على احدهما الا ان يريد بمدة الحياة معنى يشملهما
وفيه نظر والمراد والجواب بان المراد اتفاق من عليه المدار ولو عند المعمر
لا حدى نعماك لقوله بان الاتفاق انما هو على القسمية ولو قيل المراد باهل التفسير
نعم وا السلف الذين اقتصروا على التفاسير المأثورة كابن عباس رضي الله عنهما
لكان وجيها وعلى هذا فتاخيره وحكايته بقيل غير مناسب وعلى كل حال فالكلام
لم يخلو من الكدر **واصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال**
قال ابن مالك رحمه الله في باب المبتدا والخبر يحذف الخبر وجوبا اذا كان المبتدا
صريحا في القسم ومثلوا له بقولهم لعمرك لافعلن كذا اي لعمرك قسمي او ما اقسم
به قال الدماميني في شرح التسهيل جواب القسم ساد مسد الخبر والعمر
بمعنى ولا يستعمل مع اللام الا المفتوح لان القسم موضع التخفيف لكثرة استعماله
واحترز بالصريح عن نحو عمرك الله فيجوز حذف خبره واثباته لانه غير صريح
في القسم واستشكله شيخنا ابن قاسم بان الفقهاء صرحوا بان كلا منهما كناية
لا ينعقد به اليمين الا بالنية وقالوا المراد بالعمر البقاء والحياة واجاب
بان المراد بصراحة الاول اشتهاره بالحلف مطلقا في استعمالهم واراد بنفي كونه يمينا
لانه لا يعتد به شرعا وقالوا في باب القسم يقال لعمرك الله بنصب عمر ويجوز رفع الله النصب

مطلب
عمر من العمر

والرفع وعمر مصدر محذوف الزوايد لا فعله عمر بالتشديد ويقال عمرتك في القسم
ومعناه ذكرتك بالله او عمرت قلبك بذكره قال الشاعر

ايها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان

وفيه كلام من شروح هذا الكتاب لا يسعه هذا المقام وقال السيوطي في
مختصر نهاية ابن الاثير المسمى بالدر النثير في الحديث خرجوا عمارا اي معمرين جمع عامر
من عمر بمعنى اعتمر وان لم يسمع فلعل غيرنا سمعه قاله الزمخشري وعمرك الله
اي اسأله ان يطيل عمرك والعمر بالفتح العمر ولا يقال في القسم الا بالفتح
قسم بنفسه الله وذاته انتهى وفي شرح الصغرى قال في المواهب انه
قسم عند الحنفية والمالكية وكناية عند الشافعية واللام لتاكيد القسم
وانهم جوابه ووقع في بعض النسخ بفتح العين وجعل الضم اصلا لم يذكره
اهل اللغة لكن في تفسير القاضي ان الفتح لغة في الضم وهو يشعر وكم
المصنف انتهى ملخصا ومثله في شرح التجاني وقال ان المصنف رحمه الله لم يحقق
هذا الموضع وفي التقرير نبه في شرح الغريب العمر بضم وبضمتين الحياة وهو
يشعر بعكسه اقول هذا ما قاله الشراح برمته وهو لم يصف
من الكدر وتحقيق هذا المقام على وجه ينفض عنه غبار الاوهام ان العمر بالفتح
مصدر عمر المشدد واصله التغيير فحذفت زوايده وله معنيان تغيير الله اياك
او قلبك وهو على هذا صفة من صفات الله فيصح القسم به حقيقة وهذا
ما جنح له سادتنا الحنفية والنحاة والعمر بضم العين مخصوص بالانسان وهو
مدة وجوده في الدنيا فلا يصح به القسم به شرعا لكن الله له ان يقسم بما
شاء كقوله تعالى والضحى والليل اذا سجى فالضم اصل في هذا المعنى لاختصاصه
به في غير القسم فاذا اريد بالمفتوح هذا الاساس ان يقال انه من قبيل معناه او
معدول به عنه ويويده ما في شرح ادب الكاتب الاقليلا انه سمع نادرا العمر
بضم العين واذا اريد هذا المعنى في قسم الناس، صح ان يكون ان يقال
انه كناية لتوقفه على النية كالمشترك واما العرب فيقسمون بما اراد وافلا
منافاة بين ما ذكره النحاة وما ذكره الفقهاء ولا حاجة لما قاله شيخنا مع ما في
قوله لا يعتد به شرعا من الوهم وهذا اتضح ما قاله القاضي ومعناه؟
وبقائك يا محمد وقيل وعيشك وقيل وحياتك البقاء جلة حياته في الدنيا
وتمام عمره والحياة اعم منه لصدقها على البعض والكل فالمغايرة بينهما ظاهرة
والعيش له معان في اللغة منها الحياة فان فسر به هنا كانت المغايرة بينه وبين

ما بعده لفظية فسره التلمساني هنا ليلا يتكرر مع ما بعده وقيل انه بعيد
ولو فسر بالمعيشة في دنياه وجعل عبارة عن الزهد والتقشف لم يبعد وقيل
المراد معيشته الواسعة الفايضة على غيره فهو عبارة عن سخاوة وجوده
وهذه التفاسير كلها ماثورة عن ابن عباس رضي الله عنهما من طرق مختلفة
ونقل الاخفش معنى اخر وهو وحقك على امتك قيل وعرض لوط صلى
الله عليه وسلم بناته انما هو اشارة الى نساء امته لانه كالاب لهم اي اكتم تريدون
قضاء الشهوة فعليكم بالحلال ولو حمل على ظاهره من تزوجهم بناته لا مانع منه
وقيل المراد واراد الاباد معه كما قيل

وانما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن وعا

وهو بعيد ومن الغريب ما نقل عن مجاهد ان للعمى لعملك من قولهم لعمر الله اي
بعيدا والمعاني التي ذكرها حقيقية لتصريح اهل اللغة بها فلا وجه لدعوى
التجوز فيها وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف
الاشارة لانها للكلمة المقسم بها او باعتبار الخبر وانما كان كذلك لان العظيم
اذا قال لاحد عبيده وحياتك كان ملاطفة وتكرما فكيف برب الارباب
في مثل هذا الكتاب قيل ووجه كونه نهاية التعظيم كون ربه اقسم
به وقيل انه في خصوص القسم بالحياة لانه في العرف به اعلى كمال الالفة
والمحبة كما يشهد به الذوق والطبع السليم فتامله وقال ابن عباس رضي
الله عنهما ما خلق الله وما ذرا وما برا نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه
وسلم الخلق الايجاد وذرا وبرا بالهمزة فيهما وان كان بمعناه فيكون ذكرهما
للتوكيد وقد يفرق بينهما بالاعتبار بان يكون ذرا من الذرية وبرا بمعنى صور
اي لم يوجد احدا اشرف منه ذاتا ونسبا وصورة اكرم من محمد صلى الله عليه
وسلم وقد عرفت فيما سبق ان مثل هذه العبارة يفيد انه ليس احد افضل
منه ولا مساويا له وقد حققنا قبل هذا ودخل فيه الملايكة عليهم الصلاة
والسلام مطلقا حتى خواصهم كجبريل عليه الصلاة والسلام بناء على
المذهب الحق انه صلى الله عليه وسلم افضل منهم ولا عبرة بمن اختار خلافه
كالزمخشري وغيره من المعتزلة وسيجي تحقيقه الا ان بعض الشراح تعقبه
المصنف بانه لو قال روحا اي ذا روح كان اصرح في تفضيله على الملايكة عليهم
الصلاة والسلام اي لان النفس ربما يقال انها لا تطلق عليهم لتفسير بعض
اهل اللغة لها بالجسد وان جاز تفسيرها بالروح فانه احد تفاسيرها وعلى هذا

ابن الحنبلي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ابن الحنبلى سيد
وابن الحنبلى

يجوز او يقدر فى قوله من محمد من نفس محمد كما قيل وما سمعت الله قيل
المراد ما علمت من اطلاق السبب على سببه وقيل انه هنا من النواسخ الداخلة
على المبتدا والخبر على ان المفعول الاول مصدر الخبر المضاف الى المبتدا واليه
ذهب الرضى وغيره فى فعل السماع الداخل على الذوات كسمعت زيدا يقول
كذا بشرط كون الخبر مما يسمع والتقدير ما سمعت اقسام الله لامن نبى ولا
من كتاب يتلى وقصره على الثانى قصور والجملة مبينة للمقدر وفيه انهم
شرطوا فيه ان يكون السماع بغير واسطة كما صرح به فى حواشى المطول وفيه
كلام فصلناه فى طراز المجالس اقسم بحياة احد غير محمد صلى الله عليه
وسلم وفى بعض النسخ غيره وبعده ما ذكر هذا ابن عباس رضى الله عنهما
تلى الآية لعمرك الى آخره وكلمة غير مجرورة صفة احد او بدل منه الا انه على
هذا كما قيل لا يفيد انه اقسم بالنبى صلى الله عليه وسلم وانما يفيد انه لم
يقسم بغيره ولذا تلى الآية ليستفاد منها المعنيان معا بخلاف ما لو نصب
على الاستثناء فانه يفيد هما صراحة ولا وجه له فانه يفيد هما على الوجهين
بقرينة السياق كما مر فى قوله ما خلق نفسا اكرم من محمد واما احد فقال شراح
الكشاف فى قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله انه يستوى فيه الفرد والجمع
والمذكر والمؤنث وهو فى حيز النفى يعم القليل والكثير مجتمعا ومنفردا بخلاف
الواحد فانه يقال ما فى الدار الا واحد بل اثنان ولا يقال مثله فى احد وذكره
التفتازانى وقال معناه ما ذكره اهل اللغة من ان احدا اسم لمن يصلح ان
يخاطب فيستوى فيه الواحد المذكر وغيره فاذا اضيف اليه بين واعيد اليه
ضمير جمع ونحوه فالمراد به جمع من الجنس الذى يدل عليه الكلام فمعنى لا نفرق
بين احد لا نفرق بين جمع الرسل ومعنا قما منكم من احد ما منكم من جماعة وكثير
من الناس يتوهمون ان معنى ذلك انه نكرة وقعت فى سياق النفى فعمت فكانت
بهذا الاعتبار فى معنى الجمع كسائر النكرات وفى التلويح نقلا عن النحاة انك
اذا قلت ما جاءنى احد فالفعل منفى عن واو ولا يجوز استعماله فى الاثبات
وهذا مشكل لان اللفظين صورتهما واحدة ومعنى الوحدة مجموع فيهما
والواو فيها اصلية فيلزم قطعا انقلاب الالف عنها فيهما وان يكونا مشتقين
من الوحدة واما جعل احدهما مشتقا منها دون الآخر فترجيح من غير مرجح ولم
ار من تعرض لهذا حتى رأيت العلامة القرافى فى كتابه العقد المنظوم فى الفاظ العموم

اجاب عنه

اجاب عنه بان احدا الذى لا يستعمل الا فى النفى معناه انسان باجماع اهل
اللغة واحد الذى يستعمل فى الاثبات معناه المفرد من العدد وان كان مسمى احد
اللفظين غير مسمى الآخر غالبا فى الاستعمال فانه مناسبة بين اللفظين فى الحروف
والمعنى ولا يكفى فيه احدهما فعلم من هذا ان احدا الذى لا يستعمل الا فى النفى هو
واحد المستعمل فى النفى والاثبات فان وجدت المقصود منه انسان فهو الاول
والفه ليست منقلبة عن واو وان كان المقصود منه نصف الاثنين فهو الثانى
للنفى والاثبات والفه اصلية انتهى وفيه بحث واليه اشار الى هذا هنا
بعض الشراح ولم يهتد به وقال ابو الجوزا بفتح الجيم وواو ساكنة وزاى
معجمة يليها المد وله ايضا ابو الجوزا بهملتين راوى حديث
القنوت وهذا اسمه اوس بن عبد الله الربعى البصرى يروى عن عايشة رضى
الله عنها وصفوان بن عسال رضى الله عنه وغيرهما وهو ثقة كما قاله الحاكم
واخرج له الستة وتوفى سنة ثلاث وثمانين مقتولا فى الجماجم ما اقسم
الله بحياة احد غير محمد صلى الله عليه وسلم لانه اكرم البرية عنده صلى الله
عليه وسلم قيل غيرها منصوب على الاستثناء وقد سمعته انفا مع ما له وعليه
وقد مر ايضا ان عند ظرف مكان فلا يضاف اليه تعالى حقيقة وورد فى القرآن
لمعان منها الحلم والعلم كما فى اية الافك وفى قوله كان عند الله عظيما وقد يراد بها
القرب ورفعة المرتبة وهو يكون بالثواب على انواعه ويصح ارادة كلها هنا والبر
الخليقة من بر النسمة فيجوز همزه وتخفيفه والثانى افصح واكثر وهو يدل على
انه غير معتل من البر بمعنى التراب كما ذهب اليه بعض اهل اللغة ثم انه قيل
ان الاكرمية لا تقتضى حصر القسم فيه دون غيره ولا حصرها على حياته
دون ذاته فالتعليل غير تام الا ان يقال العادة قاضية بان من احبوه وعظموا ان
يقسموا بحياته دون ذاته فان القسم بالذات انما يقتضى العظمة والشرف
ولا يلزم من التعظيم القسم ولا التخصيص به فان القسم مطلقا قد يتعدد
المقسم به وقد يقسم بفاضل دون ٢ مع وجود الافضل وكون الاكرمية
تقتضى التخصيص ببعض الامور فلذا خص بما ذكر لانها تقتضى هذا بخصوصه
لا يخفى ما فيه اقول هذا كله من التعسفات التى لا حاجة اليها
فان فيما ذكر تعظيما وتكريما خصه الله به على ما اختاره المصنف رحمه الله
فلا يحتاج الى اقامة برهان منطق عليه وكله من ضيق العطن وانما تعرضت
له ليلا يظن ان فى السوداء رجال واكرم من الكرم وهى صفة جامعة لكل خير ويقال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

هذا اتكرم علي اي هو عزيز عظيم في قلبي ونظري وفي العرف يختص بالجود
وليس بمراد هنا لا بمعنى انه اكثر جامعيته لكل خير عنده وقال تعالى يس
والقران الحكيم الايات لم يصرح ببقية الايات لانها ليست مما نحن فيه بل
باعتبار المقسم عليه من الفصل التالي ولم يذكرها هنا اكتفاء بما ذكره هنا
وتعنتا في التصريح ببعض المقاصد والتلويح لبعضها والتعنتن في الطريق
فن من فنون البلاغة وسيأتي في اسمائه صلى الله عليه وسلم ما يتعلق
بيس اختلف المفسرون في معنى يس على اقوال فحكى ابو محمد مكي رحمه
الله تقدم الكلام في ترجمته والاقوال فيه كثيرة حكى منها بعض الشراح ستة
وهي ان معناه يا سيد او يا انسان في لغة طي كما يأتي او هو اسم من اسماء
الله لانه السيد الحقيقي او يا محمد او يا رجل او هو اسم من اسماء القران كله او
سورة منه وما عدا الاخير في كلام المصنف وفيه قراءات فتح الياء وكسر
النون وفتحها وكسر الياء واظهار النون وهل هو معرب او مبني وجهان
ايضا ومعنى الحكيم ذو الحكمة او الحكيم صاحبه او المحكم انه روى بصيغة
المجهول وفي تخريج الشيخ قاسم انه اخرجه ابن عدي في الكامل من حديث علي
وجابر واسامة بن زيد وابن عباس وعائشة رضي الله عنهم وفي سنده نقال
وقال السيوطي انه رواه ابو نعيم وابن مردويه باسناد فيه ابو يحيى الوضاع
وسيف بن وهب وهو ضعيف ولكن سيأتي عن قتادة مرفوعا وتعدد
طرقه قد يجبر ضعفه وليس مما يتعلق بالاحكام عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لي عند ربي عشرة اسماء تقدم ان عند الله بمعنى في علمه فالمعنى انه هو الذي
سماه لاختصاصه به وتكريمه ولذا قال لي دون الله والعدد لا مفهوم له فلا
ينافي الزيادة واليه اشار بقوله ذكر ان منها طه ويس وورد تسميته بهما
في لسان العرب كقول الحميري

يا نفس لا تخفي بالنصح جاهدة على المودة آل يسينا

اي آل محمد صلى الله عليه وسلم وزاد قوله اما الان في الحديث زيادة على ما ذكر اولا
لم يحفظ لفظه بعينه وطه قيل معناه يا رجل وقيل اصله طأها اي الارض
وسيأتي الكلام عليه اسمان له اي مما اسمان له صلى الله عليه وسلم بحذف حرف
النداء والقسم ويجوز على بعد ان يكون خبران وحكى ابو عبد الرحمن السلمي
عن جعفر الصادق انه اراد يا سيد فيه اطلاق السيد على غير الله
وقد قيل بامتناعه لحديث رواه البيهقي مسندا في كتاب الصفات عن مطرف

قال انطلقت في وفد بني عامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا انت
سيدنا فقال السيد الله الى اخره وتحقيق ان فيه للمصنف اربعة اقوال الاول
وهو الصحيح انه لا يجوز اطلاقه على الله وعلى غيره مطلقا فاذا اطلق على الله
فمعناه العظيم المحتاج اليه وفي غيره بمعنى الرئيس المتبوع وله شواهد من الكتاب
والسنة وكلام العرب الثاني وهو منقوله رحمه الله انه لا يطلق الا على غير الله
اذا لم يثبت اطلاقه عليه في الاحاديث المشهورة ولانه من السؤدد وهو الرياسة
على قومه وفخره ولذا لما اطلق على الله فشرع في بعض هذا كما مر الثالث انه
مختص بالله لان معناه المحتاج اليه المتصرف على الاطلاق وهذا لا يليق بغيره
تعالى الرابع التفصيل في المعرف بال فيختص بالله وغيره يجوز اطلاقه عليه وعلى
غيره فان قلت ما تصنع بالحديث اي السيد هو الله المفيد للحصر بتعريف الطرفين
قلت اذا وصفه لشيء واريد سلبه عن غيره حقيقة او ادعاء لهم فيه طرق
الاول التصريح باداة الحصر كقولك لا معبود الا الله الثاني ان يعرف الطرفان
وهو في معنى ما قبله الا ان فيه ايما الى ذكاء المخاطب لاستغنائه به عن التصريح
فقد يكون ابلغ من الاول الثالث وهي ادق طرقه ان يجعل من اثبته الزاعم له الصفة
عن من هي له حقيقة فيقال للدهري الذي يضف الامور للدهر الدهر هو الله اي لا تصرف
لغير الله في جميع الامور سوى الدهر وما سواه فاثبت التصرف كله لله ومعناه بطريق
برهاني عما سواه على حد قوله ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وهو نوع
من اخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر يسمى التلويح فصله عبد القاهر في
دلائل الاعجاز وهو مذكور في الكتاب اي كتاب سيبويه رحمه الله كقولهم عرفت بابه
السيف وتخته بينهم ضرب وجيع وما نحن فيه ان جرى على ظاهره فهو من هذا
القبيل فلا دليل فيه وقد مر بيانه ايضا فاعرفه فانه من ذخاير نفايس المستودعة
في دفاتر الخواطر الى ذلك في الكلام على الاسامي الشريفة عند قوله سيد ولد
آدم مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم بفتح الطاء منصوب بدلا مما قبله او
مصدر فعل مقدر اي خاطبه به مخاطبة مخصوصة به وعن ابن عباس رضي
الله عنهما يس يا انسان اراد محمدا صلى الله عليه وسلم رواه ابن ابي حاتم
وعن مقاتل الها لغة حبشية يسمون الانسان يس وعن ابن عباس رضي الله عنهما
الها لغة طي فقيل ان اصله يا انسين مصغرا اقتصر على بعضه لكثرة الدوران
به كما قال الامام تبعا للزمخشري وتعقبه ابو حيان بان المنقول عن العرب في تصغير
انسان انيسيان بيا قبل الالف واستدل به على ان اصل انسان انسيان لان التصغير

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يرد الاشياء الى اصولها ولم يسمع فى تصغيره انيسين ولو سلم تصغيره كذلك
فلا بد من بنائه على الضم مع ان التصغير اصله الحقير فيمتنع فى حق الانبياء عليهم
الصلاة والسلام ولذا قال لما قال ابن قتيبة فى المهيمن انه تصغير مومن واصل
مومن ابو لتهرته يا قبيل انه قريب من الكفر فليتق الله قايله وايضا الحذف
من اول المنادى غير معروف وسياتى الكلام عليه فى فصل اسمايه صلى الله عليه وسلم
وعلى هذا المنوال ما تقدم من ان اصله يا سيد فانه قيل انه اكتفا ببعض الكلمة
عن باقيها وهو مذهب للعرب مسموع فى كلامهم حكاه سيبويه وغيره فيقولون
الا تا بمعنى الا تفعل فيقول بلى فا اى افعل فيكتفون عن الكلمة ببعض حروفها
وورد فى الحديث كفى بالسيف شاه اي كفى شاهدا وقال التجانى التحقيق
انهم يكتفون ببعض حروف الكلمة معينين باسم بعض حروفها كقولهم قلت
لها قى فقالت قاف اى وقفت فيحتمل بسين ان يكون عبر عنه باسمين من اسما
حروفه لا بمسماه كما قاله الرازى وان كانت العرب قد تكتفى ببعض الكلمة كقوله
كانت مناها بارض لا تبلغها • اي منايا ها وقوله درس المنا بمتالع فابان
اي المنازل وله نظاير كثيرة **اقول** هذا محصل ما قالوه هنا وقال الادبا
كما نقله النواجى فى كتاب الشفا فى بديع الاكتفا ان الاكتفا كما قال علما البديع ان
يدل موجود الكلام على محذوف فيه وهذا الحد صادق على نحو واسال القرية على
احد القولين فيه ثم قسمه الى الاكتفا بكلمة كقوله سرابيل تقيكم الحر وسرابيل
تقيكم البرد والى الاكتفا ببعض الكلمة قال وهذا القول مما اخترعه المتاخرون
من اصحاب البديع واكثر منه الشعرا المتاخرون والتزموا فيه التورية كقول
الدماميني رحمه الله تعالى

يقول مصاحبى والروض زاه • وقد بسط الربيع بساط زهر
تعال بنا كر الروض المفدى • وقم نسعى الى ورد ونسرين

وقول ابن حجر رحمه الله تعالى

دع ياعذولى رق الملام فمذ سرى • عنى الحبيب فليت دام له البقاء
والطرف مذ فقد الرقاد بكى بما • يحكى الغمام فليس يهدى بالرقاد

وامثاله مما لا يحصى وفيه اشكال لان النحاة اتفقوا على انه لا يجوز الترخيم فى غير
المنادى بشروطه المذكورة فى بابه فيكون هذا وامثاله محلا بالفصاحة لمخالفته
القياس فكيف بعد هذا من المحسنات البديعة التى انما تستحسن بعد الفصاحة
وكيف يجوز ان يخرج على مثله القرآن الكريم وان كان فيه تورية لانها لا تجوز مثله

اللهم الا

سيد

اللهم الا ان يقولوا انه مقيس مغتفر فى الشعر وما وقع فى القرآن ليس منه بل هو
من ذكر اسم حرف من كلمة ايما الى بقيتها وليس من قبيل الترخيم وهو الذى اشار
اليه المفسرون فانظره فانه مما حاك فى صدرى ولما ارمن تعرض له وفى كلام
التجانى الذى مر انفا اشارة ما اليه وان لم يفصح به **وقيل هو قسم**
وهو من اسما الله تعالى قال السيوطى رحمه الله اخرجه ابن جرير وحرف
القسم مقدر معه والقسم بمعنى المقسم به **وقال الزجاج** ابو اسحق ابراهيم
ابن محمد شيخ العربية الامام فى الادب صاحب التصانيف الجليلة وتفسيره
مشهور وكان متينا فى الدين توفى ببغداد سنة ست او احدى عشرة وثلاث
مايه وقد بلغ سنه الثمانين واليه ينسب الزجاجى صاحب الجمل **قيل**
معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان فسين او يس علم له والمراد
بالرجل والانسان محمد ايضا صلى الله عليه وسلم واما ارادة النوع وانك النقاب
كما قيل فبعيد لا ينبغى حمل التنزيل على مثله وتقديرا وجعل العلم مجموع
يس لاشتهار علميته لا يرد عليه انه شاذ كقوله اصبح ليل كما قيل لانا نحمل جعله
بمعنى انسان ورجل فى اصل وضعه ثم نقل وجعل علما او نقول هو بالغلبة
التقديرية فلا يحتاج الى ان يقال ان بعض هذه المعانى تقدر وانما اعيدها
هنا تتميما لكلام الزجاج **وقال ابن الحنفية** رواه البيهقى فى دلايل
النبوة وابن الحنفية هو ابو عبد الله محمد ابن امير المومنين على بن ابى طالب
رضى الله عنه والحنفية امه واشتهر بنسبته اليها تمييزا عن السبطين رضى
الله عنهما وهو امام عظيم اخرج له الشيخان وغيرهما ولد لسنتين بقيا
من خلافة عمر رضى الله عنه وتوفى بالمدينة فى سنة ثمانين على الاشهر وقيل
قبل اخر فصلها البرهان فى المقتفى وترجمته مفصله فى التواريخ وهو من
كبار التابعين رضى الله عنهم **يس يا محمد** اي معناه هذا لانه وضع له ابتدا
او بواسطة كما مر وانما ذكره وان تقدم لبيان قايله وتعدد طرقه **وعن كعب**
الاحبار تقدم الكلام عليه **يس قسم** اي مقسم به او جعله قسما لتضمنه
له او مبالغة **اقسم الله به قبل ان يخلق السماء والارض بالفى عام** لم
يبين المقسم به ففيه الاختلاف الآتى السالفة وفى المواهب فى نقل كلام ابن
الحنفية اقسم الله باسمه وكتابه وفيه فايدة ستراها والعام والسنة
متقاربان معنى وللسهيلى رحمه الله كلام فى الفرق بينهما والمراد بمقدار
الفى عام والا فقبلهما لا يتحقق التين والاعوام لان الزمان بمقدار حركة

ابن الحنبلي

الفلك لا يرد هذا لان الفلك الاعظم العرش وهو مخلوق قبل السماء والارض
لقوله تعالى وكان عرشه على الماء كما قاله زين العرب في قوله صلى الله
عليه وسلم كتب الله تقادير الخلايق كلها قبل ان يخلق السماء والارض بخمسين الف
وفيه نظر ثم انه قيل انه شكل ايضا لان كلام الله قديم فلا قبلية فيه
ولا بعدية وخلقهما محدث واجيب بان المراد ابرازه في امر الكتاب واللوح
المحفوظ المكتوب فيه جميع الكاينات ولم يرتضه النجاني فقال الاولى ان يضعف
مثل هذه الروايات ما امكن فان صحت ترك علمها الى الله اذ مثله لا يقال بالراي
ولا يدرك بالاجتهاد وقيل القبلية المذكورة متعلقة بالاقسام وليس
المراد معناه التنسي القديم بل احداث ما يدل عليه عند الاشعرية وتعلقه
باسماعه وعروض اضافة مخصوصة بلا واسطة معتادة وهذا التعلق حادث
قبل خلقهما ولا محذور فيه غير كون الزمان موجودا قبل خلقهما وقد عرفت
اندفاعه وكونه المتعلق حادث ارتضاه بعضا يمتنا كالنفسي ومن لم يقل به
يدخل من باب التاويل وهو واسع مع ان منهم من جوز تعلق الكلام الازلي بالمعدوم
الذي سيوجد فلا منافاة الاقسام به ازليته الا ترى الى قولك الزمان الماضي
قبل المستقبل حيث يقصد مجرد سان تقدمه لا يخطر ببالك ان للزمان زمان
او ظرفية لنفسه اقول مثل هذا ورد في الحديث وهو كتبوا فالطعن
فيه لا يليق ولا بد من تاويله وهو ظاهر لان المراد انه اطلع عليه ملايكته
عليهم الصلاة والسلام قبلهما بهذا المقدار او قديما وهو المناسب هنا لافادته
اظهار عظم قدره في الملا الاعلى ومجرد تقدم العرش لا ينفعني الزمان بالمعنى
المتعارف فتدبر يا محمد انك لمن المرسلين ليس قوله يا محمد تفسيرا لياسين
لانه غير مناسب لما سبق له الكلام من ان الله اقسم به ولذا ذكر انك لمن المرسلين
الذي هو جواب القسم توضيحا لمراده بل هو بيان للمخاطب وليس مراده انه جواب
مقدر للقسم بياسين حتى يلزم عليه اجتماع قسمين من غير عطف على جواب
وهو مما اباه النحاة كما صرح به في الكشاف وقال ان العرب تكرهه وبينه
الذوق لا تسمع الا مع شاهد فالقسم واحد والواو عاطفه لا قسمية وقد خطر
لي توجيهه بان القسم جملة فاذا تعدد وكان بين الجملتين مناسبة تامة لان كلا
منهما قسم يقسم به على شئ واحد فيقتضي العطف واجتماع واوين وهو ثقيل
او حذف احداهما وفيه لبس وترك المصنف بقية التفاسير لكونه اسم السوء
لانه ليس مما هو فيه وجوز بعضهم ان يكون اشارة الى جواز تعدد القسم لزيادة

التعظيم

سيد

التعظيم والتاكيد وهو مخالف لما قالوه ثم قال والقران الحكيم انك
لمن المرسلين هذا من كلام المصنف رحمه الله تعالى اي قال يس والقران
الى اخره وما قيل من انه تنبيه على ان هذا قسم مستقل والمذكور جوابه
وجواب الاول مقدر وهو مراد كتب ايضا وان خالف كلام النحاة لا وجه له
فان قدر بكسر الدال المهملة المشددة اي ان قيل بهذا او عبر به لان فيه
وجوها اخر انه الضمير لسين والفا فصيحة اي اذا عرفت ما مر فان قدر الى
اخره انه من اسمائه صلى الله عليه وسلم وصح انه قسم كما سمعت عن كعب ولكن
وصح بمعنى ثبت او اريد به ذلك في نفس الامر لاحتماله عقلا وان في قوله فان
قدر ليست للشك بل هي شوطيه وجوابها قوله كان فيه اي في القسم وقيل
في يس وقيل في التخصيص ورد بانه لا تخصيص فيه الا ان يريد التخصيص
بالذكر من التعظيم مما تقدم من القسم بقوله لعمرك واورد عليه ان القسم
بالحياة فيه من التعظيم ما مر ولذا اقسم الله بذات غيره ولم يقسم بحياته
فالمراد ما تقدم من التعظيم العظيم وكانه ينسى قوله قبل هذا باسطر ان
كل احد يحلف بالعظيم عند وعلى هذا فهو منصوب بنزع الخافض لانه
في محل جر لانه لم يرد في غير لفظ الله الا شاذا وفيه بحث ويوكد فيه القسم
عطف القسم الاخر عليه عطف مرفوع فاعل يوكد والقسم منصوب
على انه مفعول مقدم والقسم بمعنى الاقسام وضمير فيه ليس او النظم
فالمعنى مظروف في اللفظ والاخر بالمد وفتح الخا وكسرها كما قاله
البرهان الحلبي وفي شرح الصفوي المعنى انه ذكر بعد نفسا به بالواو والمسا
والمساء رمنه العطف وليس اذا كان مقسما به فهو معطوف على مثله والا لم
تكن الواو عاطفه ولا المقسم به مثله او كان المقسم به عطفا على غيره والاول
احسن وانسب وفي العبارة مواخذات لان عطف قسم ثان على اول مثله
مبني على ان ليس قسم فكيف يوين مع انه مقسم به لا قسم فالوجه ان تقول
يوكد ذكر المقسم به الاخر وعطفه عليه لو كان قسما وذلك العطف اولى
فكذا قسميته اقول هذا مما لا ينبغي ان يصدر من مثله لان كون القسم
بمعنى المقسم به ظاهر فاعترافه ساقط وعطف القسم على المنادى الذي
زعم انه حسن باطل وتعين قسميته الثاني لجوه فان كانت الواو عاطفه وقد
فرض قسمية الاول ايضا كان مؤكدا له فلا معنى لما اعترض به وتوضيحه ان
المصنف رحمه الله تعالى لما نقل ان يس بمعنى محمد اتبعه ببيانه على وجه

سيد

اقول

لاختيار العطف لمزيته فقدمه والمعترض نوهم ان قوله ويوكد الى اخره
استدلال على القسمية بالعطف والتاكيد وهما انما يتحققان اذا كان قسما
والاستدلال على ان الشئ مما يتوقف وجوده عليه فاسد فقال ما قال
وكم له مثل هذه مما فرعت له العصا فيه وما يدلك على ما قلته قوله
وان كان بمعنى النداء فقد جاء قسم اخر بعده لتحقق رسالته والشهادة بهدايته
اى ان كان متلبسا بمعنى النداء وهو منادى بتقدير يا او بدون تقدير كما
مر فيه اى فى الكلام قسم اخر بالقران المنزل عليه فلا يكون مما نحن فيه
بل مما يتعلق بالفصل الخامس لكنه متعلق لما هنا لما استقل عليه من لفظيه
وتحقيق ذلك بقوله انك لمن المرسلين والشهادة بهدايته فى نفسه وغيره بقوله
على صراط مستقيم فالمقسم عليه رسالته وتحققها الدال عليه ال والالف واللام
الاسمية لانه بمعنى رسالته المحققه والقسم المؤكد لها ثم استانف لتوضيح
معنى الرسالة والطريق المستقيم فقال بيانا له على هذا الوجه وهو كون
يس قسما اقسم الله تعالى باسمه اى اقسم الله قسما ملتبسا باسمه وهو يس
العلم الدال على انه ولا بعد فيه كما قيل لان الظاهر ان يقول اقسم
به او بذاته او كما يقال والله والجزم بالقسم باسمه انما يتمشى اذا كان لفظ
الاسم مقحما او المراد بالواو اسمه وهو بعيد انتهى وقوله وكتابه بالجر عطف
على اسمه لا على الضمير المجرور من غير اعادة الجار لما فيه من مخالفة الافصح والاكثر
الى التاويل والقسم بكتابه منغن او بذاته فعلى الارجح عنده كما سمعته
انفا والضمير ان للنبى صلى الله عليه وسلم لا لله لما فيه من مخالفة الظاهر والتفات
الضمائر وعلى الاول الندا لا ينافى ما مر من انه لم ينادِه باسمه كما مر فتذكره
انه لمن المرسلين بوجه الى عباده بكسر ان لتقدير القول بالحكاية
بالمعنى اى قائلا انه الى اخره ولذا قال لم يقل انك والارسال بمعناه اللغوى
ولذا ذكر الوحى بعده لتخصيصه او بمعناه الشرعى على التجريد ومجرد ملاحظة
الثانى لا يكفى كما قيل وعلى طريق مستقيم متعلق بما بعده بيان للطريق وان
المراد بها التوحيد او هى تخييلية وزاد الواو اشارة الى انه خبر ثان مقصود
مقسم عليه لا متعلق بمن ارسل على هذه الطريقة فالقسم على امرين كما قال
صاحبه ان الارسال على امرين رسالة والشهادة بهدايته لا امر واحد هو انه
صلى الله عليه وسلم رسول يهدى طريقة مستقيمة ولا حال كما قيل لانه قريب
من هذا وان كان جعله قيدا لا ينافى القصد لان هذا اوضح وانزع فى المدح

سيد

اى كما مر

آى طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق اى بفتح الهمزة
وسكون الياء المخففة مفسرة للطريق المستقيم وهذا اعم من الايمان فهو تفسير
ثان على الاول وتشديد الياء على ان المعنى طريق واى طريق لانه لا عوجاج
فيه ولا طريق الى اخره تفسير لعدم الاعوجاج مخالف للرواية والظاهر
وان جاز وقد تذكرت هنا قولى من الحسن
من احسن العشرة فليلتزم سماحة النفس وترك اللجاج
وليستر المعوج من خلفهم اى طريق ليس فيه اعوجاج
قال النقاش هو ابو بكر محمد بن الحسن بن احمد الموصلى البغدادى المفسر
روى عن ابى مسلم الكجى وطبقته وقرا بالروايات حتى صار شيخ القرين فى
عصره على ضعف فيه وقيل انه كان يكذب فى الحديث فكذا قالوا ان روايته
منكره وتفسيره ليس فيه شفا للصدور والغالب عليه القصص الا ان ابا
عمرو الدانى اثنى عليه وروى عنه حكاية تقتضى رده وفى حاشية التلمسانى
انه مرخ توفى سنة احدى وخمسين وثلاثمائة وله ترجمة فى الميزان ولطبقات
القراء وقال ابو شامة فى شرح الشاطبية انه ضعيف عند النقل وقال الجعبرى
رحمه الله المضعف له غالط لو يقسم الله لاحد من انبيائه عليهم الصلاة والسلام
بالرسالة فى كتابه الا له اى بسبب الرسالة او لم يقسم على رسالة لاحد غيره كما
فى هذه الاية وهذا وان دل على ان غيره مرسل ايضا الا ان المقسم عليه بالقصد
الثانى رسالته صلى الله عليه وسلم وعدل الى قوله انك لمن المرسلين عن قول رسول
او مرسل وهو اخصر لتثبت رسالته والله غريق فيها الى تعالى على نهج قولك انت
من العالمين لانى فلانا من العلما ابلغ من علما قرن علما البيان وفصلنا
فى غير هذا المحل اى لم يذكر هذا القسم فى القران لعموم تشريفاته صلى
الله عليه وسلم له ولشدة انكار قومه رسالته تشريفا له صلى الله عليه
وسلم ولشدة قومه قالوا حاموكدان تاكيدات وفيه من تعظيمه
وتحميده وعلى تاويل من قال انه يا سيد ما فيه التمجيد تعجيل من المجد
وهو العز والشرف والتاويل حقيقته فى اللغة معرفة مال الشئ وما يرجع
اليه من الامر شاع فى معنى التفسير مطلقا وقد يخص التفسير بما كان منقولا عن
النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة رضى الله عنهم والتاويل بغيره وقد يخص بحمل
الكلام على المعنى الخفى دون الظاهر وقال العراقى رحمه الله المراد هو الكلام
الذى فيه الاحتمال الخفى مع الظاهر كالحقيقة والمجاز والعموم والخصوص والاطلاق

اهل مصر

والتقييد وضمير فيه الاول ليسين وقوله ما فيه فيه ايجاز ومبالغة اى فيه
امر عظيم لا يمكن الوقوف عليه كقوله تعالى الحاقة ما الحاقة لو صفه بالسبق
المطلقة المفيدة للعموم في المقام الخطابي فيفيده تفوقه على من سواه لانه
صلى الله عليه وسلم واسطة كل خير وقد تقدم الكلام في اطلاق السيد
على الله ومعناه ووزنه فيعل بكسر العين من السؤدد فاصله سيود وقيل
انه فيعل بفتح العين فغير على ما مر وحملهم على هذا انهم لم يجدوا في الصحيح
فيعل بالكسر بل بالفتح كصيقل وضيغم ولذا ذهب بعضهم الى ان اصله فيعل
ورد بانه لا مانع من اختصاص العلل بوزن بخصه ثم عقب هذا بحديث يناسب
السيادة ويدل على عمومها في حقه صلى الله عليه وسلم فقال وقال صلى الله عليه
وسلم انا سيد ولد ادم اى جميع اولاد ادم وكل البشر لان الولد يكون ولدا
وجماعة كما قاله التلمساني وفي نسخة ولا فخر ادعا العظمة والشرف
والاعلان بذكره اى لا اقوله منبجحا ولا افتخارا بل تحدثا بنعم الله وشكرا
له كما قاله ابن الانير وقال ابن فرقول اى لا فخر في الدنيا عندي اى لا اتعظم
ولا اتكبر بذلك فيها وان كان له الفخر الاكبر في الدنيا والاخرة وفي هذا الحديث
روايات منها انا سيد ولد ادم يوم القيامة كما رواه مسلم والترمذي قال
النجاني فيه نجاة الى النجاني انجاء جميع الخلايق له صلى الله عليه وسلم في ذلك
اليوم من غير منازع كما في الدنيا وهو كما قال الله لمن الملك اليوم وفيه دلالة على
جواب مدح المرء نفسه اذا قصد التحدث بنعم الله وقد قيل انه واجب عليه
صلى الله عليه وسلم لتبليغ امته ما يجب في حقه ولذا قال تعالى واما بنعمة ربك
فحدث وهذا لا ينافي سيادته صلى الله عليه وسلم على الملايكة وما سوى الله وقوله
ولا احتراسا عما يتوهم عن الكبر على حد قوله فخر فستقي ديارك

فسقى ديارك غير مفسدها ٠ صوب الحيا ودمنة تسمى

وهذا مذكور على سبيل الاستطراد والتتميم ومر في الخطبة الكلام فيه وان الاخبار
على ثلاثة اقسام وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد
يعني لا نافية للقسم واقامة الظاهر مقام المضمر ولم يقل وانت حل بهذا استعظاما
لحاوله فيه والبلد مكة حرسها الله كما اشار الى توضيحه بقوله قيل لا اقسم
به اذا لم تكن فيه وروى اذ لم يكن وهما بمعنى هنا اي بعد خروجك منه حكاه
مكي رحمه الله تقدمت ترجمته اشارة الى ان عدم القسم به لخروجه منه ولو
قال اذا خرجت كان اوضح واخصر وفيه ايما الى ان القسم في سورة التين بقوله

وهذا

وهذا البلد الامين لكونه فيه فلا تنافي بين الايتين اذا كانت البلد فيهما بمعنى
فاذا كان صلى الله عليه وسلم فيها فهي حقيقة بالاقسام بها لان شرف المكان باهله

كما قيل

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديار

وهو منتظم مع ما بعده من قوله ووالد وما ولد الى اخره اى لا اقسم بالبلد وقسم
بغيره أو قوله بغير قسم بنا على انسحاب النفي عليه أولا اقسم بهذا الجلالة
المقسم والمقسم عليه وان كان ما يذكر مما يقسم به لعظمه ففيه تعظيم لما نفي القسم
عنه فلا وجه لتوهم عدم الانتظام وقدم هذا الوجه لرجحانه عنده كما ذهب
اليه الامام رحمه الله وقيل لا زايدة اي لا اقسم به زيادة لتأكيد المعنى المقصود
وليست لغوا لافادتها تاكيد الكلام وتقويته وتحسينه وان كان حذفها
لا يغير اصل المعنى فانه دفع قول الامام انه مانع من الانتظام وموهم لجعل
الاثبات نفيا ويلزمه عدم الاعتماد على القرآن مع ان لا تاتي زايدة مع القسم كثيرا
وقد تزاد في غيره ايضا وذهب بعض النحاة والمفسرين الى انه لا يطلق
على مثله انه زايد بل يقال تاكيد بما صلة وهو كلام حسن وقيل لا النافية حذفت
انا واسبعت الكلام ويوبن انه رسم في الامام بلا الف وانه قرى شاذا لا اقسم
بلام الابتداء وانت به يا محمد حلال أو حل لك ما فعلته فيه جملة حالية
وهذا مبني على المفسرين في هذه الاية بالاثبات والنفي او في معنى الحل او على
كليهما ليكون الكلام افيد وحل له معان فيكون ضد الحرمة وبمعنى الاقامة بالمكان
والاسم منها حل بالكسر وحلال بمعنى جايز ومقيم وفعل يكون اسما كجذع وصفة
كنقض ومصدرا كالعلم والى كل من المعنيين هنا ذهب بعض المفسرين فالمعنى
اقسم بهذه البلد وانت مقيم بها لشرفك وعظم عندي او اني حللت لك ما لم احل
لغيرك في هذه البلد من القتل وغيره وهذا ما لنسخ حرمتها أو هو خصوصية
له صلى الله عليه وسلم لقول الله عز وجل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم
على ظاهره او فسر بالحرم وهذه الاية محكمة عند ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد
لما رواه الشيخان من قوله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ان الله حرم مكة يوم
خلق الله السموات والارض ولم تحل لاحد قبلي ولا بعدي وانما احلت لي ساعة
من نهار ثم عادت حراما الى يوم القيمة وقتاله صلى الله عليه وسلم وقتله وامره
بقتل من لجا الى الحرم كابن خطل من خصايصه صلى الله عليه وسلم كما روى عن
السلف واورد عليه الجعبري في كتاب النسخ ان قوله لعلهم يدل على الحرمة

دلجي

فيكون نسخا ولو كان لا ستمر فيكون رخصة لا نها استباحة مع المانع وبه قال
ابو حنيفة رحمه الله وقال قتادة والضحاك هي منسوخة بقوله تعالى
اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبايات اخر غير معناها وتمسكا بفعله
صلى الله عليه وسلم ولا دليل فيه لتصريحه بالتخصيص وبه قال الشافعي انتهى
وفي الاية تسلية له صلى الله عليه وسلم اي ان اخرجوك منها فستعود لها
وتفعل فيها ما تريد وتثبيت ووعد بالنصر والاول على تقدير ثبوت القسم
والثاني على انتفايه او كل منهما جار على التفسيرين وفيه تفاسير اخر فقيل
المعنى وانت حلال اي غير محرم مقيم بها او المعنى يستحلون ايذاك واخراجك
منها وهو تثبيت لها وتعجيب له مما جرى عليه او اشارة الى عدم علة القسم
فاندفع الاعتراض بان الحال يقتضي عدم القسم بعد الخروج فيتنافيان ويجوز
اجراؤه على الوجهين وقيل المعنى لا اقسم وانت ستحل او انت حال فانه حينئذ
ينبغي القسم بك فانه الا انه لا يناسب كلام المصنف وهو امر سهل وقال القشطالي
فان قلت هذه السورة مكية وانت حل لهذا البلد اخبار عن الحال والواقعة
التي وقعت في اخر هجرة المدينة فكيف الجمع بين الامرين واجيب بانه
قد يكون اللفظ للحال والمعنى مستقبلا كقوله انك ميت وانهم ميتون واستشكل
هذا بانه يلزمه اختلاف زمني الحال وعاملها الا ان يقال الجملة معترضة
لا حالية فتتضمن وعدا فيه مخالفة بواسطة تنزيل المستقبل المحقق منزلة
الحال الماضي كما يدل عليه قوله فعلته فيه قيل وفيه اشارة الى عظم
شانه صلى الله عليه وسلم بعد التنبيه على عظم مكانه دفعا لما يتوهم من ان
المكان اشرف او ان شرفه مكتسب منه والمراد مكة والمراد بالبلد عند مولاة
مكة وقيل غيرها كما سياتي وقال الواسطي نسبة لواسط مدينة مشهورة
وهو الامام العارف بالله تعالى ابو بكر ابن موسى وهو ممن صحب الجنيد بعد
الثلاثمائة وعشرين وهو من اجلة العلما والصوفية اي حلف بهذا البلد
الذي شرفته بمكانك فيه حيا وبركتك ميتا محلف بنون مفتوحة
وحا مهملة تليها لام مكسورة وفا كذا ضبطه في المقتفى ولو قرئ بالبا
التحتية صح ايضا وفاعل الحلف على كل حال هو الله تعالى وتسمى هذه النون نون
العظمة لان اصلها للمتكلم مع الغير كنحن الا ان العظيم يتكلم بها ويطلقها
عليه غيره تعظيما لعدد بمنزلة حضرة جماعتان كثيرة اولان له اتباعا في امر
خدمته اذا اراد فكني عنه عنهم ولذا قال الراغب في مفرداته ان الله تعالى انما

يوردها

يوردها في كلامه فيما يفعله بواسطة ملايكته عليهم الصلاة والسلام كقوله انا نحن
نزلنا الذكر وفي شرح التسهيل انه متصور على السماع لا يهامه التعدد فلا يجوز لنا
له وبه افتى علماء الحنفية فاولا ولى حينئذ الغيبة هنا وعلى نون العظمة تذكرت
ما تظرف به ابن ساعد المصري في قوله عنه

اعمره بناظري ولم افه بكلمه • بحبني حاجب لكن بنون العظمة

وقول الملكي صرفته لمكانك اي جعلته اي حصل لذ ذلك لاجلك ولاجل تفظيمك
تشريفه لانه بحلوله فيها صارت حرما ومهبطا للوحي ومنبعا للدين وقد قالوا
ان هذا القسم او خلق تفظيمه صلى الله عليه وسلم من القسم بذاته وبحياته
كما اشار اليه عمر رضي الله تعالى عنه بقوله بابي انت وامي يا رسول الله قد
بلغت من الفضيلة ان بهذا البلد ومكانك بمعنى كونك وحلولك فيه مصدر
ميمي ولذا اعمله كقوله

اظلوم ان مصابكم ظلما • اهدى السلام تحية ظلما

ولو كان اسم مكان لم يعمل كما صرحوا به ولو قال المصنف رحمه الله تعالى
بمكانك وتركتك حيا وميتا كان اولى لان الانبيا عليهم الصلاة والسلام
احيا في قبورهم حياة حقيقة وان قيل انه تقتض لان بركته صلى الله عليه
وسلم في حياته كناية عن علم يعني المدينة والاول اصح لان السورة مكية
يعني ان هذا القايل اراد بالبلد المدينة لانها مكانه صلى الله عليه وسلم
في حياته ومماته وهي على القول الاصح عند المفسرين مكية لان هذه السورة
نزلت بمكة فالاشارة في حال النزول تقتضي انها مكية لان هذا يشار به للقريب
الحاضر وقت الخطاب والمدينة على هذا ليست كذلك ولذا قيل انه مجمع
عليه وتنزيلها منزلة الحاضر القريب مخالف للظاهر رواية ودراية
واشار بالاصح الى قول ضعيف نقله ابن عطية ان السورة مدينة فلا وجه
للاعتراض على المصنف كما في شرح البخاري ولشدة ضعفه وضعف ما بني عليه
لم يعتد به مدعي الاجماع وما بعده يصححه مبتدا وخبر اي ما بعد القسم وهو
قوله وانت حل بهذا البلد يدل على صحة ان المراد مكة وفساد قول الواسطي
قوله قوله بهذا البلد خبر مبتدا مقدر مع الاقتصار على مناط الدليل واصله
وهو قوله وانت حل بهذا البلد ويجوز ان يكون بدلا مما قبله بلا تقدير وفيه بحث
كما اشار اليه بعض الشراح لان القايل لا يسلم ان السورة مكية فالبلد في الموضعين
عنده المدينة والاشارة فيهما لها وحل بمعنى حال مقيم فكيف يقام الدليل عليه

ابن الحنبلي
شبكة الألوكة www.alukah.net

بما لا يسلمه فالملايق الاقتصار على رواية خلافه لصحتها واشتهارها وقيل
ان قوله لان السورة الى اخره مجموعه علة للاضحية وهو قوله وانت الى اخره وكونها
مكية الا انه انما يتم على تفسير حل بما لا يتصور في حق المدينة كالحلال غير المحرم ومن
الجائز ان يفسره الواسطي بالحال النازل ويقول البلد فيهما المدينة والسورة مدنية
فلا يلزمه شئ مما مر ولا يخالفه قاعدة اعادة المعرفة معرفة كما
اذا اريد بالاول المدينة وبالثاني مكة على انه وعده له صلى الله عليه وسلم بانه سيكون
بها حالا غير محرم على ما فيه من الاشارة في كلام واحد لغايب وحاضر تنزيل الغايب
منزلة الحاضر لنكتة والمراد بالاول القول بانها مكية كما بيناه وقيل يجوز ان
يريد به القول الحاكم بان لا نافية للقسم وما بعده القول الحاكم بالمقارنة
ويصححه قوله وانت حل بهذا البلد اذ في كونه حلا به اشعار بثبوته مع كونها
زايدة انتهى ولا يخفى ما فيه من التكلف وعن قال ابن عطا في تفسير قوله وهذا
البلد الامين اصل معنى النحو القصد ومنه علم النحو لانه يقصد نهج كلام العرب
افرادا او تركيبا ثم استعمل للناس بمعنى مثل وشبه وشاع حتى صار حقيقة فيه
اي مثل ما تقدم من القسم بمكة لتعظيمه صلى الله عليه وسلم او نحو قول الواسطي
في ان المحله صفة مدح بواسطة قول ابن عطا وان كان الواسطي في حق المدينة
وقول ابن عطا في حق مكة وذاك بسببه وهذا التشريفه بما فيه من الاتيان
بدعوة الخليل وتعليق الاقسام على صفة الامان تفيد عليته له والامين فعيل
بمعنى فاعل فهو امن لقوله ومن دخله كان امنا بمعنى المومون على ما اودعه
من البركات اولانه مامون على الغايلة وتحقيقه في الكشاف وشروحه
قال امنها الله لمقامه فيها وكونه بها في المقتفى امنها بكسر بقصد
الهمزة وتشديد الميم كما في النسخ ولا اعرف فيه الامد الهمزة وفتح الميم يعني
ان المعروف في اللغة مجيئه ثلاثيا ومن باب التفعيل واما الافعال فمن الايمان
وقوله لمقامه بضم الميم بمعنى اقامته ويجوز فتحها بتكلف والوجه الاول وعطف
كونه بها على ما قبله مرادف بمعنى وجوده فيها وفي نسخة بمقامه بالباء التبيية
فالامان بسببه وقد فهم من الاية ان الاقسام لاشعار الترتب بالعلية
فيكون الاقسام بسببه ايضا فان كونه اي وجوده امنا اي موجب
للامان حيث كان اي حيث وجد بذاته الشريفه والحيثية قد تزاد للتعميم اي
مكان كان لقوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وهذا الامان كان بعد
وجوده قريبا من وجوده كما امنه به من الفيل واصحابه لان ولادته صلى الله عليه وسلم

كانت في ربيع

كانت في ربيع الاول من عام الفيل وقصة الفيل في المحرم وقال بعض الشراح
الاظهر ان هذا الامان كان بدعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقوله
اجعل هذا البلد امنا ومن دخله كان امنا واجاب الله دعاءه فقال واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واجيب عنه بانه
لا يبعد ان يكون كل ذلك بتركته صلى الله عليه وسلم ويمن وجوده فيه فلما علم
الله انه سيصير مقام حبيبه عليه الصلاة والسلام عظمه وقبل دعا خليله او يكون
استدامة ذلك واستمراره بسببه ولا يبعد ان يقال ان المصنف اشار الى هذا
بقوله ثم قال ووالد وما ولد عطف على هذا والمفسرون اختلفوا في تفسير
الوالد فقال بعضهم من قال اراد به آدم عليه الصلاة والسلام فهو عام اي ما
ولد على هذا التفسير عام شامل لجميع اولاده لا يختص بفرد منهم فالقسم على
هذا بنوع الانسان لانه اشرف مخلوقاته ونسخة توحيد ذاته وصفاته
وهذا الجمهور لتبادره الى الاذهان من غير داع للعدول عنه وقيل المراد على هذا
الصالحون منهم وقال ولا يبعد ان يراد الفرد الكامل منهم وهو محمد صلى الله عليه
وسلم فيكون القسم بالاول والاخر ولا ادري ما وجه تركه وعدم تعرض احد
من المفسرين له وكانه لعدم دليل عليه فتدبر ومن قال هو ابراهيم عليه
الصلاة والسلام وما ولد ضمير هو للوالد او لمجموع الوالد والولد والثاني اولى
وقيل الاولى ان يقول على منوال ما سبق ومن قال اراد ابراهيم والضمير في
قوله فهي انشا الله تعالى للقصة وانث باعتبار الخبر وهو قوله اشارة الى
محمد صلى الله عليه وسلم يعني هو المراد من قوله وما ولد عند هذا القايل
وهو ابو عمر الجوني كما نقله في زاد المسير وقيل هم العرب وقيل اولاد ابراهيم
عليه الصلاة والسلام او الصالحون منهم ولكونه غير متعين من النظم
اطلق عليه الاشارة لخفايه والمشهور اطلاق الاشارة على ما دل عليه اللفظ دلالة
التزامية كاشارة النص وقوله انشا الله قيل انه للتبرك والاهتمام بما بعده
او هو تاديب منه في الحكم بان مراد الله او اشارة الى ان فيه احتمالا اخر وجوز
بعضهم ان يكون تغليبا على ظاهره وقد ذهب الى هذا اكثر المفسرين
لانه لما حمل الوالد على الكثرة افراده ناسب ما بعده حمل على كله وقيل المراد
بالوالد محمد صلى الله عليه وسلم لحديث انما انا لكم بمنزلة الوالد والوالد امته او
ذريته صلى الله عليه وسلم وقال فيه ما دون من وما في الاصل لما يعقل لان
كثيرا من الصفات جرين او لتاويله بالمبهم اي الولد الكامل الذي لا يدرك كنهه

البلد الامين

سيد

سيد

شبكة الألوكة www.alukah.net

ذاته لتاهبه فى الكمال اقول المختار عند صاحب الكشاف وغيره من المحققين انه مطرد فيما قصد به المعنى الوضعى كالمولود هنا نظرا للصفة فانها ليست من جنس العقلا كما فصل فى حواشى الكشاف قال الزمخشرى فى قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النسا التفرقة بين من وما انما هو اريد الذات واما اذا اريد الوصف فيجوز ذهابا الى الوصف وقد خفى هذا على بعض الافاضل وظاهر كلامهم انه معنى حقيقى فان قيل بانه يجوز ان يكون فيه تغليب قيل هو دقيق لم يتنبهوا عليه وهو تغليب احد جزى المدلول وانما ذكروه فى الجزئيات والتنكير فيه للابهام المستقل بالمدح والتعجب كما قيل فتضمن السورة القسم به فى موضعين اشارة الى نشاته بما قبله اى اذا كان كذا فقى ضمن هذه قسم بمحمد صلى الله عليه وسلم مرتين احدهما فى البلد التى هى محله فان القسم بمكانه قسم به صلى الله عليه وسلم ابلغ من القسم بذاته وحياته كما مر تحقيقه والثانى فى قوله ومولود على هذا التفسير والقول بانه اقسم بولده وهو فى صلبه فكانه اقسم به بعيد غاية البعد واما القول بانه لتفسير الوالد بمحمد صلى الله عليه وسلم كما فى الكشاف فغير صحيح لانه ليس فى كلام المصنف ذكر له بوجه من الوجوه وهو عجيب من قائله اللهم الا ان يقال من اقسم باحد ممن مضى من ابائه قاصدا تعظيمه فكان اقسم به اى بصفة من صفاته وهى شرفه حسبه فتامل وقال تعالى الم ذلك الكتاب ذلك اشارة الى الم على انه طائفة من الحروف او اسم السورة او القران تنزيلا له منزلة المحسوس المشاهد البعيد لرفعة قدره او لتعظيمه كما فسره المفسرون وقال تعالى الم ذلك الكتاب قال ابن عباس رضى الله عنهما هذه الحروف اقسام اقسم الله بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك الاقسام جمع قسم بمعنى المقسم لقوله بها وقد روى عن ابن عباس وغيره من مفسرى السلف فى هذه وفيما ضاهاها اقوال غير ما ذكر قال الشريف كما روى عن الخلفا الاربعة انها اسما استاثر الله به قال البيضاوى والعلم اراد وا انها اسرار بين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب مما لا يفيد وفيه انهم صرحوا بانه مما لا يعلمه الا الله فانه احق الحكمة فلم يحاسوا عما فرمنه اقول فيه انهم قالوا ان التعقيد المعنوى يخل بالفصاحة فكيف بما لا يمكن علمه وما ذكره لا يدفع ما قاله

فالحق

فالحق فى جوابه ما قاله الفاضل الليثى بان هذا انما يشترط فيما قصد به تفهم المخاطب كما فصله فى حواشى المطول وهذه الحروف اشارة لما ذكروا الى جميع حروف المعجم كما يقولون تعلمت اب اى جميع الحروف المقطعة كما قال ابن قتيبة فهى اقسام متعددة جوابها مقدر اى لقد بينت لكم السبل واوضحت لكم الدلالة بهذا الكتاب المنزل بقرينة قوله ذلك الكتاب وفيها اقوال كثيرة تكلفت بها التفاسير فلا حاجة لذكرها هنا والى هذا اشار بقوله وقال سهل ابن عبد الله التسترى لقدم ما فيه قال السيوطى رحمه الله تعالى رواه ابن جرير وابن ابى حاتم الالف هو الله تعالى واللام جبريل والميم محمد صلى الله عليه وسلم قيل ان هذا غير واضح المعنى ولا بد له من ماخذ وفى تفسير الاصبهانى نحو عشرين قولا لم ار فيها هذا الا انه حكى عن الضحاك ان اللام من جبريل والميم من محمد صلى الله عليه وسلم والالف من الله وهى اقسام اقسم الله تعالى بها وهو فى غاية اللطف والدقة فان كان المراد هذا فهو واضح لانه اذا اقسم بحرف من اسمه دل على شرفه وفى هذا تقديم جبريل عليه الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم فربما تعلق به مدعى التفضيل يعنى انه لم يقل انها حروف من اسمائهم بل جعلها هاته علمهم ووجهه فى غاية الخفا فان نزل على ما ذكره الضحاك انفتح لكن العبارة غير ظاهرة فيه فرده بانه لا طائل تحته دعوى بلا دليل وان كان فيه قسم بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو مناسب لما هو بصدده واما تقديم جبريل عليه الصلاة والسلام هنا فلانه واسطة بين الله ورسوله فالاغراض به فى غاية التستوط كما اشار اليه بقوله وعلى هذا القول الشرقندى ولم ينسبه الى سهل وجعل معناه الله انزل جبريل عليه الصلاة والسلام على محمد صلى الله عليه وسلم بقول وفى نسخة بهذا القران لا ريب فيه كما حكاه القاضى بمعناه عن ابن عباس رضى الله عنهما يعنى انه لوضوح شانه واعجاز لا يرتاب عاقل فيه بعد النظر وان كثر المرتابون كما قال وان كنتم الى اخره وعلى الوجه الاول الذى رواه عن ابن عباس وهو القسم بالحروف يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه ان بالفتح اى على انه قسم فى قول سهل وعلى هذا فجواب القسم لا ريب فيه وقيل الجواب مقدر يدل عليه قوله ذلك الكتاب لا ريب فيه لا جواب بتقدير اللام لانه لا يسوغ حذفها الا اذا استطال القسم كما فى المغنى وحذف الجواب ورد فى القران فى قوله ص والقران ذى الذكر بانه لمجز

ابن افرس

شبكة الألوكة www.alukah.net

وانك لمن المرسلين فاتى بذلك لهذا الان التعظيم يكون باشارة القريب
والبعيد كما تقرر في المعاني والنكات لاتراخي النزول وفي انهما على حد سوا
ام لا كما قيل لا طايل تحته وفي شرح التسهيل الخبر انه اشار بهذا الى
ان الظاهر الاشارة بالقريب الحاضر في الذهن وانما عبر بذلك لتنزيله
منزلة البعيد للتعظيم ولم يرد تقدير حق بل بيان ان لاريب خبر بمعنى حق
فرقيه من فضيلة قران اسمه باسمه نحو ما تقدم في الم والوجه في هذا القول او
القسم او الكتاب على قول سهل مطلقا او على ما ذكره الشمني لدلالة
الحروف المقطعة من الاسما اولا لانها عليها كانها اسما واشار بقوله نحو
ما تقدم الى ما مر في قوله ورفعنا لك ذكرك ولا يخدش القران توسط
اللام المفسره بجبريل لما في وقوعها في ذكر واحد من القران لاسيما وجبريل
عليه الصلاة والسلام سفير محض بينهما لا بعد فاصلا قيل وكون
الالف من اول اسم الله والميم من وسط اسم محمد صلى الله عليه وسلم واللام
من اخر اسم جبريل لما ذكر مناسب وقال ابن عطا في قوله تعالى ق والقران
المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم فالقاف
بمعنى القوة على طريق الاكتفا كما في قوله

قلت لها قفي قالت قاف والظاهر ان مثله لا يقال بالراى فلا وجه
للاعتراض بانه لم لا يجوز بان تكون من مقدوره الله تعالى ونحو وقدمت ترجمة
ابن عطا رحمه الله تعالى وقوله حيث حمل الخطاب والمشاهدة اي
حيث تحمل واطاق خطاب الله له ورويته ليلة الاسرا او مشاهدة
للكوت ومهما بنه مما تتهدله الجبال ولا تطيقه الملايكة على احد تفسيري
قوله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم او مشاهدة التجليات القلبية
ولو يوثر ذلك فيه لعلو حاله اى لم يصعب ويشق عليه حتى يمنعه
من تحمل مثله وقوله لعلو حاله تعليل اي ان له صلى الله عليه وسلم حالا
في ثبات جنانه ورفعة شانه لما اودع في قلبه من اليقين وقيل هو
اسم للقران وضمير هو لقاف وهذا القول تفسير ما نقل عن قتادة فانه
من انه في غاية الركاكة لانه يصير المعنى القران والقران المجيد بتجم لا يليق
بالادب والعجب منه حيث رواه بعدة لك لانه على هذا يجوز ان يذكر تفسير الخفا
ما قبله ولذا قيل انه في غاية الوجاهة من حيث المعنى اذ حاصله ان هذا
القران اقسم به واظهره في مقام الاخبار ليمكن وصفه ودخول حرف القسم

ابن الحنبلي

ابن الحنبلي

ابن اقبرس

ابن اقبرس

عليه

عليه ومن حيث اللفظ لان الركاكة انما هي لو صرح باسم القران لا اذا اشير
عبر عنه بغيره وهذا هو السر في العدول فتفطن وتاد على انه يحتمل ان يراد
بالقران هذه السورة وقيل هو اسم لله تعالى على نهج ما مر من الحلاق
حرف من الاسم على مسماه فهو على هذا بمعنى قدير او قدير ونحو او هو مما
لم يطلع على معناه ويويد الاول ما حكاه القرطبي رحمه الله تعالى
من انه افتتاح اسمه القدير القاهر القريب وقيل جبل محيط بالارض
ينبع منه جميع المياه وهذا رواه ابن الجوزي عن مجاهد قيل انه من زمرد
خضرا وخضرة البحر من انعكاس شعاعه وقيل غير هذا في اقوال تزيد
على عشرة منها انه اسم النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو بكر الوراق
معناه قف عند امرنا ونهينا ولا تتقدما امامنا والخطاب النبي صلى الله عليه
وسلم وقال جعفر ابن محمد الصادق تقدمت ترجمته رضي الله تعالى عنه
في تفسيره وفي نسخة في نفسيره دون ضمير قيل ان لجعفر تفسيرا لم يتم
والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله عليه وسلم وهو بمعنى نزلا وصعدا الى السما
في المعراج من الهوى بتشديد اليا مع فتح الهاء وهو الذهاب في انحدار او مع ضمها
وهو الذهاب في ارتفاع وهذا التفسير نقله البغوي رحمه الله تعالى
فلا غرابة فيه رواية ودراية لان وجه الشبه ظاهر وقال اي
ابو جعفر فله فيه تفسيران او عنه فيه روايتان على البدل او الاجتماع
ان جوز النجم قلب محمد صلى الله عليه وسلم هوى انشرح من الانوار
الربانية المنزلة على قلبه في مشاهداته من العلوم والحكم وانواع الكمال
وتشبيه قلبه صلى الله عليه وسلم بالنجم لا يخفى ظهوره في اشراقه بنور ربه
وهداه ومثله مشهور واما تفسير هوى بانشرح فلانه يقال هوى
اذا افتح مما او مد يدا او لا يضرنا عدم اشتهاره لمعرفة العرب اهل اللغة
وقال اي جعفر الصادق في رواية اخرى عنه في تفسير هوي
انقطع عن غير الله وهذا اظهر مما قبله لانه من هوى النجم اذا اسقط من بين
نوعه من النجوم وهذا اذا انقطع الى ربه فارق الناس وقال الامام المرزوقي
في شرح اشعار هذيل قال الاصمعي يقال هوى العقاب اذا انقضت لغير
الصيد وهوى اذا انقض له وقيل مما بمعنى وقال بعضهم يقال هوى
يهوى هويا بفتح الهاء من اعلى الى اسفل وهويا بضمها بعكسه انتهى فقول
بعض الشراح انا لم نر هذا المعنى في مشاهير كتب اللغة ساقط والمثبت

تقدم على الثاني وقوله إلا أن يقال انه من هوى الجواد اخلى كما في التقرب
فيكون هذا الخلو عن غير الله اومن هوى ذهب في جنة العلو لارتفاعه
الى الله تعسف غير محتاج اليه ولو تفقه في هذا دون عجرح غريب من مثله
وقد سبقه بعضهم لهذا وفي النجم هنا تفاسير اخر فقيل هو الثريا وقيل الرجوم
وقيل الزهرة وقيل مطلق النجوم وقيل ما نزل من القران منجما وقيل الهوى
نزوله من المعراج وسياق الكلام فيه وقال ابن عطا تقدم الكلام عليه في قوله
والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لان منه تفجر الايمان تفجر
بفتح التاء وتشديد الجيم المضمومة على انه مصدر مضاف للايمان او بفتح الجيم
المشددة على انه ماض فاعله الايمان من تفجر الصبح طلع كما قاله ابن رسلان وهذا
اما على تشبيه الايمان بالنور المشرق من افق الوحي الماحي لظلمة الكفر او
هو استعارة لتشبيهه بالماء على نهج المكنية واثبات التفجر له على طريق التخييل
كما قيل والاحسن عندي ان يشبه الصبح وانوار بما متفجر ثم يستعار
ذلك لشهرته بما ظهر منه صلى الله عليه وسلم من الدين والهدى والتوحيد كما قال
ابن تميم رحمه الله تعالى

انظر الى الصبح المنير وقد بدا يفشي الظلام بما له المتدفق
غرقت به زهر النجوم وانما سلم الهلال لانه كالزورق

وفيه تفاسير اخر نزكها المصنف رحمه الله لشهرتها واقتصر منها على ما يناسب
عرضه الا ان الشراح قالوا ان هذا مع غرابته بعيد غير مقبول لانه مخل
بالانتظام فان عطف ليال عشر عليه بالواو من غير جهة جامعة كقول الشمس
ومرارة الارنب والباذنجان محدثة ومثله مخل بالبلاغة أقول
نقل الشراح هذا كأنه وارد غير مندفع وليس كذلك وفيه سوء ادب
وتهجم على كتاب الله عز وجل وهذا منقول عن السلف مأثور وهم اهل
لسان ومن فسر الفجر بمحمد صلى الله عليه وسلم يفسر الليالي العشر بعشر رمضان
وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يجتهد في العبادة والخيرات فيه ويرى ليلة
القدر فيصير المعنى على هذا اقسم بمحمد صلى الله عليه وسلم في حالته التي جعله
في عباده والتقرب الي فيها واي مناسبة اتم من هذه كما لو قلت

وحبيب هو المنا وليال كان فيها وصاله ورضاه
وزمانا بالانس كان رقيقا لا اطيف عاد لا في هواه

اترى هذا كالباذنجان وبزور الهذيان او كوجه الحبيب وعبية الرقيب والذي

ما قبله صح
اقترس والنجاني

عليه المحققون من المفسرين انه على حقيقته أو هو بتقدير مضاف اي صلاة
الفجر والليال العشر عشر ذي الحجة او الفجر في عرفة او النحر والعشر اول المحرم أو
آخر رمضان وتمام يضاهي قول المصنف رحمه الله قول الرازي ان الضحى وجه محمد
صلى الله عليه وسلم والليل اذا سجى شعره **الفصل الخامس في قسمه**
تعالى بجده بفتح الجيم وتشديد الدال ويكون بمعنى الحظ والمعنى ومنه ولا ينفع
ذا الجد منك الجد يقال الجد بمعنى عظم واسناد المتعالي له للمبالغة كما يقال الجد جده
فهو اسناد مجازي او استعارة مكنية وفي بعض النسخ **له** وهو متعلق بالقسم
والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم **لتحقق مكانته عنده** اللام للتعليل والاولى
صلة فلا يلزم تعدي عامل بحرفين متحدي اللفظ والمعنى وقوله **صلى الله**
عليه وسلم متعلق بحسب المعنى بمضير عنده والتحقق بمعنى لتبين حقيقة
عنده والمكان معروف فاذا زيدت فيه الهاء اريد به المرتبة المعنوية كالمنزل
والمنزلة وفي بعض النسخ لتحقق وفي بعضها لتحقيق بصيغة المصدر
والكل بمعنى واللام قيل انها مثلها في قوله وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون بمنزلة الغرض لا غرضا لان افعاله تعالى لا تعلل بالاغراض
وهذا وان اشتهر فالذي ارتضاه النسفي خلافه وان ذهب السيد الشريف
لخلافه والتحقيق ان الخلاف لفظي وعند مثلث العين والكسر افصح وبدا
الفصل بسورة الضحى لمناسبتها لخاتمة الفصل الذي قبله وتضمنها لكريم
خطابه وعميم نعمه عليه تشريفا له فقال **قال جل اسمه** كما جل وعلا
في نفسه وفيه تأدب وتأس **والضحى والليل** السورة بالنصب ان لم يوقف
بتقدير اذكر او اقرأ السورة الى اخرها والسورة طائفة من القرآن مترجمة
اقلها ثلاث ايات فان كانت محللة فهي منقولة من سور المدينة لاحاطتها
بما فيها من مذاهب العلم ومنازله وان كانت محرمة فهي من السور وهو
البقية كما بين في محله **اختلف في سبب نزول هذه السورة** سبب النزول
امر حادث في زمن النبوة ينزل القرآن في حقه ويجوز تعدده وكما ان للقرآن
أسبابا كذلك الحديث وقد صنفوا في كل منهما تصانيف جليلة وان كان المشهور هو
الاول **فقيل كان نزول** النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فقالت
امرأة في ذلك بكلام روي ان هذه المرأة ام جميل بنت حرب واسمها العوراء امرأة
ابي لهب وكان ابو بكر ابن العربي رحمه الله يسميها ام قبيح وهذا ما رواه الحاكم
في مستدركه وقال اسناده صحيح الا اني وجدت فيه علة وهذه المرأة كان بعضهم

فجعل الآية نفسها ترجوا مبالغة وهو من بليغ الكلام **تنبيه**
اختلف في ارجى اية في القران فقيل هذه وقيل وهل يجازى الا الكفور وقيل
انا اقرا وحي البينا ان العذاب على من كذب وتولى وقيل وما اصابكم من مصيبة
فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير وقيل قل يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم الى اخره وقيل قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم يا ايها الذين
امنوا اذا تداينتم بدين لانه احتاط لدينا فكيف لا يحتاط الى اخرتنا وقيل
ولا ياتل اولوا الفضل الى اخره وقيل ولكن ليطمين قلبي واخوف
اية ويحذركم الله نفسه وقيل سنفرغ لكم ايها الثقلان وقيل فاين
تذهبون وقيل غير ذلك **ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان**
يدخل احد من امته النار وقد استشكل هذا الحديث بان دخول بعض العصاة
النار امر مقرر فلو لم يكن من رضاه لزم الخلف في الوعد ولذا قال
القرافي رحمه الله لا يجوز الدعا بالمغفرة لجميع المومنين وان رد بانه ورد في
الاثار في قوله تعالى رب اغفر لي ولوالدي وللمومنين والمومنات
وبان عدم الخلود مغفرة ايضا واعلم انه اورد هنا ان مقام الرضا بما
يريده الله والتسليم مقام عظيم للسالكين فكيف لا يكون لسيد المرسلين
ولذا قال صاحب المواهب ما يفترية بعض الجهال من انه صلى الله عليه وسلم
لا يرضى واحد من امته في النار اوان يدخلها احد من امته من غرر الشيطان
من انه صلى الله عليه وسلم يرضى بما يرضى به ربه وهو اعرف بحقه من
ان يقول لا ارضى لاخره ورد ايضا بان جزاه وسوء ادب الوجه توجيه
الحديث لثبوته رواياته وان ضعفت ولا يبعد ان يكون عذاب العصاة
لعصيانهم غير مرضي لله تعالى فلا يرضى به رسوله صلى الله عليه وسلم
ايضا لان رضاه على وفق رضى ربه والرضى بالقضا لا قد يكون مذموما فاذ البر
يرضى بعصيانهم ودخولهم النار لعدم رضى ربه يدخلهم الله الجنة ولو بالاخرة
للوعد به والرضى بفعل الله انما يجب من حيث انه فعل المولى الكريم الحكيم لا من حيث
تاثيره في ذاته وهو المنفي في الحديث الثاني فهو صلى الله عليه وسلم لا يرضى بدخول
احد من امته النار من حيث هو في ذاته لا من حيث انه مراد الله فلا اشكال
او الرضا مجاز عن ترك الطلب اي لا اترك طلب العفو واحد من امتي في النار
ولا يلزم منه عدم الرضى حقيقة وكم طلب صلى الله عليه وسلم لامته امورا
وهو في مقام الرضا وايما واوعد بالارضا فلا بد من ادخالهم الجنة لا نترك

سيد

الطلب

الطلب فافهمه فانه دقيق فلا ينبغي ان يختار ي احد على ابطال الرويات
باوهام الشبهات وهذا محصل ما في شرح المواقف من ان للكفر نسبة الى
الله باعتبار قاعليته له وايجاده ونسبته الى العبد باعتبار محليته وانضافه
به وانكار باعتبار النسبة الثانية والرضى باعتبار النسبة الاولى وفي بعض
الشروح يجوز ان يكون المراد ولا يرضى ان يعصى الله احد من امته فعبر بالسبب
عن السبب الا ان سياق الكلام ياباه وقيل مقام الرضا انما هو في حق نفسه
وهو بعيد **الخامس ما عده الله عليه من نعمه وقرن من الاية النعم**
والا لا بمعنى وعبر في النعم بالعد وفي الا لا بالتقرير اي التحقيق موافقة
لقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله وفي قوله تعالى فباي الا ربكما تكذبان
فانظر حسن مقاصده وفي واحد الا لعات منها الى بفتح الهمزة والكسر
مع القصر والى والى بسكون اللام مع فتح الهمزة وكسرها والواي في بيان
اي عد ما عده **قبله** بكسر القاف وفتح الباء الموحدة بزنة غلب اي عنده
وفي جهنه ويقال ليسري بكذا قبل اي طاقة وقوله **في بقية السورة**
متعلق بقد وهو من قوله الم نجدك يتيما الى قوله فاما اليتيم الى اخره
تنبيها على انه كما احسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي ثم اشار اليه
بقوله **من هدايته الى ما هداه له او هداية الناس به على اختلاف**
التفاسير بيان لما وما هداه له عام شامل للقولين في تفسير قوله
تعالى فهدى اي فهداك او هدى الناس بك فهدايته مصدر مضاف
للفاعل او للمفعول اي هداك للشريعة ومعالم النبوة والقران وتعليم
ما لم تعلم او الطريق التي ضل فيها في طريق الشام او في شعاب مكة
في صغرك صلى الله عليه وسلم وكلها اقوال مذكورة في كتب التفسير **ولا**
مال له فاغناه بما اتاه قيل انه مقطوف على مجرور من تقدير انه
لا مال الى اخره ولو جعلت حالا جاز ووجد في الاية بمعنى علم واتاه بالمد
بمعنى اعطاه ولو قصرت على معنى اتاه من عند الله مما اغناه الله به كمال
خديجة وابي بكر رضي الله عنهما ومال الفنا بل بما في خزاين الغيب
الذي لو طلب ظهوره ملا الارض لجاز وقيل عياله في الاية الذين اتبعوه
من امته اذ غناهم الله به صلى الله عليه وسلم **وبما جعله في قلبه**
من القناعة والغنا القناعة في اللغة الرضا بما قسم الله والاكتفا
بقدر الضرورة والرضى به كما قيل

مَا كَلَّ مَا فَوْقَ البَسِيطَةِ كَافِيَا ۞ وَإِذَا قَنِعْتَ فَكُلُّ شَيْءٍ كَافِي

وَالقَنَاعَةُ كَنْزٌ لَا يَفْنَى وَالغِنَى غِنَى النَّفْسِ كَمَا وَرَدَ فِي الحَدِيثِ وَقَدْ رَفَعَ اللهُ قَدْرَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الاحْتِيَاجِ لِخَلْقِهِ وَقَدْ خَيَّرَهُ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا مَلِكًا وَبَيْنَ عَبْدًا فَاخْتَارَ العُبُودِيَّةَ وَقِيلَ المُرَادُ غِنَى الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ وَهُوَ تَكَلُّفٌ

وَبِيَتِيمًا فَحَدِبَ عَلَيْهِ عَمُّهُ وَآوَاهُ إِلَيْهِ أَيْ وَجَدَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتِيمًا لِمَوْتِ أَبِيهِ قَبْلَ وِلَادَتِهِ أَوْ بَعْدَهَا بِمُدَّةٍ يَسِيرَةٍ وَالْيَتِيمُ الصَّغِيرُ الَّذِي لَا أَبَ لَهُ وَلَا يُتْمَ بَعْدَ البُلُوغِ قِيلَ وَالْيُتْمُ فِي غَيْرِ الإِنْسَانِ مِنَ الأَمْرِ وَفِي الطَّيْرِ مِنَ الأُمِّ وَحَدِبَ بِفَتْحِ الحَاءِ المُهْمَلَةِ وَالدَّالِ المُهْمَلَةِ مَكْسُورَةٍ يَلِيهَا مُوَحَّدَةٌ وَاشْتُهِرَ بِفَتْحِ الدَّالِ وَكَذَا وَقَعَ فِي بَعْضِ النُّسَخِ إِلَّا أَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّهُ غَلَطٌ وَهُوَ مِنْ حَدِبَةِ الظَّهْرِ وَالمُرَادُ بِهِ العَطْفُ وَالشَّفَقَةُ وَعَمُّهُ فَاعِلُهُ وَجُوِّزَ بِنَصْبِهِ أَيْ عَطَفَ اللهُ عَلَيْهِ عَمُّهُ وَلَيْسَ بِغَلَطٍ كَمَا قِيلَ وَالمُرَادُ بِهِ أَبُو طَالِبٍ وَاسْمُهُ عَبْدُ مَنَافٍ وَحَنَا وَهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَحَبَّتُهُ لَهُ أَمْرٌ مَشْهُورٌ فِي السِّيَرِ وَكَانَ يَعْظِمُهُ وَيَعْرِفُ نُبُوَّتَهُ وَلَكِنْ لَمْ يُوَفَّقْهُ اللهُ لِلإِسْلَامِ وَفِي الامْتِنَاعِ أَنَّ فِيهِ حِكْمَةً خَفِيَّةً مِنَ اللهِ لِأَنَّهُ عَظِيمٌ قُرَيْشٍ لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَتَعَدَّى عَلَى مَا فِي جِوَارِهِ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَدْءِ أَمْرِهِ فِي كَنَفِ حِمَايَتِهِ يَذُبُّ عَنْهُ كَمَا قَالَ

وَاللهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ ۞ حَتَّى أُوَسَّدَ فِي التُّرَابِ دَفِينَا

فَلَوْ أَسْلَمَ لَمْ يَكُنْ لَهُ ذِمَّةُ عِنْدِهِمْ وَلِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَوْتِهِ بُدٌّ مِنَ الهِجْرَةِ وَمِنَ الغَرِيبِ مَا نَقَلَهُ بَعْضُهُمْ مِنْ أَنَّ اللهَ أَحْيَاهُ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَآمَنَ بِهِ كَأَبَوَيْهِ وَاظَنَّهُ مِنَ افْتِرَاءِ الشِّيعَةِ وَقَوْلُهُ وَآوَاهُ بِالمَدِّ مُتَعَدٍّ أَيْ ضَمَّهُ لِتَرْبِيَتِهِ وَحِمَايَتِهِ وَأَوَى بِالقَصْرِ بِمَعْنَى نَزَلَ غَيْرُ صَحِيحٍ هُنَا وَالضَّمِيرُ لِلْعَمِّ وَإِمَّا جَدِّهِ عَبْدِ المُطَّلِبِ فَمَاتَ فِي صِغَرِهِ وَعَدَمِ احْتِيَاجِهِ قَبْلَ البَعْثَةِ لِمَنْ يَحْمِيهِ فَمَا قِيلَ مِنْ أَنَّهُ إِنَّمَا لَمْ يَتَعَرَّضْ لِعَطْفِ جَدِّهِ عَلَيْهِ أَوْلَا لِأَنَّهُ كَالأَبِ فَكَأَنَّهُ لَا يُتْمَ مَعَهُ أَوْلِأَنَّ عَطْفَهُ أَمْرٌ عَادِيٌّ وَلَمْ يَنْفَعْهُ حِينَ ظُهُورِ الأَعْدَاءِ وَنَحْوُ وَالأَوْجَهُ التَّعْمِيمُ خِطَامِيَّةٌ

وَقِيلَ أَوَى اللهُ أَيْ قِيلَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ إِنَّ مَعْنَاهَا آوَاهُ اللهُ أَيْ ضَمَّهُ إِلَى نَفْسِهِ وَلَمْ يَحْوِجْهُ لِحِمَايَةِ أَحَدٍ وَإِيوَائِهِ وَهَذَا فِي مَعْنَى مَا حُكِيَ عَنْ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ أَنَّهُ سُئِلَ لِمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتِيمًا فِي صِغَرِهِ فَقَالَ لِئَلَّا يَكُونَ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ حَقٌّ لِمَخْلُوقٍ وَقَدْ رُوِيَ هَذَا عَنِ الحَسَنِ أَيْضًا وَقِيلَ فِيهِ إِنَّ عَلَيْهِ حَقًّا فِي صِغَرِهِ حَقَّ لِغَيْرِهِمَا قَطْعًا كَأَبِي طَالِبٍ وَحَقُّ أَبَوَيْهِ أَوْلَى وَأَسْهَلُ مِنْ حَقِّ غَيْرِهِمَا فَالوَجْهُ أَنْ يُقَالَ بِحِكْمَةِ أَنَّ فِيهِ تَسْلِيَةً لِيَتَامَى أُمَّتِهِ وَأَنَّ فِيهِ مَعَ أَبَوَيْهِ تَوْطِئَةً لِشُكْرِ نِعَمِهِ مِنْ

ابن الحنبلي

لِيُعْلَمَ

شَظَفِهِمْ عَلَيْهِ وَلَا وُجُودَ لِأَبَوَيْهِ وَلَا يَخْفَى أَنَّ حَقَّ الأَبَوَيْنِ عَظِيمٌ وَتَرْبِيَتُهُمَا وَشَغَفُهُمَا لَيْسَتْ لِغَيْرِهِمَا فَلَوْ كَانَا مُلْحِدَيْنِ مَعَهُ لَكَانَ يَنْسُبُ إِلَيْهِمَا أَبَوَاهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا فَقَدَ اعْلَمْ عِنَايَةَ اللهِ بِهِ وَآوَاهُ رُوِيَ بِالمَدِّ وَالقَصْرِ وَمَعْنَاهُ بِالمَدِّ ضَمَّهُ إِلَيْهِ كَمَا مَرَّ وَهُوَ أَوْلَى وَأَظْهَرُ وَبِالقَصْرِ مِنْ أَوَى إِلَى مَنْزِلِهِ يَأْوِي مِنْ بَابِ ضَرَبَ وَإِيَّاهُ أَقَامَ قَالَ فِي المِصْبَاحِ وَرُبَّمَا عُدِّيَ بِنَفْسِهِ فَقِيلَ أَوَى مَنْزِلَهُ وَأَنْكَرَ بَعْضُهُمْ تَعَدِّيَهُ وَقَالَ الأَزْهَرِيُّ أَنَّهُ لُغَةٌ فَصِيحَةٌ وَقُرِئَ بِهَا فِي الشَّوَاذِّ وَهُوَ غَيْرُ ظَاهِرٍ هُنَا وَلِذَا قِيلَ إِنَّهُ بِمَعْنَى رَحِمَهُ وَرُبَّمَا رُبَّاهُ أَوْ جَعَلَ لَهُ مَأْوًى عِنْدَهُ وَفَاعِلُ أَيْ ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ يَعُودُ إِلَى اللهِ كَضَمِيرِ إِلَيْهِ وَفِي نُسْخَةٍ وَقَبِلَ آوَاهُ اللهُ وَرُوِيَ أَوَى إِلَى اللهِ أَيْ لَجَأَ إِلَيْهِ وَكَانَ لِلظَّاهِرِ أَنْ يَقُولَ آوَاهُ اللهُ إِلَيْهِ قِيلَ وَإِنَّمَا عَدَلَ عَنْهُ لِمَا ذَكَرَ وَلَمْ يَقُلْ وَآوَاهُ إِلَيْهِ لِئَلَّا يَتَوَهَّمَ عَوْدُ الضَّمِيرِ لِعَمِّهِ فَيَكُونَ بِمَعْنَى مَا قَبْلَهُ وَهَاهُنَا أُمُورٌ الأَوَّلُ أَنَّ المُصَنِّفَ رَحِمَهُ اللهُ غَيَّرَ تَرْتِيبَ النَّصِّ فَذَكَرَ الهِدَايَةَ ثُمَّ الإِغْنَاءَ ثُمَّ الإِيوَاءَ وَبَقِيَ الأَوَّلَانِ عَلَى تَرْسِيمِهِمَا فِيهِ وَقَدَّمَ الثَّالِثَ عَلَى أَخَوَيْهِ وَقَدْ اعْتُرِضَ عَلَيْهِ بَعْضُ الشُّرَّاحِ وَوَجْهُ مَا فَعَلَ النَّظْمُ أَنَّهُ قَدَّمَ عَلَى تَرْكِهِ وَقِلَاهُ اهْتِمَامًا بِالرَّدِّ لِمَا قَالُوهُ ثُمَّ قَالَ إِنَّهُ سَيُعْطِيهِ فِيمَا يَأْتِي كُلَّمَا يَجِبُ وَيُرْضِي فِي الدُّنْيَا وَالأُخْرَى ثُمَّ كَرَّرَ عَلَى ذَلِكَ التَّفْصِيلِ حَالَهُ المُوَبِّخَ لِجَوَابِهِ فَقَالَ إِنَّهُ آوَاهُ فِي صِغَرِهِ وَيُتْمِهِ وَعَدَمِ المُعِينِ لَهُ فَكَيْفَ يَتْرُكُهُ بَعْدَ كِبَرِهِ وَقُدْرَتِهِ فَقَالَ المُوَبِّخُ يَتِيمًا فَآوَى فَهَذَا نَاظِرٌ لِقَوْلِهِ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى وَعَقِبَ بِأَنَّهُ أَبْعَدَهُ مِنَ الضَّلَالِ وَهَدَاهُ وَهَدَى بِهِ لِسَبِيلِ الرَّشَادِ وَمَنْ كَانَ هَذَا حَالُهُ يَأْبَى أَنْ يَتْرُكَهُ فِي حَالِ آخِرَتِهِ كَذَلِكَ وَهَذَا نَاظِرٌ لِقَوْلِهِ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى وَذَلِكَ بِأَنَّهُ أَغْنَاهُ عَمَّنْ سِوَاهُ مَعَ قِلَّتِهِ وَعَيْلَتِهِ فَهُوَ نَاظِرٌ لِقَوْلِهِ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى فَفِيهِ شِبْهُ اللَّفِّ وَالنَّشْرِ عَلَى تَمَامِ نِظَامٍ وَكَذَا مَا بَعْدَهُ كَمَا سَيَأْتِي وَهَذَا هُوَ مُقْتَضَى المَقَامِ حَالَ النُّزُولِ وَالمُصَنِّفُ لَمَّا ذَكَرَ نِعَمَ اللهِ عَلَيْهِ وَعَدَّهَا قَدَّمَ أَعْظَمَهَا وَهُوَ الهِدَايَةُ الَّتِي فِيهَا سَعَادَةُ الدَّارَيْنِ ثُمَّ الغِنَى فِي اليَدِ وَالقَلْبِ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ النِّعَمِ الدُّنْيَوِيَّةِ بَعْدَ الهِدَايَةِ لِسَبِيلِ الرَّشَادِ وَهُوَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِهِدَايَتِهِ ثُمَّ الإِيوَاءُ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَاهُ الظَّاهِرِ دُونَ هَذَيْنِ فَخَيَّرَ التَّرْتِيبَ وَأَتَى بِتَرْتِيبٍ مُنْشَئِيٍّ أَقْرَبَ إِلَى العُقُولِ الأَنَانِيَّةِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ النِّكَاتَ لَا تَتَزَاحَمُ وَأَنَّ الحُسْنَ يَحْسُنُ فِي كُلِّ أَنَانِيٍّ وَقِيلَ إِنَّهُ قَدَّمَ الثَّالِثَ عَلَى أَخَوَيْهِ لِتَقَدُّمِهِ بِتَفْسِيرِهِ الأَوَّلَ فِي الوَاقِعِ وَتَأَخُّرِهِ فِي كَلَامِ المُصَنِّفِ لِتَأَخُّرِهِ عَمَّا فِي النَّظْمِ تَأَخُّرًا يَنِمُّ عَنْ أَوْلَاهُمَا فِيهِ مَعَ أَنَّ المَقَامَ مَقَامُ بَيَانِ عَظَمَةِ شَأْنِهِ فَاللَّائِقُ تَقْدِيمُ الأَعْظَمِ وَقِيلَ الأَظْهَرُ أَنَّ الآيَةَ وَرَدَتْ فِي مَقَامِ الاسْتِدْلَالِ كَمَا ذَكَرُوهُ

شبكة الألوكة www.alukah.net

فقدم الاظهر فالاظهر فان اليتم والضم معلومان بالمشاهدة وقد اختار صلى
الله عليه وسلم الفقر والقناعة وفي غناه خفا بالنسبة لتعليم الشرايع والمهم
قدم الاشد تعظيما وآثر هذا الاسلوب اشارة لاترفيه والى ان الانسب
في مقام التعظيم تقديم الاعلى كما في البسملة وهذه امور متكلف لا تنزل ساحة
التنزيل فالوجه ما قدمناه الثاني أن في قوله اواه الله على احدى النسخ
مكية وهو انه لو قال اواه اليه لزم تعدي الفعل بالوساطة الى ضمير هو
عين ضمير الفاعل وهو ممنوع عند النحاة في غير افعال القلوب وعدم وفقد
كما ذكروه في نحو قوله قصرهن الهرك ثم اجعل فيحتاج لتقدير مضاف ظاهر
فلذا عدل المصنف عنه ولنا فيه كلام فصلناه في كتاب السوانح وقيل
يتيما لامثل لك فاواك اليه اي قيل في معنى يتيما لا نظير له من قولهم
درة يتيمة اي لا نظير لها وتسمى فريدة ايضا لانفرادها عن نظايرها
اي عنك عديم النظير لانه لو كان واحدا في قريش بل في جميع الخلق قال
النجاني وهو قول ضعيف حكاه صاحب المشرع الروي وجعله في الكشاف
من بدع التفاسير وفيه ما تقدم من تعديه لضمير الفاعل ومعنى اواك اليه
كما مر اصطفاك او ضمك الى عمك ونحوه ففي مرجع ضمير اليه وجهان وفي
نسخة لامالك قيل ويؤيده ما في المعالم من تفسيره بالم يجدك فقير احين
مات ابواك واورد عليه انه سيصرح به فلا حاجة لذكره مع ان اليتم
لا يدل على الفقر واجيب باند اعتبر الفقر فيه بدلالة الواقع
وتنكير يتيما لان اليتيم مرغب فيه في رعايته وكفالته فالمنة في ضم اليتيم بدون
المرغب اتم والنعمة اعظم واعاد ذكره ليمن عليه بازالته فذكر الاول بالتبعية
والثاني لذاته وقيل المعنى الم يجدك فهدى بك ضالا واغنى بك
عايلا واوى بك يتيما حكاه بقيل اشارة الى ضعفه والحامل عليه ان وصف
النبي صلى الله عليه وسلم بالضلال بحسب معناه المشهور غير ظاهر فلذا صرفه
عن ظاهره ولذا حمله بعضهم على فقده في صغره او خطوه في الطريق في سفره
كما مر وقال النجاني هذا القول لا يساعده اعراب ولا يصححه صواب فالاولى
تركه لما فيه من تقديم المنصوب على عامله والفاء العاطفة لا الزايدة كما في قوله
وربك فكبر مع وجود عامل تقدم وملاصق وهو مما لا يجوز النحاة ولو جعل
وجد متعديا لاثنين حذف احدهما اي وجدك رحيما فاوى بك يتيما وهديا
فهدى بك ضالا لكان اقرب واكثر النحاة ابوه ايضا وقيل في توجيهه ان قائله

ذهبنا

ذهب لما قاله السدي انه من قبيل خطاب السيد بما لعبيده اي وجد
قومك ضالين فهداهم وقس عليه اجوبه والمصنف رحمه الله نقله
بالمعنى او القائل فسره بما يؤول اليه ثم ان قوله الم يجدك يتيما هنا
تفسير لوجدك بما آل معناه لتقاربهما وفي النظم غاير بينهما تفننا
ووجدك بتقدير اما المساويه لالم يعدك وكان الثلاثة داخلة تحت
قوله الم يجدك فلذا ادخلها تحته ولا يخفى ما فيه من التكلف ولذا قال
بعض الشراح انه صرف الايات عن ظاهرها بلا دليل من غير مقتض
ذكره بهذه المنة ذكره بتشديد الكاف تفعيل من الذكر اي جعله متذكرا
والمنن جمع منة وهي الاحسان وقيل ذكره بمعنى وعظه لان التذكير
ورد بهذا المعنى كما في قوله فذكر بالقرآن من يخاف وعيد اي عظ به والذكر
على الاول اخلاق النسيان والمراد ذكره بتفصيلها او تفصيلها وان كان
ذاكرا لها وكيف لينسى مثله وقد قام حتى تورمت قدماه وقال افلا
اكون عبدا شكورا وما قيل انه لعدم شعوره بكونها مفضلة على
ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال سألت ربي مسيلة
ودوت اني لم اكن سالتها قلت اي ربي قد كان انبيا قبلي منهم من سخرت
له الريح وذكر سليمان عليه السلام ومنهم من كان يحيي الموتى وذكر عيسى عليه
السلام فقال الله الم يجدك يتيما فاويتك قلت بلى قال الم يجدك
ضالا فهديتك قلت بلى قال الم يجدك عايلا فاغنيتك قلت بلى
الحديث مما لا ينبغي ولا دلالة في الحديث لما ادعاوه احسن قول بعض
الشراح المراد اعلامه بما انعم به عليه وقيل انه لاشتغاله بتذكر
النعم العظيمة المجموعة او النعم كلها على الاجمال تغفل عن تفصيلها وشكره
كذلك او انه جعل بمنزلة الفاعل وعامله معاملة لنكتة وان سلم
ان هذا غير مناسب فالتذكير بمعنى الوعظ ليلا يفعل فلا تغفل والباز
ايد شراحه في تقريره دليل هذه السورة على انه ما قلاه بعد ما اصطفاه
وقال والله على المعلوم من التفسير وروي على المجهود قال
في المعلوم للعهد والمراد به جعل اليتم واخويه من احواله لا من احوال غيره
وعلى متعلقة بما بعده وقيل بالتذكير والارادة المفهومة من الكلام
لم يهمله في حال صغره وعيلته ويتمه وقيل معرفته الضمائر الظاهر
كلها له صلى الله عليه وسلم غير ضمير انه فانه لله او للشان اوله ويهمله بمعنى

ابن الحنبلي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يتركه ويخلي بينه وبين نفسه والعيله مصدر عال يعيل فهو عائل
والجمع عالة كما في المصباح بمعنى الاحتياج والفقر يقال عال اذا افتقر
واعال اذا اكثر عياله وليست العيلة بمعنى العيال كما يقوله الناس حتى
يقول الاولى ان لا يتوسطها بين الصغر واليتم والصغر يوزن عنب معروف
مفهوم من اليتم وقيل معرفته الضمير لقوله ضالا ولم يصرح به تادبا وان
وقع موقعا حسنا والضال قد يراد به ما وجد من غير قصد ماخوذ من الضلال
عن الطريق ولذا نسب للانبيا وغيرهم مع ما بينهما من البون البعيد كما في هذه
الآية ونظايرها فعلمها اذا وانا من الضالين ولله ان يقول في حق عباده
ما شا وليس لنا ان نقول مثله الا على سبيل الحكاية الا ترى ان السلطان
يدعو اكبير خواصه باسمه ويسمه بوسمه فيعده تفظيما وملاطفه ولو خاطب
به غيره كان ترك بغصب به كذا في عمدة الحفاظ وهو كلام حسن وقال المتدوي
المراد قبل ان يعرف الشرايع والاحكام كقوله وعلمك ما لم تكن تعلم وليس
في على استعارة لتنبيه المعلوم بمكان عال مرتفع كما قيل **ولا ودعه**
ولا قلاه اي ما تركه ولا ابغضه في هذه الحالة وهذا مفهوم مما في ضمنه
اذ لو كان هذا ما هداه الى ما هدى واذا كان هذا حاله قبل البعثة واتمام
النعمة ومعرفته بوبه **فكيف بعد اختصاصه واصطفايه** كيف
للاستفهام الانكاري على من قال انه ودعه كقوله انه ودعه كقوله كيف تكفرون
بالله اي في اي حال يكون هذا بعد اختصاصه بمزيد زيادة قربه او جعله مخصوصا
بفضايله الجليلة واصطفايه اي اختياره من بين خلقه قيل والمراد اظهار ذلك
في عالم الشهادة وتقرير الدليل على ما قاله الامام ان كمالك وعباداتك بعد
هذه الامور اتم حيث رقيناك قبل ذلك الكمال الى ذروة العلى فبالاولى ان لا
يتركك ولا يبغضك بعد الكمال والعباداة وقيل عليه انه لا يناسب
تفسير الغنى بالغنايم ونحوها مما لم يتحقق بعد النزول فان جعلت بمنزلة
المحقق انه لا بد من تحقيق امر قبل الكمال ليعلم ثبوت مثله بعده بالاولى
والاثبات والمجاز المذكور لا يفيده فالاظهر في الاستدلال بالغنى حينيذ ان يقال
مستحصك بالطاف جليلة اوانا قدرنا لك ذلك فلا نتركك ولا نبغضك لانه
منافٍ له فتدبر اقول الثابت في كتب التاريخ ان التفسير الكبير وصل الى سورة الانبيا
وكمله تلميذ النحوي فنسبه ما ذكر للامام لا ينبغي وما اورده عليه غير وارد لانه
ليس في تفسيره المذكور نقض للغنى فكيف يلزمه بما لم يقله ومن نظر تفسيره

عرف ما قلناه

في الآية ٥

دلجي

عرف ما قلناه **السادس امره** اخره بصيغة المصدر المضاف لفاعله كما ضبطه
به بعض الشراح او الفعل الماضي كما في المفتي والاول اظهر ولا حاجة لتقدير
ان المصدرية قبله كما في قوله تعالى ومن اياته يريكم البرق كما قيل
لانه هنا لا قرينة تدل عليه **باظهار نعمته عليه** عام شامل لجميع ما انعم
به عليه وقيل المراد بالنعمة هنا النبوة او القران والاظهر الاولى هو الاول
والخطاب والامر وان كان خاصا به صلى الله عليه وسلم فهو عام لامته تفظيما
لهم والتحديث بالنعمة شكر لها وقد قالوا انه يحسن من الانسان الثنا
على نفسه وذكر مجالسه وفضايله في مواضع يستنوهما من الاصل الغالب
على الكاملين من هضم النفس وروى عن علي كرم الله وجهه انه قال اذا اصبت
خير فحدث به اخوانك ومن مواطن التحدث بالنعم ما اذا جهل قدرها
ونوزع في امر وللسيوطي رحمه الله تعالى تاليف في هذا سماه نزول الرحمة
في التحدث بالنعمة وقد روى مثله عن كثير من الصحابة وامره تعالى له
صلى الله عليه وسلم بالتحدث بما اولاه مقتض لتفظيمه لان من امر غيره
بشكر نعمة من نعمه انما يامره في العادة بما عظم عنده لاستبحان طلب الشكر
على امر حقير وهذا يقتضي عظم الامور ايضا وقال بنعمة ربك فحدث
دون بنعمتي اشارة الى انه رباه وفيه ايضا اشارة الى عظم قدر عند وغايته
به في هذا تفظيم ليس في الامرين الاخرين ولذا المزيد كرما المصنف
رحمه الله فاندفع ما قيل بقي هنا شيء لم يذكره وهو ارشاده لمكارم
الاخلاق بقوله فاما اليتيم فلا تقهر واما السايل فلا تنهر الى اخره وخص
اليتيم لانه لا ناصر له الا الله والسوال ذل وكسر وهما منصوبان بالفعل
بعدهما بتقدير مهما يكن من شيء فاما الى اخره فلا حاجة لما تكلف في الجواب
عنه **وشكر ما شرفه به بنشره واساده** ذكره **بقوله واما بنعمة**
ربك فحدث مجرور معطوف على اظهار وليس عطف تفسير كما قيل بل
بيان لان اظهار النعم اذا لم يكن ريا ولا لغرض اخر يكون شكرا للمنعم وكيف
اذا عته واظهاره للناس والاسادة بكسر الهمزة وشين معجمة ودال مهملة
هو رفع الصوت به وهو كناية عن اعلام الثقلين وقوله بقوله تنازعه امن
وما بعده **فان من شكر النعمة التحدث بها** اتى بمن التبعيضية اشارة الى
ان للشكر طرق اخر هذا منها كاظهار الملابس والمطاعم والمركب وفي الحديث
التحدث بالنعمة شكر وفيه اذا انعم الله على عبد بنعمة احب ان يرى اثرها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عليه وما ذكره المصنف هنا منقول عن مقاتل وليس فيه تخصيص بنعمة
كما توهم **وهذا خاص له** صلى الله عليه وسلم **عام لامته** الاشارة الى الامر
المذكور اي بحسب الظاهر والمورد خاص به صلى الله عليه وسلم لانه المامور
بحسب الظاهر وهو عام شامل لجميع الامة لان امر امرلهم ما لم تقم قرينة
على انه من خصائصه صلى الله عليه وسلم فهم مامورون بالشكر لانه واجب
عليهم تكلف **وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله من ايات ربه الكبرى**
فقوله جملة معترضة وقيل انها حال لازمة من فاعل قال اي متعاليا عما
لا يليق بجنابه ذكر هنا الاية لتضمنها القسم لاجله صلى الله عليه وسلم ثم
استطرد فذكر ما معها من الايات استقصا لما فيه تعظيمه **اختلف المفسرون**
في قوله تعالى والنجم اذا هوى باقا ويل معروفة اقا ويل جمع اقوال قول
فهو جمع جمع عبر به للدلالة على كثرتها والبا متعلقه بالمفسرين او بمقدر من جنسه
لانه يقال فسره بكذا فيتعدى بالبا وهو وان كان بعيدا اظهر مما قيل
ان تقدير اختلافا ملتبسا بالبا قاويل او مفصحا بالبا قاويل واذا في هذا وفي قيل
انها للحال ظرف للقسم او كائنا المقدر وليست للاستقبال لان اقسام الله قديم
وقد قال ابن هشام لا يصح تعلقه باقسام الانشائي لان القديم لا زمان له
لتقدمه على الزمان فهو متعلق بكائنات على استقبالي بدليل صحة مجيء الحال
المقدرة واجاز بعضهم ان يكون متعلقا بالعظمة المفهومة من القسم فالمعنى العظيم
اذا هو فاذا اريد النجم الجنس وهو به عروبه فعظمته دلالته على حدوثه الدال
على وجود الصانع وان اريد القران النجم نزوله فعظمته بدلالته على الاحكام
وان اريد به النبي صلى الله عليه وسلم ونزوله بعد المعراج فعظمة بدلالته بتكريم
من هو اعظم من كل عظيم كما قيل وفسر الهوى بالطلوع ايضا **اقول**
هذا كلام غير مهذب فان كلام الله قديم لفظه ومعناه النفسي وكل ما فيه مما
يدل على الزمان كالظروف والافعال ليس بمجاز بل حقيقة باعتبار متعلقه وظهوره
لان علم شئ في زمان لا يقتضي ان يكون ذلك العلم في ذلك الزمان كما حققه علما
الكلام وهذا المقام لا يتسع بفصيله وتحقيقه مع انه لشهرته غني عن البيان
منها النجم محمول على ظاهره ويراد به جنس النجم والثريا والزهره لان من المشركين
من كان يعبدها والثريا ليست نجما واحدا بل عدة نجوم اختلف في عددها على اقوال
قيل ستة وقيل سبعة وقيل تسعة وقيل احدى عشر نجما وقيل اثنى عشر والنجم
صار علما لها بالغلبة وفي الحديث ما طلع نجم قط وفي الارض من العاهة شئ والهوى

سيد
دلجي
دلجي
دلجي
ابن الحنبلي

الغروب او الطلوع كما مر ولا حاجة الى جعل الثاني مفهوما من النجم لانه يقال
نجم قرن الشاة اذا طلع والقسم به لانه مخلوق بديع دال على صانعه وقدرته
وكذا اذا الهوى بمعنييه **ومنها القران لانه نزل** نجوما متفرقة بحسب
المصالح وقال بعض المفسرين انه بنجم القران من قولهم نجم الدين اذا جعله
حصصا ومن الغريب ما قيل انه الصحابة رضي الله تعالى عنهم لقوله صلى
الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم حكاية النجاني هنا وهو يهم مؤتم على هذا
وهو بعيد **وعن جعفر ابن محمد** الامام الصادق تقدمت ترجمته **انه محمد**
صلى الله عليه وسلم ولم يقل ومنها لانه منع مع ما قبله كوجه واحد
لشدة مناسبته له وهذا وان سبق لا يعد تكرارا لاختلاف الغرض فيهما
والقول بانه ليس منها لا وجه له فالمقسم به وله واحد وهو امر مستحسن عند
البلغا كما ذكره الزمخشري لقول المسيحر البحتري * وثنايا كالغا العريض *
فانظر في شروح الكشاف ولنا فيه كلام في السوانح وقد تقدم نفسير
به على هذا **وقال** ابو جعفر مرة اخرى وفي نسخة قال سهل
وقد مت ترجمتهما **هو قلب محمد عليه الصلاة والسلام** اطلاق النجم عليه
صلى الله عليه وسلم ظاهر كما اطلقه الشراح واما اطلاقه على قلبه
فلاشراقه بالانوار الالهية وهو منبعها ومنبع الهداية وان كان فيه
خفا وقيل انه النبات الساقط على الارض والنجم ما لا ساق له وما له ساق
شجر وقيل تقديره ورب ما مر وذكر المصنف رحمه الله تعالى
السلام دون الصلاة وقد قيل كما مر انه مكروه كعكسه مع الالهي في النسخ
الصحيحة صلى الله عليه وسلم مع انه يحتمل انه تلفظ به ولم يكتبه او مذهب
المصنف رحمه الله تعالى عدم كراهته **وقد قيل في قوله تعالى والسما**
والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب الثاقب المضئ كانه
يثقب المظلم بشدة اضائته والطارق اصل معناه من ياتي ليلا لانه يطرق
الباب المغلق ليلا او الارض برجله ثم غلب على النجم لظهوره ليلا ومنه
الطريق لانها مطروقة بالارجل وقيل الطارق رحل وكل ما يرى ويظهر
ليلا يسمى طارقا قال الزمخشري اراد الله ان يقسم بالنجم الثاقب
تعظيما لما فيه من عظيم قدرته ولطيف صنعه فابهمه ثم فسره **ان النجم هنا**
ايضا محمد صلى الله عليه وسلم وذكره لان الله افسر به على حفظ كل نفس
وكيف بمن الهوى نفس الانفس فهو اشارة الى عصمته صلى الله عليه وسلم

سيد

الغروب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وبهذا الاعتبار يكون ما نحن فيه فان لم يلاحظ هذا يكون تابيد القول
بحقفر فلا وجه لما قيل من ان الاحسن ذكره في فصل القسم به السابق
والا للقول بانه اشارة الى عدم الاستيفاء او انه غفل عن ذكره هنا فتذكر
وذكر وعلى هذا فالطارق اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم اتى وقد دحى
الكفر واظلم او لانه معناه سالك الطريق كما قاله الراغب حكاه السلمي
بضم السين وفتح اللام وتقدمت ترجمته تضمنت هذه الآيات من فضله
وشرفه العد التضمن الاشتمال وجعله في ضمنه واوفيت لفاعما يفي الضامن
بما ضمنه قال المؤلف والعد بكسر العين وتشديد الدال المهملتين الماء الدائم
الجريان الذي لا تقطع مادته والقدير والكثير ويصح ارادة كل منها وعلى
الاول ففيه تشبيه له لكثرة الانتفاع به مع انه لا ينقطع عنه مدد الفياض
وفيه تجنيس ما يقف دونه ابعد بالفتح والتشديد شبه العد والاحصاء
برجل يجري ليصل الى الاحاطة بمناقبه فبعد عنه حتى اعنى وانقطع دون
مرامه ففيه استعارة تمثيلية وتقدير صاحب العد يذهب بروق الكلام
وماءه ودونه هنا بمعنى قبل كما في قول ابن دريد

ان امرء القيس جرى الى مدى ٭ فاعنا فه حمامه دون المدا

وقد تقدم الكلام عليهما في الخطبة أقسم جل جلاله هو كجده كما مر وفي
نسخة جل اسمه على هداية المصطفى صلى الله عليه وسلم وتنزيهه عن
الهوى هذا اما دل عليه قوله ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى اشارة
الى نفي الضلال والغواية فهو كناية عن الهداية وان توهم في بادي النظر
ان بينهما واسطة فان الصغير ونحوه ليس بضال ولا مهدي لكنه لما اكد
نفي الغواية دل على ان المراد اثبات الهداية على وجه بليغ وكذا نفي النطق بالهوى
المراد به انه ليس له هوى ولا ينطق به على منوال قوله ولا ترى الضب بها ينجحر
ولذا ذهب المفسرون لما ذكر والهوى ميل القلب الى خلاف الصواب وحب
الشهوات وصدقه فيما تلاه وانه وحي يوحى فيما تلاه متعلق بصدقه
او بنازع فيه هو وما قبله والذي تلاه هو القرآن والتلاوة في عرف اللغة
والشرع تختص به وان كانت قد تطلق على مطلق التكلم لانه من تلاه يتلوه
اذا تبعه وهو متبع وضمير انه راجع لما وهو القرآن والوحي يطلق على معان كالقاء
والاشارة والرسالة والالهام ونحو مما فيه خفاء والى يوحى بعد الوحي للتاكيد
ودفع المجاز وافادة انه يتجدد شيئا فشيئا كما يشير اليه النجم والاول بالمعنى اللغوي

فهو تاسيس

سيد

سيد

ابن الحنبلي

فهو تاسيس وقيل الوحي كلما ينطق به وانه يجوز في قوله ان هو الى آخره
أن يكون استينافا غير مقسم عليه وفي ضمير ينطق ان يكون للقرآن ويمكن
تطبيق كلام المصنف عليه ولم يذكر الحصر المذكور في النظم اشارة الى ان
فحوى الكلام يفيده لان المقصود نفي وجه البطلان فاذا بين انه وحي اكد
على وجه دل على هذا مما لا يخفى فلا يرد عليه ما قيل انه اخل بالحصر مع القسم
به على الاثبات والنفي الذي افاده قوله ان هو الا وحي يوحى وهو انسب
بتعظيم القرآن الذي جاء به النظم المقتضي لتعظيم من جاء به وتبجيله وهو المناسب
لما قصده المصنف رحمه الله ثم اني بكلام او هم ابو عذرته ما له ما ذكرناه وهو
مسبوق به ثم قال كيف يتوجه القسم الى قوله ان هو الا الى آخره مع قوله
انه لم يدخل به القسم ولم يعطف على مدخوله وجوابه والجواب
انه بيان لقوله وما ينطق عن الهوى سواء كان المراد انه ينطق بوحي متلو هو
هو القرآن او ان كل ما ينطق به مما يتعلق به بالدين وحي من عند الله ولذا رجح
القسطلاني عود ضمير هو الى النطق المفهوم من ينطق وليس عائدا الى القرآن
فان نطقه بالقرآن والسنة وكل منهما وحي من عند الله ولذا فسر قوله وانزل
الله عليك الكتاب والحكمة بالقرآن والسنة لانها كانت تنزل عليه
صلى الله عليه وسلم كما ينزل القرآن او صله اليه عن الله تعالى
جبريل عليه الصلاة والسلام وهو الشديد القوي أي أوصل
الوحي بمعنييه كما بيناه فلا وجه لما قيل ان كان المراد القرآن فلا خلاف
فيه وان كان كل ما ينطق به فهو على التغليب او المراد انه أوصله بواسطة
غيره أو بلا واسطة والشديد القوى من اضافة الصفة المشبهة لفاعلها
اي قواه شديدة والقوى جمع قوة واصل معناه طاقة الحبل المفتول وجبريل
عليه الصلاة والسلام موصوف من بين الملائكة بالقوة العلمية لتلقيه
عن الله ما لا يقدر غيره على تلقيه والقوة الحسية كقلعه قرى قوم لوط
عليه الصلاة والسلام واهلاك بعض القوم بصيحة منه ونزوله من فوق
السموات الى الارض في اقل من طرفة عين وقيل الشديد القوى هو الله العظيم
القدرة ثم اخبر تعالى عن فضيلته بقصة الاسرا البا اللاصاق بقوله
متعلقه باخبر او المشيه بقصته وثم للاشارة الى بعض بعد هذه القصة
عما قبلها كزيادة شرفها والاسراء من مكة الى بيت المقدس والمعراج
عروجه منه الى الملا الاعلى فلا يناسب تفسير الاول بالثاني وان كان كل منهما

لقلبه

يطلق على الاخر والفضيلة ما اكرمه الله به من تقريبه وتشريفه بما لا يعلمه
غيره وابتدا القصة من قوله فاستوى الى قوله لقد راى من ايات ربه الى
اخره فانها في المعراج في قول طائفة قيل والاصح ان قوله ولقد راه نزلة
اخرى المراد به رويته جبريل عليه الصلاة والسلام على صورته الاصلية
ويويده ان ما قبله ليتم حكاية عما في المعراج على راى الاكثرين ولم يتعرض
المصنف رحمه الله لتفصيله بل اتى بثم معقبا بقوله وانتهايه الى سدرة
المنتهى السدرة واحدة السدر وهي شجرة النبق وهذه من جنسها ولذا ورد
فيها ان نبقها كقلال هجر وهي عن يمين العرش وورد انها في السماء السادسة
والسابقة ووفق بينهما بان اصلها في السادسة وفروعها تنتهي للسابعة
واضيفت المنتهى بمعنى الانتهاء او محله لانها تنتهي اليها علم المقادير او الارواح
او الملائكة وسياتي تفصيل حالها في مبحث الاسراء في الرواية في قوله ولقد
راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى وفي المراد اختلاف ايضا هل هو الله تعالى
او جبريل عليه الصلاة والسلام على صورته الاصلية والمعراج هل كان
الى السماء او الجنة او لما فوقهما وما ذكره المصنف من انتهايه اليها لا ينافي انه
لما فوقها وتصديق بصر فيما راى اي تصديق الله له في رويته في قوله ما زاغ
البصر الى اخره كما سياتي اي ما راه واعتقده بسبب رويته حق مطابق للواقع
والرويه وان كانت فعلا الا انه يقال صدقت فعلته اذا اثبته اثباتا متيقنا
لانه لم يجاوز بصره ما راه ولم يعدل عنه ولم يقدح فيما امر برويته ومدح الله له
دليل على عدم خطايه بترك الالتفات تاديبا فلا وجه لما قيل ان ذلك لا يدل
على تصديقه وهذا معنى قوله ما كذب الفواد ما راى اي ابصر بما مر
اي ما كذب بصر فيما حكاه له فان الامور القدسية تدرك بالقلب ثم بالبصر
او ما قال الفواد لما راه لا اعترك ولو قاله لكذب لانه عرفه بفواده كما راه
ببصره يقينا لا تخيلا كما قاله بعض الشراح وقوله وانه راى من ايات
ربه الكبرى اشارة الى قوله تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى ومن بيانية
مبينة لمقدار او تبعيضية اور ايدة اي راى صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا
به من ايات ربه وعجايب ملكوته وقال البيضاوي اي والله لقد راى الكبرى
من ايات ربه وعجايبه الملكوتية والملكية ليلة المعراج وقيل انها المعينة
كما راى والكبرى صفة الايات والمفعول محذوف او مفعول من ايات
حاله مقدمة وعلى البيان فهو راء لجميع الايات وعلى التبعيض ان المراء بعضها

دلجي

وانتهاء في

وزيادة من الاثبات مرجوحة عند النحاة فالمعنى انه راى ما راى مما لا يمكن وصفه

سيد

قيل والاضافة الى الرب تدل على انها غير ولوراه لكان الظاهر ذكره دون
اياته قاله صاحب الكشاف وفيه كما قيل انه نزعة اعتزالية وفيه نظر
وقد نبه على مثل هذا في اول سورة الاسرا ضمير ربه للتنبية بكون
بمعنى ايقاظ النائم وارشاد الغافل ومطلق البيان وهو المراد لكنه ايما
الى كونه بالليل يشير الى قوله في اول سورة الاسرا لنريه من اياتنا انه هو
السميع البصير وجعله مثله لان في سورة النجم ذكر تحقيق رويته بخلافه
هنا مع شموله لما قيل العروج وبعده لقول المفسرين ان المعنى لنريه من
اياتنا برويه السموات وما فيها من العجايب ومشاهدته البيت المقدس ومقا
الانبيا عليهم الصلاة والسلام ومواطن عباداتهم وتمثيلها له وبينهما
مناسبة بدلالتهما على رويه الايات الكبرى الا ان فيها اشارة باضافة الاراءة
له بضمير العظمة وجعل نفسه هو السميع وهو البصير الى زيادة قربه
وعظمته مما لا يخفى على من له ذوق وافتتحها بسبحان الدالة على التنزيه نفيا
للجهة المتوهمة واشارة لبراءة ساحته عن استبعاد ما استبعده حتى قالوا ما
ما قالوا ولما كان ما كاشفه عليه الصلاة والسلام من ذلك الجبروت
لما بالتشديد وفتح اللام وما موصوله وكاشف فاعل من الكشف وهو رفع
الغطا والكشف عن الشئ يقتضي معاينته ومشاهدته ولذا وقع هنا
عبارة عن المعاينة ولذا علق به قوله من الجبروت وعطف عليه قوله ومشاهده
من عجايب الملكوت عطف تفسير فلا وجه لما قيل المناسب ان يقول
فشاهده لان المشاهدة اثر الكشف لصحة قولك كشف فشاهد لكنه راى
اذ لا يصح ان يقول رفع غطاما هناك من الجبروت لان المراد انه عاين
الجبروت واطلع عليه لا رفع عطاه والجبروت فعلوت بفتح الفا والعين واللام
مضمومة يليها واو ساكنة وتا طويله وتسكين الياء والهمز غلط كما قاله
ابن مكي في سقيف اللسان وهو بمعنى العظمة والجلالة من الجبر وهو القهر
من تحز بمعنى تعظم كما في القاموس وله معنى اخر غير مناسب هنا وقيل
المراد بالمكاشفة الدلالة لانه معنى من المعاني لا يشاهد ولو ابقي على ظاهره
وقيل للكاشفة غير المشاهدة فالفعلان ليشاصلة الموصول واحد بل
المراد الجنس الذي كاشف بعضه وشاهد بعضه او انه يقدر موصولا ايضا
على تجويز حذفه مع صلته وهو تكلف لا حاجة اليه ومراد الملكوت عالم الغيب

ذات

لكنه

ابن الحنبلي

والملك عالم الشهادة قال تعالى أو لم ينظروا في ملكوت السموات والارض
وهو مصدر ملك مع المبالغة وهو مختص بالله قيل وكان الأظهر
أن يقول وعجايب الملك وفيه نظر لا تحيط به العبارات والعبارة اللفظ
المعبر به عن المعنى من العبور وهو المرور قال تعالى الا عابري سبيل اطلق
عليه لتوهم ان الفهم يعتبر به وفي المصباح العبارة البيان بكسر العين وحكى
في المحكم فتحها ايضا انتهى اي تقصر العبارة عن ادائه لكثرته حيث لا تفي العبارة
بتفصيله او هو على اطلاقه مبالغة قيل وهو ناظر الى مشاهده
وقوله ولا تستقل على سماع اذناه العقول ناظر الى ما كاشفه على اللف
والنشر المشوش وهو مبني على تغاير هما كما مر وتستقل اقله عن الارض
اذا رفعه ثم صار بمعنى حمله ومنه القلة ويكون استفعال من القلة اي عد
الشئ قليلا واستقل بالامر استبد وانفرد كما قيل

ربما قصر الصديق المفضل عن حقوق بهن لا تستقل

وهذا هو المراد اي لا يقدر على حمله الا بقوة قدسية ومساعدة ربانية وقيل
المراد الاول اي لا تطيق العقول غير عقل النبي صلى الله عليه وسلم حمله واني افعل تفضيل
بمعنى اقل اي لا يفد رعلى قليله فضلا عن كله واكثره وفي كلامه مبالغة واغراق
حيث اضاق الحمل للسماع وهو كالتحمل لنقل الحديث يعني ان التعبير عنه غير
ممكن ولو امكن لا يتحمله ويعجبه سامعه ومن عنه تعالى جل بالايماء والكناية
الدالة على التفخيم جواب لما وفاعله ضمير مستتر لله عز وجل والرمز في
الاصل الاشارة الخفية بالعين او الحاجب ونحو والايماء الاشارة باليد ونحوها يتعدى
بالى قال الشاعر

رمزت الي مخافة من بعلها والصنف عداه بعن لتضمينه معنى
التعبير والكناية في عرف اهل المعاني ما يراد به لازم معناه الحقيقي مع جواز
ارادته وعند اهل الاصول ما يقابل الصريح وهو المراد هنا يعني انه اتى
بالموصول الاسمي المبهم ومثله يستعمل للتعظيم لما فيه من الاشارة الى انه لا يدرك
كنهه كقوله عز وجل فغشيهم من اليم ما غشيهم وقوله
وكان ما كان مما لست اذكره فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر
مع ترك المفعول ايضا وهذا مما اتفق عليه اهل النحاة المعاني الا ان فيه
اشكالا لانهم اشترطوا في الصلة ان تكون معروفة معهودة حتى يتعرف بها الموصول فاذا
كانت مبهمة لم يعرف معناها حتى يعرف غيرها وقول الناظر الجيش ان هذا فيما اذا لم يقصد

ابن هشام الانصاري

النحاة وأفعاله

ابهامه لا يجدي نفعا وان تبعد من بعده كالدمامين فالتحقيق ان يقال
الاتيان بها مبهمة من اعلى طبقات البلاغة لان الذهن يذهب فيقع في النفس
موقعا عظيما فيتصوره السامع بهذه الطريق ويرتسم في ذهنه اشد ارتسام
وليس المراد بالعهد الا هذا فاعرفه فقال تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى
هذا وما سيأتي تفسير وتفصيل للرمز مما كشفه وشاهد مع الاشعار بما
في الابهام من التعظيم وقيل ان هذا مبني على ان الكبرى صفة الايات
ومن تبعيضية وفاعل اوحى الاول والثاني رب العزة اي اوحى الله ما اوحاه الى
نبيه عليه الصلاة والسلام او بما ضمير جبريل عليه الصلاة والسلام
لان الاول لله والثاني لجبريل او العكس وان كانت ما فيهما مبهمة ظاهرا واعلم
المصنف في الباب الثالث يقتضي اختلاف الضمير فيهما اقول
يعني انه على بعض الوجوه لا يكون من قبيل النوع المذكور عند اهل
البلاغة الآتي ذكره كما صرح به القائل والصور على هذا اثنى عشر وجها تجري
في هذه العبارة من ضرب وجوه من الثلاثة في اربعة جاءت من اتحاد الضميرين
واختلافهما فان ضربناها في وجهي الكبرى كانت اربعة وعشرين ولكن
ما قاله لا وجه له فان البلاغة والمبالغة انما جاءت من الابهام وهو موجود
في سائر الوجوه لدلالتها على ما اوحي اليه لا يحيط به نطاق العبارة ولا
تسعه الاسماع والاذهان البشرية ولا تطلع على شرفاته الانفس القدسية
وهذا النوع من الكلام تسميه اهل النقد والبلاغة بالوحي والاشارة
وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز الايماء والاشارة والوحي كلها بمعنى واحد
وهذا نوع من انواع الكلام البليغ صرح به المبرد في كامله وسماه الايماء وصرح
به التبريزي في شرح ديوان ابي تمام وفي الكشاف اشارة اليه وقد وقعت
هذه التسمية في كلام العرب ايضا كقوله

يرمون بالحدب الطويل وتارة وحي المريب المريب مخافة الرقباء

وهو ان يقصد بالكلام معنى غير ما وضع له وغير لوازمه المعروفة فيؤخذ منه
معنى لطيف يفهمه اهل اللسان الاذكياء ولذلك سموا بهذا الاسم ومثاله
بقوله جاؤا بمذق هل رايت الذيب قط فانه اراد انه ممزوج بما كثير حتى مال
لونه للرمادي به شكى به عن لونهم وبخلهم ومنه قول المتنبي في صفة واد
تروع حصاه خالية العذارى فتلمس جانب العقد النطيم
وقد صرح به اهل المعاني قال ابو هلال في كتاب الصناعتين في فصل عقده

شبكة الألوكة www.alukah.net

لهذا الاشارة ان يكون اللفظ القليل مشارا به الى معان كثيرة بايما اليها
ولمحة تدل عليها وذلك كقول الله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى وقول
الناس لو رايت عليا بين الصفين انتهى ثم اورد له امثلة وشواهد كقوله ه
انعيوني وانا انا وقوله

هذا رجائي وهدى مصر معرضة وانت انت وقد نادبت من انت

كما فصلناه في طراز المجالس وهذا ليس له عبارة مخصوصة كالموصول وما
نحن فيه فان الايجاز من لوازمه وهنا لما قال فاوحى الى عبده ما اوحى قصد انه
اوحى اليه باسرار عجيبة بلا بواسطة غير البشر وبغير واسطة لا يمكن
تفصيلها ولا تقدر العقول على ادراك حقايقها واراد بهذا ان له مرتبة
عظيمة عنده وله من الزلفى والقرب منزلة لم يصل اليها سواه ولذا عبر بالعبد
اشارة الى انه ليس باجنبي في مقامه الى غير ذلك من المعاني التي لو فصلنا ما
ضاق عنها نطاق البيان وبعض الشراح لما لم يقف على مراده فان تبعيته
بالاشارة واضح لكن الذي عليه اهل البلاغة انه تفخيم نحو فغشيهم من اليم ما
غشيهم واما تبعيته وحيا فلعله اصطلاح قديم وهو نكتة لا يرده المبتدا الموصولة
والابلغية فيه بالايجاز وفيه انه ليس بلازم هنا كما اذا قلت في شيء واحد
علمت ما هو كراهة ان يطلع عليه غيرك فانه كم ممنوع وتعقبه اي المصنف من
قال انه اعم انواع الايجاز لاداء المراد بلفظ اقل من المتعارف
فيه وتفصيله لعظمته فتح منه ودعمد دفعه بما لا محصل له وليعض الشراح
هنا كلام لا محصل له اضربنا عنه لعدم فايدته والعجب من عدم اطلاع هؤلا
وخطبهم خبط عشوا والنقد تمييز الجيد عن الردى بنظر سديد ففيه استعارة
لتشبيه الكلام بالذهب ونحوه والمعارف به يسمى بالصيرفي وقوله وهذا النوع
اشارة الى هذا الكلام وامثاله او الى النوع الذي في ضمن جزي من جزيئاته
فلا يرد عليه ان ما ذكر ليس بنوع بل كلام لشخص والمراد باهل البلاغة البلغا
او العلما بعلم البلاغة والبلاغة عندهم معروفة وقال تعالى
لقد راى من ايات ربه الكبرى اخرت الافهام عن تفصيل ما اوحى ه
وتاهت الاحلام عن تبيين تلك الايات الكبرى اخسر بمعنى اعمى وكل
وتاه من التيه وهو الضلال في الطريق والتجبر والافهام جمع فهم وهو الادراك
والاحلام جمع حلم وهو بزنة قفل وهو العقل ويكون بمعنى ما يراه النايم
وليس بمراد هنا خلافا لما توهمه وشبه الطالب للوقوف على المعنى بسالك

قد ترك ه

في الطريق

في الطريق الطويلة التي يتعب المسافر فيها وقد يخفى عليه فيضل فيها فبين
قوله تاه واخسر مناسبة تامة والتفضيل التمييز وضد الاجمال والتعيين تحقيق
عين الشيء وفي ذكر التحصيل التفصيل مع الاخسار والتعيين مع التيه لطف
تام والاشارة بتلك الايات لجميع ما راى وقيل للمرى منها وهو ايات
كبرى لا الى جميعها لما مر من ان احتمال رويته البعض هو الراجح فبالبين حمل كلام المصنف
عليه وان كان خلاف الظاهر مع ان التعظيم انما يستفاد من حذف المفعول به الذي
بعضها واغرب ان التقدير لقد راى من ايات ربه الكبرى ما راى فيه نظر قال
القاضي ابو الفضل وهو المصنف عياض رحمه الله تعالى اشتملت هذه الايات
على اعلام الله تعالى بتزكية جملته صلى الله عليه وسلم اي مجموعها من
قوله الى قوله الكبرى وان لم تكن كل واحدة منها مستقلة عليه والتزكية
تطهيره عن النقايص البشرية وجعله ذا نفسه وصفاته الظاهرة والباطنة
وصفاته ونفسه القدسية واذا اخبر الله بذلك فقد جعله زكيا وعصمها
من الافات في هذا المسرى العصمة من عصمه يعصمه من باب ضرب اذا حفظه وصانه واعتصمت بالله امتنعت به والاسم العصمة والمسرى مكان السرى
او نفس السرى على انه مصدر ميمي والافات جمع افة وهي ما يعرض من المفاسد
ولما اخبر الله في هذه الايات بما حصلت به التزكية كان كانه اعلم بها نفسه ولذا
فسره المصنف رحمه الله تعالى بقوله فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه
قال السيوطي رحمه الله تعالى وقع في نسخة وزكى بالواو ه
والصحيح انه بالفا التفسيرية المفسرة لقوله اشتملت والواو محلة
بالمعنى ولا وجه لما قاله فان العطف التفسيري كما يكون بالفا يكون
بالواو كما في قوله تعالى انما اشكو بثي وحزني الى الله وقد يكون بلغ
اذا قصد انه لغايرته بالتفصيل والاجمال كانه غيره والفواد القلب عبر
به اولموافقة الاية وعبر بقوله بالقلب فرارا من صورة التكرار ه
وقيل الفواد وعاء القلب فذكر المحل واراد الحال وقيل هو داخله
ويكون بمعنى العقل ويجوز ارادته هنا والاول اصح واوضح واللسان
معروف والجوارح جمع جارحة وهي العضو الذي يكتب به كما في الصحاح
ويعلم ما جرحتم اي كسبتم والظاهر اختصاصها بالاعضا الظاهرة
كاليدين وجعلها شاملة للقلب لاكتسابه بعض الامور او على التغليب
فهو تعميم بعد تخصيص تكلف ولم يذكر هنا الا اللسان والبصر ولذا قيل

المراد بعض جوارحه أو هو بناء على ان اقل الجمع اثنان أو هو بالنظر لكل من
المعنيين أو لجعل هذين العضوين بمنزلة الجميع او عبارة عنهما لان المرء
باصغريه قلبه ولسانه وهما كالسلطان والوزير وما عداهما تبع لهما
والذي في نسخ الشراح هنا قبله بقوله ما كذب ما راى بدون اتيان
واو وهو الظاهر لانه بدل مما قبله بدل مفصل من مجمل وقد جوز في مثله
أن يكون بدل كل وبعض بتقدير ضمير او بدونه وفيه كلام فصلناه في
غير هذا الكتاب — وفي بعض النسخ وقبله بالواو على نهج مامر
في العطف التفسيري وروى فزكى قلبه بالفا التفصيلية التفسيرية
على اللف والنشر او هو استيناف في جواب سؤال مقدر تقديره كيف زكاه فقال
قلبه الى آخره والمقام مقام بسط وتطويل وهو مقبول من مثله والقول
بان فيه طولا ولو قال فزكى قلبه بقوله الى آخره مع نصب القلب وما
بعده الى آخره لكان أولى واخصر غير متجه والكذب معروف يوصف
به الكلام والمتكلم وقيل المعنى ما كذب الفؤاد ما رآه اي اعتقده واو
غير مقبول عند المصنف لانه يأباه ما زاغ البصر وما طغى وقال المفسرون
ان القلب لم يروهم العين ولم ينكر ما رأته ويلزم من تزكيتها تزكيته فلا
يقال ان التزكية حينئذ للعين لا للقلب لان قبوله الحق تزكية له وهذا
مراد من قال ما قال فؤاده للذي رآه بصرك لم اعرفك كما قاله القاضي
ولو قال ذلك كان كاذبا بالآية عرفه وهل المذكي الرب او غيره سيأتي
تفصيله والمراد نفي الخطا عن اعتقاداته ولسانه بقوله ما ينطق عن
الهوى وهذا وان لم يكن مخصوصا فيما في كلامه على بعض الأقوال وبصره
بقوله ما زاغ البصر وما طغى اي ماله مال بصره صلى الله عليه وسلم يمينا
ولا شمالا ولا تجاوز حده في نظر لما هو امامه ففيه تزكية لبصر وهو
تزكية له وبيان لثبات جنانه او كمال ادبه وهو في رويته لربه جل وعلا
في معراجه كما سيأتي وقال — تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار
الكنس والذي الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم هي النجوم فالخنس اي
الكواكب الرواجع وهي ما عدى الترين من السيارات ولذا وصفها بالجواري لسيرها
والكنس التي تغيب في مغاربها من كنس اذا دخل كناسه والكناس بقطر الظبي
كالفيل للاسد والوكر للطير والجحر للحشرات والبيت للانسان فهو على التشبيه
والخنس تعقر الانف والظبا توصف به والشيطان من الجن وقد يخص

تلمساني

بابليس من شاط اذا احترق او من شطن اذا بعد وهو انسب بالرجيم لانه
المرجوم بالشهب لا اقسم اى اقسم انه لقول رسول كريم اى كريم عند
مرسله وهو الله عز وجل وعلى عدم الزيادة انه واضح غير محتاج للتاكيد
بقسم وغيره وهو قول لاكثر المفسرين لانه الاصل وعلى الزيادة لمناسبة
المقام ولقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم ولثبوت الزيادة في قوله فلا
اقسم بمواقع النجوم مع اشتراك المقامين في بيان شان القران واختاره المصنف
لمناسبته لما عقبه له الفصل واشار لعدم القسم فيما سبق لما فيه من التعظيم
او اشارة لجواز الامرين او الفرق بين الموضعين مع ان في الاية ما يناسب
النفي وايهام عدم جواز غيره لا يعتد به وضميره انه للقران أو لما اخبر عنه من
المغيبات والقول بمعنى المقول والرسول المرسل ولم يغير لفظ القران كما هو دأبه
وقيل التقدير لقوله مرسل رسول والكريم بمعنى العظيم او الجواد بسعادة
الدارين قيل فاهل اقسم جبريل واضاف القسم له لاقائه له صلى
الله عليه وسلم كلاما مولفا ثم صرفه عنه بقوله تنزيل من رب العالمين وكريم
ومكين صفة جبريل عليه الصلاة والسلام على الاصح وقيل المراد به النبي
صلى الله عليه وسلم وتفسير المصنف بكريم عند مرسل لا حاجة اليه مع قوله
عند ذي العرش مكين والغرض انه عند غير الاصح ولذا نقله عن الرماني فيما
ياتي أقول — يجوز جعل ضمير اقسم لله عز وجل واعتراضه على المصنف
رحمه الله تعالى لا وجه له سوا اراد ان المكانة عند الله تستلزم كرامته
عنده أو ان العندية من قوله ذي العرش لانه مقام مدح فيقتضي التصريح بما
يدل عليه مع ان ما ذكره غير مسلم والعندية عندية تشريف وتعظيم فتامل ذي
قوة على تبليغ ما حمله من الوحي حمله بالتشديد مع البنا للفاعل اى حمله الله
او المفعول والتحميل في الرسالة لنقلها مشهور وهو في الاصل استعارة للثقل
الامانة وعند ظرف لمكين والقوة معروفة وقد تفسر بالمنزلة كما يقال فلان قوي
عند السلطان فيتنازع هو ومكين الظرف او الظرف صفة لاخرى والقوة صفة جبريل
عليه الصلاة والسلام لما حمله الى النبي صلى الله عليه وسلم او هو النبي صلى الله عليه
وسلم لما بلغه لامته والمراد بالوحي القران لقوله تعالى انا سنلقي عليك قولا
ثقيلا مكين اي متمكن المنزلة عند ربه كريم المحل عنده يعني ان مكين
بمعنى متمكن المنزلة اى معظم مبجل رفيع رفيع المقدار عنده ومعنى العندية
معلوم مما مر في اعرابها وتفسيره بالتمكن لا يخالف ما تقدم من ان المكانة المنزلة

اقبرس

شبكة الألوكة www.alukah.net

عند الملك كما قيل مطاع ثم اى في السما ثم بفتح المثلثة وتشديد الميم
مبنى على الفتح اسم اشارة الى المكان بمعنى هناك وتزسم بالها للوقف بها
عليه ونقل انه لغة فيه ايضا مما مر رد على قوله في السما قوله عند ذى
العرش واشارة البعيد والمقام وهو قريب من قوله في الكشاف
مطاع عند ذى العرش في ملائكته ويجوز تعلقه بالامانة وبمما امين على
الوحي وخصه بذلك لان المقام بقتضيه وهو مؤتمن عليه وعلى
غيره ولما فسر بمقول القول فصدق فيما يقول ويجوز فيما ذكر ان يراد
به جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم لاطلاق الامين على كل منهما وكون
جبريل عليه الصلاة والسلام بمطاع في السما اظهر وان قيل النبي صلى
الله عليه وسلم مطاع فيها ايضا لامامته بالانبيا عليهم الصلاة والسلام
فيها وما جرى بينه وبين ملك الجبال وغيره الا انه خلاف الظاهر ويجوز
في ثم ان يكون اشارة للظرف السابق اى مطاع عند ذى العرش مقبول
الشفاعة وهو بعيد قال علي بن عيسى رحمه الله في المقتفى الظاهر
انه ابو الحسين علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرباني الامام في النحو واللغة
والتفسير والكلام في تفسير عظيم لم تقف عليه وهو تلميذ بن دريد ويروي
عنه جماعة توفي ليلة الاحد حادي عشر جمادى الاولى سنة اربع وثمانين
وخلا ثمانية وقيل سنة اثنين وثمانين ومولده ببغداد سنة ست
وتسعين ومائتين واصله من سر من را والرماني نسبة الى ربيع الرمان
او الى قصر رمان وهو قصر معروف بواسط كما قال ابن خلكان وله
ترجمة في الميزان الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم بجميع الاوصاف
بعد هذا له صلى الله عليه وسلم هذا قول الجمهور وبعد هنا منهم من قال
انه بالموحدة بلفظ بعد ضد قبل اى بعد ذكره على هذا القول والتفسير
ومنهم من قال انه بالمثناة الفوقية فعل مجهول من العدد والجملة خبر وعلى
الاول الظرف متعلق بمقدر وله خبر وعلى متعلق بما تعلق به او بالمثنى المقدر
وضمير له عليهما للنبي صلى الله عليه وسلم حتى مطاعيته في السما كما مر وما
قيل من انه في الصفات المذكورة ما يعين انه جبريل عليه الصلاة والسلام
مبني على الظاهر المتبادر ورده بان ملك الجبال قال امرني ربي ان اطيعك ولا
يتخلف ملك عن امره بل الشجر والدواب كذلك لا يخفى ما فيه وقال خير هو
جبريل عليه الصلاة والسلام فترجع الاوصاف اليه ضميره هنا راجع

ابن الحنبلي

علي بن عيسى

لعلي بن عيسى ولم يلتفت لغيره المذكور لعدم تعينه ولا تابع له او هو راجع
لما تاويله بغير من ذكر ومثله كثير فالغير هنا غير الغير الذي وافقه
على القول المذكور اما كونه مؤولا بان عنده روايتين في التفسير فتعسف لا وجه
له وان جوزه بعضهم وكون المراد بالرسول الكريم جبريل عليه السلام هو
قول جمهور المفسرين ويويده ما رواه الواحدي من النبي صلى الله عليه وسلم
قال له ما احسن ما اثنى عليك ربك بقوله ذي قوة الى اخره وما مر من قوله
صلى الله عليه وسلم له هل اصابك من هذه الرجفة شئ فقال كنت اخشى
العاقبة حتى نزلت هاتين الايتين وعلى القول الاول يحمل ما وقع في خطبة
المقامات للحريري فلا وجه لتشنيع ابن الخشاب عليه ولا لقول الشريشي
انه عثرة وضعف القول الاول السهيلي بان الاية وردت لتكذيب الكفار ان
محمدا صلى الله عليه وسلم تقول القران فاضافه الله الى جبريل عليه الصلاة
والسلام وان كان في الحقيقة قوله تعالى لان جبريل هو الذي جا به الى النبي
صلى الله عليه وسلم فصار كان قوله فلا يسوغ على هذا ان يكون الرسول
الكريم محمدا وان كان رسولا كريما قيل لما ذكره ظاهر ان ثبت انها
وردت لهذا الغرض ورد بان لارادة النبي صلى الله عليه وسلم مساغا ولو سلم ما
قاله لان مدعي الكفار انه مقال محمد من تلقا نفسه وقوله انه لقول رسول كريم
ناطق بانه قوله من ارسله كما مر فينبغي كونه من تلقا نفسه فتدبر ولقد راه
يعني محمدا قيل رأى ربه وقيل رأى جبريل في صورته يعني الرأى
محمد صلى الله عليه وسلم على التفسيرين واختلف في المرى فالجمهور على انه جبريل
على صورته الاصلية بستمائة جناح ومنه بعلم نكتة تخصيصه بالافق قيل
ولم يره غير مرة بهذه الصورة وقيل رب العزة قال بعض الشراح هو قول
ابن مسعود رضي الله عنه وقدمه المصنف رحمه الله تعالى لموافقته
لعرضه وهو قول غريب قيل انه لم ينقل عن احد ممن يعتمد عليه وياباه
كل الاباء قوله بالافق المبين سواء كان نواحي السما او حيث تطلع الشمس اذ لم
يقل احد انه راي ربه بالافق واجيب بانه اذا جاز عود ضمير راه لربه فرؤيته
بالافق كاستوى على العرش او المراد بالافق الذي فوق السما السابعة وحينئذ
فقوله دنا فتدلى من قبيل دنو المكانة لا المكان او المراد به المنزلة العالية كما اشار
اليه الامام وقولهم لم يقل به احد يرده انه روى عن ابن مسعود رضي الله تعالى
عنه وما هو على الغيب بظنين اي بمتهم في الغيب الغائب عن الحس الذي اخبر

دجي وغيره

سيد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

به أو هو وسائر الانبيا عليهم الصلاة والسلام على اخبار الغيب فيشمل الذات والصفات والقرآن فيستدل به على غيره او المراد ما غاب عن علمكم فيشمل اخباره من المشاهد والمغايب والظنين بالنظائر المشاله ما ينسب الى التهمة للوهم والغلط او المراد ليس مظنونا به ما ينسب اليه مما اتهمته به الكفرة فالنفي فيه كالنفي في قوله لا ريب فيه وقرئ في السبعة بالضاد المعجمة كما اشار اليه بقوله ومن قراها اي الاية او الكلمة وروى قراه اي هذا اللفظ بالضاد وهو نافع وعاصم وحمزة وابن عامر من الضن والضنة وهي البخل فمعناه ما هو بخيل بالدعا له والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد صلى الله عليه وسلم باتفاق الفارئة في خبر الموصول لتضمنه معنى الشرط وضمير معناه للفظ او القول المذكور وقوله بالدعا به الدعا بالمد بمعنى الدعوة اى المدعو اليه والبا في به على هذه الرواية اشارة الى ان على في النظم بمعنى اليا او هي بمعنى الى او للسببية والمدعو اليه احكام الشريعة كلها وروى الدعا له او الدعاية بكسر الدال وتشديد التحتية بعد الالف والتذكير التنبيه او الوعظ وحكمه بضم الحا وسكون الكاف او بكسرها وفتح الكاف جمع حكمة وهو الكلام النافع والعلم ما علم منه من كل امر فيه علم وحكمه اي ما هو بخيل على الناس في تبليغ ما اوحي اليه وقدم من تبليغ وهذه اشارة للاية او للصفة على هذه القراة والاتفاق على هذه بخلاف قراة الظا لان هذه العلوم والحكم امر نفيس فيه سعادة الدارين ومثله ممن يضن به البيب فنزهه عن مثله لكرم جبلته وقال تعالى نون وما يسطرون الايات اي او الايات الى اخرها او اذكروا عني اقسم الله تعالى بما اقسم من عظيم قسمه ايهم المصنف لان اشارة الى عظمته كما مر والى عظمة ما فيه بنا على ان كون قسم هنا وهي الحرف او الدواة او اسم للسورة فاقسم بالقران وما كتب به والقلم هو على ظاهره او بمعنى المقسم به على تنزيه المصطفى صلى الله عليه وسلم مما غمصه وفي نسخة غمصته الكفرة به وتكذيبهم له غمصه بفتح الغين غمصا احتقرهم وعابهم والشي كذلك وغمص النعم واغمصها كفرها وقال التلمساني الغمص بالصاد المهملة الغيب والتنقيص واكثر ما يكون في الدين وقال ابن حبيب في غريب الموطا الغمص بضاد معجمة اخت الصاد تصغير النعمة وتحقيرها وبالصاد المهملة اذا صغر الناس وازدرى بهم واستحسن هذا الفرق بعد ان قال انهما سوا التهى فيجوز في كلام المصنف رحمه الله الاهمال والاعجام الا ان الاول ارجح وعليه اقتصر الشراح وقوله وتكذيبهم بالجر عطف على ما والمراد بالتكذيب الواقع في كلام المصنف

في بعض الشروح هو قولهم هذا ساحر كذاب واجمل بعضهم فقال المراد التنزيه عن الكذب المضر القادح او ما كذب به أقول لا يخفى ان المصنف رحمه الله تعالى لم يذكر من الايات ما يدل على التكذيب نفيا واثباتا وليس في كلامه غير ما انت بنعمة ربك بمجنون وما قيل اولا لا مساس له لكلامه ونظر المصنف رحمه الله في مقاصده دقيق لمن عرف مغزاه فالمراد انه تعالى انعم عليه بما علمه واعطاه من نعم الدارين واغناه عما سواه ونصره على اعدائه ومن ادنى مثل هذا لا يكذب فان فعل او تكلم بما لا يليق فهو مجنون ولذا قال الفاضل الحلبي انه تعالى نزهه عن تكذيبهم وهو واقع لان معنى الاية ما انت بمجنون بسبب انه تعالى انعم عليك كلا تكذيب لعدم الاعتداد قيام الدليل على خلافه وانسه وبسط امله انس فعل ماض معطوف على قسم يفتح بقصر الهمزة وتشديد النون من التانيس او بالمد والتخفيف من الايناس يقال انست به وانسته اذا ذهبت وحشة وسكنة كما مر والامل الرجا وبسطه توسيعه وتكثيره او من الانبساط وهو المسرة كما ورد في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لعايشة يبسطها ما يبسطني اي يسرها ما يسرني فهو استعارة تدل على انه عامله صلى الله عليه وسلم بالطاف حتى كثر رجاه أو سر بقوله محسنا خطابه ما انت بنعمة ربك بمجنون محسنا حال من الضمير وروى مخففا ومشددا من الاحسان والتحسين والثاني احسن عند من له ذوق ولذا اقتصر عليه البرهان رحمه الله وخطابه مفعول بقوله وما انت الى اخره مقول القول وهو جواب القسم في النظم ولو سمع الامل لجعله ملتبسا بنعم الكوثر الذي ربّاه وقوله واه لك لاحرا الى اخره ايما لدوامها وازديادها وقيل خطابه المقرون بتحليته وتخليته وسع امله لان من اثنى على احد وسع امله وهو تكلفات في غنى عنه بما عرفته والبا للتسبية او الملابسة والمصاحبة وقال الشريف المعنى ان عدم الجنون لانعام الله عليه ولطفه او حال كونه ملتبسا بنعمة العقل والنبوة والاخلاق العلية مما يدل قطعا على كذبهم وهو حال من مجعول معنى النفي اى انتفى عنك او من فاعل بمجنون كما ذهب اليه الزمخشري والبا زايدة ليصح العمل وضعف بانه يلزم بقي الجنون المقيد لا مطلقا واجيب بان المقيد دايما فيصح المعنى ولعل غرضه ان مقام رد المعاند يقتضي ما لا يوهم ولو في بادي الراي والتقييد موهم وفيه ان تقييد النفي موهم ايضا لكن ايهامه اقل والقيد للاخبار ومثله كثير كما ذكره ابن الحاجب فالحكم بعدم الجنون في زمن تلبسه بالنعمة

وعدم الجنون مطلق وقيل البا للقسم وبه جزم فى لباب التفاسير وضعف
بان القسم لا يدخل على القسم انتهى اقول هذا ليس بشئ لانه وقع م
مثله فى الكتاب العزيز ولم يلتفت فيه لمثل هذا الايهام لان السياق ومقام
المدح شاهد اصدق لا يحتاجان للتوكيد الا ترى ان ابا البقاء رحمه الله اعرب
قوله تعالى وما هم بمومنين يخادعون الله حالا والعامل اسم الفاعل وهو
بمومنين وذو الحال الضمير المستتر فيه ولما خطاه ابو حيان رحمه الله بمثل
ما قاله المعترض رده المحققون بما قلناه فلا اعتراض على الزمخشرى غير مسموع
اصلا ولا حاجة الى ما اجابوا به فانه كله من ضيق العطن ولولا خوف الملل
لاطلناه ولكن الثمرة تدل على الشجرة تنبيه خطر ببالى هنا نكتة
وهى ان الله تعالى اقسم بالقلم وما خط به لمناسبة المقسم عليه لان المجنون
مرفوع عنه القلم فاتيانه به يدل على تكذيبهم فيما قالوه فله موقع هنا ليس لغيره وهذه
نهاية البحث فى المخاطبة واعلى درجات الادب فى المحاورة الاشارة المذكورة
من التنزيه عما قالوه فى حقه تعالى بقوله ما انت الى آخره والتكذيب الذى
دل عليه والتانيس بتقديم الدليل لقوله بنعمة ربك قطعا لعرق الشبهة من
اول الامر وتم بيان تحقيق امانه بقوله وان لك لاجرا غير ممنون به عليك
او غير مقطوع وهذا غاية البر والاحسان فى خطابه له صلى الله عليه وسلم
واقتضى مراتب الادب اللايق بمقامه صلى الله عليه وسلم تعليما لعباده
والمحاورة بالحا والراء المهملتين كالمراجعة والمجاوبة وزنا ومعنى ففيه
وجوه اكثر من خمسة فلم يكتف بجرح الرد عليهم كمن راى من يحبه فى هجوم اعدائه
بمقالهم فكذبهم وبين وجه كذبهم ثم ذكر ما يطرد وحشته ثم وعده بما هو
اعظم مما ذكره ثم اعلمه سبحانه وتعالى بما له عنده من نعيم وايم وثواب
غير منقطع اى بعد ان يراه ونزهه اعلمه بما اعده له بعد من الثواب على ما
قاساه وعطفه بثم اشارة الى بعد ما بين الامرين من بعد الشريع الانقطاع
ونعيمه الدايم الواقع فى مقابلة تكذيبهم له والاجر المضاعف على عمله وصبره
على طعنهم ورميهم له بما لا يليق ففيه تسلية له صلى الله عليه وسلم كانه قال
له لا تحزن فقد تبين كذبهم بداهة فلا تلتفت بقلبك اليه مما قالوه فلك نعيم
موبد فى مقابلته والصبر على الشدايد والمقاساة فى التبليغ ففيه تثبيت
وتخصيص فالثواب هو الاجر وغير منقطع تفسير لقوله غير ممنون لا يانخ العد
اى لا يحصى ولا يعد ففيه استعارة كانه اذا عد انخ اولا يغلبه العد ويحيط به

كما قيل

كما قيل فى قوله تعالى لا تاخذه سنة ولا نوم ومنه يعلم وجه
تقدير السنة والمراد المبالغة فى كثرته ولا يمن به عليه بصيغة المبنى للمجهول
من المن وهو تعداد المنعم لنعمه وضيعه والتقدير لا يمن احد من الخلق بها
عليه لانها من الكريم الوهاب اولا يمن بها الخالق ويوئيده انه روى
يوئيده بصيغة المبنى للفاعل وقول الطيبى رحمه الله ان من شان الكرام
ان لا يمنوا ولذا قيل ان ذكر الاجر يفيد انه لا منة والثواب لا ينقص بالمنة
ففيها تاكيد للاجر وقيل عليه انه تكلف مردود فانه تعالى يمن على عباده
كما صرح به فى مواطن عديده والاجر محض تفضل منه تعالى اذ العمل لا يفى
بشكره ونيل المراتب العلية فضل اخر واعطاما لا يجب عليه فضل ثالث
فتجب وجوه المنة منه وهو تشريف منه والتحقيق المقام لما قبحت من غيره
تعالى واعتادت النفوس النفرة منها لا يفعلها الله لا يما مها ما لا يليق به
وان حسنت منه ففيه تاسيس لتعظيم يستفاد منه لا توفيق النظر اقول
ما ذكره من التحقيق ليس بشئ فان المنه فعلا وقولا مستحسنة منه تعالى
وقد ورد التصريح بها فى نحو قوله تعالى قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم
ان هداكم للايمان بل قد يستحسن من غيره ايضا ولذا قيل ان هذا شبيه
بقوله المعتزلة فافهم وفى كلام المصنف اشارة الى تفسير اخر فى قوله غير ممنون
فقال وان لك لاجرا غير ممنون اتى بالفا لانه متفرع على ما قبله من الاعلام
او تفصيل له فى الجملة اى لك على ما احتملته من افاضة نواب غير منقطع
او غير ممنون عليك من غيره لانه موهبة الاهية واتى بتاكيدات اربع للاهتمام
والتقرير والانكار وزيادته فاكد المجموع بالمجموع او هى موزعة على ما ذكر والنبى
كالنبى صلى الله عليه وسلم منكرا فانه قد يراعى حال السامع كما فى التعريض وقد
علمت ان المن له معانى القطع والنقض وتقدير المنع واشار المصنف الى ذلك
كله بقوله غير منقطع وقوله لا يانخ العد الى اخره الا انه قيل عليه انه لا يتم
ما ذكره من الاعلام بالكل الا على جواز استعمال المشترك فى معانيه او جواز
فى النفى واراده على البدل فقول المصنف السامن ثم اعلمه الى اخره وعطفه
بالواو غير حسن الا ان يكون بمعنى او وكل قسم على تفسير وفى تحرير ابن الهمام
المشترك بصريح النفى وهو المختار والقول بانه اعلمه بما له عنده والبيان من المهم
لثبوت التفاسير تكلف وتحميل العبارة ما لا تطيقه والظاهر انه بيان للوجوه
المذكورة فى الاية على وجه يفيد ثبوتها كلها لاستلزام عدم العد لعدم الانقطاع

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والنقص بحسب عرف التخاطب فاثنى عليه بما منحه من هباته عطف بثم لما رأى مدحه بما هو وهبه واعطاه من موهباته السنية وهداه اليه من معرفته وتوحيده او من الغزاة وادابه ودلالته له دلالة موصلة فان افعال العبد وصفاته بايجاد الله فيه كما هو مذهب اهل الحق واكد ذلك تتميما للتمجيد اي التعظيم من المجد وهو الكرم اي تتميما لنسبته اليه بحرفي التاكيد زيادة لتعظيمه واهتماما به ففيه تعظيم على تعظيم ومما اللام وان مع القسم واسمية الجملة ولذا قيل الاولى ان يقول بوجوه التاكيد الا انه اقتصر على التصريح منه فان الاسمية قد لا يقصد بها التاكيد ولذا قالوا ان نحو زيد قائم بلغ في الذهن لكنه غير تام بالنسبة للقسم فقال وانك لعلى خلق عظيم اتى بعلى اشارة لاستعلائه عليه لكونه مجبولا عليه بغير تكلف قيل القرآن هذا مروى عن عايشة والحسن رضي الله عنهما وغيرهما كما سياتي والمراد اتصف بكل صفة جليلة تعلم منه ومنزه عن كل ما لا ينبغي مما نهي عنه فليس هذا تفسيرا خوكما قيل وقيل الاسلام ولذا قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره على دين عظيم والخلق يجئ بمعنى العادة والطريقة وقيل الطبع الكريم اصل معنى الطبع الختم وطبع السيف ونحوه عمله ثم صار بمعنى الجبلة التي خلق الانسان عليها ومثله الخلق والخلاق وهو ملكة تفيسه لا تقبل التغيير بسهولة وقال ابن الجوزي حقيقته ما ياخذ الانسان به نفسه من الآداب واما ما طبع فيستمي خلقا وقد اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم من المكارم ما لم يجتمع في غيره وقال الامام المراد التخلق بمجموع اخلاق الانبيا عليهم الصلاة والسلام ومي مرتبة عظيمة فانه صلى الله عليه وسلم امر بالاقتداء بهداهم ولم يرد اصول الشرايع لعدم مناسبة التقليد فيها فالمراد ما قيل في دليله نظر لجواز ان يراد الاقتداء في تحصيل اليقين بالاصول والعمل بمقتضاها فلا يلزم التقليد اقول لا يخفى ان تقليد النبي صلى الله عليه وسلم لمن قبله من الانبيا في الاصول الدينية غير صحيح وهو الذي اراده الامام رحمه الله فان اراد مجرد سلوك طريقهم الموصلة لها لا نفسها فلا خلاف في بينهما فتدبر وقيل ليس لك همة الا الله جل جلاله الهمة كما في المصباح اول العزم من هم بالشي ويكون بمعنى العزم يقال له همة عالية والمراد هنا الثاني وهذا محكي عن الجنيد رحمه الله تعالى قال انما سمي الله خلقه عظيما لانه لم يكن له همة في غير الله سبحانه فكان صلى الله عليه وسلم معاشرا للخلق بجسمه ومزايلا لهم بقلبه فظاهره مع الخلق وباطنه مع الحق يعني ان

عزمه صلى الله عليه وسلم في اعلا كلمة الله وتبليغ ما يوصل اليه وفكره في ذاته ونوجيده فقول بعضهم انه بعيد جدا لا وجه له قال الواسطي في الاول وتقدمت ترجمته اثنى الله عليه بحسن قبوله لما اسداه اليه من نعمه اسدى بمعنى اعطى واوصل ومما متقاربان ومن بيان لما الموصولة والباصلة اثنى او سببية والنعم فسرها الفاضل الشريف بالاخلاق العظيمة التي انتظمها الخلق في الاية وتبعه تلميذه بن الحنبلي وفضله بذلك اي بما اسداه او بحسن قبوله على غيره من جميع المخلوقات الانبيا عليهم الصلاة والسلام وغيرهم وقوله لانه جبله على ذلك الخلق اي خلقه مطبوعا على خلقه العظيم الكامل الذي لا ينفك عنه وضمير قوله السابق للنبي صلى الله عليه وسلم وجوز فيه ان يكون لله اي فقبول الله لاخلاقه او انه جعل حسن قبوله مثنيا عليه والاول اولى ولذا اقتصر عليه اكثر الشراح وقيل انه في كلامه مناقشة لان المجبول على الشي الذي طبع بمعنى انه خلق كذلك لا يقال فيه انه قابل لذلك الذي جبل عليه لان ما بالقبول لا يكون ذاتيا وكان الاحسن ان يقول اثنى عليه بحسن ما جبله عليه ولله المنة المطلقة فانه المنعم بالشي والمثنى عليه وتتمة كلام السيوطي تشير له لان ورده السيد بانه مقرر في العلوم العقلية ان ما اتصف به المرء اما على الفاعلية او القابلية والمراد بالقبول تاثره وتحققه فيه فصرح بانه قابل لافاعيل ذاته اللطيفتين بل حسن قبوله ايضا من الله فهو قابل له ايضا فاثنى عليه لا لفعله اياه بل لقبوله وقبوله ايضا ليس منه فظهر ان الاعتراض غير قابل للقبول بل للرد اقول هذا الكلام كله تكلف مبني على غير اساس وتقريره ان مراد الواسطي بيان محصل معنى الايات كلها فالنعم في كلامه ليس بمعنى الاخلاق بل كل ما انعم الله به عليه لعموم الموصول وحسن القبول ماخوذ من اشارة النص بقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون اي لبست ممن تستحق النعم والبطر لمعرفتك بالله ومقدار نعمه وتفضيله على غيره من كونه له اجرا لا يحصى وقوله لانه الى آخره تعليل لمجموع ما قبله يعني انه صلى الله عليه وسلم لسلامة طبعه وكمال اخلاقه حسن قبوله للنعم واستحق الثنا وبهذا التقرير سقط الاعتراض لان الاخلاق وان كانت بخلق الله فيما جعله قابلا لكنه غير مراد هنا فما ذكره المجيب صلح من غير تراض فتدبر فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الكلام على سبحان مفصل في محله وهو منصوب على المصدرية ومعناه تنزيه الله عما لا يليق بجلال ذاته ويكون كثيرا التنجيب فيقال عند رؤية كل امر عجيب تنزيها عن ان يوجد شيا من غير

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من غير حكمة وان خفيت علينا فالمراد هنا النجح من كرم الله واسدائه النعم
الجليلة ثم الثناء على من قبلها وجزاه بالاجر وليس للعبد في ذلك تاثير وقد ذكر
المصنف رحمه الله مثله في اخر الخطبة وفيما ذكره من الاسما اشارة لهذا فالطيف
للطفه بعباده اذ وفقهم لحسن القبول والكبير عما اسداه والنعم به والمحسن
لهم بالثناء عليهم والجواد بما اعطاهم من الثواب والاجر والحميد المحمود في كل افعاله
المذكورة او الحامد لهم او لنفسه فالجواد بتخفيف الواو كثير الجود والتشديد
غير مسموع فيه وقال في عدة الحفاظ لا مانع منه ان قصدت المبالغة وفيه
نظر وقيل التخفيف بنا على جواز وضعه بالتسخا كما بيناه في شرح اسما الله الحسنى
وقال ابن عصفور في الممتنع امتنعوا من وصف الله تعالى بسخي لان اصله من
الارض السخاوية وهي الرخوة بل وصفوه بجواد لانه اوسع في معنى العطا
واد خل في صفة العلا انتهى وقد ورد اطلاق الجواد عليه تعالى في حديث
قدسي رواه الترمذي والبيهقي انى جواد ماجد ووقع في بعض النسخ هنا
بدل الحميد المجيد اي ذو المجد والكرم وانسب هنا الذي يسر للخير وهدى اليه
ثم اثنى على فاعله يشير الى قوله تعالى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وتبيين
تسهيله بتهيئه اسبابه ثم خلقه فيه وهداه لمنافعه حتى سعى في كسبه
وفاعله المباشر له فان الفعل ينسب له وان كان الفاعل حقيقة هو الله
والثنا ما يكون على الفعل تكون على الفاعل كما قال انت كما اثنيت على نفسك
وقوله فانت كما تثنى وفوق الذي تثنى فاعترض ساقط وجازاه عليه
مؤناظر للاجر وكرر النجح لتكرر الاحسان فقال سبحانه ما اعم نواله اغمر
فعل نجب بالغين المعجمة من الغمر وهو الما الكثير استعير لمطلق الكثرة والنوال
العطا واوسع افضاله السعة معروفة شاعت في الشمول والعموم والافضال
الانعام قال في المصباح تفضل عليه وافضل افضالا بمعنى وفضله على
غيره صيرته افضل منه انتهى فما قيل الافضال مصدر افضله جعله فاضلا واقطاه
غريب خبط لا وجه له ثم سلاه بتشديد اللام من التسلية وهي ازالة الغم
عن قولهم بعد هذا اي عما قالوه في حقه صلى الله عليه وسلم وبعد متعلقة ه
بسلاه وهذا اشارة لكل ما ذكر من الرد والثنا والظرف موكد لما تزل عليه ثم
وكونه للاشعار بانه لم يكتف بالتسلية غير ظاهر بما وعده له من عقابهم
اي تعذيبهم بما صدر منهم وفي نسخة بالبا الجارة وفي نسخة عقوباتهم بصيغة
الجمع لتعدد العاقب وانواع العقاب وروى عقبا هم اي عاقبة سوحالهم وتؤل

اليه وفي

اليه وفي نسخة عقباه اي عقبى النبي صلى الله عليه وسلم في نصره عليهم والانتقام
منهم ولما كان عذابهم واهلاكهم فيه مسرة وشفا لما في صدور المؤمنين كما قيل
مصايب قوم عند قوم فوايد كان وعداله فلا وجه لما قيل انه استعمل الوعد
في الشر مجازا ولانه في اصل وضعه عام وجعل الموعود هو النبي صلى الله عليه
وسلم في قوله وعد معين والقول بانه عدى بقوله باعتبار انه ذكر له تغيير في
وجوه الحسان قيل ما ذكر دليل على عدم رجا اسلامهم اذ لو كان ذلك مرجوا الوعد
به لانه احب اليه والاحسن ان يقول على عقاب طايفة منهم ولذا قيل
ان الوعيد تعريض بابي جهل والوليد واضرابهما ورد بان المصنف رحمه الله لم يقصد
العموم ولو سلم فما ذكره ممنوع لانه يقال للكل كافر فان لم تنته فستبصر ومقابلة
الوعيد بقوله ونوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون الثلاث ايات
بايهم ما ذكره كله اي ذكر وعيدهم وتهديدهم والجار متعلق بتوعداوبه وبما
قبله على التنازع والثلاث منصوب بمقدر كما مر والايات بدل منه منصوب
بالكسرة لا مجرور بالاضافة لضعف نحو الثلاثة الابواب والمقدر يعني اوا قرا
ونحوه ولا فرق بينهما كما تقدم وقوله بايكم المفتون اي ايكم الذي افتتن بالجنون
اسم مفعول والبا ايدة او مصدر لانه يجي على زنة مفعول قليلا اي بايكم الفتنة
والبا بمعناها او بمعنى في ويجوز هذا اذا كان اسم مفعول ايضا اي المفتون وفي اي
الفريقين افريق المؤمنين ام فريق الكافرين او من يستحق هذا الاسم
والابصار بمعنى العلم ما بعده معموله او مستانف في ايهما والعقاب المتقدم
مفهوم من سياق التهديد وبقية الايات ظاهر ان ربك هو اعلم بمن ضل
اي بالمجانين على الحقيقة وهم من ضل عن سبله وهو اعلم بالمهتدين بحالهم
بايهم كان العقل بعد ان مدحه وسلاه متوعدا امام بعد مدحه صلى الله
عليه وسلم على ذم عدو وذكر سوء خلقه وعد معايبه بعد منصوب على
الظرفية مضاف لمدحه او مقطوع عن الاضافة مبني على الضم فمدحه منصوب
على المفعولية لعطف وهو الثابت رواية عن المزني قيل وفيه نظر لانه
يقتضي تقدم الذم على المدح وليس كذلك في النظم فالاحسن ان يقرا بالاضافة
وقوله عطفا اي التفت او مال اليه وعلى رواية المزني المعنى انه ثنى مدحه فلا
يقتضي تقدم الذم الا ان تقديته بعلى وجعل الذم مما ثنى به المدح تكلف فالوجه
الاول وكون المراد بالمدح قولا فلا تطلع على ان المعنى انه ذم على ترك اطاعتهم وهو
مدح له صلى الله عليه وسلم وان تضمن ذمهم فالمراد عطف ذمهم بعيد جدا وذكر وعد

موحدهم ؟

مصدر مضاف او ما من معطوف على قوله عطفى وعدوه كل من عاداه لا معين
كما مر والعدو يطلق على الواحد وغيره والمعايب جمع معيبة بمعنى العيب
واعلم ان العطف يتعدى بعلى بمعنى الشفقة والحنو بعن للصرف والصد عنه
ويقال عطفته اذا ثنيته وامثلته والعطف النحوى يتعدى بعلى ايضا
وما فى عبارة المصنف عطف لفوى لا نحوى وتجوز هنا لكونه بالفا
غير صحيح لانها ليست عاطفة فاركابه والتحمل له تعسف وسوخلقه مقابل
لعظم خلقه متوليا ذلك لفضله ومنتصرا لنبيه صلى الله عليه وسلم
احوال من ضمير عطف اى لم يحمل ذلك لاحد ولم يجعل بينه وبينه واسطة
بل فعله بنفسه اهتماما بتعظيمه ونصرته كما ذكره بكلامه النفسى واللفظى
فى قوله سنسمه الى اخره فذكر بضع عشرة وروى بضعة عشر وفى
المصباح بضع بالكسر فى العدد وبعض العرب تفتحه واستعماله من الثلاثة
الى التسعة يستوى فيه المذكر والمؤنث ويستعمل ايضا من ثلاثة عشر الى تسعة
عشر لكن ثبت الهاء فى بضع مع المذكر وتحذف مع المؤنث كالنيف ولا يستعمل
فيما زاد على العشرين واجازه بعضهم فيقول بضعة عشرون رجلا وبضع
عشرون امراة وكذا قاله ابو زيد وعلى هذا المعنى البضع والبضعة فى العدد
قطعة مبهمة غير محدودة انتهى وفيه اختلاف لاهل اللغة وكلام المصنف
رحمه الله تعالى ليس مخالفا لما قالوه كما توهم وما هنا ثلاث عشر او اثنى
عشر او احدى عشر بناء على عد المداهنة والاستظهار بالمال والبنين منها خصلة
من خصال الذم فيه اى فى عدده والخصلة بفتح الخاء المعجمة العنعة مطلقا وغلبت
فى صفات المدح اذا اطلقت بقوله فلا تطع المكذبين فيما دعوك له من تعظيم
الهتهم ونحو وهو تهييج له صلى الله عليه وسلم على تصميمه فى مخالفتهم الى
قوله اساطير الاولين اى اباطيلهم المنقوله عنهم وهو جمع استطار جمع سطر
وهو ما وقع منه فى القران منقول عن النضر بن كلدة لانه دخل بلاد فارس وتعلم
اخبار رستم وغيره فكان يقول انا احدثكم باحسن مما يحدثنى به صلى الله عليه
وسلم فنزل ومن قال سانزل مثل ما انزل الله نوخ ختم ذلك اى ما عد من المعايب
اورده عقبه كالخاتمة له بالوعد الصادق لنبيه صلى الله عليه وسلم كما مر وفى
نسخة بالوعيد وروى ايضا الوعيد بالنصب صفة ذلك وصدقه لعدم تخلفه
وان كان الوعيد يجوز تخلفه لكن لكونه وعدا لا يخلفه من لا يخلف الميعاد او
الصادق هنا بمعنى الحالى الذى لا يشوبه غيره كما يقال صادق الحلاوة بتمام

شقاوته وخاتمة بواره منعلق بختم اى بشقاوته الشامل وبواره الهلاك
وعبر به فى نسخة الذى هو خاتمة امره واخر احواله او حاله بحر اليه فسمى
بقوله سنسمه على الخرطوم الوسم العلامة والكى والخرطوم وخراطيم كعصفور وعصافير الانف هنا واصله يختص بالحيوان كالقتل ونحو فاستعير
للانسان لايذانه باستحقاقه والتكم به وهو هنا كناية عن تشهيره بالقبايح
فى الدنيا او فى الاخرة او فيهما وقيل وسمه تسويد وجهه يوم تبيض الوجوه وخص
الانف لانه اظهر الاعضاء تذليلا للمتكبرين عن الحق الذى عند شمخ فالقه فعوقب
بضده فكانت نصرة الله له صلى الله عليه وسلم اتم من نصرته لنفسه اى فى
التى تولاها بنفسه فى قوله سنسمه الى اخره ونصرة نفسه على اعدائه
هى لله ايضا لانه صلى الله عليه وسلم كان لا ينتقم لحق نفسه الصرف وما
فعله العظيم عظيم ورده تعالى على عدوه ابلغ من رده لنفسه رده
بتكذيبهم بنفسه ابلغ من رد النبى صلى الله عليه وسلم واقامة الحجة وان كان
هذا ايضا ليس من تلقاء نفسه وقيل المراد لو كان رد ونصره وهو عليه
الصلاة والسلام فعل ما فعل لله ومن كان لله كان الله له واثبت فى ديوان
مجده اى اعظم واقوى ثباتا واتقى فى صحف الدهر من ان يثبته لهو بنفسه
فان ما امضاه الله لا نقض له والديوان بكسر الدال المهملة وقد تفتح منهم
من قال انه فارسى معرب واصله جمع ديو وهو العفريت شبه به اهله
وقيل انه عربى من الدوين وهو الكتابة وهو واوى خفف بقلب احدى
واويه يا وجمع على دواوين ودياوين وهو مجتمع الصحف والكتاب
للسلاطين واول من وضعه فى الاسلام عمر رضى الله عنه ويطلق على نفس
الدفتر والكتاب وعبارة المصنف رحمه الله تعالى تحتملها وهو استعارة
فاستعار لمجده اى عظمته ديوانا يثبت فاذا اثبته الله كان اثر واكثر ثباتا
وهكذا هو باق الى يوم القيامة الفصل السادس فيما ورد
من قوله تعالى فى جهته عليه الصلاة والسلام مورد الشفقة والكرام
يعنى ما جاء فى القران من الايات الدالة على اكرام الله له والشفقة به والشفقة
اسم مصدر من شفق بغيره عطف وحنى فهو شفيق وهذا ونحو مما لا يوصف
به الله منجوز به عن التلطف بمن يحبه والجهة معناها الجانب والمراد بها هنا
شانه وحقه والمورد مصدر ميمى منصوب على المصدرية او اسم مكان منصوب
على الظرفية واصله المحل الذى يوخذ منه الماء فاستعير له لعموم نفعه وقيل

شبكة الألوكة www.alukah.net

المشقة حرص الناصح على حال المنصوح وقد يطلق على ما فيه دفع المضرة ونحوه
والمراد بالاكرام اكرام مخصوص ولو عم شمل ما فيه غيره من المفضول قال
تبارك وتعالى طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم من اسمائه
اي يا من اسمه النبي صلى الله عليه وسلم وقدم للاهتمام به لمناسبته للمقام والبلغا
يقدمون مثله لان البلاغة يعتبر فيها رعاية مقتضى المقام فما يقتضيه عندهم
اهم مما له تقدم ذاتي كما تر مروه في تقديم الامر بالقراءة في قوله اقرأ باسم ربك
فتذكره وقيل هو اسم الله تعالى هذا منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما
واستدل لما قبله بحديث لي عند ربي عشرة اسماء طه ويس الى اخره كما ذكره
البيهقي وقيل معناه يا رجل اي معناه رجل وحرف النداء مقدر معه وهو
مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ايضا وقال عكرمة انه لغة معروفة في
كلوعك وقيل انها لغة حبشية او عبرانية او سريانية او نبطية ومعناه
يا حبيبي وقيل لعله اصله يا هذا او هو بعيد جدا وقيل يا انسان
رواه البغوي عن الكلبي وقال انه لغة عك فان صحت الروايات فهو مشترك
وقيل حروف مقطعة لمعان الجمع لما فوق الواحد لقوله قال
الواسطي را دي يا طاهر يا هادي فالطا من طاهر والها من هادي وقيل
الطا طول القراءة والها هيبتهم وقيل طوبى والهاوية وقيل انه قسم بطوله
صلى الله عليه وسلم وهدايته وقيل معناه ايها البدر لان الطا والها
في الجمل اربعة عشر وقيل هو امر من الوطء بالقدم فابدلت الهمزة الفا
والها كناية عن الارض اي الضمير راجع اليها لعلمها من قرينة الحال والضمير
يسمى كناية عند النحاة كما ذكره اهل العربية وهذا قول ذكره القرطبي والبيضاوي
وقيل ان ها اسم لحرف ماخوذ من ها اسم الضمير فهي كناية اصطلاحية
عنه لا انه ضمير كما قيل في طاقدر والبيضاوي هذا القول بانه يأباه كتابتها بصورة
الحرف ورد بانه رسم المصحف غير قياسي فيه كما رسم ابنة المومنون بلا الف في الامام
وقرئ طه بسكون الها واصله طا فابدلت الهمزة ها كاياك وهياك او
امر من الها للسكت والمفعول محذوف اي طا الارض ويحتمل انه اراد ان الفا
من ها وحدها ضمير كما قاله بعض النحاة اي اعتمد على الارض بقدميك ولا
تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحد الاعتماد الاتكاء والاستناد على
الارض بقدميه او بقدميه ويقال اعتمد على القدم وعلى الارض وظاهر هذا
وما سياتي انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قدم واحد انعابا لنفسه

ليزيد اجره في عباداته فان الاجر على قدر المشقة وان لم يثبت في الشرع
ان القيام على رجل واحدة من التطوعات حتى يفعله النبي صلى الله عليه وسلم
ويخالفه ما روى ابن عباس وابن مردويه عن علي رضي الله عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قام الليل كله حتى تورمت قدماه فجعل يرفع رجلا
ويضع رجلا فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام وقال له طا الارض بقدميك
وظاهره ان وضع احدى قدميه كان راحة له صلى الله عليه وسلم لا تعبا
وصرح به البغوي وتقله عن الكلبي فالوجه ان المعنى لا تتعب حتى تحتاج
الى الاستراحة برفع قدم دون الاخرى كما ذكره المصنف والجمع بينهما انه لما تورمت
قدماه وتروح برفع واحد وتمع في مشقة القيام برجل واحدة لثقل الاعتماد
عليها فامره بالاستراحة وترك التعب وما يوجبه كما خفف عنه قيام
الليل اقول هذا مما لا طايل تحته فانه لا شبهة في ان القيام على رجل
واحدة اشق من القيام على الرجلين كما قيل

اذ الحمل الثقيل توزعته اكف القوم هان على الرقاب

وان كان في القيام على واحدة راحة للمرفوعة فيصح بنسبة الراحة لكل من
الامرين وما ذكره المصنف رحمه الله متعين من السياق على هذا التفسير فانه
اذا قال له ضع قدميك فانا لا نريد تعبك دل على الراحة ولا منافاة بينه
وبين ما رواه والتوفيق الذي ذكره تكلف فتدبر تنبيه كون
الاجر على قدر المشقة كما ورد في حديث عايشة رضي الله تعالى عنها اجرك
على قدر نصبك كما في مسلم قال ابن عبد السلام في قواعده ليس هذا على
اطلاقه انما هو اذا اتحد العملان في الشرف والشرايط والسنن وكان
احدهما شاقا فيثاب على تحمل المشقة كالغسل في الصيف والشتا اما اذا اختلفا
يتساويا فلا فان الايمان افضل من الاعمال مع خفية ثم اختار ان افضل
الاعمال انما هو بالمصالح الناشية عنها فتصدق البخيل افضل من قيامه واتقا
الحاكم مظلوما افضل من قيامه وانعاد الحاكم مظلوما افضل من الاعمال
مع خفية ثم اختار ان افضل الاعمال انما هو بالمصالح الناشية عنها فتصدق
البخيل افضل من قيامه واتقا الحاكم مظلوما افضل من قيامه الليل وصيام
النافلة وتقله الزركشي في قواعده وارتضاه ولنا عودة الى وهو قوله
تعالى ما انزلنا عليك القرآن لتشقى نزلت فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم
يفعله من السهر والتعب وقيام الليل الضمير راجع للنهي عن انعاب نفسه

المستفاد من النفي في الآية اي هو المراد من الآية والشفا اصل معناه النصب
قيل انه عبر به ليدل على سعادته والنفي على هذا النصب مخصوص كما هو
يقتضيه سبب النزول وان كان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
والمورد فلا يخص بما ذكر ولانه نقبه بناسبه على كفرهم اخبرنا القاضي
ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد اي رواه المصنف عنه وعن كثير من
العلماء غيره وهو ابن عبد الرحمن بن علي ابن شربشين معجمة مكسورة وبا
موحدة ساكنة وبعد الراء شناة من اسفل من اصحاب الباجي ثقة حافظ توفي
يوم الخميس رابع رجب سنة ثلاثة وخمسماية باسبيلية عن القاضي ابي الوليد
الباجي بالموحدة نسبة الى باجة من بلاد الغرب وباجة بموحدة وجيم بلدة
بقرب اشبيلية وقيل هي باجة القيروان وابو الوليد سليمان بن خلف
ابن سعد ابن ايوب ابن وارث التجيبي القرطبي الذهبي اصله من مدينة
بطليوس وانتقل جده لباجة التي نسب اليها هو والحافظ ابو محمد الباجي
والحميدي وغيرهم ورحل للحج وجاور بالحرم ثلاثة اعوام ولازم اباذر
الهروي وخدمه ثم رحل لبغداد ودمشق واخذ عن العلماء وتفقه على ابي الطيب
الطبري واخذ علم الكلام عن ابي جعفر السمناني واقام بالموصل ثم رجع الى
الاندلس بعد نيف واربعين عاما وقصته في كتابة النبي صلى الله عليه وسلم
بيده مشهورة تقدمت الاشارة اليها وقال ابن بشكوال انه مات بالمدينة
بالمدينة في تاسع عشر رجب سنة اربع وسبعين واربعماية اجازه ومن
اصله نقلت الاجازة في كلام العرب قديما كما نقله اهل اللغة الاذن في
الانصراف من جاز المكان اذا تجاوزه ومن ثم تعدى بالهمزة للمفعول الثاني
وقد يقتصر على احد مفعوليه لانه من باب كسى ومعنى اجازه اذن له في الجواز
ثم استعمل المطلق الاذن وخصه المحدثون بالاذن في نقل الحديث فصار حقيقة
عرفية وهذه لفظة عربية قديمة فالمجاز بمعنى الخطية وقد وقع هنا فيها كلام
لابن الصلاح لنا فيه كلام بيناه في حواشيه والمراد باصله كتابه الذي ضبط فيه
وجعله ملكا له لا السماع وقوله نقلت الى اخره هو من كلام ابي عبد الله يعني
انه لو يسمعه منه وانما نقله من كتابه الذي اجازه به وقال ابن الحنبلي انه من
المصنف لان من كلام شيخه كما قيل فان تعلق عنا اخبرنا اياه ولو كان بدلا
عن قال لم يكن من كلام المصنف واصل اصل يخبره لعمود الصبح على الاغرب
وانما قيده به لان العنعنة يتبادر منها السماع وعليه المحدثون فلو لم يقيد

او هم خلاف

او هم خلاف المراد وقد يقولون اخبرنا وحدثنا في الرواية بالاجازة
والمختار خلافه الا ان يصرح بالاجازة ورواية السماع اقوى من الاجازة
وسوى بينهما الطوفي في قواعده والخلاف في ذلك في الكتب المدونة
قال حدثنا ابو ذر الحافظ الهروي العلامة عبد بدون اضافة
ابن احمد ابن محمد ابن عبد الله الانصاري المالكي ابن السماك سمع بهراة وغيرها
كثيرا من المشايخ وصنف التصانيف الجليلة وروى عنا الكبار وترجمته
مشهورة توفي في شوال سنة اربع واربعماية قال حدثنا ابو محمد الحموي
هو ابو عبد الله ابن احمد ابن حموية السرخسي بفتح الحا بفتح الحا المهملة وضم
الميم المشددة ثم واو ومكسورة ثم ياء مشددة للنسبة الى جد حموية قال
البرهان ورايت في بعض النسخ التي وقفت عليها من الشفا بعد الواو همزة
مكسورة وفيها نظر والذي في حواشي ابن رسلان والشمني الاول لا غير
وقيل اسم جد بفتح الميم المخففة فالنسبة عليها بالفتح والتخفيف وكسر
الواو وفي ضبط النسخ اختلاف طفه اقلت لعل الهمزة المخففة رسمت
اشارة الى ابدال الواو المضموم ما قبلها همزة فانه لغة وهو نزيل هراة
وتوشيح ووصل ماوراء النهر وهو اصولي محدث فقيه توفي سنة احدى
وثمانين وثلثماية في ذي الحجة ومولده سنة ثلاث وتسعين وماتين حدثنا
ابراهيم ابن خزيم بخا معجمة مضمومة وزاي معجمة مفتوحة مصغر وهو شيخ
ترجمته مشهورة وهو ابو اسحاق ابن عثمان ومن قوله براء مهملة اخطا وشاش
بمعجمتين بلدة بماوراء النهر حدثنا عبد بلا اضافة ابن حميد بحا مهملة مصغر
والذي جزم به ابن حبان والبخاري ان اسمه عبد الحميد الكشي بالاعجام
والاهمال وهو ثقة حافظ مات سنة تسع واربعين وماتين قال حدثنا
هاشم بن القاسم ابو النضر المعروف بقيصر مات سنة عشرة ومايئة
عن ابي جعفر قال التلمساني هو محمد بن علي ابن الحسين بن علي ابن ابي طالب
وهو والد جعفر بن محمد الصادق ويقال له الباقر سميا قوا التبحر في العلم
من البقر وهو الشق والتوسعة تابعي عدل ثقة وامام مشهور توفي سنة
اربع عشرة ومايئة على الاصح ودفن مع ابيه وعمه بالبقيع وهو من تلاميذ
الربيع ومشايخ هاشم وفي المقتنى انه اختلف في اسمه فقيل ابو عيسى ابن ماهان
وقيل عيسى بن مانعان بن عبد الله مولى تميم مروزي روى له الاربعة وترجمته
مشهورة عن الربيع بن انس ابو خاتم البكري البصري التابعي صدوق لكن له

او هام كما قاله ابن حجر وما في حواشي التلمساني من انه انس ابن مالك رضي الله
تعالى عنه سهو وحديثه هذا مرسل لانه لم يذكر صحابيه توفي سنة مائة
وتسع وثلاثين قيل والحديث المتقدم اولى سندا او متنا ويمكن
التوفيق بينهما بحمل الصلاة فيه على صلاة الليل والقيام على رجل ورفع الاخرى
على ما كان يفعله بسبب تورم قدميه فان ثبت انه كان يفعله اختيارا منه تطوعا
كما مر اي فلعله نسخ عند الفقهاء لم يبيحوه بغير ضرورة وفيه نظر قال
النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله
تعالى طه يعني فانزل الله تعالى طه يعني طا الارض يا محمد ما انزلنا
عليك القران لتشقى الى آخره هذا كما مر من غير فرق فما مر لا وجه له وهذا
كان قبل النهي فحكم الفقهاء بالكراهة كان بعد النهي فلا اشكال فيه تنبيه
لم نزل ننوقف في كيفية صلاة النبي صلى الله عليه وسلم قبل الاستراحة
راينا ما نقله السيوطي في الخصائص الكبرى انها لا ركوع فيها ولا ان المفسرين
قالوا في قوله واركعوا مع الراكعين ان مشروعية الركوع في الصلاة خاص
بهذه الامة وصلاة بني اسرائيل لا ركوع فيها فلهذا امرهم الله بالركوع مع
الراكعين في هذه الاية ويدل عليه ما اخرجه البزار والطبراني في الاوسط
من علي كرم الله وجهه انه قال اول صلاة ركعنا فيها الظهر فقلت يا رسول
الله ما هذا قال بهذا امرنا ووجه الاستدلال انه صلى الله عليه وسلم صلى
قبل ذلك الظهر وصلى قبل فرض الصلوات الخمس قيام الليل ونحو ذلك
الصلوات السابقة بلا ركوع فزينة لحاو صلاة الامم السالفة عنه وكذلك
الجماعة كما في شرح الجمع انتهى اقول هذا امر مقرر الا انه لخفائه
لم يعرفه كثير من الصحابة المتاخرا سلامهم لان الساجد لا بد له من الركوع في هويه
لكنه ان لم يفصله عنه بانتصاب لم يكن ركنا مستقلا وعبادة ولا خفا بما
في هذا كله من الاكرام وحسن المعاملة الباء بمعنى في المذكور مما في الاية وما
يتعلق بها واكرامه صلى الله عليه وسلم بانزال القران عليه وشفقته عليه
بنهيه عما يتعبه من عباداته فما باك بغيرها من امور انزاه يرضى له تعبا
فيها فمعاملة الله له وخطابه بهذا فيه من اللطف ما يدركه من له ذوق
سليم وان جعلنا طه من اسمائه صلى الله عليه وسلم كما قيل او جعلت
قسما لحق الفصل بما قبله ايمان جعل لفظ طه علما للنبي صلى الله عليه وسلم
مقسما به او جعل اسما لله وطه مقسما به ايضا التحقت هذه الاية المذكورة

في هذا الفصل

في هذا الفصل بالفصل الذي قبله لانتيانه بما اقسم به تعالى تحقيقا
لمكانته عنده وبما افاده من نهاية المبرة في مخاطبته واعلى درجات الادب
في محاورته وقد قيل عليه ان لحوقه بالفصل الذي قبله على القسمية واضح
واما اذا كان من اسمائه فلا فان تكلف وقيل انه متضمن للقسم بالباء جعله
فسيما لحطفه بالواو نهن وقد علمت سقوطه مما بيناه وان كان في عبارته
مسامحة تامة بالحذف او المجاز والاستخدام وانه ان كان قسما باسمه فهو من
الرابع بل الخامس ايضا وان قسما بغيره فهو من الخامس لانه قسم لتحقق
المكانة لكن لو كان اسما غير قسم لم يلحق باحدهما فلا يناسب قوله اوجعلت
ولم يرد الالحاق بالثالث لانه لا يبنى على احد الامرين فلعل او بمعنى الواو او
بل انتهى فيه ما لا يخفى ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة في المصباح
النمط بفتحتين ثوب من صوف ذو لون من الالوان والايكاد يقال للابيض
نمط والنمط ايضا الطريق والجماعة من الناس ثم اطلق النمط اصطلاحا على
المصنف والنوع فقال هذا من نمط هذا اي من نوعه انتهى فالمعنى انه نوع من
الاحسان واللطف ومن جملتها فكانه من جماعتها وهذا مسموع فلا يتوهم انه
استعمال غير مسموع وفي الحديث خير هذه الامة النمط الاوسط قوله تعالى فلعلك
باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا اي قاتل نفسك لذلك
غما او غيظا او جزعا لعل كما تكون لرجا المحبوب تكون للاشفاق من المكروه
والمراد ههنا الثاني على لسان العباد او بارادة لازمة لاستحالته عليه تعالى وباخع
من بخع لفسه من باب نفع قتلها من وجد او غيظ ونجع لي بالحق خضوعا انقاد وبذله
كما في المصباح قال البيضاوي شبهه لما تداخله من الوجد على تولهم على الايمان بمن فارق
احبته فهو متحسر على اثارهم ومبخع نفسه وحد اعليهم اواه اما تواعلى الكفر
تقول العرب بكى على اثر فلان اذا بكى على فراقه وهذا كما يقول لمن ايمه فوراقه ما يحزنه
من غيره اطرح ما انت فيه وكل امرك لله ولا تهلك نفسك والمراد بالحديث
القران وهو يطلق عليه قال تعالى ومن اصدق من الله حديثا واما اختصاصه
بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم فعرف طاري وقوله فلعلك اي
لاجل عدم ايمانهم بهذا الحديث لان الشرط قد يقيد العلية نحو ان كانت الشمس
طالعة فالنهار موجود ويويده قراءة ان لم يؤمنوا بفتح الهمزة قال القاضي قوي
بالفتح على تقدير لا فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية لحال الماضية يعني على
هذه القراءة لان عدم الايمان على القراءة الاولى مستقبل لانه في جزا الشرط فباخع

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مستقبل عامل وعلى الثانية ماض فلذا جعل حكاية وقوله غضبا الى اخره فلان
معان خلافة ماثورة ثابتة فى اللغة وقيل حزنا اوندما والغضب ضد الرضا
والغيظ اشده اوسورته اوما اضمر فى النفس وفيه كلام وفسر بالغضب
ايضا وليس بمراد لئلا يتكرر ولا يصح التفسير بقطعه اوو الجزع ضد الصبر
وفى عمدة الحفاظ الأسف الغضب والحزن معا ويطلق على كل منهما بانفراده
وحقيقته توادن دم القلب لارادة الانتقام وكان على من تحته انتشر فصار
غضبا او على من فوقه انقبض فصار حزنا وهى منصوبة مفعول له اوحال
ومثله قوله ايضا مصدر اض يبيض اذا رجع ومعناه عود الما قبله لمشاركته
له فى معناه فلذا فسرت بالتشبيه اي بما ورد مورد الشفعة والاكرام له
مهادة لعلة اذ هى للانفاق وهو مفعول مطلق اوحال ومثله نظرا لمعناه
وايضا نظرا للفظة فلا تكرار ولو حذف كان اولى لعلك باخع نفسك
ان لا يكونوا مومنين تفسيره يعلم مما مر والمقصود منهما منع الغم شفقة عليه
قيل واعاد ذكر هذه الآية لما فيها من توقع القياد هم ووقوع امنيته صلى
الله عليه وسلم فان كانت لازائدة ففيها غاية الاشفاق عليه ثم قال
ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين المراد بالآية
هنا اية مخصوصة وهى الملجية فسرا الى الايمان اوما فيه عذاب وعقاب
والاكم من اية نزلت واما الانقياد والخضوع التذلل والانقياد وقوله
فظلت معطوف على الجواب لصحة وقوع الماضى موقعه وعبر بالماضى
لتحققه بعد نزول هذه الآية والاعناق الاعضاء المعروفة ويعبر بها عن الروسا
كما يعبر بالراس وعلى هذا خاضعين بجمع العقلاء ظاهر وعلى الاول فلما نسب لهم
ما ينسب للعقلاء من الخضوع عبر بعبارا تهم كما فى قوله رايت احدى عشر كوكبا
والشمس والقمر رايتهم لى ساجدين اوفى الاعناق مقدرا والمضاف اكتسب صفة
العقلاء من المضاف اليه كما يكتسب منه التذكير والتانيث وفى الاية تسلية له صلى
الله عليه وسلم تزيل غمه وهو شفقة عظيمة ففيه مناسبة لما المصنف
بصدده ومن هذا الباب الباب معروف وهو يطلق على القبيل والنوع اطلاقا
شايعا فيقال هذا من باب كذا اى من جنسه ونوعه وهو المراد اى من قبيل
ما نحن فيه من شفقة الله على رسوله صلى الله عليه وسلم فلا يتوهم ان الظاهر
ان يقول من هذا الفصل قوله تعالى فاصدع بما تومر واعرض عن المشركين
الى قوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون آخر السورة واصل

ابن اقبرس

معنى الصدع

معنى الصدع صدم الانا ونحوه فينشق فاستعير للامر المؤثر تاثيرا ظاهرا وللكلام
المؤثر فى النفس وقيل الصدع الفرق بين الشيئين فكانه قيل له افرق بين الحق
والباطل وكان صدع على جهة البيان والتشبيه لظلمة الجهل والشرك بظلمة
الليل ولنور القران بنور الفجر لان الفجر يسمى صديعا كما قال

ترى السرحان مفترشا يديه كان بياض غرته صديع

وما مصدرية اوموصولة والعائد محذوف واصله بما تومره على حد امرتك الخير
ولا يخفى ان هذا على الحذف والايصال فالظاهر ان يقدر بما تومر به ولا يشكل
بان حذف الموصول المجرور ان بجر بمثل ما جر به الموصول لفظا ومتعلقا نحو ويشرب
مما تشربون اي منه لان الصدع بمعنى الامر كما مر ولا يشترط المماثلة اللفظية
ولا يخفى مناسبة الاية للفصل اذ المراد لا تحزن لما لقتك فانها حكمة ستزى
عاقبتها لك وعلى اعدائك واى شفقة وتكريم احسن من هذا ولم يقل فى الآية
التى قبلها الى اخر السورة تصريحا بما فيه زيادة لالالة على التسلى والشفقة
به وما يقولونه هو الشرك والاستهزاء والطعن فى القران وهى منسوخة بآية
القتال قيل كان ينبغى ان يذكر قوله انا كفيناك المستهزئين قلت ذكرها
ضمنا الى قوله وايضا استغنى عنها بالآية التى عقب هذا وهى فى قوله وقوله
ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية اي فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به
يستهزءون والمستهزءون والمستهزؤن خمسة من اشراف قريش كانوا نبايا لغوين
فى ايذائه صلى الله عليه وسلم فاهلكهم الله كما فصله المفسرون وهى واردة
على نهج الشفعة والتسلية والوعد بانه سيكفيكهم ورد بصيغة الماضى
تحقيقا له ولهذا عقبه بقوله الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون
اي عاقبته فى الدارين كما ذكر القاضى واقتصر فى اللباب على ان عاقبة امرهم
يوم القيامة وقوله فحاق اي احاط بهم حيث اهلكوا لاجل الاستهزاء باطلاق
السبب على المسبب لان المحيط العذاب لا المستهزا به او نزل بهم وباله فوضع موضعه
وهذه الآية فى الانعام والانبياء ويحتمل انها اية الرعد وتمامها فاملیت للذين
كفروا ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اي امهلتهم برهة من الزمان فى دعة وامن ثم
اخذتهم فكيف كان عقابى اياهم قال

مكى تقدمت ترجمته رحمه الله

سلاه الله تعالى بما ذكره وهون عليه ما يلقى من المشركين من استهزائهم
وعنادهم وانما تسلى من تحبه وتشفق عليه والتسلية بان اخوانه من اولى العزم
ابتلوا بمثله فصبروا وكانت النصرة والعاقبة لهم عليهم الصلاة والسلام فى الدارين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والتاسي بما ساتي القدر كما قيل

ولولا كثرة الباكين حولي ... على اخوانهم لقتلت نفسي

وفي التاخير حكم كثيرة وان كان تعجيل الانتقام ممن اذا المنسوبين لانهم لا يسلمون عاقبة امرهم فلذا قال واعلم ان من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله اعلم فعل ماض فاعله ضمير الله ومفعوله ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم اي تاخر وتطاول تفاعل من المدى وهو الغاية ومنه مدى البصر وفي المصباح تمادى في غيه اذا لج وداوم على فعله من امداه ابعده او من مادينه اذا امهلته وقوله على ذلك حال اي كائنا ومستمرا على استهزائه قيل فيه قرينة على ارادة اية الوعد ويحل به اي ينزل به العذاب الذي نزل بامثالهم فهو بضم الحاء وكسرها من الحلول بمعنى النزول لانه الذي يتعدى بالباء لا من حل بمعنى وجب لانه يتعدى بعلى قال في المصباح حل العذاب يحل ويحل حلولا هذه وحدها بالضم والكسر والثاني بالكسر فقط انتهى وفي القاموس حل المكان وبه يحل ويحل نزل وفي الصحاح بالكسر وجب وبالضم نزل وتبعه بعض الشراح وفيه نظر يعني لفاعاده الله في مثله ومثل هذه التسلية قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك اي مثل التسلية السابقة مما في هذه الاية من تهوين ما لقيه بانه له فيه اسوة بمن تقدم من الرسل وانه سيكون له صلى الله عليه وسلم مثل ما كان لهم من نصر وعلو قدر والانتقام من اعدائه والتسلية له لئلا يحزن ويشق عليه ويحزنه ذلك وهو غاية الشفقة به التعبير بالاية الواقع في بعض النسخ واطلق فيه الاية واراد جميعها الى قوله ترجع الامور فهو من اطلاق الجزء على الكل كما تقول قرات باتت سعادي اي القصيدة كلها فالمناسبة للفصل والمماثلة في غاية الظهور ومن هذا القبيل في التسلية والشفقة الدال على علو منزلته قوله كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون المشار اليه بقوله كذلك الامر الذي وقع له صلى الله عليه وسلم من تكذيبه وقولهم انه ساحر او مجنون كقولهم افترى على الله كذبا ام به جنة وتمام هذه الاية اتواصوا به بل هم قوم طاغون والاستفهام للتعجيب ينبغي من تواردهم اقوالهم وارائهم على تكذيب الرسل عليهم الصلاة والسلام مع بيان ارمايهم والاضراب عن تواصيهم بما ذكر الى نحا ونزعهم في العباد الجامع لهم في ما ذكر وقوله ما اتى الى اخر كالتفسير لما قبله كما قاله البيضاوي وقيل الوجه ان يكون الامر عبارة عما جعله المشار اليه وان يكون المشار اليه تكذيب الذين من قبلهم

سيد

وتمادى

رسلهم

ورسلهم وتسميتهم كل رسول اتاهم او جاءهم وبعث اليهم كذابا او شاعرا او مجنونا لان المقصود تشبيه فعل هؤلاء المتاخرين مع رسلهم بفعل اولئك المتقدمين مع رسلهم فالمناسبة تامة عزاه الله اي حمله على الصبر كما صبروا لانه تفعيل من العزا وهو الصبر بما اخبره به عن الامم السالفة الفا للتعدية او سببية والسالفة بمعنى المتقدمة والوصف بالمؤنث لتاويله بالجماعة وهو مفرد مطرد ومقابلها بالجر معطوف على الامم ويجوز عطفه على مجرور الباء كما في قوله واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام في قراءة الجر وبمقابلها والاول اقرب ولا تكلف فيه كما قيل وفي نسخة مقالتها لانبيائهم قبله والقبلية تصريح بلازم ما في الاية لان كون انبيائهم قبله هو لا يستلزم كونهم قبله صلى الله عليه وسلم ومحنتهم لهم وفي نسخة محنته اي محنة النبي صلى الله عليه وسلم بهؤلاء المكذبين له وعلى الاولى محنة النبي صلى الله عليه وسلم الانبياء بامم والمحنة الابتلاء والاختبار وهذه النسخة اولى وانسب بقوله وسلاه بذلك عن محبته بمثله من كفار مكة وانه ليس اول من لقي من ذلك فذلك اشارة الى ما وقع للانبياء عليهم الصلاة والسلام مع امهم مما يضاهي ما وقع له صلى الله عليه وسلم وبمثله الضمير فيه راجع للمشار اليه وافراده لتاويله بما ذكر وروى بمثلهم وهو تسلية بالتاسي كما مر ومن كفار مكة متعلق بالمحنة وضميره لله للنبي صلى الله عليه وسلم وهو معطوف على ذلك وبين وجه التسلية بقوله ليس الى اخره ثم طيب نفسه وابان عذره ثم للعهد اللفظي والرتبي وخص كما مر وابان عذره عطف على طيب نفسه عطف تفسير لان حزنه صلى الله عليه وسلم لعدم اطاعة كفار مكة له خوفا من تقصيره في مرتبة الرسالة والتبليغ فاظهر الله له انه معذور في اعلى وعدم انقيادهم هو فطابت نفسه صلى الله عليه وسلم من نسبة شيء من التقصير اليه فلا لوم ولا عتب عليه في مثله وفيه غاية الشفقة واللطف به صلى الله عليه وسلم والتفريج كربه وهمه بقوله تعالى فتول عنهم اي اعرض عنهم وهذه الاية منسوخة باية السيف وقيل بقوله وذكر اي اعرض عن المجادلة وما يتعبك او عن الهم واحزن المكدر لقلبك المضيق لصدرك او اعرض تارة وذكر اخرى فلا نسخ ما ذكر من ان والنسخ بقوله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين هو ما قاله ابن الجوزي رحمه الله تعالى قيل وهو غريب لعطف الناسخ على المنسوخ بالواو المشركة الا ان تكون الواو للاستفتاح كما ذكره بعضهم وعلى تفسير المصنف معنى ذكرهم على التذكير والموعظة فتدبر قوله فما انت بملوم اصله ملووم فنقلت الضمة

ضمهم

سيد

ابن الحنبلي

شبكة الألوكة www.alukah.net

وحذفت الواو والمعنى لوم مخصوص من جهة مخصوصة كما اشار اليه بقوله اي في اداء ما بلغت وابلاغ ما حملت مبني للمجهول مشدد الميم وما حمله امانة الرسالة وقد اداها صلى الله عليه وسلم وبدل للجهد فلا يتوجه اليه لوم فيه ومن المدح والاشفاق ما لا يخفى اي لا تلام من جهة الاداء على التقصير فانك لم تقصر وانما انت مذكر ما عليك الا البلاغ وقد فعلت وبذلت مقدورك قيل والاولى ما قال البيضاوي عن ان المراد نفي اللوم على بذل جهده في البلاغ اذ المقصود نفي اللوم مطلقا وكلام المصنف موهم لتقييد مقيدا وقيل اللوم على عدم ايمانهم فيقبل له لا تهتم لهم ولا تحزن ولا يبعد ان يراد لا تلتفت لقولهم لك لم تركت ملة الاباء لما امرتنا به ونحو ذلك فانك لست بملوم عندنا وفي نفس الامر بل في اعتقادهم ايضا فلا عبرة بما قالوه وذكروه وعلى هذا فلا نسخ كما مر قلت التقييد لا ضرر فيه هنا وايهام لست ملوما في هذا انه يلام في غيره كما يلتفت اليه لانه على حد قوله ولا ترى الضب بها ينجحر فيفيد عدم اللوم على غيره بالطريق الاولى وليس في قوله ابلاغ ما حملت تكرار مع ما قبله لان الثاني فيه كناية عن الاول كما توهم لان المعنى انك بلغتنا ان الكل واديته كما ينبغي فالاولى لحسن الاداء والثانية للشمول والتعميم او الثانية تعميم بعد تخصيص ففيه الطناب حسن كما قيل بل لان الاول تقييد انه ابلغ وفي حق ما بلغه والثانية تقييد انه مامور بالتبليغ كمن ارسل برسالة وامانة فاوصلها ومثله في التسلية الدالة على الشفقة والمحبة قوله فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا اي دم على الصبر في تنفيذ ما حكم الله به ولا تحزن ولا تخف من الاعداء فانك محفوظ محروس لا يصلون اليك ولا يذب بساحتك عقارب كيدهم او اصبر لاجل حكم الله اي لتبليغ احكامه وفي المعالم اصبر الى ان يقع ما حكمنا به او الى ان تحكم او تنزل حكما وفيه الايما الى ان قتالهم واللام بمعنى على او للتعليل او بمعنى الى والحكم ما حكم الله به وقدر في الازل اي لا تتعجل بالتعب في سبيلنا ودم على الجد فانك محفوظ معصوم من الناس والاعين جمع قلة للعين والضمير المضاف اليه بصيغة التعظيم ولايهامه التعدد لا يجوز اطلاقه منا عليه بل تفصيل فيه على ما قاله الله في حق نفسه كما نقله الدماميني في شرح التسهيل والمراد بالعين الحفظ والحراسة على الاستعارة او المجاز المرسل كما يقال هو بعيني او على عيني وبمرأى ومسمع مني وجمع قيل لمناسبته المضاف اليه او لكثرة اسباب الحفظ فان رؤيته تعالى تتعلق بكل شئ وليست مخصوصة بالنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان جمع القلة مستعار هنا للكثرة وذلك ان تقول ان حفظ جميع

مخلوقاته قليل بالنسبة لجلاله وعظمة ذاته والى هذا اشار بقوله اي اصبر على اذاهم فانك بحيث نراك ونحفظك بيان للمراد من هذه الاية واردة الحفظ والمحارسة بعيد ولا تلتفت لما قيل انه غير بعيد فانه مكابرة وفي الشرح الجديد لا تهتم لما ذكر على الحفظ لانك اذا قلت فلان بعيني استحال حقيقة الظرفية على انه داخل العين فتعين ارادة لازمة وهي حفظك بغير طريق الرؤية لان ما استقر في عينك كان محفوظا فوق الرؤية او من شروط الرؤية عدم مماسة العين المرئي فان اريد معناه الحقيقي على ان الباء للظرفية المجازية فالحق مراد بطريق الكناية لصحة الجمع بين المعنيين فيها دون المجاز فالمراد مجرد الرؤية بغير جارحة لاستحالتها في حقه تعالى وذهب البيضاوي في قوله تعالى واصنع الفلك باعيننا الى ان الباء للملابسة والتغيير بكثرة الحس الذي به يحفظ الشئ ويراعى عن الاختلال والويح عن المبالغة والحفظ والرعاية على طريق التمثيل فلا كناية فيه اصلا على هذا ومنه يفهم وجه الجمع كما مر سلاه الله لهذا اي بمثل هذا الكلام وما في معناه بذكر في اي بمد الهمزة وتخفيف الباء جمع اية او اسم جنس جمعي لها ولا حاجة لجعل في بمعنى مع كما قيل وان صح هنا كثيرة كقوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا وحتى اتاهم نصرنا من هذا المعنى من بيانيه والتقدير كاينة من مثل ما يدل على هذا المعنى وهو الحفظ والوعد بالتاييد والامر بالصبر للتسلية والشفقة والمعنى مفعول من تحاه بمعنى قصد قال في المصباح لقول العامة لاي معنى فعلت والعرب لا تعرف المعنى ولا تكاد تتكلم به نعم قال بعض العرب ما معنى هذا او في معناه سوا اي في مماثلة ومشابهته دلالة ومضمونا ومفهوما وقال الفارابي معنى الشئ ومعناه واحد ومعناه ومحواه ومقتضاه ومضمونه كله هو ما يدل عليه اللفظ وفي التهذيب عن ثعلب المعنى والتفسير والتاويل واحد وقد استعمل الناس قولهم هذا في معنى كلامه وشبهه يريدون هذا مضمونه ودلالته وهو مطابق لقول ابي زيد والفارابي واجمع النحاة واهل اللغة على عبارة تداولوها وهي قولهم هذا بمعنى هذا او هذا في المعنى احد وسوا اي مماثلة ومشابهة انتهى ولنا فيه كلام في حواشي الروض الفصل السابع فيما اخبر الله به في كتابه العزيز اي العظيم الشريف او اللغوي ادلته ومعانيه او الذي لا نظير له في الكتب من عظيم قدره وشريف منزلته على الانبيا عليه الصلاة والسلام وخطوة رتبته وفي بعض النسخ عليهم اي على جميع الانبيا عليهم الصلاة والسلام والمراد

شبكة الألوكة www.alukah.net

تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الانبيا كما ستري تفصيله والمنزلة
والرتبة متقاربان بمعنى علو القدر والحظوة بضم المعا المهملة وسكون الظا المشالة
اي اختصاص رتبة صلى الله عليه وسلم بالحظ الاوفر من حظي عند غيره يحظى
من باب حظة كعدة اذا احبوه ورفعوا منزلته فهو حظي على فعيل وقوله على الانبيا
متعلق بما قبله لتضمينه معنى العلو قوله تعالى وفي بعض النسخ قال الله تعالى
واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين
يعني قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال اقررتم
واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين وفي
بعض النسخ ثلاثتهما بتمامها قال ابن المنير وفي تفسير البحر الكبير يحتمل ان يراد اخذ الله
الميثاق على النبيين او على الامم الميثاق الذي شرع النبيون تعظيمه فاضيف اليهم او هو
بتقدير مضاف اي ميثاق النبيين ويحتمل ان يراد بالنبيين مدعو النبوة تهكما بهم
وقد كان اليهود يقولون نحن احق بالنبوة من العرب وعدلوا عن الاول مع ظهوره لانهم
لم يدركوه فهو على الفرض والتقدير وهو تكلف ولما اتيتكم يحتمل الشرطية والموصولية
واللام موطئة للقسم لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وعلى الشرطية جواب
القسم ساد مسد الامرين وهو قوله لتؤمنن به وقرا حمزة لما بالكسر اي لاجل ايتائي
اياكم لعمر الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول موافق لكم مصدق لما معكم فكل من هذين الامرين
حد بذاته ان يكون علة وسببا في نصرتكم اياه لانكم وتينتم الحكمة ومقتضاها نصر
الحق كائنا مع من كان ولانه جا بمن هو مظاهر لكم مصدق لما معكم فاذا كانت
ما شرطية وموصولة فمن بيانية وان كانت مصدرية فتبعيضية لانه ليس كل
ما سين واما امتن عليهم ببعض الكتب لانه كان في الحجة ويجوز على قراة الكسر
والتعليل ان تكون ما موصولة اي اوحيت على الانبيا عليهم الصلاة والسلام نصر
النبي الموعود به في المستقبل لاجل الكتاب الذي اتيته كل واحد منهم وجملة جاءكم
معطوفة على الصلة اقيم فيها الظاهر هو مقام المضمر والتقدير لما اتيتكموه من الكتاب
ثم جاءكم رسول مصدق له وقرا ابن جبير لما بالتشديد وهو يقوى المصدرية
وقيل اصل لما لمن ادغمت النون فاجتمعت ثلاث ميمات فحذف احداهما
والمعنى لمن اجل ما اتيتكم من كتاب وهو قريب من قراة حمزة بالكسر انتهى
واعلم ان هذه الاية اجل اية في حقه صلى الله عليه وسلم وقد
افردها التقي السبكي برسالة فقال سماها التعظيم والمنة في معنى قوله لتؤمنن
به ولتنصرنه قال فيها في هذه الاية من التنويه به صلى الله عليه وسلم وتفخيم قدره

العلي ما لا

العلي ما لا يخفى وفيها مع ذلك انه على تقدير مجيئه صلى الله عليه وسلم في زمانهم
يكون مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من اولهم عليه الصلاة
والسلام الى يوم القيامة وتكون الانبيا واممهم كلهم من امته صلى الله عليه وسلم
ويكون قوله وبعثت الى الناس كافة لا يختص بالناس من زمانه الى يوم القيامة
بل يتناول من قبلهم ايضا ويتبين بذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم كنت
نبيا وادم بين الروح والجسد وان من فسره بعلم الله سيصير نبيا لم يصل
الى هذا المعنى لان علم الله محيط بجميع الاشيا ووصف النبي صلى الله عليه وسلم بالنبوة
في ذلك الوقت ينبغي ان يفهم منه ان امر ثابت له في ذلك الوقت ولهذا راي
ادم عليه الصلاة والسلام مكتوبا على ساق العرش محمد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلا بد ان يكون ذلك معنى ثابتا في ذلك الوقت ولو كان المراد بذلك مجرد العلم
بما سيصير في المستقبل لم يكن لادم صلى الله عليه وسلم خصوصية بانه نبي وادم
بين الروح والجسد لان جميع الانبيا عليهم الصلاة والسلام يعلم الله نبوتهم في ذلك
وقبله فلا بد من خصوصيته للنبي صلى الله عليه وسلم لاجلها اخبر هذا الخبر
اعلاما لامته ليعرفوا قدره عند الله فيحصل لهم الخير بذلك فان قلت اريد
ان افهم ذلك القدر الزايد فان النبوة وصف لا بد ان يكون الموصوف به موجودا
وانما يكون بعد بلوغ سنه اربعين سنة فكيف يوصف به قبل وجوده وقبل الرسالة
وان صح ذلك فغيره كذلك قلت قد جا ان الله تعالى خلق الارواح قبل
الاجساد فالاشارة بقوله كنت نبيا الى اخوه الى روحه الشريف صلى الله عليه
وسلم او الى حقيقته والحقايق تقصر عقولنا عن معرفتها وانما يعرف فيها
خالقها ومن امده بنور الهي ثم ان تلك الحقايق يولي الله لها كل حقيقة منها
ما يشا في الوقت الذي يشا فحقيقة النبي صلى الله عليه وسلم قد تكون من
قبل خلق ادم عليه الصلاة والسلام اتاها ذلك الوصف بان يخلقها
متهيئة لذلك وافاض عليها من ذلك فصار صلى الله عليه وسلم نبيا وكتب اسمه
على العرش واخبر عنه بالرسالة ليعلم ملايكته عليهم الصلاة والسلام وغيرهم
كرامته صلى الله عليه وسلم عند فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وان تاخر
جسده الشريف المتصف بها واتصاف حقيقته بالاوصاف الشريفة
المفاضة عليه من الحضرة الالهية وانما تاخر البعث والتبليغ وكل ما له من
جهة الله ومن جهة تاهله لانه الشريف وحقيقته بنجل لا تاخر فيه وكذلك
استواوه وايتاوه الكتاب والحكم والنبوة وانما المتاخر كونه وتنقله الى ان ظهر صلى الله عليه وسلم

وغيره صلى الله عليه وسلم من اهل الكرامة وقد يكون افاضة الله تلك الكرامة
عليه بعد وجوده بمدة كما ينشأ سبحانه وتعالى ولا شك ان كل ما يقع فالله
تعالى عالم من الازل ونحن نعلم علمه بذلك بالادلة العقلية والشرعية ويعلم
الناس منها ما يصل اليهم عند ظهوره ولعلمهم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم حين
نزل عليه القرآن في اول ما جاءه جبريل صلوات الله عليهما وسلامه وهو
فعل من افعاله سبحانه من جملة معلوماته من اثار قدرته وارادته واختياره
في محل خاص يتصف بها فهاتان مرتبتان والى معلومة بالبرهان والثانية
ظاهرة للعيان وبين المرتبتين وسائط من افعاله سبحانه وتعالى بحدث
على حسب اختياره سبحانه وتعالى منها ما يظهر لهم بعد ذلك ومنها ما يحصل
لهم كمال ذلك المحل وان لم يظهر لاحد من المخلوقين وذلك الى كمال يقارون ذلك
المحل من حين خلقه والى كمال يحصل له بعد ذلك ولا يصل علم ذلك الينا الا بالخبر
الصادق والنبي صلى الله عليه وسلم خير الخلق فلا كمال لمخلوق اعظم من كماله ولا محل
اشرف من محله فعرفنا بالخبر الصحيح حصول ذلك الكمال من قبل خلق او مر لنبينا
محمد صلى الله عليه وسلم من ربه سبحانه وتعالى وانه اعطا النبوة من ذلك الوقت
ثم اخذ له المواثيق على الانبيا عليهم الصلاة والسلام ليعلموا انه المقدم عليهم
وانه نبيهم ورسولهم واخذ المواثيق في معنى الاستخلاف ولذلك دخلت لام
القسم في قوله تعالى لتؤمنن به ولتنصرنه لطيفة هذا كايمان البيعة
التي توخذ للانبيا للخلفا وكانها اخذت من هنا فانظر هذا التعظيم للنبي صلى
الله عليه وسلم من ربه سبحانه وتعالى فاذا عرفت ذلك فالنبي صلى الله عليه وسلم
هو نبي الانبيا ولقد اظهر ذلك في الاخرة بكون جميع الانبيا عليهم الصلاة والسلام
تحت لوائه وفي الدنيا كذلك ليلة الاسرا اذ اصلى بهم ولو اتفق مجيئه صلى الله عليه وسلم
في زمن ادم وغيره وجب عليهم وعلى امتهم الايمان ونصرته بذلك اخذ الله الميثاق
عليهم فنبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته اليهم معنى حاصل له وانما امر متوقف
على اجتماعه معهم فتاخره لذلك لامر راجع الى وجودهم لا الى عدم اتصافهم
بما يقتضيه وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل وتوقفه على اهلية الفاعل
فهذا لا يتوقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النبي صلى الله عليه وسلم وانما هو
من جهة وجود العصر المشتمل عليه فلو وجد في عصرهم لزمهم اتباعه بلا شك
ولهذا يا تي عيسى عليه الصلاة والسلام في اخر الزمان على شريعته صلى الله عليه
وسلم وهو نبي كريم على حاله لا كما يظنه بعضهم من انه يا تي واحدا من هذه الامة

نعم

نعم هو واحد منها لما قلناه من اتباعه للنبي صلى الله عليه وسلم وانما يحكم
بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم بالقران والسنة وكل ما فيهما من امر او نهي
فهو متعلق به كما يتعلق بسائر الامة وهو نبي على حاله صلى الله عليه وسلم
لم ينقص منه شي وكذا لو بعث النبي صلى الله عليه وسلم في زمنه او زمن
موسى وغيره كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم الى امهم والنبي صلى الله
عليه وسلم نبي عليهم ورسول الى جميعهم فنبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته
اعم واشمل واعظم ومتفق على شرايعهم في الاصول لانها لا تختلف
وتقدم شريعته فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع اما على سبيل
التخصيص واما على سبيل النسخ او لا نسخ ولا تخصيص بل يكون شريعة النبي
صلى الله عليه وسلم في تلك الاوقات بالنسبة الى هذه الامة هذه الشريعة والاحكام
مختلف باختلاف الاشخاص والاوقات ولهذا بان لنا معنى حديث
خفيا علينا او احد مما قوله صلى الله عليه وسلم بعثت الى الناس كافة كان ظن
انه من زمانه الى يوم القيامة فبان انهم جميع الناس اولهم واخرهم والثاني
قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا الى اخره كان ظن انه بالعلم فبان انه رايد
على ذلك على ما شرحناه وانما يعترف الحال بين ما يقدر وجود جسد صلى الله
عليه وسلم وبلوغه الاربعين وما قبل ذلك بالنسبة الى المبعوث
اليهم وتاهلهم لسماع كلامهم لا بالنسبة اليه ولا اليهم لو تاهلوا قبل ذلك
وتعليق الاحكام على الشروط قد يكون بحسب المحل القابل وهو المبعوث
اليهم ولا اليه وقبولهم سماع الخطاب والجسد الشريف الذي بخاطبهم
بلسانه وهذا كالوكل الاب رجلا في تزويج ابنته اذا وجدت كفوا فالتوكيل
صحيح وذلك الرجل اهلا للوكالة ووكالته ثابتة وقد يحصل توقف التصرف
على وجود كفو ولا يوجد الا بعد مدة وذلك لا يقدح في صحة الوكالة واهلية
التوكيل انتهى اقول وجدنا اقدم لذلك حديثا رواه ابو نعيم
في الحلية عن انس انه صلى الله عليه وسلم قال اوحى الله الى موسى عليه الصلاة والسلام
انه من لقيني وهو جاحد بامحمد ادخله النار قال يا رب ومن احمد قال ما
خلقت خلقا اكرم علي منه كتبت اسمه مع اسمي في العرش قبل ان خلق السموات
والارض ان الجنة محرمة على جميع خلقي حتى يدخلها هو وامته قال
ومن امته قال الحامدون يحمدون صعودا وهبوطا وعلى كل حال يشدون
اوساطهم ويطهرون اطرافهم اسود بالنهار رهبان بالليل اقبل منهم اليسير

وادخلهم الجنة بشهادة ان لا اله الا الله قال اجعلني نبي تلك الامة قال
نبيها منها قال اجعلني من امة ذلك النبي قال استقدمت واستاخر ولكن ساجمع
بينك وبينه في دار الجلال انتهى وورد بمعناه من طرق كثيرة كما في الخصائص
الكبرى واعلم ان معنى كون احد من امة نبي من الانبيا انه مكلف
باتباعه واتباع شريعته علما وعملا وهي امة دعوة وامة اجابة ويلزم من
اجابته من امتيه لتعظيمه وتوقيره واعتقاد صدقه في كل ما جا به واعزانه
ومحبته ولا يلزم من تعظيمه ومحبته واعتقاد صدقه ان يكون مكلفا باتباع
شريعته والتعبد بها الا ترى ان الله اعزه وعظمه واحبه ولا يتصور فيه
ذلك وكذلك الرسل والانبيا عليهم الصلاة والسلام جميعهم معظمون
له ومحبون لانهم اعرف به من غيرهم مع انهم غير مكلفين باحكام شرعه
والا لم يكونوا اصحاب شرع وكتاب مستقل والنصوص العقلية والنقلية
ناطقة بخلافه الا ترى الى قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح
والنبيين من بعده وما في معناها من الايات اذا عرفت هذا فاعلم انما قاله
السبكي رحمه الله ويتجه به واستحسنه هو ومن بعده ممن وقف عليه لا وجه
له عند من له بصيرة نقادة واياك ان يخطر ببالك ان هذا يقتضي ان من
تقدمه من الانبيا عليهم الصلاة والسلام وعلى الملل السالفة غير مبالغين
في تعظيمه وتصديقه ومحبته فان هذا معنى والتعبد بشرعه معنى اخر
ومن ظنهما امرا واحدا لا يعتد به وقوله لتومنن به ودون بشرعه مناد عليه
وكيف يتاتى ما قاله مع قوله تعالى اتبع ملة ابراهيم حنيفا فانه عكسه وقد
طلب موسى صلى الله عليه وسلم ان يكون من امنيه عليه الصلاة والسلام فاجابه
الله بما سبقت انفا في الحديث الصحيح فقوله انه على تقدير مجيئه في زمانهم
يكون مرسلا اليهم الى اخره لا معنى له وقوله في حديث كنت نبيا الى اخره
انه في عالم الارواح معنى صحيح ومن فسره بالعلم فقد يقال مراده علم
اظهره الله لغيره من الملايكة والارواح تشريفا له صلى الله عليه وسلم وتعظيما
وكونه اشارة الى حقيقته ان اراد به روحه رجع لما قبله وان اراد غيره
فامر لا يعقل عند من خلع ربقة التقليد من جيد اعتناقه وقوله في حق عيسى عليه
الصلاة والسلام انه باق في اخر الزمان على شريعته وهو بنى مكرر مر يجمع
بين الضب والنون وههنا بحث وهو ان بين ظرف مكان معناه مكان
توسط بين شيئين اضيف لهما وقد يكون للزمان وهو في الاصل مصدر بمعنى

الافتراق

وارتحالهم الجنة بشهادة ان لا اله الا الله قال اجعلني نبي تلك الامة قال
نبيها منها قال اجعلني من امة ذلك النبي قال استقدمت واستاخر ولكن ساجمع
بينك وبينه في دار الجلال انتهى وورد بمعناه من طرق كثيرة كما في الخصائص
الكبرى واعلم ان معنى كون احد من امة نبي من الانبيا انه مكلف
باتباعه واتباع شريعته علما وعملا وهي امة دعوة وامة اجابة ويلزم من
اجابته من امتيه لتعظيمه وتوقيره واعتقاد صدقه في كل ما جا به واعزانه
ومحبته ولا يلزم من تعظيمه ومحبته واعتقاد صدقه ان يكون مكلفا باتباع
شريعته والتعبد بها الا ترى ان الله اعزه وعظمه واحبه ولا يتصور فيه
ذلك وكذلك الرسل والانبيا عليهم الصلاة والسلام جميعهم معظمون
له ومحبون لانهم اعرف به من غيرهم مع انهم غير مكلفين باحكام شرعه
والا لم يكونوا اصحاب شرع وكتاب مستقل والنصوص العقلية والنقلية
ناطقة بخلافه الا ترى الى قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح
والنبيين من بعده وما في معناها من الايات اذا عرفت هذا فاعلم انما قاله
السبكي رحمه الله ويتجه به واستحسنه هو ومن بعده ممن وقف عليه لا وجه
له عند من له بصيرة نقادة واياك ان يخطر ببالك ان هذا يقتضي ان من
تقدمه من الانبيا عليهم الصلاة والسلام وعلى الملل السالفة غير مبالغين
في تعظيمه وتصديقه ومحبته فان هذا معنى والتعبد بشرعه معنى اخر
ومن ظنهما امرا واحدا لا يعتد به وقوله لتومنن به ودون بشرعه مناد عليه
وكيف يتاتى ما قاله مع قوله تعالى اتبع ملة ابراهيم حنيفا فانه عكسه وقد
طلب موسى صلى الله عليه وسلم ان يكون من امنيه عليه الصلاة والسلام فاجابه
الله بما سبقت انفا في الحديث الصحيح فقوله انه على تقدير مجيئه في زمانهم
يكون مرسلا اليهم الى اخره لا معنى له وقوله في حديث كنت نبيا الى اخره
انه في عالم الارواح معنى صحيح ومن فسره بالعلم فقد يقال مراده علم
اظهره الله لغيره من الملايكة والارواح تشريفا له صلى الله عليه وسلم وتعظيما
وكونه اشارة الى حقيقته ان اراد به روحه رجع لما قبله وان اراد غيره
فامر لا يعقل عند من خلع ربقة التقليد من جيد اعتناقه وقوله في حق عيسى عليه
الصلاة والسلام انه باق في اخر الزمان على شريعته وهو بنى مكرر مر يجمع
بين الضب والنون وههنا بحث وهو ان بين ظرف مكان معناه مكان
توسط بين شيئين اضيف لهما وقد يكون للزمان وهو في الاصل مصدر بمعنى

الافتراق ويتجوز به عن معان اخر كما يقال بين الخوف والرجا اي متردد بينهما
يكون تارة خايفا وتارة راجيا وبين الحلو والحامض اي مز والكلمة
بين اسم وفعل وحرف اي منتسمة لها وقوله في الحديث بين الروح والجسد لبس
بمعناه الحقيقي لاقتضائه وجود روح ادم عليه الصلاة والسلام وجسده
حتى بعث نبينا صلى الله عليه وسلم ولا يصح هذا ولا شي من المعاني السابقة
فالظاهر انه ظرف زمان اي في زمان كان بين خلق روحه وجسده فيفيد ظهور نبوته
بعد خلق روحه وقيل خلق جسده على انه بناء في عالم الارواح واطلع الارواح
على ذلك وامرها بمعرفة نبوته صلى الله عليه وسلم والاقرار لها وهذا المعنى
يفيده قوله بين الما والطين اي بعد خلق عناصره غير مركبة ولا منفوخ فيها
الروح فهو بمعنى الحديث الذي صححه فيكون رواية بالمعنى ان ثبت هذا اللفظ وهذا
وهذا ما لم يحم احد حول حماه والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان
ان هدانا الله واد متعلقه باذكر مقدرا وحده واذكروا يا اهل الكتاب
ان اريد به جميعهم فظاهر وان اريد به الموحدين في زمن نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم فلتنزيل ما جاهم بمنزلة ما جاهم او يقدر اذ اجا اباكم والميثاق
العهد واليمين وقيل انه متعلق باذكروا ان اخروا المراد بالنبيين ملتهم
ومع امهم او انبيا بني اسرايل ومن تبعيضية او بيانية واللام موطية او
ابتدايية ثم جاكم رسول التنوين والابهام للتعظيم لان المراد به محمد صلى الله عليه
وسلم وقيل انه عام وان العهد اخذ على ساير الانبيا عليهم الصلاة والسلام
ان يصدق بعضهم بعضا ويامر باتباعه والايمان وهو مروي عن ابن جبير
كما مر وقيل تقديره جاكم به فالعايد محذوف وهو تكلف لتومنن به
اي برسالته تقدم انه جواب القسم وهو ساد مسد الشرط ان كانت ما شرطية
او جوابها محذوف وعلى كل حال سوا كانت شرطية او موصولة مبتدا الا بد
في الجواب او الخبر من التقدير وفيه تكلف وقال التجاني قد يستغنى بعود الضمير
الى ما في اثنا الجملة عن العود الى المبتدا او الشرط لارتباط بعض الكلام ببعض
قيل هو غريب جدا ولما كان المراد الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم فلا بد
من التقدير اي ان الضمير به لما بتقدير المصدقه اي رسالته مصدقه اقول
ما عن غريبا اشهر من قفا نبك وهو مذكور في متن التسهيل وقال في شرحه
انه مذهب الاخفش والكسائي وصرح به السيد في شرح الكشاف في قوله تعالى
والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن وفي الروض الانف ما في هذه

سيد
وابن الحنبلي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الآية مبتدا بمعنى الذي والخبر لتؤمنن به ولتنصرنه وان كان الضميران
عايدان على رسول ولكن لما قال رسول مصدق لما معكم ارتبط الكلام بعضه
ببعض واستغنى بالضمير العايد على الرسول عن ضمير يعود على المبتدا وله نظاير
في التنزيل انتهى ولتنصرنه على عدوه قال الله لهم اقررتم
للاستيثاق واخذتم على ذلكم اى قبلتم على ذلك المذكور اصري عهدي وميثاقي
قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم اى الملايكة على اقرارهم او بعضكم
على بعض وانا معكم من الشاهدين على ما سبق قال ابو الحسن القابسي تقدمت
ترجمته في اول الفصل الثاني من هذا الباب وفي انتساب السمعاني قابس بلدة
بالمغرب استخص الله تعالى استخص وخص واختص بمعنى فالسين للتاكيد
لا للطلب وقيل المعنى طلب تخصيصه وهو مجاز عن لازمه وهو الارادة وارادة
الله تعالى لا تختلف بمعنى اراد وكلا افعله وتكلف وهو تكلف لا حاجة اليه بقوله
اي بسبب قوله في الآية للانبيا عليهم الصلاة والسلام وقد سقط هذا من بعض
النسخ محمد صلى الله عليه وسلم بفضل لم يوته غيره مؤكدا للتخصيص
دفعا لتوهم المجاز او ارادة التخصيص الذكرى انا نه به اي ظهر ذلك الفضل
له او فضله وميزه به عن غيره وهو موكد لما قبله ايضا سواء كان مستانفا
او حالا وبابه للتعدية او سببيته وهو اي الفضل المختص به ما ذكره من هذه الآية
قيل ان هذا على بعض التفاسير لما مر ان هذا على بعض التفاسير لما مر
ان بعض المفسرين قال انها عامة وان كل نبي اخذ عليه العهد بان يصدق بمن بعده
وان يومن بعضهم ببعض وقال البغوي والثعلبي انه عليه كثير من
المفسرين ولذا استشكل بعضهم اختصاص هذا بنبينا صلى الله عليه وسلم ولو
فسر الرسول هنا بمحمد صلى الله عليه وسلم لاندرجت امرتان بغير هذه الآية مقرر
عندهم واجيب بان العهد الماخوذ على الانبيا عليهم الصلاة
والسلام اجمالي من غير تعيين وهذا معين باسمه وصفته او ان الفضل المخصوص به
صلى الله عليه وسلم اخذ العهد بان يومنوا به وتبعوه ان ادركوه حتى يومنوا من امته
والآية محمولة على هذا كما مر على السبكي فلا اشكال قال المفسرون اي بعضهم وكون
التعريف للعهد لا قرينة عليه اخذ الله الميثاق بالوحي الى الانبيا عليهم الصلاة
والسلام واخذ العهد عليهم بالايمان به صلى الله عليه وسلم ايضا فالوحي مجاز عن ملزوم
الاعلام او هو اعلام نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك اذ اوحاه اليه بعيد جدا والحق
ان هذا امر اخر في هذه النشاة كما يدل عليه قوله فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا صلى الله

عليه وسلم وبعثه بصيغة المصدر المنصوب والماضي اي ذكر له صفته اي لم
يبعثه في حال من الاحوال الا حال ذكره له والبعث زمانه ممتد فالذكر الواقع في
اوله او بعده مقارن له فالحال في زمن العامل واخذ عليه ميثاقه ان ادركه
ليومنن به ضمير به النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لم يبعث نبيا اي ميثاق ذلك
النبي الماخوذ عليه او لله تعالى والاول اوفق باضافة الميثاق للنبيين في
الآية او لمحمد اي الميثاق الماخوذ لاجل محمد فالاضافة لادنى ملابسة وهذا
الميثاق اشارة الى ان شريعته صلى الله عليه وسلم ناسخة لجميع الشرايع فيجب
على كل من ادركه اتباعه فيحلم الرسل به امهم ويامروهم تبليغه لمن بعدهم
وفي الحديث لو كان موسى عليه الصلاة والسلام حيا ما وسعه الا اتباعي وبياني
في التوراة والانجيل وغيرهما من التصريح بهذا ومعنى ادركه انه عاش حتى
يجي زمنه فيلقاه في الدنيا قال الشريف هنا ما نقل عن السبكي رحمه الله من ان
الانبيا عليهم الصلاة والسلام كانوا من امته وعلى دينه في زمنهم والاختلاف
بحسب الزمان والعباد مما لا دليل عليه ولا قايل به والاحتمال المخالف
للظواهر لا اعتداد به انتهى وما نقله عن السبكي غير صحيح وان كان كلامه
مردودا من وجه اخر كما بيناه في صدر هذا الفصل وقيل معنى
هذه الآية ان يبينه لقومه ويامرهم ان يبينوه لمن بعدهم اي اخذ
الله العهد على كل شي ان يومن به صلى الله عليه وسلم وينصره اذا ادرك
زمنه وفي هذا من تشريفه واعلا قدره ما لا يخفى والايمان لا بد فيه
من مطابقة القول للاعتقاد فاذا اقترن به علانية فقد بينه فما قيل
من ان حمل الايمان على مجرد البيان بعيد جدا او لعل المراد ما في بعض التفاسير
الله يصفه ويقول من ادركه منكم فليومن به غني عن المراد وقال التجاني
ان المصنف رحمه الله نقض ما فرضه عن المفسرين من اخذ الميثاق على
الانبيا عليهم الصلاة والسلام بقوله وقوله ثم جاءكم الخطاب لاهل
الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم وتبعه بعض الشراح فقال هذا
لا يصح على القول بانه تعالى اخذ ميثاق النبيين بذلك اذ من قاله لا يجعل
خطاب جاءكم الا لهم وانما يصح عند من قال اخذ ميثاق معاصريه واضيف
للنبيين نظرا الى انهم هم الماخوذ على امهم وانهم ياخذونه على من بعدهم
الى ان يبعث او سموا نبيين تهكما كما مر ورد بانه من تتمة القول الثاني لا الاول
لتصريحهم بخلافه ومنافاته له والمراد ان الخطاب في جاءكم وانتكم فالمعنى انه اخذ

شبكة الألوكة www.alukah.net

الميثاق على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليبينوا لكم أيها العاصرون بواسطة
أصحابهم وجوب الايمان ونصره وليس المراد الخطاب في حاكم فقط لانه يفيد
حدا ولا حاجة لتكلف ان يقال انه المعنى انه قيل للانبياء اذا جاء بعضكم بودكم
رسول الله ولما كان ذلك البعض هم المعاصرون ذكر عند حكاية القصة لهم
لحضورهم ولم يتأمل هذا من قال من يقول ان الميثاق ماخوذ على الانبياء عليهم
الصلاة والسلام لا يجعل الخطاب في قوله ثم جاءكم الا لهم ومن يقول انه
لاهل الكتاب المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم ويتأول اضافته
للنبيين بانهم الذين اخذوا على الله فالاضافة الى الاخذ الفاعل لا الى المفعول
الماخوذ عليهم وكونه في تمنة الثاني ممنوع لان محصله انه تعالى
اخذ الميثاق على كل نبي ان يبين محمدا صلى الله عليه وسلم لقومه ليؤمنوا به
وينصروه ويبلغوا ذلك لمن بعدهم ليكونوا كذلك فكيف يكون الخطاب ان
للمعاصرين او لاهل الكتاب مطلقا كما نقل عن الربيع واستدل لقراءة ابي
وابن مسعود رضي الله عنهما واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ثم
ان الطيبي رحمه الله تعالى نقل عن بعضهم الوقف على النبيين وان الله
تعالى امرهم بقوله ذلك فقال قولوا للامة عني مهما اتيتكم من كتاب او حكمة
ورسول لتؤمنن به فبطل حينئذ القول بان بقول الميثاق ماخوذ على
الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يجعل الخطاب الا لهم لان منهم من جعله
للامم لا لهم فيحتمل ان المصنف رحمه الله تعالى ماش على هذا فالخطاب للمعاصرين
واخذ الميثاق على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وما نقله عن المفسرين تفسير
لقوله لقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين فقط لجواز الوقف عليه فتامل وقال
علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه وهذا رواه ابن جرير وابن
كثير باسناد صحيح والبغوي بعبارات مختلفة محتملة للنقل بالمعنى او تعدد
القول المروي عن علي لم يبعث الله نبيا من اول من بعث في حال من الاحوال
الا في حال ان اخذ الميثاق عليه وفي لفظ العهد عليه في حق محمد صلى الله عليه
وسلم لئن بعث محمد وهو اي ذلك النبي حي ليؤمنن به ولينصرنه وامر باخذ
العهد على قومه ليؤمنن به ولينصرن من ادركه منهم كما قاله البغوي واشار اليه
المصنف رحمه الله تعالى بقوله وباخذ العهد على قومه بذلك اي بالايمان
به ونصرته وعدى اخذ بعلى والمعروف تعديته بمن كما في قوله تعالى واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم اشعارا بمضرته لهم اذ فرطوا فيه او لتضمن كما ان فيه منفعتهم

اذ احفظوهم

اذ احفظوهم والعهد الوصية والتقدم في الشيء واليمين وكل منهما محتمل هنا
كما قاله التلمساني ومن في قوله من اوان لابتداء الغاية وقوله ثم من بعده اي واحد بعد
واحد وباخذ قال الشمني بالنصب رواية عن المصنف رحمه الله وهو كذلك
في النسخ الصحيحة المصححة وجزم بانه معطوف على تؤمنن به بتقدير نون التوكيد
الخفيفة ورده السيد عيني بانه يكون حينئذ من جزء الشرط فيلزم كون الاخذ
من الامة بعد بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم وليس المراد الا ان باخذ الانبياء
في زمنهم من امرهم انه اذا بعث وهو احيا ليؤمنن به ويوبخ ما في اللباب وتفسير
البغوي عن علي رضي الله تعالى عنه ما بعث الله نبيا الا اخذ عليه العهد في محمد
صلى الله عليه وسلم وامره باخذ العهد على قومه بان يؤمنوا به وينصروه اذا
ادركوا زمانه وحينئذ فالعطف على جملة لين بعث الى اخره على الها
في موضع مفرد من باب زرتني فاكرمك اي الا اخذ العهد عليه في محمد صلى الله
عليه وسلم بالايمان به والنصران يبعث وهو حي وبان ياخذ فالوجه ان
التقدير وامر ان ياخذ كقوله افغير الله تامروني اعبد فيمن نصب اي بان اعبد
على نهج علقتها تبنا وماء يعضده ما مر من التفسير اقول
ما ذكره الشمني ذكره ايضا القسطلاني في حاشيته وكذلك كونه مؤكدا بالنون
الخفيفة على نهج قوله —

لا تهين الفقير علك ان ● تركع يوما والدهر قد رفعه

وعلى هذا في الكلام مقدر اي وباخذ العهد على قومه ان لم يبعث وهو حي وهذا
التقدير لا بد منه على كل حال فاعرفه وتحوم عن السدي وقتادة اي مثل
ما ذكر عن علي مروي عن السدي وعن قتادة والسدي بضم السين وتشديد
الدال المهملتين هو اسماعيل ابن عبد الرحمن ابن ابي كريمة المحدث المشهور واختلف
فيه فقيل ثقة وقيل كذاب لا يجنح به كما قال الشمني انه كوفي تابعي مفسر
صدوق الا انه متهم بالتشيع وثقه ابن حبان وضعفه ابو حاتم مات سنة
سبع وعشرين ومائة ونسبته الى السد موضع بالمدينة والمشهور انه منسوب
الى سدة مسجد الكوفة وهي ما يبقى من اطراق المسدود لبيعة المقانع
فيه كما في القاموس وفي المصباح السدة الباب وينسب اليها على لفظها
فيقال سدي جماعة ومنهم الامام المشهور اسماعيل السدي لانه كان يبيع المقانع
ونحوها في سدة مسجد الكوفة وقتادة تقدمت ترجمته وهذه الرواية عنهما
اثبتها ابن جرير في اي اي هذا المذكور مروي في جملة اي جمع اية كايات تضمنت

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فضله صلى الله عليه وسلم من غير وجه واحد وهذه الجملة صفة آى وآيى
بالمد وتخفيف اليا قال التلمسانى هذا متصل بقوله فى اول الفضل ما اخبر الله به
فى كتابه العزيز فى الآية المذكورة مع ايات دلت على فضله من وجوه كثيرة
وقيل المعنى قال الله تعالى واذ اخذ فى جملة ايات او عن السدى فيها وفى اى
اخر ولو تعلقت باول الفضل وجب تقديمه على الآية لانه من جملة الترجمة وليس
ما قاله متعينا كما ظنه قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم الآية قيل اخذ عليهم الميثاق بتبليغ
الرسالة وتصديق بعضهم بعضا وقيل بان يعلنوا بنبوة محمد صلى الله عليه
وسلم ويعلن محمد صلى الله عليه وسلم بانه لا نبى بعده فيها تفضيل له صلى
الله عليه وسلم من وجوه كما سيأتى وقال التجانى ذكر الله فى هذه الآية النبيين جملة
ثم خص بالذكر بعضا منهم تشريفا لهم وقدمه صلى الله عليه وسلم عليهم تشريفا
على تشريف والتقديم ليشرف ذاتى كقوله من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين او التقدم زمانى لتقدم نوح على ابراهيم عليهما الصلاة والسلام
ويجوز ان يكون تقديم نبينا صلى الله عليه وسلم للامر بن لحديث كنت اول
النبيين فى الخلق واخرهم فى البعث وان لم تكن الواو للترتيب ولذا ورد فى الحديث
ابدا وابمابدا والله به وقد راعى هذا الفقهاء فى الوصايا كما فصله بعض الشراح
هنا وان لم يكن محله وتمام الآية وموسى وعيسى ابن مريم واخذنا منهم ميثاقا
غليظا اى عظيما شانه او موكدا باليمين وكرر لبيان وصفه تعظيما وقدم نوح فى
قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا لاقتضاء المقام له لان التباعد لوصف دين
الاسلام بالاصالة فى الاستقامة فتدبر وقال عز وجل انا اوحينا اليك
كما اوحينا الى نوح الى قوله وكيلا كذا فى النسخ وفى بعضها الى قوله شهيدا يعنى
قوله لكن الله يشهد بما انزل اليك وما انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله
شهيدا وليست الاولى بخط كما توهم لان بعد شهيدا ايات اربع اخرها وكيلا تشتمل
على ذمة الكفرة ووعيدهم ودعته صلى الله عليه وسلم بالرسالة ومجيئه من الله بالحق
والامر بالايمان برسله الذين هو منهم وهو مما يدل على فضله صلى الله عليه وسلم فيناسب
ذكره هنا فالقول بانه وهم ينبغى اصلاحه وانه قراءة شاذة او قراءة بالمعنى وهم وارتكاب
امور لا تليق واعترض على المصنف رحمه الله تعالى بان هذه الآية غير تامة الغرض
فيما عقد له الفصل من تفضيله صلى الله عليه وسلم على غيره الا ان يقال قوله لكن
الله يشهد الى اخره يدل على الفرض او لم يذكر مثاله لان فى حق غيره صلى الله عليه وسلم

وقيل التشبيه لوحيه بالوحى الى الكل بدليل الجملة على كل واحد
والجواب الاول ضعفه ظاهر وان كان الفضل فى بيان المنزله مطلقا وما ذكر
استطراد فلا اشكال يعنى ما وقع فى نسخ الترجمة من خطوة ربته مطلقا
من غير قوله عليهم والجواب الذى يستضعفه هو الحق لان الاستدراك لكن
يقتضى اختصاصه بشهادة الله لما اوحاه له وانه انزله بعلمه مع ان كل ما نزل
بعلمه ففيه اشارة الى ان له شانا عظيما لا يعلمه الا الله وفى هذا من التفضيل
والتشريف له صلى الله عليه وسلم على غيره ما لا يخفى وسيأتى جواب هو الحق
عندى وذكر نوح دون ادم عليهما الصلاة والسلام لانه اول مشرع عند
بعضهم او لانه اول نبى عوقب قومه او اول الرسل او لعموم دعوته وعلى
الثانى فيه تهديد للمشركين وروى عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه
قال السيوطى فى تخريجه لم اجده فى شئ من كتب الاثر لكن صاحب
اقتباس الانوار وابن الحاج فى مدخله ذكراه فى ضمن حديث طويل وكفى بذلك
سندا لمثله فانه مما يتعلق بالاحكام انه قال فى كلام بكى به النبى صلى الله عليه
وسلم اول هذا الكلام بابى انت وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك
عند ربك ان جعل طاعتك طاعته فقال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله
بابى انت وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك اخر الانبياء
وذكرك فى اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
الآية بابى انت وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار
يودون ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون
يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول بابى انت وامى يا رسول الله لين كان
موسى عليه الصلاة والسلام اعطاه الله حجرا تتفجر منه الانهار فما ذاك بعجب
من اصابعك حين ينبع الماء منها صلى الله وسلم عليك بابى انت وامى يا رسول
الله لين كان سليمان ابن داود عليهما الصلاة والسلام اعطاه الله ريحا
غدوها شهر ورواحها شهر فما ذاك بعجب من البراق حين سرت الى السما الثانية
عليه ثم صليت الصبح فى بيتك بالابطح صلى الله وسلم عليك بابى انت
وامى يا رسول الله لين كان عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام اعطاه الله
احيا الموتى فما ذاك بعجب من الشاة حين كلمتك حين وهى مشمومة بابى
انت وامى يا رسول الله لقد دعا نوح عليه الصلاة والسلام على قومه فقال
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت مثلها علينا لهلكنا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من عند اخرنا فلقد وطى ظهرك وادمى وجهك وكسرت رباعيتك فابيت
ان تقول الا خيرا اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون بابى انت وامى
يا رسول الله لقد اتبعك فى قلة سنك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا عليه
الصلاة والسلام فى كبر سنه وطول عمه فلقد امن بك الكثير وما امن معه
الا القليل بابى انت وامى يا رسول الله لو لم نجالسك الا كفوك لما جالسناك
ولو لم ننكح الا كفوك لما نكحنا الينا ولو لم نواكل الا كفوك لما واكلنا
ولبست الصوف وركبت الحمار ووضعت طعامك بالارض ولعقت اصابعك
تواضعا منك صلى الله عليك وسلم انتهى ويأتى شرح بعض تلك الالفاظ
عند ذكر المصنف له وبكى فى كلام المصنف مخففة ولا يجوز تشديدها
كما فى المواهب اللدنية لانه يقال بكاه وبكى عليه اذا بكى لميت ونحوه فى مخيته
وابكاه وبكاه اذا حمل غيره على ان يكون بوجه ما ولو كان هذا مشددا كان
المعنى ان النبى صلى الله عليه وسلم بكى وليس هذا مرادا قطعا هنا وان سلم
وروده بمعنى المخفف لقول الجوهرى بكيت الشئ مخففا ومشددا اى بكيت
عليه لان الاستعمال على خلافه الا ترى قوله

ولا يغرركم منى ابتسام فعلى مضحك والقول مبكى

فلا وجه لما قيل المراد انه بكى على النبى صلى الله عليه وسلم لهذا الكلام
وذكره بعد وفاته كما نقله الرساطى او المعنى انه بكى غيره عليه به ويحتمل
انه بكى النبى صلى الله عليه وسلم مما فى المواهب خطأ على خطا انتهى فقال
اى عمر رضى الله عنه والفاء عاطفة لمفصل على مجمل لقوله ونادى نوح ربه فقال
رب ولا تقدير ولا تاكيد كما توهم بابى انت وامى يا رسول الله هذا ما تقوله
العرب لمن تريد تكريمه واظهار محبته اى لو اى لو نزل بك امر يقبل الفدا
باحد من البشر بذلك فدايك ابوى فضلا عن المال وغيره وقد كان النبى صلى
الله عليه وسلم يقولها لمن يتعلطف به من اصحابه رضى الله عنهم وهذا الكلام
ما قيل بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم خطابه بانت لتنزيله منزلة
الحاضر لكونه نصب عينه منتقشا حاله فى صحيفة ذهنه وخطاب الاموات بمثله
كثير غنى عن شاهد وانت مبتدا والجار والمجرور خبره مقدما اى انت مفدى بابى وامى
او اصله افديك بابى وامى فلا حذف فى الفعل لانفصل الضمير بصيغة المرفوع وتاخر
والباء للمقابلة الدال عليها الفدا ومنع الثانى لا وجه له لقد بلغ من فضيلتك عند الله
اى فى علمه وحكمه وتقربك منه ومن فى من فضيلتك جوز فيها ان تكون زائدة

فى الاثبات على راى ففضيلتك فاعل او المعنى بعض فضيلتك هذه المراتب
الحسنة فما بالك بكلها وان بعثك الاتى مفعول على الوجهين لا فاعل ويجوز كونها
بيانية مقدمة على راى من جوزه كما تقدم ان بعثك آخر الانبيا اى جعل بعثك
بعثك الطاهرة فى آخرهم بحسب الزمان ليختم بك النبوة وينسخ بشرعك
سائر الشرايع ويبقى دينك الى يوم القيامة وذكرك فى اولهم بصيغة
الماضى اى قدم ذكرك على ذكرهم فى التفضيل واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم الآية ليدل على انك عندهم اعظم
من سائر الرسل واشرف ولهذا الذى قال عمر رضى الله تعالى عنه علم ان هذه
الآية دالة على ما عقد المصنف له الفصل وعلم مراده من ايرادها فلا اشكال
السابق ناشئ من عدم الوقوف على ما اراده وما هو من الاجوبة بمعزل عما قصد
وهذا ما وعدناك به والاولية المتقدمة فى الشرف والرتبة اى ان
من خص بالذكر فى الآية من اولى العزم مقدم الرتبة على غيره فهم
اول انت منهم او اعلاهم فلذا قال ثم او لهم ولم يقل اولهم كما قال
اخر الانبيا لانه لا اخا تم للرسالة غيره مع التفنن البديع بابى انت
وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك هذه فيما تقدم فهو بيان لهذا
ان اهل النار من امة الدعوة لك كلهم او بعضهم كما سياتى يودون ان يكونوا
اطاعوك وروى لو انهم يكونون اطاعوك والود فى الاصل المودة وهى
دوام المحبة ثم صارت بمعنى اليمين والذى تمنوه طاعته صلى الله عليه وسلم
واتباعه وهو بين اطباقها يعذبون جملة حالية والطباق جمع طبق
وهى المنزلة والمرتبة واحدا بعد واحد وما تراكب بعضه على بعض
ويعذبون بيان لما اورثهم دخولها وذكره لكشف حالهم ولو حذف
تم المعنى بدونه يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول يا للتنبيه
او للمنادى والمنادى نفسهم كقوله وهل تطيق وداعا ايها الرجل او لبعض
المعذبين او للزبانية وهو تجريد على الاول وضمير ليتنا للقابلين والقول
لهم المنادون وحذف المنادى مبادرة لتمنى ما فات اظهارا للتحسر وا
انهم لشدة العذاب عاجزون عن النطق كما قيل فى قراة يا مال ليقض
علينا ربك بالتزحم واليه اشار العلا الموصلى رحمه الله تعالى بقوله

ما كان اغنى اهل نار جهنم ان رحموا يا مال وسط جحيم
عجزوا عن استعمال كلمة مالك فلاجل ذا ناده بالترخيم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ثم انه قيل المراد باهل النار بعض امته صلى الله عليه وسلم او اهلها عامة
على انهم تمنوا ان يكونوا من مطيعي الله لو بيتهم حسن حالهم فتمنوا انهم
ادركوا زمانه صلى الله عليه وسلم على غيره من الانبياء ويناسب الفصل
ويعلم وجه ذكر المصنف رحمه الله له والا فكل ما يفقه جهنمية من
امة رسول تود لو كانت اطاعت رسولها فلا يكون له صلى الله عليه وسلم
حينئذ فضل على سائرهم من هذه الجهة وقال النجاني كلام عمر رضي الله
عنه قاله بعد تحقيقه من ابي بكر رضي الله عنه موت النبي صلى الله عليه
وسلم ورجوعه في ذلك الى قوله لما توفي وارتفع البكاء عليه ودهش
الناس كما روي عن غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم انهم طاشت
عقولهم ومنهم من قعد ومنهم من خرس ومنهم من اقعد وكان من خيل عمر رضي
الله عنه جعل يقول ان رجالا من المنافقين زعموا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد توفي والله ما مات ولكنه ذهب الى ربه عز وجل
كما ذهب موسى عليه الصلاة والسلام وغاب عن قومه اربعين ليلة
ثم رجع بعد ان قيل قد مات والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما رجع موسى عليه الصلاة والسلام فليقطعن ايدي رجال زعموا انه
مات وان عثمان رضي الله تعالى عنه فاحرس حتى جعل يذهب به ويجا
ولا يتكلم واقعد على كوم والله وجهه وبلغ الخبر ابا بكر رضي الله تعالى عنه
وهو بالسنح فجاء وعيناه تهملان وزفراته تتردد في ذلك وهو مع
ذلك جعل القتل ومقابله والمقال حتى جاء حتى دخل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاكب عليه وكشف وجهه ومسحه وقال وقبل جبينه
وجعل يبكي ويقول ثم خرج الى الناس وهم في عظيم غمرات الهم وشديد
سكرات الهم فقال بخطبته المشهورة فلما فرغ منها التفت الى عمر رضي الله عنه
فقال يا عمر انت الذي بلغني عنك انك تقول على باب النبي صلى الله عليه وسلم
كذا وكذا والذي نفسي بيده مات نبي الله اما علمت ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يوم كذا وكذا قال الله تعالى في كتابه انك ميت وانهم
ميتون قال عمر فكاني والله لم اسمع بها في كتاب الله قبل ذلك
لما نزل بنا قال اشهد ان الكتاب لما انزل وان الحديث كما حدث وان الله تعالى
حي لا يموت وعنده يحتسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استقط رضي
الله تعالى عنه الى الارض وجعل يبكي ويقول في بكائه باني وامي الى اخر

ما ذكره

ما ذكره المصنف وبما ذكرناه لك مناسبة ما ذكر من حال اهل النار
لهذا الفصل فسقط ما يتوهم من انه حينئذ غير مناسب
فاعرفه وقال قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت
اول الانبياء في الخلق واخرهم في البعث هذا رواه البغوي
والثعلبي مسندا عن قتادة عن الحسن عن ابي هريرة رضي الله تعالى
عنه صلى الله عليه وسلم بلفظ كنت اول النبيين ورواه ابو نعيم
وابن ابي حاتم بسند فيه راو اسمه مجهول وقال الغزالي اي كنت بحسب
التقدير ولم يرد العلم الازلي فانه لا تنويب فيه بل علم الكل دفعة وانما
اراد تقدير ما كان وما يكون في اللوح المحفوظ او في علم ملك لما في صحيح
مسلم مرفوعا ان الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل السموات والارض
بخمسين الف سنة الحديث فقدم هنا المقصود بالذات ويؤيده ما روي
في بعض الطرق كنت بالتا الفوقية والباء الموحدة الساكنة من الكتابة
فالمعنى كتب اول الانبياء في تقدير الخلق واخرهم في البعث لانه تعالى
كتب مقادير الخلق كلها كما مر قيل ولا حدث في كل الاشكال على
الحديث الذي ذكره المصنف رحمه الله تعالى ما قيل من انه تعالى
لما صور طينة آدم عليه الصلاة والسلام اخرج منها ذرة نبينا صلى
الله عليه وسلم ونباتها واخذ الميثاق عليها ثم اعادها لظهره وهذا
معنى حديث كنت نبيا وآدم بين الماء والطين اي خلق قبل نفخ الروح
فيه كانه اخفى بين الماء والتراب الذي كانت منه طينته وتطييره الحديث
الماء وهو ما رواه ابو هريرة رضي الله تعالى عنه وآدم بين الروح
والجسد اي ثبتت لي النبوة وآدم مصورة بلا روح كما في شرح المصابيح وحاصل
معنى الحديث الاول انه صلى الله عليه وسلم كان نبيا وآدم عليه الصلاة
والسلام تراب بلا ماء يجبن به ليصير بعد ذلك طينا على مجاز الاول فان
قلت ان اريد بالحديثين تعلق علمه تعالى فما فائدة ذكر الماء والطين
والروح والجسد اجيب بانه صلى الله عليه وسلم كلمهم على قدر عقولهم واراد
ثبوتها عند الله زمانا طويلا وجواب ثان عن الحديث وهو انه اراد الله
تعالى لما خلق آدم وحكم بانه سيكون من صلبه نبي اخر الزمان وجبت
له النبوة من ذلك الزمان لان ما حكم به وعلمه كائن لا محالة وهذا لا ينطبق
على اشكال الحديث الاول فالوجه ان يقال المراد بالحديثين انه تعالى لما

ابن الحنبلي

خلق آدم وحكم بانه سيكون من صلبه بنى يسمّى آدم من الماء والتراب ومن
صلبه نبى يسمّى محمدًا فى آخر الزمان وجبت لى النبوة وجوبًا مستمرًا قبل
نفخ روح آدم فظهر لهذا معنى قوله انى لخاتم النبيين وآدم منجدل فى طينته
الى آخر ما فصّله اقول مجرّد تقدمه فى الكتابة حين التقدير
امر ظاهر ليس فيه تقدم وجودى فالانسب ما قيل ان الله خلق روحه
قبل خلق الارواح ونباها واخذ عليها الميثاق واعلم بذلك اهل الملا
الاعلى وذلك فى عالم الذر وهو المراد بالاحاديث السابقة وعن كعب الاحبار
ان جبريل عليه الصلاة والسلام قبض من موضع قبره الشريف طينة
منيرة عجنت بماء الجنة فصارت درة ذات شعاع فطافت الملائكة
بها حول العرش وفى السموات والارض فعرفه الخلق وفضله ونبوته
قبل معرفة آدم وفى العوارف ان درة المصطفى صلى الله عليه وسلم
هى التى اجابت لما قالت اتينا طائعين ومنها وحيت الارض فهى الاصل
والمراد نور صلى الله عليه وسلم اول مخلوق كما ورد فى الاحاديث وهذا
امر اخر غير الروح وهو المنتقل فى الاصلاب وقوله ولذلك وقع ذكره مقدمًا
هنا قبل نوح وغيره من كلام قتادة تعليلا لكونه اول فى الخلق وهذا
للاية وقيل بدل من مقدم او وصف مبين لكيفية التقدم وفى نسخة
على نوح وقدره واه الطبرانى ايضًا قال الشرقندى فى هذا تفضيل
نبينا صلى الله عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم هذا اشارة الى الكلام
المذكور قبله اى فيه ما يدل على تفضيله ويظهره او فيه ما ينشأ من تفضيله
لكونه خصه بتقديمه على من ذكره وان كان فى الاية تفضيل لكل من ذكر
لتخصيصه بالذكر بعد التعميم والثانى لا يختص به ففيه تفضيل له من وجهين
واما تقديم نوح على ابراهيم وان كان المشهور ان ابراهيم افضل بعد نبينا
عليهم الصلاة والسلام فلتقدمه بالزمان اولانه اول رسول شرع اولما
وقع له عما قاساه وصبر عليه وهو اخرهم زمانا وبعثا وخلقا فلا يرد
عيسى عليه الصلاة والسلام اى قدمه والحال انه اخرهم والتقدم فى الذكر
فى الكلام المخبر لابد له من نكتة والغى اما لتقدم زمانه او لتقدم رتبته بحسب
الشرف وقد تقدم الاول فتعين الثانى او لا وجه له غيرهما وان كان
التقدم عند الحكماء على وجوه خمسة منها هذان لان غيرهما لا مناسبة له بما
نحن فيه وقد مر ان التقدم يجوز ان يكون بحسب الوجود ايضا نظرا لروحه

وحقيقته والحاصل انه للفضل الا ان الجهات مختلفة كذا فى الشروح الا
ان قوله المعنى اخذ الله عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهور اوه عليه
الصلاة والسلام كالذر سواء كان من كلام الشرقندى او من كلام المصنف
يأبى ما قالوه من ان المراد ان تقدمه فى الذكر لتقدمه فى اخذ الميثاق فى عالم
الذر كما نطق به السياق والا لم يكن لذكره هنا التيام مع ما قبله والذر
واحده ذرة وهى كما قاله التلمسانى النملة الصغيرة البيضاء او الحمراء او جزء
من مائة وعشرين جزءًا من شعيرة وقيل جزء من الف وسبعة وعشرين جزءًا
منها وقيل اصغر شئ لا يعلمه الا الله وعدى اخذ بعلى لتضمنه معنى
التقدير لا التكليف كما قيل لانه لا يتعدى بعلى وقوله اذ اخرجهم
اى وقت اخراجهم كلهم على هيئة ذرات واعترض عليه بعض الشراح بان
هذا الميثاق ان كان مأخوذا فى قوله الست بربكم الى اخره فهو شامل للنبى صلى الله
عليه وسلم من غير بيان لتقدمه فيه وكذا ان كان الميثاق المأخوذ فى التبليغ
والايمان بالرسل السابق وقد رد بان البغوى رحمه الله تعالى نقل تقدمه
فى ذلك ومثله لا يقال من قبل الراى لنقله عن الله وقد تقدم ان الاخذ
على نبينا صلى الله عليه وسلم كان قبل ذلك اليوم فلعل ذاك كان فى مرة
اخرى والشرقندى لم يرد ان تقديمه لتقدم الاخذ وهو كلام لا محصل له واخذ
هذه الذرات كلها سواء كان من ظهر اوه عليه الصلاة والسلام بغير واسطة
او بواسطة اصولهم وابائهم وتركيب العقل والادراك فيهم ليأخذ العهد
والميثاق عليهم بالايمان بهم به ويشهد على ذلك امر نوم من وصدقه وان
كنا لا نقف على حقيقته كما مر فالبحث عنه كما فى الشروح لا نتيجة له فينبغى
الكف عنه كما ذهب اليه السلف وهو ثابت فى القران والاحاديث الصحيحة
وفى قوله كالذر اشارة الى ان الذرية فعلية من الذر وذه الها مثلثة ويكون
واحدا وجمعا وقيل انها من ذرا الله الخلق فتركت همزته للتخفيف وقال
تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية الاشارة الى جماعة
سبقوا فى الذكر اى معلومين للمخاطب او لجميع الرسل عليهم الصلاة والسلام
وما ثبت ورد من عدم الفرق والتفصيل بالنسبة لاصل النبوة او ما قال
كما سيأتى وقال التفتازانى رحمه الله تعالى اجمع المسلمون على ان افضل
الرسل محمد صلى الله عليه وسلم قيل ثم اوه وقيل نوح وقيل ابراهيم وقيل
موسى وقيل عيسى عليهم الصلاة والسلام انتهى والراجح عندهم انه ابراهيم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عليه الصلاة والسلام لما ورد في الحديث انه خير البرية وقال
السيوطي اتفق اهل العلم ان الافضل بعد نبينا ابراهيم ثم
موسى ثم عيسى ونوح ولم يذكروا مراتب بقيتهم انتهى وفيه نظر واعلم
ان القاضي بدر الدين المالكي صاحبنا قال في كتاب الابتهاج وقع للطوفي
في تفسيره المسمى بالاشارات الالهية في قوله تعالى اوليك الذين هدى الله
فبهداهم اقتده انه احتج بهذه الآية على ان نبينا صلى الله عليه وسلم افضل
من جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام لانه امر بالاقتداء بجميعهم والاقتداء
بفعلهم الاتيان بمثل ما فعلوه ولا بد انه امتثل هذا الامر وحينئذ
قد فعل صلى الله عليه وسلم وحده من الطاعة مثل ما فعله هؤلاء جميعهم واللازم
اذا فعل مثل فعل جماعة كان افضل منهم ويحكى ان هذه المسالة وقعت
في زمن العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى فافتى فيها بانه صلى الله عليه وسلم
كان افضل منهم لا انه افضل من جميعهم فانما لا جماعة من علماء عصره على تكفيره
فعصمه الله عز وجل منهم انتهى اقول نحن لا نشك في انه صلى الله عليه
وسلم افضل من كل احد منهم ومن الجميع ايضا وما ذكره الطوفي رحمه الله تعالى ماخوذ
من التفسير الكبير الا ان في الدليل بحثا لانه لا يلزم من اتيانه بمثل ما اتى به واحد منهم
الاستواء لانه للجميع لا افضليته عليهم وكانه الداعي للعز على ما قاله لكن قد يتوقف
في المساواة ايضا فانك لو انعمت على اربعة فاعطيت واحدا دينارا زيادة على كل واحد
دون جميع ما يخص ولو اعطيته ستة كان مساويا لهم ولو اعطيته عشرة كان
زاد عليهم فينبغي ان يقال انه صلى الله عليه وسلم قد ساواهم في الفضل وزاد عليهم
بانه اعلم منهم بالله واكثر من جميعهم خصائص ومعجزات وهذا التفضيل في الغرب
وعلو المنزلة وهو اكثرهم ثوابا وامته صلى الله عليه وسلم اكثر من جميع الامم
واجرهم الى يوم القيامة ولو كانت للناس مساكن بعضها فوق بعض كان
الذي فوق الاخير اعلى من الجميع وفي الآية الآتية ايما لهذا حيث ابهم وعبر برفع
الدرجات دون ان تسميه ويقول انه اعظم وافضل فاعرفه ثم اعلم ان قوله في تتمة
الآية منهم من كلم الله فيه وجهان احدهما انه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج
ومنهم من قال ان المراد موسى عليه الصلاة والسلام والمناسب هنا الاول وان كان
الاخير الثاني قال اهل التفسير اراد بقوله ورفع بعضهم درجات
محمدا صلى الله عليه وسلم اي رفع الله النبي صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء عليهم
الصلاة والسلام فالمراد بالبعض محمد صلى الله عليه وسلم فابهمه للتعظيم ولانه لا يليق

مطلب
فضل على قوله واعلم ان القاضي
بدر الدين المالكي وتامل

من كل واحد

كما قيل

كما قيل

واقول بعض الناس عنك كناية ٭ خوف الوشاة وانت كل الناس

وقيل المراد ببعض اولو العزم وقيل غير ذلك ولما ابهم اولا في التفضيل
اخذ في التفصيل فقال منهم من كلم الله ومنهم من رفعه درجات ومنهم من اتاه البينات
غير الاسلوب في القسم الثاني بذكر بعضهم دون منهم وذكر رفع الدرجات
الكثيرة كما يفيده التنكير اشارة الى مباينة هذا القسم لغيره ونظير قول الحماسي

ومن الرجال اسنة مذروبة ٭ ومنهم دون شهودهم كالغائب

منهم ليوث ما تزام وبعضهم ٭ مما تقشت وضم حبل الحاطب

لانه صلى الله عليه وسلم بعث الى الاحمر والاسود اي جميع الناس او العرب
والعجم او العرب وغيرهم او الانس والجن واشهر الاقوال الثاني والمراد بالاحمر
الابيض مطلقا فان العرب تقول في المراة حمراء بمعنى بيضاء والبياض عندهم
في صفة الناس انقى من العيوب فاذا اراد وا اللون قالوا الحمر وهذا قول ثعلب
من ائمة اللغة ورده في النهاية باستعمال الابيض في صفات الناس كثيرا كقول
امرئ القيس مهفهفة بيضاء غير مفاضة وجاء في الحلية الشريفة
كما سياتي ابيض اللون مشربا بالحمرة وعن انس رضي الله عنه ابيض كانما صيغ
من فضة ولا منافاة بينهما لان الاول في لعت وجهه صلى الله عليه وسلم وقول
انس في وصف جسده الشريف وعن البكري مثل ما قاله
ثعلب وعن جرير الاخطل او صفنا الحر والحراء النساء الحسان ولا منافاة بين
القولين ايضا لان العرب اذا امدحت الناس بالبياض مطلقا تعني بياضا مشربا
بالحمرة لان البياض الخالص كبياض الجير غير ممدوح في الناس لقربه من البرص والممدوح
منه ما خالطه حمرة من الدم او صفرة خفيفة واليه الاشارة بقوله تعالى
كانهن بيض مكنون ولذا يشبه بالدر وهذا كله باعتبار الاغلب وما ورد
في المثل الحسن احمر محمول على هذا المعنى او على انه يركب له المشاق والشدائد
التي تحمل على اراقة الدم وهذا هو التحقيق والعرب تغلب على الوانهم السمرة والادمة
فلذا عبر عنهم بالاسود واحلت له الغنائم جمع غنيمة من الغنم وهو الكسب
والربح ويقابله الغرم وهي ما يوخذ من مال الكفار قهرا ولم تكن الغنيمة
تحل للامم السالفة كما لهذه الامة لان منهم من لم يومر بالجهاد ومنهم من امر به ووضع
الغنائم فتنزل نار من السماء فتحرق ما يقبل منها كالصدقات والذبائح فلم تحل
لاحد قبله صلى الله عليه وسلم وكانت الامم لا تتصرف في مال الغنائم مما لم تاكله

هنا بياض

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لانفسها وهذا هو الذى عد من خصائص نبينا صلى الله عليه وسلم وامته
وبهذا يجاب عما ورد فى بعض الاحاديث الدال على انه كانت لهم غنائم وظهرت
على يديه المعجزات اى اظهر الله له صلى الله عليه وسلم معجزات لم تكن لغيره
من الانبياء عليهم الصلاة والسلام نحو من معجزة لنبى الا وله صلى الله عليه وسلم
مثلها او اعظم مع زيادة معجزات باهرة لا يقارنها شئ من المعجزات كانشقاق
القمر ولو لم يكن الا القران الذى لا يشبهه معجزة او فيه ما لا يحصى لكفاه
فبلغ العلم فيه انه بشر وانه خير خلق الله كلهم
ولم يقل ظهرت له المعجزات وان باليدين اشارة لعظمها وكثرتها لانه كان يظهرها
بكلتا يديه ظهورا محسوسا مشاهدا مكشوفا لا خفاء فيه حتى نطق بها الحيوانات
الجم والجمادات وبهذا ظهر وليس احد من الانبياء اعطى فضيلة او كرامة قيل
المراد بالفضيلة ما يخص ذاته العلية والكرامة ما اكرمه الله به مما يشمل المعجزات
وغيرها او الاول ما فضل به على غيره والثانى اعم وهما وان اتحدا معنى متغايران
مفهوما او الاول ما اقترن بدعوى الرسالة والثانى ما لم يقترن بها والظاهر
من العطف بأو وان يفسرها يقتضى تغايرهما كما لا يخفى الا وقد اعطى صلى
الله عليه وسلم مثلها اى ما هو من جنسها ونوعها وما هو مشابه لها بحسب الظاهر
وان كان اعظم منها فى الحقيقة كانشقاق القمر له المقابل له لانفلاق البحر
لموسى عليه الصلاة والسلام كما قلت

شهد البدر انه زاد حسنا عن جميع البدور اذ تم خلقا
ثم لما راى الشهادة ترضى ان تبت فشق فى الحال شقا

وفى هذه الجملة التى بعد الاخلاق فذهب الزمخشرى الى انها صفة والواو زايدة
للالصاق اى لا فضيلة ذات صفة من الصفات الا هذه الصفة وغيرها الى انها
حال اى ليس لها حال من الاحوال الا هذه الحال والتقدير مريدا اعطاه مثلها
او مقدرا ليقارن الحال صاحبها وفيه ان المراد اعطاء المثل لا تقديره واراده تدفع بانه
لا يتأتى فى نحو لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح وقيل يجوز الاكتفاء بالمقارنة
الادعائية بجعل ما لم يتحقق كالمحقق او المعنى ان الله اعطاه ذلك فى زمن
العطاء اعطاء الانبياء وقد ذهب المفسرون فى قوله تعالى يوم ترجف
الراجفة تتبعها الرادفة ان تتبعها حال وبين النفختين اربعون سنة لاعتبار
مدة الخراب الى اخر الدنيا زمنا واحدا ممتدا ويمكن اعتباره هنا بلا تكلف وقول
الرضى المقارنة فى الحال اغلبية كما فى خرج الامير صايدا غدا يجعل المعزوم عليه

كالواقع بأباه قول النحاة ان الحال هيئة للمعمول حين تعلق العامل به
بلا استثناء يقتضى ان المقارنة لازمة الا انها قد تترك ظاهرا فيجب التاويل
ولا يخفى ما فيه من الاضطراب وفيه وقوله مثلها يفيد تفضيله صلى الله
عليه وسلم بمثل انشقاق القمر وغيره او جعل كرامات امته كرامة له صلى الله
عليه وسلم وقال بعضهم تقدم الكلام عليه واعاده هنا اشارة الى انه
من الفصلين باعتبارين ومن فضله عليه الصلاة والسلام معطوف على مقدر
كالعطف التلقينى اى من فضله ما ذكر وان الله خاطب الانبياء عليهم الصلاة
والسلام باسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة فى كتابه اى القران الكريم
فقال يا ايها النبى ويا ايها الرسول وقد مر انه باعتبار الاغلب فعليما للامة
ولذا انهاهم ان ينادوه صلى الله عليه وسلم باسمه فقال لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم وهذا مخصوص بحياته صلى الله عليه وسلم كما تقدم وحكى
السمرقندى تقدم الكلام عليه عن الكلبى محمد المفسر او هشام راويه وقد تقدم
ايضا فى قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم ان الهاء عائدة على محمد صلى الله عليه
وسلم وان لم يتقدم ذكره لدلالة الكلام عليه فكانه مذكور كما فى قوله تعالى
ولابويه لكل واحد منهما السدس اى الميت والشيعة الاتباع والمعروف
فى كلام العرب اطلاقه على المتاخر زمانا وقد يطلق على المتقدم كما فى قول الكميت
ومالى الا آل احمد شيعة ومالى الا مشعب الحق مشعب
لان من كنت على منهاجه ودينه فهو على منهاجك ودينك ايضا واذا اضيفت
الشيعة للمتقدم اقتضت تفضيله لان المتبوع بحسب الظاهر المتبادر افضل
من التابع فاذا اضيفت للمتاخر اقتضت تفضيله بالطريق الاولى لان الاصول
عن المعروف لابد له من نكتة وليست الا التفضيل الا ترى ان ابا نواس لما قال
كيف لا يدين بنك من امل من رسول الله من نفرم
شنعوا عليه كما سياتى بيانه لاقتضائه تفضيل ممدوحه ولا فرق بين من نفرم
وبين شيعته فان قلت قد عرفت هذا يقتضى تفضيل نوح على ابراهيم عليهما
الصلاة والسلام على القول بان الضمير راجع اليه مع ان ابراهيم افضل منه كما تقدم
قلت قد عرفت انه انما يفيد التفضيل اذا اضيف للمتاخر ونوح عليه الصلاة
والسلام متقدم وهو اوان الثانى واول الرسل والشرائع متفقة فى الاصول
فجعل من كان على نهجه من ذريته شيعته له لا يدل على ما ذكر مع ان المفضول قد
يفضل من وجه على الافضل ويحتمل ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام جعل من شيعة

شبكة الألوكة www.alukah.net

نبينا صلى الله عليه وسلم لما مر من تقدم خلقه ونبوته عليهم وعلى كل حال
فالاية دالة على تفضيله بالتفضيل على الافضل على الجميع وهو المقصود فلذا
قدم هذا القول اى على دينه ومنهاجه اى طريقه الواضح من نهج الامر اذا وضح
والمشايعة المتابعة والموافقة فالمراد الموافقة فيما ذكر واختاره الفرا
وحكاه عنه مكى رحمهما الله تعالى وتقدم الكلام عليهما وترجمهما واشار
بهذا الى انه قول صحيح منقول عن المفسرين لان منهم من ضعفه واوعى انه
بعيد وان ما اخره ومرضه بقوله وقيل المراد نوح عليه الصلاة والسلام
هو القوى الصحيح وفى نسخة مكان اختاره اجازه بالجيم والزاى المجمة على
انه مجوز واحتمال لما بين نبينا والخليل عليهما الصلاة والسلام والمناسبة التامة
الظاهرة وهذا لا يفيد تفضيل نوح على ابراهيم عليهما الصلاة والسلام
كما سمعته انفا والمراد بكونه من شيعته انه من نسله وعلى منهاجه فى الدين
والتوحيد ومشابهته له لان نوحا عليه الصلاة والسلام ابو الانبيا عليهم
الصلاة والسلام والعرب والى هذا ذهب اكثر المفسرين لظهوره لتقدم ذكر
نوح عليه الصلاة والسلام ولذا قيل ان قيل هنا اريد فحو النقل لا التعريض
وانه عاد ته فى هذا الكتاب الفصل الثانى فى اعلام
الله عز وجل خلقه بصلاته عليه وولايته له اى نصره وتاييده لا بمعنى توليته
والواو يجوز فيها الفتح والكسر فمن اقتصر على الثانى فقد قصر قال فى المصباح
ولى الامر اليه بكسرتين ولاية بالكسر توليته والولاية بالكسر والفتح النصر
انتهى ورفعه العذاب بسببه صلى الله عليه وسلم روى رفعه بالواو والدال
وتقدم الفرق بينهما ان الرفع بعد النزول والدفع قبله ولذا قالوا الدفع
اسهل من الرفع قيل وهذا هو المناسب لقوله ورد به العذاب كما سياتى
والتوقع قد يجى بمعنى الدفع كما فى رفع القلم عن الصبى وكذا الدفع يجى بمعنى الرفع
والاول هو الاصل المتبادر وان المصنف رحمه الله تعالى اختار اللف على عكس
النشر لانه الاصل الكثير فى كلامهم كما صرح به النحاة وان جعل اهل المعانى
كلا منهما من فنون البلاغة وتسميته هذا مشوشا يقتضى مرجوحيته عندهم
قال الله تعالى وما كان ليعذبهم وانت فيهم قيل هذا يدل
على عدم التعذيب وقوله وما لهم ان لا يعذبهم الله على التعذيب فقيل الثانية
ناسخة بناء على جواز نسخ الخبر وخلف الوعد وكل منهما مقيد بوقت واليه اشار
بقوله اى ما كنت بمكة اى انتفى تعذيبهم ما دمت كونك مقيما بمكة معهم او المثبت

مطلق التعذيب والمنفى عذاب الاستيصال كما قاله الزمخشرى فلما خرج النبى صلى
الله عليه وسلم من مكة وبقى من بقى فيها من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون هذا التاويل منقول عن ابن عباس رضى الله عنهما وغيره من
السلف كما فى تفسير ابن الجوزى قالوا كان الله صلى الله عليه وسلم بمكة فانزل الله تعالى
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله فلما خرج الى المدينة وبقى المستضعفون
من المسلمين بمكة يستغفرون انزل الله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
فلما اجرجوا انزل الله وما لهم ان لا يعذبهم الله الى اخره فارتفع الدافع بين
الاية الاولى والثانية على قول من جعل مفادها انتفا التعذيب لوجود الا
وبين الثالثة او المراد انهم يعذبون بعد خروج النبى صلى الله عليه وسلم ومن
بقى من المسلمين بعد ان كانوا لا يعذبون وهو فيهم او هم يستغفرون ومنهم
من قال بنسخها للاولى وفيه ما تقدم ومقتضاه عود ضمير معذبهم لكفار
مكة وعود ضميرهم للمومنين الباقين بعده صلى الله عليه وسلم لتنهم من
السياق وان لم يتقدم لهم ذكر او عود كلا منهما الى المومنين فقول اخر اسند
المصنف رحمه الله تعالى لبيانه الحديث الاتى وان قال النجانى انه غريب
لانه يدور سنده على اسماعيل بن مهاجر وهو ضعيف عند المحدثين وقول
التلمسانى انه ابو بشر الاسدى قيل انه وهم وقيل نفاد الاية الثانية
نفى الاستغفار عن كفار مكة وانما ليست كالاولى فى انتفا التعذيب لوجود
الاستغفار كالتفائه بوجود النبى صلى الله عليه وسلم فيهم لان استحقاق
العذاب يدل على عدمه اذ لو استغفروا اما استحقوه وفى حواشى
الفاضل اليمنى انه نوع من الكناية تلويحه وما كان ربك ليهلك
القرى بظلم واهلها مصلحون فان الاهلاك دليل على فساد هم ان لو اصلحوا
ما اهلكهم الله انتهى وفى تفسير ابن الجوزى معنى الاية على قول لو استغفروا
لما عذبهم ولكنهم لم يستغفروا فاستحقوا العذاب كما تقول ما كنت لاهينك
وانت تكرمنى اى ما كنت لاهينك لو اكرمتنى فاما اذ لست تكرمنى فانت
مستحق لاهانتى وهو مختار اهل اللغة وتغيير الاسلوب تفننا للاشعار
بان عدم عذاب المستغفر امر مستمر وقيل معذبهم وارد على
الاصل وعبر بالفعل اولا لبيان ابتدا دخول اللام على خبر كان لتاكيد النفى
وافادة المبالغة فى نفى التعذيب بسببه وبالاستغفار فظهر الفرق بين
مقامه ومقامهم حتى لو قيل معذبهم فيهما لم يظهر وهذا راى الكوفيين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من ان اللام في مثله زائدة لتاكيد النفي وعند البصريين انها جارة متعلقة بخبر
كان المقدر في ما كان زيد ليفعل اى قاصدا ان يفعل وعلى هذا يفيد المبالغة في
نفي التعذيب بسببه ايضا لان نفي القصد ابلغ من نفي الفعل ولو قالوا في قوله
يا عاذلاتي لا تزدن ملامتي انه ابلغ من لا تلمني فان قلت ان كان
المراد المنفي فقد انتفى ببعثته صلى الله عليه وسلم فلا وجه لتقييده وان كان
المثبت غيره فلا حاجة لتقييده بالخروج قلت اجيب بان المنفي استيصال
كل كافر والمقيد من هو فيهم او منفي مطلقا ومقيدا او التقييد في المثبت
لبيان الواقع ونزول الاية فيه وخصوص المورد لا يبنا في عموم الحكم وهذه
اجوبة متكلفة باردة والحق عندي انه لا منافاة بين الايتين لان قوله
وما لهم ان لا يعذبهم الله معناه اي شيء لهم استحقوا به عدم العذاب في الفهم
فان حل بهم العذاب فباستحقاقهم وهو الا فبحكمة منه وليس فيه انه نزل بهم
عذاب حتى يتكلف له فيه وان قلنا المنفي الاستيصال فالقيد مبين سببه
وهو وجوده صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم واستغفار مومنى امته وهذا
امر غير منقطع او ليس المراد استئصال المستضعفين فقط والمثبت غير الاستيصال
له انواع كثيرة كالقحط والقتل والاسر والواقع بعد خروجه صلى الله عليه
وسلم نوع غير ما كان قبله فالتقييد في محله كما لا يخفى ومعنى قوله
وهم يستغفرون اى وفيهم مومن اي وفي اصلابهم من سيومن ويستغفر
وهذا كله بسبب النبي صلى الله عليه وسلم ففيه من مدحه والتنويه بشان
الاستغفار ما لا يخفى وهذا مثل قوله تعالى لو تزيلوا الاية هذا اشارة
الى ما ذكر من رفع العذاب عن اهل مكة بسببه صلى الله عليه وسلم وبسببه
اصحابه وما لاصحابه انما هو ببركته ايضا ولاجل عين الفء عين تكرم
وامثالهم ما ذكر في هذه الاية ايضا وهو قوله في سورة الفتح لو لا رجال
مومنون ونساء مومنات لم تعلموهم ان تطوهم فتصيبكم منهم معرة
بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم
عذابا اليما ومعنى تزيلوا تميزوا وتفرقوا اي تميز وا المومنون من الكفار
بخروجهم من بينهم وروى القرطبي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان معناه لو تزيل
المومنون عن اصلاب الكفار واستشكل بان الوصف بالوطء والمعرة لا يصح
لا يصح في الذين في الاصلاب والذين واجيب بانه يجعل مرجع الضمير
الموجود بن على الاستخدام اى لو انتفى الامران عذبوا اى لو لا كراهة ان تقعوا

برجال ونسا

برجال مومنين معلومين بين القتل والوطى الخيل فتلحقكم معرة
اى عيب وعار من جهتهم او من المشركين بقولهم انكم قتلتم اهل دينكم
لعذب اهل مكة عذابا اليما بالقتل وان تطوهم بدل من المرفوع بتقدير
كراهة ان وغلب الرجال على النساء في الضمير وجواب لو لا محذوف لدلالة لو عليه
وسد مسده لاتحاد معناهما مالا وبقية الكلام على الاية مفصل في كتب
التفسير وقوله تعالى لو لا رجال مومنون ونساء مومنات الاية هذا مع
ما قبله كلام واحد وهذا مقدم في التلاوة وانما اخره المصنف رحمه الله واقر
ما تقدم عنه مع انه من تتمة التنبيه للاستفهام على ان الاستشهاد لما قاله
بموضعين من هذه الاية وان قوله تعالى لو تزيلوا ليس تاكيدا لما قبله
ولعذبنا جواب الاول كما جوز بعضهم فلا استشهاد فيه فاشار بعكس
الترتيب الى رده بابلغ وجه والحاصل ان المعنى ان بين الكفار جماعة مسلمين
لم يعرفوهم لو لا كراهة ان توقعوا بهم من علم علم فيصيبكم ما تكرهون من المعرة
والدية لعذبنا الكفار بتسليطكم عليهم وعن الضحاك لو لا جماعة في الاصلاب
والارحام يكره ان تطوا باقدامهم وامهاتهم وتلحقكم المعرة بانهم لو لم يقتلوا
جاز ان منهم مسلمة منهم كما مر او لا من علم الله انه سيومن منهم وبالجملة فالمراد انه وجد
المومنين مانع وان اختلفت جهة المنع فلما هاجر المومنون من مكة ولم
يبق احد منهم مختلطا بالكفار نزلت اية وما لهم ان لا يعذبهم الله الاية فيوقع
بهم القهر والقتل وهو اعتذار عن الرجوع من الحديبية وهذا من ابين اي
من اظهر شيء في رفعة قدره صلى الله عليه وسلم عند ربه كما اشار اليه ما يظهر مكانه
صلى الله عليه وسلم وقوله ودرئه العذاب بدال مهملة مفتوحة وراء
مهملة ساكنة تليها همزة مقصورة وضميره للنبي صلى الله عليه وسلم كما في
اكثر النسخ المصححة وفي بعضها دراته بقاء مصدر بونة الضربة وهي بمعنى
ما قبلها ايضا وفي بعضها دراية فعل ماض بعد جار ومجرور متعلق به
وفي شرح الشريف انه في غالب النسخ معطوف ومعناه يظهر بتكلف او حال وفي
بعض النسخ بالعذاب وهو من غلط الكتاب والصواب العذاب بلا باء وفي حواشي
التلمساني دراية وقال هكذا في نسخة الشارح اشم بكسر الدال المهملة وسكون
وقاية اي دفعه ومنه قوله تعالى ويدرا عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات اي
يدفع قال ودراته معطوف على قوله من ابين ما يظهر مكانته ووقع بخط العز
في وهو الذي عند ابن سيده الحسن ودرايه فعل ماض انتهى وعلى الاول وهي الاصح

شبكة الألوكة
www.alukah.net

هو منصوب على مكانته عن اهل مكة بسبب كونه اي وجوده صلى الله عليه وسلم
فيها ثم كونه اصحابه بعده بين اظهرهم ثم اشارة الى مكثهم مدة متطاولة باعتبار
آخر المدة او هي للتراخي الرتبي واما جعلها للتعقيب بلا مهلة فغير ظاهر وهي
اظهرهم بمعنى الاقامة معهم يقال هو نازل بين ظهرانيهم بفتح النون قال ابن
فارس ولا تكسر وقال جماعة الالف والنون زيدتا للتاكيد وبين ظهرهم
واظهرهم كلها بمعنى بينهم وفائدة ادخاله في الكلام ان اقامته صلى الله عليه
وسلم بينهم على سبيل الاستظهار بهم والاستناد اليهم وكان المعنى ان ظهرا منهم قد اله
وظهرا وراه فكانه مكتوف من جانبيه هذا اصله ثم كثر حتى استعمل في مطلق
الاقامة هذا ما عليه اهل اللغة كما في المصباح والنهاية فتفسيره بالغزة
او بعدم الغيبة والظهور لان الظهر اظهر من البطن غير مناسب للغة وحال
المستضعفين فلما خلت مكة منهم اي من الصحابة رضي الله تعالى عنهم عذبهم الله
اي كفار مكة بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم اياهم وليس فيه تفكيك الضمائر
لظهور المعنى وليس الظاهر ان يقول بغلبتهم بدل اغلبتهم كما توهم ومثله لا يلتفت
اليه وحكم فيهم سبوفهم حكم بتشديد الكاف اي جعلها حاكمة على رقابهم
وهي استعارة لطيفة اي جعلهم في قهرهم متمكنين من قتلهم والتصرف
فيهم ولذا كان الانسب التعبير بالغلبة قبله وارضكم وديارهم
واموالهم ان فتوحت الارض بما لا يبنا فيه مما لا يعد للزراعة ونحوها والديار
بالمساكن المبنية والاموال بما عداذلك من المتاع والانعام والنقود وسائر
المنقولات فهي متغايرة والعطف ظاهر وليس فيها عطف عام على خاص
كما قيل بان تحمل الاموال على مطلق ما يملك والتخيير والتعبير عن الحيازة والتملك
مجاز مشهور صار حقيقة فيما ذكر والتعبير به هنا فيه لطف لما بينهم من القرابة
وفي كلامه ما يرشد الى ان مكة فتحت عنوة كما ذهب اليه ابو حنيفة رحمه الله تعالى
والجمهور كما ذهب اليه البرهان الحلبي وتبعه بعض الشراح وما قيل من انه لا يبنا في
كونها فتحت صلحا كما توهم لانه قوله وفيها قولان اي بعضها فتح صلحا وبعضها
عنوة ثم ان البرهان رحمه الله استطرد هنا ذكر خبر مكة عنوة عند امامنا
الاعظم كما مر وفي الاية ايضا تاويل اخر تقريف الاية للتعهد والمراد بها
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
والتاويل السابق محصله ان الله لا يعذب الكفار وانت فيهم ولا يعذبهم
ايضا وبقية الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فيهم يستغفرون الله فضمائر

التعبية

الغيبة للكفار الاضمرهم وضمير يستغفرون ولذا ذهب بعض الشراح الى
ان المراد بالتاويل الاخر جعل الضميرين الاخيرين للكفار حالية اي ما كان
الله معذب الكفار لو تابوا واستغفروا من كفرهم واختاره الطبري او هو
اشارة الى ما سبق في علم الله من ان من هم ومن ذريتهم من يسلم اي ما كان الله معذبهم
ومنهم من سيخرج فيومن ويستغفر واختاره الزجاج او هو اشارة الى قولهم
في دعايهم غفرانك اللهم فجعله ايمانا لهم واختاره ابن عطية وقوله ايضا
اشارة الى التاويل السابق او الى غيرها من الايات الماولة ولا مساحة فيه
كما قيل وفيها تاويلات كما مر من ان المنفي الاستيصال في الدنيا والمثبت
عذاب الاخرة او الاولى ان من مقالة الكفرة والثالثة رد لها وقيل ان المصنف
اشار الى ما يفهم من الحديث من ان حياته صلى الله عليه وسلم واستغفار المومنين
مطلقا دافع للعذاب او المومن لا يعذب ما دام مستغفرا فضمير الغايبين
للمومنين اي ما كان الله ليعذبهم المومنين بضرب من العذاب من قبلهم وانت
حي وهم يشعرون او الاية على تاويلها الاول ولكن اذا لم يعذب الكفار بهذين
السببين فالمومنون بالطريق الاولى ففيها امان للفريقين والامة المراد
بها في الحديث الاتي المراد بها امة الدعوة وان كان في بعض التاويلات
امة الاجابة حدثنا القاضي الشهيد ابو علي ابن سكرة الحافظ وقد تقدمت
ترجمته بقراءتي عليه اي لا بالسماع وغيره من وجوه الرواية قال
حدثنا ابو الفضل ابن خيرون تقدم الكلام عليه ايضا وابو الحسين الصيرفي
قال البرهان كان في الاصل ابو الحسن فصحح في الطرة الحسين بالتصغير وهو
الصواب وهو المبارك ابن عبد الجبار كما تقدم وقد وقع له ذكر جميل ايضا
في اول فصل تفضيله صلى الله عليه وسلم في القيامة وكتبه ابو الحسن
ايضا ولم ينبه عليه احد فكتب بجاهه ما مر قال حدثنا ابو يعلى ابن زوج
الحسن هو احمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر وقد تقدم الكلام عليه
وان الحرث بضم الحاء المهملة وتشديد الراء والمها قال حدثنا ابو علي السنجي الحسن
ابن محمد وقد تقدم الكلام عليه وضبط السنجي بكسر السين المهملة والنون
الساكنة والجيم وبالنسبة قال حدثنا ابن محبوب المروزي تقدم
الكلام عليه وعلى نسبته وانه راوي جامع الترمذي عنه قال حدثنا ابو عيسى
الحافظ هو الامام الترمذي صاحب السنن وقد تقدم الكلام عليه قال
حدثنا سفيان ابن وكيع ابو محمد ابن الحاج الكوفي وله ترجمة في الميزان وهو ممن

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ضعفه الذهبي توفي سنة اربع وتسعين ومائة وقيل سنة اربع وثلاثين
ومائتين وهو الاصح عن اسماعيل ابن ابراهيم ابن مهاجر وابن مهاجر سقط من
بعض النسخ وهو محلي من تبع التابعين وقال التلمساني انه ابو بشر الاسدي
قيل انه وهم وفي التقريب انه ابن ابراهيم ابن مقسم وهو ثقة وابن
مهاجر ضعيف عن عباد ابن يوسف بفتح العين المهملة وتشديد الموحدة
وهو كندي حمصي ثقة وقيل اسمه عبادة والذي صححه المزي وابن حجر
الاول وهو ثقة مقبول الرواية عن ابي بردة عامر ابن عبد الله وبردة بضم
الموحدة وهو ثقة توفي سنة اربع ومائة على قول عن ابيه ابي موسى الاشعري
الصحابي المشهور وابن عبد الله ابن عامر بن قيس وقيل الحارث احد الحكمين
توفي بمكة او الكوفة سنة اربع واربعين او اثنين وخمسين ومائة ونسبته
الى اشعر لقب لابي القبيلة المعروفة باليمن لقب به لانه ولد وعليه شعر وهذا
الحديث اخرجه ابن ابي حاتم عن ابن عباس وابي هريرة رضي الله عنهم موقوفا
بمعناه وهو حديث غريب ضعيف وفيه نظر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انزل الله تعالى علي اي اوحى الي بقرآن يدل على امانين لامتي اي شيئين
يدل فيهما على ان الله امن امتي من العذاب بهما وبما قوله وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قد تقدم ان الآيتين في المؤمنين
او الكفار او فيهما وكذا هذا الحديث محتمل لذلك لان المراد امة الدعوة او الاجابة
على ما مر وقيل ان مقتضى الحديث شمول الآية المؤمنين وظاهر
النص وكلام المؤمنين المفسرين ان الآيتين في الكفار الا ان يجمع بينهما بان حال
المؤمنين يعلم بدلالة النص والطريق الاولى وانه صلى الله عليه وسلم
علم منهما عموم الحكم وحمل الحديث على الكفرة بعيد جدا وعلى ظاهره الحديث يجوز
عود الضمير في الآية على الامة لكونه فيهم مدة حياته صلى الله عليه
وسلم سواء كانوا مؤمنين او كافرين فيعم الحكم بنوع تكلف كلام مضطرب
متكلف فاذا امضيت اي ارتحلت للآخرة تركت فيكم وفي رواية فيهم اي خلفت
بعدي بضم تاء المتكلم الاستغفار اي اذا امامت بقي فيكم الامان الآخر فاذا انتقلت
حل بكم العذاب جزما او احتمالا والاستغفار هو الدعا بالمغفرة المعروف
وقيل المراد به الصلاة وقيل الاسلام وعلى رواية فيه الالتفات
من الغيبة للخطاب اشارة الى انتقا التغذيب عنهم بالاستغفار دون انتفائه
بكونه فيهم وبه يعلم وجه قوله ليعذبهم اولا دون معذبهم وهو مناسب

لنزول

ابن الحنبلي

لنزول الآية بمكة وبخروجها بعد خروجه صلى الله عليه وسلم ونزول بقية المؤمنين
بها كما قيل وفيه نظر ونحو منه متعلق لتضمنه معنى قرب اي فيه نوع
مماثلة بحسب المعنى لما مر من رحمة الكفار بتاخير العذاب فقوله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين اي لجميع الخلق حتى الكفار والجماد والحيوان لاصلاحهم واستعمالهم
في امور معاشهم ومعادهم وامنهم من الخسف والمسخ وعذاب الاستيصال وغير ذلك
مما نزل بالامم السالفة وكلا ذلك بركته صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه
وسلم انا امان لاصحابي كونه صلى الله عليه وسلم امانا لاصحابه من كل ما يخافون امر
قطعي وهو اعم مما حكاه المصنف رحمه الله تعالى بقيل الآتي وينبغي ان يكون
هذا مندرجا تحت قوله ولا يتهيأ له كما قيل وهذا الحديث رواه مسلم عن ابي
موسى رضي الله تعالى عنه قال صلينا المغرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قلنا لو جلسنا حتى نصلي العشا فخرج علينا فقال ما زلتم ها هنا قلنا
يا رسول الله صلينا المغرب معك ثم قلنا نجلس حتى نصلي العشا معك فقال
احسنتم ورفع راسه الى السما وكان كثيرا ما يرفعها فقال النجوم امنة للسما
فاذا ذهبت النجوم اتى السما ما توعد وانا امنة لاصحابي فاذا ذهبت انا اصحابي ما
يوعدون واصحابي امنة لامتي فاذا ذهب اصحابي اتى امتي ما يوعدون
فاذكره المصنف وحمه الله رواية موافقة لما لرواية مسلم او هي رواية مسلم
بالمعنى لان امنة بفتحات مصدر بمعنى الامان وان ورد جمعا لامني بمعنى
الحافظ كحدمة كما في النهاية والمراد الاول لقول ابن مسعود رضي الله تعالى
عنه كان صلى الله عليه وسلم امانا لهم والاستغفار فهاجر وبقي الاستغفار
كما رواه في اللباب ومن هنا علم انه يجوز ان يكون معنى مضيت السابق هاجرت
فلا التفات وان احتمل ايضا والمراد بذهاب النجوم انتشارها بشهادة اذا الكواكب
انتثرت واذا البحار فجرت واذا الحر وما توعدون السما انفطارها وتبديلها
المذكور في قوله اذا السما انفطرت ويوم تبدل الارض وهو تمثيل وايما
الى ان اصحابه صلى الله عليه وسلم كالنجوم في الامة وما اوعدوا اصحابه
رضي الله عنهم من الفتن والردة بعده والموعود به الامة ما اذن لهم من البدع
والاختلاف والهرج وغلبة الروم وتخريب مكة والمدينة وغير ذلك مما
كان اكثره وبقي ما لا شك في كونه وفيه دلالة على ظهور الشريعة ذهاب
اهل الحرف انه صلى الله عليه وسلم ما دام حيا لم يقع شيء من ذلك ولا اختلاف
وبعده وقع الاختلاف نعم لما انقرض عصر الصحابة رضي الله تعالى عنهم

قويت الظلم لذهاب الانوار كالسماء عند ذهاب النجوم قيل الامان المذكور ما كان
في حياته صلى الله عليه وسلم وموته كما توهم كما لا يخفى فمن حمله عليه فقد اخطأ وفيه
نظر قيل من البدع جمع بدعة وهي ما لم يعلم من الشرع لا صريحا ولا
استنباطا وليست كلها مذمومة كما يوهمه قوله صلى الله عليه وسلم كل بدعة ضلالة
وكل ضلالة في النار فان الفقهاء قالوا تجري فيها الاحكام كلها فمنها ما هو حرام
كانواع السياسة التي لم تكن في العصر الاول ومنها ما هو مكروه كتكبير العمامة
وتوسيع اللباس وتطويله ومنها ما هو مباح كاحداث بعض الاطعمة ومنها
ما هو واجب كالرد على القائلين بعدم علم الكلام التي تلزم لها الكفرة واهل الاهواء ومنها
مستحب كاحداث المدارس والرباطات وقد استوفى اقسامها ابن الحاج في
المدخل وهو كتاب لم يصنف في بابه مثله وان كان فيه امور غير مسلمة وقيل
من الاختلاف والفتن المراد بالاختلاف ما يشمل الخلاف وهو مخالفة
العلماء او الفقهاء او الحكام او الحكام من غير دليل معمول به وان كان ذلك مطلقا
لم يقع في حياته صلى الله عليه وسلم لعصمة حقيقة كل امر بالوحي واما الاختلاف
الذي وقع عنده صلى الله عليه وسلم كما ورد في الاحاديث الصحيحة من ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه ايتوني بدواة اكتب لكم كتابا لا تضلون به
من بعدي فقال عمر رضي الله عنه ان الرجل ليهجر حسبنا كتاب الله فيغط
الناس فقال اخرجوا عني لا ينبغي التنازع لدي فقال ابن عباس رضي الله عنهما هو
الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما منع به الرافضة على عمر رضي الله عنه وسيأتي بيان ذلك آخر الكتاب وقال
صاحب الملل والنحل هو اول اختلاف وقع في الاسلام وقال ابن تيمية
في كتاب الرد على الرافضة لا يخفى ان عمر رضي الله عنه ثبت من فضله وعلمه
ما لم يثبت لغيره وقد قال صلى الله عليه وسلم ان لم يكن في امتي
محدث فعمر وقصة هذا الكتاب قد جاءت مفصلة في الصحيحين عن عائشة
رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال لها في مرضه ادعي لي اباك واخاك
حتى اكتب لكم كتابا فاني اخاف ان يتمنى متمن ويقول قائل انا اولى اي بالخلافة
ويأبى الله والمؤمنون الا ابا بكر وقد استدبه على عمر رضي الله تعالى عنه فقوله هذا اهجل
كان من شدة المرض او لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام غير معصومين عن اعراض
المرض ولذا عبر بالرجل وقال اهجر ولم يجزم بانه هجر وعلم ان الكتاب لا يرفع الشك
واما قول ابن عباس رضي الله عنهما الرزية الى آخره فلان الحائل عنه رزية فهو حق من

شك ومن توهم انه خلافه على كرم الله وجهه فهو ضال والحاضرون جماعة
يجي منهم جحد ولو كتب فلذا تركه لتحقق ما فيه عنده انتهى وحديث اختلاف امتي
رحمة لم يثبت وهو ما قاله ايضا والصحابة رضي الله تعالى عنهم عند الاختلاف
مجتهدون في ادراك الوقائع والاتفاق اولى على كل حال وقد يودي الخلاف الى
ما لا ينبغي قيل والحق ان المجتهد اذا اخطأ فله اجر كما انه اذا اصاب فله
اجران ولا يضر خطاؤه بل ينفعه اقول هذا وان اشتهر فله قال
ابن عبد السلام الحق خلافه والحديث الذي رواه ابن عمرو ابن العاص رضي الله تعالى
عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا حكم الحاكم واجتهد واصاب
فله اجران وان حكم واجتهد ثم اخطأ فله اجر قال ابن عبد البر في كتاب العلم
اختلف العلماء في تاويل هذا الحديث فقال قوم لا يوجر من اخطأ لان الخطأ لا يوجر
احد عليه وحسبه ان يرفع عنه الاثم وردوا هذا الحديث بحديث بريدة رضي الله
تعالى عنه القضاة ثلاثة وبقوله صلى الله عليه وسلم تجاوز الله لامتي
عن خطائها ونسيانها وقوله تعالى ليس عليكم جناح فيما اخطأتم به وبحوه
وقال آخرون يوجر اجرا واحدا الظاهر الحديث وقال الشافعي يوجر على
الخطأ لان الخطأ في الدين لم يوضع به احد وانما يوجر الا ما تعمد الذي اخطأه وسعيه
فيه انتهى وهو معنى لطيف جمع به بين القولين والفتن جمع فتنة واصل
معناها الاختبار وقد اطلقت على المصائب وما يختبر به والمراد بها الحروب
والارتداد وكل ما جرى بعده صلى الله عليه وسلم بين الصحابة فهو عام هو
ومناسبته للترجمة ودخوله في ولايته لا ظاهر فان بقضهم الرسول
صلى الله عليه وسلم هو الامان الاعظم ما عاش وما دامت سنته باقية
فذاته الشريفة نفس الامان او وجوده صلى الله عليه وسلم امان من كل مكروه
بالوقع والرفع فهو الامان لاغيره لتعريف الطرفين كما يشير اليه قوله تعالى
وانت فيهم وسنته طريقته التي شرعها ومنها الاستغفار ولذا فسر
بما مر وبقاؤها ببقاء نوعها والعمل بمثلها فهو باق الضمير للامان او للرسول
صلى الله عليه وسلم لان بقاء شرعه كبقائه فيكون الامان الاعظم كالباقي
لتنزيل بقاء سنته منزلة بقائه كما يشير اليه قوله وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون وهذا مبني على انه صلى الله عليه وسلم امان المؤمنين والكافرين
كما مر وقد اكان اعظم وما في الجملتين ظرفية مصدرية والثانية معطوفة
على الاولى وقيل هو ركيك وكانه جعل الثانية شرطية وجملة الشرط

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مَعْطُوفَةٌ عَلَى مَا قَبْلَهُ اَيْ اِنْ دَامَتِ السُّنَّةُ فَالرَّسُولُ وَاَمَانَتُهُ بَاقٍ كَمَا بَيَّنَهُ بِقَوْلِهِ فَاِذَا
اُمِيتَتْ سُنَّتُهُ فَانْتَظِرُوا الْغَلَا وَالْفِتَنَ وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ فَانْتَظِرُوا مُؤَوَّلًا
بِاعْتِبَارِ الْمُخَاطَبِ وَاِنْ كَانَ الْحُكْمُ عَامًّا وَلِمَعْنَى اُمِيتَتْ بِصِيغَةِ الْمَجْهُولِ تُرِكَتْ عَلَى
الِاسْتِعَارَةِ اَيْ اَمَرَ بِعَمَلِهَا وَلَمْ يَحُضَّ النَّاسَ عَلَى تَعَلُّمِهَا بِاَنْ غَلَبَ فِيهِمْ ذَلِكَ الْاَمْرُ
التَّرْكُ بِالْكُلِّيَّةِ فَاِنَّهُ مِنْ اَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَالْبَلَا بِفَتْحِ الْبَاءِ وَبِالْمَدِّ الْمَصَائِبُ
كَالطَّاعُونِ وَالظُّلْمِ وَالْفِتَنِ مُحَارَبَةُ النَّاسِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا كَمَا مَرَّ نَسْاَلُ اللّٰهَ
تَعَالَى الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ وَلَيْسَا مُتَرَادِفَيْنِ كَمَا قَالَهُ التِّلِمْسَانِيُّ وَفِي كَوْنِ الْاَمْرِ
الِاسْتِغْفَارِ قَائِمًا مَقَامَ الْاَمَانِ نَظَرٌ وَبَيَّنَ غَيْرُهُ سِرَّ مَا بَيَّنُوا عَلَيْهِ فَتَنَبَّهْ
وَقَالَ تَعَالَى اِنَّ اللّٰهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ الْاٰيَةَ اِنَّمَا ذَكَرَهُ هُنَا
لِدَلَالَتِهِ عَلَى عِظَمِ شَاْنِهِ وَتَوَلِّي اللّٰهِ اُمُورَهُ وَسَيَاتِي الْكَلَامُ مُفَصَّلًا فِي الصَّلَاةِ
فِي الْبَابِ الْمَعْقُودِ لَهَا اَبَانَ اللّٰهُ تَعَالَى اَظْهَرَ وَفَضَّلَهُ عَنْ غَيْرِهِ فَضْلَ نَبِيِّهِ صَلَّى
اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَلَاتِهِ عَلَيْهِ ثُمَّ بِصَلَاةِ مَلَائِكَتِهِ ثُمَّ لِلتَّرَاخِي الرُّتْبِيِّ اَوِ الذِّكْرِيِّ
بِجَعْلِ بَعْضِهِ كَبَعْدِهِ كَمَا فُصِّلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ذٰلِكَ الْكِتَابُ قِيلَ وَفِيهِ اِشَارَةٌ
اِلَى اخْتِيَارِ اَحَدِ الْقَوْلَيْنِ فِي الضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ يُصَلُّونَ اَنَّهُ لِلّٰهِ وَالْمَلَائِكَةِ كَمَا تَقَدَّمَ وَاَمَرَ
عِبَادَهُ اَمْرٌ مَصْدَرٌ مَجْرُورٌ بِعَطْفِهِ عَلَى صَلَاتِهِ اَوْ عَلَى فِعْلٍ مَعْطُوفٍ عَلَى اَبَانَ
كَمَا صَحَّحَهُ الْبُرْهَانُ لَا عَلَى فَضَّلَ بِتَقْدِيرِ اَنَّ الْمَصْدَرِيَّةَ لَا نَهُ تَكَلُّفٌ مِنْ غَيْرِ دَاعٍ وَالْمُرَادُ
بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنُونَ الْمُكَلَّفُونَ اَوِ الْاَعَمُّ بِنَاءً عَلَى اَنَّ الْكُفَّارَ مُخَاطَبُونَ بِفُرُوعِ
الشَّرِيعَةِ وَكَوْنُ الْاَمْرِ لِلْوُجُوبِ اَوِ النَّدْبِ سَيَاتِي وَعِبَادٌ جَمْعُ عَبْدٍ وَلَهُ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ
تَزِيدُ عَلَى عِشْرِينَ جَمَعَ ابْنُ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللّٰهُ غَالِبَهَا فِي شِعْرِهِ الْمَشْهُورِ وَزَادَ
عَلَيْهِ بَعْضُ اَصْحَابِنَا فَقَالَ

جُمُوعُ عَبْدٍ عَبُودٌ اَعْبُدٌ عُبُدُ ... اَعَابِدٌ عُبُدٌ عَبْدُونَ عَبْدَانِ
عَبْدٌ عَبِيدٌ وَمَعْبُودًا وَمَدَّهُمَا ... عَبْدَةٌ عَبْدٌ اَعْبَادٌ عَبْدَانِ
عَبِيدٌ اَعْبُدَةٌ عَبَّادٌ مَعْبَدَةٌ ... مَعَابِدُ وَعَبِيدُونَ الْعَبْدَانِ

بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ وَالتَّسْلِيمِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَيَاتِي تَفْصِيلُ مَعْنَاهُمَا
فَلَهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذٰلِكَ الْفَضْلِ عَلَى غَيْرِهِ وَقَدْ قِيلَ عَلَيْهِ اَنَّ الْمُؤْمِنِينَ
شَارَكُوهُ فِي مُجَرَّدِ صَلَاةِ اللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ
وَمَلَائِكَتُهُ وَفِي الْحَدِيثِ مِثْلُهُ كَثِيرٌ لِحَدِيثِ اَنَّ اللّٰهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى يَامِنِ
الصُّفُوفِ وَقَدْ ذَكَرَ اَنَّ الْاٰيَةَ الْاُولَى لَمَّا نَزَلَتْ قَالَ اَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللّٰهِ مَا اَعَمَّكَ
اللّٰهُ مِنْ خَيْرٍ اِلَّا اَشْرَكَنَا فِيهِ فَمَالَكَ لَمْ تُشْرِكْنَا فِي هٰذَا الْخَيْرِ فَنَزَلَتْ هٰذِهِ الْاٰيَةُ

فَاِذَا كَانَ

ابن الحنبلي

فَاِذَا كَانَ نُزُولُ هٰذِهِ بَعْدَ الْاُولَى ظَهَرَ فَضْلُهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى غَيْرِهِ بِاَنَّ حَيْثُ
نَزَلَتْ اَوَّلًا مِنْ غَيْرِ مُزَاحِمٍ فِيهَا مَعَ التَّاكِيدِ بِاَنَّ وَالِاسْمِيَّةِ وَفِي تَمْيِيزِهِ بِمَجْمُوعِ مَا ذُكِرَ
وَاَيْضًا الْمُضَارِعُ يَدُلُّ عَلَى الِاسْتِمْرَارِ التَّجَدُّدِيِّ فِي حَقِّهِ وَلَهُمْ فَيَظْهَرُ الِاخْتِصَاصُ
وَعَنِ الْاِمَامِ الرَّازِيِّ اَنَّ صَلَاةَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِطَرِيقِ التَّبَعِيَّةِ لِصَلَاتِهِ
تَعَالَى عَلَيْهِمْ لِتَاَخُّرِهَا وَصَلَاتُهُمْ عَلَيْهِ بِطَرِيقِ الْاَصَالَةِ فَفِي الْاٰيَةِ الْاُولَى
تَفْضِيلٌ لَهُ عَلَى غَيْرِهِ كَمَا اِذَا قِيلَ يَدْخُلُ فُلَانٌ وَفُلَانٌ يَدْخُلَانِ وَاَوْرَدَ عَلَيْهِ اَنَّ
الْوَاوَ لِمُطْلَقِ الْجَمْعِ بِلَا تَرْتِيبٍ فِي اَيِّ الرُّكْنَيْنِ كَانَتْ وَاَمَّا قَوْلُ اَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ
اللّٰهُ مَنْ قَالَ لِغَيْرِ مَدْخُولٍ بِهَا اِنْ دَخَلْتِ الدَّارَ فَاَنْتِ طَالِقٌ وَاحِدَةٌ وَاحِدَةٌ
تَقَعُ وَاحِدَةٌ بِخِلَافِ اَنْتِ طَالِقٌ وَاحِدَةً وَاحِدَةً اِنْ دَخَلْتِ الدَّارَ حَيْثُ يَقَعُ ثِنْتَانِ
فَلَيْسَ مَبْنِيًّا عَلَى اَنَّ الْوَاوَ لِلتَّرْتِيبِ بَلْ لِاَنَّ الْمُعَلَّقَ بِالشَّرْطِ كَالْمُنَجَّزِ عِنْدَ وُقُوعِهِ
وَهُوَ لَوْ نُجِّزَ الْاَوَّلُ حَقِيقَةً لَمْ يَقَعِ الثَّانِي فَكَذَا اِذَا صَارَ كَالْمُنَجَّزِ حُكْمًا بِخِلَافِ مَا اِذَا
اُخِّرَ الشَّرْطُ لِاَنَّ صَدْرَ الْكَلَامِ تَوَقَّفَ عَلَى اٰخِرِهِ لِوُجُودِ الْمَعْنَى فِي اٰخِرِهِ فَكَانَ فِي حُكْمِ
الْبَيَانِ كَمَا بَيْنَ فِي مَحَلِّهِ وَلَيْسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَاخِلًا تَحْتَ الْمُخَاطَبِينَ بِالْاٰيَةِ
الثَّانِيَةِ لِيُقَالَ اِنَّهُ لَمَّا مُيِّزَ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ مِنْ مَجْمُوعِهِمْ دَلَّ ذٰلِكَ التَّمْيِيزُ لَا لَةً وَاَنَّهُ
عَلَى تَرْجِيحِهِ فِيهَا كَاَحَبِّ الْقَوْمِ وَاَحَبَّ زَيْدًا يَتَقَدَّمُ الْاَوَّلُ وَتَاَخُّرُهُ لِاَنَّ الْمُخَاطَبِينَ
بِهَا الْمُؤْمِنُونَ خَاصَّةً بِقَرِينَةِ السِّيَاقِ اِنْتَهَى اَقُولُ الْقَوْلُ مَا قَالَتْ
حَذَامِ فَاِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَخْصُوصٌ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ اِسْتِقْلَالًا لِمَا صَرَّحَ
بِهِ الْفُقَهَاءُ بِاَنَّهُمْ اِمَامِنَ اللّٰهِ وَرَسُولِهِ فَيَجُوزُ اِسْتِقْلَالًا وَتَبَعًا لِاَنَّهُ تَعَالَى
لَا يُسْاَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَالصَّلَاةُ حَقُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَهُ اَنْ يُعْطِيَهُ مَنْ
شَاءَ مَعَ اَنَّ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ رَحْمَةٌ وَتَعْظِيمٌ مَخْصُوصٌ بِهِ وَالصَّلَاةُ عَلَى غَيْرِهِ مُطْلَقُ
الرَّحْمَةِ وَالْمِثَالُ الَّذِي ذَكَرَهُ الْاِمَامُ مِمَّا قَالَهُ اَبُو حَنِيفَةَ بِعَيْنِهِ وَلَيْسَ هٰذَا مِنَ
الْوَاوِ كَمَا مَرَّ نَظِيرُهُ فِي قِصَّةِ الْخَطِيبِ فَفَعَلَهُ تَعَالَى وَاَمَرَهُ لَنَا اَمْرٌ مَخْصُوصٌ
بِهِ فَلَا حَاجَةَ لِمَا ذُكِرَ مِنَ الْحَرَجِ لِمَنْ فِي بَصِيرَتِهِ نُورٌ مِنَ اللّٰهِ وَخَصَّ الْمُؤْمِنِينَ بِالتَّسْلِيمِ
الْمُؤَكَّدِ لِبَيَانِ لُزُومِ غَايَةِ التَّعْظِيمِ مِنَ الْاُمَّةِ فِي حَقِّهِ لِاَنَّهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَفَضِّلُ
مِنَ الصَّلَاةِ وَاقْتِفَارُهُمْ لَهُ وَلِاَنْعَامِهِ اَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهِمْ وَالْمُرَادُ التَّسْلِيمُ مِنَ النَّقَائِصِ
الَّتِي عَصَمَ اللّٰهُ مِنْهَا وَلَمْ يَسْلَمْهَا لَهُ غَيْرُ الْبَشَرِ الَّذِينَ هُمْ مِنْ نَوْعِهِمْ وَخَصَّهُ
بِالتَّاكِيدِ وَتَنْوِينِ التَّعْظِيمِ اَيْ تَسْلِيمًا عَظِيمًا لَغْرِيضًا بِمَنْ لَمْ يُسَلِّمْ وَقِيلَ
لِاَنَّ الْمُرَادَ تَسْلِيمًا لَا كَتَسْلِيمِ غَيْرِهِ مِنَ الْاُمَّةِ وَالصَّلَاةُ لَيْسَتْ مِمَّا يُشَارِكُهُ فِيهَا
الْاُمَّةُ فَيُفْهَمُ مِنْهَا التَّعْظِيمُ فِي نَفْسِهَا مِنْ غَيْرِ تَاكِيدٍ اَوْلَانَ التَّسْلِيمَ لَمْ يَثْبُتْ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لله والملايكة فهو فى معرض المساهلة فى الجملة وهو كلام حسن وقد حكى
ابو بكر ابن فورك بفا مضمومة وواو ساكنة وراء مهملة وكاف عربيته وهو
لغط اختلف فيه اهـ فقيل الله عربى وفور بمعنى فار فالكاف اما زائدة فيه كما
قالوا فى بندى هندكى او للتصغير فان العرب اذا صغروا الحقوا اخر الاسم كافا
ورد بان فور بمعنى الطبى والذى فى اللغة الفارسية الله بمعنى لون التراب قالوا
فورخاك ربك وفى شرح التحفة انه ممنوع من الصرف لان الكاف اداة تصغير فى
الفارسية قيل وليس هذا علة تمنع الصرف لان شرط العجمة كونه علما
فى العجمة قبل استعماله وليس كذلك انما الشرط ان لا تستعمله العرب الا علما كما قالوه
على ما فيه وقيل فور عربى فلا ينقلب بلحوق الكاف اعجميا اقول اللفظ الذى
اذا غيروه وعجموه بالحاق اداة من اداتهم ولم يستعملوا الا علما والظاهر انه
يصير اعجميا ممنوعا من الصرف كبابك فانه فى الاصل بابا بمعنى اب فصغر المذكور
على قاعدتهم وقد استعمل ممنوعا فى شعر اى تمام ولا عبرة بالتردد فيه ولا جعله
تماهك كما فى بعض حواشى المطول بابك والد عبد الصمد الشاعر المشهور ممنوع
من الصرف وقيل مبنى على السكون انتهى والبناء وهم لا يعتد به وفى حواشى
البرهان الحلبى هو مصروف بضبط القلم فى النسخ المصححة والظاهر انه
ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وهو محمد بن الحسن الاصبهانى الامام الجليل والحبر
الذى لا يجارى فقها ونحوا واصولا وكلاما مع جلالة ورع رأيته وقد امتحن فى
الدين وجرت له مناظرات الى عزله ومات مسموما شهيدا فى الطريق لما عاد
من غزنة سنة ستة واربعماية ونقل الى نيسابور ودفن بها وقبره يزار
ويستجاب عنده الدعاء وهو شافعى المذهب قال التلمسانى انتهى الى ان يكلمه الملك
فى اليقظة وقوله وقد حكى الى قوله الآتى الى يوم القيامة لم يثبت فى الاصل الذى
عليه خط المصنف ويثبت فى الاصل المروى عن ابى العباس القرطبى انتهى وفى حواشى
الكمال ابن ابى شريف على التحفة انه فارسى مصغر غير منصرف ومعناه فوير تصغير
فار لان الكاف عندهم للتصغير وجعل فى العجم علما لكن فى القاموس ان لفظ فور
علم ولم يعده من العجمى كما هو عادة ته قيل وهو بدل على ان التفخيم باد خال الكاف
بعد العلمية ولذا قيل انه تفخيم غير معتبر وفيه نظر ان بعض العلما
تاول قوله عليه الصلاة والسلام وجعلت قرة عينى فى الصلاة على هذا او الحديث
حبب الى من دنياكم ثلاث النسا والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة وفى اثبات
لفظ ثلاث ومعنى الحديث كلام سيجى والمقصود هنا ان بعض العلما فسر الصلاة بالدعا

ان الصلاة الشرعية ذات الركوع والسجود لما فيها من المناجاة والمعارف
وكشف الاسرار اى فى صلاة الليل على النبى صلى الله عليه وسلم وملايكته وامتى الامة
بذلك الى يوم القيمة ذلك اشارة الى الصلاة المذكورة فى الاية وذكره لتاويله
بالمذكور او الدعاء ودوامه الى يوم القيامة بدوام امته ولعدم نسخه والى
متعلقة بالامر ويجوز تعلقه به وبما قبله على التنازع وانما غياه بما
ذكر لعدم التكليف فى الاخرة والمراد بالقيامة معناها المعروف او خراب
الدنيا وكون الى بمعنى مع تكلف وخص ذلك قيل لاندراج كل فضيلة فيه
والاية تدل على تجدد الرحمة وكثرتها على ما يليق بمقامه عليه الصلاة والسلام
والصلاة من الملايكة ومثاله دعا وفى نسخة من الملايكة استغفار ومنا
دعا وهو الذى اشتهر عن ابن عباس رضى الله عنهما وما فى هذه النسخة سياتى
وهما مشتركان فى انهما دعا ومعنى الاستغفار وتخصيصه بالملايكة سياتى
تحقيقه والمراد من قوله منا بنى ادم لا المكلفون كما قيل ومن الله
رحمة العام ولطف اوثنا وتعظيم وقيل معنى يصلون يباركون اى يعطيه
الله البركة والملايكة يطلبون لها له والبركة النمو والخير الكثير او الدايم
من برك البعير او من بركة الما كما حققه فى الكشف واشار بقوله وقد فرق
بتخفيف الراء ويجوز تشديدها ان لم نقل ان المخفف يختص بالمعانى والمشدد
بالاجسام كما قاله القراء فى ايتين وفضل النبى صلى الله عليه وسلم حين علم بتشديد
اللام اصحابه رضى الله تعالى عنهم بين لفظ الصلاة والبركة فى حديث قد امرنا
ان نصلى عليك فكيف نصلى فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد
وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وعلى ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد او حيث
عطف احدهما على الاخر فى حديث اخر فقال صليت وباركت والظاهر ان مراده
الاول اشارة الى اعتراض على هذا القول ولا يخفى ان المغايرة بينهما بحسب المفهوم
لا تنافى تفسيره به وعطفه عليه وان كان الاصل ذلك سياتى تتمة هذا وتذكر
حكم الصلاة عليه من الوجوب والكيفية وغيرها وفى نسخة صلى الله
عليه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والمراد التابيد اى الى يوم القيمة
لظهور امر الدين فيه او الجزا عليه او خضوع كل له فالغاية غير مراده وقيل
هى للكثرة كقوله ملا السموات والارض وذكر بعض المتكلمين اى المفسرين
بدليل قوله فى تفسير حروف كبعض والجار والمجرور متعلق بذكروا بالمتكلمين
وليس المراد به المتمسين بعلم الكلام كما قيل لعدم مناسبته هنا ان الكاف

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من كاف اي حرف من اسمه تعالى الكافي ولم يقل من الكفاية كما قال فيما بعده
مع انه المناسب لتفسيره بقوله اى كفاية الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وعبارته
لا تخلو من اضطراب فانه اكتفا بحرف من الكلمة على طريق الرمز والاشارة واما من
كاف الذى هو اسم له او من الكفاية التى هى صفة وما قيل من انه ميل الى انه اشارة
الى اسم الله باعتبار الصفة ولم يقل الهامن الهادى ونحوه وهو المراد بالاكتفا
الاول او انه اراد الاشارة الى ما وقع فى القرآن والذى فيه فى الاول وفى الثانى
نسبة الصفة الى الله تعالى فذكر على نهج ما ورد اقول هذا من قصر
من المطروق تحته الميزاب اما الاول فلان الاشارة الى الاسم باعتبار الصفة
تكلف لا دليل له وهو غير صحيح فى الضاد التى هى اشارة الى الضاد من مصلى او صلاة
عليه الآتى اذ ليس من اسمائه المصلى واما الثانى ففعله عن قوله فسيكفيكهم الله
ونحوه والذى يظهر انه اراد ان كل حرف مقتطع من صفة من صفات الافعال
وانها باعتبار تعلقها به لا مطلقا وانه لما ذكره اولا باسم من اسمائه تعالى
الحسيب تبركا به وبيانا لوجه تقديمه لانه اهمها واعمها فسّره بما ذكره ليدل
به هو حريا به فيما بعده فانه المنقول فيما سيأتى وان المراد اثبات معناه للنبى
صلى الله عليه وسلم لا انه مسمّاه ولا انه مقتضى ما عقد له الفصل فتدبر فالكافى
من كاف والمعنى انه كاف له غاسواه كقوله تعالى يا ايها النبى حسبك الله والذين
اشار بقوله اى كفاية الله كافية منه لنبيه صلى الله عليه وسلم وسكت عن الباقى
لظهوره فالحروف متنوعة من صيغ مشتقة لا من مبادى اسمها كما توهم ولا هو
يشترط فى الحرف ان يكون من اول الاسم وهذا مروى فى بعض التفاسير عن ابن عباس
رضى الله عنهما وسئله لا يقال بالراى فقول بعض الشراح ان هذا لا ينبغى فان الحروف
لا تدل على غير مسمّاها ولو لم تكن الكاف من كريم او كبير وهذا فى بدع التفاسير
كما فى الكشاف وفى هذه الحروف اقوال اخر احدها انه من المتشابه الذى لا يعلمه
الا الله وقيل انها اسماء للسور او القرآن فيه نظر والعجب انه بعد ما انكر ما هنا
نقل قولا بانها اسماء الله وقيل انها بيان لمدة هذه الامة او بعضها وقد نقل عما
للحرف لها خواص كما فى حياة الحيوان ان من خاف سلطانا او ظالما عقد اصابع يده
اليمنى بكفه بعض بعد ابهامها واليسرى بحمحسق يبدو بخنصرها ثم يقرأ فى نفسه
سورة الفيل ويكرر لفظ ترميهم عشر مرات يفتح فى كل مرة اصبعا من اصابعه
المعقودة يأمن شرّه قال وهو عجيب مجرب انتهى قال الله فى كتابه الكريم اليس الله
بكاف عبده فشرع عبده محمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل العموم بدليل انه قرى عباده فيدخل

النبى بالطريق

النبى بالطريق الاولى والاستفهام انكارى للمبالغة فى اثبات الكفاية ويحتمل ان يراد
عبده والمعنى انه اذا اكفى غيره من العباد كيف لا يكفيه صلى الله عليه وسلم والهاء اية
له لم يقل من هدايته لانه يعنى الها من اله لاثبات هدايته له وما قيل انه لم
يقل من هدايته له نقصان ليلا يتعين الاكتفا ببعض الكلمة لا وجه له وكذا ما
قيل انه تقديم مبتدا ومضاف اى الكاف والهاء من كفايته والكاف من كفايته
لان كاف فيندافع كلامه والجواب بانها اذا كانت رمز الكافى الكفاية
فى ضمنه ويهدى صراطا مستقيما من الدين الاكمل والصلاح او بعينك علة لذلك
وقيل يهدى بك والباء تاييدة له قال تعالى وايدك بنصره التلاوة
ليس فيها واو والضمير فى تاييده لله وفى قوله للرسول صلى الله عليه وسلم وفى نسخة بايده
بدون له والضمير يحتمل عوده لله والرسول صلى الله عليه وسلم والتاييد التقوية والاعانة
على اعدائه وبالادلة والمعجزات والملايكة ونصر على اعدائه وفى اللباب لم يزل من
ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى الثانى ووجه بانه لم يات فى اسماء الله ما اوله يا
وقد علمت ان حرف الرمز لا يلزم ان يكون اولا وقد نقل هو ان الباء من حكيم والقول
بانها من يمين وهم لانه ليس اسما لله واما قوله والسموات مطويات بيمينه والعين
عصمة له قال الله تعالى والله يعصمك من الناس اى يحفظك من كيدهم ومكرهم
ويمنعك من اذاهم وهو وعد من لا يخلف الميعاد وقد كان له صلى الله عليه وسلم حرس
فلما نزلت قال لهم انصرفوا فان الله يحرسنى والقول بان معنى الاية ان يحفظه
عن الذنوب من بين سائر الناس تكلف وان كان صلى الله عليه وسلم مصونا
عنها كما سيأتى وفى زاد المسير فان قلت كيف ضمان العصمة له صلى الله عليه وسلم
وقد شج جبينه وكسرت رباعيته وبولغ فى اذاه قلت انما عصم صلى الله عليه
وسلم عن القتل والاسر لا عن عوارض الاذى او هذه الاية نزلت بعد ما جرى
لان المايدة من اخر ما نزل كما فى الشرح الجديد ويأتى له مزيد بيان ه اقول
هذا بناء على ان هذه الاية مدنية والعصمة بعد الهجرة وهو المشهور وقد خاتمة
المحققين الامام الحيضرى فى خصائصه وهو كتاب لم يصنف مثله حاصله ان
وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب عليه صلى الله عليه وسلم
من اول امره الى اخره واستدل لاعلمه بان الله وعده بالعصمة فكيف يكون هذا
بالمدينة وكون الاية مدنية فيه بحث لانه وان اشتهر يرده ما رواه ابن ابى حاتم
فى تفسيره عن جابر رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج بعث معه ابو طالب
من يكلؤه حتى نزل والله يعصمك من الناس فذهب ليبعث معه فقال صلى الله عليه وسلم

يا عمر ان الله قد عصمني لا حاجة الى من تبعث وروى مثله الطبراني عن ابن عباس
رضي الله عنهما وفيه انه قال لابي طالب ان الله قد عصمني من الجن والانس وهذان
الحديثان يدلان على ان الآية نزلت بمكة في اول الامر وفي الصحيحين عن عايشة
رضي الله عنها انها قالت ارق رسول الله ذات ليلة فقال كنت رجلا صالحا من اصحابي
يحرسني الليلة اذ سمعنا صوت السلاح فقال صلى الله عليه وسلم من هذا فقال
انا سعد بن ابي وقاص جيت لاحرسك فنام صلى الله عليه وسلم حتى سمع غطيطه
وروى الترمذي عن عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحرس حتى
نزلت هذه الآية فاخرج من القبة راسه فقال لهم ايها الناس انصرفوا عني فقد
عصمني الله قال الترمذي وهو حديث غريب رواه الحاكم في المستدرك وقال
صحيح الاسناد ولذا احتج به مسلم رحمه الله وهذا يدل على ان ذلك كان بالمدينة
لان عايشة رضي الله عنها اخبرت عن مشاهدة ومتى لم تكن معه صلى الله عليه وسلم
بمكة فيحتاج الى الجمع بين الروايات ومافي الصحيح اولى لكنا ان نلتزم تاخير نزول
الآية بالمدينة ويدعى ان وجوب الانكار عليه كان داخلا في عموم التشريع ثم
انهم لم يبينوا ما المراد بالخوف هل هو من الخوف القتل او اعم وظاهر كلامهم الاول
فكان يحرسه اصحابه في الفزع والخوف حتى هاجر الى المدينة واموروا بالقتال
فانزل الله عليه اية العصمة مع انا ندعي انه كان يعلم ذلك من غير هذه الآية
وانما نزلت تطييبا لخاطره فان قلت اذا كان صلى الله عليه وسلم يعلم ان الله
عصمه من اعدايه وامنه من كيدهم وشرهم فما باله اختفى بالغار اذ خرج من مكة
وما باله كان يحرس ويلبس الدروع وما باله كسرت رباعيته وشج وجهه ونحو
بعد نزول الآية قلت كان ذلك تشريعا لامته ليقتدوا به صلى الله عليه
وسلم فيما ليس من خصايصه مع انه في ذلك حكما لطيفة فاختفاؤه في الغار خوفا
على الصديق رضي الله عنه لا على نفسه كما يدل عليه قوله تعالى اذ يقول لصاحبه
لا تحزن فاعلم ابابكر تطييبا لخاطره وليظهر له من المعجزات ما يعلم به غيره وانه هو لاجل
لزيادة علم لخروجه والكفار يرصدونه ونثر التراب عليهم ولو خرج ظاهرا لظن انه
خيانة ببعض قومه فاريد ان لا يكون لاحد عليه منه واحتراسه الخوف على من عنده من
اهله واظهارا واعتمادا له على اصحابه واما انتهم ولبس اللامة ليرهب الاعداء ويظهر ان
عنده عدة وسلاحا لظن بعض الكفار انهم فقرا خذلنا بنعمة الله واما كسر رباعيته
صلى الله عليه وسلم وشجه فبيانا لما فطره الله عليه من العدل فعلم الله انه يصيب
المومنين باحد مصاب عظيم فجعل النبي صلى الله عليه وسلم شاركا لهم في ذلك ليحصل

اجر له

اجره له وتسليتهم بمصيبته وعصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام لها معنيان
احدهما حفظه من الناس بما ذكروا والثاني صونه عن ارتكاب الذنوب كما سياتي فان
قلت قال شيخ والدي ابن حجر الهيتمي في شرح العباب اختلف الفقها فيها
فقيل يجوز لقول مالك والشافعي نسال الله تعالى العصمة وقال الشافعي
في حزب البحار اسالك العصمة في الحركات والسكنات وفي حديث اخرجه النسائي
ليقل من دخل المسجد اللهم اعصمني من الشيطان وقيل يمنع لاستحالة الخلق
ما قاله بعض المتاخرين ان قصد التنزه عن جميع المعاصي والرذايل
في جميع الاحوال ممتنع لانه سوال مقام النبوة وان قصد التحفظ من الشيطان
والتحصن من افعال السوء فهذا لا باس به انتهى وفيه نظر وفي كلام مشايخ
الصوفية كما مر ان يقال في النبي معصوم وفي غيره محفوظ وكانه تاديب
منهم والصلاة صلاته عليه قال تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي
قيل المراد الاخبار عن هذه الامور او القسم بهذه الصفات وهذا
التفسير وامثاله ليس على الحتم والاحتمال محض كما قيل من انه غير واجب
التسليم لاطايل تحته فتامل وقال تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو
مولاه اي وليه تظاهرا عليه بالتشديد والتخفيف بمعنى يتعاونا ويتناصرا
والخطاب لعايشة وحفصة اما المومنين رضي الله تعالى عنهم او عايشة
وسورة ام المومنين رضي الله عنهما اي تتفقا في امر سوته عن افشا السر او شدة
غيرة النسا او امر النفقة فلن يعدم من يعينه والله يعينه الآية اي اقراها
لتتم بقوله وجبريل وصالح المومنين والملايكة بعد ذلك ظهير والولي
والمولى المعين والناصر وتعريف الطرفين والضمير يفيد الحصر اي لا مولى له حقيقة
سواه وعاد كريم بعده وان كان لا يعتد على غيره الله تعالى الظاهر تطييبا لخاطره وتطمينا
لقلبه واظهارا للفضل والتشريف وجبريل مبتدا وطهير خبره عنه وما بينهما
عطف او هو صالح عطف على الله والملايكة مبتدا خبره ظهير وافرده بجعل من ذكر الاتفاقهم
على ذلك كالواحد او لانه اسم جمع كطفل في قوله يخرجكم طفلا اولان فعيلا
قد يقع للواحد وغيره كما مر في قوله ان العوادل ليس لي بامير ويترتب على
ذلك الوقف على مولاه والمومنين او ظهير وقد اختار كل واحد منهما جماعة
من القراء والوجه الاول وفي ذلك اشارة النصر والظاهر او لله او سبب نزول انه
صلى الله عليه وسلم دخل على حفصة رضي الله عنها في نوبتها فخرجت لحاجة لها
فارسل صلى الله عليه وسلم لمارية جاريته فاتته فواقعها فلما رجعت حفصة

نقف الآية انه م

رضى الله تعالى عنها علمت بذلك فغضبت وبكت فقالت اما لحرمة عندك فقال صلى الله عليه وسلم ليرضيها انها حرام على بعد اليوم وحلف ان لا يقربها واخبرها ان الخليفة بعده ابوها وابو عايشة وقال لها لا تخبري احدا بهذه القصة فلما خرج صلى الله عليه وسلم من عندها اخبرت عايشة بالقصة وقالت اراحنا الله من مارية وكان بينهما مصافوقة وتظاهرا فانزل الله هذه الآية اى ان تتوبا الى الله من ايذآئه وحب ما يكره تحقق بذلك ميل قلوبكما عن الحق على حد قوله ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فجنس التاويل دون شخصه لان مضمون الشرط فيه محقق بمضمون الجزاء وفيما نحن فيه تحقق له ضرورة ان التوبة عن الذنب محققة فان كان الميل الى الحق لم يحتج الى هذا التاويل وصالح المومنين قبل الانبيا عليهم الصلاة والسلام هذا مروى عن قتادة فان قلت الصالح لما فطن لهذا بعض المفسرين قال الصفة قد تذكر لمدح الموصوف وقد يقصد مدح الصفة بمدح بمدح العظما بها كما هنا فكانه قيل الصالح صفة عظيمة فى نفسها لا لفلان ما يوصف بها الانبيا عليهم الصلاة والسلام وهذا كما قال حسان رضى الله تعالى عنه

ما ان مدحت محمدا بمقالتى لكن مدحت مقالتى بمحمد

وخالفهم السبكى رحمه الله تعالى فى فتاويه فقال الصالح من ابلغ الصفات واذا اردت معرفة ذلك فانظر الحديث فى مدح القلب بانه مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله الى اخره فصلاح القلب بالايمان والعرفان والاحوال وصلاح الجسد بالطاعة والخلق تتفاوت فى ذلك تفاوتا كبيرا فصلاح العبد بصلاح قلبه ويدوند على قدر مقامه وهى صفة ذاتية تفضل الله بها وما سواها من النبوة والرسالة وغيرها مما نابى عنها فلذا كانت اعظم الصفات وقوله من قال الصالح من قام بحق الله وحق العباد كلام اجمالى لا زم له وانما السر فى المعنى الذى ابتنى عليه ذلك وهى صفة حقيقته اودعها الله فى العبد لها تناول سعادة الدارين وصلاح محمد صلى الله عليه وسلم انتهى وقيل الملايكة قال السيد عيسى رحمه الله تعالى هذا بعيد والعطف للتغيير او للتغاير بالمفهوم خلاف الظاهر ولان تقول المراد خواص الملايكة كاسرافيل وحملة العرش والمراد بالملايكة بعده بقيتهم او جميعهم وذكر للتعميم بعد التخصيص وتفسيرهم بصالح المومنين قرينة على ان ظاهر وكان الحامل له على ذلك توسطه بين جبريل والملايكة فانه اخفى مما استبعد اذ مقتضى الظاهر ان يقول جبريل والملايكة وصالح المومنين وقيل ابو بكر وعمر رواه

القرطبى

القرطبى والثعلبى عن عكرمة وابن جبير مرفوعا للنبى صلى الله عليه وسلم وزاد بعضهم عثمان رضى الله تعالى عنه ووجه التخصيص على الاول انهما ابوا زوجتيه اللتين اسر لهما ما سر فمن قال انه وعوى بلا بينه لم يصب يعنى انهما وان تظاهرا فابوا مما واشفق الناس عليهما لا معهما وهذا كما علمت تفسير منقول عن النبى صلى الله عليه وسلم كما رواه من ذلك ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وقيل هم الصحابة وقيل الخلفا وصالح المومنين يحتمل ان يكون مفردا فى معنى الجمع لعموم الاضافة او اسم جمع كحاضر وسامر او جمع مذكر سالم بتقدير صالحوا المومنين حذفت واوه لالتقا الساكنين وكون حذفها للدلالة على سرعة النصرة لمايخ الواو من المد والبعد بعيد جوا والمراد صالح هم المومنون على ان الاضافة بيانية او الصالح منهم الاصلح الذين تولاهم الله واعانهم فتولواهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصروه وقيل على كرم الله وجهه ورى نسخة رضى الله عنهم اجمعين وهذا التفسير رواه ايضا القرطبى والثعلبى عنه صلى الله عليه وسلم قيل ولا منافاة بين الاحاديث لانه لا يرد الحصر وان كان بعيدا وقيل المومنون كلهم بنا على ظاهره المتبادر من لفظه من غير ما نع له ولا خارة الامام الرازى رحمه الله تعالى والاية والاية والله على ولاية الله له بنصر وتشجيع القلوب له الذى هو من مقاصد هذا الفصل

الفصل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح من كرامايته صلى الله عليه وسلم

تقدم الكلام فى تقديم تطييب التراجم والكرامة ما اكرمه الله به من اعزازه وتعظيمه وقد يخص بما يكون خارقا للعادة والفرق بينها وبين المعجزة سياتى والفتح اصله ازالة الغلق فى المحسوس ثم استعير لتيسير الامور معنوية كانت او حسية كفتح الله بالمال وفتح البلاد ومكة وشاع حتى صار حقيقة عرفية فيه والسورة مدنية بالاتفاق وهذا لا ينافى كونها نزلت بالحديبية لان المراد بالمدنى ما نزل بعد الهجرة على احد الاقوال وقيل لا خلاف بين تفاسير الفتح فمن فسره بفتح مكة اقتصر على المقصود والمراد فتح مكة وما كان وسيلة له كقصة الحديبية ومن فسر بالحديبية سماه فتحا لانه وسيلة لما بعده من الفتوح فاندرج غيره فيه بطريق الاشارة وفى سبب نزولها قولان احدهما انه صلى الله عليه وسلم لما كان بالحديبية جبل بينه وبين دخول مكة وعسر ذلك على الصحابة رضى الله عنهم نزلت وعده صلى الله عليه وسلم بفتحها ودخولها وعبر عنه بالماضى على عادة الله عز وجل اخباره لتحققها وفيه من الفخامة والدلالة على شان علمه ما لا يخفى

وهذا هو المشهور والثانى انه كما رواه عطا عن ابن عباس رضى الله عنهما لما نزل عليه
صلى الله عليه وسلم وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم قالت اليهود كيف تتبع من
لا يدرى من لا يفعل الله به فاشتد ذلك عليه صلى الله عليه وسلم فنزلت بيانا
لما يؤل اليه امره فى الدنيا والاخرة قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا
الى قوله يد الله فوق ايديهم تقدم ان الفتح ازالة القفل والاشكال حسيا
كان او معنويا والمراد منه النصر على العدو وقيل المراد ما فتحه الله عليه من العلوم
الالهية والهداية الدينية التى هى سبب لنيل اعلى المقامات المحمودة والثواب الجزيل
ولذا عقبه بقوله ليغفر الخ ولا يخفى انه مخالف لسبب النزول المشهور وما
عليه الاكثر من انه صلح الحديبية وما تضمنه من مخالطة المشركين بهم وسماعهم
كلامنا اسلامهم حتى كان سببا لاسلام كثير منهم وسالوهم الصلح والامان وروى
احمد باسناد قوى ان عمر رضى الله عنه قال او فتح هذا يا رسول الله قال نعم والذى
نفسى بيده انه لفتح وروى بل هو اعظم الفتوح وقال القرا الفتح قد يكون صلحا
وقد كان الصلح مع المشركين منعذرا ففتحه الله وعن انس رضى الله عنه انه فتح مكة
وقيل خيبر وليست سعرى كما قدمه القاضى قلت قدمه لان المعين
الحقيقى للفتح مع ما فيه من البلاغة والفخامة التى اشار اليها وان حمل الفتح على
المقدر او معنى شامل للماضى والمستقبل لعموم المجاز شمل كل فتح وحصل التوفيق
بين الاحاديث او لم يقصد الحصر تضمنت هذه الايات اوفى وقع فى ضمنها اودلت من فضله
اى فضل الله وانعامه او فضيلة الرسول صلى الله عليه وسلم والثنا عليه وكرم
منزلته عند الله ونعمته لديه اى نعمة الله لدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر
الوصف بضم الضاد للهملة والتخفيف وفيه استعارة تمثيلية شبه بحبل مد وخص
ليتوصل به اليه فلم يف به لكثرته او بعده فلذا قال عن الانتهاء اليه اى بلوغه
او الوصول لنهايته لتعذر تفصيله وقصور الاجمال عن ادا حقه فابتدا جل جلاله
السورة باعلامه بما قضاه له اعلام مصدر مضاف لفاعله اى ابدا او مفعوله
وهو النبى صلى الله عليه وسلم قيل فيه اشارة الى ان الفتح من الفتاحة بالضم وهى
القضا كما فى قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق اى احكم ومنه المفتاح للقاضى
والقضا الحكم الازلى او الكتابة فى اللوح او القدر او الاظهار للعيان من القضا
البين اى القضا الظاهر الذى لا يشبه بظهور وعليه على عدو الظاهر
تعلقه بالبين وعليه معطوف عليه ولا حاجة لجعله عطف تفسير ولا لجعل
يظهرون بدلا من ما قضاه اى اعلمه يظهرون كل الظهور وبينه الحمل بتبين وعلى عدو

الخلق

تنازع فيه الظهور والغلبة والعدو وجمع الكفار او مشركو مكة وعلو كلمته المراد
بكلمته كلمة التوحيد والنبوة التى لها صلى الله عليه وسلم وامر بقولها والمراد
والانقياد لما يتعلق بها من التكاليف لنفاذها وعلوها بما اسقط ما عداها
عن درجة الاعتبار او المراد كلما اتى به من امر ونهى وغيره وعلى الاول اضافتها
له لان الذى اضدرها واشهرها وان كانت كلمة الله فى الحقيقة وايثار الكلمة على
الكلام لعلم غيرها بالطريق الاولى وشريعته علوها بالانقياد لها واجرا
احكامها وتذليل من انكرها بالجزية وغيرها وبنسخ ما عداها من الشرايع
وليس فى كلام المصنف ما يقتضى كون المراد بالفتح فتح مكة كما قيل وان كان
من فسره بالقضا حمله على ذلك فلزمه مخالفة الحديث وكانه مال الى التعميم الشامل
لما وقع وما سيقع وانه مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما يكون اى اعلامه بانه
صلى الله عليه وسلم بانه مغفور له الى اخره بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر والمغفرة من الغفر وهو الستر وهو والعفو متقاربان كما مر والذنب
من الاخذ قال تعالى فى المصباح اخذه بذنبه عاقبه عليه واخذه بالمد مؤاخذة
بذلك وقرى به فى السبعة والهمز منه واخذ انتهى فعبارة المصنف رحمه الله بالواو
والهمزة وليس المراد بمؤاخذته لانه لم يصدر عنه صلى الله عليه وسلم
ما يقتضيها لانه معصوم بل عتابه على بعض ما صدر منه مما هو بالنسبة لعلى
مقامه كالذنب ومن قال المراد ما تقدم من ذنبه قبل النبوة وما تاخر بعدها
من الصغاير فهو مبنى على تجويزها على الانبيا عليهم الصلاة والسلام ومن لم يجوزها
قال انه للمبالغة كما يقال اعطى من يراه ومن لم يره وهو الذى يدين لله به ولا يعتقد
قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اى ما يصح ان يعاتب عليه
كما فى لعلك باخع نفسك وعبس وتولى ان جاه الاعمى او انه لو وقع منك ذنب
اى ذنب كان غفر وهذا من مرتبة عظيمة جدا وقال السيد سخ لى معين بديع وهو
ان العبد لا يأتى مما يليق بجلال كبريا ربه ولذا قيل سبحانك ما عبدناك حق
عبادتك وهذا قصور بالنسبة لكمال القرب ذنب مجازى مبالغة فى التخويف
ثم شرفه بما يختم حول الفكر وهو ستره لذا القصور بقدر عباده لا يقة
بجلاله واى مرتبة فوق هذه المرتبة ولا يبعد عدم مثله قصور الشريفه فانه تعالى
لكمال حكمته جعل اعما لا خلقها بقدر مرتبه دنوا من هو مضطر فى صورة مختار وله
ان يعاقب عليها وان لم يفعل ونحو قول التجانى الظاهر ان هذه ورد ت مورد الشريف
له صلى الله عليه وسلم بهذا الحكم كما يقال لمن يراد اظهار محبته لو كان لك ذنب قديم

ناقص

او حديث غفرناه ولم يره اثبات ذنب له ولا مغفرة اقول قد سنح لي ما هو احسن من هذا وهو ان المغفرة لما كان معناها الستر المقتضي لعدم الرؤية اريد منه لازمه وهو انه لا ذنب لك يرى اي لا ذنب لك اصلا اذ لو كان لرئي على نهج قوله ولا ترى الضب بها ينجحر ويريد ان المتاخر لا وجود له وقد سوى بين المتقدم والمتاخر ففيه اشارة الى انتفائهما كما في قوله اذا جاء اجلهم لا يستاخرون عنه ساعة ولا يستقدمون ولما كان التقدم يوهم التحقق قدم الان وقرنه به مبادرة لنفيه بمغفرته والمراد بالمتقدم والمتاخر ما قبل النبوة وما بعدها او ما قبل الفتح وبعده او قبل نزول الاية اي انك مغفور لك كانه اراد بتفسيره هذا ان المتقدم والمتاخر عبارة عن عموم المغفرة ودوامها وقال مكي رحمه الله تقدمت ترجمته جعل الله المنة سببا للمغفرة اختلف اهل المعقول والمنقول هل في الفرق بين السبب والعلة فقيل انهما سواء وقيل بينهما فرق عند النحاة واللغويين ولذا قال ابن مالك لما للسببية والتعليل وعليه اكثر عبارتهم فالسبب ما يتوصل به والعلة ما يدور عليه التاثير وامر اخر ومثلوا للسببية بقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم وفرقوا بينهما وبين الاستعانة واما اهل الشرع فعندهم السبب والعلة يشتركان في ترتب الامر عليهما ويفترقان بان السبب ما يحصل الشيء عنده ولذا قال الشاعر

الم تران انبي للشيء علة ... يكون به كالناز تقدح للزند

واختار السمعاني ان السبب الموصل للشيء مع جواز التخلف بينهما ولا انزله فيه ولا في تحصيله كالحبل للماء والعلة ما يباشر الشيء عنه بغير واسطة ويعبر عنهما بالباعث وقد تحل اللام محلها كما في القواعد للسبكي ووقع الخلاف في افعاله تعالى هل تعلل بالاغراض حقيقة امر لا فالمشهور انها لا تعلل وانما المعاتمرات وحكم بجعل عللا كما اختاره الجرجاني ولم يذكروا ذلك في السببية فعدول المصنف رحمه الله عن التعبير بالعلة المذكورة والتفاسير هنا كانه بناء على الفرق بينهما فاوقع في الشروح هنا من تفسيره بالتعليل غير مناسب والمراد بالمنة الامتنان او النعمة التي هي ما يترتب عليه من الامور العظيمة صار سببا للمغفرة قيل ولا تكلف فيه لان ما ترتب على فعل العبد بلا واسطة بعد فعل له عرفا وشرعا مناسب عليه بالفضل وعكسه كانه قال اجريتا على يدك الفتح ليكون سببا للمغفرة وقيل عليه لا نسلم انه عد فعلا له اذ لم تقل انك فتحت ونحوه الا ان يقال انه عد فعلا له وابرزه في صورة يستفاد منها انه فعله تعالى كما هو في نفس الامر ومنهم من قال

فاخرج به من الظلمات الى النور باذنه ورزقا لكم وللعلة بقوله

سيد

سيد وغيره

ابن الحنبلي

التقدير

التقدير فاستغفر ليغفر الخ كما في قوله اذا جاء نصر الله والفتح الى قوله فسبح بحمد ربك واستغفره والاسهل ان اللام للعاقبة وحمل كلامه مكي على السبب والعلة المجازية لانها مستعارة لما بينهما التعليل كما صرح به الزمخشري وصاحب المغني فيقال لما كانت المغفرة نتيجة فتحه تعالى له الفتح المبين وثمرته شبهت بالداعي بناء على ان افعاله لا تعلل بالاغراض وان اريد بالفتح القضاء باعتبار ان المقضي فعله كانه قال قضينا بترتيبه على فعلك لثواب وقيل المعنى ليجتمع هذه الامور لك ولاجلها فرع تحقق الفتح فتح التعليل وهذا ما اختاره في الكشاف وفي شروحه هنا كلام طويل الذيل بيناه في حواشي البيضاوي اقول ما اورده ظاهر الدفع ولا حاجة لما تكلفه فانه ناش من عدم الفرق بين الفاعل اللغوي والفاعل الحقيقي فان الاول ينسب حقيقة من قام به او باشره لا الى الله وان كان هو الفاعل في نفس الامر كما حققه الابهري في حواشي العضد وسياتي الكلام عليه في الاية الاتية فاسناد الفتح بمعناه المتبادر والحقيقة ظاهرة وهو الذي يبنى عليه القائل كلامه واليه اشار بقوله وكل منهما اي من المنة والمغفرة حاصل من عنده لا اله غيره فهو الذي سبب السبب وهذه له واقدر عليه وفي نسخة لا اله الا هو وجعل الخلق والتاثير من خواص الالوهية المستلزمة له فهي الملزوم ليمتنع لازمه المساوي فهل من احد غير الله ولذا جعل احد الفعلين سببا للاخر لترتيبه من غير تاثير للغير فلا دخل لتعليل الافعال فيه منة بالمغفرة او بالفتح بعد منه بخلق السبب فيه وتيسيره عليه وفضلا بعد فضل اي تفضلا وانعاما بعد تفضل وانعام ان كانت المنة بمعنى الانعام فهو تفسير موكد لما قبله وقيل المنة بمعنى الامتنان من من بمعنى امتن كما قاله الجوهري ثم قال ويتم نعمته عليك عطف على قوله قال اولا ولا حاجة لتفسيره باقول ثم اقول وعطفه بثم باعتبار اخر ما ذكر اي ذكر هذه الايات الى قوله عزيزا حكيما فعبر عن الكل كقولك فوات قل هو احد ويراد السورة كما قيل بقرينة قوله الاتي فاعلمه الى اخره المقطوف على قال عطف مفصل على مجمل ولولا هذا لم يف ما ذكره بما قدر وافتقر على ما ذكر لما اعترض بما يتضمن الخلاف في معناه الذي اشار اليه بقوله قيل في تفسير بخضوع من تكبر عليك لك والجار الاول متعلق بتكبر والثاني بخضوع وسقط عليك من بعض النسخ والخضوع التذلل والانقياد ضد التكبر والتعظم وقيل بفتح مكة والطايف واذا بقرب مكة كثير العواكه والمياه كان به بلاد تقيف سمي به لانها طافت على المايخ الطوفان اولان جبريل عليه الصلاة والسلام

بالجزم

طاف لها على البيت وتنقلت من الشام الى الحجاز بدعوة ابراهيم عليه الصلاة واللام
او لغيره لذكر ماخ القاموس وغيره وزاد بعضهم خيبر وقال الكوماني باعلاء دينك
وقهر اعدايك وفتح البلاد على يدك وغير ذلك والتعميم انسب بتتميم النعمة
والمقام الان يقال التخصيص اقتضاء على الاهم وتفسير فتح مكة بالحديبية
لما كان وقع مما كان سببا لفتحها خلافا للظاهر وقيل ايضا بالنبوة هم
واعلاء دينه على سائر الاديان وقيل يرفع ذكرك في الدنيا وينصرك
ويغفر لك الثلاثة بصيغة المضارع المرفوع بتصحيح في النسخ المقروة على
ولد المصنف رحمها الله تعالى ومانع المقتضي من ان يرفع بالياء الجار للمصدر المضاف
لذكر فيه كاكده ومخالفة للرواية وحض الدنيا لان المذكور في الاية فحواها
وان كان ذكره مرفوعا اي مشهورا في الدنيا والاخرة ولا حاجة لتقدير والعقبى
كما قيل وقيل الملك الى النبوة ولا حاجة لهذا التخصيص كما مر الان كون
صدر من مشكاة النبوة مع ان ذكر الملك منا في لما ورد في الحديث بالامر من الله
خيره بين ان يكون عبدا نبيا او ملكا نبيا فاختار الاول ولنا فيه كلام سياتي
وما قيل من ان النصر وما بعده رويا مصدرين مجرورين مخالف للرواية
والدراية كما مر مع تحريف يغفر لك والغفر بمعنى المغفرة غير مستعمل كثيرا ام
فان قلت هذا لا يناسب لتفسير الاتمام لانهما مذكوران معه والغفران مقدم
على الكل فلم قدم النصر عليه ورفع الذكر ليس له ذكر في النظم والافعال على المختار منا
مرفوعة وفي الاية منصوبة فما وجه العدول قلت هذا تفسير لما تضمنه
النظم من اوله الى قوله حكيما كما مر وليس المراد حكايته ما في القراءتين حتى يلزمه
نصبه ورفع الذكر والنصر بمعنى الفتح المبين لان الفتح العظيم فيه اشارة ذكره
والذابه وغاية النصرة اشارة له على اعدايه وافترهم اليه وفيه من السعي
ما يقتضي المغفرة ومن هنا علم وجه اخر في كلامه وهو ان يكون ما ذكره اولا
توطئة لتفسير منتم وما بعده مفرع عليه لا تفسير له فما قيل في الجواب
عما ذكر ان في الاية تعميما وتخصيصا والمراد بالاتمام جميع النعم فعد فيه ما ذكر
واستبعاده بانه يقتضي اعادته في قوله الاتي فاعلمه ثم قال المراد بالغفران
توابعه في الاخرة كما في المعالم وهو تفسير ليقوله يهديك ولذا قدم النصر لتقدم
وجوده تعسف بغير فايدة وكذا ما قيل من انه وقع المنصوب لانه ليس مضمونه
بل ماخوذ منه وانه من باب تسمع بالمعيدي واصله بان يرفع الى اخره فحذف
الباء وان رفعه اشارة الى ان فتح الله له للهداية والمغفرة والنصر واتمام النعمة

سيد

سيد
والتلمساني ١

بالاخيرين

بالاخيرين ورفع الذكر لو كان عين مضمونه كان تعميما بعد التخصيص ومثله
كثير في الكلام البليغ وهذا مع تناقضه تكلف بما لا حاجة اليه ولو لا ظنه
الغفلة طويناه وقلنا تسمع بالمعيدي خير من ان تراه فاعلمه في الفاوجهان
سمعتهما الفا بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدو لك مراده الخضوع الذلال
والانقياد ومتكبرين جمع حذفت نونه للاضافة ومران العدو ويكون بمعنى الفرد
والجمع كما في قوله فان كان من قدم عدو لكم فالمعنى المتكبرين من اعدا الله او اعدا ٥
المتكبرون وهم صنابد قريش كابي سفيان والمغيرة وفتح اهم البلاد اليه
واجهاله يعني مكة وانتم افعل تفضيل من الهم بمعنى العزيمة او الحزن ويقال
بينهما هم واهم والمهم ما يلزمك الاعتناء به وتقديمه على غيره قال

فقلت له هاتيك نعمى اتمها ولا تتبئيس ان المهم المقدم

فالمعنى ان فتحها مطلوب له صلى الله عليه وسلم مقدم على جميع الفتوح
عنده لانها كانت ماوى المشركين وسناءة العرب وجميع العرب ينتظرون
اسلامهم وفتحها قاد انحر ذلك اسلموا فلذا دخلوا بعدها افواجا افواجا
في الاسلام ولانهم اخرجوه صلى الله عليه وسلم والمسلمين منها فكان عودهم
لها اقوى في اظهار شوكة الاسلام لدخولهم لها قاهرا غانما على انفهم ولذا
وايضا هي القبلة وبعد الانبيا عليهم الصلاة والسلام فتطهيرها من الشرك
والاصنام من اعظم المهمات ووقع ملخصا في بعض النسخ اسنى بسينه مهملة
ونون مقصورا اما من السنا بمعنى الرفعة والشرف او من السنا بمعنى الضوء
والمراد اظهر وعلى هذا فمعنى بدل اهم ويحتمل على بعد ان يجمع معنى اي اسنى
اهم البلاد يخوريد اعلم العلما وعداه بعلى لما فيه من الصعوبة او الوجوب
وهي احب البلاد اليه صلى الله عليه وسلم كما ورد في الحديث انك لاحب ارض الله
الى لان الطباع السليمة مجبولة على حب الوطن فلا يلزم من هذا تفضيلها
على المدينة حتى يرد على المصنف انه مخالف لمذهبه كما سياتي كما في بعض الشروح
لانه قد يكون في المفضول ما ليس في الفاضل وفي بعض النسخ اليه ما كان
له وظاهر كلام الشراح كلهم ان النسختين بمعنى وهو مخالف لما قاله
النحاة ان فعل التعجب وافعل التفضيل اذا اخذ منا يفهم حبا او بغضا يتعديان
الى الفاعل بالى والمفعول باللام فتقول ما احبني اليه اذا كان هو المحب
بكسر الحا وما احبني اليه اذا كنت تحبه وهذه المسئلة من مسايل الكتاب
وقد فصلناها هاهنا في السوانح فالظاهر هنا الى لان اللام مختلجة للتجوز ٣

يجعلها محبته له وهو خلاف الظاهر وما قيل من ان قوله فاعلمه
الى آخره من قبيل الحمل البديعي تكلف ورفع ذكره بالجزاء وبرفع ذكره السابق
واعترض عليه بانه لا قايل بارادة هذا المجموع من اتمام النعمة فلا اعلام لهذا
المجموع عند احد وان سلم صحته فلا يصح تفريعه على الخلاف الا ان تكون الواو بمعنى
او ويراد الاعلام كل واحد على قول والاوجه انه اشارة الى جواز ارادة المجموع
لثبوت الجميع وعموم اللفظ ووجه التفريع انه لما صح الحمل على ما فهم من الاول ولا
مخصص فاللايق الحمل على جميعها انتهى وهو كلام حسن جدا وهدايته بالجر
معطوف على اتمام او الخضوع اشارة الى انعاة كر من اتمام الصراط المستقيم
وفي نسخة الى الصراط لانه لا يتعدي بنفسه وباللام والى المبلغ بتشديد
اللام المكسورة الى الجنة والسعادة في الدارين او السعادة الكاملة في الاخرة اي
اي اعلمه بهدايته اياه لدين الاسلام المبلغ للجنة بتبليغ الطريق المستقيم المسلوك
الى المطلوب او تبليغ الصراط المعهود وقال البيضاوي صراطا مستقيما في تبليغ
الرسالة واقامة مراسيم الرآسة ولا وجه لتخصيص بما لا يقال حال المخاطب والمقام
قرينة عليه لان التعميم افيد والبلغ وما ذكر يندرج تحت العموم اندراجا اوليا قال
مالي المدارك من قوله تثبتك على الدين المرضي فانه درجا فيه مع امور اخر من وظايف
العبودية والمعارف الالهية وانما فسر بالتثبيت لانه المترتب على الفتح دون اصل
الهداية فانها حاصلة له قبله ونصره النصر العزيز بالجر مصدر والنصر مفعول
مطلق له او بدل منه والعزيز العز لصاحبه او جعله عزيزا في نفسه او وصفه
بوصف صاحبه والمراد انه نفيس قليل النظير لا دل بعده او الغالب من قولهم
في المثل من عز بز قيل ليس قوله وهدايته وقوله ونصر عطفا على ما به
تمام النعمة لان من جعل النصر منه جعل المغفرة منه ايضا فلو وافقه المصنف
لذكرها مع النصر ولو مع زيادة ذكر الهداية اذ لا وجه لتبديلها بها مما لا وجه لكون
وهدايته عطفا على ما به ومع اعلامه وكون ونصره عطفا على ما به تمام النعمة لفشا
نظم العبارة عند العارف باساليبها ومنه اي لعلمه بنعمته على امته المومنين
بالسكينة والطمانينة عطف تفسيري لان السكينة لها معان منها الطمانينة
مصدرا واسم مصدر من اطمان اذا سكن قلبه بما يشرحه ويزيل رعبه التي جعلها في
قلوبهم بشير بذلك لقوله تعالى هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين ما كان
في صلح الحديبية من الامن بعد الخوف وعدم القتال فلم تنزعج قلوبهم بعد ما كادت
تزيغ لما صدهم المشركون عن البيت حتى قال عمر رضي الله عنه علام نعطي الدنية

ابن قتيبة
سيد

ابن الجبلي

في دينا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انا عبد الله ورسوله لن اخالف
امره ولن يضيعني فاوقع الله عز وجل الرضا في قلوب المومنين فسلموا واطاعوا
وهذه نعمة اخرى مختصة بالمومنين بعد ذكر النعم المتعلقة به صلى الله عليه
وسلم زادتهم ايمانا بحقيقة ذلك وان المصلحة فيه وهذه الزيادة في اليقين في
نور اودعه الله في قلوبهم به يعرف الصواب وسياتي تفصيله في الباب
الثاني وبشارتهم بما لهم بعد ظرف مبني على الضم اي بتشيير المومنين بما لهم
بعده ذلك او بعد الحياة الدنيا من النعيم المخلد في الجنة بقوله ليدخل المومنين
والمومنات جنات الى آخره وفي نسخة عند ربهم واللام في قوله ليدخل علة لما يتسبط
من السياق من اول السورة الى ها هنا واليه اشار في الكشاف بقوله وانما قضى
ذلك ليعرف المومنون نعمة الله فيها فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب الكافرين بما
غاظهم وخالفه البيضاوي في التعلق دون العلية فقال علة لما دل عليه قوله تعالى
ولله جنود السموات والارض من بمعنى التدبير اي دبر امره بمن تسليط المومنين ليرفعوا
نعمة الله فيشكروها فيدخلوا الجنة ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم
من ذلك واختاره لقرب ما يتسبط منه وعدم ظهور مدخلية بعض الامور المذكورة
فيه او هو علة لانزل وانما قالوا اما قالوا ليلا يتعلق حرفان بمعنى بمتعلق واحد
فالظاهر ان القاضي انما عدل عنه لما به مما وقع فيه من قال انه متعلق
بفتحنا الا ان يقال انه بدل من العلة الاولى وقيل لم بعطف لانه مستانف
لانه نزل جوابا لقولهم هذا الا فما لنا فانزل الله ذلك اولا شعارا باستقلاله وقيه
نظر وللمفسرين هنا كلام لا يسعه هذا المقام وفوزهم العظيم النجاة
والظفر بالخير يعني بذلك قوله تعالى وكان ذلك عند الله فوزا عظيما وذلك اشارة
لدخول الجنة وتكفير السيات المذكورين قبله لانهما منتهى الطلب وقدم الفوز بدخول
الجنة على التكفير فقال والعفو عنهم والستر لذنوبهم في قوله ويكفر عنهم سياتهم
مع انه بعد العفو لانه المقصود بالذات مع موافقة النظم واشار بالستر الى
معنى التكفير لانه حقيقة لغة ومنه الكفر لستره الايمان والحق والليل الساتي
كافر لستره ظلمته وما احسن قول ابن الفارض رحمه الله في طول ليل الهجر

لي فيك اجر مجاهد ان صح ان الليل كافر

وقيل لتقديمه الفوز بنعيم الجنة لان الستر الكامل بتكميل الدرجات
من غير نقص وهو لا يظهر الا في الجنة فظهور التكفير بعد الدخول قيل ويحتمل
ان يكون ذلك اشارة الى ثاني الامرين وان قرب لفظا لبعده رتبة بالنسبة لعدمه

سيد

ابن الجبلي

أولهما بتاويل ما ذكر ويؤيد الاول تفسير الفوز بالنجاة والتعفي من الشين والثاني
تفسيره بالظفر من الخير من طول السلامة وهو الملايم لقوله فمن زحزح عن النار وادخل
الجنة فقد فاز وفيه نظر وقدم المصنف الفوز مع تاخره في النص والواقع لان المراد
ما حصل من الامرين وقيل ذلك اشارة لمجرد الدخول واشار بالبعيد لبعد
رتبته لان الدخول اذا كان وحده فورا فكيف مع العفو وهو معنى اينق لم يذكروه
قلت لم يذكروه لما فيه لان الدخول بغير عفو لا يصح وهلاك عدو اي اعلى
الله تعالى بهلاك اعدائه فقوله ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات
الظانين بالله ظن السوء عليهم دايرة السوء اي يعذب اهل النفاق والشرك كما يعم
المومنين لظنهم بالله ان لن ينقلب الرسول والمومنون الى اهليهم ابدا او المراد بالعذاب
المذكور العذاب في الدنيا بالقتل والخزي ونحوهما والاخرة بجهنم والاول يعلم بالواقع
وقوله عليهم دايرة السوء يحيط بهم ما ظنوا بالمومنين ولعنهم اصل معنى اللعن
الطرد والبعد ثم خص كما اشار اليه بقوله وبعدهم من رحمته اي اعلمهم بلعنهم
وبعدهم بقوله وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا اي
انتقم الله منهم بابعادهم من رحمته وتهيئة جهنم التي هي اسوء مقر لهم وسوء
منقلبهم بفتح اللام اسم مكان وقال الحلبي مقدر بمعنى الانقلاب والاول اولى
لقوله وساءت مصيرا ولم يتعرض المصنف رحمه الله لذكر غضبه المذكور في الاية لان لعنهم
واعداد جهنم لهم يدل عليه والاولى ذكره لان الاطناب في الابعاد ابلغ مع ما فيه من
الاشارة الى ان عذابهم ليس لتطهيرهم وانما هو تاتي من الغضب عليهم بما قال
متعلق باعلمه وفي نسخة ثم قال تبارك وتعالى انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا الاية احد احوال مقدرة للاعلام ببعض ما اوتيه صلى الله عليه
وسلم والاية بالنصب اي اقرا الاية متمما لها بقوله لتومنوا بالله ورسوله وتعزروه
وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا وهذا مبني على انها اية واحدة لا اثنتان لان ربط
لتومنوا بانا ارسلناك يحسنه وان كان من ذهب الى غيره يقول انه لا ينافيه الا ترى
ان قوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين اية تامة مع ربط قوله وبالليل به
فعد محاسنه الفا للتفصيل والمحاسن تقدمت فعطف فيه المفصل على
المجمل وخصايصه فضايله التي اختص بها اختصاصا حقيقيا او نسبيا من شهادته
على امته لنفسه شهادة مقبولة لدعواه ومن بيانية وقيل ابتدايية لا ستحالة كون
ما بعدها مبينا للمحاسن وخصايصه مع كثرتها وجعل قوله وبشرا ونذيرا بتقدير
ويكون مبشرا ويكونه منذرا على العطف على شهادته تكلف فتدبر بتبليغ الرسالة لهم لاجابة

لتاويله

لتاويلهم لتعديته باللام وقيل شاهدا لهم بالتوحيد فالمراد بالامة المومنون
وفيه كلام تقدم وفي بعض التفاسير شاهدا للامة بالقبول وعليهم بالانكار والرسل
عليهم الصلاة والسلام بالتبليغ وعلى امتهم بالجحد فتعجيم وهو افيد ومبشرا
لامته بالثواب قيل انه معطوف على شهادته بتاويل كونه شاهدا ومبشرا او التوزيع
قطعا على العمل الصالح ولو بعد دخول النار وقيل بالمغفرة والنجاة من النار او العفو
في الجملة فيشمل الكل ومنذرا عدوه بالعذاب اي منذرا اعداوه والانذار معناه التخويف
والتبشير بحسب الظاهر لامته المسلمين والانذار للكافرين وقد يعم كل منهما فيكون
الانذار للكل من غير وخالف الامر مومنا وكافرا والتبشير لكل من اطاع مومنا وكافرا
فان للكافر تبشيرا معلقا كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وهذا يختلف
باختلاف المقامات ولذا قيل في قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا
ونذيرا انه على ظاهره من غير توزيع وان احتمله وقيل في تفسير قوله نذيرا
محذرا من الضلال قيل انه شامل للكافر والمومن لكن قوله ليومن بالله ثم بدل صلى
الله عليه وسلم من سبقت له من الله الحسنى يابا الا ان يفسر يثبت ويدوم او يزداد
ويرقى في ايمانه ولا حاجة اليه والتراخي زماني ويجوز ان يكون رتبيا او اعم منهما
والحسنى الصفة الحسنى قيل المراد بها السعادة في الدارين وقد فسرت بالجنة وبالبشارة
بها وهذا انسب بما هو بصدد من تفسير مبشرا ونذيرا والمراد بسبقها كونها مقدرة
في علمه الازلي ومن عبارة عن القوم وعن لفظه فاقرد ضميره ومعناه فقال لتومنوا
بالله ورسوله اي برسالته وبما جاء به وقرى بالخطاب والغيبة فيه وفيما بعده من قوله
وتعزروه الى اخره والخطاب له صلى الله عليه وسلم وللامة لانه كما يجب على الامة الايمان بالله
ورسوله صلى الله عليه وسلم يجب عليه ولهم ففيه التفات او ينزل خطابه صلى الله
عليه وسلم منزلة خطابهم وتعزروه بزاء مهملة بعد المعجمة وهو بصيغة الخطاب والغيبة
في القراءة اي يجلوه كذا في النسخ مع ان المفسر لا يون فيه وينبغي حذفها ان قلنا ان الجملة
المفسرة تابعة لما فسر وفيه بحث والاجلال التعظيم وكذا التوقير فعلى
هذا يكون تاكيدا وقد فسر التعزير في اللغة بالنصر والتقوية فالاولى التفسير
به ليكون تاسيسا فقوله وقيل ينصروه ينبغي تقديمه لانه اخيره وتمريضه
لا سيما وقد ذكر الثعلبي في تفسيره ان هذا التفسير روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
وروي تجلوه وتنصروه بلا نون وقيل بالنون في تعظيمه وجه تمريضه انه كان
ينبغي تاخيره عن توقروه على هذا وما قيل من ان الامر بالتعظيم بعد الامر للمبالغة
فيه اشعارا بان الاصل فيما يجب ان يعتنى به كل الاعتناء واما المبالغة فقد تسامح

شبكة الألوكة www.alukah.net

فيها ويحتمل ان هذا القائل حمل التوقير على معنى غير التعظيم وعود ضمير توقروه
لله بمعنى قوله مالكم لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون عظمته بعيد وتوقروه
اي تعظموه روى بنون وبغير نون وقرا بعضهم تعزروه بزايين من العز
من العزخبر قراه وقوله بزايين بهمزة او يا بعد الالف كما قال التلمساني لان في اسم
المجة ثلاث لغات را بالمد والهمز وزاه بالياء وذى بزنة كي وهو بمعنى التعزير
وقال من العز وهو القوة والغلبة والرفعة والشدة لان مصدر المزيد من مصدر
المجرد عند بعضهم او هو تسمح منه وذكر صاحب زاد المسير انها قراءة ابن ابي طالب
وابن السميفع والاكثر والاظهر ان هذا في حق محمد صلى الله عليه وسلم يعني انهم
اختلفوا في هذه الضمائر هل كلها لله او للرسول صلى الله عليه وسلم لسبق ذكرهما فالاول
للزمخشري وتبعه القاضي الاول لتعينه في يسبحوه وتشتيت الضمائر وتفكيكها غير
متجه لما فيه من الركاكة ومخالفة الظاهر واختار المصنف عود ضمير يعزروه
ويوقروه فقط للرسول صلى الله عليه وسلم للقرينة المعنوية التي تدفع هجنة التفكيك
لان التعزير والتوقير لا يستعملان في حقه تعالى ففيه بعد لا يناسب بلاغة القرآن
وقد رجعت هذه الضمائر له في اية الاعراف فالذين امنوا به وعزروه ونصروه ولهذا
وقف كثير من القراء على قوله توقروه للفصل بين ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم
وضمير الله وما قيل من ان التعزير بمعنى التعظيم يطلق على الله بمعنى النصر
والاعانة بمعنى نصروه بنبوته ورسوله وهو نصرته واما التوقير فلا اشكال فيه كقوله
ما لكم لا ترجون لله وقارا انما الاشكال في التعزير لانه من الاضداد ويستعمل فيما
لا يليق كالتاديب لا يدفع الاظهر بينه الموافقة لما عليه الاداء والتفكيك مع ظهور
القرائن كثير في كلامهم والاكثر مبتدا والاظهر معطوف عليه وان هذا الى اخره
خبرهما اما بتقدير على لقطع النظر عن التابع وتغليب المتبوع مع موافقته
بحسب الظاهر وقيل الاظهر مبتدا ما بعده خبره وبقدر مثله لقوله لا الاكثر
ولكن على تقدير على نحو قول ابن الحاجب وما وقع ظرفا فالاكثر انه مقدر بجملة ثم
قال ويسبحوه فهذا راجع الى الله تبارك وتعالى اشار بهم الدالة على التراخي
الى ما عليه اهل الاداء من الوقوف على توقروه ردا على من خالف فحمن رجوع هذا
الضمير كما في ضمير السابق لله قال الزمخشري يسبحوه من التسبيح او من السبحة وهي
الصلاة وفيه على هذا حذف وايصال كما اشار اليه القاضي رحمه الله بقوله في تفسيره
تنزهوه او تصلوا له قال ابن عطا الذي تقدمت ترجمته جمع للنبي صلى الله عليه وسلم
في هذه السورة نعم مختلفة اي متعددة كثيرة متغايرة لفظا ومعنى ولذا عقد

لها المصنف

لها المصنف رحمه الله تعالى فصلا مخصوصا من الفتح المبين الظاهر في نفسه
المظهر لدينه ورسوله صلى الله عليه وسلم وهو من اعلام بفتح الهمزة جمع علم
بمعنى امارة ودليل الاجابة اي اجابة دعايه صلى الله عليه وسلم بالنصر الذي سبق
منه في مواطن كذا قالوا ولعله اراد انه تعالى اجابه وبجزله كل ما يرجوه منه فان
فتح مكة اعظم مطالبه واجل نعمه ولذا يقول الملبي عزعبده وانجز وعده وللمغفرة
وهي من اعلام المحبة فيه اشارة الى ان المغفرة المراد بها اظهار شدة محبة الله له
كما يقول لمن يحبه كل ما يصدر منك مغفور لدي وكل ما يفعل المحبوب محبوب
وتمام النعمة وهو من اعلام الاختصاص اي هو دليل على انه تعالى جعله من خواص
انبيائه عليهم الصلاة والسلام لانعامه عليه بما لم ينله غيره كما قال تعالى والله
يختص برحمته من يشا والهداية وهي من اعلام الولاية اي ان الله تعالى اموره اذ
هداه الى الطريق الموصل الى قربه والولاية بكسر الواو وفتحها كما مر النصر والتاييد
فهدايته اما اليه وهي علامة لتوليه امور من التبليغ وغيره وتثبيته عليه المودي
لنصرته كما قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا تفرع عليه قوله فالمغفرة
تبرية من العيوب اي هي كناية عن شدة محبته له وهو لا يحب الا من كامل الخلق والخلق
مبرأ مما لا يحمد وفيه اشارة لما سلف وتبريه بزنة تكرمه مصدر مهموز من البراة
او بضم التا وفتح الموحدة وكسر الراء المشددة وهمزة مضمومة مضارع منها كما قاله الجلبي
وفي بعض النسخ تنزيه بالزاي المعجمة مصدر من التزاهة بمعنى انه تعالى اولاه الفتح
المبين لتنزهه عما لا يليق بمنصبه العالي فيه الحالي قيل فيكون في مقام التجلي
ويبلغه بتمام النعمة عليه درجة كاملة كما ذكره المصنف يترتب عليها التجلي بالمشاهدات
القلبية الناشئة عن التجليات ولم يذكر الفتح لانه دراجه فيما ذكر لانه ظهور
وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة غير المشاهدة فالمحبوب مطلوبه وتنزهه عن كل
عيب وحلاه بكمالات مبينة لمشاهدته وتدعو لها كما اشار اليه بقوله والهداية
وهي الدعوة الى المشاهدة لما مر من المشاهدات القلبية الناشئة عن التجليات
الجلية لما وقع له ليلة المعراج لتقدمها على فتح مكة وصلح الحديبية وكون المراد
بالفتح القضا المتقدم تعسف لا يفيد وقال جعفر ابن محمد الصادق الذي تقدمت
ترجمته في تفسير هذه الاية من تمام نعمته عليه اي من اتمام نعمته التي انعمها عليه
ان جعله حبيبه اي اصطفاه وخصه واكرمه اكرام المحب الحبيب حتى لقب
بالحبيب كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم انا حبيب الله ولا فخر او نسخ به اي بشرعه
شرايع غيره جميعها او محوها فلم تبق شريعة لاحد بعدها وان بقي بعض منها

ولا باس بابقائه على ظاهره فانه لا يجوز العمل بشئ من شرع غيره الا من حيث انه صار
شرعا له صلى الله عليه وسلم بتقريره له وعرج به بالبنا للمجهول والتخفيف اى
اى اعرجه ورفعه بنا على انه لا يلزم مصاحبة الفاعل ان لم يكن التقدير عرج جبريل
عليه الصلاة والسلام به وقيل عرج بمعنى صعد به لا اصعده وفى الصحيح
عرج بى جبريل الى سدرة المنتهى فان صح ورود ه بمعنى اصعده كذهبا لله بنورهم
اى اذهبه فلا كلام والا فهو كبين الامير المدينة اى امر جبريل به عليه الصلاة واللام
الى المحل الاعلى الجنة او العرش او ما فوقه او ما فوق العالم كما حكاه التفتازانى
وحفظ فى المعراج اى فى ليلة المعراج او فى عروجه او فى مصعده كما سياتى حتى
ما زاغ البصر وما طغى تقدم تفسيره وبعثه ارسله صلى الله عليه وسلم الى الاحمر والاسود
جميع الخلق كما تقدم وسياتى تفصيله واحل له صلى الله عليه وسلم وكامنه القيام
التصرف فيها كما تقدم وجعله شفيعا اى اذن له صلى الله عليه وسلم فى الشفاعة
وخصه ولقبه بها مشفعا مقبول الشفاعة وسيد ولد اده مر بل سيد الاولين
والاخرين وجميع العالمين كما ورد فى الاحاديث الصحيحة وقرن ذكره بذكره فى
التشهد والاذان وفى مواضع تزيد على عشرين فى القران وهو معنى قوله ورفعنا
لك ذكرك كما مر ورضاه بوضاه مصدران مقصوران اى جعل رضى الله برضى رسوله
صلى الله عليه وسلم اورضا الرسول صلى الله عليه وسلم برضا الله يعنى طاعته طاعته
للزوم الرضا للطاعة ليقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله والاظهر انه اشارة الى
قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وجعله احد ركنى التوحيد اصل معنى التوحيد
فى عرف الشرع اعتقاد توحد الله وانفراده فى ذاته وصفاته والوهيته وانه
لا معبود سواه ويطلق ويراد به ما يجب الايمان به واصل معنى الركن الجانب القوى
وار كان الشئ اجزاؤه الخارجية او اجزاء ماهيته الداخلة فيها خلافا فى الشرط فانه
الخارج الذى يتوقف عليه صحته ولما كان الايمان الكامل انما يتحقق بالتصديق والاقرار
بنبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته جعل ركنا من التوحيد لا يتم ويقبل بدونه سواء
كان بالمعنى الاول او بالمعنى الثانى كما قرر بذلك الا انه على المعنى الاول مبالغة وعلى
الثانى حقيقة والظاهر تفسير الاتمام بما كان بعد الفتح لعطفه على مدخول
اللام وعد الاتمام منه ما كان قبله لانه اراد بالفتح القضا او جعل العلة لجماع ما ذكر
او اراد بيان نصر تحصل باجتماعهما التمام لا بيان الاتمام لنفسه ثم قال تعالى ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله يعنى بيعة الرضوان هذا كالدليل على ما قبله وعطفه
بثم نظر الاول ما قبله لتراخيه عنه فلا حاجة للتراخى الزمانى والمبايعة لاخذ العهد

والميثاق

والميثاق وكان من عادتهم وضع اليد على اليد اشارة الى التعاضد والتمسك
فلذا قال يد الله فوق ايديهم وبيعة الرضوان كانت بالحديبية وسميت بها لقوله
تعالى لقد رضى الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وهى شجرة سمرة وعمت
وقعت تحتها البيعة وبقيت الى زمن عمر رضى الله تعالى عنه وكانوا الفا والبيعة
او خمسمائة والمبايعة كانت على ان لا يفروا وان الشاط والكسل على النفقة فى
العسر واليسر والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وعلى ان يقولوا فى الله لا نخاف
لومة لائم وعلى ان ينصروا اذا قدم عليهم يثرب فيمنعوه مما تمنع منه انفسهم وازواجهم
وابنائهم ولهم الجنة فمن نكث فانما ينكث على نفسه وهذا وهم من ناقله فان هذا
انما قيل فى بيعة العقبة ولم يتخلف احد منهم عن البيعة غير الجد ابن قيس
وعثمان رضى الله عنه لان النبى صلى الله عليه وسلم كان بعثه لقريش ولم
يخبرهم انهم لم يقدموا لحرب وانما جاؤوا زوارا للبيت فبايع النبى صلى
الله عليه وسلم عنه وقال هذه يد عثمان وكان وقع الارجاف وكان وقع الارجاف
بقتله اى انما يبايعون الله ببيعتهم اياك والمبايعة مفاعلة من البيع لقوله
تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فالله تعالى
باع منهم الجنة بانفسهم واموالهم وهم باعوا انفسهم واموالهم لها فالبيع
والشرا مقابضة والتسليم فى المعركة كما اشار اليه بقوله يقاتلون الى اخره الاسلم
كما فى بعض شروح الكشاف قيل ولذا قال بان لهم الجنة دون بالجنة
وفيه نظر والمراد المعاهدة والمعاقدة كما يرشد اليه قوله ومن اوفى بعهده من الله
فالمراد انه كيف اثبت مبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله ونفاها
فى ضمن الحصر لجيبه عنه باجوبة منها ان المثبت بحسب الصورة والمنفى
بحسب الحقيقة وليس المراد نفى الحقيقة من حيث هى بلا تاويل بل يجعلها
كانها معدومة ادعاء من المومنين الواصلين لمقام الاحسان بطى الوسايط
لغلبة الشهود فالقصر ادعائى وقيل انه حقيقى على التنبيه فكانه
بلا واسطة وفيه تعظيم وقيل النفى غير مراد والحصر مجاز عن تاكيد
الحكم لا اضراب وزاد اعلى من زعم انه مع الجن واولى الوجوه الاول ولما جعل
المبايعة مع الله حقيقة اكد ذلك بقوله يد الله فوق ايديهم على سبيل
التخييل كما ستراه فلذا قال يريد عند البيعة اى المبايعة على عاد ته تقوم
فى موضع اليد فوق اليد وهذا من المتشابه وجمهور السلف فيه على تفويض
علمه الى الله وتنزيهه عما لا يليق به وذهب بعضهم الى تاويله بما يليق به

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لجود لكَ فى قوى يَدٍ يعرفونها وايدى الذي فى الصالحين فروض وقوله
سأشكر عمرًا ان تواخت منيتى اياديَ لم تمنن وان هى حلت

قيل والى هذا يرجع ما قيل غير ظاهر وما قيل من انها من الله الثواب
ومن المبايعين الطاعة غير ظاهر وقيل اليد هنا معناها عقده قيل
معنى العقد ربط الحبل ونحوه ثم استعير لمعان منها العهد والميثاق يقال
عاقدته على كذا وعقدته بمعنى عاهدته كما فى المصباح وهو المراد هنا اي اليد
عبارة عن عقد العهد وهى المبايعة المذكورة فان كان بمعناه المصدري فهو
ايجاده عهد البيعة وانما مه بمعنى ان الله اوجد هذه البيعة وتممها فاستعار
لايجاده عقدها اسم اليد لان الناس يفعلون لها فهو من اطلاق المسبب على السبب
وفوق ايديهم ترشيح للاستعارة اللغوية فان لها ترشيحا كما صرحوا به واليد
على حقيقته كما فى شرح التجانى واعترض عليه بان اول كلامه ظاهر فى ان اليد
عبارة عن العقد وقوله استعارة لايجاده عقدها فلم يقتض استعارة لها
للايجاد وعليهما التجوز فى المفرد وهو اليد فالمعنى ان عقد الله اوايجاده فوق
ايديهم وهو مخالف لتفسيره ان الله تعالى اوجد هذه البيعة وتممها عقدها
وهذا المعنى انما يستفاد من مجموع يد الله فوق ايديهم فانه لازم معناه التركيبى
وانه لو كان لليد فوق ايديهم وجارحة فوق جوارحهم لكان هو الذى اوجد
هذه البيعة والتحقيق انه مجاز مركب كما تقدم ركيكه رجلا ويوخر اخرى
وبهذا يظهر مناسبة لما قبله اقول ان العقد مصدر فيطلق على
المعنى المصدري وعلى الحاصل به وعلى هذا فلا منافاة بين اول كلامه واخره
الا ان كون اليد الثانية بمعناها الحقيقى غير متجه نعم ما اوعاه من انه مجاز مركب
له وجه سواء كان استعارة او مجازا مرسلا واما قول الرازى يد الله فوق ايديهم
اي حفظ فوق جوارحهم بحفظهم على البيعة كما انه قد توضع اليد على يد المتبايعين
ليتم عقدهم فقد قيل انه ناظر الى الاستعارة التمثيلية لانه لا يقتضى
ان للمتبايعين للرسول صلى الله عليه وسلم يبايعون الله كما مر فانما يقتضى
انهم يبايعون الرسول صلى الله عليه وسلم ليس الا والله حافظ ومنهم من ذهب
الى ان فى يد الله مكنية وتخييلية بان شبه الله برسول ثم ذكر المشبه مثبتا له
يدا على التخييل كما نقله بعض الشراح وهو مما لا ينبغى نقله لبشاعته ان
سلمت صحته كما قيل فتدبر وهذه استعارة وتخييل اي مستعارا او التقدير
ذات استعارة وقد عرفت ما مر انه يجوز فى الاستعارة ان تكون مكنية وتخييلية

أو تصريحية

أو نصريحية استعارة

المصطلحة وحدها الزمانى بانها تعليق العبارة على غير ما وضعت له
فى اصل اللغة على سبيل النقل او هى تمثيلية كقوله تعالى ان الله اشترى من
المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فانها تمثيل لاثابة الله تعالى اياهم
الجنة على بذل انفسهم واموالهم فى سبيل الله وقوله استعارة راجع لما قبله
او للوجه الاخير فهو من مقول القول او كلام مستانف من كلام المصنف متعلق
بالاخير وجزم به بعض الشراح قال لانه ليس فيما قبله ليس استعارة بل
مجاز مرسل او حقيقة وفيه ما لا يخفى والتخييلى وقع فى بعض النسخ فكانه
تحسين بحاء وسين مهملتين والمشهور هو الاول وهذا التجنيس جار على
احد الوجوه وهو ان ايديهم مستعمل فى معناه الحقيقى ولا شك ان يد الله ليست
بهذا المعنى فيتم الجناس من غير شبهة لان توافق الكلمتين لفظا سواء كان
المعنيان حقيقتان او مجازيان او احدهما حقيقة والاخر مجازا كما فيما
فيه وان قلنا التخالف بالافراد والجمع لا ينافيه والا فهذا نوع لم يتعرض
له ارباب البديع وعلى هذا يراد على ما فى الانفال من انه لم يقع الجناس التام فى القران
الا فى موضعين ولم يذكر هذا فيه على انا لو قلنا انها بمعنى مجازى ففيه تجانس
بناء على ان الصفات المشتركة بين الله وعباده كالمنع هل هى بمعنى او بينهما
تخالف بحسب الحقيقة لعلها الآن كما فصله ابن القيم فى كتاب الفوائد والله
والعجب من الشراح حتى اعترضوا على المصنف رحمه الله فيه حتى قال
بعضهم انه لم يرد التجانس لبعده بحسب اللغوى وهو مطلق المناسب لان
العقد اذا اطلق عليه اسم اليد فما يراد الجارحة فبينهما وبين الايدي
مناسبة وهذا مع فساده لا وجه له ثم ذكر بعضهم كلاما فيه خبط وخلط ثم
قال ما زعمه ابن دريد من ان الاصمعى كان يدفع قول العامة هذا جناس لهذا
ويقول انه مولد غير قادح فى صحة ان يقال ان فى هذا تجنيسا بين هذا
وهذا الاختلاف الصورة وان اتحدت المادة بناء على انهما من الجنس الذى هو
الضرب الذى هو اعم من النوع كما نبه عليه الجوهرى وهذا المريقهم كلام المصنف
فان مراده ان الجنس جامد لم يسمع اشتقاق صيغة منه كما استحجر واما استعمال المصنف
رحمه الله له فانه خطا مشهور وهو خبر من الصواب المهجور فان المصنفين لا هم
يالون ان يمثله كما فى كشف الكشاف ولفظ الجناس ايضا مولد واختلف فيه هل هو
بكسر الجيم او فتحها ولم يذكره اهل اللغة وتاكيد لعقد بيعتهم اياه اي الرسول

ابن الحنبلي

ابن الحنبلي
تبعا للدلجي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

صلى الله عليه وسلم من حيث جعل بيعتهم له كبيعتهم مع الله لا تفاوت بينهما
فيده التي تعلو ايديهم هي يد الله فلما مر وعظم شان المبايع صلى الله عليه وسلم
عظم بزنة عنب مصدر بمعنى العظمة معطوف على عقد والمبايع نعم فاعل
او مفعول والاول انسب بالمقام ولذا اقتصر عليه التلمساني رحمه الله
والمراد به النبي صلى الله عليه وسلم لا لله على تعظيمه تجعل يده يد الله وطاعته
طاعته وفيه تعظيم لمن تابعه ايضا وهو تعظيم له داخل فيما ذكره المصنف وقول
بعضهم ان فيه تشبيه ذات النبي صلى الله عليه وسلم بذات الله يلزمه الهلاك
الجلالة على غير الله وهو لا يجوز الا ان يقال ان مثله يجوز في الاستعارة المكنية
على بعض الاقوال كما مر وفيه تاكيد لما قبله من جعل بيعته بيعته وقد يكون
من هذا القبيل الذي جعل فيه فعل العبد عين فعل الله كما في هذه الاية
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الى اخره وقد للتحقيق او هي مجاز عن كونه
محتملا وفيه بعد قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت
ولكن الله رمى اي لم تقتلوهم اي لم تقتلوا قريشا اذ سلطكم الله عليهم ونصركم
ولكن الله قتلهم اذ هو الخالق لهذا الفعل فيكم وان كنتم مباشرين له وهذه الاية
نزلت في غزوة بدر او حنين كما لتي بعدها وقوله وما رميت الى اخره اشارة الى
ما وقع لما اخذ رمى النبي صلى الله عليه وسلم المشركين كف من حصا وتراب كما يعلم
مما ياتي وقال شاهت الوجوه فلم يبق لاحد منهم الا ملئت عينه منه فاشتغلوا
وانهزموا فشد عليهم المسلمون حتى قتلوهم ونزلت الاية والمشابهة بين الايات
انها اثبت لنفسه فعلا كان لغيره بحسب الظاهر وجعل الثلاثة محصورة فيه
وليس فيه وفيما بعده اتباعا للمعتزلة في خلق الافعال كما توهم وكلا الايتين
من قبيل انما يبايعون الله لما فيهما من النفي والاثبات كما يفيده قوله يبايعون
الله يد الله فوق ايديهم ومن قال ليس فيهما نفي واثبات لا صريحا ولا دلالة لم يصب
وان كان الاول من باب المجاز اي وان كان المذكور اولا من قوله يد الله من نوع المجاز
وهذا اي القتل والرمي المسند الى الله من باب الحقيقة اي داخل فيه والمجاز بانواعه
والحقيقة امر مشهور لا حاجة لبيانه هنا كما في بعض الشروح والمراد بالمجاز اللغوي
او العقلي الواقع في النسب وصرف بعضهم المجاز الى المبايعة الحقيقة الى اليد والفوقية
والفوقية فورد عليه انه يجوز ان يكون تشبيها بليغا فاحتاج الى الجواب بانه على
راي من يقول انه مجاز وليس فيه اداة معتبرة او انه راجع الى اليد على بعض الوجوه وقال
بعضهم ان المصنف رحمه الله لو بقي المبايعة في الاية على الملائمها اذ قيدها باليد المستعارة

وليس هذا اشارة الى القتل فقط
وروي من باب الحقيقة ٢٢٢

لا فوق الله

في حق الله في قوله تعالى يد الله الى اخره فالمعنى ان الذين يبايعونك انما
يبايعون الله يد الله فوق ايديهم المبايعة التي يوضع فيها الايدي على الايدي
انما يبايعون الله تلك المبايعة فتعين ان قوله انما يبايعون الله مجاز لغوي
مركب اي لا يكون ايجاد مبايعتهم منك بل من الله وفيه بحث يعلم مما قدمناه
لان القائل فالرامي في الحقيقة وفي اكثر النسخ بالحقيقة ومعناهما واحد
والمراد بالحقيقة نفس الامر والواقع ويلزمه ان يكون حقيقة اصطلاحية
هو الله لا النبي صلى الله عليه وسلم ولا المخاطبون ثم ذكر علمه كون الرامي
حقيقة الله لا غيره لانه المتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم واوجح فيه
القتل فقال وهو خالق فعله اي الله خالق فعل النبي صلى الله عليه وسلم
كسائر العباد ويحتمل عود الضمير الى العبد لفهمه من السياق ورميه
تخصيص بعد التعميم او تفسير وقدرته عليه ومشيته المشيئة بمعنى الارادة وبينهما
فرق مفصل في كتب الكلام وفي نسخة وضمير عليه للفعل وفي نسخة مصححة
مسبب بالسين المهملة وتشديد الموحدة المكسورة اسم فاعل مرفوع معطوف
على خالق ويجوز جره عطفا على فعله فيكون بمعنى التسبب ثم اشار الى تعليل
ان ودليل على كون فعل الابنين حقيقة واعاد اللام اشارة الى استقلال ومغايرة
لما قبله فقال ولانه ليس في قدرة البشر هذا لفظ مشترك يقال على الانسان وسوى
فيه الواحد وغيره فلا يجمع ويقال بشر وابشار جمع بشرة وهي اعلى الجلد توصيل
تلك الرمية حيث شاء اي مكان وصولها من وجوههم لانه صلى الله عليه وسلم قال
لعلي كرم الله وجهه ببدر ناولني كفا من الحصبا فناوله فرمى به وجوه القوم فما
بقي الا من وقع في عينه منها وقيل اخذ قبضة من تراب رمى بها وقال شاهت الوجوه
فما بقي مشرك الا شغل بعينه يعالج التراب الذي فيها فنزل وما رميت ذكره ابن الجوزي
رحمه الله وذكر ان سبب نزول قوله تعالى فلم تقتلوهم الى اخره ان الصحابة
رضي الله عنهم لما رجعوا من بدر جعلوا يقولون قتلنا وقمرنا فنزلت فجعل
لهما سبب نزول وهو لا يناسب ما ذكره المصنف رحمه الله من ان الملائكة عليهم الصلاة
والسلام قالوا الاتي لان ما قالوه بنا على ما راوه بحسب الظاهر والى ما ذكر اشار
بقوله حتى لم يبق منهم من لم تملأ عينه اي لم يبق من المشركين احد لم تملأ رميته
صلى الله عليه وسلم عينه من التراب ووقيق حصبا به حقيقة او نظر الاكثرهم
ولذا قيل عرفا فائدة هنا وهذا فعل الله لا فعله صلى الله عليه وسلم
والفرق بين التعليل ان الاول بنا على ان الله خالق لفعل العبد والقدرة عليه وموجد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ليسبه وهو غير مختص بما نحن فيه ولذا قدمه والثاني مبني على ان لهذا الفعل
ليس مقدورا للبشر فعلى الاول هو حقيقة باعتبار الواقع دون عرف اللغة وعلى
الثاني حقيقة لغوية وعرفية والمذاهب في الافعال كلاثة فقيل ان العبد موجد
لفعله بكسبه والله خالق لقدرته وتمكينه منه وقيل الفاعل هو الله لا غير
وقيل ان الله والعبد هو جدان للفعل ولا مانع من اجتماع موثرين على اثر واحد
والمجال لتحرير مستقل في هذه المسئلة وعلى كل حال فالعبد مباشر فيصح النفي عنه
والاثبات له والله اذ الفعل ينسب الى الموجد والمباشر كلهما على الحقيقة اللغوية
واعترض بانه لو صح لقد اصح ما صليت والله صلى وكذا ما في العامي واجيب
بانه ان اراد صحة نسبته جميع الافعال الى الله فهو ممنوع اذ قد يمنع عنها مانع
مع صحة المعنى كالبهام او بشاعة كما قيل في العارف وخالق الخنازير والطلاق
الشارع لا يقاس عليه وان اراد صحته البعد من النفي واثباته حقيقة لله فبطلان
مسلم وخص هذا المقام بذكره لانه مظنة الخيلاء اذ قالوا قلنا او سمونا فنزلت
تعليما وتاديبا فلا يرد اذ لا امن الله وقد صرح المحقق في شرح المقاصد بان
الفعل لا يسند حقيقة الا لمن قام به لا لمن اوجده وتبع في من قال بخلافه وبه
صرح شراح الكشاف في قوله شققنا الارض فاسناد القتل والرمي الى الله مجاز على
ما فيه او اراد ان القتل والرمي ثابتان له خلقا دون البيعة معه واليد فليست
بالمعنى المصطلح ثم كونه تعالى خالق القدرة والمسببة له داخل له في المدعى وامامة كل المنة
انتهى ملخصا

الفرق بين الفاعل اللغوي والفاعل الحقيقي

الذي وعدناك به امرهم ولم يحققه احد كما لا يخفى في شرح المقصد حيث
قال الفاعل يجب ان يكون سببا قابليا لفعله ليصح الاسناد اليه نحو منه فاذا خلقه
الله شاع في محل يقوم يسند ذلك الشيء الى محله وان لم يكن له مدخل في التاثير لا اليه تعالى
وكذا نحو الطاعة والمعصية والغيب مما يقوم بالعبد يسند اليه دون الله وان كان
اوجده ولذا اشتد والتكبير على المعتزلة في اسناد الكلام الى الله لكونه اوجده ولم
يقم به لعدم صحته لغة بالاستقراء واذا اسند الفعل لغير السبب القابلي لم يجعل مجازا
على فعل الخر مناسب له ويكفي في هذا ان يعد سببا قابليا في عرف العرب ولا يجب
ان يكون محلا له في الحقيقة كما في سرتبن رويتك فلا يجد احدا من العرب
بخطر بباله عند اسناد الضرب للعرو والسرة الى الرؤية ان فاعلها غير المذكور هكذا يجب
ان يفهم هذا المقام لتدفع به الاوهام الى اخر ما حققه مما لا مزيد عليه ولم يذكر فيه
اختلافا فاتع طول باعه وسعة اطلاعه واذا عرفت هذا فيما ذكره هذا القابل امور

منها ان قوله

منها ان قوله ان الفعل ينسب للموجد والمباشر حقيقة لغوية غير صحيح
لانه لا ينسب الا لمن قام به وحد محلا له عند اهل اللسان مع ان اول كلامه
غير منسب لاخره ومنها ان الحقيقة تطلق على ما يقابل المجاز الاصطلاحي
وعلى الواقع ولفس الامر والمصنفون اذا اراد وا الاول قالوا هذا مراد به
لا حقيقته واذا اراد وا الثاني قالوا هو في الحقيقة بمعنى كذا فتردده في كلام
المصنف لا وجه له ومنها ان العارف لا يطلق على الله لا يهام به يعني انه يختص
بالجزيئات او بما يسبقه جهل والاول يوهم اختصاص علمه تعالى والثاني
يوهم ما لا يليق به جل وعلا تبع وقد رده الحافظ العراقي رحمه الله في نكته
على المنهاج بان امام الحرمين رحمه الله فسر العلم بالمعرفة وتبعه البيضاوي
في تفسير قوله تعالى واخرين منهم لا تعلمونهم الله يعلمهم فقال اي الله يعرفهم
ان كان العلم بمعنى المعرفة متعديا لواحد واعترض عليه الفاضل المحتسب
وقال الجوهري علمت الشيء عرفته وقد وقع اطلاق المعرفة على الله في
كلام النبي صلى الله عليه وسلم واقوال الصحابة واهل اللغة فلا حاجة
للالتجاء للتاويلات كلها ونحوها والعجب من صاحب المواقف حيث قال علم الله لا يسمى
معرفة اجماعا لا اصطلاحا ولا لغة ولنا عوده الى بيانه لك ومنها ان قوله ان كون
الله لا دخل له في هذا عجيب منه فانه اذا خلق فعل العبد وقدرته عليه وسببه
كان ذلك اتبع في نسبته له على انه الموجود فاي مدخلية اعظم من هذه وكذلك
قتل الملائكة لهم حقيقة منهم لمباشرتهم له وحقيقة بجواز رفعه خبر القتل ونصبه
على الحالية وكذلك خبر مقدم وهذا مبني على ان الملائكة عليهم الصلاة والسلام
قاتلوا في بدر وان قوله ولكن الله قتلهم بتقدير ولكن ملائكة الله قتلوهم
ومنهم من منع قتالهم معهم كما ذكره المفسرون وقال بعض الشراح ما الحق
هذا بالتعجب لان القاتل حقيقة بالنسبة اليهم هو الله الخالق لافعالهم وقدرهم
وهو المباشر ون ولا خصوصية لهم بكون قتلهم حقيقة لم ينسب لله وايضا
لا يظهر كون لم يقتلوهم مثل ان الذين يبايعونك الا ان يقال ان النفي مطلق
على معناه وعلى كماله المقصود منه فاطلق او لا على ما وضع له من نفي القتل والرمي
مع صدور صورة في قوله فلم تقتلوهم وما رميت ثم رميا على المقصود
من قذف الرعب في قلوبهم ومنعة الرمي وتاثيره ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى
فهو من اطلاق المسبب على السبب ورد بان الملائكة عليهم الصلاة والسلام
باشروا القتال فاسناده حقيقة اليهم لا الى الصحابة رضي الله عنهم فيصح هم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

النفي عنهم فما ذكر من قصور الفهم ثم قال ان هذا الدليل انما يدل على ان النفي عن العبد
حقيقة لا الاسناد الى الله اذ لا يلزم من كون الايصال من الله والقتل من الملائكة
عليهم الصلاة والسلام ان يكون القتل والرمي من الله فلعله ساق الدليل الاول
لحقيقة الاسناد الى الله والثاني لحقيقة النفي فالمجموع دليل على الاثبات والنفي
او الثاني لحقيقة النفي دليل لبعض المدعى ومثله شايع وهذا ليس بشيء والحق ما قاله
وردوا اعتراضه وقصورهم من رده واما الثاني فغير وارد وقد علم جوابه مما قررناه
اولا وقد قيل في هذه الآية الاخرى وهي فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم
انها على المجاز العرفي وفي نسخة العرفي بالفاء ولما كان الفاعل الحقيقي هو الله
كما مر تحقيقه كان اطلاق الفعل على غير فعله واسناده لغيره ليس حقيقيا
فيكون مجازا بالنسبة للحقيقة الا ان عادة العرب ولغتهم وعرف تخاطبهم على
عد غيره فاعلا حقيقة والقرآن ورد بلسانهم وجرى على نهج كلامهم وهذا معنى
قوله العرفي والعرفي فيهما بمعنى ولذا جعل بعضهم المجاز العرفي شاملا للمجاز
العرفي في اللفظ والاسناد وان كان المراد هنا الاول والمراد بالعرفي عرف اللغة
وقيل المراد بالعربي اللغوي وهو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في
اصطلاح التخاطب وهو احتراز عن المجاز العقلي في الاسناد والنسبة والتلمساني
هنا كلاما ينتج منه والمراد بالعرفي ما عدا لله عما وضع في عرف غير اللغة والشرع ولا
وجه لايراده في هذا المقام الا ان يراد به ما يعم عرف اللغة فهو في مقابلة
العقلي وقد عرفت انه كلام ساقط برمته وكذا ما قيل ان المجاز لا يختص بلغة
العرب الا انه لما كان منحوتا عنه في علم البيان المدون للفظ العربي سمي
عربيا وهو اصطلاح لم نجد لغيره ومقابلة اللفظ وما سنه بجرهما عطفا
على المجاز وعطف مناسبته على مقابلة عطف تفسيري ان اتحدا والظاهر
تغايرهما فانه الاصل والمراد بالمقابلة صفة الطباق وهي الجمع بين متضادين
في الجملة سواء كانا مثبتين نحو تحسبهم ايقاظا وهم رقود او احدهما مثبت والآخر
منفي نحو ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وكما في التلخيص
وليس المراد المقابلة التي ذكرها السكاكي والمراد بالمناسبة ذكر اليدين في الجانبين
والقتل والرمي فيهما فهي بالمعنى اللغوي كالمقابلة وليس المراد بها المشاكلة
على حد قوله

قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه ◦ قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

كما قيل وقال التلمساني رحمه الله المراد بالمقابلة ايراد الفاظ متوالية متماثلة

في الترتيب والمادة كما ذكره ابن رشيق وهو اكثر ما يقع في الفاظ الكتاب كقول
البحتري رحمه الله تعالى

تطيب بمسراها البلاد اذا سرت ◦ فينعم ربا ها ويصفو انسيمها

والمناسبة ذكر الشيء مع ما يناسبه على جهة الاستعارة او التشبيه كقول المتنبي

سفينها عبرات ظنها مطرا ◦ سائلا في جفون ظنها سحبا

انتهى والاول لا مناسبة له بوجه من الوجوه والثاني يمكن ارادته اي ما قتلتموهم
وما رميت انت اذ رميت وجوههم بالحصا والتراب الحصبا بالمد الاحجار الصغار
وقيل المختلطة بالتراب لان الغالب ان الحصبا مع التراب وفي نسخة ما قتلتموهم
اذ قتلتموهم اي لم تجدوا ذلا ولم تلحقوا ولم يكن ما ثبت منه من رمي قلوبهم
بالخوف والجوع لقوله ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع اي رمى ما دماه من الجزع
وهو عدم الصبر لشدة الخوف ولم يتعرض لمعنى القتل المجازي لفهمه مما ذكر ولو
جعل الرمي شاملا لاتصال الحصبا لكان اولى لعيونهم الشاغل لهم عن ذلك
فالله هو الموجد لما ذكر والممكن منه وقيل كان مقتضى الظاهر ان يقول
وما شغلت قلوبهم بالجزع ولكن الله شغلها به فعبر عن شغلها بالرمي لمشاكلة
قوله رميت قاصدا بالرمي رمي الجزع في قلوبهم على تقدير المفعول كما قصد
رمي النبي صلى الله عليه وسلم رمي الحصبا اي ان منفعة الرمي كان من فعل الله تعالى
والمنفعة والنفع بمعنى وهو ما يقابل الضر وفيه لحن العامة للرمي اذا ذكر الضر
مع النفع فهو بفتح الضاد كقوله لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا واذا ذكر وحده
فبالضم كقوله مشتى الضر والنفع بالنصر والغلبة والغزو او شغل قلوبهم
بالجزع وسكت عن القتل لعلمه منه فالمراد بالفعل فايدة الموضوع له فهو القاتل
والرامي بالمعنى والحقيقة لانه الموجد له ولسببه ومنفعته المقصودة
منه فكانه هو الذي فعله وتفريع القاتلية يدل على انه مقدر قبله او في حكمه
او منفعة الرمي التي هي الجزع والرعب سبب القتل فاذا كانت من الله فهو القاتل
لانه الموجد لسببه والرامي لانه الموجد لفايدته ولا تقدير والمعنى المقصود
والفايدة من اجل سببها فهو الموجد لها وانت بالاسم اي بتسميتك راميا
والاطلاق لفظ عليك لغة لمباشرتك وان كان الفاعل هو الله وفي عبارة
المصنف رحمه الله اشارة الى انه تعالى لو قال فلم تقتلوهم اذ قتلتموهم جاز
ان يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمومنين كما الذي في قوله اذ رميت
له خاصة ولا صبر فيه وان لم يباشر القتل بنفسه لجواز ان يسمى قاتلا لانه السبب

والامر للقتال او لينسب القتل للجميع تغليبا لليلا كثر على الاقل لانه صلى الله عليه
وسلم لم يقاتل بنفسه في وقعة بدر كما قاله النجاني وغيره **الفصل**
العاشر في ذكر ما اظهره الله في كتابه العزيز اي العديم النظير او الغالب
لغيره من الكتب بالنسخ او الممتنع من معارضاته باعجازه او من التغيير والتحريف
لحفظ الله له **من كرامانه عليه** يقال كرم عليه لتضمينه معنى العزة او هي بمعنى
عنده وعدل عنها ليلا تتكرر مع قوله **ومكانته عنده** اي علو مرتبته
وشرفه عند الله كما مر **وما خصه به من ذلك** المذكور من الكرامة والمكانة وهو
تخصيص بعد تعميم اي فيه كرامات وتشريفات مشتركة ومخصوصة به
صلى الله عليه وسلم **سوى ما انتظم فيما ذكر قبل** اي غير ما دخل فيما قبله من الفصول
وقيل مبني على الضم وانتظم يكون لازما ومتعديا كما صرح به اهل اللغة وفيه استعمال
ظاهرة وقيل متعلق به او بذكر كما على التنازع فيه ولما لم يستوعب كرامته
قيل اردفه بفصل كمله به ولم يدرجه في بعض ما سبق كالملاطفة لترجيح
هذه الطريق **من ذلك ما قصه الله تعالى** من قصصت الخبر اذا ذكرته على
وجهه كما في المصباح فهو اخص من المذكور مع مجانسته لقوله **من قصة الاسرا**
في سورة سبحان وسورة النجم وهو منفرد بنفسه فلا حاجة لجعله بمعنى عليه
على الحذف والايصال والاسرا سيره صلى الله عليه وسلم من مكة الى الاقصى
وما فوقه معراج وعروج ويطلق على ما يشملها ايضا كما مر وهذا وان تقدم مفصلا
الا انه ذكره هنا استطرادا او هنا اصالة لعقد الفصل لامثاله **وما انطوت**
اي اشتملت **عليه القصة من عظيم منزلته وقربه** من الله المفهومين من قوله
وغيره لك **ومشاهدته ما شاهد من العجايب** وهذا بناء على ان المراد بالدنو الاتي دنو
النبي صلى الله عليه وسلم من الله او دنو الله منه دنو منزلة ومكانة لا منزل ومكان
بخلاف القول بان المراد دنو جبريل عليه الصلاة والسلام منه والعجايب ما راى
من ايات ربه الكبرى ورويته الانبيا عليهم الصلاة والسلام ورؤيته به صلى الله
عليه وسلم واياه في برهة من الليل الى غير ذلك **ومن ذلك** عطف على من ذلك
المتقدم اي وما اظهره وقيل الاشارة الى عظم منزلته وقربه **عصمته من الناس**
اي حفظه عن ان يصل اليه كيد هم ومكرهم الذي اشير اليه بقوله **والله يعصمك**
من الناس اي يحميك من القتل ومالا يليق من الاهانة وقد تقدم الجمع بين هذا
وبين كسر تنبيه صلى الله عليه وسلم باحد تخصيص العصمة بالقتل او تاخر نزول
هذه الاية والمراد بالناس الكفار كما في قوله امرت ان اقاتل الناس الحديث **وقوله تعالى**

واذ يمكر بك الذين كفروا الاية اي ومن العصمة قوله الى اخره وهو
مجرور معطوف على قوله وكذا ما بعده وتمام الاية ليثبتوك او يقتلوك ويمكرون
ويمكر الله والله خير الماكرين وهذا كله لما بايع صلى الله عليه وسلم الانصار
بالعقبة وامر اصحابه رضي الله عنهم بالذهاب للمدينة اقلقت من ظهور صلى الله
عليه وسلم فزيش فاجتمعوا بدار الندوة للمشاورة في امر فاتى لهم
رجل نجدي وقال سمعت ما اجتمعتم له فاحببت ان اكون معكم ولم تعدموا من
رايي نصحا فقال بعضهم احبسوه موثقا وتربصوا به ريب المنون فقال الشيخ
ما هذا برأي يوشك ان يثب اصحابه فياخذونه من ايديكم فقال اخرجوه
من بين اظهركم فقال ما هذا برأي تجمع جموعا ويأتي لكم فقال ابو جهل لعنه
الله نأخذ من كل قبيلة غلاما معه سيف فيضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق
دمه في القبائل فلا تطيق قريش على حربهم كلهم فيقبلون العقل ويستريح
منه فقال صلى الله عليه وسلم لعنه الله هذا هو الراي وتفرقوا فاتاه جبريل عليه الصلاة
والسلام واخبره بذلك وامره ان لا يبيت بمضجعه في هذه الليلة فامر عليا كرم الله
وجهه بان ينام في برده ويأمره ففعل فاتوا واحاطوا بمكانه فلما اصبحوا
اتوه فراوا عليا وقد خرج صلى الله عليه وسلم ليلا الى الغار على ما فصل الى السير
وعلى اول من باع نفسه لله كما قال

وقيت بنفسي خير من وطئ الثرى ● ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

في شعر نسيب له ويثبتونك معناه يوثقونك ويحبسونك ويمكر الله والله هو
مشاكلة بمعنى يجازي مكرهم عليليق به كقوله نسوا الله فنسيهم قال
النجاني وخير الماكرين اقدرهم واعزهم جانبا لانه اثبت للكفار مكرا
فصح التفضيل عليهم فيه وقيل عليه انه يقتضي ان اصل المكر ثابت له كما ثبت
لهم الا انه خير منهم مع ان الثابت له انما هو المجازاة المعبر عنها بالمكر مشاكلة
واذا ثبت لهم المكر الحقيقي وهو ايصال المكروه حقيقة وله المجازاة حقيقة
وله المجازاة عليه فيكون الماكرين بمعنى المجازين وهو ممنوع عند النحاة
كتثنية العينين المشتركتين فالحق ان المراد خير المجازين على المكر كما قيل
في احسن الخالقين انه بمعنى المقدرين وفيه بحث **وقوله تعالى الا تنصروه**
فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا الخ بالجزم كما روى وروى بالرفع عطفا على
العصمة وفي هذه الاية تتميم لما قبلها والمعنى ان لم تنصروه فسينصره
من نصره قبل ذلك وهو بين اعدائه وقد هموا بما هموا به فاذن له صلى

شبكة الألوكة www.alukah.net

في الهجرة او امده بالملائكة وظرفية الاخراج للنصر لانه سبب له اولانه سلمه من
اعدائه واعمى ابصارهم عنه صلى الله عليه وسلم وحماه في الغار وقصة سراقة معه فلا
اشكال فيه والاية نزلت في غزوة تبوك وتسبب الاخراج الى الكفار وان كان منه
باذن الله لانه سببه كما قصصناه عليك وما دفع الله به اى بحفظه من غير معين
له او ببركته صلى الله عليه وسلم في هذه القصة المشار اليهما بقوله تعالى واذ يمكر بك الى
اخره في الهجرة والغار والطريق وقوله الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين
كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار منزاد الهم اى اذ بيتهم له صلى الله عليه وسلم بما سياتي
ومن حيثيته لما المعطوفة على الناس واختار بعضهم عطفها على عصمته على ان ما
مصدرية او موصولة ومن بيانية المقدر والتقدير ودفع الله بسبب النبي صلى الله
عليه وسلم عنه او الكرامة التي دفع الله بسببها عنه امرا عظيما ولا يخفى ما فيه من التكلف
من غير داع بعد تخريجهم بجامهملة وراى مهجة وموحدة وفي نسخة تخريبهم براء مهملة
ومثناة تحتية اى قصدهم والاولى بمعنى تجمعهم في مشاورتهم مع احزابهم وظهر
رأيهم اهلاكه بضم فسكون اي هلاكه وهو مصدر واسم مصدر انجبا في امره اي بعد
اخلاصهم في اذيته منفردين في دار الندوة للمشاورة في امره والخلوة اعون على الحسم
والراى وتجيا بمعنى متناجين ومتناجين فهو فعيل بمعنى فاعل او مفعول للمبالغة
في التجوي ويقع على الواحد والجمع والاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم
حقيقة الاخذ التناول باليد ونحوها ومنه اخذه الله بمعنى اهلكه ومعنى اخذ الله
على ابصارهم منعها من رؤيته صلى الله عليه وسلم مع تردادهم له لما خرج عليهم من داره
فالاخذ مجرور معطوف على تخريبهم وروي مرفوعا بالعطف على ما وقيل تقديره
من الاخذ على ابصارهم عند خروجه لما اراد وا قتله وهو خطا لاقتضائه دفع الاخذ
وهو ثابت ودهولهم عن طلبه في الغار الذهول ذهاب العقل والنسيان والغفلة
والمراد هنا الاخير وفي الغار متعلق بالطلب اي ذهلوا عن ان يكون طلبهم له في الغار
لاحال من ضميرهم لانهم طلبوه وهو فيه لما اقتفوا اثره حتى بلغوه فصدهم عنه
نسج العنكبوت وبيض الحمام ببابه والغار ثقب في الجبل كالمغارة فاذا اتسع فهو
كهف وتعريفه للعهد لغار ثور القريب من مكة بمقدار ساعة وما ظهر في ذلك الغار
او الامر وهذا معطوف على عصمة ومن ذلك ما ظهر لهم اى للنبي صلى الله عليه وسلم
وابي بكر رضي الله عنه فيما ذكر من قصة الهجرة والغار وجمع ضميرهما تعظيما وجمع ضمير
المثنى كثير ولهم في اكثر النسخ والقدح فيه لتوهم ان الضمير للكفار ولم يظهر لهم
نزول السكينة عليه تعين من الآيات الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم كوقوع

كف من تراب على رؤس جماعة رصدوه فقتلوا كلهم ببدر وسات لمجرة تسمى الرما
كاسم الحرف ببابه ونسج العنكبوت وتفريخ الحمام وبيضه به وشعا الصديق رضي
الله عنه من لذع الحية بريقه الشريف وشرب الصديق من ما الجنة لما عطش كما نقله
الفيروزابادي والطبري وفتح جبريل عليه الصلاة والسلام لطرفه الغار الاخر
عند خروجهما ونزول السكينة عليه اي على النبي صلى الله عليه وسلم او على ابي بكر الصديق
رضي الله عنه لما في مصحف حفصة رضي الله عنها فانزل الله سكينته عليهما وقيل
الحق الثاني لانه هو الذي كان منزعجا بدليل قوله قبله اذ يقول لصاحبه لا تحزن وقال
التجاني في عود الضمير على النبي صلى الله عليه وسلم او ابي بكر رضي الله عنه قولان وفي
احكام القرآن لابن العربي الاقوى انه لابي بكر رضي الله عنه لانه خاف على النبي صلى الله عليه
وسلم فانزل الله على قلبه سكينة اى طمانينة وامنا وعلى الشواذ عليهما ولذا قيل الضمير
في عليهما واكتفى باعادته على احدهما كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه كما ذكره
ابن الجوزي عن ابن الانباري بعد ترجيح عوده لابي بكر رضي الله عنه وان كان ضمير وايده
بعوده للنبي صلى الله عليه وسلم بلا خلاف لانه لا يحتاج للسكينة الا المنزعج ونظير
ما مر في قوله ويوقفون ويسبحون وللقراءة الشاذة ما ولة بنسبة ما للواحد الى الاثنين
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الا ان قوله تعالى ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى
المؤمنين يرجح عودها للنبي صلى الله عليه وسلم ايضا والسكينة بيض طمانينة الادب
والرحمة والوقار فتفسر في كل محل بما يليق به مع ان طمانينته صلى الله عليه وسلم
ليست كغيره لانها عن جزم بعدم وصولهم له وعدم قدرتهم لو وصلوا هم له ووصلوا
اليد على اذيته او الرضى بما قدره الله وعدم المبالاة بما لا ينال له لاجله كما قيل

وبما شيئت في هواك اختبرني ● فاختباري ما كان فيه رضاكا

وقصة سراقة بضم السين المهملة وراء مهملة وقاف ابن مالك وسياتي تفصيلها
وهو ابن مالك بن جعشم بن مالك بن تيم بن مدلج بن مرة بن عبد مناف بن كنانة المدلجي
الصحابي الجعشي رضي الله عنه وجعشم بضم الجيم والشين المعجمة بينهما عين مهملة
ساكنة موجود في نسخة كما قيل وكانت هذه القصة قبل اسلامه واسلم في غزوة
الطائف بعد فتح مكة ومات في سنة اربع وعشرين وكان شاعرا وبنو مدلج كلهم
قافة والقافة من علوم العرب وقلما يخطون فيها وقد عمل بقفا النبي صلى الله عليه
وسلم بعض الانساب حسبما ذكره اهل الحديث والسير وقصة الغار وحد
الهجرة حسب بفتح السين وسكونها منصوب اي موافقا لما ذكر في الحديث
يجزى المرء على حسب عمله اي على مقداره وله معان اخر والحديث اقوله صلى الله عليه
وسلم انما قتله البرهان عن الجوهري

وافعاله واحواله وتقريراته ويطلق على قول الصحابي ونحوه ايضا
تما فصل في محله واهله علما وعملا والمفتون به والسير جمع سيرة بمعنى الطريقة
والخصلة ثم خص بغزوات النبي صلى الله عليه وسلم المغزوة بالذوير والهجرة
الانتقال من دار لاخرى وهي هنا للعهد اي هجرته صلى الله عليه وسلم للمدينة المنورة
ومنه معطوف على قوله من ذلك قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر الى اخره المده
مع ضمير العظمة ايما الى عظمة المعطى والمعطى وتشويقا ونفيا للشبهة فيه وعبر
بالماضي لمضيه ان كان الكوثر مطلق الخير الكثير كما قال

وانت كثير يا ابن مروان طيب ... وكان ابوك ابن الفضائل كوثرا

وكذا ان كان اسم الحوض او نهر في الجنة احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد
من الثلج كما ورد في الحديث لتقدم العطاء وفي الروض الانف عن عائشة رضي
الله عنها انها قالت الكوثر نهر في الجنة لا يدخل احد اصبعه في اذنيه الا سمع
خريرا له كالنهر او نحو مما ثبت في الاحاديث الصحيحة فان قلت ما تسمع من الدوه
اذا سدت الاذان بالاصابع انما هو لارتفاع الهواء المانع للاذن عن سماع حركة
الابخرة التي في داخل الدماغ وهو امر طبعي كما قال المتنبي في صفة حرب
وتسمع في الدنيا دويا كانما ... تداولت الاذان املاك العشر

فما معنى هذا الحديث قلت الجنة موجودة الآن كما هو مذهب اهل السنة وهو
الذي نعتقده وما تدركه الحواس الظاهرة يدركه الحس المشترك بعد غيبته
لانه كالذي يبصب فيه الابخار حمسة فلا مانع من ان النفس كانت سمعته في عالم
الذر بحاسة ظاهرة فلما غاب عنها ولم تشتغل بالتسمع الآن لسده اذنيه او
ادركته دويا اخر كما قاله الحكماء فتذكره وجعل تذكره سماعا على طريق
وليس هذا مما يقال بالراي وفي كلام العماد ابن كثير ومعناه من احب ان يسمع خرير
الكوثر اي نظيره او ما يشبهه لا انه سمعه بعينه بل شبهه دويه بدوي ما يسمع
اذا وضع الانسان اصبعيه في اذنيه وقد قلت وانا بالروم نحو

حتى يخوضوا في حديث غيره ... الفاه فيه فدجرى بخريره

يا كوثرا ان سد عنه مسمعي ... الفاه فيه فدجرى بخريره

فصل لربك وانحر امر بالصلاة مطلقا او التهجد وكان الظاهر فاشكر
فعدل عنه لان مثل هذه النعمة العظيمة ينبغي ان يكون شكرها كذلك واعظم
ذلك العبادة واعظمها الصلاة وعدل عن التكلم اذ لم يقل لنا اذ الظاهر
بقوله مخلصا لربك التفاتا نظريا للتسمع وتقوية لداعية الشكر لتقدم

انعامه عليه بالتربية قبل الشكر فكيف بعده وقوله وانحر امر بتقرب
البدن لان النحر يختص بها وفي غيرها يقال ذبح وهذا عبارة عن جميع انواع
العبادة المالية والبدنية ولما راى بعضهم عدم المناسبة غفلة عما ذكر جعل
الصلاة صلاة العيد وقال معنى انحر ضع يدك على صدرك في الصلاة لا لها
تكون تحت النحر وقول بعضهم ان الصلاة وقعت قرينة للنحر كثيرا نحو الصلاتي
ونسكي لا يجدي ان شانيك هو الابتر اي المقطوع العقب والذليل ولم يقل
جعلناه ابتر ليلا يسند الشر لنفسه اعلمه الله بما اعطاه حقيقة او قدر له
او بما هو موجب للعطا فسماه به وتاويله بيعطى بموت هذه النكات شم
شرع في تفسير الكوثر وسرد اقوال المفسرين فيه ولم يقصد بقوله قبل
ذلك تضعيف وانما اراد الحكاية فقال والكوثر حوضه صلى الله عليه وسلم
في القيامة وسياتي بيانه وقيل نهر في الجنة غير الحوض وهو الصحيح
وقيل الخير الكثير فهو صيغة مبالغة من الكثرة في اللغة وخص بالخير
بمقتضى المقام واحسن في تعميمه بقوله وقيل الشفاعة التي هي من خصائصه
صلى الله عليه وسلم في مقام لا يسمع غيره النطق به وهذا اعظم الخير والنفع
واكثره وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة اي العلوم
اللدنية التي افاضها الله عليه فلفيضها بغير واسطة كالقرآن كوثر وهكذا
النبوة والمعجزات فما قيل انه لا وجه للتخصيص فيها وان الظاهر ما قاله
ابن عباس رضي الله عنهما من انه جميع ما انعم الله به عليه لا وجه له ثم انهم
اختلفوا في الحوض وفي الكوثر هل هو شيء واحد او نهران متغايران او نحو
احدهما او الحوض ما حوه من الكوثر وانه يمده بمجاري ثابته منه على اقوال استدل
لكل منها باحاديث تركناها لطولها ثم اجاب الله عنه عدوه تقدم ان العدو يطلق
على الواحد والجمع والمراد سفها قريش والعاص ابن وائل السهمي كما قاله
المفسرون لانه صلى الله عليه وسلم لما مات ابنه القاسم قالوا ان محمدا صار ابتر
اي لا عقب له فنزلت السورة جوابا لهم مصدرة بما اعطاه عوضا عن مصيبته
بابنه القاسم وقيل عبد الله وقيل قاتل ذلك ابو جهل لعنه الله وقيل
كعب ابن الاشرف والسورة نزلت بتمامها جوابا لهم وعن ابن عباس رضي
الله عنهما ان اخرها نزل جوابا لقول ابو جهل بتر محمد وكلام المصنف رحمه الله
ماشي على هذا ورد على القول الاول بانها جواب للعاصي وان الابتر من
لا ولد له وانه قد كان للعاصي اعقب وله وابناه هشام وعمرو وما تا مسلمين

وهشام قد بين الصحيحة اسلم بمكة وهاجر للحبشة وقدم المدينة بعد ما حبسه ابو
وقومه وعمرو قدم هو وخالد ابن الوليد وعثمان ابن طلحة مسلمين فنظر لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال رمتكم مكة بافلاذ كبدها بالمحجة جمع فلذ وهو القطعة
واجاب النجاني بان العاص وان كان له عقب فقد انقطعت عصبته منهم
بالاسلام ولا توارث بينهم وصاروا اتباع النبي صلى الله عليه وسلم لانه ابو لهم وازواجه
امهاتهم كسائر المؤمنين فلا قرابة بينهم وبينه وقد روى انه انقطع نسله كما سياتي
وقد قرى ازواجه امهاتهم وهو اب لهم ولا تنافي بينها وبين قوله ما كان محمد
ابا احد من رجالكم لان المنفي الابوة الحقيقة واجاب غيره بان من قال انه ابتر لم يقصد
ظاهره وانما قصد انه يموت ولا يذكر وقد ورد هذا صريحا به في بعض الروايات
فالرد باعتبار المقصود وان شانيه هو الذي لا ذكر له فان المراد الاب بخبر بعد
موته ولا شك ان عقبه لا يذكرونه بخير بعد اسلامهم واما ما قيل من ان
صدر السورة لا دخل له في الرد فانها كانت نزلت جملة وكيف يقال انها نزلت
للرد فمدفوع بانه لا مانع في الجواب من ان يزاد فيه والاحسن ان يقال انه مؤيد
للجواب وموطئ له اذ المعنى انا اعطيناك عطايا عظيمة في الدنيا والاخرة يجب
عليك شكرها وجعلنا ذلك عبادة وشريعة باقية ومن هذا شانه لا يكون ابتر
انما الابتر من ليس كذلك فان المقصود من الولد الذكر وابي ذكرا بقي من ذكرك واقوى ٣
ولك ان تقول ليس سبب النزول قولهم هذا بل سببه موت ذكور اولاده وقولهم ٣
ثمانة نسته انه ابتر ومعنى السورة مطابق له بنمامها فان من مات من الاولاد
فرط لابائهم يثابون عليه في الاخرة فالمراد انا اعتدنا لك الكوثر لما احتسبته انما هو هم
منهم واللايق بك الاشتغال بالعبادة فان امتك ومن هداه الله بك عقب لك
الى يوم القيامة ومن كان هكذا فليس بابتر انما الابتر عداه واي مناسبة اتم من
هذه ورد عليه قوله انه منقطع العقب والذكر بوجه يتضمن شتمه وتنقيصه
فقال تعالى وفي نسخة قال على الاستيناف او البدل ان شانيك هو الأبتر
لا انت لبقائك وبقاء ذكرك فهو علة لمقدر اي لا تلتفت لما قاله فانه ابتر او هو
استيناف تشاما قبله اي امرتك باشتغالك بالعبادة المالية والبدنية لانها
لا عائق لك عنها من عدوك الابتر وقيل هو مع الامر قبله معطوف على جملة الامر
الاولى وغير فيها الاسلوب تفننا وفيه تكلف وتعريف الطرفين وضمير
الفصل المفيد كلا منهما الحصر ولم يكتف باحدهما لزيادة الاهتمام بنفي
ما ذكر عنه واثباته لعدوه على انف الوجوه ونبح بعض الشراح هنا بامر لا طائل

تحته غير التطويل اي عدوك ومبغضك اصل معنى الشنآن البغض ويلزمه
العداوة في الاكثر وهو الواقع هنا فلذا ذكرهما لانهما مترادفان كما قيل بدليل
قوله انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضا والابتر الحقير
الذليل اصل معنى البتر القطع وفي حديث الضحايا نهى عن المبتورة اي المقطوعة
الذنب ثم استعير لمن لا عقب له وشاع فيه حتى صار حقيقة ومجرد عدم الولد
لا ذم فيه وانما يذم باعتبار لازمه وهو انقطاع العمل لحقارته وذلك كما ورد
في الحديث اذا مات ابن ادم انقطع عمله الى اخره مع ان عقبه صلى الله عليه وسلم من فاطمة
لم ينقطع ففيه رد وزيادة اذ الحقير لا يذكر احد وقيل الابتر مشترك بين
من لا عقب له والحقير وليس ببعيد او معناه المفرد بفتح الراء الوحيد بمعناه
تاكيد له وفي القاموس الابتر الذي لا عقب له او المقطوع الذنب وهذا المعنى
ماخوذ منه ولذا فسر الابتر بالمنفرد الذي لا ناصر له ولا يبلغ ما موله وروى
هذا عن الحسن وسئل اعدا به انقطع باشلا مهم كما مر ومنه ما انقطع بقاؤه
حقيقة او المعاصي كما قالوا او الذي لا خير فيه فلا يذكر احد وفيه مقابلة
وبين قوله الكوثر اذا فسر بالخير الكثير ومن كرامته التي ذكرها الله ما اشار اليه
بقوله وقال تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم
والمثاني جمع مثنى معدول عن اثنين ومن بيانية او تبعيضية اي من جملة الايات
المثاني والقران وصف او اسم وخص السبع بالذكر لفضلها واما كون الفاتحة
لم تكتب في مصحف ابن مسعود كما نقله الامام فلا وجه له قيل السبع المثاني
السور الطوال بكسر الطا جمع طويلة واما بضمها فمفرد كرجل طوال
بتخفيف الواو وتشديدها للمبالغة الاول بضم الهمزة وفتح الواو المخففة
جمع اولى مونث اول وليس الطوال جمع طولى حتى يرد ان جمعه انما هو طول اي
السور الطوال واختلف فيها على هذا القول فقيل هي البقرة وآل عمران
والنساء والمايدة والانعام والاعراف والسابعة الانفال وبراءة معا
بناء على انهما سورة واحدة وقيل يونس وقيل يوسف وضعف ابو العالية
هذا القول بان هذه الاية نزلت ولم يكن اذ ذاك نزل شيء من هذه السور والمثاني
اما صفة القران كقوله كتابا متشابها مثاني ومن تبعيضية او اسم وسمي
وصف القران بها ان قصصه ومواعظه وامره ونهيه تثنى وتكرر فلا تمل
كغيرها من الحديث المعاد او هي المثاني نفسها فمن تجريدية واجيب
بان اعطيناك بمعنى نعطيك في المستقبل عبر به لتحققه وقيل المثاني من

في

الثنا للثناء عليه صلى الله عليه وسلم وعلى اقاربه والعامل به كقوله قران كريم
ومجيد وهذه الاية مكية والسورة مدنية والقران العظيم على هذا التفسير اسم القران
اي الفاتحة وجعلها اما لاشتمالها على معانيه وغيره لك من المعاني التي ذكرها
المفسرون واطلاق القران عليها مخصوصها وهو بمعنى المقرو واما بجعل التعريف
للعهد او لمخصص اخر او لانه جعل علما عليها وان لم يذكره في اسمايها وتفسير السبع
بما ذكر مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما واطلاقه عليها مروي عن ابي هريرة رضي الله
عنه مع تفسير السبع المثاني بها ايضا فانه روى انه صلى الله عليه وسلم قرا عليه
ابي رضي الله عنه ام القران فقال والذي نفسي بيده ما انزل الله في التوراة والانجيل
والزبور والفرقان مثلها هي السبع المثاني والقران العظيم فما قيل انما ذكره في
القران ضعيف مهجور عقلا ونقلا لا يخفى ما فيه وقيل السبع المثاني ام القران
وعليه اكثر الصحابة والتابعين وهو قول الجمهور من المفسرين وورد به الحديث
الصحيح في البخاري وغيره كما سمعته انفا والمراد على هذا انها سبع ايات بعد البسملة
او بعد صراط الذين انعمت عليهم منها وما بعدها اية اخرى على الخلاف المشهور
وياتي انها انما سميت مثاني لتثنيتها في الصلاة وغيره من الوجوه المشهورة والقران
العظيم على هذا التفسير والقول بانه غير مخصوص بها كما مر سابقا اي جميعه او ضم
باقيه بعد الفاتحة وفي كتب اللغة ان الستاير الباقي مهموز من السور وهو البقية
او معتل من السور المحيط فهو بمعنى الجميع وقد ورد كل منهما في كلام العرب وقد اشبعنا
الكلام عليه في درة الغواص وياتي له مزيد بيان في اول الباب الاتي وقول صاحب
القاموس هو الباقي وهم الجوهري في تفسيره بالجميع ليس بشئ والواهم ابن
اخت خالته وكلام المصنف رحمه الله تعالى يحتملهما وما قيل من انه هنا
بمعنى الجميع فانا لا نعلم احدا قال ان السبع المثاني ام القران والقران العظيم باقيه
ليحمل كلامه عليه وان قيل السبع المثاني السبع الطوال والقران العظيم جميعه
امر غريب منه فانهم متفقون على ان القران يطلق على الجميع وعلى معنى كل شامل
له ولبعضه والعطف قرينة قوية على الثاني وخصت بالامتنان بها لشرفها
وزيادة فضلها وثوابها واستمالها على المعاني القرانية اجمالا فالحاصل انهم اختلفوا
في السبع فقيل السور وقيل الفاتحة وعلى التقديرين جوز في القران كونه الفاتحة
او الستاير وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم ام القران هي السبع المثاني والقران
العظيم وفي رواية الذي اوتيته فذهب الاكثرون الى مقتضاه في هذه الاية فوصف
الفاتحة بوصفين قيل والعدول عنه يلزمه التكلف في الحديث والمصنف رحمه الله

عدل عن

عدل عن الاقوال المعتبرة الى تقديم قول ضعيف مهجور بوهم ان القائل بان السبع
هي السور او الفاتحة جزم به في القران بما نقله وليس كذلك فتاويله بان مراده نقلها قيل
في كل مفرد مفردا بعيد مع ان اللايق حينئذ نقل ما قيل في السبع ثم قيل في القران
وانبناك نبا القران فقيل انه اشارة الى السابع ويرده قوله في تاج القرا
والسابع انبا قرون والانبا جمع نبا وهو الخبر والقصص التي قصها الله في القران
لما فيها من الفوايد كما لعبر وتسلية النبي صلى الله عليه وسلم وحكم شتى وغير الاسلوب ٣
اشارة الى معايرته لما قبله تفننا كما قيل اليه في حديث حبب الى من دنياكم ثلاث
النسا والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة فان الثالث ما تضمنه قوله وجعلت
الى اخره وعدل عن الظاهر وقوله وجعلت قرة عيني اشارة الى انه ليس من لذايذ
الدنيا المعروفة فان عد منها لقوله فيها على ما اختاره ابن فورك وغيره كما بين في محله
الاتي وليس هذا تفسيرا للقران العظيم ليشمل ما مر وغيره وارتضاه الشيد عيسى ورده
بعضهم فقال ليس هذا اشارة الى السابع بارادة نبا القرون لان مقتضى النظم
حينئذ ان يترك قوله انبناك ليوافق المعطوف الاخير قبله في الافراد بل هو اشارة
الى ان القران العظيم منصوب بالعطف على سبعا من المثاني والمعنى انبناك القران العظيم
وزاد نبا بمعنى شان لتعظيمه والنبا يكون بمعنى القران كما فسر به في قوله عم يتساءلون
عن النبا العظيم وقيل سميت ام القران مثاني لانها تثنى في كل ركعة فقيل
الاولى ترك الواو لانهما معا انها قول اخر في تفسير الاية مع انه بيان لوجه تسمية
الفاتحة مثاني وكونها سبع اياتٍ تقدم منا بيانه وفي نسخة تثنين كل ركعة باسقاط
في ونصبه على الظرفية المجازية والركعة على ظاهرها والمراد في كل ركعة بعدادها
او الكل المجموعي والمراد بالركعة الصلاة اطلاقا للجزو على الكل بخروج صلاة الجنازة
والمامور عند ابي حنيفة لكونها على خلاف الاصل المتبادر بكمالها والركعة الواحدة
لا تسمى صلاة وقد فسر قوله تعالى واركعوا مع الراكعين بصلوا مع المصلين
للامر والتشبيه من جعل الشي مثانيا كرتبتهم وشلثتهم اذا كنت رابعهم او الثهم
او بمعنى التكرير او من التثنين بمعنى العطف قيل او التكرر مضمون لها في القران
او هي من الثنا بها او عليها وتثنين بضم اوله وفتح ثانيه والتشديد او بسكون ثانيه
والتخفيف وعليه اقتصر التلمساني وقيل الله بل الله استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم
فالمثاني من الاستثنا المعروف واصله التثنين بمعنى العطف واستثناها بمعنى ميزها
واخرجها من بقية كلامه وخصها بذا الوجه مجتبين وفي نسخة او خرها بالمهملة
المشددة والمعنى والاصل واحد من الذخر وهو ما يدخر من النفايس والمراد انها اختارها

او حفظها او لهديد لها لغيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام ولذا قال له اي لمحمد
صلى الله عليه وسلم لتتريلها عليه دون الانبيا وروى دون سائر الانبيا فلم يدخرها
ويعطها لغيره لتميزه من بينهم وفي الحديث نادى رسول الله عليه وسلم ابيا رضي الله
عنه وهو يصلي فلما فرغ لحقه فوضع يده على يده وهو يريد الخروج من باب المسجد وقال
اني لارجوا ان لا تخرج من المسجد حتى تعلم سورة ما انزل الله في التوراة والانجيل مثلها
فجعلت ابطي في المشي رجاء ذلك ثم قلت يا رسول الله التي وعدتني فقال كيف تقرا اذا
افتتحت الصلاة فقرا ان عليه للحمد لله رب العالمين الى اخره فقال هي هذه وهي السبع المثاني
والقران العظيم الذي اعطيت وبه استدل على خروج البسملة منها وفيه كلام ليس هذا محله
يعني انها اشتملت على ما لم يكن في غيرها ولها من الفضل واجابة الدعا بها ما لم يشاركها
فيه غيرها كما ذكره مشايخ الصوفية والخرقي حتى قال ابن برجان في تفسيره لو قيل لك
ان احدا احيي لها الموتى فاياك من انكاره ومن اطلع على تفسيره فهم ما قلناه فالاعتراض
بان هذا لا يختص بالفاتحة لوجوده في سائر السور ساقط وسمي القران مثاني اي في
هذه الاية ونحوها دفع لما يتوهم انه سمي به لما مر او هو جواب سوال مقدر لان القصص
بكسر القاف جمع قصة وهو الظاهر من القصص وهو الاتباع لاتباع الحاكي الخبر
للاثار وروى بفتحتين كقوله نحن نقص عليك احسن القصص ففوله تبيين فيه
بالياء التحتية والضمير للقران وعلى الاول بالمثناة الفوقية والرواية هنا كما قيل
بتشديد النون لاغير والقصص مطلق الحكاية ويخص في العرف بحكاية اخبار الامم
السالفة ومجرد هذه المناسبة كافية في تسميته مثاني فلا يرد عليه انه ذكر فيه غير
القصص كالفرايض والحدود والامثال وقد ذكروا هذا وجها لتسمية الطوال مثاني
فلعله اقتصر في كل منهما على وجه ليعلم اجراكل في كل يقينا والقول بان وجه التخصيص
لها انها مع اعجازها لا ترد اذا لتها الا رغبة ومحبة فيها وغيرها من القصص لوكرر
محه الطبع وهذا كلما كررته يحلو كما قال الشاطبي

وخير جليس لا يمل حديثه ... وترداده يزداد فيه تجملا

لا يخفى ما فيه ولك ان تقول الاحكام لازمة لامة عظيمة فتكرارها ليتعلموها وتثبت
في حفظهم بخلاف القصص ونحوها من الامثال الا ترى ان الاستاد يفرد المسئلة
مرارا على الطلبة لهذا وقيل السبع المثاني معناها في قوله ولقد اتيناك سبعا من
المثاني انا اكرمناك بسبع كرامات هذا مروى عن الامام جعفر الصادق فاتيناك
بمعنى اعطيناك تكريما لك لانها كالهدية التي ترسل للكريم وكان الظاهر ان يقول
سبع اكرمك بها او اتيناك بمعنى اكرمناك فالسبع مبتدا ما بعده خبره بتقدير مضاف

اي معنى

اي معنى اتيناك السبع المثاني اكرمناك الى اخره وقيل السبع مبتدا وقوله
الهدى الى اخره خبره وقوله اكرمناك جملة معترضة وقيل انه بدل بعض من السبع
او خبر مبتدا مقدر وعن الامام جعفر انه قال السور في هذا انه ذكر في هذه السور
لجهنم سبعة ابواب فذكر سبع كرامات اشار الى ان من اكرم بها امن من تلك الهدى
والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة يجوز فيه الحركات
الثلاث وهو ظاهر والهدى ما هداه الله اليه من المعارف والدين والمراد بالنبوة
نبوته صلى الله عليه وسلم الكاملة المختصة به الخاتمة الناسخة لما عداها والرحمة
العامة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين او ما طويت عليه جبلته والشفاعة
العامة والخاصة كما سياتي والولاية بفتح الواو وكسرها كما مر ولاية الله له
بنصره او توليه لجميع امورهم بحيث صار اولى بهم من انفسهم او الولاية التي هي
صفة له كالنبوة والتعظيم جعل الله اياه اعظم من سائر خلقه والسكينة الوقار
والهيبة بحيث يخافه كل من يراه وهو لا يخاف الا الله قيل تخصيص هذه الامور
وتغايرها مع امكان اندراج بعضها في بعض يحتاج لسند ودليل فتدبر وقال تعالى
وانزلنا اليك الذكر الاية لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون وهذا متعلق
بالاية المذكورة ومناسبة لما بعدها لدلالتها على عموم الرسالة اذ لا عهد ولا تخيير
اي لتخبر الناس بالوحي ولا تكتم شيئا منه او لتبين لهم ما فيه من التكاليف والشرايع
قيل اورد في هذه الاية الانزال والتنزيل بمعنى وقد فرق بينهما بان التنزيل ما كان
تدريجيا والانزال ما كان دفعة واحدة وهذا بحسب الاصل وقد يرد كل منهما
بمعنى الاخر وتفصيله في شروح الكشاف ووضع فيه الظاهر موضع المضمر اي
لتبينه اشارة لتغايرهما لان المنزل لفظه والمبين معانيه واحكامه والمعاني
منزلة منقطا لالفاظه ولا حاجة لتقدير مضاف فيه وقال تعالى وما ارسلناك
الا كافة للناس بشيرا ونذيرا الكافة ما خوذة من الكف وهو المنع او الجمع والاحاطة
كما قاله الهروي ومعناه جميعا وتاوه للمبالغة كعلامة وهي في الاصل للتانيث
نظرا للغاية والنهاية او الجماعة وهو منصوب على الحالية من المجرور المتاخر
او من الضمير المنصوب او هو صفة مصدر مقام مقامه اي ارساله كافة وفي المعنى
انها تحتمل ان يعقل وهم الزمخشري في جعلها صفة لارساله وذكر بعض النحاة
انها تلزم الشكر والحالية وتبعه الحريري فجعل تعريفها والاضافة اليها لحن وليس
كما قالوا فانه سمع بخلافه كما فصلناه في شرح الدرة وانما قد لتدخل على المقصود
حصره ولو قيل وما ارسلناك الا للناس كافة او هم بعض الارسال لغير الناس وهو

غير صحيح وقيل المعنى وما ارسلناك الا جامعا للناس بالدعوة وكافا لهم عن
المعاصي والمراد جميع بني آدم او ما يشمل الجن وانما خصوا على الاول لانهم المقصودون
بالذات وليس المراد اهل زمنه كما توهم وقال تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله
اليكم جميعا تقدم ما يعلم منه انه لا يعترض على ذلك بان ادم ونوحا كانا مبعوثين
الى اهل الارض بعد الطوفان لانه لم يبق الا من كان مؤمنا معه وهو مرسل اليهم لان العموم
لم يكن في اصل بعثته وانما اتفق لحادث وقع وانما نبينا صلى الله عليه وسلم فعموم رسالته
من اصل البعثة واما كون ثمة رسول غيره في اثناء مدته فيحتاج الى النقل او المراد بقاء
شريعته بحيث لا يظهر ما يخالفها ناسخ الى غير مدة لما فصله ابن حجر في شرح البخاري والخلاف
في خطاب يا ايها الناس ونحو هل هو للموجودين وبيثت لمن بعدهم بدليل آخر كاجماع
وقياس ونص آخر او للجميع ويدخل فيه الرسول صلى الله عليه وسلم وان كان مخاطبا بقال لانه
يلزمه ما يلزمهم بطريق الاولى ما لم يعرض له مخصص ولا حاجة لتخصيص الناس بالمكلفين
كما قيل لدخول الصبي في بعض الاحكام قال فهذه اي الصفة او البعثة العامة من خصائصه
جمع خصيصة وهي ما لم يشاركه فيه غيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام كما عليه اكثر
اهل الملة للحديث الآتي ومر الكلام على بقضه اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي نصرت
بالرعب وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا واحلت لي الغنائم واعطيت الشفاعة
وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس كافة وروى عامة وقد تقدم
ما يرد عليه وجوابه وقوله فيه وكان النبي الى آخره المراد به الاستغراق لانه ورد وكان
كل نبي وهو صريح فيه فلا وجه لقول الامام الخاصة بجموع ما ذكر فلا يلزم اختصاص
عموم البعثة به صلى الله عليه وسلم وقد وقع مثله للاودي في شرح التسعين قال
ابن حجر رحمه الله وهو غفلة عظيمة منه فانه نظر الى اول الحديث وغفل عن آخره
فانه نص على خصوصيته بقوله وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وما قيل من انه احتمال
يعتد به لا يظهر لتخصيص الخمس زيادة والاربع والاثنين لحرى جليل فائدة غير منجه لانه
اذا سلم عموم رسالة ادم ونوح يكون له فائدة واي فائدة وقد دفع بما مر وقيل المراد
بالناس من في زمنه الى يوم القيامة وهذا لو لم يكن لغيره صلى الله عليه وسلم وهذا امر
غير بقاء الشريعة لا عينه كما توهم او يقال هو مبعوث لجميع الناس من قبله ومن بعده
بحيث لو ادركه من قبله لزمه اتباعه او هو مبعوث الى الاصناف والاقوام واصحاب
الملل المختلفة وادم ونوح عليهما الصلاة والسلام ليسا كذلك اقول هذا الكلام
لا طايل تحته اقاربه الاول بانما ذكر هو غير بقاء الشريعة فليس بصحيح لان مراده
النفاع العموم ولم يصرح به لظهوره واما جوابه الاخير فظاهر الفساد وقال

تعالى

تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه اي الا بلغة من بعث اليهم
ليبين لهم ما بعث به اليهم واما نبينا صلى الله عليه وسلم فبعث الى قومه وغيرهم
من جميع الامم كما عرفته فخصهم بقومهم وبعث محمد صلى الله عليه وسلم الى الخلق
كافة الانس والجن والملك كما سيأتي تحقيقه وقيل كلامه يقتضي ان غير نبينا
صلى الله عليه وسلم مبعوث بلسان من بعث اليه ونبينا صلى الله عليه وسلم
بعث الى الخلق فيخصص الرسول بغيره وهو مخالف للظاهر ولما عليه المفسرون
ويقابل على غير النهج المعروف مع انه شامل لنبينا صلى الله عليه وسلم ايضا فانه
لسانه عربي وكتابه عربي ليأخذه عنه قومه بغير واسطة وينقل نقلا مستفيضا
ولا دلالة فيه على تخصيص بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام بقومهم
والنبي صلى الله عليه وسلم وان ارسل الى الناس كافة يكون لسانه ولكنا به واحدا
لا ينافي فهم معانيه لغير قومه بالترجمة واتى بغير لغته فات اعجازه
المقصود منه واجيب عنه بانه مقطوع على قال الاخير نا ظرا اليه مبنا
لضعفه فانه فسر بما ذكر كما نقل عن تفسير تاج القراء وفيه بحث كما قال صلى الله
عليه وسلم فيما رواه البخاري واحمد والبيهقي بعثت الى الاحمر والاسود اي
العرب وغيرهم او الانس والجن كما مر وقال تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم
يدخل فيه النساء على ما بين في الاصول لانهن تبع لهم في الاحكام فيدخلن هو
بالتغليب وان ذهب بعضهم الى انهن لا يدخلن في مثله الا بدليل وقرينة
لظهور انهن يعلمن بالطريق الاولى الا ان قوله وازواجه امهاتهم مرجع الضمير
فيه لذكور المؤمنين فقط لان المراد تحريم نكاحهن وهو خاص بالذكور ولذا
لم يشمع امهات المؤمنات وقيل انه عام ايضا وهي امهات للمؤمنين والمؤمنات
واقتصر على الاول واكتفى به لانه الاهم الاشهر فيجوز اطلاقه عليهن ايضا وقوله
من انفسهم المراد به ذواتهم وازواجهم يعني انه صلى الله عليه وسلم تقدم عند كل
احد على نفسه وليس المراد انه اولى من بعضهم ببعض نفوذ حكمه وطاعته كما قيل
في قول فسلموا على انفسكم اي ليسلم بعضكم على بعض وان جاز فان الاول ابلغ فيما ذكر
وهذا معنى ما قيل هو اولى بالمؤمنين فيما قضى فيهم كما انك اولى بعبدك فيما
قضيت وهو قريب من قول المصنف رحمه الله قال اهل التفسير اولى بالمؤمنين
من انفسهم اي فيما افعله فيهم فهو ماض عليهم كما يمضي حكم السيد على عبده
فيفعل ما يأمره به ويختاره على ما يريده ويختاره لنفسه فكان احق بكل احد
من نفسه ومضى الحكم يعني نفاذه وجريانه وهذا معنى اشتهر حتى صار حقيقة

من مضى السيف او السهم واصل معنى المضى الذهاب واولى بمعنى احق وقيل ان من
الولاية والتسلط وان ما ذكر مبنى على قول العرب السيد اولى بعبده من نفسه اى
نافذ فيه حكمه فحمل الاية عليه مجازا او كناية وروى ان سبب نزول هذه الاية انه
صلى الله عليه وسلم لما امر الناس بالخروج لغزوة تبوك قال قوم نستأذن ابانا وامهاتنا
فنزلت اى طاعة الرسول اوجب عليكم من طاعة ابيكم وامهاتكم وانفسكم وليس
فيه تاييد للتفسير الثانى كما توهم وقيل اتباع رايه اولى من اتباع راى النفس
هذا مروى عن ابن عباس رضى الله عنهما بالمعنى فالاولى هنا بمعنى اولوية اتباعه
وقيل اولوية محبته وقيل معناه ارافق واعطف والاحسن ما فى الكشاف من انه
صلى الله عليه وسلم اولى بهم فى جميع امور الدين من غيره فانه سبب حياتهم الابدية
وفى البخارى انه صلى الله عليه وسلم قال ما من مومن الا وانا اولى الناس به فى الدنيا
والاخرة اقرءوا ان شئتم النبى اولى بالمومنين الاية فايما مومن ترك مالا فليرثه
عصبته فان ترك دينا او ضياعا فليأتنى فانا مولاه قال القرطبى هذا تفسير الولاية
والاظهر بقد عروس والظاهر كما قيل ان التفريع على الولاية الاولوية العامة لا التقييد
فلا ينافى ما سبق وفيه اشارة الى ان مقتضى الاولوية ان يراعى فى جانب الرسول ايضا
ومعاملتهم معهم لينتفعهم اكثر من نفعهم لهم حيث رد على الورثة المنافع وتحمل المغارم
والتبعات فافهم وقوله وازواجه امهاتهم اى حقا وفى نسخة هم وهو سهو ولكونه
للفظ الازواج لا وجه له اى كالامهات فى التعظيم وحرمة النكاح لا الارث والنفقة
والنظر والخلوة لانه الحجاب ولا يقال لبناتهن اخوات على ما يأتى وفى كونهن امهات
قولان تقدمت الاشارة اليهما قريبا والى ما ذكر اشار بقوله فى الحرمة كالامهات حرم
نكاحهن عليهم بعده اى بعد نكاحه او بعد وفاته صلى الله عليه وسلم كما سيأتى
واختلف فيمن طلقها قبل الدخول على قولين او اكثر جوزه كثير من الشافعية
وبه قضى عمر رضى الله عنه نكومة له وخصوصية بضم الخاء وفتحها اى هو مخصوص
به صلى الله عليه وسلم دون غيره من الامة مما يقع لبعض جهلة الصوفية من منع تزوج
المرء زوجة شيخه جهلا منهم وترك ادب والمراد بالحرمة حرمة النكاح اى تحريمه
لقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا وفى
خصائص الامام الحضرمى اختلف فى تعليل ذلك فقيل لانهن امهات المومنين قال
تعالى وازواجه امهاتهم اى مثل امهاتهم فى وجوب احترامهن وطاعتهن
وقيل لما فى احلالهن لغيره صلى الله عليه وسلم من النقص لمنصبه وقيل لانهن
ازواجه صلى الله عليه وسلم فى الجنة كما ذكره غير واحد من المفسرين والفقهاء الا ان المراة

فى الاخرة لا خلاف واجماع فى الدنيا كما قاله القشيرى وورد به التصريح فى الحديث
وقيل لاجل انه صلى الله عليه وسلم حى ولذا حكى الماوردى انه لا يجب عليهن عدة
الوفاة واختلف فيمن فارقها فى حياته صلى الله عليه وسلم كالمستعيذة منه على
اقوال ثلاثة احدها وهو مروى عن ابى هريرة رضى الله عنه انها تحرم فالتقدير
من بعد نكاحه لوجوب محبة النبى صلى الله عليه وسلم وزوج المراة الثانى يكره
الاول فيودى لكفره قال النووى رحمه الله وهو الارجح والاشبه بظاهر
القران الثانى انها لا تحرم فالبعدية محضوصة بما بعد الموت والثالث انه
يحرم المدخول بها دون غيرها وكذا اختلف فى الامة الموطية به صلى الله عليه وسلم
بغير نكاح على ثلاثة اوجه فقيل لا تحل لغيره كمارية رضى الله عنها وقيل تحل فانها
لم تسلم ام المومنين لنقصها بالرق واموتهن لا تتعدى فلا يقال لبناتهن
اخوات ولا لاخواتهن اخوال فلا يقال معاوية رضى الله عنه خال المومنين وفيه
خلاف ايضا واما كون النبى صلى الله عليه وسلم ابا للمومنين فقال الواحدى لا يسمى به
لقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم والقراءة به منسوخة لفظا ومعنى وقيل
يجوز والمنفى الابوة الحقيقية انتهى وبانى هذا الاخير فى قوله وقد روى فما
قيل الحرمة للاحترام فيشمل التعظيم وعدم الايذاء وحرمة النكاح فانه فيه ولا اكتفى
بحرمة النكاح لانه مقصود ومخصوص بهن وقال ابن كثير لا يقال لهن امهات
النساء لعدم العلة فيهن وهى حرمة النكاح ورجح ابن حجر وقال القرطبى الظاهر
التعميم اذ لا يختص بالرجال مدفوع بما مر فان اريد التشبيه فى التعظيم فلا منع
والا فلا الا انه يوهم انه مراد فى الاية كلام غير محرر لما سمعته انفا وقوله
ولا نهن له صلى الله عليه وسلم ازواج فى الدنيا والاخرة احد الاقوال فى الاية
كما عرفته والامهات جمع ام قيل اصله امهة ولذا تجمع على امهات واجيب بزيادة
الهاء وان الامهات للفرق وبانى لذلك مزيد بيان والوجه ما فى الباريع ان فيها
اربع لغات ام بضم الهمزة وكسرها وامه وامهه فالامهات والامات
لغتان ليست احداهما اصلا لاخرى ولا حاجة الى دعوى حذف ولا زيادة
فى المصباح وقد روى وهو اب لهم اى قرى فى الشواذ وهى وجهين فقرا ابن عباس
رضى الله عنهما النبى اولى بالمومنين من انفسهم وهو صلى الله عليه وسلم اب لهم
بدون وازواجه امهاتهم وقرا ابى رضى الله عنه النبى اولى بالمومنين من انفسهم
وازواجه امهاتهم وهو اب لهم فجمع بينهما فقول بعض الشراح قراها ابى
وابن عباس رضى الله عنهم من غير تمييز بين القراءتين خلط موهم وقد علمت الكلام فيه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وابوته صلى الله عليه وسلم براقته ورحمته لهم اولكون ازواجه امهاتهم اولكونه
سبب حياتهم الحقيقية الابدية وفي سنن ابي داود انما انا لكم بمنزلة الوالد
اعلمكم حكم الشاذ ولا يقرا به الان لمخالفته المصحف وروى ان عمر رضي الله
عنه مر بغلام ليقراها فقال للغلام حكم من المصحف والمراد بالمصحف مصحف
عثمان رضي الله عنه المتواتر بالاجماع ومخالفته له ايضا بعد تواتره ونسخ تلاوته
ولفظه ومعناه على قول كما مر قبل وانما نسخ ليلا يوهم حرمة زوجة الولد فتامل
وقول النجاني انهم اجمعوا على قراءة ابي رضي الله عنه المذكورة مما نسخ من القران
مع ان مضمونه خبر مجمع على انه لا يصح نسخه ليس بشئ لانه نسخ الخبر خلاف
مقرر في الاصول ولو سلم فيلزمه احكام يصح نسخها كلاوته وتسميته به وجواز
الصلاة به وقد قال الله تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الاية وعلمك
ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما والكتاب القران والحكمة الشريعة والسنة
كما مر وهذا كقوله في سورة اقرا علم الانسان ما لم يعلم ولما كان التعليم
انما يحصل به ما لم يعلم ورد السؤال على الايتين والفرق بينهما فقيل المراد
بما لم يعلم ما لم يقدر على علمه من الخفايا او ما لم يتصوره ولم يكن مطلوبا لك
فبعده كما مفعول وقيل لو قيل ما لم تعلم اي ما كان مجهولا لك افاد فايدة
تامة حسنة لدلالته على اشراق نور العلم ورفع ظلمة الجهل والمراد ما لم نعلمه بقوة
نفسك واجتهادك واما ذكر الكون في اية النساء دون اية اقرا لا سيما اذا اريد
بالانسان نبينا صلى الله عليه وسلم فقط فلان الثانية وردت في مقام خال
اعتبار القوة والاجتهاد فلا يناسبه ذكر الكون والاولى وردت فيه اقول
هذا السؤال غير وارد اصلا ولذا لم يعتن به جهابذة المفسرين كالزمخشري الا
انا نقول في تحقيقه ان بقي الكون ابلغ من نفي الشئ نفسه فان الثاني يصدق
بما بقي به على عهده الاصلي لم يشم رائحة الوجود والثاني يشمله وما عدم بعد
وجوده والاول ابلغ ولما كان المنفي علمه اولا علمه بالدين والحكم والوحي ونحو
ما لم يتيسر لمن شاء من امته ولا يمكن بغير عناية الهية اشار في الاول الى ان
انتفاءه عنه امر محقق مقرر فتوى فاكده بذكر الكون ولذا امتن به عليه وجعله
فضلا عظيما ولما كان الثاني قابل الوجود متيسر الكسب لان الانسان قابل
القراءة والتعلم وصفة الكتابة لم يؤكده لان انتفاءه امر اتفاقي واما في الغاية
في المفعول فظاهرة اد ليس المراد بها امرا قابل امرا عظيما معلوما بخصوصيه
ماقبله وانما ابهم ليدل على عظمته كما في قوله فاوحى الى عبده ما اوحى فلا حاجة

لقوله في

لقوله في عروس الافراح انما ذكر لانه اوضح في الامتنان والا فالاول ابلغ فيرد ذكره
لان التعليم انما يكون لما لم يعلم لان ما لم يكن يعلم فيه اشعار بانه لو لا تعليمه
لم يحصل العلم به لانه علم خفي لا يمكن الاحاطة به الا لعلام الغيوب وهو
بعيد اذ ربما يتوهم انه يحصل العلم به من غير تعليمه له تعالى وربما ورد
بانه مثل الاية تذكره لافادة العموم كما في قوله وما من دابة في الارض الا
اخره وبما قررناه لك تبين ان كلام المفسر قبل فضله العظيم في هذه الاية
بالنبوة مطلقا فانها اعظم النعم التي تفضل بها او بنبوته الخاصة به الكاملة
وقيل بما سبق في الازل الازل مولد وهو القدم والوجود الذي لا اول له قال
في المجمل الازل القدم وبقال هو ازلي والكلمة ليست بمشهورة في كلام العرب
والحسب انهم قالوا في القديم لم يزل ثم نسب اليه فلم يستنكروا الا باختصاره
وقالوا ايزلي ثم ابدلوا الياء الفا وقالوا الازل اسم لما يضيق العقل عن بيانه
من الازل وهو الضيق فهمزته اصلية والمراد بما سبق ما سبق للنبي صلى
الله عليه وسلم في علمه وتقديره من كل ما اعطاه الى الابد فيعم جميع ما انعم
الله به عليه اذ لا مخصص وقيل المراد ما اعطاه له وسبقه باعتبار تقدير
ففيه مضاف مقدر وهو تقدير وعلى الاول الامتنان بالتقدير صريحا وبالقدر
ضمنا لقدم متخلفه عنه ولفظة كان تدل في مثله على الازلية في حق الله
كما صرحوا به واشار الواسطي رحمه الله تقدم ذكره وترجمته والاشارة في
اللغة الايما الى الشئ بغير نطق ويكون في كلام المصنفين مقابلة للتصريح
والمراد هنا مطلق الذكر وعبر به مشاكلة لما بعده الى انها اشارة الى
احتمال الرؤية وضميرانها للاية وقيل لكلمة الفضل والاحتمال فسر بالطاقة
والقدرة على رؤية الله ومشاهدته ليلة المعراج على قول من قطع بانه راه
ببصره ولما كانت هذه من اجل الفضائل واخصها به حمل الفضل عليها
وان كان فيها اختلاف الا انها لما كانت عند المصنف رحمه الله تعالى
راجحة لم يلتفت الخلاف فلا يرد عليه انه تفسير للمقطوع به بالمحتمل فلا اعتراض
على الواسطي رحمه الله بانه لا دلالة في النظم على ما ذكره غير متجه وحمل
الرؤية على القلبية التامة يابا ه ظاهر قوله التي لم يحتملها موسى ابن عمران
عليه الصلاة والسلام حيث قال لن ترانى الى قوله فخر صعقا وموسى ممنوع
من الصرف للعجمة والعلمية ووزنه كاموتنى وهو بالعبرانية فغير الماوتا
وهو للمانسي لان امه القته في ما النيل في صندوق من خشب الشجر والقول

انه كلام فشتي

بيان وهو للمانا وهو الشجر في

والقول بانه من ماء عيسى اذ الخبر ومنع صرفه لالف التانيث بعيد جدا واما موسى
بمعنى الله الحلق فعربي في وزنه اختلافا وعندهم وفي معربات الجواليقي ان موسى لم يسم
به احد من العرب قبل الاسلام وبعده سمي به تبركا لاسما الانبياء عليهم الصلاة والسلام
قال التجاني اكثر المفسرين على ان الفضل العظيم عصمة الله للنبي صلى الله عليه
وسلم عن ان يصله احد من الكفرة لقوله قبله ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت
طايفة منهم ان يضلوك وهذا اخر الباب الاول فالحمد لله على تيسير شرحه
وحقايقه ودقايقه الرايقة وشفا عليل الصدر من مواياه موارد فضايل سيد
الخلق الفايقة وانا ارجو ابركته صلى الله عليه وسلم وبمن صفاته ان يشرح صدرنا
ويسر امرنا ويفيض علينا من بركاته امين الباب
الثاني في تكميل الله له صلى الله عليه وسلم المحاسن جمع حسن على خلاف القياس وجمع
مفرد مقدر لوسيع كما تقدم والحسن المحسوس مناسب الاعضاء وكونها على صورتها الاصلية
مع صفا البشرة واعتدال القامة وفي ذكر التكميل اشارة الى ان النوع البشري مخلوق
على الكمال في احسن تقويم وصورة هذا الحبيب صلى الله عليه وسلم وسيرته
في غاية الكمال وكون النوع احسن لاينافي التفاضل والتفاوت بين افراده
حتى ذهب بعض الحكما الى ان كل فرد من افراده ماهية مستقلة خلقا بفتح
الخا وسكون اللام ولتقدمه لتقدمه على ما بعده في الوجود وهو منصوب على
التمييز اي من جهة المخلوقية وليس بمعنى المخلوق كما توهم وخلقه صلى الله عليه
وسلم على احسن ما يكون كما قال فيه ابو العباس الاشبيلي رحمه الله تعالى ونفعنا
ببركاته في الدنيا والاخرة قال رضي الله تعالى عنه

من انت محبوبه من ذا يغيره ... ومن صفوت له من ذا يكدره

هيهات عند ملاح الناس تشغلني ... والكل اعراض حسن انت جوهره

وخلقا بضم الخا واللام ويسكن تخفيفا وهو في الاصل الطبيعة والجبلة ويطلق
على الصفات المعنوية الراسخة في النفس وهو للنفس والصورة الباطنة واو
واوصافها بمنزلة الخلق للصورة الظاهرة ورتب الثواب والعقاب على هذه
وقال الراغب هما في الاصل بمعنى وخص المفتوح لقوى الهية والصورة المدركة
بالبصر والمضموم بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة وهو كيفية راسخة في النفس
مقتضى سهولة صدور الافعال عنها من غير احتياج لفكر وروية ويطلق على ما يترتب على
تلك الكيفية ويخص في العرف بما يتعلق بمعاشرة الناس كما سياتي وقال الامدي رحمه
الله في كتاب الموازنة جمال الوجه وحسنه مما يتمدح به لانه يتيمن به ويدل على الخصال الممدوحة

ابن اقبرس

بيان الكيفية

سيد

ويزيد في الهيبة والذمامة يذم بها العكس ذلك وقد غلط فيه من توهم انه لا يدخل
في مدح العظما انتهى قلت وقد اشار الى هذا في الحديث الشريف بقوله
صلى الله عليه وسلم اطلبوا الحوايج عند حسان الوجوه وسر الصرصري في قوله

الا يا رسول الاله الذي ... هدانا به الله من كل تيه
سمعنا حديثا من المسندات ... يسر فواد النبيل النبيه
وانك قلت فيه اطلبوا الحوايج ... عند حسان الوجوه
ولم ار احسن من وجهك الكريم فجد لي بما ارتجيه

فان قلت قول الراغب رحمه الله ان هذين المصدرين وضعا للهيئة ينافيه
قول النحاة ان الهيئة والمصادر يعبر عنها بفعل بكسر الفا كالجلسة قلت
لا منافاة بينهما فان الهيئة التي ذكرها النحاة هي الهيئة العارضة في الافعال
لا الخلقية وقرانه بكسر القاف كما علم تماما مجرور معطوف على تكميل اي جمعه
اجمع الفضايل الدينية الممكنة اللايقة به والدينية المتعلقة بدين الاسلام
والدنيوية المنسوبة للدنيا المعروفة وفيه وفي امثاله ما رابعه الف تا
كحلي اذا نسب اليه ثلاث لغات دنى ودنيوي ودنياوي كما فصل في كتب
العربية يشفيها حال من قرن الفضايل متناسبة منتظمة وفسرها
التلمساني تبعا ولا وجه له وقد تقدم الكلام فيه اعلم ايها المحيط بهذا النبي الكريم
ان ارباب المصنفين كما تقدم انهم يانون به في ابتدا الكلام لتنبيه السامع
وتنشيطه لاهتمامه بما يلقونه له والمخاطب به في ساله هذا الكتاب
او كل سامع فهو عام لكل من يصلح الخطاب له وكونه خطابا لنفسه على التجريد
بعيد مع مخالفته لدايهم والكريم الشريف العظيم او الجواد الباحث اي الطالب
المتفحص عما خفي لان اصله كما قاله التلمساني الفاحر للتراب لشي تحته عن
تفاصيل جمل قدره العظيم جمع تفصيل المصدر تفعيل من الفصل وهو تبيين
الشي وافراده عن غيره ثم استعمل في تبين كل امر ما سبقا افراده وتوضيحها
ويطلق على التبين نفسه وجعل جمع جملة وهو الامر المجموع في عبارة مختصرة فهو بمعنى
الاجمال فما قيل ان المشهور من مقابل التفصيل والفصل الاجمال والجمل فالاليق
اجمالات او مجملات قدر الا ان يريد بالجمل المجمل وهو ما اشتمل على متعدد بلا تمييز
لا وجه له وقدر وقدر بالسكون والفتح مقدار الشي ومماثله وحرمته ووقاره
كما في المصباح ومنهم من فسر هنا بمبلغه من الكمال والمرتبة والمراد تفضيل
ما جمع من انواع صفاته صلى الله عليه وسلم كعلمه وحلمه ان خصال الجمال والكمال

في البشر وفي اكثر النسخ الجلال بلا مين وان وما معها مفعول اعلم والخصال جمع خصلة وهي الصفة المعتادة محسوسة كانت امرا او الجلال العظمة والجمال ما يستحسن به والكمال التمام فيما يفضل به الشيء على غيره وخص البشر لان مجموع ما ذكر مختص به ولانه المقصود بيان حاله وقد تقدم عن الاصمعي ان الجلال لا يجوز ان يوصف به غير الله ولم يسمع في غيره وخالفه فيه اكثر اهل اللغة لوروده في كلامهم كقولهم فلان اجلال هيبة لجلاله ولاذ اضياع هن بنون كن للفقد نوعان مخصرة فيهما وان توهم كثير من الشراح انها اربعة لانها اما ضرورية او كسبية وكل منهما اما دنيوي او اخروي حتى اعتد بعض بعضهم انها قضية مهملة في قوة الجزئية فالمراد بعضها الغالب فيها وهذا ناشئ من عدم تدبر كلامهم فانها وان كانت اربعة الا انها في الواقع لا تخلو اما ان توجد عند كل الدين منسوب للدين وهو وضع الهي سابق لهم باختيارهم الى ما هو محمود فلا يكون ضروريا والدنيوي لا بعد منه من صفات الكمال الا ما كان جليا او ملحقا به وما عداه غير معتد به فسقط منه قسمان وسيأتي معنى الالحاق وتحقيقه والمراد بالنوع القسم لا النوع المنطقي احدهما ضروري منسوب للضرورة وهي هنا اعم من شدة الحاجة ومن عدم الاختيار وليس المراد به ما يقابل النظري كما توهم فان الضرورة لها معان منها هذا قال دنيوي لا يتعلق به ثواب وكمال اخروي من حيث هو اقتضت الجبلة قال التلمساني اقتضت بمعنى دعت اليه والمقتضي والداعي والسبب بمعنى واحد قيل ظاهره ان الطباع اسباب للخصال ودون اثباته خرط المعتاد وفيه مثل هذا قال الحكما والمراد ان الله تعالى خلقه فيه من غير اختيار وعبر بالاقتضاء على طريق الاقتران ولقده دقق في غير محلها لان الجبلة ما جبله الله عليه وخلقه فاله لما ذكره من غير دندنة قال البرهان الحلبي الخلطة الخلقة قال تعالى واتقوا الله الذي خلقكم والجبلة الاولين والمطبوع على الشيء لا يتحول عنه كالجبل والمراد جبلته صلى الله عليه وسلم او جبلة ما يتعلق به كارضه وقومه وفي الجبلة لغاته ذكرها الصاغاني في كتاب المعاد جبلة بضمتين مشددة اللام وجبلة بزنة فعيلة بتثليث الجيم وسكون وجبلة بكسرها مع التشديد وضرورة الحياة الدنيا قيل انه عطف تفسير والمراد بما اقتضته الجبلة ما لا يمكن الحياة بدونه والاظهر انه قسم اخر للضروري الدنيوي لم يقتضيه ولا يرد عليه ان ينبغي عطفه بالاول العطف في التقسيم بالواو كثير لا جماع الاقسام في نفسها وكسبي دنيوي اخروي حصل له في حياته بعد ان لم يكن حاصلا قيل انه شامل لما هو جهد ره وما هو وهبي فيشمل النبوة وليس على ظاهره لينضبط

وبليتم

ويليتم ولا يخفى ما فيه وهو قيل انه عائد على مطلق الدينيين اي هو شرعا وعقلا فاعله وهو من اتصف به ويقرب الى الله زلفى مصدر بمعنى قربه موكد لبقرب لقعدت جلوسا لانه امر ديني بعد عبادة يثاب عليها ما لم يعرض له ما يفسدها او يغير نيته فاعله كالرياء وبقي قسمان اخران الدنيوي المكتسب والديني الضروري وقد تقدم الكلام عليهما ثم هي اي خصال الجمال والجلال والكمال جميعها لا بعضها والجملة معطوفة على ما قبلها عطف القصة على القصة ثم للعهد الرتبي لان الاول تقسيم حقيقي وهذا اعتباري على قسمين ايضا اي على ضربين ووجهين اخرين كما انها على قسمين بحسب القسمة الاولى وجعله بعضهم تقسيما للمكتسب الديني وياباه قوله المحض الاتي منها اي من تلك الخصال ما يخلص اي يصير خالصا غير مختلط بغيره لاحد الوصفين اي الضرورة والكسب المفهومين من التقسيم السابق لا الضرورة الدنيوية والكسب الديني وهو تقسيم لمطلق الكمال سواء كان في واحد من الانواع التابعة او اكثر منها ما يتمازج ويتداخل التمازج والمزج والدخل والخلط معان متقاربة وقد يراد بكل منها الاخر الا ان اصل المزج خلط بعض المائعات ببعضها بحيث لا يمكن تمييز بعضها من بعض كالماء والخل ومنه مزاج الانسان والتداخل اعم منه لانه دخول اجزاء شيء في اجزاء اخر سواء كان امرا لا يمكن تمييزه امرا او الاختلاط اعم منهما لانه وجود امور مع امور تداخلت امرا كاختلاط قوم بقوم وقوادهم بالتمازج وجود الوصفين في شيء ولما كان امرا معنويا لا اختيار فيه حسنا عبر به ثم عطف عليه لدخول بعض الانواع في بعض والتفاعل فيه على حقيقته فالمعطوفان متغايران وقيل المعنى ان يخلطا الكسب بالضرورة ويدخل كل منهما في الاخر والتفاعل لاصل الفعل او هو على ظاهره وبينهما عموم وخصوص والممتزج ما كان اصله جليا وقال التلمساني التمازج والتداخل بمعنى واحد والكلام يفسر بعضه بعضا وذلك توسع في العبارة كما قرره الشارح وقال ابن سيد الحسن يتمازج اي يختلط ومزج خلط لكن الخلط المزج جعل الاثنين واحدا لاجل التشابه في الصورة ولا كذلك الخلط فهو مثله او خلافه وكل مزج خلط وليس كل خلط مزجا والتداخل دخول بعض الشيء في الشيء وهو تفاعل ومعنى الامتزاج ان يكون الشيء الخارج في شدة غلبته كالاصل لابتنا خر عنه ومعنى التداخل ان يمتاز الفرع عن الاصل لكن يقرب شبهه منه فيكون كالاصل فهذا هو الداخل هنا انتهى وكل

شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا خلط أنت غنى عنه لما مر فاما الضروري المحض اي الخالص الذي لم يخالطه
غيره ولا دخل لكسبه فيه واختياره فليس ديننا كما اشار اليه بقوله تعالى
المرء بفتح الميم وسكون الراء والهمز بمعنى الانسان فيه اختيار ولا اكتساب
الاختيار هنا يقابل الاضطرار قيل اصطلاح لاهل المعقول واصل معناه
لغة فعل ما هو خير كما قال تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان فيحصل له سوا
اراده اولا من غير كسب واسباب عاده ثم قيل له بعد ما فسر توضيحا له
فعال مثل ما كان في جبلته الاتى فطرة الله عليها من كمال خلقه وايجاد لجزاء
بدنه تامة معتدلة المقادير قيل كان الاحسن ان يقول فيما جبلته من الكمال
اذ الجبلة هي الخلقة كما تقدم وهو امر سهل وجمال صورته اي حسن صورته
الظاهرة في جسده بتناسب اعضائه وصفا لونه واعتدال قده وقيل المراد
حسن وجهه وقوة عقله وهو نور او قوة اودعه الله في الانسان يميز به بين الاشيا
وله تفاسير اخر كالعلم والعلوم الضرورية وهو محله القلب او الدماغ
قولان وباني بيان دلان واصل معناه المنع ومنه العقال لمنعه عما لا يليق كما قال
قد عقلنا والعقل اى وثاق وصبرنا والصبر مر المذاق
وصحة فهمه اي ادراكه المعلومات بسرعة واضافة القوة الى العقل والصحة
للفهم غاية المناسبة وفصاحة لسانه الفصاحة لغة واصطلاحا مشهورة
ويوصف بها الكلام فيقال كلام فصيح والمتكلم واللسان يطلق على الجارحة
المعروفة وعلى اللغة ويصح ارادة كل منهما كما يقال لخطيب فصيح والمراد هنا نفسه
نفسيه لان المراد باللسان الذات ولا بالفصاحة عدم المكنة وما قيل من ان الفصاحة
جبلية تكاملت بمباشرة الاسباب فهي من المزج الا ان يريد القدر السليم منها كما في
الاخلاق الآتية والطلاقة يقتضي انها قاصرة وربية محضة فاما انه لم يعتد بالمكتسب
منها او التقسيم لما ذكر مطلقا او الاسباب انما ترفع الموانع عن القوة والا تزيدها
وان كان هذا بعيدا جدا كلام ناش من عدم معرفة الدخيل من الناشي وقوة حواسه
المراد للحواس التي الظاهرة من السمع واخواته لا الباطنة فان اهل الشرع لم ينبهوا
ولم ينفوها وقوتها زيادة احساسها وسلامتها عن الآفات واعتدالها واعضاه
جمع عضو بضم العين وكسرها وسكون الضاد المعجمة وهي اجزا البدن التي يزاول بها
الاعمال ونحوها كاليد والرجل وبقولنا تتم اعماله وما به كماله كما قيل ليس في الانسان
جارحة احب الى الله من اللسان لمنطقه بتوحيده واعتدال حركاته الاعتدال قيل

بيان تفاسير

انه وفوقها

انه وفوقها بين الافراط والتفريط في السرعة وقيل سلامتها عن الافات
والمراد كونها على نهج قويم حيث جعل في عضو اعصابا وعضلا يتحرك جميعها
فردا فردا كالراس والظهر والكف والاصابع والزند وهكذا الحيه يتحنى
ويمسك ويطلق ويقعد ويلتفت الى غير ذلك مما ليس في غيره فقدرته على
ذلك ومنشوه ليس باختياره في الحقيقة والحركة ضد السكون لا الحركات القلبية
ولا الاعم منها ولا الحركة في النحو والكم ونحو مما ذكر في الحكمة لبعده عن مقاصد
المصنف رحمه الله فاما اراد باعتدالها سلامتها او المعنى الاخر باعتبار منشيه
وعبده لم يشكل بانها امور كسبيه اختياريه فلا يصح ذكرها هنا الا ان يقال
انها لم تذكر قصدا بل تبعا لقوة الاعضا وهو بعيد وما قيل من انه لو اريد مطلق الانتقال
من حال الى حال لم يبعد والحركة وان كانت كسبيه يجوز ان لا تكون صفاتها
بالاختيار لجواز ان يغفل عنها وفي الجملة ان يوتى بها على ما ينبغي فهذا الاعتدال
غير صادر بالاختيار عند المحققين وكذا الملكة المقتضية لها فتريب مما قلناه
وشرف نسبه اي شرفه الحاصل له بسبب نسبه فانه صفة لم تحصل باختيار
الا ان تسميته جلية تسمح او على التغليب ومثله غير بعيد والشرف والمجد
بالآباء والحسب به وبابائه معا كما قاله ابن السكيت ولا شك ان نسبه صلى الله عليه
وسلم اشرف الانساب لما في سلسلته من الانبيا عليهم الصلاة والسلام وصميم
قريش ومثله يدعوا لعلو الهمم وقوة سفساف الامور لا سيما اذا انضم لشرف
الذات الذي لا يساويه غيره كما قال ابن الرومي

كم من ابن قد علا بشيوخ ابن ذرى شرف كما علمت برسول الله عدنان

وعزة قومه القوم الجماعة اذا اضيف لاحد كانوا معه مجتمعين في اب وكمارضه
التي هي موطنه ومولده وهي من احب البلاد الى الله والحرم الامن من فيه ومقصد الحجيج
وقبلة الانبيا عليهم الصلاة والسلام ومهبط الانوار والملايكة عليهم الصلاة
والسلام واعدل الارض وان لم تكن كغيرها ان غياض ورياض وليس المراد بالارض
الا مرلانها فراش وموضع حرث كما جوزه التجاني قال السياق يابا ه وهذا ما لم تكن
باختيار وشرف البقاع يوثر في الطباع فغير بعيد جعله مع الجباله ثم ان المصنف
رحمه الله لم يعتبر في الضروري غير عدم الاختيار والاكتساب ولم يلتفت لعدم
الانفكاك فلا وجه لما قيل من ان المراد ما لم يكن بكسبه واطلاقه يوهم
والمراد بما في الجبلة الخلقي سواكان في طبيعته او خارجا عنه فصح جعل الثلاثة
الاخيرة منها واذا اريد بالضرورة ما لا ينفك دايما فالفصاحة وقوة الاعضا ليس كذلك

شبكة الألوكة www.alukah.net

وان اريد في بعض الاوقات فكل مكسبك لك الا ان يقال المراد انه لا ينفك
في وقت اللائق به او اند ناشئ عن كيفيته مستمرة ويلحق به لحقوق الشئ بالشئ
تبعيته له والحق الولد بابيه اخبر بانه ابنه لبسة بينهما كما في المصباح فالمراد
انه بعد منه لشبهه به وسياتي بيانه وهو بضم الياء مبني للمجهول وفي الشروح انه
يجوز فيه البنا للفاعل وفتح الياء اى يلحق بالضروري المحض امور منها ما تدعو
ضرورة حياته اليه متعلق بتدعو او بضرورة او بهما على التنازع وروى
وروى تدعوا بغير ضرورة والضرورة شدة الاحتياج باعتبار العادة البشرية
وفي عبارته لطف لايمايه الى انه ليس مضطرا لغيره وانما الضرورة هي التي
دعته وطلبته كما قال الابوصيري رحمه الله ونفعنا به

وكيف تدعوا الى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

وانما كان ملحقا لانه اختياري لا يدخل في الضرورة المحضة كما مر من عذابه بين
مكسورة وذال معجمتين ومد وهو ما يتغذى به من الطعام والشراب وجوز فيه
الفتح والدال المهملة وهو طعام اول النهار والاول اصح والاضطرار له لقيام
البينة به ونومه وهو حالة معروفة تقتضي عدم الحس والحركة بسبب
تصاعد الابخرة وارتخا الاعصاب وهو من الامور الضرورية لراحة البدن
واستراحة الحواس وقال المعري

وفضيلة النوم الخروج باهله عن عالم هو بالاذى مجبول

وملبسه بفتح الميم بمعنى اللباس ومسكنه بفتح الكاف وكسرها وهو
ضروري بحسب العادة وروى ومكتسبه بتا آخر الموحدة وكسر السين وفتحها
اي اكتسابه للرزق وهو مما يضطر اليه عادة الا انه يعنى عن قوله ومآله
بالآتي وقد يفسر بانه مآيرو منكحه اي ما ينكح من التسابقدا ونسري
وهو ضروري عادة ومثله قوله ومآله اي ما يملكه وهو معروف يذكر ويونث
وهو عند العرب يختص بالابل وفي العرف العام بالنقدين وجاهه المنزلة
والقدر عند الناس واله صله وجه قلب وفي عده من الضروريات الملحقة بعد
وان احتاج اليه بعض الناس عادة فلعل المراد ما يحمي به ماله واتباعه وقد تلحق
بضم التا الفوقية وفتحها وقد للاشارة الى انها في الاكثر غير ملحقة بها هذه
الخصال الاخيرة بالاخروية الدينية المثاب عليها في الاخرة نسبة للاخرى بمعنى
الاخرة وهي معروفة في النسبة ويكون بحسب القصد والنية اخروية لان لها حكمها
وان كانت بحسب الاصل دنيوية فلا تخرج عن النوعين كما توهم وانقلابها بالنية من

العادة للعبادة المثاب عليها صرح في الاحيا ومنهم من قال الثواب انما هو على النية
والعمل على حاله وقيل الخلاف في ما لم يصر واجبا وعلى هذا يمكن عدها
اخروية والحاقها بها اما لمشابهتها لها حتى كانها ضرورية او لاستلزام الضروري
لها وعلى هذا يمكن ان يقال ان الغذا والنوم ملحق بكمال الخلقة والصورة والملبس
والمسكن والمنكح بالحق بالعقل والفهم والجاه والمال بشرفه وعز قومه ويمكن
غير ذلك فتامل اذا قصد بها التقوى بفتح المثناة الفوقية والقاف وتشديد
الواو المكسورة تفعل من القوة وما يعدم كالتفسير له وجوز فيه فتح التا
وسكون القاف والواو المخففة من الانقا والاول اقوى واظهر وعلى الثاني المراد
التحرز من المناهي وامتثال الاوامر بان يريد بما يفعله ذلك مع قصد وطرد الدنيوي
به وقصد معه فان الباعث على الشئ قد ينفرد وقد يتعدد مع غلبة احدهما وبدونها
وقيل ليس المراد النية بل انبعاث النفس وميلها الى فعل يعتقد انه يترتب
عليه الغرض الباعث الغالب اجابة للباعث على تحصيل الغرض وارادة الشئ قد تستر
للتوقف على الميل النفساني الذي ليس باختياره الى اخر ما طوله بغير طائل ومعونة البدن
المعونة مصدر بمعنى الاعانة وهي المساعدة وهو من الشواذ كما ذكره في التصريف والبدن
هو الجسد ما سوى الاطراف او ما سوى الراس كما قاله الازهري ويطلق على جملة الجسد
كثيرا وما قيل من ان حذفه اولى اذ قد يقصد معونة الروح ايضا لا وجه له لان
المراد انه يقصد تقوية بدنه بالغذا ونحو ليقوم بوظايف العبادة كما اشار اليه
بقوله على سلوك طريقها اي ليدخل في طريق الاخرة او طريق الخصال الاخروية
مع ان هذا لا يكون بمجرد البدن فهو يدل على ما ذكره والمراد ان يكون ملتبسا بما
ينفعه في الاخرة او في طريق يوصله لنعيم الاخرة بقصد ما يحمده الشرع من العبادة
والعبادة والعفاف عن المحرم ومتابعة السنة ونحو لا مجرد قضا الشهوة وحق
النفس اما قوله في الحديث ان لنفسك عليك حقا فلا يناني هذا لانه بامتثال الامر
الشارع مثاب بل لانه امر لا زم له جايز شرعا وتركه اذا ضر غير جايز فهو مباح
فوق مكتسبك اخرى بصير بها الحسن ولكل مقام مقال والملحوق بالاخروي يجري
في كل مباح حتى اللعب بما اوامل من عبادة فاشتغل مباح ينشط بل قال
الغزالي هو هذا افضل من صلاته وعبادته ووجه بان شغله يكسل من غير
توجه مكروه يثاب على تركه وكانت على حدود الضرورة الحدود جمع حد وهو نهاية
الشئ وغايته المحيطة به ومعنى كونها على حدودها ان ياخذ منها بمقدار حاجته
من غير زيادة واسراف ونقص وتفريط بالشح ونحوه فانها اذا كانت كذلك لم تكن

شبكة الألوكة
www.alukah.net

محمودة ملحقة بالاخروية وهذا كقوله تعالى ومن يتعد حدود الله فاولئك
هم الظالمون وما كان كذلك لا يفيد فيه نية صالحة كما نوى بطعامه التقوى
للعبادة وزاد على الشبع او زاد في الالوان ومن منع المال لينفقه وامسك في جمعه
ولكل ضرورة حد ومرتبة لا ينبغي تعديها والامور الدنيوية ليست مقصودة لذاتها
وفي بعض الشروح هنا كلام لا محصل له **وقوانين الشريعة** القوانين جمع قانون
وهو الاصل والقاعدة المنطبقة على جزئياتها والاضافة بيانية او لامية الادنى
ملابسة كما قيل والمعنى ان يكون ما يفعله من هذه الامور على وفق الشريعة
المطهرة فانه ان لم يكن كذلك لا ينفعه نية التقرب الى الله كمن يأكل حراما ويلبس
مغصوبا بنية التعبد به او يتصدق بمال حرام قال

ومطعمة الايتام من كد فرجها فليتك لا تزني ولا تتصدقي

وقال الغزالي رحمه الله لا تظن ان المعصية تنقلب طاعة بالنية كبنا الربط
بالحرام فانه جهالة عظيمة وله فيه كلام مفصل وعن العزيز عبد السلام ان
المعصية قد تصير قربة كمن شهد زورا لدفع ظلم الا ان منها ما لا يتغير حرمته كالزنا
وذهب ابن القيم الى ان من انفق مالا حراما في قربة يثاب عليه وان عوقب على
كسبه من غير حل كالصلاة في ارض مغصوبة وفي هذا المقام كلام طويل ليس هذا
محله **واما الخصال المكتسبة الاخروية الدينية فسائر الاخلاق** جمع خلق وهو
الوصف الذي طبعه الله عليه او اكتسبه وسائرها بمعنى الجميع او الباقي وقد اختلف
فيه اهل اللغة فذهب الاكثر الى انه لم يرد في كلامهم الا بمعنى الباقي ثم اختلفوا
فقيل هو الباقي مطلقا قل او كثر لانه من السور بالهمزة وهو البقية وقيل
انه الباقي الاقل والاول هو الصحيح وذهب الجوهري وغيره الى انه يكون بمعنى
الجميع وخطاهم فيه كثير كابن قتيبة والحريري في الدرة لانه مخالف للسماع والا
والاشتقاق لانه من السور فلا يصح كونه بمعنى الجميع وقد انتصر قوم للجوهري رحمه
الله وان ما قالوه غير صحيح اما الاول فانه سمع من الفصحا كقوله

الزهر العالمون فضلك طرا فهو فرض في سائر الاديان

واما الثاني فلان القايل به يقول انه مشتق من الشير اي يسير فيه هذا الاسم
ويطلق عليه وقد اشبعنا الكلام فيه في شرح الدرة فانظره **المعلنة** اي الشرعية
المحمودة عند العقلا واهل الشرع المكتسبة لا للجبلة اذا اريد بها وجه الله ﷻ
والاداب الشرعية الاتي هي اعم من الاخلاق او مقابلة لها فيشمل انواع العبادة
تعريف ما اجمله بقوله **من الدين** اي التدين والعبادة والانقياد لاوامر الله والايمان ﷺ

والعلم

والعلم بما له وعليه مما به نظام معاشه ومعاده **والحلم** وهي ملكة يقتدر بها
على الصبر على الاذى **والصبر** وهو حبس النفس اذا اصابته مصيبة
او نالته ضرر او قل رزقه بان يتصور ما خلق له ورجوعه الى الله وان كل شئ
بقضائه وقدره فيتسلى بذلك ويرضى **والشكر** بان يحمد الله على نعمه ويحمد
من اولاه معروفا ويصرف ما انعم الله به عليه فيما خلق لاجله **والعدل** بان
يجتنب ما لا يحل فعله ويوفي ما يضر غيره **والزهد** بترك الدنيا والرغبة
عما في ايدي الناس وترك المحرمات والمشتبهات وترك ما سوى الله مريدا اوجه
الله وهو زهد المقربين **والتواضع** اي الخضوع والتذلل ولين الجانب **والعفو**
وهو الصفح والتجاوز وعدم المؤاخذه **والعفة** وهي قمع النفس عن تعاطي
ما لا ينبغي **والجود** وهو بذل ما ينبغي فيما ينبغي من غير اسراف ولا بخل **والشجاعة**
وهي الاقدام على ما ينبغي كما ينبغي ولها طرفان الجبن والتهور **والحيا** وهو الانقباض
عن القبيح خذر الذم من غير وقاحة وعدم مبالاة وتفريط فيه وهو الخجل وهو
انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن افعالها **والمروة** وهي فعولة
بالضم مهموز وقد تبدل همزته واوا وتدغم وتسهل بمعنى الانسانية لانها ملحوظة
من المرء وهي تعاطي المرء ما يستحسن وتجنب ما يستردل كالحرف الدنية والملابس
الخسيسة والجلوس في الاسواق **والصمت** وهو والصموت بمعنى السكوت
والمراد ترك الكلام فيما لا ينبغي وترك الفضول فانه كما ورد في الاثر الصمت حكم
وقليل فاعله وقد جمعه في محله ولذلك قال عمر رضي الله عنه انه قفل الفهم كما قيل
وكم فاتح ابواب شر لنفسه اذا لم يكن قفلا على فيه مقفل

وهو كثير في النساء ولذا يذم احيانا اذا كان عيا وقيل الصمت منام اللسان
والتكلم يقظته والمرء مخبوء تحت طي لسانه لا تحت طيلسانه وقيل من لم ينطق
فسد عقله ومات خاطره وهذا اذا كان في الخير **والتؤدة** بضم التا الفوقية
وفتح الهمزة والدال المهملة تليها الهاء وهي الثاني وترك العجلة والمبادرة بالكلام
وغيره كما قيل قد يدرك المتاني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل
وروى التؤدة اي اظهار الود والمحبة للناس من غير تملق ومداهنة **والوقار** وهو
السكون والطمانينة من غير طيش وخفة **والرحمة** الشفقة والتعطف **وحسن**
الادب مع الناس باكرامهم وتنزيلهم منازلهم **والمعاشرة** معطوف على الادب
حسن المعاشرة والاختلاط مع الناس وترك النجي وهجر الاخوان بغير داع **واخواتها**
بالجر من كل ما يشبه هذه الخصال مما سياتي في الفصل الذي يليه **وجماعها** اي جمع

هذه ولخواتها ويشملها كلها وفي الحديث حده ثنى بكلمة يكون جماعا اى جامعة
للكلمات كما في النهاية حسن الخلق فانه عبارة يدخل فيها كل ما ذكر وغيره وهو
معاملة كل احد بما يرتضيه ولا بوحشة كما قاله ابو محمد بن رحمه الله وحسن
الخلق بمعنى التخلق الحسن كما في قولهم العلم تحصيل الصورة الحاصلة وفيه
مبالغة بجعله كانه عين الخلق ونفسه وفيه تفصيل في حواشي المطول في تعريف
الفصاحة فما قيل ان الصواب الخلق الحسن لانه هو الشامل وهو المراد الا ان يريد
بالجمع المشترك بين الكل لان الخلق هو الصفة المعنوية والصورة الباطنة ليس
بصواب ولا حاجة لما تكلفه وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو غريزي في
والطبيعة والجبلة بمعنى كما مر واصل الجبلة الخلقة الله وانشاه
عليها كما تراه من بعض كرم الناس وحسن خلقه من غير تعلم من احد واعلم
ان مراده بالكمال الذي عقده له هذا الباب كمال الانسان في خلقه الذي ذكره الله
تعالى بقوله لقد الانسان في احسن تقويم وما يحتويه من امور معاشه ومآله
وحل فيه كارض واصله وما له دخل في ساير من امور معاشه وهو الذي اشار اليه
الحكما بقولهم لما كان الانسان خلق لاشرف الصور التي هي النفس الناطقة خصه
الله باشرف الامزجة واعدلها وجعله بحكمة تقدست اسماؤه مدينة فيها اعضاء
ومرؤسة ومراده بصفاته الاخروية صفات ممدوحة فيه فعلا لا يختص بعصر ولا بنوع
منه ولا بشريعة بل بما يدركه ويحكم كل عقل سليم كالسخاء والشجاعة وغيره وهذه
لا يدخل فيها صرف العبادة كالصلاة والحج ونحو مما يخصه العرف باسم العبادة وان كان
هذه الصفات فيمن عرف نفسه وربه وقصد بها القربة تسمى عبادة ايضا لان
الشارع امر بها ايضا وحث عليها فمن فعلها امتثالا لامره كان متعبدا بها ومن لم
يفعلها لم يعرف مقاصده خلط وتكلف توجيهات لا حاجة اليها فقوله واصل
الخلقة عطف تفسير للغريزة وهذه فيها ما هو قسم من الضروريات ايضا والاخلاق
تطلق على الملكات والكيفيات النفسانية وعلى انارها مسامحة ويشترط في كون هذه
دينية ارادة وجه الله كما عرفته فما قيل على المصنف رحمه الله ان مقتضى كلامه
ان الجبلي والوهبي كالنبوة لعدم القصد والعمل لا يكون دينيا وانما التحقيق انما التقرب
الى الله بتعظيمه وحسن الحال والمآل يكون لكمال في الجبلة وهو في الحياة بلا
اختيار فان المعرفة والتصديق الوهبي والجبلي كما في بعض الانبيا عليهم الصلاة
والسلام والانتساب الى النبي صلى الله عليه وسلم بمحبته كما لا تقرب ونفع وان لم
تكن اعمالا يثاب عليها وكم في الاخرة من امر يقرب وليس بعمل وهذا لا يفهم من له انصاف

والاخلاق

والاخلاق التي مدحها الشارع امور كسبية وان كان كما لها بكونها جبلية كما سيذكره
المصنف رحمه الله والظاهر انها توجب التقرب والتكريم في حدة انتهاء وبالجدال
لاسيده طول المقال الى اخر ما اطال فيه قد عرفته انه خارج عن نهج السداد وبعضهم
لا تكون فيه فيكتسبها هذا معلوم من جعله مكتسبا واما كره توطئة لما بعده
وقوله فكتسبها بالنصب كما قاله البرهان الحلبي وقال بعض شراح الصواب الرفع
على الاستيناف وتقدير المبتدا او هكذا كل ما اريد به نفي ما قبله واثباته كقولك
ان تكره اتيانه ما تاتيني فاكرمه اذا قصدت اكرامه لاجل عدم اتيانه كما ذكره ابن
هشام في الشذور وفي الاقليد وكتب العربية ما يخالفه وليس هذا محل تفصيله
واعلم انهم اختلفوا في الاخلاق هل هي كلها كسبية او كلها غريزية من غير كسب
او بعضها كسبية وبعضها غير كسبية واليه ذهب المحققون قال النجاني والبه
ذهب المصنف كما سيصرح به في الفصل الحادي عشر من هذا الباب والشعراني في
تخيلاتها ان ما ليس بغريزي لابد من زواله كما قال المتنبي

واسرع مفعول فعلت تغيرا • تكلف شيء في طباعك ضده

وقاله والاصبع العدواني

كل امرء راجع يوما لشيمته • وان تكلف اخلاقا الى حين

ولكنه لابد ان يكون فيه من اصولها في اصل الجبلة شعبة كما سنبينه ان
شاء الله تعالى لابد من كذا اى لا محيد عنه ولا مفارقة من بدت الشيء اذا فرقته
ولا يستعمل الا في النفي ولا يرد عليه قوله •
من ظن ان لا بد عنه فان عنه الف بد •
لقصد التمليح وهو مولد وما وقع في بعض حواشي المطول من تفسيره بالسعة
وتوجيهه لا وجه له واصل الجبلة اضافته بيانية والشمه بضم الشين
وسكون العين المهملة الحصة من الشيء واصل معناه الفرقة والقطعة واحال
المصنف على ما سيأتي في فصل الخصال المكتسبة ويكون هذه الاخلاق دنيوية
اى انارها المترتبة عليها او اكتسابها والتطبع تنقلب من تخصنها المحمود عليه
المثاب الى انها تكون دنيوية صرفة لا ثبات عليها كما ان الدنيوي ينقلب دينيا
بالنية الصالحة ولذا قيل طلبنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا لله قيل وهذا
تصريح بنوع رابع غير النوعين المذكورين او لا وهو الدنيوي المكتسب فالانواع اربعة
ديني ودنيوي وكل منهما ضروري او مكتسب وقد عرفت ما فيه اذا اريد بها
بالبنا للمجهول او اذا اريد فاعلها بالبنا للفاعل وقد تقدم معنى الارادة والتقصد

ابن الحنبلي

سيد

سيد امي

وجه الله اى ذاته بان لم يقصد عبادته والتقرب اليه واتباع امره والدار الاخرة التي في مقابلة الدنيا اي بنعيمها وما فيها من الثواب والجزاء وما كان لله ولوجهه فهو للآخرة وبالعكس وقيل الاول اشارة لعبادة الخواص التي لا ينظر فيها الجنة ونار وانما لاجل الله وامتثال امره وقد يجعل هذا على قسمين ما قصد به الكمال بالنظر والقرب والرضى ونحو وما قصد به التعظيم وامتثال الامر وفعل ما يستحقه وهذه عبادة خواص الخواص قال الغزالي رحمه الله تعالى وهذا اقل ان يفهمه احد فضلا عن ان يأتي به واعترض على عبادة الخواص بان البراءة من الحظوظ من خواص الالوهية حتى نقل عن الباقلاني رحمه الله تكفير من ادعى البراءة من الحظ بفعله واجاب الغزالي رحمه الله بانه حق ولكن مراده ان فعلهم لحظ غير حظ العوام وهو التلذذ بمعرفته تعالى ومناجاته والنظر له وقيل عليه هذا لا يصح في القسم الثاني اذ ليس نظرهم التلذذ انفسهم ولو بقي لهم مطلب ولا مريد ولا مراد فالحق في الجواب ان عدم الحظ يعني عدم التاثر عن شيء فانه غني وهذا النقص لا يليق به لانه يلزمه الامكان والاحتياج وهم معترفون بانهم محظوظون متاثرون ولكن يدعون عدم ملاحظة الحظ وقصده بالفعل ولا دليل على اختصاصه فيجوز في فعلهم الغير الاختياري واما الاختياري ففيه نظر لما تقرر من ان الفعل الاختياري من الممكن لا بد ان يسبق بالتصديق بفائدة وعرض باعث على الفعل يعود الى الفاعل ولذا انفوه عن الله فكيف تكون العبادة لمحض استحقاق الذات والظاهر ان ذلك غير مسلم عند الحكماء والثاني اشارة الى عبادة العوام مما كان لنيل النعيم والخلاص من الجحيم وهذه اعلى مراتب منها ما يفعل لعبادة الله واطاعة امره راجيا النجاح بحيث لو لم يكن لم يفعل وهذه دونها ومنها ما يفعل مع الغفلة عن امر الله وطاعته وانما القصد مجرد النجاة والنعيم الا ان هذه حكم الوازي رحمه الله ببطلانها وفاقا فقال في تفسيره اجمع المتكلمون على ان من عبد الله ودعاه لاجل خوف النار وطمع الجنة لا تصح عبادته ودعاوه وذلك لان التكاليف بمقتضى الالوهية والعبودية عند اهل السنة ومع كونها مصالح عند غيرهم فوجه الوجوب والحرمة الامر والنهي فمتى اتى بها لاتباع الامر والنهي صحت ومتى اتى بها خوفا وطمعا لم تصح اتفاقا لانه لم يات بها على وجه وجوبها انتهى وعند يظهر ان المراد وجوب ان يكون الغرض الامتثال ونحوه ولم ينف انضمام شيء اخر باحد الوجهين مالم يصر بهما فلا ينافي هذا قول النووي رحمه الله لو قال احد لا اخر صلى لتفسك ولله على كذا افسد بهذه النية صح ومن لم يفهم مراده توهم المنافاة هذا ومن العبادات الظاهرة ما لا يحتاج الى نية بل يكفي

سيد

سيد

عدم الصارف كالصدقة والعتق وغيره فلا يبعد ان يكون في الاخلاص والعلة ما هو كذلك واذا الم يجب في الصدقة ونحوها فالاولى ان لا يجب في العلوم الشرعية والعدالة واذا كان الكلام في الاثار فقد يكون عين ما ذكروه وحينئذ انما تكون دنيوية اذا اريد بها غير الله واما اذا اريد بها اخرة وغيرها ففيه تفصيل وخلاف ولنا فيه هنا تحقيقات خارجة عن مقاصد الكتاب انتهى ملخصا **اقول** ذكر هذا الامام في تفسير الفاتحة واستدل لقوله تعالى اوعوا ربكم تضرعا وخفية وقد اقره على ذلك جماعة وقد قال الشيخ مشايخنا ابن حجر الهيتمي في شرح الارشاد وهذا عجب فقد صرح الفقهاء بان من قصد بالصلاة الدنيا تصح صلاته فالاولى هذا فالوجه خلافه وقد حث الشارع على العبادة بذكر الثواب والعقاب ففيه دليل على ان مثله لا يضر وقد صرح في الاحياء بان قصده لا ينافي الكمال والعامل للجنة عامل لبطنه وفرجه كالاجير السوء ودرجته درجة البله الذين هم اكثر اهل الجنة وفيه رد لما قاله الفخر ونحوه قول السبكي رحمه الله العاملون على اصناف منهم صنف عبدوه لذاته وان لم يخلق جنة ولا نارا ومع ذلك يتسابقون الجنة ويتعوذون من النار اتباعا للنبي صلى الله عليه وسلم وقد قالوا هو لها لاذنون ومن اعتقد خلاف ذلك فهو جاهل وصنف عبدوه خوفا من ناره وطمعا في جنته وهو دون الاول وكلاهما يفتقد وجوب الطاعة واستحقاقه تعالى لها انتهى وحمله بعضهم على جعل عبادته في مقابلة ذلك والله واجب على الله كالمعتزلة فهو غير جار على النية حينئذ فيبطل عمله عند اهل السنة وحمله على انه لولاه ذلك ما عبد تكلف اذ الكلام في اسلامه حينئذ وفي الاحياء عن مكحول ابن عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبده بالرجاء فهو مرجي ومن عبده بالمحبة فهو زنديق اي المومن لا بد له من الخوف والرجاء لقوله خافوني ولا تيأسوا من روح الله الى اخره فمن عبد الله بالخوف ولم يوجد منه رجاء او وجد ما لا وزن له معه فهو حروري لحكمه على العاصي بالاسلاك من الرحمة والخوف من الذنب كالخوارج على علي كرم الله وجهه او هو فساق او كفرة فتجريد الخوف يوجب الالتحاق بهم ومن عبد بالرجاء دون الخوف فهو كالمرجية الذين يقولون لا يضر مع الايمان ذنب ومن تجرد رجاؤه قد يقال لا تصح صلاته ولا شيء من عباداته لان نية الفرضية شرط فيها واذا انتفى الخوف بتقدير الشرك انتفى اعتقاد الوجوب لان الفرض ما يذم تاركه او يعاقب على اخلاله ويجاء من العقاب على الخلاف في حده ومن اعتقد العقاب والذم يخاف منه العقاب فعلم ان انتفاء الخوف لا تصح معه عبادة وجيه لان الرجاء لا يقال ينافيه قوله نعم العبد صهيب الخ وانه لم

عدم التعارف

نقل ان انتفا الخوف لا يوجب الرجا مطلقا بل تجريد الرجا هو الموجب له وثمة
حالة أخرى اكمل منه وهي الحيا المانع من المعصية ومعنى الثالث ان تمحض المحبة
مع انتفا الخوف والرجا يستلزم العمل لاجلها لا لاستحقاقه تعالى واعتقاده كمن
يظهر الاسلام فهو كالمنافق ومعنى قولهم ما عبدناك خوفا من نارك ولا
طمعا في جنتك انه لذاته المستحق لذلك كما مر انتهى وانما طلنا في هذه المسالة
لانها من المهمات والوقوف عليها لازم الا ان ما ذكروه غير متجه بوجه من الوجوه لان
كلامهم في العبادة المعروفة في عرف الشرع وما نحن فيه ليس من هذا القبيل كما
حققناه لك فالتكن على ذكر مع ان في كلامه سقطات يعرفها من له ذهن وقاد
وفكر لوقوف المعارف نقاد فلنجذب عنان التحرير ليستريح جواد القلم من التسطير
والمعاذ كر من ان ما نحن فيه ليس من قبيل العبادة المعروفة في عرف الشرع اشار
بقوله **ولكنها كلها محاسن وفضائل** اى هي كلها امور حسنة تفضل بها صاحبها
في حد ذاته بقطع النظر عن الشرع فان صحبها مقاصد وخلوص حسنة نية اثيب عليها
والا فلا **باتفاق اصحاب العقول السليمة** وان كانت قد تذم لامر عارض
كالريا والمن مما يجب انكاره كما يعرض لبعض الكمال ما يجعله ناقصا **وان اختلفوا**
في موجب بكسر الجيم لا بفتحها كما توهم اى سبب **حسنها وتفضيلها** على غيرها
هل هو لذاتها لما يترتب عليها من تحسين الشارع وتفضيله بنا على ان الحسن والقبح
امر يعرف من الشرع لا بين غيره مطلقا كما ذهب اليه الاشعري او بعض الامور كما
ذهب اليه الماتريدي او من العقل مطلقا كما قاله المعتزلة والخلاف في الحسن والقبح
الذي يترتب عليه الثواب والعقاب لا مطلقا كما توهم **فصل** قد عرفت
ان فصول هذا الباب سبعة وعشرون وانه عد ما تقدم فصلا ولم يعد الفصول
لذلك اولا للاختصار ولم يترجم بعض الفصول لعدم انضباطها وهذا الفصل
معقود لخصال محمودة مخصوصة به صلى الله عليه وسلم مقتبسة من الكتاب
والسنة منها ما يذكر في الفصول التي بعده **او كانت خصال الكمال والجلال**
المتقدم ذكرها كما اشار اليه بقوله **ما ذكرناه** في اول هذا الباب **ووجدنا الواحد**
منا معاشر البشر وهذا معطوف على ما قبله او حال بتقدير قد والمعنى ان الواحد
يشرف كما وجدناه ويشرف بفتح الياء وضم الراء اى يحصل له الشرف على غيره **بواحدة**
منها او اثنتين اى بسببه اذا كانت فيه على ما يليق به كما **ان اتفقت له** قيد
للشرف او للوجدان والحصول ومعنى الاتفاق حصولها على وجه يشرف به بغير كسب
والضمير للخصلة المفهومة من السياق والمراد نوعها وجنسها فيشمل المتعدد وتعبيره

بالواحد

بالواحد اشارة الى ان اهل الكمال **في كل عصر** قليل كما قيل
انى لافتح عينى حين افتحها ... على كثير ولكن لا ارى احدا
والعصر الدهر وكل مدة ممتدة غير محدودة تحتوي على امم وتنقرض باقراضهم
والجار والمجرور متعلق بوجدنا او ببيتشرف ويكون تعلقه بالتقيد والمراد بالواحد
الجنس اى الواحد في عصر واخر في اخر عصر بعد عصر لا في ايام قلائل واشار بقوله
واحدة او اثنتين الى اجتماعهما كلها او اكثرها نادر وفي بعض النسخ **او اوان**
وهو من مخصوص كزمن الربيع وليس من عطف الخاص على العام كما قيل **اما من نسب**
او جمال او قوة في الاعضا او القوى وقيل هي بمعنى البطش والشدة **او علم** اى
علم من العلوم الشرعية او العقلية **او حلم او شجاعة او سماحة** وجود كما مر
حين يعظم قدره غاية لقوله يشرف ولو صفه بما ذكر اى يرتفع حتى يصير معظما
مبجلا عند الناس في حياته قيل وهو مع ما بعده غاية اذ العظمة اعلا من العلو
والشرف او مفيدة بقوله **وتضرب باسمه الامثال** في حياته وبعد مماته كما يقال
هو حاتم في الجود والامثال جمع مثل وهو المشبه به وضربه بيانه وتشبيه غيره به
وضرب الامثال باسمه ذكره بجعله شبيها به وليس اسم مفيد للتعظيم والمبالغة هنا كما قيل
والمثل يضرب للايضاح بابرازه في تعرض المحسوس ليدل على غاية وضوحه وكماله
في وجه الشبه والضرب اصله ايقاع شئ على اخر ويختلف باختلاف متعلقه فالضرب
في الاصل في الارض السير لايقاع الارجل وضرب الدراهم صوغها لايقاع المطارف
ومنه اخذ ضرب المثل لتاثيره في النفوس كما اشار اليه بقوله **ويتقرر له بالوصف**
بذلك في القلوب اثره بضم الهمزة وكسرها وسكون المثلثة وبفتحهما وهي المأثرة
والمكرمة من تلك الخصال التي وصف بها او انفرد واستاثر عن غيره **وعظمة وهو**
منذ عصور خوال اى والحصائل والحال ان ذلك الموصوف بها من ابتدا ازمنة ماضية
الى ظهوره عظمة قدره وضرب الامثال به ومنذ مبنيين على الضم كما قرر النحاة مختص
بالزمان مجملا فمن على ما فيه **ورمم** بكسر الراء قيل وقد يضم جمع رمة او رميم وهي
العظام واجزا البدن البالية فقوله **بوال** جمع بالية وبال تاكيد كنخة وناخرة
او تجريد او بيان لرمم لانه قد يغفل عن معناها وهو قريب من التاكيد فلا وجه لرده
وليس في محل الرمم على ما هو باعتبار اجزا بدنه تكلف ولم يكتف بالمرور لان المراد ان الواحد
يعظم قدره بعد موته بالانضاف بواحدة او اثنتين منها مع صورته عظاما تفرقت
جموعها مما الظن ممن عظم قدره بما فوق ذلك وقد حرم الله جسده على الارض
واحياه في قبره كسائر الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقد رايت في بعض الكتب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ان السلف اختلفوا في كفر من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم لما انتقلت روحه
للملا الاعلا تغير بدنه وروى ان وكيع ابن الجراح حدث عن اسماعيل ابن ابي خالد
ان رسول الله صلى الله لما توفي لم يدفن حتى ربا بطنه وانتنى خصره ولخضر
اظفاره لانه صلى الله عليه وسلم توفي يوم الاثنين وترك الليلة الاربعا
لاشتغالهم بامر الخلافة واصلاح امر الامة وحكمته ان جماعة من الصحابة رضي
الله عنهم قالوا لم يمت فاراد الله ان يريهم اية الموت فيه ولما حدث وكيع بهذا
بمكة رفع الى الحاكم العثماني فاراد صلبه على خشبة نصبها له خارج الحرم فشفع
فيه سفيان ابن عيينه واطلعه ثم ندم على ذلك ثم ذهب وكيع للمدينة فكتب
الحاكم لاهلها اذا اقدم اليكم فارجموه حتى يقتل فابرد له بعض الناس بريدا
اخبره بذلك فرجع للكوفة خيفة من القتل وكان المفتي بقتله عبد المجيد ابن
رواد وقال سفيان لا يجب عليه القتل وانكر هذا الناس وقالوا رايناه بعض
الشهداء انقل من قبره بعد اربعين سنة فوجد رطبا لم يتغير منه شئ فكيف
بسيد الشهداء والانبياء عليهم الصلاة والسلام وهذه زلة قبيحة لا ينبغي التحدث
بها فاظنك بعظيم قدر من اجتمعت له كل هذه الخصال اي الواحد منا اذا حصلت
له خصلة او خصلتان منها حصل له شرف قدر ووقع في القلوب ورفيع قدره لا يزول
بموته وصيرورته عظاما بالية فكيف بمن جمع جميعها وهو باق في قبره وهو سيد
النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وهذا جواب اذا والظن الاعتقاد الراجح
الغير الجازم ويكون بمعنى العلم وعظيم قدره بمعنى قدره العظيم والاستفهام
انكاري بمعنى النفي او الحامل على الاقرار بغاية عظمته او للتعجب وليس تعجيبا كما
توهم والمراد بالخصال السابقة حال كونها متجاوزة الى ما لا يأخذه عد اي
لا يعد لكثرته ولعدم اطلاعنا على كثير منه ومعنى لا يأخذه لا يحيط به او يغلبه
كقوله لا تأخذه سنة ولا نوم وهو استعارة ولا حاجة الى ما قيل انه ادعا
او مبالغة والى ما قلناه اشار بقوله ولا يعبر بكسر الموحدة المشددة عنه
قول فاعل يعبر اي يقول وروى به فقال اي لا يعرب به ويظهره يقال ولا
سال اي يحصل ووصل اليه بكسب وتحصيل باسباب عادية ولا حيلة
اي حذق وتصرف بجودة نظر وهو اعم من الكسب لا بتخصيص الكبير المتعال
استثناما قبله منقطع اي لكن لا ينال الا بامر وهبي يخص الله به من يشاء وقيل
يحتمل ان يكون متصلا اي الا حال مصاحبة للتخصيص على كسب بعض وهبه
بعضا وفيه نظر والكبير العظيم شانه وقال الرازي الكبير ما كبر في ذاته والعظيم

ما يستعظمه

ما يستعظمه غيره فالذاكر وصفه تعالى بالكبير دون العظيم فتامله والمتعال
بحذف الياء الوقف تخفيفا المستعلي عن كل ما سواه والعالي شانه عن جميع شوائب
النقص وقوله من فضيلة النبوة والرسالة بيان لما في قوله ما لا يأخذه عد اي لم
يذكره قبله وقيل للكل من الخصال المذكورة وما لا يحويه العد ما هو مذكور في الكتاب
ليقف عليها الباحث عنها مجتمعة فيكون اقرب الى الضبط وادعى الى التعظيم والتفخيم
اعم من النبي والحقيقي وان الظاهر انه لم يرد الخصائص لورود المشتركات
والاداعي التكلف للتخصيص والقول بانه لا يناسب عد الواهب من الغرايب انتهى
وفي قواعد الزركشي النبوة افضل من الرسالة عند العز ابن عبد السلام من جهة انها
عبارة عن خطاب الله نبيه صلى الله عليه وعليه وسلم بما يتعلق به وبذاته
والرسالة متعلقة بالامة وقيل الرسالة افضل لعظم نفعها وعمومه نفعها
ولكل وجهة وسياتي تفصيله قلت وبهذا ظهر التعريف ان الصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم وردت مقرونة بلفظ النبي لتعلقها بذاته الشريفة
ولذا قال تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي لانه اذا صلى عليه باعتبار
النبوة علمت بالاولى تلك وليس ذكر الرسالة مستدركا هنا كما توهم والخلة
بضم الخاء من الخالة والمحبة والاصطفا افتعال من الصفوة بالفتح والكسر
وهي الاختيار والاجتبا بالجيم تنال اجتباه وجمعها فيه وسياتي الكلام على
المحبة والخلة وهذا اشارة الى ما ورد في الحديث وجميعها الا تى ان الله اصطفى
من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بني كنانة واصطفى من بني
كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم والاسرا
الى المسجد الاقصى وسياتي تفصيله والرؤية لربه واياته الكبرى او جبرائيل
عليه الصلاة والسلام في صورته الاصلية فلا يرد عليه ما قاله البرهان الحلبي
من انه هنا جزم برؤيته ربه وقال فيما سياتي ان ذلك لم يثبت عند الاحتمال
ان يراد بالرؤية غير ما ذكر او يذكره هنا تبعا لغيره وقيل الذي رآه رفرف الخضر
سد الافق في الجنة والقرب والدنو لقوله تعالى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين
او ادنى على القول بان الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم وليس هذا قربا مكانيا ان كان المراد
به القرب من الله لاستحالة المكان والجهة على الله وقد ذكر في الاية على سبيل المدح
فالاول في قوله فكان قاب قوسين او ادنى والثاني في قوله ثم دنى فيهما متغايران
هنا او هو عطف تفسير والوحي مصدر وحى بمعنى اوحى والاكثر في الاستعمال
الفعل المزيد ومصدر الثلاثي وهو اعلام نبيه صلى الله عليه وسلم بما يريده من

سيد

سيد ٥

سيد

شرع او غيره بكلام او ارسال ملك او الهام ونحو واصل معناه الكلام الخفي والشفاعة
والوسيلة المراد مطلق الشفاعة في امته صلى الله عليه وسلم او الشفاعة
العظمى وله صلى الله عليه وسلم شفاعة سنأتي والوسيلة اصلها ما يتوسل
به ويتقرب وبتوصل بها بالمراجعة ربه وقيل الشفاعة يوم القيامة
وقيل هي منزلة في الجنة وحمله هنا عليها ارجح والفضيلة هي اما فضيلة خاصة
به صلى الله عليه وسلم او شاملة لجميع ما منحه الله من الفضائل والكمالات اذ كل
صفة حادثة قابلة للزيادة ولذا قال وقل رب زدني علما ولا يحيطون بشيء من
علمه الا بما شاء ولهذا قال بعض الشراح هنا انه يجوز في الدعا للنبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ان يقال اجعل ذلك في شرفه صلى الله عليه وسلم لقبول
الصفات الحادثة للزيادة والنقص بخلاف صفات الله ولهذا اثنى الله
على نفسه ومنع غيره من الثناء على نفسه بقوله ولا تزكوا انفسكم استثنى
منه محالا منها الامين الواثق بامانته كقول يوسف عليه الصلاة والسلام
في حفيظ عليم ومنها الشجاعة كقول علي كرم الله وجهه انا مفرق الكتائب
انا الليث بن غالب ومنها العالم والنسيب او الم يعلم انتهى والدرجة الرفيعة
واحدة الدرجات وهي الطبقات والمراتب وهي المنزلة المختصة به والرفيعة للرفعة
العالية والمقام المحمود هو مقام يقوم فيه صلى الله عليه وسلم للشفاعة العظمى فيحمده
فيه الاولون والاخرون ولا شك انه مغاير للشفاعة وان احتوى عليها فهو مغاير
لها لتقدمها وهذا اولى من القول بان الشفاعة لاخراج طايفة من النار ومن العموم
بالعموم والخصوص او تغاير المفهومين وهو حيث يعطى صلى الله عليه وسلم لواء الحمد
ويكون اقرب من جبريل وقال البرهان ان الشفاعة العظمى في ازالة كرب الناس
من الموقف وقال الكعبي ابن مالك رضي الله عنه وسلم قال يبعث الناس يوم القيمة
فاكون انا وامتي على تل فيكسوني ربي حلة خضرا ما شاء الله ان اقول فذلك المقام
المحمود رواه ابو حاتم وهذا الاتي ما تقدم كما قال الطبراني لقوله فاقول الى آخره
فيجوز التغاير وعدمه وقوله فذلك الى آخره لما قبله والاشارة ترجع اليه كقوله
تعالى عوان بين ذلك ولا حاجة للتقدير مضاف اي فمقام ما ذكروا الاشارة للمقام
وان لم يسبق ذكره وفيه زيادة لقبول مقامه والباسه تلك الحلة الفاخرة ثم ان البزار
ذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه ان عبد الله ابن سلام رضي الله عنه سال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن صفة لواء الحمد فقال هو لواء وستمايه سنة من ياقوتة
حمراء قضيبه من فضة بيضاء رجه من زمردة خضراء له ثلاث ذوابة ذوابة بالمشرق

ابن أقبرس

خ يعرف

الطبري م

ذوابة

ذوابة بالمغرب وذوابة وسط الدنيا مكتوب عليه ثلاثة اسطر الاول بسم
الله الرحمن الرحيم والثاني الحمد لله رب العالمين والثالث لا اله الا الله محمد
رسول الله طول كل سطر مسيرة الف عام قال صدقت يا محمد وفي خصايص
النصرة في فضايل العشرة للطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه
وسلم سيل عن لواء الحمد فقال له ثلاث شقق كل شقة ما بين السماء والارض على
الاولى مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم الى آخر فاتحة الكتاب وعلى الثانية مكتوب
لا اله الا الله محمد رسول الله وعلى الثالثة مكتوب ابو بكر الصديق عمر الفاروق
عثمان ذو النورين علي الرضى انتهى رضي الله عنهم وتصديق ابن سلام رضي
الله عنه اظهار لخلوص اعتقاده او لموافقته لما في الكتب الالهية عنه لانه
خبر بني اسرايل كما مر ثم ان كونه جسما نيا على هذه الصفة المروية خالف فيه
صاحب النهاية فقال قوله صلى الله عليه وسلم لواء الحمد بيدي اراد به انفراده
صلى الله عليه وسلم بالحمد يوم القيامة وشهرته به على رؤس الخلايق والعرب
تضع اللواء موضع الشهرة انتهى ووجه تسميته لواء الحمد كناية الحمد عليه او انه
تبعه فيه جميع الناس حامدين له او انه حمد الله حين رفعه بمحامد اللايقة
به والبراق تقدم الكلام عليه والمعراج بكسر الميم وقد تشتح المصعد مفعال
من العروج وهو السمو والمراد عروجه صلى الله عليه وسلم على المعراج الى السماء وفي رواية
انه راى معراجا كسلم فسمي به بهذا الاعتبار واشتهر بذلك وان لم يشتهر تلك الرواية
وفي الصحاح المعراج السلم ومنه ليلة المعراج ولا بعد فيه كما قيل وقال
التلمساني رحمه الله انه سلم من نور تصعد فيه الملايكة او المراد الدرجات الصورية
كالسموات او المعنوية التي عرج عليها وقد يطلق على العروج وقد فسر به في بعض
المواضع وفي القاموس عرج يعرج عروجا ومعرجا ارتقى فاذا كان خلقة فعرج
كضرب او مثلث في غير الخلقة وهو اعرج بين العرج انتهى ومن لطايف الفاضل
قوله في رسالة في اعرج

فات العصا بيده مقام رجله ... وقلت اعواد الاغصان من اجله

فعرج يوم من الارض الى السماء وعرس العود بكفه ولكن ما اورق وغا ولعمري
حمل العصا هو العذاب الاليم وما افلح من لا رمها بعد موسى الكليم تنبيه
قال الحافظ الدمياطي الاسراء عبارة عن سيره صلى الله عليه وسلم من مكة للمسجد
الاقصى والمعراج سلم من نور او من جواهر تصعد فيه الارواح الى السماء ويطلق
كل منهما على ما يشمل الاخر كما مر والبعث الى الاسود والاحمر اي عموم رسالته

صلى الله عليه وسلم لما ذكر كما تقدم والاسود العرب او الجن والاحمر غيرهم لان الغالب على الوان العرب السمرة وعلى العجم البياض والصلاة بالانبيا عليهم الصلاة والسلام اى امامة لهم حين اجتمع بهم بالمسجد الاقصى حين اسرى به صلى الله عليه وسلم ولم يراع المصنف رحمه الله الترتيب بين ما ذكر ولو راعاه كان احسن والتمام بين الانبيا والامم يوم القيمة كما في قوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا كما مر وسيادتى ولد ادم اى سيادة له لجميع الخلق وادم وولده كما ثبت في الحديث الصحيح لانه اكرم الخلق على الله كما مر ولوا الحمد تقدم الكلام عليه وسيادتى ايضا واللوا اكبر من الراية ولا يشترط فيها التربيع كما قاله التلمساني ويجمعهما العلامة والبشارة والنذارة بكسرا ولهما اي كونه بشيرا او نذيرا كما في القرآن والمكانة عند ذى العرش والطاعة ثم بفتح المثلثة اي هناك والامانة على الوحى والاسرار الالوهية المذكورة في قوله تعالى انه لقول رسول كريم الاية على قول من جعلها له كما مر مع الفاء ثابتة له في نفس الامر بادلة اخر والهداية له المذكورة في اول سورة الفتح او كونه هاديا للخلق ورحمة للعالمين بالنصب بكون مقدر وروى بالجر لقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين كما تقدم واعطا الرضى والسؤل بضم السين وسكون الهمزة وتبدل واوا وهو المامول وكل مسؤل والرضى كل ما يرضيه لقوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى والسؤل قريب من الرضى وهو قيل والذى ورد في الاية السؤل والرضى ورد في حق موسى عليه الصلاة والسلام في قوله لقد اوتيت سؤلك يا موسى اى ما سأله بقوله رب اشرح لى صدرى ويسر لى امرى قال النجاني ولا شك انه صلى الله عليه وسلم اعطى الرضى لانه من اعطى ما به الرضى فقد اعطيه واما السؤل فقد اعطيه فكم اعطى سولا ونالا مأمولا ومسولا وان لم يعبر فيه بهذا اللفظ كما في حق موسى عليه الصلاة والسلام ولعل المصنف رحمه الله اراد انه صلى الله عليه وسلم اعطى سؤل موسى السابق لقوله له ان مع العسر يسرا وشرحنا لك صدرك الى غير ذلك مما هو بمعناه وهذه تكلفات لا حاجة اليها ولله الموفق للتوفيق له الشراح والكوثر تقدم الكلام عليه وسماع القول اى سماع الله لقوله صلى الله عليه وسلم وقبوله الوارد في حديث الشفاعة الطويل بقوله قل يسمع لك وسل تعط واحتمال ان يراد بالقول القرآن وسماعه العمل بموجبه او اسماع النبى صلى الله عليه وسلم لقوله الله كما قيل بعيد واتمام النعمة والعفو عما تقدم وتاخر المذكور في قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر كما تقدم وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر المذكور في قوله تعالى الم نشرح لك

صدرك

صدرك الى اخره ونصرة النصر كما مر في قوله تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا ونزول السكينة والتاييد بالملايكة اشارة الى قوله تعالى فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها يعنى الملايكة عليهم الصلاة والسلام ببدر كما مر وقال ابن العربى في احكام القرآن اتفقوا على ان الاقوى في هذه الاية ان الضمير فيها عائد على ابى بكر رضى الله عنه لا على النبى صلى الله عليه وسلم وقد تقدم ما فيه والمراد بالسكينة الرحمة وفي انوار التنزيل في تفسير قوله سكينة من ربكم اى ما تسكنون اليه وهو التوراة وقيل صورة من زبرجد او ياقوت لها راس وذنب كراس الهرة وذنبها ولها جناحان فتين فتارت من ريح الجنة فجاءت حتى وقفت بين ايديهم يستعونه فاذا ثبت ثبتوا وحصل النصر وهو غير ملايم لهذا المقام ثم السكينة قد علم انها بفتح السكينة وتخفيف الكاف المكسورة فعيلة من السكون وبه جزم ابن فرقول وغيره وما حكاه الصاغاني من كسر السين وتشديد الكاف قول مرغوب عنه والاظهر انها الامن والثبات او الرحمة او الوقار وقيل المراد الملايكة عليهم الصلاة والسلام والتاييد التقوية وعن كعب الاحبار ما من فجر يطلع الا وينزل سبعون الفا من الملايكة يضربون باجنحتهم ويصلون على النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا امسوا عرجوا وهبط مثلهم فيصنعون مثلهم حتى اذا انشقت الارض خرج سبعون الفا من الملايكة رواه البيهقي في شعبه وايتا الكتاب والحكمة الكتاب القرآن والحكمة النبوة والعلم النافع على ما مر والسبع المثاني والقرآن العظيم تقدم الكلام فيهما وتزكية الامة لقوله تعالى يتلو عليهم اياته ويزكيهم وفيه فضيلة له صلى الله عليه وسلم ظاهرة والدعا الى الله قال تعالى قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وقوله تعالى وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا كما تقدم واما قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله فعامة او المراد به نبينا صلى الله عليه وسلم وعن عايشة رضى الله عنها ان هذه الاية نزلت في الاذان للصلاة واستشكل بانها مكية والاذان انما شرع بالمدينة وكما اقيل المراد بذلك بلال بخصوصه رضى الله عنه والجواب بان المراد ان الاذان داخل فيها بانه ظاهره وصلاة الله والملايكة عليه صلى الله عليه وسلم كما في الاية والاحاديث الاتية والحكم بين الناس بما اراه الله لقوله انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما اى عرفه الله بالوحى والاجتهاد الذى اراه طريقه ووضع الاصر اى ثقل التكاليف التي كانت في الامم السابقة والاغلال عنهم اى المواثيق اللازمة لهم لزوم الغل في العنق وفيه استعارة مصرحة قال ابو على في قوله تعالى ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اي تخفيف ما يشدد في التوراة على بني اسرائيل واخذ عليهم العهد به كقتل القاتل
بدون دية او عفو او قطع الاعضاء الخاطئة وقطع محل النجاسات من الثياب وغيره
عنهم لامته اولهم والقسم باسمه والاسم ما اطلق عليه صلى الله عليه وسلم فيشمل
نحو النجم اي اراد اسمه صلى الله عليه وسلم في القسم فلا يرد ان القسم انما هو بمعناه والخاص
دعوته اي دعائه صلى الله عليه وسلم في مواضع لا تحصى وتكليم الجمادات كالطعام
والحصا والاحجار كما ورد في الحديث لا اعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل هو الحجر الاسود
وقيل غيره والمراد تكلمها عيانا ولاجله صلى الله عليه وسلم فلا يرد قول بعضهم
انه لا يدخل فيه تسبيح الطعام في يده كما ظنه النجاني نعم هو داخل في تسبيح الحصا
لشبهه به وسيأتي ذلك والجمادات جمع جماد من الجمود ضد الذوبان والمراد به
ما ليس بحيوان قال وقلنا سبح للجود والجمد وقيل انه اصطلاح
العلما والاسما المذكورة التي لم يسمع لها جمع تكسير من العرب يجوز جمعها بالالف والتا
واما ما جمع تكسيرا فلا الا في الشاذ القليل كما قاله النجاني وظاهره انه مقيس
وكلام الحريري في الدرة مصرح بخلافه والبجم اي وتكليم البجم بضم العين وسكون الجيم
وليس بفتح العين والجيم رواية ودراية والمراد به الحيوان الذي ليس من شأنه
النطق واراد به ما ورد من نطق الظبي والضب والجمل والحمار المفصل في معجزاته صلى
الله عليه وسلم وهو جمع اعجم كما في المقتفى وحاشية السمين وقال ابن ارسلان جمع عجما ومنه
اذا ركبتم هذه الدواب العجم وجرح العجما جبار وكلاهما جائز وفي النهاية ومختصرها
للسيوطي ورد بعد كل فصيح والاعجمي اي ادمي او بهيمة فقول النجاني الاعجم يطلق
على من في لسانه عجمة وان كان عربيا وليس بمراد هنا وهو على من لا يفصح كلاما من
الحيوانات غير الناطقة ان اراد الاعتراض فغير مسلم وان اراد تفسير بعضهم له بخلاف
العرب فغير صحيح وجمع بعض الناس له كتابا مستقلا في هذا اسماه النطق المفهوم
لما لعنه فلم ار محررا وفي عرى الايمان للبارزي اختلف اهل النظر في هذا من قائل
انه كلام واصوات يخلقها الله في الجماد ويسمعها من غير تغيير وهو مذهب الاشعري
والباقلاني وذهب اخرون الى ايجاد الحياة فيه فيها اولا ثم الكلام بعده وللمنصور
في قصيدة نبوية

يا السن فصحا قد خرست ان الجماد بفضله نطقا

وسيأتي الكلام فيه مفصلا واحيا الموتى اي احيائه صلى الله عليه وسلم الموتى بحسب
الظاهر والمراد احيا الله الموتى لدعوته او احيا ابويه له صلى الله عليه وسلم وغير
ذلك مما سيأتي واسماع الصم اي اسماع الله لسببه صلى الله عليه وسلم الحجارة الصم وغيرها

ابن الحنبلي

ابن اقبرس

منطق الجماد

في الجماد

الجماد كالشجر جمع اصم وهو الحجر الصلب كما ورد انه صلى الله عليه وسلم امر الحجارة ان
يجتمعن عليه لما لم يجد ما يستتر به عند البراز كما ذكره النجاني وهذا لا يخالف قوله
تعالى افانت تسمع الصم او تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين فانه مستحار للكفار
لكونهم غير منتفعين بحواسهم وليس المراد به الصمم المعروف فائدة
قال الحافظ ابن حجر رحمه الله لم يكن في حياته صلى الله عليه وسلم احد من الصحابة
رضي الله عنهم اصم وهذا من كراماته صلى الله عليه وسلم لانه مبالغ لهم او امر به
والصمم يمنع منه بسهولة بخلاف العمى ونبع الماء من بين اصابعه اي خروجه من
بينها كما سيأتي بيانه والاصابع جمع اصبع وفيه عشر لغات نظمها ابن مالك رحمه
الله تعالى في قوافيه بتثليث الهمزة مع تثليث الباء واصبوع كيربوع وهما قلته
في هذا من مقطعات النيل

لا تقل لي اصابع النيل يحكي ما جرى من اصابع المختار
وهو عذب جرى بغير قياس زاد ايقا بغير ان كسار

وتكثير القليل من الطعام وغيره اي تكثيره بسببه صلى الله عليه وسلم
او تكثيره هو له بحسب الظاهر والعادة وهو ضم الامثال كما في قصة جابر وطلحة
رضي الله عنهما المروية في كتب الحديث لما امر صلى الله عليه وسلم بجمع الزاد القليل
ودعا وبرك فيه فكثر حتى ملئ منه وعامعهم وانشقاق القمر لاجله بدعائه
صلى الله عليه وسلم كما روى انس رضي الله عنه ان قريشا سالته ذلك فانشق القمر
فلقتين وروى مرتين وروى انه ذهبت فلقة وبقيت فلقة وله طرق صحيحة
وليس المراد بما في الاية انه سينشق يوم القيامة كما في الكشاف وغيره لانه اخراج للقرآن
عن ظاهره وترك لتفسيره بما هو اعظم من معجزاته صلى الله عليه وسلم وسيأتي
الكلام فيه كالذي قبله ورد الشمس عليه صلى الله عليه وسلم في خيبر الخندق
وصبيحة الاسرا ولعلاة على كرم الله وجهه وسيأتي تفصيله وفي حواشي
التلمساني انها وقعت ليلة الاسرا لتصديقه صلى الله عليه وسلم ورد ثانيا لعلي كرم
الله وجهه بعد الغروب حتى صلى العصر وستقف في ايام الدجال لطول ايامه
فيوم كسنة وشهر وجمعه قيل كان علم النجوم صحيحا حتى وقفت الشمس
ليوشع عليه الصلاة والسلام وبطل بعضه وبطل باقيه بقصة علي كرم الله وجهه
والى هذا اشار القايل رحمه الله تعالى

ورد ت علينا الشمس والليل راغم بشمس لها من جانب الخدر مطلع
فوالله ما ادري احلام نائم المتنا ام كان في الركب يوشع

وقلب الاعيان جمع عين وهي ذات الشيء ونفسه وهي مشتركة بين معان مشهورة
كعصا عائشة رضي الله عنه يوم بدر حيث تناولها صلى الله عليه وسلم بيده فصارت
سيفا صارما ونحو ماسياتي وقلبا لاعيان بقدرة الله تعالى ممكن واقع ومن ينكره
وان لم يعتد بانكاره يقول لم تقلب عينه وانما عدمت واوجد الله مكانها مثلها والنصر
والرعب بضم فسكون وهو الخوف وسياتي تفصيله والاطلاع على الغيب بتشديد
الطاء اي اطلاع النبي صلى الله في بعض الغيبيات باقدار الله له صلى الله عليه وسلم على
ذلك ليكون معجزة له صلى الله عليه وسلم ويقع مثله لبعض الاولياء كرامة لهم خلافا
للمعتزلة حيث نفوه واستدلوا بقوله تعالى فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى
من رسول والجواب عنه مفصل في التفاسير وكتب الاصول وقال التلمساني الاطلاع
بسكون الطاء لا بشدد لفساد العين لان الله هو الذي اطلعه كما انه اطلع بنفسه
وقد يقال الاطلاع فيما يمكن من مقدور الانسان بخلق قدرة من الله ولا كذلك الغيب
لانه ليس من مقدوره وانما يطلعه الله عليه وليس بشيء وظل الغمام اي تظليلها
له صلى الله عليه وسلم ليلا يوذيه حر الشمس وقد كان ذلك في اول امره فان لم يثبت
بعده فلا ستغنائه عنه وتسبيح الحصا في كفه الشريفه وان كان ما من شيء الا
وهو يسبح بحمده لان هذا التسبيح خاص يسمعه الناس والحصا صغار الحجارة ومن
احسن ما قلته فيه

رسول له وارى زناد عزيمه ٭ فليس به صم الجارة يقدح
رمى بالحصا قوما بفاة فكفهم ٭ بكف به بحر السماحة يطفح
فكل لسان ناطق بتعجب ٭ لذاك الحصا في راحتيه يسبح

وابرا الالام جمع الم وهو الوجع لغة والمراد ما يعم الامراض والاوجاع والاحاديث
فيه كثيرة مشهورة والعصمة من الناس من بطشهم به بالقتل ونحوه وتقدم ما فيه
الى ما لا يجويه محفل هذا كقوله الى ما لا يأخذه عد متعلق بمحذوف معلوم من
السياق اي شهمته او مضمومة الى ما ذكر ويجويه بمعنى يشمله ويجمعه فيحتوي
عليه ومحتفل اسم فاعل من مزيد حفل القوم في المجلس اذا اجتمعوا ومنه المحفل ولا
يه اي لا يهتم والمعنى ان من اهتم بجمع هذه الصفات وامثالها لا يمكنه الاحاطة بها
ويبينه قوله ولا يحيط بعلمه اي بالوقوف عليه على اتم وجه الا ما خصه ذلك
اي الا الله الذي اعطاه ذلك واصل المنحه كما في المصباح شاة ونحوها يعطيها رجلا
ليستغل بلبنها ثم ترد وكثر ذلك حتى صار لمطلق العطا يقال منحه منحا من باب نفع وضرب
اعطيته والاسم المنحة ولا يلزم من الاتصاف بشيء ان يعلمه الناس لان منه امورا

باطنية غير ظاهرة لغيره بل منها ما لا يعلمه الموصوف بالمكنه والكمال فلا خلل
في الحصر ومفضلا على غيره مما اودعه من الفضائل به اي بكل ذلك ومجموعه لا الله
غيره اشارة الى الفاعل للتفضيل والعلم على ابلغ والا اي الحصر اي ليس علمه واعطاء
الا الله الخالق لا المخلوق العاجز لانه المعطي الحقيقي المحيط علمه بكل شيء وقد تستعمل
هذه الكلمة للتعجب كسبحان الله كما صرح به النووي رحمه الله في الاذكار الى ما اعد
له في الاخرة اي يهيئاه له فيها من المنح والمنازل العالية مما لا عين رات ولا اذن
سمعت قيل انه حال من معلوم التجاوز عنه اي ما اعد او بدل المقدر فالتجاوز الى
ما لا يحويه في الدنيا حال التجاوز عنه الى ما اعد او بدل او حال بعد حال الى اعلا
منه في الاخرة اقرب للتصريح لكثرة الانواع في الدارين من منازل الكرامة ودرجات
القدس اي من مراتبه المقدسة او الموجبة للقدس او الكاينة منه وما فوقها
مما لا يتناهى فلا يقال الظاهر تقديم الدرجات على المنازل والقدس بضمتين
وتسكن دال وله لا حاجة لتقدير في منازل الكرامة واصل معنى القدس الطهر
سمي به المكان لانه يطهر فيه العابد من الذنوب واسم الجبل يقال انه غير منصرف
والشد والكثير

كالمصرحي غدافا صبح واقعا ٭ في قدس بين مجاثم واوعال

قاله التبريزي في شرح ديوان ابي تمام ومراتب السعادة التي يترقى لها في
رفيع الدرجات والحسنى والزيادة معطوف على مراتب او السعادة اي والمثوبة
الحسنى من اللقاء لله والرضوان ولا حاجة لتخصيص هذا ولا تخصيص ما قبله
من غير داع والله اعلم التي صيغة للزيادة او للمجموع تقف دونها اي عندها
والظاهر انه قبل الوصول اليها العقول فلا تصل لادراكها وتقدر على ما
ويجاب بتخيير وهو مفتوح الياء التحتية دون او انيها وروي دون ادراكها
والادنى جمع ادنى بمعنى انزل واسفل او اقرب من الدنو اي لا يدرك العقل
سافلها فضلا عن عاليها ولا يصل لما يقرب منها فضلا عما يبعد عنها الوهم
وهو قوة تدرك بها الجزئيات المحققة وغيرها وجناب القدس اعلا من ان يحوم
حوله الاوهام والتخيلات وان كانت قد تقرض المحالات وفيه من الترقي ما لا يخفى
والقول بان من هذه الخصال ما هو موهبة فلا يناسب المقام من جملة الاوهام تتمة
لا بد من التنبيه عليها فانها من المهمات اعلم ان افعاله صلى الله عليه وسلم صنف
فيها العلامة ابو شامة كتابا سماه تحقيق الوصول الى افعال الرسول صلى الله عليه وسلم
لم ار في بابه مثله وقد طالعته ولخصته هنا وتقريره ان افعاله تشارك اقواله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في حكم الاسناد ويختص باحكام ولا خلاف في الاستدلال بافعاله صلى الله عليه
وسلم فقيل يستدل لمجردها على الوجوب او الندب او الاباحة اقوال وقيل يستدل
بها باعتبار الوجه فان علم اتبع والا فضربان اما بيان لمجمل فالعلي وجوب وغيره او لا
والثاني لا يدل على وجوب وغيره والاول تابع لما بينه والمختار الاول وهو على اقسام
الاول ما فعله امتثالا لامره كالحج والصلاة وهو ولا منه فيه والثاني ما وقع منه
جبلة مما لا يخلو البشر عنه كالاكل والشرب والحركة والسكون والسفر والاقامة
والقيلولة في منزل وتحت شجر وهو سواء فيه وامته ومنه نسعة الدباء واكله
القثاء ومحبته للحلو والبارد وسائر ما ورد في طعامه ولباسه مما لا يظهر فيه
قصد قربة ومنه كراهة اكل الضب لا الثوم والبصل والثالث ما ثبت انه من خواصه
كزيادة الزوجات والوصال وقيام الليل وجوبا والرابع ما فعله بيانا لمجمل في القرآن
كالصلاة وقطع يد السارق من الكوع والخامس ما صدر ابتداء وليس بيانا ولا خصوصية
له ولا جبلة وهو اما بعلم وجوبه او ندبه او لا وهذا اما ان يظهر فيه قصد القربة
او لا فالاقسام سبعة وفي حكم كل مذاهب فما سواه فيه امته ظاهر والجبلي والضروري
لا يسوغ اتباعه فيه وكذا كل ما فعله على الاباحة من اكله ولباسه ولا يستحب كلبسه
العمامة السوداء وفعله وتركه سواء الا ان يكون استنانا فاعن مثله وحكى القاضي
ابن الطيب قولا بان التاسي به فيه مندوب وقال القرافي في المتحول انه غلط ومن الغريب
القول بانه يجب علينا فعل كل ما فعله ولا وجه له واما الاستحباب فذهب ابن عمر رضي
الله عنهما فكان يتحرى اثاره صلى الله عليه وسلم والفقهاء يستحبون بعض كاتباع منازل
حجه ومقدار وضوئه وغسله واما خصائصه صلى الله عليه وسلم فمنها ما وجب عليه دون
امته فيجوز التشبه به كالوتر عند الشافعي رضي الله عنه والمشاورة لان المختص به صلى
الله عليه وسلم الوجوب وكذا المحرم كالاكل من الزكاة فما ابيح له صلى الله عليه وسلم
دوننا وما فعله بيانا لمجمل او تقييد المطلق فهو كما بينه وقيد والفعل المبتدأ على
وجوه ما علم وصفه من وجوب وغيره فتتعبد به كما علم وما لم يعلم فان قصد به القربة
فاصله الوجوب ما لم يرد دليل على خلافه وقيل يحمل على الندب وقال القرافي
يحمل الوجوب في العبادات وعلى الندب في العادات وقيل على الاباحة وقيل على الحرمة وقيل
بالوقف وقيل ما ظهر فيه القربة بين الوجوب والندبة وغيره مباح فالاقوال سبعة
وما لم يظهر فيه القربة قال الآمدي فيه الاقوال ايضا غير ان القول بالوجوب والندب
ابعد مما قبله والوقف والاباحة اقرب قال وبعض من جوز على الانبياء عليهم الصلاة
والسلام المعاصي قال انها على الحظر والمختار انه محمول على القدر المشترك بين الوجوب

والندب

والندب والاباحة وهو رفع الحرج عن الفعل والفعل دليل عليه وقال المازري
افعال المكلفين دائرة بين الوجوب والحظر وغيرهما فان قلنا بعصمتهم اي الانبياء
من الصغائر يسقط عنهم قسم الحظر وان قلنا بجواز وقوعها لم يجز نكيرها فتقع فلتة
فاذا صدرت منهم ولم يقارنه ما يدل على انه معصية يحمل على الجواز لكن لا يقتدى بهم وهو
كما قال ومن قال بالحظر اراد خطر اتباع غيرهم لهم بناء على ان الخبر هو الاصل
لا الاباحة اذا علمت هذا فافعاله صلى الله عليه وسلم الجبلية مباحة وما وقع امتثالا
او خصوصية له فهو ظاهر وكذا المرسل الذي ظهر فيه قصد القربة وعلمت
صفته وما لم يعلم متردد بين الوجوب والندب والظاهر الندب ويعتقد التشريك
بينهما من غير تعيين وما لم يظهر فيه قصد القربة ان كان من افعال الجبلة فمباح وان
تردد بين العبادة والعادة فالمتحقق فيه القدر المشترك بين الاباحة والندبة
وهو رفع الحرج كنزوله صلى الله عليه وسلم بالمحصب وما كان بيانا فهو واجب عليه
وقيل الواجب وواجب ومندوب مندوب والمباح مباح هذا بالنسبة اليه صلى الله
عليه وسلم واما بالنسبة للامة فما ظهر فيه قصد القربة وكان معلوم الصفة
فنحن مندوبون الى ايقاع مثله وكذا ما كان محتملا للقربة وغيرها فيستحب
التاسي فيها الا ان الثاني محطوط الرتبة عما قبله وقال المازري التاسي به ابرك
انتهى وهو كلام نفيس ينبغي حفظه وسيأتي في عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام
تتمة له والمقصود هنا انما هو بيان انقسام افعاله ثم انه ذكر بعد هذا ادلة
المذاهب ولا حاجة لنا به هنا **فصل** ثالث لما مر حتى يتم العدد ان قلت
اكرمك الله وفي نسخة وان قلت بالواو دعاله بان يكون محفوظا عزيزا ببركة حبيبه
صلى الله عليه وسلم جامعا للفضايل والكرم من كرم نفسه عن التدنس بالرذايل
من الكرم ضد اللوم والخطاب للمحب السابق اول الباب او لكل من يصلح للخطاب والجملة
معترضة **لا خفا** بالفتح اسم لا وخبرها انه الآتي اي في انه **على القطع** اي على سبيل
القطع بالجملة المصنفون يقولون في كلامهم هذا في الجملة كذا او بالجملة والجملة بمعنى
الاجمال مع التفصيل اولى فالمراد لا خفا قطعا فالجار والمجرور متعلق بالخفا ويجوز تعلقه
بالقطع والمراد به المجموع فالمعنى لا خفا اذا قطعت بجميع ما تقدم وقيل المعنى
لا خفاء في الجمل اي لا ستر على القطع بالجمل او جعل الاجمال الذي هو صفة اعظمية
اعلمية القدر متعلق بالقطع او عدم الخفا مجازا او مسامحة والمراد ان هذا المجموع
وطي لا حاجة الى بيانه بخلاف التفصيل لان التفصيل كذلك كما تو هم انه صلى
الله عليه وسلم اعلى الناس قدرا اي في انه والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم لا للمجموع

شبكة الألوكة www.alukah.net

توهم والقدر المرتبة واثر الناس على الخلق قيل لانه ليس بواضح على القطع واعظمهم محلا
لتعظيم محله ابلغ من تعظيمه كما لا يخفى قيل ولو قال اعلاهم محلا واعظمهم قدرا
كان احسن وقدرا ومحلا تمييز النسبة محول عما يلزمه والتقدير على قدر فتامل
واكملهم محاسن وفضلا في ذاته وعلى غيره وقد ذهبت اي سلكت اي قصدت
او اعتقدت قال في المصباح ذهب معنى وذهب مذهب فلان قصده وذهب في
الدين مذهبا رايا حسنا وتاء ذهبت مفتوحة للخطاب كما ضبطه البرهان في
تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا حسنا والمذهب المسلك وجمعه مذاهب قال
ابو فراش

ومن مذهبي حب الديار لاهلها ٭ وللناس فيما يعشقون مذاهب

والمراد بتفاصيلها ما تقدم من كونها ضرورية وكسبية شوقني وفي نسخة
شوقتني بتا الخطاب والتانيث للمذهب بمعنى الطريقة وهو تكلف لا داعي له والشوق
الحنين ونزاع النفس يقال شوقني الى كذا اي هيجني وقال في هنا كل النور في
الانسان قوة شوقية محركة لطبيعته وللجلال في شرحه كلام طويل في الفرق بينه
وبين العزم لا يليق ايراده هنا لاشتماله على تخيلات فلسفية الى ان افقه اي
اطلع عليها اي الخصال لان من وقف على شيء عرفه وقال وقف الامر على كذا اي علمه
عليه من اوصافه صلى الله عليه وسلم تفصيلا وهو حال من ضمير عليها لانه قد وقف
عليها مطلقا فلا بيان لها الا من حيث انها من اوصافه صلى الله عليه وسلم وتفصيلا
بمعنى مفصلة حال او مفعول مطلق لقدر فاعلم خطاب خاص او عام كما مر نور الله
قلبي وقلبك بنور منه يزيل ظلمة الغباوة حتى تفهم ما قصدته وقدم نفسه لما مر
ولانه هنا اهم مقدم رتبته وضاعف اي زاد وضعف الشيء مثله او اكثر وفيه كلام
لاهل اللغة والمفسرين بين طويل الذيل في هذا النبي الكريم حبي وحبك الجار
والمجرور متعلق بالمصدر مقدم عليه وان منعه بعض النحاة لتجويز الاكثر له اذا كان
ظرفا كقوله فلما بلغ اشده معه السعي اوفي كما في الحديث كما في قوله صلى الله عليه وسلم
الحب في الله والبغض في الله فهي تعليلية كما في قوله صلى الله عليه وسلم ان امراة دخلت
النار في هرة وهي ابلغ من اللام وان كانت بمعناها الدالة على شدة حبه له حتى
كان في ذاته والاشارة في هذا تؤيد له لانه على قربه وتفخيمه وقوله الكريم
اي الجامع لخصال الخير الحميدة ودعاوه بزيادة الحب مناسب جدا لان من احب شيئا
اكثر من ذكره فيه حث له على التفحص عن اخلاقه صلى الله عليه وسلم ومنعهما وتفهيمها
انك اذا نظرت الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي الجبلة الخلقة اي طبيعتها

ولا صلها

واصلها والاضافة لامية او بيانية وهذه شاملة للطبيعية وغيرها وقوله
انا الى اخره مفعول اعلم وحدته صلى الله عليه وسلم اي علمت علما يقينا انه كان حايزا
اي جامعا لجميعها ومتصفا بها على اكمل وجه يليق به محيطا نشات بفتح
الشين مصدر بمعنى التفرق اريد به هنا المتفرق محاسنها اي وجوه حسنها المحاسن
المتفاوتة اي جميع ما تفرق في غيره منها واحاط به كما ينبغي دون خلافي اي متجاوزا عن
اختلاف الناس الى اتفاقهم بين نقلة الاخبار نقلة بفتحات جمع ناقل ككاتب وكتبة
اي لم يكن يقع اختلاف بين رواة الاخبار في جمعه صلى الله عليه وسلم للمحاسن والكمالات
لذلك متعلق بنقلة وهو اشارة للمذكور من حيازته صلى الله عليه وسلم للمحاسن
ثم انتقل لما هو ابلغ فقال بل قد بلغ بعضها مبالغ القطع الجزم اليقيني
لتواتره وكثرة رواته المثمرة للجزم ومبالغ بمعنى الى مبالغ مفعول لبلغ لا مفعول مطلق
ثم شرع في تفصيل الصفات المذكورة فقال اما الصورة اي هيئة جسده الظاهرة
وقد تطلق الصورة ويراد بها الصفة ومنه قولهم صورة المسئلة كذا ومنه ما ورد
في الحديث ان الله خلق ادم على صورته على احد الوجوه فيه وجمالها حسنها وتناسب
اعضائه اي كل عضو منها سب لمقابله وملاصقه في صفاته المستحسنة ووصفه
كالطول والقصر والصغر والكبر كما مر فقد جات الاثار جمع اثر وهو والخبر والحديث
يطلق كل منها على الاخر وقد يفرق بينها الصحيحة والمشهورة ليس المراد بهما
ما اصطلح عليه المحدثون وان جاز وحينئذ الصحيح دون المشهور فلا وهو فيه
كما توهم واذا اريد به المعنى اللغوي فبينهما عموم وخصوص وجهي اي تلك الاخبار
والاثار رضا ما هو صحيح وما هو مشهور وليس فيه لف ونشر الكثيرة بذلك
متعلق بجات لانه يتعدى بالباء تقول جيت به واجابة اي الاجابة الى الحج وذلك
اشارة الى ما ذكر من الاخبار والاثار من حديث علي كرم الله وجهه بيان لما قبله
من الاخبار والاثار وقد تقدم معنى الحديث وترجمة علي رضي الله تعالى عنه معروفة
انس بن مالك الانصاري الخزرجي الصحابي رضي الله عنه خدم النبي صلى الله عليه وسلم
وهو ابن عشر او ثمان ولازمه عشر سنين وروى عنه الف حديث وماتين وستة ودعا
له صلى الله عليه وسلم بالبركة في ماله وولده وعمره والمغفرة فكان رضي الله تعالى عنه
من اكثر الناس مالا وولدا فمن لصلبه بضعا وعشرين ومائة من الاولاد وكان له
بستان يحمل في السنة مرتين ودعائه حق سيم من الحياة وتوفي سنة ثلاث وتسعين
وله مائة سنة ودفن بقرب البصرة بقصر انس وحديثه في الصحيحين كما قاله النووي
وابي هريرة رضي الله عنه وتقدم ان اسمه عبد الرحمن بن صخر على الاصح من ثلاثة اقوال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقيل كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو او عبد شمس وفي الاسلام عبد الله او عبد الرحمن
وكنيته التي كناه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو هريرة وهو ممنوع من الصرف
على الاصح كما قدمناه قبل ذلك والبرا بفتح الموحدة والراء المهملة المخففة والمد
على الصحيح علم منقول من البراء كالقضاء بمعنى التراب ابن عازب بعين مهملة وزاي
معجمة وموحدة الصحابي الانصاري اسلم في صباه قبل الهجرة وشاهد على رضي الله
عنه وشهد احدا واسلم ابوه وتوفي بالكوفة في ايام ابن الزبير رضي الله عنه وعائشة
ام المومنين بهمزة بعد الالف وعامة المحدثين يبدلونها ياء ويقال عيشة في لغة
ضعيفة وهي الصديقة بنت الصديق وحبيبة حب الله صلى الله عليه وسلم المامور بحبها
رضي الله عنها الطيبة الطاهرة النازل في حقها الطيبات للطيبين تزوجها رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهي بنت تسع ولم يتزوج بكرا غيرها وقيل بنت ست وابتنى
بها في السنة الثانية من الهجرة على الصحيح ودفنت بالبقيع سنة سبع او ثمان وخمسين
وزرون الفاء وما بني حديث وسيجيء بعض حديثها وهذا الحديث في وصف
حلية الرسول صلى الله عليه وسلم مروي في الشمايل وعنها نظرت الى النبي صلى الله عليه
وسلم وهو يحصف نعله وقد عرفت جبينه وقد عرف بقوله ينولد نورا فهبت فقال
مالك تهبتيني فقالت نظرت الى عرقك ينولد نورا فلو راك ابو كثير الهذلي لعلم انك
احق بقوله

ومبرا من كل غبر حيضة • وفساد مرضعة وداء مغيل
واذا نظرت الى اسرة وجهه • برقت كبرق العارض المتهلل

فقام النبي صلى الله عليه وسلم وقبل بين عينيّ وقال جزاك الله عني خيرا ما بشرت
بشي تكرهه ومري بهذا قال النجاني معناه ان امه صلى الله عليه وسلم لم تحمل به في آخر
الحيض بل بعد انقضائه واستيصال طهرها وهو محمود مصلح للولد به يكون صحيح
الجبلة محكم البنية كما قال الشاعر

حملته عزا في اول الطهر • وقد لاح للصباح بشير

وقال المعري

واني لمن ايا ابن آخر ليلة • وان عز مالي فالقنوع شرا

قال ابن السيد في شرحه اراد ان امه حملت به في آخر ليلة من طهرها حين استقلت
الحيض وهو مذموم مفسد للولد وغبر بضم الغين المعجمة وفتح الباء الموحدة المشددة
والراء المهملة بقاياه كما قاله الجوهري وابن ابي هالة بالهاء وتخفيف اللام علم منقول من
هالة البدر وهي الدائرة المحيطة به وهو ابن مالك اخو بني اسيد بن عمرو بن تميم حليف بني

عبد الدار واسمه هند وكابي هالة ثلاثة اولاده هند وهالة وبه كني والطاهر
واشتهر بهم هند ولاشتهاره لم يسمه المصنف رحمه الله ويقال له هند الوصاف
لاشتهار حلية وصف النبي صلى الله عليه وسلم بذلك عنه لانه كان ابن خديجة ام المومنين
من زوجها الاول وكان ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم اخا لفاطمة وخال الحسن
رضي الله عنهم فكان لصغره يتشبع من النظر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويديم
النظر لوجهه لكون عنده داخل بيته فلذا اشتهر وصف النبي صلى الله عليه وسلم عنه
دون غيره من كبار الصحابة رضوان الله عنهم فانهم لكبرهم كانوا يهابون اطالة النظر
اليه صلى الله عليه وسلم فاحاط به نظره احاطة الهالة بالبدر والاتمام بالتمر هينا
له مع ان ما قاله قطرة من بحر

وعلى نفاس عاشقيه بوصفه • يفنى الزمان وفيه ما لا يوصف

شهد بدرا قيل ولحدا وقتل مع علي رضي الله عنه يوم الجمل قال النجاني ولهند ابن ابي
هالة ولد يسمى هندا ايضا توفي بطاعون البصرة الذي مات فيه نحو من سبعين الفا
فاشتغل الناس بحنايزهم عن جنازته فلم يوجد من يحملها فصاحت نادبته واهند
ابن هند اه وربيب رسول الله فلم تبق جنازة الا تركت وحملت جنازته على اطراف
الاصابع اعظاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره الدولابي وقيل الذي مات
في الطاعون هند ابن ابي هالة والصحيح الاول والربيحية بضم الجيم وفتح الحاء المهملة
والغا مصغرا واسمه وهب ابن عبد الله ويقال وهب بن وهب السوائي بضم السين المهملة
وتخفيف الواو والمد نسبة لسواء بن عامر بن صعصعة صحابي مشهور توفي النبي
صلى الله عليه وسلم وهو مراهق وتوفي هو سنة اثنين وسبعين وروى له احمد
وغيره وجابر بن سمرة بفتح السين المهملة وضم الميم وراء مهملة ابن جنادة بن جندب
يكنى ابا عبد الله وهو ابن اخت سعد ابن ابي وقاص توفي بالكوفة سنة اربع
وسبعين وقيل وستين وفي التهذيب انه وهم ولكن النجاني وغيره واقتصر عليه
وام معبد بفتح الميم وسكون العين والباء والدال المهملتين واسمها عاتكة بنت خالد
ابن منقذ وفي الاكمال عاتكة بنت خليف بن منقذ بن ربيعة بن اصرم بن حيمش بن
حرام مهملتين ابن حبيشة التي نزل عليها النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته وهي خزاعية
كعبية صحابية خرج لها ابو يعلى الموصلي وكان منزلها بقديد ولم ينقل لها تاريخ
قال البرهان وحراء في نسبها بالحا المهملة وبالزاي كذا ضبطه الامير وزاد السهيلي
ابن كعب بن عمرو ونفر بن خزاعة انتهى وهي اخت حبيش بن خالد وابن عباس رضي
الله عنهما وترجمته معروفة ومعرض بن سعيد بن معرض بضم الميم وفتح العين المهملة

عبد الدار

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكسر الراء المهملة المشددة والضاد المعجمة معناه القوى العرض ثم نقل علما وهو
صحابي روى له ابن قانع من طريق الغديمي ولم يذكره ابن ماكولا ولا الذهبي وفي
التجريد الصحابة ان اسم ابيه معبقيل باللام بدل الباء قال البرهان الحلبي وكذا هو
في نسختي ولا ادري اصحيح هو ام لا وفي تنقيح ابن الجوزي معبقيب بالباء وابوه شهد
بدرا وتوفي في زمن علي رضي الله عنه وهو يماني وابي الطفيل اسمه عامر ابن واثلة
ابن عبد الله بن عمرو بن جابر الكناني صحابي له رؤية ورواية وولد في اوايل الهجرة
وروى عن ابي بكر وعمر ومعاذ بن جبل وغيرهم وروى عنه الزهري وقتادة وغيرهما
وكان من محبي علي رضي الله عنه مات سنة عشر ومائة وقيل ست مائة وهو آخر من مات
من الصحابة وكان شاعرا مفلقا والطفيل بطا مهملة مضمومة مصغرا والد ابن خالد
يعني بمهملة مفتوحة ودال كذلك مشددة وهذا معناه الشديد الجري وهو ابن خالد
ابن هودة ابن ربيعة ابن عمرو ابن عامر ابن صعصعة اسلم يوم الفتح وقيل يوم حنين
وحسن اسلامه وهو الذي اشترى من رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما واعتقه
كما رواه الترمذي وذكره الفقهاء وتأخر الى بعد المائة وروى له الطبراني كان
حسن السيلة والعرب تسمي السبلة وخريم ابن فاتك بضم الخاء المعجمة وفتح الراء
المهملة وميم مصغرا وفاتك بفا ومثناة فوقية قيل انه نسبة لجد جده وقيل
انه لقب ابيه اخو اوس بن شداد ابن عمرو وفي التهذيب انه خريم ابن فاتك ابن اخرم
وهو غريب شهد بدرا وقيل لم يصح ومات بالوقة في زمن معاوية رضي الله عنه
وروى عنه ابن عساكر وحكيم ابن حزام وغيرهم حكيم بفتح الحا المهملة وكسر
الكاف وحزام بكسر الحا المهملة وبالزاي المعجمة يليها الف وميم ابن اخي خديجة ابن
خويلد ام المؤمنين المعمر عاش مائة وعشرين سنة نصفها في الاسلام ومات قبل
عام الاسلام الفيل وولد قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة داخل الكعبة
ولم يولد فيها احد غيره وكان من المؤلفة ثم حسن اسلامه رضي الله عنه
ولما جاء الاسلام اهدى مائة بدنة والف شاة ووقف بمائة وصف في اعناقها
اطواق فضة منقوش عليها اعتقها الله عن حكيم ابن حزام ومات سنة ستين بالمدينة
وقيل غيره له واكثر من ذكر من روى حديث الحلية بيانا لشهرته وتأييدا للكلام
قبله واشار بقوله وغيرهم الى من رواه غير هؤلاء ككعب ابن مالك وعمر الفاروق
والصديق وبنت معوذ كما في كتاب الدلايل والوفا وغيرهما من انه صلى الله عليه وسلم
قيل انه بيان اخر لما بينه الاول بدا منه او مسافر او بيان لتنوله دلالة والظاهر
انه بيان لتحدث وليس المراد جميع من ذكر وكل واحد منهم روى هذا الحديث بتمامه

اللحية

لمجموعهم

بل مجموعهم فانه ملفق من رواياتهم كان ازهر اللون صفة مشبهة للفاعل
والازهر هنا تفاسير منقولة عن اهل اللغة فقيل نير وقيل حسن ومنه زهرة
الحياة الدنيا لزينتها وقيل ابيض واختلفت الرواة هنا في لونه صلى الله عليه وسلم
فقيل ابيض كما في حديث عايشة رضي الله عنها وابيض مشرب بحمرة عن علي كرم الله
وجهه وفي رواية انس رضي الله عنه ازهر اللون كما هنا وعنه ايضا انه كان اسمر
وفي الصحيح عن انس لم يكن بالابيض الامهق ولي الخالص البياض كلون الجير فانه
غير محمود وما وقع في رواية فيه عنه امهق ليس بابيض مقلوبة او وهم من
الراوي كما قاله المصنف رحمه الله او الممهق بمعنى الخضرة كما قاله ابن حجر الهيتمي
رحمه الله وليس بالادم بالمداي الاسمر ورد الطبري في الاحكام رواية اسمر ورواه
غيره كالترمذي في الشمايل وعامة المحدثين فسروا الازهر بالابيض المنير المشرق
وكذا ذكره في صحاح الجوهري وقد وفقوا بين الروايات بان المراد بالبياض البياض
المعتدل المعتاد ويؤيده ليس بالامهق كما مر ولا ينافيه انه مشرب بحمرة وانه
كان اسمر في بعض الاوقات لمقابلته الشمس فتعتريه سمرة احيانا وهو المراد
بكونه ادم وليس المراد انه شديد السمرة لانه سمي به لشبهه باديم الارض كما ان
الابيض الامهق الشديد البياض الذي لا يخالطه حمرة كالبرص والاحاديث
دالة على انه صلى الله عليه وسلم لم يكن شديد البياض ولا شديد السمرة وعن
الخطابي في الجمع بين حديثي السمرة والبياض ان السمرة فيما بروز للشمس من
بدنه الشريف والبياض فيما تواريه الثياب ويؤيده رواية ابن ابي هالة رضي
الله عنه انور المتجرد وايضا في الحديث انه مشرب بحمرة والحمرة اذا شبعت حكمت
السمرة وقيل ان ما في الشمايل عن انس رضي الله عنه ابيض كأنما صيغ من فضة لا يعارض
وصف علي كرم الله وجهه له بالحمرة لانه عنى وجهه الشريف وانس جسده كما مر
وسيجيء تتمته آنفا ما ذكر من انه عارض من تأثير الشمس يأباه السياق
لانه الظاهر من قوله صلى الله عليه وسلم انه امر خلقي لا عارضي لان مثله لا يقال انه لونه
والراوي له انس رضي الله عنه وكان فتى يباشره صلى الله عليه وسلم ملازما لا يخفى
عليه امره قال ابن حجر الهيتمي الاولى حمل السمرة على الحمرة التي تخالط البياض
وهو المراد والعرب تطلق على من كان كذلك اسمر ويؤيده رواية البيهقي عن انس
رضي الله عنه كان ابيض بياضه الى السمرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما احمر الى
البياض فثبت من مجموع الروايات وصفه ببياض فيه حمرة ورواية انه شديد
البياض محمولة على الامر النسبي فان كان رواية اسمر لا وجه له انتهى فالحق انه كان ابيض

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مشرّبا بحمرة وهو احسن الالوان لدلالته على قوة المزاج واعتداله وهذا معنى
ازهر ويقال له اسمر نظرا لميله للحمرة ومن اطلق عليه او عرّبه فقد اخطأ واما قوله
كانما صيغ من فضة فلم يرد به شدة بياض بل حسن منظره ورقته واما جعل
لونه عبارة عن لون وجهه فبعيد ايضا وقوله انور المتخوا ي ما تحت الثياب
لا يساعده وقالوا البياض برنس الجمال وما سواه ملاحة فان قلت كيف قال
بعض الصحابة ان سمرته صلى الله عليه وسلم من تاثير الشمس وقد كان الغمام يظله
قلت اجيب بان ذلك انما كان في اول امره ارهاصا لنبوته كما مر واما بعده فلم
يحفظه الله كما قاله ابن حجر في شرح الشمايل كيف وقد ظلله ابو بكر رضي الله عنه
بثوبه لما وصل المدينة وظلل عليه بثوب وهو يرمي الجمار في حجة الوداع تنبيه
قال ابن حجر ايضا قال ايمتنا الشافعية من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اسود
او غير قرشي او نوقش او مرد كفر لان نعته صلى الله عليه وسلم بغير صفته نفي له وتكذيب
ومنه يعلم ان كل صفة ثبتت له بالتواتر يفهمها كفر وسيأتي الكلام على اخر الكتاب
فان قلت لونه صلى الله عليه وسلم اشرف الالوان وكذلك اهل الجنة فلم جاء
في صفتهم ان لونهم بياض شوبه صفرة كما فسر به قوله تعالى كانهن بيض مكنون
قلت البياض المشرب بالحمرة يدل على غلبة الدم المورث لقوة المزاج واعتداله البالغ
عن العذارى في الدنيا واما غذا الآخرة فله شان آخر واما الصفرة فيهما بريق ولمعان
يناسب النساء دون الرجال ولذا مدح به في اشعار العرب مع انه ناش عن ترك
الحركة وكثرة النوم والترفه ولذا قالوا الاولى لهن ان لا يلبسن البياض لما فيه من
التشبه بالرجال ادعج وعند الترمذي ادعج العينين والدعج بفتحتين شدة سواد العين
مع سعتها وقيل سواد السواد وبياض البياض ويشكل ذلك بانه اشكل اتجلى من النجلة
وهي سعة شق العين ومنه طعنه نجلا ومن فسر الدعج بشدة سواد العين مع سعتها
فيه عنده تجريد او تاكيد او شكل بشين معجمة من الشكلة وهي الحمرة في بياض العينين
وكان اصله مطلق الحمرة لقوله

تمازال القتلى تمج دماها بدجلة حتى ماء دجلة اشكل

اي احمر وقال ابن دريد يسمى به للحمرة والبياض المختلطين فيه وفي المقتفى
في صحيح مسلم عن سماك بن حرب انه معنى اشكل طويل شق العين وهو وهم
بالاتفاق وقال النجاني الشكلة حمرة يسيرة في بياض العين فان كانت في السواد
فهي شهلة والرجل اشكل واشهل وكلاهما مستحسن وبمعنى اشكل اسجر بجيم ورا
مهملتين وفي حديث جابر رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع الفم

اشكل العينين

اهدب العينين خرجه مسلم وقال الاصمعي الاسجر الاشهل واكثر اللغويين على
خلافه وعن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اسجر العينين
ولم يرد الشهلة في وصفه صلى الله عليه وسلم اهدب الاشفار الهدب بضم الهاء والدال
ويجوز تسكينها الشعر النابت على الجفن والاهدب الطويل الاهداب او الكثيرة وهذه
في حديث رواه الترمذي والبيهقي ووقع في رواية فيه طويل الاهداب وفي البيهقي
وصفه بالكثرة وكل منهما شاهد للتفسيرين السابقين والاشفار جمع شفر
بضم الشين وقد تفتح طرف الجفن والجفن غطاء العين الاعلى والاسفل وانما
خلقت هذه الاجفان واهدابها لنفي الاذى عن ناظر العين وهي تمسحه في انطباقها
وانفتاحها وتذب عنه باهدابها كما قال

فلما افترقنا ماذب عن ناظري شفر

ولذلك كان الذباب يمسح وانما بيد به عينيه لانه خلق بغير اجفان واليه
اشار عنترة في تشبيهه البديع بقوله

وقع المكعلي الزنا والاجذم

وفي الجفن وطول اهدابه زينة ونفع وحسن واضافة اهدب الاشفار من اضافة
الشيء لمكانه فانه يجوز اضافته للمكان والزمان نحو عالم بغداد ومالك يوم
الدين وهي لامية او على معنى في والاهدب يوصف به الرجل فيقال رجل اهدب
والجفن والشفر وليس فيه اطلاق الاشفار على الاهداب مجازا من باب اطلاق الحال
على المحل كما تسمي الخمر كاسا وان جاز وليس المراد بالشفر الجفن مجازا باطلاق الجزء على
الكل ولا يخرج فيه ولا تقدير مضاف اي شعر الاشفار كما توهم ابلج من البلج بفتحتين
وهو تباعد ما بين الحاجبين من الشعر ووقع في حديث اوصعه وصفه بالقرن وانه اقرن
وهو مخالف للرواية المشهورة في حديث الحلية ولهذا رد بعضهم هذه الرواية ووفق
بينهما بانه كان بينهما شعر خفيف جدا مما يظهر اذا وقع عليه الغبار في سفر ونحوه
وحديث ام معبد سفري وفي كتاب خلق الانسان لثابت رجل اقرن وامراة قرناء اذا
نسب الى الحاجبين قالوا مقرون الحاجبين ولا يقال اقرن الحاجبين وقد مدحوا بالبلج
قديما وحديثا كما قال بعض المحدثين

اذا رأيت سهام الناظرين بهديه وان كان سلما غير يوم هياج
غدا مونق من حاجبيه حنيه لها البلج الوضاح قبضة عاج

ومنه اخذ ابن سنا الملك قوله

رمى وفي اجفانه السهم صائبا ومن حاجبيه القوس والقبضة البلج

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والحنية بمعنى المحنية القوس والقبضة وسطها الذى يقبضه الرامى والعرب
تسمى السيد بالابلج ووصف النبى صلى الله عليه وسلم به مشهور وقال ابو طالب
فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم

وابلج يستسقى الغمام بوجهه • ثمال اليتامى عصمة للارامل

على احدى الروايات وانشده بفتحهم وابيض والثمال الملجأ اسم مفرد كالغياث
لفظا ومعنى ازج بفتح الهمزة والزاى المعجمة وتشديد الجيم وهذا وكل ما رواه انه
فى حديث الحلية صفات مشبهة لانها تجرى كذلك فى الصفات والحلى ويوصف به الرجل
والحاجب فى المدح والزج كما فى تحفة الملوك العروس للنجاتى دقة محط الحاجبين
وامتدادهما الى مؤخر العين غير عريض ولا كثيف وضده الزب وقال الشمنى ج
ازج مقوس الحاجب مع طول وامتداد وقال حسان رضى الله تعالى عنه ازج كمشق
النون من يد كاتب وقال روبة ومقلة وحاجبا مزججا • والزج خلقة والترجيح
ما كان بصنع كما قال • وزججنا الحواجب والعيونا • اى صنعن ذلك وهو
ما تسميه العامة تحفيفا بالحا المهملة وهذا ايضا مما رواه الترمذى
رحمه الله اقنى كما ورد فى حديث هند الذى رواه الترمذى وفى حديث على كرم الله
وجهه القرنين والعرنين الانف والقنا طوله ودقته ارتبته مع حدب فى وسطه
وفسره الجوهرى بالحدب والمصنف رحمه الله بالسايل المرتفع الوسط وقد يبدل
السيلان بالدقة وقيل انه نتو فى الوسط وضيق للمنخرين وقال النجانى الفتا احد
يداب قصبته مع نزول الارنبة وهى راس الانف مما يلى الفم والشمم استوا اعلى
قصبة الانف مع ارتفاع يسير فى الارنبة وهو من صفات الجمال والمدح وعلامة السودد
فى الرجال قال حسان رضى الله عنه

ببض الوجوه كرايم احسابهم • شم الانوف من الطراز الاول

وقال الفرزدق يكفه

يكفه خيزران ريحه عبق • من كف اروع فى عرنينه شمم

وورد فى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اشم وبهذا وصفه اصحابه
رضى الله عنهم كما ورد فى الاحاديث ويعارضه ما اشتهر من انه صلى الله عليه وسلم
كان اقنى وجمع بينهما بان القنا كان خفيفا فان زيادته غير ممدوحة كما مر فى السابغ
ويدل عليه قول ابن ابى هالة الآتى اقنى العرنين بحسبه من لم يتامل اشم وقول بعض
الشراح هنا فمن راه متاملا عرفه ومن لم يتامل ظنه اقنى العكس عليه الامر فتامل
افلج الفلج بفتحتين ما بين الثنايا او ما بين الاسنان وهو من قولهم فلجت اذا شققته

تابعد ح

فلجين

فلجين اى نصفين وفلج فلوجا ظفر وقال ابن دريد وتبعه صاحب القاموس
رحمه الله انه لا يقال رجل افلج الا اذا ذكر معه الاسنان اى او اقيد لفاسوا كان
بلفظ الاسنان او الثنايا او غيرهما لئلا يلتبس برجل افلج اى بعيد ما بين القدمين
او القدمين فانه ورد استعماله مطلقا فى كلام مهمد ون الاول فانه ورد مقيدا باضافة
وغيرها ومن هنا قد اعترض على المصنف رحمه الله بان قوله افلج مخالف للغة اذ لم
يستعمل فيها الا مقيدا كما عرفته وقد استعمله الحريرى كذلك ثم ما قاله قاله اهل
اللغة مخصوص بهذه الصفة فان غيرها كثير من غير تقييد كقول العجاج

ارمان ابرت واضحا مفلجا • وفيه بحث لان هذا الاستعمال مروى فى الحديث
هكذا وابن ابى هالة راويه من خلص فصحا العرب ولا عبرة بقول بعض النحاة
ان الحديث لا يستدل به فى اثبات العربية واعلم ان العرب اذا وضعت كلمة لمعنى فقد
تستعملها مطلقة وقد تلتزم تقييدها باضافة مطلقة او معينة كوجه او نحوها
وقد تلتزمه فى حالة مخصوصة كاب واح اذا اعرب بالحروف وقد تلتزم هيئة
مخصوصة نحو كافة وقاطبة وتعريف الال وقد تلتزم شيئا كما فيما نحن
فيه واذا هنا شيئا وهو انه ورد استعمال لفظ عين العرب على هيئة مخصوصة مما مر
ما المانع من استعماله فى ذلك المعنى من غير تغيير لبينته فى موضع اخر كما فيما نحن
فيه واذا جاز التجوز فيها ونقلها عن معناها قياسا فهذا بالطريق الاولى خصوصا
وقد عضده السماع والفلج ممدوح لانه يطيب رايحة الفم والاسنان لعدم
بقا الماكول بينها مع المعاونة على خروج الحروف من المخارج لعدم بقا الماكول
بينها مع المعاونة سهلة وصحيحة ومن الملح فيه قول ابن نباتة

اوذى الدجى جبينه وشعره • طرة صبح تحت اذيال الدجا
مالى به مع قرب داري ملتقى • فهل رايت نغرة المفلجا

مدور الوجه عبر فى الشمايل بقوله لا بالمكلثم وكان فى وجهه تدوير وفسر
بانه لم يكن شديد تدوير الوجه بل فيه تدوير مع استطالة قليلة وهو اعلى
واحسن وهو المراد هنا والمكلثم بالمثلثة فسر بالمدور هنا والسمين والنحيف
فهو ضد وفى النهاية انه صلى الله عليه وسلم كان اسيل الوجه وروى البغوى
مسبوط الوجه اى فيه طول والروايات يفسر بعضها بعضا وما ورد من
انه مدور الوجه كالقمر محمول على الضيا والحسن فلا منافاة بينهما واسع الجبين
السعة ضد الضيق والجبين والجبهة هل هما بمعنى او بينهما فرق لم كثر اهل
اللغة على الفرق بينهما بان الجبهة مع موضع السجود الحادى المناصبة من المحاجب الى قصاص

الشعر وحاجباها حاجبان وقيل انها تطلق بمعنى الجبهة والمجموع وانكره بعضهم
وخطا المتنبي في استعماله بهذا المعنى الا ان ابن عاصم قال في شرح قول زهير

يقيني بالجبين ومنكبيه وانصره بمطرد الكعوب

انه اراد بالجبين الجبهة وسعة الجبين مما يدل على قوة العقل والفهم والحواس اذا
لم يكن مفرطا وسعة الجبهة حسنها وشخوصها او طولها كما قيل والظاهر في
العبارة هنا انه اريد بالجبين الجبهة او الرقتل الجبينين بالتثنية كذا في اللحية هذه
الصفة والترمذي والبيهقي عن هند وعلي وام معبد رضي الله عنهم والكل في
اللحية ان تكون كثيفة غير خفيفة يرى منها ما تحتها لكثرة اصولها جيده ملتفة
وليست بطويلة ولا قصيرة الشعر في العرض واليه اشار بقوله ملا صدره يعني
انها طولا وعرضا بمقدار صدره فجعلها كانها حالة فيه لان المظروف لا يزيد على
ظرفه ومثله قولهم قد ملات كمره وبحر الصدر اعلاه او موضع القلادة فراد المصنف
رحمه الله اعلا القدر والاطالت وقد ثبت قصرها وقيل المراد انها تملا ما
يقابل القدر منها فاستوت طولا وعرضا غير خفيفة واعلم ان اللحى واللحايا ينبت
عليه الاسنان واللحية ما حوذة منه فان قلت وروي في الحديث من سعادة
المرء خفة لحيته وهو ينافي كونها كثة قلت المراد من ذلك عدم طولها
جدا المأورة في طولها ذميم وقد قيل اعتبروا عقل الرجل في ثلاث في طول لحيته
ولقش خاتمه وكنيته وقال الشاعر

ولقصان عقل الفتى عندنا بمقدار ما طال من لحيته

مع انه ورد خفة لحيته بالتثنية وفتر بخفته في حركته للذكر سوا البطن والصدر
هو بتنوين سوا ورفعه ونصبه واضافته اي مستويهما والبطن مبتدا وسوا
خبر مقدم ولا حاجة لتقدير منه ولا لجعل ال بدلا من الضمير كما قاله التلمساني وهو
اشارة الى اعتدال خلقها وعدم خروجها احدهما عن الاعتدال فان البطن اذا
كان بارزا او مضمرا لم يكن من الصفات الحسنة وكذلك اذا برز او تطامن وسوا
التي قد يكون بمعنى وسط وليس بمراد هنا كما قاله التلمساني واسع الصدر في
المواهب عن ابي هريرة رضي الله عنه عبر بقوله رحب الصدر وفي الترمذي والبيهقي
عريض القدر وقال البيهقي كان بطنه صلى الله عليه وسلم غير مستنفيض فهو مساو
للصدر وصدره عريض مساو لبطنه والعريض والواسع بمعنى وقال الصفوي
يجوز ان يكون مجازا عن الحلم واحتمال الامور كما يقال في صدره غير ضيق الصدر وقال
تعالى فلا يكن في صدرك حرج وعدل المصنف رحمه الله الى السعة ليكون اظهر في احتمال

المعاني

المعاني اقول هذا غير صحيح هنا لان الكلام في الحلية الحسنة وهذا
ليس منها وذلك فقال فلو قال كما قال الدلجي ان معناه واسع القدر حسا ومعنى
ليكون كناية كان اولى فتامل عظيم المنكبين مثنى منكب بفتح الميم وكسر الكاف
وبالموحدة وهو مجمع عظم العضد والكتف اي ضخمهما وروى البيهقي مسند الجليل
مشاش المنكبين ومشاشهما بالضم رؤسهما وروى الواقدي رحمه الله ضخم
العضدين والمنكبين وفي الشمايل جليل المشاش اي رؤس العظام كالمرفقين
والركبتين والمنكبين وهو معنى قوله ضخم العظام وعبل العضدين الضخم
الغليظ كما في الصحاح او العظيم الجرم الكثير اللحم وفي حواشي عبد المجيد اليمني
ضخم العظام غليظها يقول اضخمت اذا انتصبت قائما والمضطخم المنتصب
والعظام جمع عظم وعظيم كما في ضرام السقط لصدر الافاضل وبعض الجهلة
لوهمان قولهم الموالي العظام غلط لانه لا يكون الاجمع عظيم وروى الترمذي
وغيره ضخم الكراديس قال ابو نعيم هي العظام اي عظيم الالواح وقيل رؤس
العظام وقال البغوي الاعضا والمراد عظام يحسن عظمها كالجوارح والاطراف
وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم كان عظيم الاطراف والجوارح والعظام اساس
الانسان بعظمها يقوى ويحسن وتتم الحواس وعبل بفتح العين المهملة وسكون
الموحدة بليها لام معنى ضخم قوي والعضدين تثنية عضد بفتح العين وضم
الضاد المعجمة وتسكن تخفيفا وفيه لغات وهو ما بين المرفق والكتف وليس ساعدا
والذراعين اي وعبل الذراعين والذراع هو ما بين مفصل الكف والمرفق ومن
المرفق الى اطراف الاصابع والاساقل جمع اسفل قال التلمساني يريد به رجليه
وقارئ جسمه وقال غيره المراد بها ما بين الفخذان والساقان وذلك كله مما
يودن بكمال قوته لما في الحديث انه صلى الله عليه وسلم اعطي قوة ثلاثين رجلا
في مسند احمد عن ابي هريرة رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم مسيح الذراعين
بعيد ما بين المنكبين يقبل جميعا والشيخ بفتح الشين المعجمة وسكون الموحدة
وبالحا المهملة بمعنى العريض رحب الكفين والقدمين اي واسعهما وقال
النجاتي اي كبيرهما وهو محمول على ظاهره من كبر الجوارح لدلالته على كمال الخلق بخلاف
صغرها وتاوله بعضهم في الكفين على انه كناية عن جوده وسماحته قال والحق
انه ان روي مجموع رحب الكفين والقدمين فلا مجال لهذا التاويل للجمع بين الحقيقة
والمجاز فان ورد رحب الكفين فقط فان كان في مقام بيان خلقه بالفتح فلا مناسبة
له او في مقام خلقه بالضم فله مناسبه وقد ورد انه صلى الله عليه وسلم كان شثن الكفين

والقدمين والشثن بمعنى الغليظ لا الواسع وهو لا ينافي ما مر وفسر
الاصمعي رحمه الله تعالى الشثن بالغليظ الخشن فقيل له انه ورد في صفة
النبي صلى الله عليه وسلم وقد ورد في البخاري وغيره ما ينافيه عن انس رضي الله
عنه ما مسست حريرا ولا ديباجا الين وانعم من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاني على نفسه ان لا يفسر شيأ في الحديث وقيل لين جلده صلى الله عليه وسلم ونحوه
ملمسة خلقة وخشونته باعتبار عمله لجهاده ومهنته وتفسير ابي عبيد
الشثن بالغليظ القصير مردود بما صح من انه صلى الله عليه وسلم سايل الاطراف
الآتي واعلم ان البارزي رحمه الله قال في توثيق عرى الايمان انه روى
انه صلى الله عليه وسلم كان خمصان الاخمصين اي منجافي اخمص القدم وهو الموضع
الذي لا تناله الارض من وسط القدم وروى انه صلى الله عليه وسلم كان سبط
القدمين اي املسهما ولذا قال ينبو عنهما الماء في حديث ابي هريرة رضي الله عنه
ما يخالفه لانه قال فيه اذا وطئ بقدميه وطئ بكليهما ليس له اخمص وهذا الوفق
رواية مسيح القدمين قال وسمي عيسى عليه الصلاة والسلام بالمسيح لانه
لم يكن له اخمص في احد الوجوه فيه وفيه قيل معنى مسيح القدمين لا خمص عليهما
وهو يخالف رواية شثن القدمين انتهى وفيه نظر ففي شرح الشمايل مسيح
القدمين املسهما بينهما فليس فيهما تكسر ولا تشقق ويفسره قوله ينبو
عنهما الماء اي يسير سريعا لملاستهما فكان غليظ اصابعهما وروى احمد وغيره ان
سبابتي قدميه صلى الله عليه وسلم اطول من غيرهما وفي البيهقي كانت خنصر
رجله صلى الله عليه وسلم منتظاهرة وما اشتهر من اطلاق كانت سبابته
صلى الله عليه وسلم اطول من وساطه غلط فانه خاص باصابع رجليه انتهى
وما قيل ان سعة القدمين لم تزد الا انه بمعنى العظم المذكور في البخاري فيه
نظر سايل الاطراف وفي شمايل الترمذي سايل الاطراف او شايل
الاطراف بالشك من الراوي من انه بالسين المهملة من السيلان بمعنى ممتدها
امتدادا معتدلا بغير افراط ولا تفريط او بالمعجمة من شالت الميزان اذا
ارتفع لحدى كفتيه والمراد منه ما قبله والمراد بالاطراف الاصابع وروي
سبابن بالنون المبدلة من اللام كما قال التلمساني وطول الاصابع مما يمتدح
به العرب وسايل بهمزة مبدلة من الياء كما تقرر في الصرف وقوله في المغني انه
بالياء ان اراد انه روي كذلك على خلاف القياس فصحيح والا فلا وفسر بالطول
من غير تعقد وروي كان اصابعه قضبان فضة اي اغصانها قيل والاوجه في

تفسير

تفسير التنعم لما روي من انه سبط القصب وفسر بكل عظم ذي مخ والبسوطه
الامتداد قاله ابو نعيم انور المجرد انور بمعنى يتوصفه مشبهة لانه من باب
من باب الالوان وعليه اقتصر التلمساني والبغوي والمجرد بضم الميم وفتح
الجيم والراء المشددة والدال المهملتين بمعنى الجسد الذي من شانه ان يجرد عنه الثياب
والعرب تقول فلان حسن المجرد والمجرد والجردة والعرية والعري والكل بمعنى
وقيل انور افعل تفضيل مضاف لغير المفضل عليه كما ذكره النحاة اي مجردة انور
من مجرد غيره والمجرد بالضم مصدر ميمي يقال امراة نضة المجرد والمجرد اي عند التجرد
والمجرد اي عند التجرد والتعري والمحدثون فسروه بما جرد عنه الثياب اي نزع ولبس
على القلب اي ما جردت الثياب عنه او هو اسم موضع التجرد او اسم مفعول على
الحذف والايصال كالمشترك لانه ثبت عن العرب فلا يقال انه غير قياس واسم
المفعول لا يبنى على من مثله بغير صلة كمرور به والقول بانه جعل يجرد بمعنى
جرد المتعدي كما جعل رحم المتعدي بمعنى رحم اللازم وبين منه الصفة المشبهة
وجعله من الحقايق والدقايق من زخرف القول الذي لا طايل تحته وتفسيره
بساير البدن باعتبار اغلبه واكثره كلام حسن وجعله وهما خرافات واهيه
دقيق المسربة دقيق بالذال المهملة والقاف والمراد انه ليس بعريض ولا
متكاثف الشعر وروي بالزاي المهملة وهما بمعنى والمسربة بفتح الميم وسكون
السين المهملة وضم الراء كذلك وفتحها وبالموحدة شعر مستطيل من الصدر الى السرة
فهو خط من الشعر بينهما قيل والذي يظهر انه شعر دقيق من الشعر من الصدر
الى البطن يطول ويقصر ابتداء اولذا وصفت مسربته بالطول من اوايل الصدر الى السرة
والوصف بالدقة للمبالغة والمسربة من السرب وهو وحول الطريق والانسراب
فيها ربعة القد القد بمعنى القامة ورجل ربعة وامراة ربعة بفتح الراء وسكون
الباء وفي المصباح حذف الهاء في المذكر وفتح الباء لغة فيهما ورجل مربوع مثله
اي معتدل وفي القاموس الربع الرجل بين القصير والطويل وقاربه باعتبار النفس
والذات وليس في اضافة للقد تكلف كما توهمه وفيه ضمير للنبي صلى الله عليه وسلم
بالتاويل المذكور وروى الترمذي وغيره انه صلى الله عليه وسلم كان اطول
من المربوع وفي البيهقي عن انس رضي الله عنه فوق الربعة فالمراد بكونه
صلى الله عليه وسلم ربعة انه بين الطول الفاحش والقصر ومن نفى الطول
اراد الفاحش ولذا قال ليس بالطويل البائن كذا في الصحيحين عن انس رضي
الله عنه اي لم يكن بفرط الطول فهو من بان بمعنى ظهر لظهور طوله او بعد لبعده

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عن قد الرجال الطوال او لقدر من الاعتدال او من المفارقة والانقطاع لانفصاله
بعضه عن بعض او عن غالب الناس او الاعتدال ولا القصير المتردد اي المتناهي في
القصر من التردد بمعنى الرجوع او الدخول كان بعضه يدخل في بعض ويرجع
اليه وهذه صفة خلقته صلى الله عليه وسلم لذم الطول الفرط والقصر والفرط
للتلمساني هنا كلام في تفسيره لا محصل له ومع ذلك اي مع كونه ربعة
معتدلا فلم يكن يباشيه احد من الناس بان يمشي معه ويجنبه بحيث يعرف مقدار القدر
قيل الاولى عدم الغائها الا ان يقال هذه بيان للحالة السابقة يعني لانها خلقة
وهذه عارضة فتدبر بنسبال الطول الاطالة المراد بنسبته له اضافه به وكونه
معروفا به مشهورا كما يعرف المرو بالنسبة له اضافه فيقال القرشي ونحو فهو
استعارة قوله الا وطالة اي غلبته في الطول وزاد عليه فهو من باب الغالبة المعروفة
فلذا تعدى مع لزومه او اصله طال عليه على الحذف والايصال وروى البيهقي
وغيره وزيادة ربما اكشف الرجلان الطويلان فيطولهما اذا فارقاه عاد ربعة
وفي المواهب عن ابن سبع واذا جلس صلى الله عليه وسلم كان كتفه اعلى من الجالسين
وهل هذا محض اراءة لذلك او حقيقي يرجع عنه فيه تردد ولم يخلق اطول من غيره
لخروجه عن الاعتدال الا كمال المحمود ولكن جعل الله له هذا في راي العين معجزة
خصه الله بها ليلا يرى نفوت احد عليه بحسب الصورة والمظهر من بين اصحابه
تعظيما له بما لم يسمح لغيره فاذا فارق تلك الحالة زال المحذور وعلم التعظيم
فظهر كماله الخاتي رجل الشعر يقال شعر رجل بفتح الراء وكسر الجيم وفتحها وهو
ما فيه بين قليل وما لا يشتهي فيه فهو سط والاول احسن وامدح وروي
شعره بين لا رجل ولا سبط وفي مثله مبالغة في قلة التثني وفيه كلام بسطناه
في السوانح وفي الصحيحين لا بالجعد القطط ولا بالسبط والقطط بفتح الطاء
وكسرها الشديد الجعودة والسبط بكسر الباء ضده وهو المسترسل بغير تكسر
فشعره صلى الله عليه وسلم بين هاتين الصفتين لا تجعيد فيه كثير اذا افترشاه
افترق من مثل سن البرق هذا رواه البيهقي مسندا ومعنى افترق كشف عن اسنانه
متبسما وضاحكا ويفتر يضحك ضحكا حسنا بمعناه وفي النهاية تبسم حتى تبدو اسنانه
من غير قهقهة وهو افتعال من فتر الدابة اذا كشفت شفتها ليعرف مقدار سنها
ومن اخذ السن بمعنى العمر فهو خطائي عبد المجيد اليمني ومنه فر الجواولة يعني بكسر
الفاء وتشديد الراء وتبعه بعض الشراح ومن قال الله وهم لم يفهم مواده والسنا
مقصور ورواية مده لا اصل لها فان الممدود بمعنى الشرف كما قال ابن عباد المعز

ايها الصاحب الذي فارقت عيني ونفسي منه السنا والسنا
اي اذا كشف صلى الله عليه وسلم عن اسنانه في حال ضحكه ظهر من ثغره وبياض
اسنانه لمعان كلمعان البرق وانما خص التشبيه بحال التبسم والسرور وشبه
ذلك بالبرق دون ما هو اضوا منه كالشمس والبدر اشارة الى انه لا يدوم ضحكه
وانتفاخ ثغره لان كثرة الضحك غير محمودة ولم يكن ذلك من دابه صلى الله عليه
وسلم ولان تبسمه لمخاطبه يعقبه يقع وخير من عطايه وكلامه ورضاه كما يعقب البرق
المطر والرحمة العامة وما قيل ان الاظهر انه اذا استمر يتلا لا فيظهر تارة ويختفي
اخرى فالمناسب البرق ويويده رواية مثل سنا البرق اذا تلا لا مخيله سرف
وهذا التشبيه لنور ثغره وقوله وعن مثل حب الغمام في بياضه ولقايه وصفايه
حب الغمام هو البرد بفتح الراء وتسكينها قال المصنف ويروى تسكينها والالف
اصح وقيل حب الغمام حبابه على الماشيه به ما على اسنانه من قليل الريق
وبليه وهو الظلم بالفتح الذي تسميه الشعراء اشبا كما قال ابن الوكيل
يا بارقا قد حكاه في تبسمه ... لقد حكيت ولكن فاتك الشنب
والاصح الاول لرواية البيهقي عن هند رضي الله عنه مثل البرد المنحدر عن
متون الغمام قال السيد رحمه الله شبه ما يظهر من اسنانه في التبسم بذلك في
البياض والصفا واللمعان في او الاعتدال وفي النهاية وهو بعيد ومن
قال حبه قطرة الغمام شبه بها ما يظهر على الثنايا من الريق فقد وهم
لان الثنايا ليس عليها عادة الابل فلو اجتمع لم يحسن قيل وما احسن
عدوله عن تشبيهه بالحباب لحب السحاب لتنزهه عن تشبيهه بامر محرم
وقيل عليه ما احفه صلى الله عليه وسلم بقول التحتري
كانما تبسم عن لؤلؤ منضد او برد او اقاح وقول الحريري
يفسي الفدا راق الثغر مبسمه ... وراقه شنب ناهيك من شنب
يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد ... وعن اقاح وعن طلع وعن حبب
ولبس الحب حباب الماء تفاخانه ولا حباب الحمر بل منضرة الاسنان كما قاله الجوهري
فلا مثل في التشبيه لما قاله وهو وهم منه فان الحباب والحباب بالمعنى المذكور مما
لا شبهة فيه وما قاله الجوهري لا يصح هنا لما فيه من تشبيه الشيء بنفسه كما قيل
اقام يعمل ايامًا قربته ... وشبه الماء بعد الجهد بالماء
اذا تكلم يرى كالنور يخرج من ثنايا له ... وقع عندنا او ايرى مضاع
يرى المجهول والذي صححه التلمساني وغيره رواية رئى بوا مكسورة وياء ساكنة

شبكة الألوكة www.alukah.net

تليها همزة بوزن قيل وفي رواية رُبي بضم الراء وهمزة مكسورة تليها ياء مجهول
راى والكل صحيح رواية ودراية وهذا رواه الترمذي في شمائله والدارمي
والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما والثنايا جمع ثنية وهي اربع اسنان اثنان
فوقانية واثنان في مقابلهما والمراد وصف ثناياه صلى الله عليه وسلم بشدة
البياض والبريق والصفا واول الحديث كان صلى الله عليه وسلم افلج اذا تكلم
الى اخره ورَوى ابن كثير رحمه الله رَوى التثنيه وهي الاظهر ولذا قيل الكاف
زايدة ويحتمل انها اسم بمعنى مثل وهي او الجار والمجرور نائب الفاعل وهو صفة
المقدر اي تلالوا وشئ وضمير يخرج للنور وقيل انه للكلام المفهوم مما قبله
اي يخرج منه كلام شبيه بالنور في ظهوره أحسن الناس عنقا رواه البيهقي مسندا
وفيه احسن عباد الله عنقا وفي رواية من احسن الناس والمراد احسن جميع الناس
او الناس الموجودين والا تكليف فيه كما توهم وحسنه باعتداله وبياضه وصفا لونه
ويستحسن في العنق التلمع وهو اشراقه وانتصابه والتنطع وهو طوله
قال النجالي وقد جاء هذا في وصفه صلى الله عليه وسلم قال وطول العنق مما يستحسن
ما لم يفرط فاذا افرط فهو مذموم وقد جمع واصل بطول عنقه ولقب به
واعلم ان السهيلي قال في الروض الانف ان العنق والجيد بمعنى الا ان الجيد يستعمل
في العنق بخلافه فيقال صنعت عنقه لا جيده والمأورد عليه قوله تعالى
في جيدها حبل من مسد قال الله تعالى وتمليح بجعل الحبل كالعقد لها وفيه نظر
لان الاستعمال بخلافه كثير كما هنا وكقوله وفي عنق الحسناء يستحسن العقد
ليس بمطهر ولا مكلم المطهم كما في القاموس كعظم السمين الفاحش والنحيف الجسم
الدقيق ضد والممتنع الوجه والمجتمعة مدورة وقليل لحم الوجه ومكلم اسم مفعول
من المكلمة وهذه الصفة مروية عن علي كرم الله وجهه في سنن الترمذي والبيهقي
غير متصل وسيأتي وعن عائشة رضي الله عنها وله معان منها ما تقدم ومنها
كما في الترمذي بان كثير اللحم والمجاور لونه السمرة الى السواد ويصح ارادة كل منهما
غير التناوب واذا فسر به المكلم ليلا يتكرر واعاده لامع العاطف ثاني كونه تاكيدا
واما معناه المذكور في القاموس وهو البارع في الجمال فلا يصح هنا لنفيه وقد ثبت
انه وسائر اعضائه في غاية الكمال والجمال ومكلم اسم مفعول مروي عن علي وعائشة
رضي الله عنهما مسندا وفيه بمدود الوجه مطلقا ومع كثرة اللحم والباقي الوجنه
وقيل هو قصير الذقن وفي النهاية انه القصير الخد الدائي الجبهة المستديرو مع خفة
اللحم لانه صلى الله عليه وسلم كان اسيل الوجه لا مستديره ولا ينافي هذا ما مر عن علي كرم الله

المدح وهـ

وجهه

ابن اقبرس

وجهه من وصفه بانه ممدود الوجه لان المعنى الاستدارة المفرطة المذمومة والمثبت
خلافه كما صرحوا به الا ان في شرح السنة ان الكلمة لا تكون الا مع كثرة اللحم وكذا
في الصحاح والمراد غير المفرطة ايضا فهو من الاضداد والصفتان للنبي صلى الله
عليه لا للعنق كما توهم وهو غلط فاحش هنا متماسك البدن وهذا مروي
في حديث هند رضي الله عنه كان بادنا متماسكا اي معتدل الخلق كان اعضاء بعضها
بعضا بعضا لغوثها وعدم استرخايها وقال الغزالي لحمه متماسك على
خلقه الاول لم يضره السن الذي من شانه ان يسترخي اللحم فيه بخلاف الشباب
ضرب اللحم ضرب بفتح الضاد المعجمة وسكون الراء المهملة والموحدة بوزنة
المصدر اي قليل لحم البدن خفيفه لا الى الهزال وهو يمدح به كما قال طرفة
انا الرجل الضرب الذي تعرفونه ، خشاش كراس الحية المتوقد
وهذا معنى قولهم لحمة بين اللحمين لا ناحل ولا مطهم وذكر اللحم مع قول اهل
اللغة الضرب الرجل الخفيف لبيان معناه لانه يشترك او التجرد وهذه الصفة
في حديث لمعبد رضي الله عنها وفي حديث رواه البيهقي وهي لا تنافي ما ورد
في حديث اخر من انه كان بادنا اي كثير جسيما او كثير اللحم لان القلة والكثرة والخفة
ومقابلها امور نسبية فحيث اثبت اريد بها رتبة معتدلة وحيث نفيت اريد
الافراط او ان هذا كان في اول عمره وكونه بادنا في اخره لما في الصحيح انه صلى الله
عليه وسلم لما كبر سنه كبر لحمه ولا خفا انه صلى الله عليه وسلم لم يكن نحيفا قط
ولا سمينا قط وقال التلمساني معنى كونه بادنا كثير لحم البدن ولكنه متماسكا
يقوى بعضه بعضا ويشده ويمسكه فهو خفيف لهذه النسبة قال
البراء بن عازب رضي الله عنه تقدمت ترجمته وهذا الحديث رواه الترمذي وصححه
ورواه بتقديم أحسن لاتى ما رايت من ذي لمة في حلة حمراء احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ذايبة او ضبيبة لمة بكسر اللام وتشديد الميم ما طال من شعر
الراس في احد جانبيه قال التلمساني قيل هي الوفرة وقيل فوقها وقيل اذا الم الشعر
بالمنكب فمملة وقيل اذا جاوز شحمة الاذن وقيل دون الجمة وقيل فوقها والجمة ما بلغ
المنكبين انتهى وقد اختلف في الفرق بين هذه الثلاثة اللمة والجمة بالكسر والضم
والوفرة بالفتح فقيل اللمة ما جاوز من شعره شحمة الاذن وسميت بها لالمامها
بالمنكبين وان زاد فتنتهي الجمة وهي ما سقط على المنكب كما في شرح السنة والمراد
بالمامها به قربها كما في المصباح لا بلوغ اولها او سقوطها وتوعيما متصلة بها منبسطا
بعضها عليه قليلا وقيل تجاوزه لما ورد في الحديث كما له شعره يضرب منكبيه وفيه نظر

وفي القاموس الوفرة ما سال على الاذن أو جاوز الشحمة ثم الجمة ثم اللمة وزاد في
مآ في للجوهري تارة وتارة قال اللمة ما جاوز الشحمة فاذا بلغ المنكب فهو جمة وقوله
فيه السهو او التناقض وهو محمول على ما في شرح السنة وقيل يتعين حمله كلام مصر على
ان في الجمة لغتين اي ما سقط على المنكب وما لم يبلغه لما مر فاقتصر بعضهم
على احدهما والاخر على الاخر وذكرهما الجوهري وفي الشمائل جمته تضرب جمة اذنيه
فهي ثالثة من غير تناقض ومنهم من اول الحديث بانه جمه قيل وربما وصل لماذكر
بعده وهو بعيد بل غير سديد انتهى اقول الجمة بمعنى الكثيرة الشعر
ومنه لحم الجفير والوفرة من الوفور وهو الكثرة واللمة من الالمام وهو القرب
او النزول ولا يخفى ان الكثرة والقرب ونحوهما امور نسبية تتفاوت بحسب
ما ينسب اليه فلا تعارض بين معانيها بحسب الاصل والاشتقاق فلكل منها
معنى يجوز استعماله في المعاني المذكورة بحسب القرائن فاللمة ما يلم بالاذن او
بشحمتها او بالمنكب بان تقرب منه او تنزل عليه والكثرة اما في نفسها او بالنسبة
للمة فاذا الوحظ كل من هذه صحت المعاني فتدبر والحلة بضم الحاء المهملة وتشديد
اللام كما في القاموس ازار ورداء او غيره ولا تكون حلة الا من ثوبين او ثوب
له بطانة انتهى فلا تجوز ثوبا واحدا ولا ثوبا ليس له بطانة كما قاله الخليل والثوب
لا يختص بالمخيط بل يعمه وغيره وفي النهاية انها من برود اليمن ولا تكون الا ثوبين
من جنس واحد وتاؤها للوحدة الصورية كما يقال حبش واحد او للاسمية وقال
النجاني في الحديث دليل على ان الحلة قد تكون ثوبا واحدا يعني لتا الوحدة ووصفها
بحمر واللغويون مطبقون على انها لا تطلق الا على ثوبين والحديث صحيح متفق
على تخريجه وهو المصنف رحمه الله في مشارقه فقال الهاسميت بذلك لحلولها
على الجسم او على ثوب تحتها وهو باطل لاقتضائه ان كل ملبوس يسمى حلة من اي نوع كان
اقول ما نقله هذا بر منه غير صحيح فاشتراط كونها ثوبين واتفاق
اهل اللغة عليه قد نقلناه لك عن صاحب القاموس وعن الخليل واما اعتراضه
على المصنف رحمه الله في وجه التسمية فليس بشئ لان وجه التسمية مناسبة لفظها
او الواضع لا يلزم اطرادها ولا انعكاسها فهو غفلة منه ثم اعلم ان الامام الشافعي
رضي الله عنه ومن وافقه استدل بهذا الحديث على جواز لبس الاحمر ولو كان
قانيا كالمعصفر والمزعفر ومن ذهب الى كراهتهما كراهة تحريم اجاب
بان المراد انه كان فيه خطوط حمر وليس احمر خالصا وبان هذا منسوخ قال المحب رحمه
الله في شرح التمهين الكبير لبس الاحمر مكروه وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي

معنى بين حم

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم قال اياكم والحمرة فانها من ازى الشياطين وما روى من حديث
البراء بن عازب ما رايت من الناس في حلة حمراء احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهذا ابلغ من الحديث الذي قبله لانه فضله في لباس مخصوص
وخصه لانه يظهر فيه النور والحسن من غيره اكثر وقال في هذا ما رايت شيئا اي من
الناس او غيره هو مطلقا كان الشمس تجري في وجهه كان بالتشديد في الرواية هنا
وان جاز تخفيفها وهي اداة تشبيه وترد للظن والتشكيك وهو مبني على التشبيه
والشمس منصوب اسمها وجملة تجري خبرها وجريان الشمس حركتها الاصلية كما قال
عز وجل والشمس تجري لمستقر لها قيل شبه لمعان وجهه تارة بالشمس وتارة بجريان
الشمس لان المنتقل المعاينة فالمناسب ان يقال كان نور الشمس ويراد بالشمس نورها
فالاوجه انه شبهه بنورها وجريانه لكنه لما كان بتبعيتها حكم بانها تجري وهو دقيق
ومن حديث
البراء بن عازب ما رايت ذا لمة في حلة حمراء الى احرة كان في الابنة اشركه استعماله
للرجال بعده لان انتهى او من خصائصه صلى الله عليه وسلم وضرب عمر رضي
الله عنه من لبس حلة معصفرة وقال دعوا هذه الثياب للنساء او الكراهة
تنزيهية وفعله للجواز وسئل الشيخ قاسم بن قطلوبغا عن لبس الاحمر الذي
فيه النزاع وهو الاحمر الصرف هل هو مكروه ام لا فاجاب بانه مكروه
كراهة تحريم للاحاديث الواردة في النهي عنه ثم اورد كلام محمد في السير وانه
كرهه بعد ذلك لما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن لبس المعصفر وانما لبسه الشعبي رحمه الله فيرى انه لم يبلغه النهي فلبس
فلبس المعصفر ولعب بالشطرنج وخرج مع الصبيان لينظر القيل فتركوه واذا
ورد ما يقتضي الاباحة وما يقتضي التحريم فالثاني ناسخ نسخا اجتهاديا
كما يشير اليه كلام التبر وما ذكر عن الشعبي جوابه عما يقال لو كان النسخ مشهورا
ما لبسه الشعبي وقال بعض المتاخرين حديث البراء ليس من محل النزاع لان
الحلة برود اليمن المخططة انتهى وفيما قاله النسخ نظر لان النهي عن المعصفر
العام الذي شاع في عهد النبوة لبس النساء له لا يستلزم النهي عن الاحمر المنسوخ
كذلك وفرار الشعبي عن القضاء لا يبيح له الحرام وقوله حلة حمراء في حديث البراء
يابى كونها مخططة فالحق ان الكراهة تنزيهية ولذا قال النووي في شرح المهذب
لبس الاحمر جايز بالاجماع غير الخز برواي مع الكراهة التنزيهية وان قال بعض
اصحابنا من المالكية بجوازه اي من غير كراهة وقول بعض الحنفية بالجواز لا ينافي
الجواز ومراد النووي الاجماع المذهبي وما ذكره من النسخ بالاجتهاد محل بحث
فليحرر وقال ابو هريرة تقدم الكلام فيه وانه غير منصرف ما رايت

بليغ اوشبه محل اللمعان بفرصها وتغيره تارة وتارة بجريان الفرس وفيه بعد
وقال الطيبي رحمه الله يجوز تعلق الخبر بيستنقر فهو من تناسي التشبيه وجعل
الوجه مقر الشمس فكانه جعل يجري حالا وكان للظن والادعاء او فعلا ناقصا وهو
بعيد انتهى وقيل المعنى ان الشمس الجارية في فلكها شبهة بما يجري في وجهه من عرق
ونحوه ففي وجهه ما هو شبيه بالشمس ولذلك الشبيه ما هو شبيه بذلك الجريان من
التلالو والانبساط ففيها مشبه ومشبه به وصفة هي للمشبه به ظاهرا وللشبه
به خفية على اسلوب كاني قايل اى انا كالرجل القائل فحول اسناد الجريان وفيه
مشبهان مطويان مع اسنن الاستعارة هما ما في وجهه من التشبيه بالشمس والتشبيه
بذلك الجريان كما في قوله تعالى وما يستوي البحران هذا عذب فرات سايغ شرابه
على ما فصل في شرح المفتاح اقول هذا كله تكلف وتعسف لا طايل تحته
وبيانه ان مراده المبالغة في وصف وجهه الشهير بالنور كما اشار اليه بقوله واذا
ضحك تلالا في الجدر فشبهه وجهه الشريف بالشمس في الاشراق والنور ثم عكس
التشبيه ليكون ابلغ فقال كان الشمس وجهه ثم زاد في المبالغة على طريقة التجريد
فانتزع منه شمسا جعلها في وجهه كقوله لهم فيها دار الخلد وافهم تجري على انه
حال واصله كان وجهه الشمس ثم كان الشمس وجهه ثم كان الشمس في وجهه وانما
قيدها بكونها جارية اما لان المراد ظاهرة سايرة على وجه الارض اولان التلالو
النوراني وجهه كتحركها وهو اقوى في التشبيه وهذا هو الذي عناه واما تناسي التشبيه
فمراده به تشبيه وجهه بالشمس لان منطوق قد تشبيه الاستقرار او الجريان لما عرفته
لكنه تسامح في العبارة واما ما سخ له الشراح فلا وجه له ومن الغريب هنا قول
التلمساني ان معنى تجري في وجهه تتوهج كتوهج الشمس واشار الى ظهور الامران
كراهة او اصابة كرب في وجهه كظهور ذلك في الشمس من سحاب او غيره ومنه قوله
في الحديث فرايت لوجهه صلى الله عليه وسلم ظللا وهي جمع ظلة انتهى والتلالو
اللمعان والاضاءة وجدر بضمتين جمع جدار وهو الحايط والناس يستعمله بمعنى
الاساس واما الجدر بفتح فسكون فهو الحاجز الذي يحبس الماء كما سياتي في حديث
الزبير رضي الله عنه اسق يا زبير حتى يبلغ الجدر وليس مفردا بمعنى الجدار كما توهم
وهذا رواه احمد والترمذي وابن حبان والجمع على ظاهره من غير حاجة الى جعل
التعدد باعتبار الاوقات اى نور وجهه يشرق اشراقا يصل الى الجدران القابلة
له كما يكشف ذلك من الشمس والقمر وقيل اذ من نور يخرج من بين ثناياه وفمه اذا
فتر وتبسم وروى ابن كثير عن ابي هريرة رضي الله عنه بكاد يتلالو في الجدر فتفارقه بحسب

الاوقات

الاوقات او بحسب خفة ضحكه وشدته او ما هنا محمول على المبالغة على تقدير
تكاد وقال جابر بن سمرة الذي مر ذكره وهذا مما رواه الشيخان عنه وقال له رجل
جملة حالية بتقدير اقد او معطوفة على ما قبلها وفي الشمايل سال رجل البراء بن
عازب كان وجهه صلى الله عليه وسلم مثل السيف بتقدير الاستفهام كما ورد مصرحا به
في الشمايل ويجوز عدم التقدير هنا والظاهر الاول وتشبيهه به في البريق واللمعان
لا مطلقا ولا في الطول كما توهم وروى البيهقي كان وجهه حديدا كالسيف ولا
يظهر وصفه بالحدة وان اريد بحده نفاذ امره وامضاؤه في الدين وقصد الخير
كما في النهاية فلا وجه لتخصيصه بالوجه وكذا التعميم ولذا رده جابر بقوله لا
قيل قال تاكيد القال الاول وعطفه لجواز عطف المؤكد على المؤكد بالقاف وثم كما قال
الله تعالى كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون وانكار اهل المعاني له غريب او هو لتفصيل
ما قبله او انه لم يفصله الجواب ووقع في مسلم بدون عاطف وردده بلا اما لابهامه
الطول ومخالفته في اللون اولان لمعانه اقوى والمشبه عن المشبه به كما قال

قلمناك في تشبيه صدغك بالمسك ٭ فمن عادة التشبيه لعصان ما يحكى

بل مثل الشمس والقمر شبهه بشيئين والمشبه به قد يتعدد فيعطف بالواو كقول
البحتري المتقدم كانما تبسم عن لؤلؤ منضد او برد اواقاح وبالواو كقول
الحريري المتقدم ايضا يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد وعن اقاح وعن طلع وعن حبب
فلا وجه لقول السيد اللايق ان يقول الشمس او القمر او الواو بمعنى بل والشمس
يمتنع استيفاء الحظ من رويتها فاللايق القمر وما في الوفا من انه لو قيم مع الشمس
قط الاغلب ضوؤه ضوءها ليتاتى في التشبيه بها لا يهاء عرف واشهر وقال التلمساني
انه اضرب عن تشبيهه بالسيف لعدم مناسبته وانما يشبه به نفس الانسان في نفاذ
امره وشدته كما قال

٭ وكالسيف ان لا ينته لان متنه ٭ وحداه ان خاشنته خشنان ٭

قال ويقال لابل ولابن ونابل انتهى وهو غريب وفي شرح الشمايل لابن حجر الشمس
يشبه بها غالبا في الاشراق والضياء والرفعة والقمر يشبه به في الملاحة والحسن
فبين جمع وجهه للعينين مع نوع استدارة وطول وفي حديث كعب ابن مالك
رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه كانه قطعة قمر وفي رواية
فلقة قمر وفي رواية للطبراني التفت الينا كانه وجهه شقة القمر وانما اراد وانتشبيه
بعض وجهه لان السرور كان يبدو في جبهته فشبه بعضه ببعضه وبهذا اندفع ما قيل
ان وجهه الاحتراز عما في القمر من السواد فشبهه ببعضه الخالي منه انتهى وكان وجهه

الشريف مستديرًا فيه استدارة كما مر وهذا مؤكد للتشبيه لا لعدم المشابهة
التامة أي هو لحسن منه واصل لاستدارته دونه وهذا الأوجه له لان استدارته
وكونه كسائر الاجرام العلوية مبرهن عليه في الهيئة وقيل التشبيه بالبدرين انما يتأتى
منه الضوء والملاحة فبين الاستدارة ليكون التشبيه فيهما ايضا وقالت ام معبد
وهي كما تقدم عاتكة بنت خالد الصحابية رضي الله عنها التي كانت نازلة بخيمة
في طريق المدينة وقد نزل عليها النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته لما خرج من غار ثور
وقصتها معه مشهورة مروية من طرق عديدة نقصدها ونصححها وكان زوجها
غائبا فلما اتاها اخبرته به فاستوصفها اياه فقالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة
ابلج الوجه حسن الخلق لم تعبه محله ولم تزريه صعلة وسيم قسيم في عينيه دعج
وفي اشفاره عطف وفي صوته صحل وفي عنقه سطع وفي لحيته كثافة اقرن ان
صمت فعليه الوقار وان تكلم سماه وعلاه البهاء اجمل الناس وابهاه من بعيد وأحلاه
واحسنه من قريب الى اخره ما قالته في نعته من كلام بليغ مشروح في السير مبينه
في بعض منها وصفته بباقي في بعض كلام وصفه به من رواية البيهقي في دلائله
ابن خالد عنها والحتم بعض اشارة الى انه كلام طويل مشتمل على وصفه وغيره
من صفة الشاة وغيرها وما نقله المصنف رحمه الله بعض الصفة لا كلها
واضافة بعض لامية من اضافة البعض للجزء لا بينية كما توهم اقول
تفصيله كما في شرح الكتاب لابن غالب تلميذ السلوبين ان النحاة اختلفوا
في اضافة بعض القوم فقال ابن خروف لا يمتنع بعض من القوم وجزء من الشيء
فهو على معنى من ولا يكون ذلك في كل فقد يكون للشيء حكم لا يكون لمقابله ويجوز
في بعض المال بعض للمال ويراد به اما الباقي منه فيتصف هذا بانه بعض
له كان مضافا اليه والاضافة تحقق بادنى ملابسة وقد يراد به بعض للكل المحقق
وقال السهيلي البعض في مقابلة الكل واضافة كل على معنى اللام فيصح لك في بعض
مقابلها وايضا فالاضافة على معنى من انما تكون فيما يكون جنسا للاول يصدق
عليه كخاتم حديد ولبنى في بعض الدرهم ودرهما لا بعض زيد زيدا وهذا
فيه تفصيل وهو انك اذا اضفت البعض لجنسه كبعض الحديد وبعض الطعام
واذا اضفته لذوي صورة له اسم كزيد كان له حكمه انتهى اجمل الناس من بعيد
الظاهر انه صفة رجلا في قولها رأيت رجلا كما سمعته انفا ويجوز رفعه على
القطع والمدح والجار والمجرور حالا من ضمير اجمل اي مشاهدا من بعيد والجمال
اليها والحسن والذي في الرواية السابقة اجمل الناس وابهاه فالمصنف اما ان يكون

استطه

استقطه منه لكونهما بمعنى او ظفر برواية فيهما هكذا او كون الاطناب في المدح
محمود سهل والناس اسم جمع او جمع نادر واصله اناس كما فصله شراح الكشاف وجعل
الجمال من بعيد لانه يحقق الناظر فيه لمهابته بحيث لا يطيل النظر له من قرب منه
الا ان يكون صغير السن كابن ابي هالة او من محارمه او من الاعراب الجفاة فاذا افعاله لا
ادرك فوق الجمال والى ذلك اشار بقوله وما احلاه واحسنه من قريب
وفي نسخة واحسنهم والعرب تفرد الضمير في مثل هذا حملا على لفظه او على الجنس
كانه قال وابهى هذا الجنس وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم خير نساء ركبن الابل
صالح نساء قريش احناه على ولد الحديث اي خير هذا الجنس لان الناس والنساء من اسما
الاجناس وفي النهاية انما وحد الضمير هنا ذهابا الى المعنى وان التقدير احنى
من وحد او من هنا كذا قرره بعض الشراح اقول تحقيق هذه المسئلة
ان العرب تقول احسن الفتيان واجمله بافراد الضمير بمعنى احسن فتى وفي التسهيل
انه لسد واحد مسد هم ومثله وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه
لان الانعام تسد مسد النعم قاله ابن مالك في شرح التسهيل وقال ابو حيان رحمه
الله مذهب الفارسي ان افراد الضمير لانهم يقولون تارة هو احسن فتى فيفردون
وتارة احسن الفتيان فيجمعون فتوهموا ذلك في حالة الجمع فافردوه والذي يدل
عليه كلام سيبويه رحمه الله انه افرد كما افرد في ضربين وضربت قولك فوملك
على معنى ذكر وهو الصحيح وهو يدل عليه الحديث السابق ولو كان على ما يقوله الفارسي
قال احناها او قد يعود الضمير على الاثنين والاناث مع افعل مفردا كقوله
ومية احسن الثقلين جيدا ٭ وساقا واحسنه قذالا وقوله
شربوا منها واغواه لها ٭ ركبت عنز بحدج جملا
وضمير الاناث السابق ويكون ذلك دون افعل قليلا وفيه كلام حققناه وغيرنا
هذا المحل قال اللمساني وهو نفيس عند ابن مالك وسماع عند سيبويه وافراده
لارادة ما مر لانه اسم جنس كما توهم واحلى من قولهم حلى بعينه وقلبه اذا اعجبه
واستحسنه فعطف احسنه عليه عطف تفسير والحاصل ان الصورة الاجمالية
المشاهدة اجمل من غيرها وكذلك التفصيلية المشاهدة من قرب وكثيرا ما
يتفاوت البعد والقرب اذا دقق النظر وفي حديث ابن ابي هالة الآتي وقد
تورمت ترجمته بيتلا لؤ يضيء ويشرق وجهه تلالؤ القمر منصوب
على المصدرية اي مثل تلألؤه ليلة البدر اي عند تمامه وتمامه هو النور ما يكون
واحسنه وقال ابن سيده ليلة طلوعه والثانية والثالثة هلال سمي قمرا الى ثلاثة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عشر ثم يستوى ليلة ثلاثة عشر فتسمى تلك الليلة ليلة السواء ثم يليها ليلة البدر لانه اذا بدرت الشمس للمغرب بادرها بالطلوع وقابلها وقيل من البدرة وهى الف دينار لتمام عدده ثم يسمى ليلة النصف قمرا ويسمى زبرقانا **وقال علي** ابن ابى طالب كرم الله وجهه كما رواه الترمذى والبيهقى عن محمد ابن الحنفية فى حديث مرسل ضعيف **فى اخر وصفه له** صلى الله عليه وسلم اى فى حديث طويل فى صفته وحليته اخره ما نقله المصنف عنه وليس المراد انه آخر مجلس وغيره مما تحمله بعضهم **من راه بديهة** اى فجاءة وبغتة قبل مخالطته ومعرفته حاله وخلقه ويقال لكل ما يفعل عجلة من غير تامل بديهة كما قال القرى ان الطعان ذا يه الفرسان وفى كتاب الجرايح العمرانية البداية البديهة مشتقة من بداه كما يقال مدح وغده وضله فى الكلام وغلب فى الشعر من غير روية وتفكر والارتجال اسرع من البديهة **هابه** اى خافه وقدر تقدم من يقوم بين يديه وفى النهاية هابة عظيمة ووقره فالمعنى ان من راه ابتدا وقره ولو كان من اعدايه فاذا تذبر كماله وحلمه احبه ومن احبه عظمه فالتوقير لازم له على حال والمحبة بعد الخلطة **ومن خالطه** اى ما ربجة وصاحبه ويلزمه معرفته فلذا قال **معرفة** وهو حال اى ذا معرفة او مفعول مطلق اى مخالطة معرفة او لاجل المعرفة لاجل النفاق والعداوة والانقياد لما يراه من لين جانبه وحلمه وكرمه وشفقته على جميع عباد الله **احبه** لظهور محاسنه التى توجب محبته ولان الله سبحانه وتعالى سخر القلوب لمحبته واذا احب الله بغض عباده مالق عليه محبة الناس ولا يحتاج الى ان يقال انه ربما كان يتصرف منه معجزة كما روى انه عليه الصلاة والسلام وضع يده على صدر رجل ثمار فعها حتى صار احب الناس اليه بعد ما كان ابغضهم عنده وفى رواية من خالطه فعرفه وهى قريبة من رواية المصنف رحمه الله بلا تعنت **يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله** كلام مستانف فضله لاستقلاله وناعته واصفه اى كل من يريد وصفه من شانه نعت ما يراه والنعت يغلب فى الوصف الحسن وقال الطيبى رحمه الله اى ناعته يقول ذلك عند العجز عن وصفه ولا تكلف فيه كما توهمه الرويشة بصرية او علمية والمثل المساوى والمشابه ونفى المماثلة المطلقة مبالغة والمراد مثله فى حسبه وكماله ونفى المثل يقتضى نفى من يفوقه بالطريق الاولى ولان لكل فايق مثل وزيادة فيلزم من نفيه نفيه كما يراد بنفى الافضلية اثبات الافضلية كما مر وقول بعضهم كلمن شانه النعت هذا يقتضى انه لا مثل له حقيقة والا لم يكن من شانه من راه نعته بذلك كما لا يخفى **والاحاديث الواردة فى بسط صفته** والجار

والمجرور صفة بلا تكلف بتقدير الكاينة او كابنة على انه حال من المبتدا او من فاعل الخبر وفى الظرفية كلام مر وفى البسط التطويل **مشهورة** شهرة لغوية او عرفية او اخص اصطلاحية وما اشتهر تغنى شهرته عن ذكره فلذا قال **فلا نطول** الكتاب والكلام **بسردها** سرد الشئ تتابعه واجاده ومنه اليا منتابعا مفصلا من سرد الدرع بنسج حلقه **وقد اختصرنا** اى اوردنا مختصرا غير مطول **فى وصفه** صلى الله عليه وسلم **نكت ما جا فيها** اى فى تلك الاحاديث والنكت اللطايف والدقايق الخفية من النكت فى الارض كما مر والمعانى اللطيفة التى تنثر منها النفس لحسنها **وجملة** بضم فسكون اى مقدارا مجموعا **مما فيه الكفاية** من بيانية اى جملة هى الكفاية اى الكافية او تبعيضية اى جملة هى بعض الكافى وقيل المراد من جملة امور يكفى كل منها لانها جزء الكافى لانه مع ما فيه ينافى التقييد بالمشيئة الاتى فتدبر **فى القصد الى المطلوب** من وصفه صلى الله عليه وسلم متعلق بالكفاية والقصد الوصول الى ما طلبه فى هذا المقام من بيان كماله وجماله وحسن جملته وتفصيله من قصد السهم اصاب مرماه او المراد به الاتيان يقال قصد له واليه اذا اتى به او المراد الاعتدال والتوسط بين الاختصار والتطويل فيما يفضى الى الغرض المطلوب وقوله **ان شا الله تعالى** وقع فى بعض النسخ هنا وليس فى اصلنا وهو للتبرك والتيمن او تعليق للقصد والكفاية **وقد مشا** جملة معطوفة على ما قبلها ويجوز ان تكون حالا ولا وجه لجعل الماضى بمعنى المضارع استعارة لتحقق وقوعه بابرازه فى صورة الحاصل تفاولا او اظهارا للرغبة فيه او لجعل مضيه باعتبار عزمه او كونه فى المسودة لما فيه من المقاربة العرفية فتدبر **هذه الفصول** المراد بالفصول فصول هذا الباب **بحديث جامع لذلك** اى لصفاته حليته المنتشرة فى الاحاديث تشتمل على اكثر انواعها واصنافها وان فاته شئ من افرادها فلا تكلف فى الجامعية كما توهم وهذا الحديث وان لم يكن اخرها بحسب الظاهر لا يضر لان ما بعده كالتتمة والخاتمة للمقصود منه وهذه زهرة لا تحتمل الفرك **نقف عليه هناك** وروى هناك وهما لمكان وقد يكونان فى اخر الباب او فى زمان الوصول اليه والاول للبعيد والثانى للمتوسط والبعد والتوسط بالاضافة لامر اخر ايرعى الاعتبار فلا منافاة بينهما **ان شاء الله تعالى** قيد للوقوف لتوقفه على المشيئة وقول المصنف رحمه الله قبل هذا وقول على كرم الله وجهه ونحو تعليق وهو حذف اول السند وقد يسمى مناله مفصلا فان اعتقد ان لقايله صحبة فلا كلام فيه والا فينبغى ايراده بصيغة التمريض والكلام على هذا مفصل فى نكت ابن الصلاح وغيرها **فصل** هو رابع الفصول

السابقون ذكرها واما نظافة جسمه عطف على قوله اما الصورة الخ وهو في الفصل
الذي قبله اي نقاوته من نتف بالضم ضد قذر وطيب ريحه المراد بالريح هنا
الرائحة التي تدرك بالشم وروى رائحته وهما بمعنى وعرقه بفتحتين وهو ما
يترشح من البدن وقد يستعار لغيره كماء الورد المستقطر منه ونزاهته عن الاقذار
اي بعده وخلوه منها وتنزهه عنها والضمائر للجسم او لصاحبه المعلوم التزاما
والاقذار جمع قذر والقذر والقذارة ضد النظافة وهو مؤكد لما قبله وكالتتميم
له وعورات الجسد اي البدن وعورات بسكون الواو وقد تحرك وبه قرئ جمع
عورة وهو كل ما يوجب خللا فيه او يستتر ويستحى منه مما يشين وينقص والذا قيل
انها مشتقة من العار الذي يذم بسببه يقال عورات الجسد والكلام فكان
صلى الله عليه وسلم العالم بتفضيلية قد خصه الله تعالى وفضله وميزه عمن
يساويه في ذلك المذكور بخصائص اي وفضائل لا توجد في غيره كما اشار اليه بقوله
لم توجد في غيره من الامم اصلا او لم توجد في الاكثر وهذه صفة مخصصة
او مبينة مؤكدة ثم تممها سبحانه تنزيه الله المنزه له واقع في حيزه والضمير للخصائص
بنظافة التشرع متعلق بمجموعها اي تم ما فطر عليه من ذلك وما خصه به مما شرعه
له من النظافة الدينية كالوضوء واضافة النظافة للشرع لما بسنها له وكونها
لبسبه فهي لامية قيل المراد انه جعل بعضا منها في جبلته بحصوله فيها او باقتضاء
طبعه وعقله مما لم يعط لغيره ثم امره بما لم يكن كذلك كالطهارة والوقوف
على اكمل الوجوه فالنقص بالنظافة الكاملة سواء كان الشرع شرعه او شرعه من قبله
ان قلنا باتباعه له مع انه صار شرعا له واما ما نسخ فقد زال فما قيل من ان هذا
انما يستقيم ان لم يكن متعبدا بشرع من قبله او المراد بالنظافة عدم الاسوء الاحوال
تكلف من غير داع وبالجملة فشرعه صلى الله عليه وسلم شامل لكل ما ينبغي على الوجه
الاكمل وخصال الفطرة العشر من عطف الخاص على العام والفطرة اصل معناها
في اللغة الطبيعة والجبلة التي خلق عليها مركوزة فيه من فطر بمعنى خلق ومنه
فاطر السموات والارض واصل معنى الفطر الشق كما قاله الراغب وفسرها
المحدثون هنا بالسنة واعترض عليهم ابن الصلاح بانه لا يناسب المعنى اللغوي
ووجه بعضهم بان مرادهم ان في الكلام مضافا مقدرا اي سنة الفطرة بمعنى
الصفة الناشئة عن الفطرة السليمة وورد بانه وقع تفسيرها بها في صحيح البخاري
والقول ما قالت حذام فلا عبرة بمن انكره من اللغويين كصاحب المغرب اقول
السنة الطريقة المألوفة المعتادة والانسان لا يشمل الانبياء عليهم الصلاة والسلام

انما بالفوق

انما بالفوق ما تقتضيه فطرتهم السليمة المبنية على النظافة والنزاهة وما
يعتاد مما يقتضيه الطبيعة بحق لها فلا بعد في تسميته باسمها كما قالوا العادة طبيعة
ثانية فالقول بانه لا مناسبة بينهما غير صحيح والجواب المذكور اقناعي لاحدى نعما
والسيد هنا كلام لا محصل له رأينا تركه خيرا من ذكره وارده واول من سن هذه السنن
الاربع ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم وكونها عشرا رواه مسلم في حديث مرفوع
عشر من الفطرة قص الشارب واعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص
الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء قال مصعب
نسيت العاشرة الا ان تكون المضمضة وروى ابو داود المضمضة والختان بدل
اعفاء اللحية وقال المصنف رحمه الله المنسي الختان وروى ايضا في الحديث الصحيح
خمس من الفطرة فالحصر غير مقصود او ان السنن كانت تزيد شيأ فشيأ وعن ابن عباس
رضي الله عنهما في قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن انه امره بعشر خصال
نحو عدهن كما مر واشار بقوله من الفطرة الى انها غير منحصرة فيما ذكر وهذه كلها طاهرة
والسنة المراد بها الطريقة كما مر فيشمل السنة والواجب والختان سنة عند الاكثر
في حق الرجال وهو قطع جلدة الكمرة وفي حق النساء مكرمة ويسمى خفاضا بكسر
الخاء المعجمة وبالفاء والضاد المعجمة وهو قطع جلدة في اعلا الفرج على ثقب البول وقطع
أدنى شيء منه كاف واستحسن ما لابن حمدان الله ختان الصبي من سبع الى العشر وكرهه
في اليوم السابع لانه عادة اليهود ولم يعين له ابو حنيفة رحمه الله زمانا ووقص الشارب
سنة وقيل حلقه احسن وتقصير اللحية حسن كما مر وتحصل هيئته بقبض ما زاد على
القبضة ويوخذ من طولها ايضا واما حلقها فنهي عنه لانه عادة المشركين واما
السواك فسنة مطلقا وقيل انه سنة في الوضوء وقيل هو سنة للرجال دون
النساء لضعف اسنانهن فاقيم العلك لهن مقامه ولذا كره للرجال الا في الخلوة
لعذر والمضمضة والاستنشاق من سنن الوضوء وانتقاص الماء هو الاستنجاء
ويكون بالحجارة وسنة كما بينه الفقهاء وهو بالقاف والمهملة او المعجمة والمذكور
واما بالفاء فنصحه على الذكر وقد ورد الاستنقاص بقاف ومعجمة بمعنى الاستنجاء
قال في المغرب والقاف والصاد غير المعجمة تصحيف وفيه ان رواية القاف هي
المشهورة وقال الصاغاني انتقاص الماء بالقاف والمهملة رشه على الذكر وقيل
الانتقاص تصحيف فاشعر بان ما في المغرب ضعيف وقص الاظفار وتقليمها سنة
وورد النهي عنه في يوم الاربعاء وانه يورث البرص وحكي عن بعض العلماء انه فعله
فنهي عنه فقال لو يشتهد افلحه البرص فراى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فشكى

اليه ما اصابه فقال له صلى الله عليه وسلم الم تسمع نهيي عنه فقال لم يصح عندي
فقال يكفيك الله سمع ثم مسح بدنه بيده الشريفة فذهب ما به فتاب على مخالفته
ما سمع وغسل البراجم ازالة وسخها بالماء والبراجم عقد الاصابع من ظهر الكف والرواجب
عقدها من بطنها وهما بالميم والجيم والموحدة وقال النجاني البراجم مفاصل الاصابع
فعم ونتف الابط معلوم ولا باس بحلقه وحلق العانة وهي ما حول الذكر والفرج
واذا قص اظافره وحلق شعر ابطه وعانته اوجم او اقتصد فينبغي ان ظفره وشعره
لحديث اد فنوا الاظفار والشعر والدم فانه سنة فان القاه فلا باس به ولا بترك
السبال وان طال وفي الاحيا اختلف السلف فيما طال من اللحية فقيل يقص ما تحت
القبضة وكرهه الحسن وقتادة لحديث اعفوا اللحى اى اتركوها على حالها واصل
خلقتها ورجحه النووي وما ورد من انه عليه الصلاة والسلام كان ياخذ من
طول لحيته وعرضها ضعيف لا يحتج به وان احتج به بعضهم فهو مكروه ولما
المراة اذا نبتت لها لحية وشارب وعنفقة فينبغي حلقها وقيل لا ينبغي تغيير
خلقتها اقول انه صح في لفظ الانتقاص في الحديث ثلاث روايات
الاولى الانتقاض بفاء وضاد معجمة والثانية انتقاص بفاء وصاد مهملة والثالثة
التقاض بقاف وضاد معجمة ومعناه الاستحاء اورئس الفرج بالماء فعال للوسواس
وروى انتضاح فلا وجه لما في المغرب وتفصيله في شرح الحديث واما تقليم الاظفار
وكيفيته وتفصيله فقد افرده السيوطي رحمه الله بالتاليف فلا حاجة للتطويل
بذكره كما في بعض الشروح ويكره ترك العانة والاظفار اكثر من اربعين يوما وقال
ان كان معطوفا على تمم فالمعنى قال الله لرسوله وان كان مستانفا او حالا بتقدير قد
فالمعنى قال النبي صلى الله عليه وسلم بوحيه انه وقع في نسخة صلى الله عليه وسلم بني
الدين على النظافة النظافة مصدر نظف وهي ضد الدنس وفي قوله بني الدين
استعارة مكنية وتخييلية بتشبيه الدين ببيت قايم على اعمدة او اساس حفظه
لاهله وقيل انه تشبيه مضمر او منسي الاداة والمراد النظافة الحسية من الحدث
والخبث والدنس والمعنوية كالعقايد الفاسدة والاخلاق الردية والتهاون
بالعبادة والمراد انه مما بني عليه فلا يعارض بني الاسلام على خمس وقد اورد هذا
الحديث في القوت وفي الاحياء في كتاب الحلم وقال الحافظ العراقي في تخريج احاديث الاحيا
لم اجده هكذا وفي الضعفا لابن حبان من حديث عايشة رضي الله عنها فان الاسلام
نظيف فتنظفوا وللطبراني في الاوسط بسند ضعيف عن ابن مسعود رضي الله عنه
النظافة تدعوا الى الايمان انتهى وفي الترمذي ان الله نظيف يحب النظافة وهو بعض

شعر

* حديث ذكره في كتاب الاستيعاب عن سعد ابن ابي وقاص احد العشرة رضي الله عنهم
وقال الحديث غريب في سنده خالد ابن اياس او الياس وهو ضعيف وقال السيوطي
في تخريجه هنا بعد ما ساق كلام العراقي قلت رواه الترمذي عن سعد ابن ابي وقاص
مرفوعا ان الله نظيف يحب النظافة فتنظفوا افنيتكم وروى الرافعي في تاريخ *
قزوين بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا تنظفوا بكل ما استطعتم فان
الله بنى الاسلام على النظافة ولن يدخل الجنة الا كل نظيف انتهى وبما ذكرناه من
ان الحديث روى من طرق متعددة تجبر ضعفه علم انه خرج من الضعف الى مرتبة
الحسن ومعناه صحيح موافق للشرع فلا يرد على المصنف ما قيل ان الحديث
الضعيف لا يروى فيه بصيغة الجزم كقال النبي صلى الله عليه وسلم ونحو لانه
يقتضي صحته والجزم به فيخطيء في سلك من كذب علي وهو لشاهل قبيح فينبغي
ان يقول قيل او روى ونحو من صيغ التمريض واما اضمار صيغة التمريض او قصد
معناها اعتمادا على القرينة فلا ياتي مع الجزم وبقية الكلام عليه مستوفاة في اصول
الحديث فلا يلتفت لما ذكره بعض الشراح هنا من الخرافات المزخرفة بعنوان اطلاق
النظيف على الله في الحديث السابق ولم يذكره احد في اسمايه تعالى كما قيل وفيه *
المشاكلة والمتقدمون يسمونها ازدواجا ايضا فلا وجه للاعتراض عليه لتوهم
انه الازدواج المذكور في بديع المفتاح فانه من قصور النظر وقيل انه لا حاجة للمشاكلة
فيه لانه بمعنى القدوس وكفى لتوبته هذا الحديث حدثنا سفيان ابن العاصي *
سفيان بتثليث السين والعاصي بعين وصاد مهملتين وهو سفيان بن احمد ابن
العاصي بن سفيان بن عيسى ابو بحر الاسدي ولد سنة تسع وثلاثين او اربعين
واربعماية وتوفي بقرطبة سنة عشرين وخمسماية وفيها توفي ابن رشد وغير
واحد تنبيه على انه رواه عن غيره ايضا قال وحدثنا احمد بن عمر هو ابن العباس
احمد بن عمر بن انس العذري صاحب كتاب الاعلام باعلام النبوة والدلايلة البت
لاربع خلون من ذي القعدة سنة ثلاث وتسعين وثلاثماية وتوفي سنة ثمان وسبعين
واربعماية بالموية قال حدثنا ابو العباس الرازي نسبة الى الري بزيادة راي معجمة
في النسبة على خلاف القياس كما قاله المروزي في النسبة لمرو وهو احمد ابن الحسين ابن
بندار الخراساني قال حدثنا احمد الجلودي بضم الجيم وفتحها نسبة لجلود قرية ببغداد
او الشام او محلة بنيسابور او فريقة او لبيع الجلود وهو محمد ابن عيسى بن عمرويه النيخ
الصالح كان على مذهب سفيان الثوري قاله التلمساني وله وهو كما توهم وفي اسمه
ونسبه اختلاف لا حاجة لنا به وقال النووي الجلودي بضم الجيم وليس هو منسوبا

الى الجلود بفتح الجيم قرية وهو قول ابن السكيت وابن قتيبة ثم قال الجلودى بالفتح
وان العوام يقولونه بالضم انما قال ذلك في المنسوب الى القرية لان في هذا الجلودي
راوى صحيح مسلم وهذا الذى نبهت عليه بلا خلاف فيه قال حدثنا ابن سفيان
هو ابو اسحاق ابراهيم ابن احمد ابن سفيان ابن محمد المروزى الفقيه الزاهد
توفى سنة ثمان وعشرين ثلاثمايه وكان زاهدا مجاب الدعوة روى عن مسلم صحيحه قراءة
على الاقلاك مواضع رواها اجازة او وجادة قال حدثنا مسلم بن الحجاج القشيرى
النيسابورى وطنا صاحب الكتاب المشهور الذى تلقته الامة بالقبول وشهرته
تغنى عن تفصيل حاله توفى سنة احدى وستين ومايتين قال حدثنا قتيبة علم
منقول من مصغر القتبة وهى الامعاء وهو قتيبة ابن سعيد بن حميد بن طريف بن عبد
الله الثقفى يكنى ابا رجاء سمع من الليث ومالك وابن عيينه وغيرهم وتوفى سنة اربعين
ومايه قال حدثنا جعفر ابن سليمان البصرى الضبعى بالضم لنزوله في بنى ضبيعة
الزاهد الامى وهو كما فى التقريب صدوق وان كان يتشيع والاصح قبول روايه
من يتشيع ان لم يكن متعصبا ولا داعيا عن ثابت البصرى ابو محمد ابن اسلم قال الذهبى
وهو ثقة كان من اعبد اهل زمانه وكان يلبس الشياب الثمينة عن انس بن مالك الصحابى
السابق ذكره وترجمته رضى الله عنه قال ما شممت عنبرا شممت بكسر الميم وفتحها
من باب علم ونصر والعنبر طيب معروف ظاهر بلا كلام وقال الماوردى اكثر العلماء على طهارته
وفيه اشعار بان فيه خلافا والاصح انه شمع عسل بلاد الهند يجمد ويترك للبحر
للبحر وتحله يرعاه من الزهور الطيبة فيكتسب طيبه منها وليس نباتا ولا روث
دابة بحرية واجوده الابيض وما قرب الى البياض والاسود منه غير مرغوب فيه وفى
النسايى ان النبى صلى الله عليه وسلم تطيب به قط بفتح القاف وتشديد الطاء المضمومة
المبنية وفيه لغات ذكرها النحاة واصل معناه ما انقطع من الزمان اى مضى ولذا اختص
بالماضى المنفى غالبا كما مر وذكر ابن مالك رحمه الله انه اكثر وانه سمع فى المثبت فى احاد
عدة واما استعماله فى المستقبل فقال فى الدرة انه لحن وفيه كلام لنا فيه فى شرح الدرة
وقيل معناه الدهر والابد وفيه نظر ولا مسكا هو طيب معروف وهو فى الاصل
دم يجمد عند سترة بعض الظباء فى زمن معين بناحية من اقصى بلاد الترك تسمى تبت
بمثناتين فوقانيتين اولاهما مضمومة بينهما موحدة مشددة بزنة سكرى والصحيح
انه طاهر وان كان دما لاستحالته كخل الخمر قيل انه خصهما لانهما اشرف الطيب
واشهره وقدم الاعز الاشرف منهما وعمم بقوله ولا شيا وان علم حال غيرهما منهما
بالطريق الاولى فشمل الشئ غيرهما من كل ذى ريح طيبة مفردا كالورد والنرجس او

مطلب فى قوله ما شممت وكسر الميم او فتحها

مركبا كالغالية وقد يكون المركب الطيب رائحة والمراد ما شممت رائحة عنبر الى اخره
مع ان العرف تجعل ذا الريح نفسه مشموما من غير نحو رفيه عرفا وكذا كانت رائحته صلى
الله عليه وسلم سريا او لا حتى انه كان اذا مر فى بعض ازقة المدينة علم مرورة صلى الله عليه
وسلم به برائحته وهذا الحديث رواه مسلم فى صحيحه فى موضعين احدهما كما ذكره المصنف
رحمه الله فمن قال الذى فى مسلم عن ثابت رضى الله عنه ما شممت عنبرا ولا مسكا
ولا شيا اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيادة قط فى كلام المصنف بعد
العنبر ليست فى محلها او هو رواية بالمعنى اقتصر على احد الموضعين والعنبر بالنون
والموحدة وكونه بنا موحدة ومثناة تحتية وهو اخلاط طيب مخصوصة تضحيف
نعم انه قيل الله تعالى لا ناخذه سنة ولا نوم والمعروف انه يتدا
بالادنى ثم الاعلى فى الاثبات ويعكس فى النفى ليكون الكلام مقيدا او يقول اعطيته درهما
ودينارا وما اعطيته دينارا ولا درهما ولو قدم نفى الدرهم على نفى الدينار بالطريق
الاولى انه قد يراعى الترتيب الوجودى اقول هذا هو المشهور وهى قاعدة
كلية الا ان المتحققين فيها انه ان ذكر فى الكلام ادنى واعلا وقصد اثباتهما فى نفسهما
من غير اثبات شئ اخر لهما فالامر كما ذكر فان اضيف الى ذلك وقيد احرفا للترقى والتدلى
بحسبه لا بالنظر للذكر كما فى الاية فان المنفى فيها الاخذ وهى بمعنى الغلبة وغلبة
السنة دون غلبة النوم فاذا قيل لا تغلبه السنة يتوهم ان النوم الاقوى قد
يغلبه فنفى غلبته وهذا ترتيب مفيد يقطع النظر عن الترتيب الوجودي فان لم
ينظر لهما قل اريد بنفيهما التعميم فلك البداة باىهما شئت فتقول لا صغيرا
ولا كبيرا او لا كبيرا ولا صغيرا كما فصله فى المسئله الشايرو بيناه فى حواشى
القاضى وهذا هو المقصود هنا فان المراد لا طيب كطيبه صلى الله عليه
وسلم مع ان طيب العنبر دون طيب المسك كما قالوا ليس الطيب الا المسك نعم
وعونه وكونه اعلى منه لا دخل له فيما نحن فيه ثم انه وصفه صلى الله عليه وسلم
بلين الملمس لا ينافى ما ورد كما سبق من انه صلى الله عليه وسلم كان شثن الكفين والقدمين
فان المراد غلظ جلدهما وعظمهما لانه اقوى له ولا ينافى ذلك ملامسته فان فسر
بغلظ فى خشونة فاما ان يخص بهما او لين الملمس فى غير ذلك من جسده الشريف
او هذا بالنسبة لاصل الخلقة وذاك لمزاولة الاعمال والاسفار كما مر والاول اصح
اطيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مثله ولا قريب منه كما مر من
ان نفى الافضلية يقصد لها نفى المساواة بطريق الكناية وليس المراد ايضا نفى
شمه له بل نفى وجوده فلا يرد ان نفى الشئ لا يدل على نفى الطيبية وهو المقصود

شبكة الألوكة
www.alukah.net

على انه قد يراد بنفي العلم ونفي الوجود ان نفي المعلوم والوجود والمراد رائحته صلى
الله عليه وسلم الذاتية لا المكتسبة لانها لا مدح فيها بل لا يصح اراءة المكتسبة
لاوخذها الان المكتسب منه مثله ولا مع رائحته الذاتية لان المركب ليس مثل ريحه
صلى الله عليه وسلم فتامل تلبيب قد عرفت ما اعترض به على المصنف
من انه غير الحديث وجوابه وعلى هذا قيل انه اختصر الحديث وقد اختلف في جوازه والصحيح
جوازه ان لم يكن المذكور يتوقف فهم معناه على ما قبله بحيث يختل المعنى كالشرط
والاستثناء وما فيه ضمير راجع لمعنى ولم يكن قرينة معينة واما النقل بالمعنى
فممنوع لمن لم يكن عالما بالعربية وطرقها فان علم بذلك فجائز على الصحيح وفي جامع
الاصول له تفصيل ولعل هذا كله في غير الامثال وما جرى مجراها نحو احوك البكر
ومن اعدى الاول وله تفصيل في ابن الصلاح وشروحه وعن جابر بن سمرة بضم
الميم وقد تقدمت ترجمته رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم مسح خده هذا للحديث
اخرجه مسلم ايضا واقتصر المصنف رحمه الله على بعضه لمناسبته للفصل بناء
على جواز الاختصار في الحديث كما مر واما مسح الخد بيده فانما ذكره توطئة لما بعده
وكان من عادته صلى الله عليه وسلم مسح وجوه الاطفال تانيسا لهم وتطييبا لقلوبهم
والديهم وشفقة عليهم فان احضارهم عنده تيمنا وتبركا به صلى الله عليه وسلم مشهور
واول الحديث صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم خرج وانا معه فاستقبله
ولدان فجعل يمسح خدي احدهم واحدا واحدا فاما انا فمسح خدي فوجدت ليده
بردا او ريحا كانما اخرجها من جونة عطار كذا في مسلم او ريحا بلا ولد الواو
للابهة وكثيرا ما يوجد بدونها قيل ولعله رواية فيه والتقدير او قال جابر
قال اي جابر فوجدت اي احسست ليده اي كفه وما قارنها بردا او في صحيح
البخاري فاذا هي ابرد من الثلج وهذا يدل على ان البرد على حقيقته وانه ليس بعارض
لمس ما وبخ وقد قيل انه عند العرب ممدوح لا سيما منه الرمن الحار ولا بعد في عده
من خصائصه صلى الله عليه وسلم مع كمال حرارته الغريزية وقيل انه عبارة عن لين
كفه ورطوبته والاقرب انه بمعنى الراحة واللذة والطيب وقد فسر قوله تعالى
لا يذوقون فيها بردا براحة لاشتهاره بهذا المعنى كما قال

تبسمت بالرضى مواعده فقلت يا برد ها على كبدي

وفي النهاية كل محبوب عند هم بارد وبرد الظل طيب العيش والغنيمة الباردة هي
الهنية واللام للاختصاص والجار والمجرور حال من النكرة التي كانت صفة لها قبل فقدمت
لا يقال اذا كان البرد بمعنى الراحة يكون من باب وجدت للمريض راحة فيكون المعنى ذو

الراحة

الراحة يده كما ان المعنى المريض كذلك لانا نقول اللام تعليلية اي وجدت راحة
لاجل وضع يده فان كان على ظاهره فهي اختصاصية كما مر اخرجها اي اليد
لانها مؤنثة سماعية من جونة عطار الجونه بضم الجيم وسكون الهمزة ويقال بواو
ساكنة يليها نون وهاء تانيث وهي شبه صندوق صغير مغشى بادم وزنه مستدرة
يضع فيه العطار عطره واختلفوا هل الواو اصلية تبدل همزة لضم ما قبلها كما قالوا
في موسى تنزيلا لضم ما قبله منزلة ضمة او الهمزة اصل ابدلت واوا على القياس كما قوي
يومنون ولتومنون وكان اداة تشبيه وما كافة وهل هي مركبة او بسيطة خلاف
مشهور اي كان ريحها ريح ما اخرج من جونة العطار مصححا بالعطر والجملة صفة ريح او
مستانفة وعطار للنسبة كحمال للمبالغة وهو بايع العطر وهو كل ما طابت رائحته
وفي البخاري عن ابي جحيفة رضي الله عنه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة فتى
الابطح فتوضا ثم صلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين وبين يديه عنزة بمر المار من
ورائها وقام فجعل الناس ياخذون يده الشريفة فيمسحون بها وجوههم فاخذت
بيده الشريفة فوضعتها على وجهي فاذا هي ابرد من الثلج واطيب رائحة من المسك
وهذا ظاهر في ان البرد حقيقي وان برده لمسه الما ان كانت الواقعتين واحدة
او هو ما اول كما مر ووضع اليد المذكورة من حسن اخلاقه صلى الله عليه وسلم وتواضعه
للصغير والكبير وورد في حديث رواه ابن العماد عن انس رضي الله عنه ان ظهور
نفحات الطيب منه صلى الله عليه وسلم ظهر بعد الاسراء وهو ظاهر لانه طيب العنصر
لكنه لما اتصل بالملا الاعلى والجنان وهبت عليه نفحات القدس ازداد طيبا وكان له
صلى الله عليه وسلم طيب لا يشبهه طيب الدنيا فله طيب ذاتي وطيب مكتسب من العالم
الاقدس لا يفارقه وهو اطيب الطيب ولا ينافيه حديث حبب الي من دنياكم الطيب
كما مر وباق لان الطيبات للطيبين والمزيد قابل للزيادة وعن غيره اي روى عن غير
جابر بن سمرة وفي نسخة وقال غيره وفي بعضها قال بدون عاطف وهذا الحديث
رواه البيهقي وابو نعيم بسند فيه ضعف وفي لفظه اختلاف فاذا ابهمه مسها طيب
او لم يمسها اللمس والمس متقاربان الا ان المس يقال لما معه ادراك بحاسة السمع هو
واللمس ادراك بظاهر البشرة وبتجوز به عن الطلب ومنه الالتماس وضمير مسها
للكف واليد وفيه قلب اذ الظاهر مسها طيبا او لم يمسها واول الحديث فكان
كفه كف عطار ولما كان قوله كانما اخرجها من جونه عطار بمعناه اكتفى به عن سياق
اول الحديث فلا حذف فيه وليس متعلقا بما بعده ولا اختصار فيه كما توهم وانما
هو رواية بالمعنى وهذا اشارة الى ان طيبه صلى الله عليه وسلم ذاتي والقول بان الكلام

في الخلق فلا حاجة لهذا لفهم من الكلام ويصافح أي يمس النبي صلى الله عليه وسلم بضم يده عبارة هذا لا حاجة اليه اذ الكلام فيما يقوله من نفس الخلوة لا لما تحسب له من الطيب المصافح مفعوله وهو بفتح الفا اسم مفعول وهو من يريد مصافحته فالفا سنة عند الملاقاة وفي رواية يصافحه المصافح بكسر الفا والرفع على انه فاعل والمفاعلة مفاعله بمعنى جعل كل من المتصافحين يده معاونة الاخرى وفي النهاية الها الصاق صفح الكف بالكف عند الملاقاة وفي معناه قول التلمساني وضع باطن الكف على باطن الكف مع ملازمة على قدر ما يقع منه من سلام او كلام او عرض واختطاف اليد وتقبيلها وضربها مكروه وقيل يشد كل واحد يد صاحبه وقيل لا ينبغي فعله وهي بعد الصلاة بدعة عندنا والاصح انها مباحة لما فيها من الاشارة الى انه كانت قد مر من غيبته لانه كان عند ربه يناجيه فافهم فيظل بفتح الظا المثالة مضارع ظللت وظللت بفتحها ويقال ظلت بحذف احدي اللامين قال الراغب يعبر به عما يفعل بالنهار وبجري مجرى صرت قال تعالى ظلت عليه عاكفا فهو فعل ناقص لثبوت الخبر في جميع النهار كما قاله الرضي لانه لوقت فيه ظل الشمس من الضحاء للمساء او الطلوع للغروب فاذا كانت بمعنى الدوام وقوله في القاموس يظل نهاره يفعل كذا وليله يسمع في الشعر لا وجه له ويومه منصوب على الظرفية ولا توكيد فيه ولا تجريد لا يستمع وهم لانه على الاستغراق يجد ريحها اي يجد المصافح من طيب يده واضافة ريحها للعهد اي ريحها الطيبة طيبا خلقيا خصه الله به مكرمة ومعجزة له صلى الله عليه وسلم ويضع يده على راس الصبي فيعرف فيه من بين الصبيان بريحها هذا بعض من حديث طويل رواه ابو نعيم والبيهقي مسندا عن عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عبل الذراعين والعضدين والرندين طويل سبط العصب شثن الكفين رحب الراحة سائل الاطراف كان اصابعه قضبان الفضة وكانت كفه اللين من الحرير وكان كفه كف عطار مسها بطيب اولم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضعها على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان انه صلى الله عليه وسلم مسح على راسه والمحرج رحمه الله ظن ان هذا لحديث مستقلا فيبض له وليس المراد بالصبي معينا والمراد بريحها رايحتها التي حصلت بمسه والباء للسببية والمراد انه يعرف بان النبي صلى الله عليه وسلم مسه فيتميز من بينهم وفي نسخة لريحها باللام التعليلة والمعنى واحد وفي رواية من ريحها وذلك اما في يومه كما مر فيؤكد او انه يستمر مدة طويلة والمضارع في موضع الماضي لنكتة مشهورة ثم انه ذكر بعضا من حديث رواه مسلم واقتصر منه على ما يناسب المقام اختصارا فقال وناوله رسول

صلى الله عليه وسلم في دار انس ابن مالك الصحابي رضي الله عنه السابق ذكره على انطع بسط له وكان النطع لامه رضي الله عنها قيل والاضافة لادنى ملابسة لان الدار كانت لامه كما في صحيح مسلم ولا خلل فيه لانه كان ساكنا معها ولانه لو قال دار امانس احتمل ان يكون كنية لغيرها فلا تحلو الجانية بالقارورة مع ما في هذا من الدلالة على ان رواية انس رضي الله عنه الحديث بغير واسطة فعرق صلى الله عليه وسلم فجات امه ولهي ام سليم بضم السين المهملة والتصغير واسمها سهلة او غيره قال النووي رحمه الله وهي ام انس بلا خلاف وقوله الغزالي وغيره انها جدته غلط بالاتفاق توفيت في خلافة عثمان رضي الله عنه وهي اخت ام حرام بنت ملحان الصحابية المدفونة بمدينة قبرس سيدة الشهداء من النساء وهي التي روت حديث غزاة البحر عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو مشهور وهذا الحديث في صحيح مسلم عن ثابت عن انس رضي الله عنه قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت عندنا فعرق فجات امي بقارورة فجعلت تسلت العرق فاستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ام سليم ما الذي تصنعين يا ام سليم قالت هذا عرقك نجعله لطيبنا وهو اطيب الطيب وله روايات من وجوه اخر فيها انه كان كثيرا ما يقيل في بيتها وينام على فراشها وكان كثير العرق فكانت تجمع عرقه صلى الله عليه وسلم من وجهه الشريف ومن نطعها وتقصه في قارورة لها وفي رواية الها فقالت نرجو بركته لصبياننا وكانت تجعله في مسك لها وهو بضم السين المهملة وتشديد الكاف طيب معروف مركب مع غيره وكانت تبسط للنبي صلى الله عليه وسلم نطعا من ادم فيقيل عليه عندها نام وروى في الوفا انه صلى الله عليه وسلم كان يدخل بيتها فينام على فراشها وليست فيه فاتت فقيل لها هذا النبي صلى الله عليه وسلم نايم على فراشك فجات وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة ادم ففتحت عنيد لها وجعلت تنشف ذلك العرق وتقصره واخذت من عرقه وشعره فجمعته في قارورة فلما حضرت انس رضي الله عنه الوفاة اوصى ان يجعل في حنوطه من ذلك وقد استشكل ذكر الشعر فيه والواقع في سائر الاحاديث العرق فقط واجيب بانه ورد ان الله صلى الله عليه وسلم لما حلق راسه يمنى حلق ابو طلحة رضي الله عنه شعره واتى به ام سليم فجعلته في سكها فالمعنى الها كانت تضيف بعد ذلك ما اخذته من العرق للقارورة التي فيها الشعر ثم ان نوم النبي صلى الله عليه وسلم عند ها وعند اختها ام حرام استشكل بانه صلى الله عليه وسلم نهى عن خلوة الرجل بغير ذي محرم وهو يقتدى بفعله فلا يرتفع كونه معصوما واجاب ابن عبد البر وغيره بانهما كانتا خالتاه من الرضاع فهما محرماه فاذا كان صلى الله عليه وسلم ينام عندهما ويخلو بهما ويفليان راسه الشريف وقيل هذا من خصائصه

مبني لما لم يسم فاعله

شبكة الألوكة www.alukah.net

صلى الله عليه وسلم لملكه اربه وليس هذا قبل نزول اية الحجاب كما توهم وكونه صلى الله عليه وسلم لم يخل بها الا بعيده خادما ونحو غير مسلم **بقارورة** تجمع فيها **عرقه** تقدم الحديث وان ام سليم رضي الله عنها لم تكن في بيتها لما جا صلى الله عليه وسلم كما يدل عليه قوله فجاءت ووقع فيه بدل القارورة وهي انا من زجاج ففتحت عتيدتها ولا منافاة بينهما ولا حاجة للجمع بتعدد القصة لانه صلى الله عليه وسلم كان يعتاد القيلولة عندها لان العتيدة الصندوق الذي فيه القارورة وهي انا من زجاج يوضع فيه الطيب ونحوه وقد يطلق على غير الزجاج وجملة تجمع صفة قارورة أو مستانفة لا محل لتكلفه ومن فسر العتيدة بالحقة جنح لتعدد الواقعة ولا بعد فيه **فسالها** رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك كما في صحيح مسلم انه قال لها ما هذا الذي تصنعين وفي رواية ما تصنعي وفي رواية اخرى ما هذا والسؤال ليعلم غرضها وقصدها بفعلها اما حقيقة ليظهره لغيرها **فقالت** هذا **عرقك نجعله في طيبنا** وفي رواية لطيبنا اي نخلطه كما روى اذوف اي نخلط ونقدم رواية نرجو بركته لصبياننا والواقعة متعددة اجيب في كل منهما بجواب فان كانت واحدة فهو من تصرف الراوي وروايته بالمعنى والمار واحد وقد قالها النبي صلى الله عليه وسلم اصبت **وهو** اي عرقه صلى الله عليه وسلم **من اطيب الطيب** قيل يحتمل ان يكون ذلك من شعرها ويحتمل ان يكون غير ذلك انتهى والواقع الاول ووقع في مسلم اطيب بدون من وهي اولى فان كان الضمير للمخلوط من عرقه وغيره فظاهر كان خالص عرقه اطيب منه ولا شك في طيبه واطيبيته كما مر ما شممت عنبرا ولا مسكا اطيب فلم يحتج خلطه بالطيب لتطييبه او للتبرك فقط كما توهم فان قلت اذا كان اطيب الطيب فلم خلط بالطيب قلت كان ما اجتمع من عرقه صلى الله عليه وسلم ليس كثيرا يكفي لطيبهم فخلط بكثير منه ليكون كثيرا **وذكر البخاري** رحمه الله امام اهل السنة السابق ذكره **في تاريخه الكبير** وهو تاريخ ذكر فيه رواة الحديث واحوالهم وليس كغيره من التواريخ كما يتوهم بل كتاب من مكتب الحديث معنى ورواه ايضا الدارمي والبيهقي بالمعنى **عن جابر** بن عبد الله الصحابي رضي الله عنهما الجليل الانصاري شهد المشاهد الا بدرا واستغفر له النبي صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين مرة لما قضى دين ابيه وهو اخر صحابي مات بالمدينة سنة سبعين وشيء وروى الفا وخمسمائة حديث **لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق** في رواية البزار وابي يعلى بسند جيد عن انس رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم اذا مر في طريق من طرق المدينة وجد فيه رائحة المسك فيقال مر النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الطريق **فيتبعه** بالرفع احد اي ياتي بعده ها به منه لا يمشي تاليا له والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم لا للطريق كما قيل ان معناه يتبع

الطريق

الطريق ويدل عليه قوله الا عرف انه سلكه وذكر ضمير الطريق وهي مؤنثة لشرفها بمروره كما قيل

عليك بارباب الصدور فمن غدا مضافا لارباب الصدور تصدرا

والمراد علوق تلك الرائحة بالمكان الذي يمر صلى الله عليه وسلم فيه وهو نوع لا يساعده اللفظ ولا المعنى ويتبع كيعلم او بالتشديد وجوز فيه النصب والمراد انه يمشي بعده بزمان قليل فالفا للتعقيب والقول بان الفا لعدم المهلة عرفا وحكما بقرينة الحال لا وجه له وقوله احد فاعل يتبع على حال من الاحوال **الا على حال انه عرف** اي النبي صلى الله عليه وسلم سلكه اي دخله ومر فيه والضمير للطريق فانه يذكر ويؤنث فلا حاجة لتاويله كما توهم **من طيبه** اي عرف من طيب الطريق مروره صلى الله عليه وسلم به او من اجل طيب الطريق برائحته الطيبة المخصوصة به الباقية به وهذا الا ان يكون الا منه صلى الله عليه وسلم **وذكر اسحاق ابن راهويه** هو ابو يعقوب المروزي الامام الزاهد الثقة المجتهد امير المومنين في الحديث كما قاله ابن حنبل رحمه الله وهو الذي احيى السنة بالمشرق ما سمع شيئا الا حفظه وما حفظ شيا فنسيه قال كنت انظر الى مائة الف حديث في ثنتين وثلاثين الف حديث اسردها وراهويه لقب ابيه ابراهيم ابن مخلد التميمي الحنظلي لقب به لانه ولد بطريق مكة ورآه بالفارسية معناه الطريق وهو بالهاء والواو المفتوحتين والمثناة التحتية الساكنة والهاء المكسورة في المشهور ويقال بضم الهاء وسكون الواو وتحتانية مفتوحة كنفطويه وهو اجب عند المحدثين واخره هاء والتاء خطا نعم في بعض النسخ من التا المفتوحة على انه ممنوع من الصرف خطا **ان تلك** الرائحة التي كانت تشم منه وتبقى في الطريق **كانت رائحته** الذاتية المدركة منه صلى الله عليه وسلم **بلا طيب** يمسه ويتطيب منه من خارج **صلى الله عليه وسلم** وقد تقدم ما يدل عليه من الاحاديث نعم قيل من انه لم يظهر من رواه والظاهر ثبوته عندهم من قلة التتبع ولا نها فيه كونه صلى الله عليه وسلم كان يستعمل الطيب ويحبه لانه لتكثيره والمبالغة فيه كما مر **وروى المزني** بالضم فتح نسبة لمزينة قبيلة مشهورة وهو ابو ابراهيم ابن اسماعيل بن يحيى بن اسماعيل المزني المصري الزاهد كان مجاب الدعوة وقال الشافعي رضي الله عنه فيه لو ناظر الشيطان لغلبه وله تصانيف مشهورة ولد سنة خمس وسبعين ومائة وتوفي لست بقين من رمضان سنة اربع وستين ومائتين ودفن بالقرافة بالقرب من قبر الشافعي **والحربي** هو في بعض النسخ وهو ابراهيم بن اسحاق الحربي الحنبلي بنسبة الى الحربية محلة من بغداد وهي تنسب لحرب ابن عبد الله صاحب المنصور مات سنة سبع ومائة **عن جابر** بن عبد الله السابق فقد قيل انه المراد اذا اطلق هذا ما وقع في بعض النسخ

وكاندمن الحاقه بالاعم قال اردفني النبي صلى الله عليه وسلم اي اركبني خلفه اي وراظهره
وهو راكب يقال اردفه واردفه ويقال اردفه اعم فعلى ذلك فقوله خلفه لدفع توهم لدفع المعنى
الاعم او تاكيد ووقع الصحاح الردف الراكب خلف غيره قال البرهان الحلبي جمع الحفاظ ارادة
النبي صلى الله عليه وسلم فبلغوا ثلثمائة واثنان وثلاثين ولزيد وجابر وقال السهيلي جمع بعضهم
من اردفه النبي صلى الله عليه وسلم على فرس او غيره فبلغوا ثلثمائة واربعين وما ذكره
من التاليف لم نقف عليه والذي عدوه ممن اردفه صلى الله عليه وسلم اسامة ابن زيد
اردفه في مرجعه من عرفه على الكاف والصديق رضي الله تعالى عنه في الهجرة وعثمان
رضي الله عنه في فزوده من بدر وعلي كرم الله وجهه في حجة الوداع وعبد الله ابن
جعفر وقثم وعبد الله ابن عباس واخواته الفضل وعبيد الله في نزوله من مزدلفه
والحسن والحسين ومعاوية ومعاذ بن جبل على حمارة عفير وابو رفر زيد ابن
حارثه وثابت بن الضحاك والشريد بن سويد وسلمة ابن الاكوع وزيد بن سهل
وسهيل بن بيضا وعلي ابن العاصي وعبد الله بن الزبير وغلام من عبد المطلب واسامة
ابن عمير وصفية بنت حيي وابو الدرداء وامية الغفاري وابو قاسم وابو هريرة
وقيس بن سعد واخوات بن جبير وجبريل عليه الصلاة والسلام على البراق في
الاسرا والعباس وصفية الجهينية وعقبة بن عامر واخرون لعل النوبة
تقضي لذكرهم على التفصيل والنقم خاتم النبوة بمعنى الالتقام اخذ الشي وجعله في فيه
سواء ابتلعه امر لا والابتلاع والاستراط بمعنى ولذي سمي الطريق سراطا ولقما
كانه يبتلع السابلة وخاتم بفتح التا وكسرها وسيأتي تفصيله وقوله بمعنى تاكيد
لدفع توهم المجاز لانه يقال التقم كفه ركبته وفي العبارة ما يقتضي ان خاتم النبوة
كان ناتيا مرتفعا حتى يمكن من التقامه وهو بين كتفيه وفيه روايات فقيل
كان كاثر المحجم وقيل كبيضة الحمامة او التفاحة او الجمع بضم الجيم وسكون الميم وهو
ضم الاصابع للكف يقال ضربه بجمع كفه وقيل كوكبة العنز وقيل كزر الحجلة وعلى
هذه الروايات يمكن التفاوت وروى عن ابي سعيد الخدري انه لبضعة ناشزة
هكذا ووضع طرف سبابته على مفصل ابهامه اوده ونه بقليل واما على رواية
انه فامه خضرا محتفزة في اللحم ان صحت فالتقامه مجاز عن اخفائه بوضع فمه
عليه وزر الحجلة ببيضة طاير معروف وقيل ان الحجلة الذكر التي تسميها العامة
الناموسية وزرها ما يدخل في عروتها وصححه في الروض الانف وقال تفسير الترمذي
له ببيضة الطاير وهم وقال النجاني انما هو على هذا زر بتقديم المهملة على المعجمة ومعناه
البيض ومنه زر الجراد لبيضه وكانه الخطابي الذي فسره به وجد في رواية وتغيير الحجلة

بياض بين عينيه الفرس لا وجه له فان كان مجازا عن التجلل فبعيد جدا قال ووضع
هذا الخاتم لهذا الفارق الخاتم هل هو من ابتدا خلقه او بعد ما ولد او بعد ما بنى
وروى ابن ابي الدنيا عن ابي ذر رضي الله عنه مرفوعا انه قال قلت يا رسول الله كيف
علمت انك نبي واستيقنت قال يا ابا ذر اتاني ملكان وانا ببطحاء مكة فوقع احدهما
بالارض والاخر بين السما والارض فاخرج قلبي وازال منه مقر الشيطان وعلق
الدم فطرحهما وخاط بطني وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الان وولى عني فكاني
اعاين الامر معاينة وفيه بيان لوقت الوضع وكيفيته الا انه قيل ان قوله ببطحاء
مكة وهم من الراوي لان ذلك كان في بني سعد وهو مع حليمة كما سياتي وقول المص
رحمه الله انه اثر الشق بين كتفيه موافق لهذا الحديث سواء فرى اثر بفتحتين او بكسر
فسكون اما على الثاني فظاهر واما على الاول فلانه لما وقع بعده ولسبه جعل اثر الال
ففي قول النووي رحمه الله انه باطل لان الشق انما كان في صدره وبطنه وكذا قال القرطبي
وانه انما كان خطا واضحا من صدره الى مراق بطنه كما في الصحيحين ولم يثبت
قط انه بلغ بالشق حتى نفذ من وراظهره ولو ثبت كان مستطيلا بين كتفيه في
محاذاة صدره قالا فهذا اغفال منه انتهى غير متجه وكذا قال ابن حجر في شرح البخاري
وذكر انه مروي من طرق اخر قالوا وهم انما هو في فهم كلامه قال وهذا اصح مما قيل انه
ولد به وظاهر كلامهما انه مختص به صلى الله عليه وسلم وفي كتاب القيامة انه موجود
في كل نبي وانه من علامات النبوة وكان اهل الكتاب يعرفونه صلى الله عليه وسلم به وقال
البرهان الحلبي لما استحضر فيه شيئا والذي يظهر انه من خصائصه صلى الله عليه وسلم لانه
اشارة الى انه خاتم النبيين ومار واه ابن حبان من انه كبيضة النعامة نسب فيه الى الوهم
والصواب الحمامة وقيل انه شامة سودا او خضرا مكتوب عليها محمد رسول الله او سورة
المنصور او الله وحده لا شريك له ونحو ولم يثبت فيه ما يعتد به وفي رواية كسلعة
او لقمة او بندقة عند بعض عضروف كيفية اليسرى ورفع عند موته صلى الله عليه وسلم
وانما وضع هناك لان الشيطان اذا وسوس وضع خرطومه ثمة وقد راه بعضهم
في صورة ضفدع له خرطوم كخرطوم البعوضة ادخله في منكبه الايسر الى قلبه ووسوس
له فاذا ذكر الله حبس وقوله وكان يم على مسكا اسم كان المستتر ضمير الخاتم ويم من قولهم
عمت الريح اذا جلبت الرايحة قاله البرهان وهو مستعار من اليمامة ومنه سمي الريحان يماما
لطيب رايحته وهي استعارة لطيفة شايعة وقد استعير يمام للريحان ثم للعذار كما
قال بعض المولدين

لا فتضاحى في عوارضه سبب والناس يوام

كيف يخفى ما كابده والذى اهواه نمام

وبيم روى بضم النون وكسرها وعن المزنى الكسر فى اللازم والضم فى المتعدى وفى القاموس المسك والمتعدى بمعنى ينقل او يحكى واللازم بمعنى يظهر ومسكا تمييز محول عن الفاعل ومن قال المحول عن المفعول فقد وهم وروى بفتح بضم المثلثة وتشديد الجيم وكسر الثانى بالفتح كما قيل وهو متعد ولازم والضمير فيه للخاتم او الفم اى مدفع رائحته مرة بعد مرة من فتح الماء وهو خروجه منه فقا بسرعة قال التجانى وفى بعض النسخ بكسر المثلثة والجيم اى يسيل والذى فى الصحاح انه بالضم لا غير فانه متعد من الفتح بمعنى التسييل اى كانه يسيل منه المسك فمسكا منصوب تمييزا او مفعولا به وحكى بعض المفتين باخباره اى المهملتين بنقل اخباره واحواله صلى الله عليه وسلم وشمائله اخلاقه وصفاته اعتنا تتبع وعلم واعلام وهو البيهقى وعن عائشة رضى الله عليها صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اراد ان يتغوط اى يأتى الغائط وهو المكان المنخفض من الارض على عادتهم فى البراز لانه استتر قال تعالى او جاء احد منكم من الغائط كنى به عما يتبع فيه ومنه الغائط للبستان ويقال الغيط للفرق بينه وبين غيره انشقت الارض وابتلعت غائطه وبوله وفلت لذلك المذكور من البول والغائط رائحة طيبة وهذا الحديث قد علمت انه رواه البيهقى عن عائشة رضى الله عنها ولكنه قال انه موضوع وسنبينه لك واسند محمد بن سعد كاتب الواقدى الامام الكبير الحافظ الثقة وهو ابو عبد الله محمد مولى بنى هاشم صاحب الطبقات مات سنة ثلاث ومائتين والواقدى هو محمد بن عمر بن واقد قاضى العراق مات فى ذى الحجة سنة احدى عشرة ومائتين فى هذا اى فى الارض ستبتلع ما يخرج صلى الله عليه وسلم ويفوح له رائحة طيبة خبرا عن عائشة رضى الله عنها انها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم انك تأتى الخلا بالمد اى المكان الخالى البعيد عن البيوت لانهم كانوا قبل وضع المراحيض فيها يأتونه لقضاء الحاجة ثم عبر به بعد ذلك عن محل التغوط ملتقا ثم صار عرفا اسما للبنا المعد لذلك فلا ترى بك شيأ من الاذى بالذال المعجمة والقصر اصله ما يضر ثم اريد به هنا ما من شأنه ان يكره فالمراد به هنا الغائط فقال لها يا عائشة او ما علمت ان الارض تبتلع ان الارض ما يخرج من الانبيا عليهم الصلاة والسلام فلا يرى منه شئ تبتلع تفتعل من البلع فى النسخة التى عندنا وضبط التلمسانى تبلع من بلع يبالع كعلم يعلم واصل البلع ادخال الطعام والشراب فى الحنجرة والمرى فاستعير لمطلق الاخفا كما فى قوله يا ارض ابلعى ماءك وقوله فلا يرى منه شئ تفسير للمراد من البلع وتاكيد او بيان لحكمته فليس بمستدرك كما توهم والاخفا مع طيبه وعدم استخباره قيل انه لعدم الادكار

او لتبرك الارض به والظاهر انه لانه ينبغى ستره لانه من المروة اولانه يخشى من اخذ الناس له وهذا الحديث وفى نسخة الخبر وان لم يكن مشهورا قال ابن دحية سنده ثابت وهو اقوى ما فى هذا الباب فاذا ما فى المصنف رحمه الله عنه الشهرة دون الصحة فلا وجه للاعتراض عليه بانه لا يلزم من نفى الشهرة نفى الصحة فقد قال قوم بطهارة الحدثين منه صلى الله عليه وسلم وهو قول بعض اصحاب الشافعى المراد بالحدثين الخارجين كناية للفرار من ذكرما يستهجن وظاهر ان القول بالطهارة مبنى على هذين الحديثين فكانه من وصفهما بالطيب واما ابتلاع الارض فلا يدل عليه بل على خلافه وتحقيقه ما فى الخصائص للخيضرى وهو كتاب لم يصنف فى بابه مثله كما مر قال الرافعى فى كتاب الطهارة لما تكلم على نجاسة الفضلات وهل هى كذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهان فقيل لا لان ابا طيبة الحجام شرب دمه صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه وامر من شربت بوله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليها وقال اذن لا تلج النار بطنك ويروى شرب على كرم الله وجهه وابن الزبير رضى الله عنهما الدم وقال معظم الاصحاب حكمها حكم ما منه صلى الله عليه وسلم كحكم غيرها وحمل الاخبار على التداوى وروى انه قال للحجام لا تفقد فان الدم كله حرام اى على ما ياتى وقال النووى رحمه الله حديث شرب البول صحيح حسن وذلك كاف فى الاحتجاج اذ لم ينكر عليها ولا امرها بغسل فمها ولا نهاها عن العود لمثله وقال القاضى حسين الاصح القول بطهارة الجميع واختاره كثير من المتاخرين وجواب التداوى يرده لن يجعل الله شفاء امتى فيما حرم عليها والسر فيه غسل الملكين لجوفه وتطهيره ولا خلاف فى طهارة شعره والاحاديث فى هذا الباب كشرب ابن الزبير دمه وشرب ابن ام ايمن بوله الذى كان فى قدح يوضع تحت سريره ليبول فيه بالليل كثيرة فان قلت ما الحاجة لوضع هذا القدح والارض تبتلعه فلا يرى له اثر قلت لانه صلى الله عليه وسلم كان يكره الخروج ليلا من بيته وبيته مصلى نافلته ومحل نزول الوحى والملائكة فلا يليق ان تمس باطنه وظاهره شئ من هذه الفضلات ولو كانت طاهرة تعظيما لعبادة ربه وتاديا الى ترك الفضول القائل من عظم الناس عظموه وفان بالعز والرياسة

ومزدريهم لو كان مسكا لقيل فى اصله نجاسة

واما التداوى بالحرام كالخمر فقيل يجوز اذا اخبره ثقة بنفعه ولم يجد دواء غيره وقيل لا يجوز لحديث لن يجعل الله شفاء امتى فيما حرم عليها وقيل انه لا يأباه لانه يكون حلالا له غير محرم عليه وقيل ان الله اذا حرم شيأ ابطل نفعه وكون على كرم الله

شبكة الألوكة www.alukah.net

وجمعه شربه مه لم تثبت كما اشار اليه الدميري في منظومته في الفقه بقوله

غريبة فضلة سيد البشر • طاهرة على خلاف انتشر •
وابن الزبير بدم الهادي البشير • قال الذي رام كماله اشير •
وهو الذي خص بويل الناس • وهم بويله من الاملاس •
في مسند البزار ثم البيهقي • والطبراني رواه فثق •
والدارقطني وقول ابن الصلاح • ليس له اصل يفي بالاصطلاح •
واما يمن استزادت شرفا • اذ شربت بول النبي المصطفى •
وسقيا ذها جرت للسنه • ماء رويا من شراب الجنة •
فبعده ما مس جوفها طما • ولم تذق الى الممات الما •
صححه الحاكم والمروي في • شرب على دمه لم يعرف •
وابن الصلاح قال في شرب ابي • طيبة انه ضعيف السبب •
قال ابن سبع ويقينا كانت • تبلعها الارض ومنها ازدانت •
ولم تبل من تحته بهيمه • ولم تزل الدهر به سقيمه •

وهذه قائله تفرد بها وهي ان الدواب لم تبل وهو صلى الله عليه وسلم راكب عليها ولم تستقم دابة ركبها في حياته ثم وقع في فقه الشافعية ايضا ان حكم جميع فضلات الانبياء عليهم الصلاة والسلام كذلك ظاهرة لحديث عايشة رضي الله عنها بذلك وفي بعض نسخ الشفا هنا حكاه الامام ابو نصر الصباغ في شامله وهو الامام البحر ابو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن احمد ابن جعفر بن الصباغ الذي انتهت اليه رياسة الشافعية في عصره وكان ورعا تقيا زاهدا وله كتاب الشامل في الفقه لم يولف فيه مثله وهو اول من درس بالمدرسة النظامية التي بناها نظام الملك للشيخ ابي اسحاق رحمه الله تعالى فامتنع وابى ان يخرج من مسجده فلما الحوا عليه اوفى لابي نصر هذا في التدريس نظاما وتوفي ابو نصر رابع جمادي الاولى سنة سبع وسبعين واربعمائة بعد ما كف بصره وقد حكى القولين عن العلماء في ذلك اي في فضلات النبي صلى الله عليه وسلم والانبياء عليهم الصلاة والسلام وحكمها في الطهارة وضدها وقيل قوله العلماء شامل للحنفية وغيرهم ابو بكر سابق المالكي اي العالم المقلد لمذهب الامام مالك وسابق بنا موحدة وقال البرهان وفي بعض النسخ مصححا ابو وهو ابو الحسن محمد بن سابق الصقلي المالكي المذهب لا النسب في كتابه البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية

يعني انه الغ كتابه المسمى بالبديع في فروع فقهية لم يذكرها علما المالكية فخرجها على حكم ما ذكره الشافعية فيها لتصريحهم بها وليس هذا تقليدا لهم وانما هو نظر في دليلهم واثبات لذلك الحكم بالدليل فهو اجتهاد مذهبي ويقع مثله لغيرهم من الفقهاء ايضا والتخريج في اصطلاح الفقهاء ان يبني صاحب المذهب على حكمين مختلفين في صورتين متشابهتين لم يظهر فارق بينهما فينقلون نصه في كل صورة الى الاخرى كمسلتي الاجتهاد في الاواني والقبلة اذ منع في الاولى العمل بتغيير الاجتهاد وجوز في الثانية فنقلوا منعه في تلك لهذه وتجويزه في هذه لتلك فصار في كل قولان منصوص ومخرج المنصوص في كل هو المخرج في الاخرى والتخريج عند المحدثين ان يجد حديثا في كتاب فينقله مسندا مبينا حاله في الصحة وضدها او غير مسند ه

وشاهد هذا اي دليل القول بالطهارة انه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شيء يكره ولا غير طيب اي فان النجاسة للاستقذار وكراهة التلوث ولم يكن فيه صلى الله عليه وسلم شيء مكروه عند الطباع السليمة وهذا دليل عقلي مؤيد لنظر اهل الشرع فلا يرد عليه انه لا يدل على مدعاه لان من المستقذر ما هو غير نجس ومن النجس ما هو غير مستقذر ومنه اي من الشاهد على انه لم يكن منه صلى الله عليه وسلم شيء يكره ولا غير طيب حديث علي رضي الله تعالى عنه الذي رواه ابن ماجة وابو داود في مراسيله غسلت النبي صلى الله عليه وسلم بتشديد السين لانه المستعمل في الميت ويخفف في غيره كالثياب فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم اجد شيئا ذهب هنا من افعال المقاربة اي جعلت انظر ومثله كثير في كلامهم فالقول بانه بمعنى اردت استقير الذهاب بمعنى المرور للارادة بجامع التلازم بينهما تكلف مفسد للمعنى لان قوله فلم اجد لا وجه لتعريفه وتكون تامة بمعنى يوجد وما يوجد من الميت تغير رائحة وخروج فضلات وهذا من اعلام النبوة وطهارة عنصر طينته وقد مكث صلى الله عليه وسلم بعد موته يوما فلم يتغير منه شيء قط وهذا مما يستانس به لان طيبه يدل على طيب ما يحصل منه وكل انا بالذي فيه يرشح • وليس يزهانا عقليا مما يرشدك اليه تعبيره بالشاهد فلا يرد عليه ان عدم وجوده كيت يدل على ما نحن فيه من طهارة الفضلات ويأتي قريبا ان الذي غسل النبي صلى الله عليه وسلم علي والعباس وابنه الفضل بعينه وقثم واسامة وشقران يصبون الماء عينهم مصوبة تأدبا ولانه صلى الله عليه وسلم قال لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه كما سيأتي ومرت عايشة رضي الله تعالى عنها انهم تركوه وانى تجريده للغسل فسمعوا قايلا لم يروا شخصه يقول لا تجردوا نبيكم

دلجي

بحثي كاته

من نبيا به فغسلوه وعليه قميصه بسبع قرب من بير غرس ثلاث مرات الاولى بماء فراح
والثانية بماء وسدر والثالثة بماء وكافور وانما قال فذهبت انظر بنا على العادة لتاخير
دفنه لانه مات يوم الاثنين ودفن يوم الاربعا لاشتغالهم بامر الخلافة ولدفع قول
بعضهم انه لو نعت فقلت طبت بفتح تا الخطاب حيا وميتا والمخاطب النبي صلى
الله عليه وسلم على عادتهم في مخاطبة الاموات عند النوجع والثنا كما ورد في المرثى
اولانه صلى الله عليه وسلم ليس كغيره فيسمع كما يسمع في قبره من يصلي عليه كما سياتي
قال وسطعت منه ريح طيبة لم نجد وامثلها قط اي ظهرت وارتفعت واصل
السطوع في النور فاستعمل في مطلق الظهور وروى ابن بكير في سيرته ان ام سلمة
رضي الله تعالى عنها وضعت يدها على صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمكثت
جمعا لا تاكل ولا تشرب ولا تتوضا الا وجدت ريح المسك بين يديها ومثله اي
مثل قوله على هذا قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه حين قبل النبي صلى الله عليه
وسلم بعد موته اشارة الى ما في الصحيحين عن عايشة رضي الله عنها لما ان ابا بكر
رضي الله عنه لما نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عيكه بالسخ بضم السين
المهملة وضم النون وقد تسكن فوجا مهملة بعد الى المدينة على مقدار ميل من المسجد
ولم يكلم احدا حتى دخل بيت عايشة رضي الله عنها والنبي صلى الله عليه وسلم مسجى
ببرد حبر فكشف عن وجهه الشريف واكب عليه يقبله وهو يبكي ويقول باي
انت وامي يا نبي الله لا يجمع الله عليك موتتين اما الموتة التي كتبت عليك فقد ذقتها
فسلا عمر سبيله وجعل يتوعد من يقول انه صلى الله عليه وسلم مات ويقول انما ارسل
اليه كما ارسل الى موسى عليه الصلاة والسلام فلبث اربعين ليلة ثم رجع والله
والله لا ارجوان يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى فيقطع ايدي
رجال وارجلهم وفي رواية ان الصديق لما كشف عن وجهه بكى وقال باني انت وامي
طبت حيا وميتا والصحابة منهم من خجل ومنهم من اخرس ومنهم من اقعد فلما خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما خرج ابو بكر رضي الله تعالى عنه قال لعمر ايها الحالف على
رسلك فجلس فصعد ابو بكر المنبر فحمد الله واثنى عليه وقال الا من كان يعبد محمدا فان
محمدا قد مات صلى الله عليه وسلم ومن كان يعبد الله سبحانه وتعالى حي لا يموت وقد
قال تعالى انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل
الاية فنسيج الناس يبكون وروى انه لما قبل وجهه وقال طبت حيا وميتا اراد
وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت احد من الانبيا فعظمت عن التعزية وجلت عن البكا اذكرنا
يا محمد عند ربك عز وجل وليكن من بالك وجعل يقول وهو يبكي واخليلاه واصفياه

وانبياه

وانبياه وتقدمت الاشارة لشيء من ذلك في الفصل السابع ومنه اي من الشواهد
على ما ذكر ما رواه البيهقي والطبراني في معجمه الوسط عن ابي سعيد الخدري والاول دليل عقلي
وهذا نقلي شرب مالك ابن سنان دمه يوم احد ومصه اياه مالك بن سنان بن عبيد
ابن ثعلبة بن الابجر بموحدة وجيم وهو ابو ابي سعد الخدري رضي الله تعالى عنهما
وقد تقدم الكلام على ترجمتهما ونسبتهما وهو من كبار الصحابة قتل شهيدا يوم
احد رضي الله عنه واحد بضمتين اسم جبل وقعت فيه الوقعة العظيمة بعد
قدومه صلى الله عليه وسلم من نجران وقد غزاه كفار قريش في شوال سنة ثلاث
وقد هوا بنسائهم وخلفايهم وقصدوا المدينة فنزلوا قرب احد على شفير الوادي
بقناة مقابل المدينة فراي رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه ان في سيفه
ثلمة وان بقرا تذبح والله اوخل يده في درع له حصينة فتاولها بان رجالا
من اصحابه يقتلون وان رجالا من اهل بيته يصاب وان الدرع الحصينة هي المدينة
ورويا الانبيا عليهم الصلاة والسلام وحي فاشار على اصحابه ان لا يخرجوا من المدينة
ويتحصنوا بها فان قربوا منها قتلوا ووافقه على راية عبد الله بن ابي بن سلول
واباكثير من الانصار الا الخروج ليكرمهم الله من شا بالشهادة فلما راى صلى الله عليه
وسلم عزيمتهم دخل بيته يوم الجمعة ولبس لامته وخرج فقال قوم ممن الح في الخروج
ان شيت فارجع فقال ما ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل فخرج في الف
من اصحابه واستعمل ابن ام مكتوم رضي الله تعالى عنه على الصلاة بمن بقي المدينة
فلما سار صلى الله عليه وسلم الى القوم انصرف عنه ابن ابي ذلك الناس مغاضبا لمخالفة
رايه فنهض صلى الله عليه وسلم لما عزم عليه وذكره قوم من الانصار الاستعانة بحلفا
من اليهود فاتى وسلك على حرة بني حارثة وشق اموالهم حتى نزل الشعب في احد
في عدوة الوادي وجعل ظهره احدا ونهى الناس ان يقاتلوا حتى يامرهم وسرحت
قريش الظهر والكراع في زروع المسلمين بقناة وتعبى رسول الله صلى الله عليه وسلم
للقتال في سبعماية والمشركون ثلاثة الاف فيهم ماية فرس وقيل كان في المسلمين
خمسون فارسا وفي رماة المسلمين خمسون رجلا امر عليهم عبد الله بن جبير رضي
الله عنه وهو معلم بثياب بيض فرتبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف الجيش
وامرهم ان ينضحوا المسلمين بالنبل لئلا ياتوا المسلمين من
وراياهم وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين ورفع اللوا مصعب بن عمير
رضي الله تعالى عنه اخي بني عبد الدار واجاز سمرة بن جندب الفزاري ورافع بن خديج
بالخروج وكان كل واحد منهما خمسة عشر سنة وكان رافع راميا وجماعة ورد من لم يبلغ

تنبيه

وقبل الاجازة استحقاق التهمين والرد عدة لذلك وجعلت قريش على مبيتهم في
الجبل خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن ابي جهل واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم
سيفه الى ابي دجانة وكان شجاعا يختال في الحرب وكان ابو عامر المعروف بالراهب وسماه
النبي صلى الله عليه وسلم الفاسق سيدا في الاوس فحسده وترهب في الجاهلية فلما
جا الاسلام غلب عليه الشقاء ففر عن المدينة لبغضه لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وخرج الى مكة في جماعة من الاوس وشهد يوم احد مع الكفار ووعدهم
بالحراق قومه اليه فكان اول من خرج في عيدان اهل مكة والاحابيش فلما نادى
قومه وعرفهم بنفسه قالوا لا انعم الله بك عينا يا فاسق فقال لقد اصاب
قومي بعدي شر ثم قال لما التقى الجمعان قاتل المسلمون قتالا شديدا وابلى
لو ميذ على وحمزة وابو دجانة وابو طلحة رضي الله عنهم بلاء حسنا وكذا جماعة
واصيب منهم مقبلين غير مدبرين وقاتلوا قتالا شديدا ايبصابرتا بتة فانهزمت
قريش واستمرت الهزيمة عليهم فلما راى ذلك ابن جبير امير هم رضي الله تعالى
عنه امر الرسول صلى الله عليه وسلم لهم ان لا يبرحوا فلم يلتفتوا لقوله وقالوا قد
انهزموا وقاموا فتولى المسلمون وتذكر المشركون عليهم نفروا وثبت من اكرمه
الله بالشهادة وانما خالفوا لظنهم الامر مقيدا ببقا العدو وافانهزموا سقط من
الخطاب فغلطوا في التاويل فوصلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهزمين
وقاتلوا دونه مصعب ابن عمير رضي الله تعالى عنه حتى قتل وجرح رسول الله صلى
الله عليه وسلم في وجهه وكسرت رباعيته اليمنى السفلى بحجر وهشمت البيضة براسه
وكان الذي تولى ذلك عمرو بن قميئة الليثي وعتبة ابن ابي وقاص وقيل ان عبد الله
ابن شهاب هو الذي شجه واكب الحجارة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سقط
في حفرة كان ابو عامر الراهب حفرها مكيدة للمسلمين فجر عليه الصلاة والسلام وعلى
حينه بيده واحتضنه طلحة حتى قام ومص مالك بن سنان من جرح رسول الله صلى الله
عليه وسلم الدم علاجا ومداواة له حتى لا يختم الجرح قبل التصفية من الدم ولذا لم
يقل له صلى الله عليه وسلم كما قال لابن الزبير حين شرب دمه وتسببت حلقتان من درع
المغفر في وجهه الشريف فانتزعهما ابو عبيدة ابن الجراح وعض عليهما بثنيته فسقطتا
وكان اهتم بزينة هشمه وقد اختلف في هذا هل كان قبل الوعد من العصمة او بعدها
والعصمة انما هي عصمة النفس من القتل لا الجرح ونحو وتفوله ثوابها والتاسي به فيهما
واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية حين قتل مصعب بن عمير رضي الله عنه
عليا كرم الله وجهه وصار رسول الله صلى الله تحت راية الانصار وقتل صاحب لواء

المشركين

المشركون وسقط لواؤهم فعرفته عمرة بنت علقمة الحارثية فاجتمعوا اليه وحملوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكروه نفر من الانصار سبعة او عشرة فقتلوا
كلهم واصيبت عين قتادة رضي الله تعالى عنه فسالت على وجنته فردها رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى محلها فكانت اجمل عينيه واصحهما ولذا قال ابو حفص ولده
لعمر بن عبد العزيز لما قدم عليه وقال له من انت فقال

انا ابن الذي سالت على الخد عينه • فردت بكف المصطفى احسن الرد
فعادت كما كانت لاول وقتها • فيا حسن ما عين ويا حسن ما خد

فقال عمر • تلك المكارم لا عقبان من لبن • واحسن جائزته وانهى انس بن النضر
الى جماعة من الصحابة وقد القوا بايديهم فقال ما يجلسكم قالوا قتل رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه واول من مر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الجرلة كعب ابن مالك الشاعر فنادى باعلى صوته يا معشر
المسلمين هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم واشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان انصت الناس فلما عرفوه صلى الله عليه وسلم مالوا اليه ونهضوا اليه نحو الشعب
فيهم ابو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير وغيرهم رضي الله تعالى عنهم فلما استند في الشعب
ادركه ابي بن خلف قتلنا وصلى الله عليه وسلم حربة الحارث بن الصمة وطعنه
بها في عنقه فمات عدو الله مرجعه بسرف وقصته احد مفصل في السير باسط من
هذا او ما يتعلق بابي بن خلف سيأتي الكلام عليه مطولا في كلام المصنف رحمه الله
تعالى في قوله فصل واما الشجاعة الى اخره واشار بقوله شربه ومصه
الى انه كان يفيض اولا فالذ اجعل لحمه بيعه وابتلاعه اياه شربا ثم لما قل وجعل
يجذب ما قل منه بالسفيه لما فيه جعله مصا فان المص بالميم والصاد المهملة اخذ
المايع القليل بجذب النفس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مس دمه دمي لم
يجا لطه ذب وهكذا من مازج بدنه بدنه شيأ مينه وكان فيه اشارة الى انه يستشهد
وقد كان كذلك وقد علمت ان هذا رواه البيهقي والطبراني في الاوسط وكذا اصحاب
السير وضمير اياه للنبي صلى الله عليه وسلم ووجه دلالته على ما قاله المصنف انه الدم
غير طاهر من غيره صلى الله عليه وسلم فلو كان دمه الشريف غير طاهر لنهاه عن ازدراده
الا انه لا يدل على طهارة بقية الفضلات قياسا لفرق الماوردي رحمه الله بين الدم
والشعر وغيرهما بانهما من اجزاء بدنه بخلافهما وقوله وتسويغه صلى الله عليه وسلم
ذلك اي شرب دمه ومصه له اي لمالك بن سنان رضي الله تعالى عنه وتسويغه
بالسين المهملة والغين المعجمة بمعنى تجويزه له من غير انكار ومدحه له وهو مستعار من

ساغ الشراب في الحلق اذا سهل انحداره فيه ومنه لبنا خالصا سائغا للشاربين
والتغيير به هنا في غاية الحسن والتورية لما فيه الشرب وقوله اي النبي صلى الله
عليه وسلم لمالك لن تصيبه النار كناية عن فوزه بنعيم الجنان وفي رواية من سن
ان ينظر الى من خالط دمه دمي فلينظر الى مالك بن سنان ومنه شرب عبد
الله بن الزبير بضم الزاي والتصغير رضي الله عنهما دم حجامته قال البرهان الحلبي
هذا الحديث رواه البزار والحاكم والبيهقي والبغوي والطبراني والدارقطني
من طرق يقوي بعضها والعجب من قول ابن الصلاح ان هذا الحديث لم اجد له اصلا
وهو مذكور في هذه الاصول وقد كان عليه الصلاة والسلام قال لما ولدته امه نظر
اليه هو هو فكفت امه عن رضاعه فقال ارضعيه ولو بما عينيك كبشتين ذهاب وذياب
عليها ثياب ليمنعن البيت او ليقتلن دونه وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم لاخباره
بالمغيبات فانه بيان لقصته مع الحجاج فان ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما استخلف سنة
اربع او خمس وستين بعد وفاة معاوية رضي الله تعالى عنه فحاصره بقدد ذلك
الحجاج عند البيت العتيق سنة ثلاث وسبعين حتى قتل شهيدا او قصته مشهورة
وهو احد العبادلة الامام الزاهد العابد الشجاع او هو الشجاع اول مولود ولد
للمهاجرين وحنكه النبي صلى الله عليه وسلم بتمرة لاكها بفمه فخالط ريقه ريقه وله
رضي الله عنه من شرف النسب ما لا يوصل اليه لان امه اسماء رضي الله عنها ذات
النطاقين بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما وابو الزبير رضي الله عنه احد
العشرة سيف الله وجده صفيه رضي الله تعالى عنها بنت عبد المطلب وعمته خديجة
ام المومنين رضي الله عنها وخالته عايشة رضي الله تعالى عنها وجد لامه ابو بكر رضي
الله تعالى عنه وكان صواما لا ينام ليله وكان الطس لا تحيله وقوله فقال صلى
الله عليه وسلم ويل لك من الناس وويل الناس منك بيان لما نسب عن شرب
ذلك الدم وويل للتحسر والتالم من الامر قال تعالى فويل لهم مما كتبت ايديهم
وويل لهم مما يكسبون وهو اشارة الى قتله وتعذيبه وتحقيره لقتل الحاج له
ومن عادته ظلما له وويل الناس منه لما اصاب الناس من خروجه ومحاصرته مكة
بسببه وقتل من قتل منهم وما اصاب امه واهله من المصايب وما لحق قاتليه
من الاثم العظيم وتخريب البيت وهدمه بسببه وانما جعله نائبا من شرب دمه
كانه يضعه من النبوية نورانية قوت قلبه حتى زادته شجاعة وعلت همته عن ان
ينقاد لغيره ممن لا يستحق الامارة فضلا من الخلافة وما قيل انه اشارة الى
ما يلحقه من قدح الجملة فيه بواسطة شربه الدم وما يلحقهم من الاثم بذلك القدح

مما لا ينبغي ذكره وسقوطه مغن عن رده وبيان تحقيقه ورده صلى الله عليه وسلم
مما تقدم قطرانه بالارواح ولله در القائل

يجري العلا في عرفه جرى الندا ٭ في عوده فهو اللباب صفا
لو يقدر الاحرار حين ارقته ٭ جعلوا له حب القلوب وعا
او يبيعوا قطرانه معدودة ٭ اعطوا به بهج النفوس سرا
واسترخصوا في شعرها ان يبذلوا ٭ لواه عن كل واحدة جرت حوبا

وقد شرب دمه صلى الله عليه وسلم ايضا اربعة رجال ابو طيبة واسمه دينار
وابو رافع وسالوا ابن ابي الحجام وهو الذي قال له صلى الله عليه وسلم لا تعد فان الله
كله حرام على ما فيه وسفينه كما رواه البيهقي وعلي ابن ابي طالب كرم الله وجهه
ذكره الرافعي في الشرح الكبير وقال ابن الملقن انه غريب لم نجد لغيره وقد مر
ذلك ولم ينكر عليه هذا هو محط الدليل فان عدم انكاره صلى الله عليه وسلم
عليه دليل على جوازه وطهارته قال السخاوي سئل شيخنا العلامة ابن حجر
عن حديث ابن الزبير ومالك ابن سنان وقوله للاول ويل لك الى اخره وقوله
لمالك لا تمسك النار ما الحكمة في تنوع القول مع اتحاد السبب فاجاب ابن الزبير رضي
الله عنهما شرب دم الحجامة وهو قدر كثير يحصل به الاعتدال وقوة جذب المحجمة
تجلبه من سائر العروق او كثير منها فعلم صلى الله عليه وسلم انه يسري في جميع
جسده فتكتسب جميع اعضائه منه قوى من قوى النبي صلى الله عليه وسلم فتورد
به غاية قوة البدن والقلب وتكسبه نهاية الشهامة والشجاعة ولا ينقاد لمن
هو دونه بعد ضعف العدل وقلة ناصره وتمكن الظلمة وكثرة اعوانهم فيحصل
له ما اشار اليه صلى الله عليه وسلم من ملك الحروب القايلة التي تنتهك بها حرمته
اي الناهشة وحرمة البيت العتيق فقيل ويل له القتل وانتهاك حرمته
وويل لهم لظلمهم وتعديهم عليه وتسعيرهم واما مالك رضي الله تعالى عنه
فازدرد ما مصه من الجرح الذي في وجهه صلى الله عليه وسلم وهو اقل من دم الحجامة
وكانه صلى الله عليه وسلم علم انه يستشهد في ذلك اليوم فلم يبق له من احوال الدنيا
ما يجزيه فاعلمه بالاهم له بما يتلقاه من انواع مسرات الجنان المهملة ولا عطر
بعد عروس وقد روى نحو من هذا المذكور في شرب دمه صلى الله عليه وسلم عنه
صلى الله عليه وسلم في امراة شربت بوله سيأتي بيان هذه المراة فقال لها
لن تشتكي وجع بطنك اي لا يصيب بطنك وجع بعد اليوم لبركة ما دخل في
جوفها فعبر بنفي الشكاية عن نفي لازمه وهو الوجع بطريق الكناية التي هي ابلغ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من التضريح أبدًا وفي رواية بعدها ولم يأمر ولحدًا منهم اي ممن شرب وهمه ومن
مصه ومن شرب بوله بغسل فم ولو كان نجسًا لأمر به ونهاه عن عوده لمثله
لأن تناوله لم يكن باذنه فلذا قال ولا نهاه عن عوده ضمير نهاه وكذا ضمير عوده هو
المضاف اليه ان كان بالضمير لواحد وليس الضمير للشرب كما توهم وقال البرهان انه
لعودة بتأ التانيث كدولة فانه رواية ولو كان نجسًا حرم تناوله ووجب تطهير محله
ولم يقر النبي صلى الله عليه وسلم على مثله وكونه للمداوى والعلاج خلاف الظاهر
على ما فيه وحديث هذه المراة التي شربت بوله صلى الله عليه وسلم صحيح الزم
الدارقطني مسلما ولا لبخاري اخراجه في الصحيح يعني انه مستجمع لشروطهما
فهو في اعلا درجات الصحة فكان ينبغي ذكره فليس الالزام على ظاهره والدارقطني
منسوب الى دار القطن محاله ببغداد وهو الامام الحافظ الذي لم ير مثله
في عصره وهو علي ابن عمر بن احمد بن مهدا بن مسعود ابن النعمان ابن دينار ابن عبيد
الله ابو الحسن الذي انتهى اليه علم الاثر ومعرفة المعلل واسما الرجال ولحوالهم
مع الصدق والعدالة والمعرفة بمذاهب الفقها فلذا قيل انه امير المؤمنين
في الحديث ولد سنت ست وثلاثمايه وتوفي سنة خمس وثمانين وثلاثمايه
وما ذكره المصنف من ان الدارقطني قال حديث المراة التي شربت بوله صلى الله
عليه وسلم صحيح يخالفه انه قال في علله انه مضطرب جا عن ابي مالك النخعي
وهو ضعيف وروى عنه الحاكم واسم هذه المراة بركة واختلف في نسبها قال
البلقيني رحمه الله تعالى في الخصايص ان ام ايمن وام يوسف شربتا بوله صلى
الله عليه وسلم ولم ينكره عليهما وفي تجريد الذهبي ان بركة الحبشية قدمت مع ام حبيبة
وهي التي شربت بوله وهي غير بركة بنت يسار المهاجرة الى الحبشة مع زوجها قيس
ابن عبد الله الاسدي وغير بركة ام ايمن وهي بركة بنت ثعلبة ابن عمرو والدة
ايمن ابن عبيد وام اسامة ابن زيد فاسم هذه المراة بركة ولكن في الصحابيات من اسمها
بركة عدة نساء فاختلف في التي شربت بوله صلى الله عليه وسلم انتهى هي والى ذلك
اشار بقوله المصنف اختلف في نسبها فقيل هي ام ايمن بركة بنت محصن ابن ثعلبة
ابن عمرو بن حصن بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان مولاة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وحاضنته معتقة ابيه اسلمت هي وابنها ايمن ابن عبيد الحبشي ثم تزوجها
زيد ابن حارثة واخرج لها احاديث في كتب السنة وادركت خلافة عثمان كما في التهذيب
وذكره الواقدي وورد بما في مسلم من انها توفيت بعد النبي صلى الله عليه وسلم بخمسة اوستة
اشهر ولم يكن بام ايمن غيرها وقيل ان التي شربت بوله صلى الله عليه وسلم بركة

بنت يسار

بنت يسار مولاة ابي سفيان ابن حرب المهاجرة التابعة وكانت ظئر ام حبيبة
رضي الله عنها فلما تنصر عبد الله ابن جحش بنت ام حبيبة على الاسلام وخلف عليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم بتزويج النجاشي اياه صلى الله عليه وسلم لها واصدقاه
اياها اربعمايه دينار وبعثها له صلى الله عليه وسلم مع سرجيل ابن حسنة فقدمت
ومعها بركة تخدمها وهي القابلة انه كان له صلى الله عليه وسلم قدح تحت سريره
يبول فيه فشربته ليلا اي كما يأتي وهذا مخالف لما قاله البرهان الحلبي من ان القاعدة
معها غير بركة بنت يسار ولما قال الذهبي من انها بركة الحبشية المهاجرة للحبشة
وهو خلاف الظاهر وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها لا يجع بطنك
ابدًا بفتح الياء الاولى وكسرها وهما لغتان في يوجع سوى ياجع وعلى الكسر روى
قوله ولا تشكي قدح الفؤاد فيبجعا وروى كما مر ان لا تلج النار بطنك
وقيل هي اي بركة المذكورة ام ايمن وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم هو
تأييد لكونها التي شربت بوله صلى الله عليه وسلم ليلا لانها اذا كانت خادمة له صلى
الله عليه وسلم تمكنت من الوصول لذلك في مثل ذلك الوقت على حالة فلذلك قالت
وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان والقدح ليس المراد به ما يشرب
منه الشراب كما هو عند العامة بل هو الاناء الذي يشرب منه واصوه الغمر بضم
الغين المعجمة وهو الذي لا يروى ثم المعب وهو ما يروي ثم القدح وهو ما يروي
والثلاثة ثم العس وهو ما يشرب منه الجماعة ثم الرفد ثم الدين ثم الحبة وبعده
جوز فيه التلمساني كسر العين على انه جمع عود والذي عليه الشراح انه بفتح العين
المهملة تليها ياء مثناة تحتية ثم دال مهملة والف ونون ووزنه فيعال او فعلان والعيدان
والعيدانة النخلة الطويلة قال الشاعر

ان الرياح اذا اما اعصفت قصفت عيدانا بجدا ولم يعبأن بالرتم

ويقال للنخل اذا اطال وتناول اليد عصيفة فاذا فات اليد فهي الجبارة فاذا ارتفعت
فهي الوفلة والعيدانة وكان للنبي صلى الله عليه وسلم عدة اقداح قدح يسمى الريان
واخر يسمى المغيث واخر مصيب بسلسلة من فضة وقدح من زجاج وهذا القدح كان
كان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل والسرير معروف ومن ظرفية بمعنى في لا زايدة
وقد عده من معايبها الكوفيون وابن مالك وانشدوا

عسى سايل ذو حاجة ان منعته من اليوم سؤلا نا له بعد في غد

وقال تعالى اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة اي فيه فباله فيه ليلة ثم افتقده
الافتقاد افتعال من الفقد وهو العدم وليس الافتقاد هنا بمعنى العدم والاورد بمعنا

كما في الصحاح بكل الطلب والتفتيش يقال تفقده وتفقده بمعنى الا ان الفرق بينهما
كما قال الراغب ان التفقد لحقيقته تعرف فقدان الشئ والتعهد يعرف العهد والتردد
فلم يجر فيه شيأ من بوله وسال صلى الله عليه وسلم عند بركة فقالت فمت وانا
عطشانة المذكور في كتب اللغة يقال عطشان وعطشى وجماعة عطاش الا في الفاظ
قليلة جاءت على فعلان فعلانة ولغة بني اسد في كل فعلان فعلانة فيصرفون
فعلان لان شرط منع صرفه وجود فعلى او فقد فعلانة فما ورد في هذا الحديث امّا
سماعي على خلاف القياس او هو على لغة بني اسد فلا وقف البرهان فيه لا وجه له وقد
كانت قريش تتكلم بغير لغتها لكثرة وفود القبايل عليهم وحكى صاحب القاموس
امراة عطشانة من غير تقييد بلغة وقيل الظاهر ان من قال عطشى لا يقول هو
عطشانة وفيه نظر وقد علم ان هذا يدل على طهارة بوله صلى الله عليه وسلم
اذ لم ينههما عنه ولم يامرها بغسل فمها ولا باعادة الصلاة ان كانت صلت ولا
ينافيه فوها فشربته وانا لا اعلم لانه لبيان طيبه والفالم تجد له ريحا
وطعما كغيره اي لا اعلم ان بوله لما ذكر فلا ينافي قولها انه كان له قدح يضعه تحت
سريره الى اخره فتامل وروى حديثها اي بوله ام ايمن المذكورة اي جريج وغيره
هو عبد الملك ابن عبد العزيز ابن جريج بجيمين اولاهما مضمومة وهو امام ثقة
ولد سنة ثمان وتوفي سنة خمسين وماية ويكنى ابا الوليد وهو مولى لاله
صفية بنت حيي قيل وهو اول من صنف في الاسلام وكان يقول ما دون
العلم احد ثم دوبني وقيل اول من صنف سعد بن عروبة وقيل الربيع ابن صبيح
وقد اختلف في قوله السابق امراة شربت بوله وقصته ام ايمن في قدح العيدان
هل هما قصتان او قصة واحدة فروى الحاكم والدارقطني عن ام ايمن انها
قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل الى المخارة في جانب البيت فبال
فيها فقمت وانا عطشانة فشربت ما فيها وانا لا اشعر فلما اصبح قال يا ام ايمن
قومي فامريقي ما في تلك المخارة فقلت شربت ما فيها فضحك ثم قال والله
لا يجعن بطنك ابدا وتخم واخرج عبد الرزاق عن ابن جريج قال اخبرت انه
صلى الله عليه وسلم كان يبول في قدح من عيدان ثم يوضع تحت سريره فجاء فاذا
القدح ليس فيه شئ فقال لامراة يقال لها بركة كانت تخدم ام حبيبة رضي الله
عنها جاءت معها من الحبشة اين البول الذي كان في القدح فقالت شربته فقال لها
صحة يا ام يوسف وكانت تكنى ام يوسف فما مر بها حدث عبر مرض موتها واخرج
ابو داود وابن حبان عن امية بنت رقيقة انها قالت كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم

قدح من عيدان الى اخره قال ابن وحية رحمه الله تعالى هما قصتان لامراتين وبركة
ام يوسف غير بركة ام ايمن اقول وفي قوله صلى الله عليه وسلم
صحة ما يدل على ان الدعا بعد الشرب سنة لا بدعة عامية وحكمته لك الاكل والشرب
يخشى منه السقم وتخم فلذا دعى به كما قال شعر

فان الدآء اكثر ما تراه ● يكون من الطعام او الشراب

وروي في بعض النسخ وهو ساقط من الاكثر هما وروي في بعض النسخ الروايات
عن امه امنة قالت نطيحا ما به قذر اي شئ مما يكون على المولود اي نقيا
من الوسخ والدرن وفي بعض النسخ تاخيره عن قوله وكان النبي صلى الله عليه
وسلم قد ولد مختونا مقطوع السرة وفي بعض الروايات ولد مختونا مسرورا
وفيه تورية لانه من السرور او من قطع السرة وعللها في الحسن انه ولد معذورا
مسرورا ومعنى معذورا مختونا يقال عذرته واعذرته اذا قطعت عذرته
وهي القلفة وكونه صلى الله عليه وسلم ولد مختونا مقطوع السرة ورد في
حديث روى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وعلى هذا فهو تكريم له صلى الله
عليه وسلم حتى لا يرى احد عورته وقد وقع هذا الكثير من الناس والعرب تسميه
ختان القمر واصله ان الطفل اذا ولد في ليلة مقمرة وانفصل بحشفته ضوء القمر
وهي اذ ذاك لم تتضح جلدته اثر فيها حتى تقلصت وانخفت فان القمر
يوثر ضوءه في اللحم وتغيره الا انه لا يكون قاطعا لها بالكلية ولذا لم يتمدحوا به

قال الشاعر

ان حلفت يمينا غير كاذبة ● لانت اقلف الا ما جنى القمر

وقيل انه يشير الى انه النمو في خلقة الانسان يحصل في زيادة القمر ويحصل النقصان
عند نقصانه كما في الخزر والحرير فهذا النقصان منسوب الى نقصان القمر
وقيل ان عبد المطلب لما راه صلى الله عليه وسلم ولد مختونا قال ليكونن لابني
هذا شان ولا يخفى ان سند هذا الحديث ضعيف جدا والذي صححه المحدثون
كما في التمهيد لابن عبد البر ان جده عبد المطلب ختنه يوم سابعه وجعل له مادبة
وسماه محمدا وكانت العرب تختن لانه سنة توارثوها من اسماعيل وابراهيم
عليهم الصلاة والسلام وليس ذلك لمجاورة اليهود وقد رد هذا في قصة
هرقل وافقته التي قيل له فيها ان ملك اهل الختان فظهر وروى انه صلى الله عليه
وسلم ختن يوم شق قلبه الشريف وهو عند مرضعته حليمة وقد ذكره ابن القيم
في كتابه الهدى وهو ارجح الاقوال وطعن في القول الاول من الاقوال الثلاثة وقال

شبكة الألوكة www.alukah.net

انه روى في حديث لم يصح وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ومن الغريب قول الحاكم
في المستدرك ان الاخبار تواترت بان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد مسرورا
مختونا وتعقبه الذهبي وقال لا نعلم صحة ما ذكره فكيف يكون متواترا والقول
بالله اراد بتواتره شهرته بين الناس لما اصطلح عليه المحدثون بعيد وقد وقع
في هذه المسالة نزاع بين ابن طلحة والكمال ابن العديم فالف ابن العديم في تاييد
انه صلى الله عليه وسلم ختن بعد ولادته تاليفا اوضح فيه الدلايل والنقول الا
انهم لم يرتضوا قول ابن الجوزي انه موضوع وردوه ومع قوله انه موضوع نقل
عن كعب الاحبار ان ثلاثة عشر نبيا ولدوا مختونين اي على صورتهم وهو آدم
وشيث • وادريس • ونوح • وسام • ولوط • ويوسف
وموسى • وشعيب • وسليمان • ويحيى • وعيسى • ومحمد
وزاد حنظلة ابن صفوان قيل ولا تعارض بين كلاميه ولا يخفى ما فيه وزيد
عليهم الى اثنتي عشر وقد نظمهم بعضهم في قوله

وفي الرسل مختون لعمرك خلقة • ثمان وتسع طيبون اكارم
وحنظلة عيسى وموسى وادم • ونوح شعيب سام لوط وصالح
سليمان يحيى هود يا سين خاتم

تتمة قد علم ان امه صلى
الله عليه وسلم امنة بنت وهب بنت عبد مناف زوجها عبد المطلب ابنه عبد الله
فولدت له النبي صلى الله عليه وسلم وفي وقت وفاتها سبعة اقوال فقيل هو بعد
ست سنين او سبع او ثمان او خمس او اربع او تسع او اثنى عشر وتسعة شهور من
ولادته او غيرة لك وماتت بالابواء لجعة من عند بني النجار لخواله وفي زيارة
النبي صلى الله عليه وسلم قبرها واحيائها له كلام سياتي ثم انه ورد في الحديث ان رجلا
سأله صلى الله عليه وسلم ما حقيقة امرك منذ نشات فقال انا دعوة ابي ابراهيم
عليه الصلاة والسلام ورؤيا اخي عيسى صلى الله عليه وسلم واني كنت بكرا مي وانها
حملتني كاثقل ما تحمل النسا وجعلت تشتكي لصواحبتها ثقل ما تجد الحديث
وهذا الحديث يعارضه ما رواه الواقدي من امه امنه قالت لما حملت به ما شعرت
اني حملت به ولا وجدت له ثقلا كما تجد النسا وانما انكرت رفع حيضي وجمع بينهما
الحافظ ابو نعيم بان الثقل كما في ابتدا علوقها به والحفة عند استمراره فيكون
في الحالين خارجا عن المعتاد المعروف وهذا الجمع لا يتاتى مع قولها كما روى انها لما
انكرت رفع حيضها اتاني ات وانا بين النايم واليقظان فقال هل شعرت انك حملت
بسيد هذه الامة ونبيها فكونها انبئت بالحمل يقتضي ان الثقل لم تكن في ابتدائه

والذي ينبغي

وهم ذكر كاشت ادريس ويوسف

والذي ينبغي في التوفيق ان الثقل يكون معنويا وهو الوجع والالم الذي يحصل
للحوامل وهو المنفي وحسيا وهو وزنه وزيادة مقداره من غير الم وتعب لانه
صلى الله عليه وسلم وزن بجميع امته فرجحهم وهذا هو المثبت وبقية احوال حمله
وولده مفصلة في كتاب المولد لابن حجر **وعن عايشة رضي الله عنها ما رايت**
فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط وروى انها قالت ما رايت منه ولا
راى مني يعني العورة وحذف المفعول لاستهجان ذكره وسياتي الكلام على
ذلك عند اعادة المصنف له في الكلام على الحيا والاعضا وقد اختلف في نظر
احد الزوجين عورة الاخر فقيل يكره وهو الاصح وقيل يحرم لانه يورث العمى
ورد تعليل النهي عنه بذلك ونقل عن علما الشافعية الاختلاف في هذا العمى فقيل
عمى الناظر وقيل عمى الولد وقيل عمى القلب **وعن علي رضي الله تعالى عنه اوصاني**
النبي صلى الله عليه وسلم لا تغسل غير شيء فانه لا يرى احد عورتي الا طمت
عيناه قال المخرج هذا الحديث رواه البزار والبيهقي اي لا يمر به على جسده
للغسل غيره لانه من اقرب اقربايه واقدمهم صحبة واما قول الحافظ مغلطاي
انه غسله صلى الله عليه وسلم علي والعباس وابنه يعيناه وقثم واسامه
وشقران يصبون الما عليه واعينهم معصوبة من وراء الستر فلا ينافي انهما
انما اعانا له بنقل جثته والثلاثة اعانوه بصب الما وهو يغتسله بنفسه
وقوله من وراء الستر يعني قميصه من غير تجريد منه كسائر الموتى عن عايشة
رضي الله تعالى عنها انهم اختلفوا هل يجردونه امر لا فسمعوا منادي يا من
ناحية البيت يسمعون صوته ولا يرونه يقول غسلوا النبي صلى الله عليه وسلم
وعليه ثيابه فلم يجردوه وقوله واعينهم معصوبة اي مربوطة بعصابة حتى
لا ينظروا من جسده الشريف وهو يغتسل خيفة ان يبدو من بدنه الشريف
ما لم يبدو في النظرة الاولى وضمير اعينهم للعباس وابنه وقثم واسامة وشقران
لا للكل فعلي رضي الله تعالى عنه لم يعصب عينيه لانه المباشر فهو ماذون
له في ذلك وخص بالاذن لانه اقدرهم على الغض وغيره ربما حانت منه الفتنة
فيطمس عيناه ولذا ورد انه نودي وهو يغسله ان ارفع طرفك نحو السما خوفا
من ان يديم النظر اليه وطمست بفتح الطا والميم من الطمس وهو ازالة الاثر بالمحو
وطمس العين ازالة محوها ضوءها وصورتها وهو لازم قال ربنا اطمس على اموالهم
وينبغي كقوله من قبل ان نطمس وجوها وكفن صلى الله عليه وسلم في ثلاثة
اثواب بيض سحولية والسحولية بضم السين وفتحها نوع من ثياب اليمن قطن وبيان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

النسبة مفصلة في الفائق وفي هذا دليل على ان الله تعالى صانه صلى الله
عليه وسلم عن ان يرى احد محل العورة منه قبل النبوة وبعدها فمن نظر اليها
عن قصد عمي ولم يرد ما ينافيه او لم ينقل ان احدا راها في صغره كامه ومرضعته
واما ما روى من ان قريشا لما بنت الكعبة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصقل
الحجارة معهم وكان يضع ازاره على عاتقه ويضع الحجر عليه فاذا دنا من الناس
لبسه فلكمه لاكم لكمة شديدة فاستقام شاخصا بصره للسما فقيل له ما شانك
فقال نهيت ان امشي عريانا وكان ذلك اول شيء راه من امر النبوة فليس فيه ان احدا
نظر لعورته صلى الله عليه وسلم وفي حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما
عكرمة منقول من العكرمة بمعنى الحمامة وهو عكرمة بن عبد الله البربري مولى
ابن عباس احد فقهاء المدينة وتابعيها ومن الائمة المقتدى بهم في التفسير والحديث
توفي سنة سبع ومائة وقيل غير ذلك وهذا رواه الشيخان وغيرهما وهو
حديث صحيح انه صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط الغطيط صرف النائم
اذا ارتفع نفسه لانطباق مجراه وضيقه ويقال لخطيط بالخاء المعجمة ايضا وهي
بدل من الغين كما يقال لاغ واخ قال التلمساني وثبتت به الرواية ايضا فقام
فصلى ولم يتوضأ لانه صلى الله عليه وسلم لا ينقض وضوءه بالنوم مضطجعا
بخلاف غيره وهو من خصائصه صلى الله عليه وسلم وحكى الشافعية قولا انه صلى
الله عليه وسلم كغيره في الانتقاض بذلك والكلام على الانتقاض بالنوم في
المذاهب الاربعة مفصل في كتب الفقه وانما كان ناقضا لانه مظنه خروج شيء
من ريح ونحوه من النواقض ومذهب الشيعة وبعض السلف انه لا ينقض وفي
احد قولي الشافعي انه ينقض مطلقا وليس هذا محل تفصيله والاحاديث الدالة
على ان نومه صلى الله عليه وسلم لا ينقض وانه تنام عينه ولا ينام قلبه كثيرة
صحيحة منها ما ذكره هنا وهذا مخصوص به بالنسبة للامة لما صح من حديث انا معاشر
الانبيا تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا قال ابن عباس رضي الله عنهما
كان رؤياهم وحي فيقارفون سائر البشر في نوم القلب وليساوونهم في نوم العين
فلو سلط النوم على قلوبهم لم يكن رؤياهم مفارقة لرؤيا غيرهم وهذا افضل
من الله خصهم به واما ما روى من وضوئه صلى الله عليه وسلم بعد موته فلم يقل
انه لحدث وانما كان احيانا يجدد الوضوء فانه كان يستحبه وهو بالنسبة لامته
للتشريع لهم فان قلت يشكل على هذا انه صلى الله عليه وسلم نام في الوادي
حتى طلعت الشمس ولو كان قلبه غير نائم لما اخر الصلاة عن وقتها قلت

اجيب عن هذا باجوبة احدها انه لا مخالفة بينهما فان القلب يقظان
فيحس بما يدركه القلب مما يتعلق بالبدن بخلاف ما يدرك بالعين كطلوع
الشمس والحق ثانيها انه صلى الله عليه وسلم كان له نومان نوم مستغرق تنام فيه
عينه وقلبه ونوم غير مستغرق تنام فيه فقط قال النووي في شرح مسلم والمعتمد
الاول فلعل قلبه صلى الله عليه وسلم كان مستغرقا بالوحي والمشاهدة فلا يلزم من
نوم قلبه بالنوم كما كان عند نزول الوحي عليه في اليقظة ولا اشتغال باطنه بالقدس
تغفل عند حقوق الظواهر كما قال الشاعر

فوالله ما ادري اذا ما ذكرتها اثنتين صليت العشا ام ثمانيا

وهذا هو الذي اختاره ابن عبد البر وابن المنير لانه ظاهر الحديث عموما لسائر احواله
وما خالفه وجهه ما ذكر وحكمة التشريع وهذا جواب ثالث ورابعها انه يستغرق
قلبه وينام ولكن لا يبلغ مرتبة عدم الشعور بالحدث تنبيه على القول
بان المس ينقض الوضوء وذهب بعضهم الى انه لغيره صلى الله عليه وسلم واما هو فلا
ثم اعلم انه اذا كان رؤياه وحيا فهل اوحي اليه في نومه بشيء من القران
قال الرافعي في اماليه لم يقع ذلك وانما نزل عليه صلى الله عليه وسلم كلمة يقظة وما ورد
من قوله سورة الكوثر في النوم محمول على انها خطرت على قلبه بغتة ولها يقظة
وقوله ولم يتوضأ بسكون الهمزة لدخول الجازم عليه ويجوز ابدالها الفا لانية
على القياس وحينئذ يجوز فيه جزمه بحذف الحركة المقدرة وابقا الالف المعارضة
ويجوز جزمه بحذف الحركة المقدرة وابقا الالف المعارضة ويجوز جزمه بحذف الفه
لمعاملته معاملة يخشى فلك ان تقول لم يتوضأ ولم يتوضأ كما ذكره النحاة قال
عكرمة في بيان وجه ما ذكر لانه صلى الله عليه وسلم كان محفوظا قيل هذا جواب
عن الاشكال السابق حاصله ان النوم ليس ناقضا بنفسه وانما نقض لانه مظنة
الحدث والله تعالى حفظه صلى الله عليه وسلم عن وقوع ذلك منه ولو وقع نبهه
عليه وهو مع ضعفه مخالف لظاهر الحديث فالظاهر ان المراد ان الله حفظه
عن ان ينام قلبه وقد علمت مما مر ان هذه خاصة اضافية بالنسبة للامة او الامم لان
سائر الانبيا عليهم الصلاة والسلام كذلك وقيل ان سفيان ابن عيينة رحمه الله
كان لم يطلع على حديث انا معاشر الانبيا تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا او لم يصح
عنده فحكم بان الصلاة بعد النوم من غير وضوء من خواصه صلى الله عليه وسلم
وتبعه مغلطاي واليه ذهب بعض الشافعية ولذا قال ابن الوردي رحمه الله
في البهجة الوردية وبعض ما اكرمه الله به ◦ منامه بالعين دون قلبه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قاله

أقول لا وجه لما قالوه فان الحكيم بعقله مثل سفيان او قوله فيهما صح من الاحاديث الله غير صحيح مع انه لو يصرح به فالتقول عليه بمثله غير لايق وحمل المومن وقوله على الصلاح اولى فتقول انما اراد هو لا انه لو سلم ان الانبيا السالفة صح انهم كانوا ينوضون لصلاتهم كوضوئنا فلم يسمع من لحدان وضوهم ينتقض بنواقض شرعنا فتكون هم الصلاة بعد النوم من خواص نبينا على الاطلاق وعدم نوم قلوبهم امر اخر وهذا امر اوضح من الصبح ومما قلته فيما نحن فيه

وعينيك ما قلب النبي غفا ولا ... عيون له في سرة الليل راقدة
ولكنما الاجفان منه تهجدت ... وباتت بمحراب الحواجب ساجده

فصل في قوة عقله صلى الله عليه وسلم وشدة ادراك حواسه وذكائه وفيه مايدل على كمال قوة بنيته **واما وفور عقله** الوفور بضم الواو والفا مصدر كالعقود بمعنى التمام لا الكثرة وقيل يحتمل انه جمع وفر بمعنى كثير والعقل قوة وغريزة اودعها الله في الانسان ليتميز عن الحيوان بادراك الامور النظرية وقيل انه نور يقذف في القلب يستعد به لادراك المعلوم والامور العقلية وفي حقيقته ومحله خلاف وكلام لا حاجة لتفصيله واشتقاقه من العقل بمعنى المنع ومنه العقال لمنعه الانسان عما لا يليق ولذا تتظرف القائل

قد عقلنا والعقل اي وناق ... وصبرنا والصبر مر المذاق

وهذه القوة تتفاوت بالشدة والضعف وتزيد بامور مكتسبة من التجربة ومخالطة العقلا فلذا قيل العقل عقلان عقل غريزي وعقل مكتسب وقد علمت ان المراد بوفور عقله صلى الله عليه وسلم تمامه وكماله لا كثرته حتى يقال ان المصنف وصف العقل بالكثرة باعتبار اثاره الصادرة عنه قال في الصحاح الوفور الشئ التام ووفر الشئ وفرا ووفر الشئ بنفسه وفورا يعني انه تام ولازم والوفور لم يذكر انه جمع **وذكائه** الذكا بفتح الذال للعجمة والموحدة الوافد بسرعة ادراكه ووفطنته لانه في الاصل الاشتعال والتوقد ولذا يقال الذكي بتوقد الذهن وقال الشاعر

لو لو يحل ما الندا ... فيه لاحرقه ذكاؤه

واللب بضم اللام وتشديد الموحدة التحتية بمعنى العقل ولب كل شئ قلبه وخالصه فلو فسر اللب هنا بالقلب جاز ايضا يقال لب يلب اذا صار لبيبا وعلى الاول غايرين اللب والعقل تفننا ولا تكرار في كلامه كما توهم **وقوة حواسه** الخمس الظاهرة وهي اللمس والذوق والشم والسمع والبصر وهذه

مما لا كلام فيه في ثبوتها للانسان وللحيوان الا ان الحصر فيها لانا لم نعثر على غيرها لا فينا ولا في غيرنا وان امكن كما صرحوا به واما الحواس الباطنة كالحس المشترك والخيال والقوة الفكرية والوهم والحافظة ومحالها من الدماغ فلم يثبتها اهل الشرع على انهم في اثباتها وتعيين محالها في حيز بيض كما يعرفه من وقف على كلامهم والحاسة بمعنى المدرك من حس بمعنى احس والثاني هو الاعرف الافصح وبه جا القران قال تعالى فلما احسوا باسنا فلما احسوا منهم الكفر وهو استعارة لجعله لشدة ظهوره كالمحسوس وقوة الحواس مما يتمدح به **وفصاحة لسانه** هذا وما قبله مرفوع بالعطف على وفور وسياتي الكلام على الفصاحة قريبا **واعتدال حركاته** اي حركاته الظاهرة في بدنه واعضائه جارية على نهج الاستقامة والاداب فانها عنوان لما في قلبه من الخشوع والخضوع ومراقبة ربه الذي هو دائما في حضرته ولذا قال صلى الله عليه وسلم لمار اي رجلا يعبث بلحيته في صلاته لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه **وحسن شمائله** جمع شمال بالكسر وهو الطبع والاخلاق والصفات المحمودة **فلا تريبه** بكسر الميم وقد تضم وسكون الراء المهملة يليها مثناة تحتية اي لا شك ولا شبهة اولا جد ولا محاجة وقال الراغب المويبة التردد في الامر وهي اخص من الشك قال تعالى فلا تكن في مرية من لقائه والامتراء والمماراة المحاجة فيما فيه مرية وقال تعالى فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ومراء اصله من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها للحلب **انه صلى الله عليه وسلم اعقل الناس واذكاهم** اي اقواهم واشدهم عقلا واكثرهم فطنة وذكاء ونحو ذلك وبينه بما هو معلوم لاهل العلم والبصيرة فقال **ومن تامل** في الصحاح تاملت نظرت فيه مستبينا فكانه ماخوذ من الامل وهو الرجا لان من وفق النظر في شئ واعمل الفكر رجا حصوله وانكشاف كنهه **تدبير امور بواطن الخلق وظواهرهم** اي الوقوف على ظواهر احوالهم وخفياتها حتى يصلحها ويرشدهم للاحسن منها واصل معنى التدبير التفكر في عواقب الامور واد بارها وتدبير مفعول تامل وامور مفعول تدبير لانه صلى الله عليه وسلم بعث داعيا الى الله وهاديا للعباد وهذا انما يكون باصلاح باطنهم وظاهرهم وهو يتوقف على معرفة ذلك **وسياسته العامة والخاصة** منصوب معطوف على تدبيره والسياسة مصدر ساس الناس يسوسهم اذا دبر امورهم وتصرف فيها قالت حرقة بنت النعمان

فبينا نسوس الناس والامر امرنا ... اذا نحن فيهم سوقة نتنصف

وقول علامة الروم انه معرب نسه يسق غلط لا اصل له وقد اخذه من كلام
من لا يعتد به والعامة عوام الناس وجهلتهم من ارباب الصنايع والرعية
ماخوذ من العموم لان اكثر الناس كذلك والخاصة خلافهم والمسعودي والجاحظ
كلامهم في وصف العامة منه اتباع لكل جاهل لا يفرقون بين حق وباطل
فتراهم مهرعين لفائدة اوضاربة في متشوفين الى اللهو
واللعب مختلفين لغير محترق وافقين عند قاص كذاب مجتمعين حول
مضروب واقفين عند مضلوب يبعق بهم فيتبعون ويصاح بهم فلا يرتدعون
اذا اجتمعوا ضروا واذا تفرقوا نفعوا وسياسة الخاصة بالدلالة على الخير
والنصيحة وسياسة العامة بالزجر والقهر والضرب والنهر وسيل العتبى
عن قوله تعالى انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور وقوله وانزلنا الحديد
فيه باس شديد اي مناسبة بين ذلك وبين الحديد وما هو الا كالجمع بين الضب
والنون فاجاب بان مالك الملك ارسل رسله لاجراء اوامره ونواهيه
بين عباده وهما قسمان عقلاء وبصيرة وارشادهم بالكتب الالهية وملحوقه
من الادلة القطعية وجهلة عوامهم وتسخيرهم بالقهر والارشاد والارهاب
بالسيف والسنان فصار المعنى ارسلنا هم بضابطي العامة والخاصة واي
مناسبة اتم من هذه وان تراى عدم المناسبة بينهما بحسب النظرة الجمعا مع
عجيب شمايله وبديع سيره جمع سيرة مضاف للضمير وقد تقدم انها هيئة
السير ثم خصت بحاله في غزواته ونحوها والعجيب الامر الذي من شانه انه يتعجب
منه لكونه لا نظير له وكذا البديع بمعنى المبدع وغاير بينهما تفننا في العبارة ولم
يعطفهما واتى بمع للدلالة على ان انضمام هذا الى ما قبله سبب كونه عجيبا بديعا
كما تقول فلان يجود مع فقره لان الجود في هذه الحالة اغرب يعني انه صلى الله عليه
وسلم مع سياسة العامة للخصة والعامة مهذب الاخلاق موطى الاكناف
حسن السيرة وقلما تتفق السياسة العظمى الا مع التجبر والتعظم والتحجب
كما تراه من الملوك فهذا دليل قوله عقله وفطنته صلى الله عليه وسلم ثم قال فضلا
عما افاض من العلم اي وزاد على ما ذكر بكثرة العلم الذي علمه الناس وجعله
بينهم من ما افاض الحديث اذا عده وقوله من العلم اي من علوم الاولين والآخرين
وقرره من الشرع اي ما قرره للناس من الامور الشرعية لمعرفته بشرايع من قبله
وبيانه لامور شريعته والكلام على فضلا وتقديره بعض مفضل في شروح المفتاح
والكشاف وياتي بعض منه والافاضة اصلها من فيض الماء شاع فيما مر ودون

تعلم سبق متعلق بافاض وما بعده اي فعلا ذلك من غير تعلم لانه صلى الله عليه
وسلم لم يسكن غير بلده ولم يفارق غيرها حداثته ولم يكن ثمة من يمكن تعلمه
منه ولا ممارسة تقدمت منه والممارسة معالجة ومزاولة بالاعتياد على فعله
اي لم يتعلم من غيره ولم يحاوله حتى يعلمه من نفسه باجتهاد في استخراجه بعقله
ولا مطالعة للكتب منه اي لم ينظر في شيء من الكتب لانه صلى الله عليه وسلم كان اميا
بين قوم اميين وهذا دليل على شدة ذكائه صلى الله عليه وسلم وفطنته واستقامة
طبيعته وفطرته فلذا قال لم يمر اي لم يشك ويرتب فرجحان عقله اي في زيادة
عقله ولقوب فهمه اي نفوذه وظهوره هو المثلثة من ثقيب النار تقويا
اذا اتقدت لاول بديهته اي لم يمتر ولم يشك في اول نظرها فان قلت
هو صلى الله عليه وسلم تعلم ما ذكر من الوحي المنزل عليه وهو سفير محض قلت
تلقي الوحي من الملاك وضبطه وفهمه واجراؤه في مجاريه من غير تكلف منه يدل
على ما ذكروكم من عالم قد اوتي رئاسة العلوم اذا اراد تقرير ما علمه علمه لم يجد
له قدحا ولا رونقا وبعض الفقهاء اذا ولي القضاء لا يحسن الحكم بين الناس هم
ولك ان تقول المراد بما ذكر امر اخر غير ما قلته من الامور العرفية التي اكثرها
برايه وحسن تدبيره فانه صلى الله عليه وسلم كان ما دونا له في الاجتهاد وهذا
مما لا يحتاج الى تقرير وبيانه بما ذكرناه للتحقق بالمشاهدة في عصره والتواتر
بعده لله بجبت لا يشك فيه مسلم وعاقل وبما قررناه عرفت ان قول بعض الشراح
هنا ان قوله ومن تامل الى آخره غير واقع موقعه لان العلم بمثل هذا ملحق بالبديهيات
وقد استعرفه الله فقال وتقوب فهمه لاول بديهة فهذا تطويل غير مفتقر اليه
من عدم التدبر وقال وهب ابن منبه بضم الميم وفتح النون وكسر الباء المشددة
بزنة اسم الفاعل وهو وهب ابن منبه بن سيج بسين مهملة مفتوحة وقيل مكسورة
ثم مثناة تحتية ساكنة ثم جيم الابناوي اليماني اخو همام ابن منبه وكنيته وهب
ابو عبد الله ويقال له الذماري نسبة الى ذمار بكسر الذال المعجمة وهي حمرته بقرب
صنعا تابعي مشهور بمعرفة الكتب القديمة سمع من جابر بن عبد الله رضي الله تعالى
عنهما وقيل انه لم يلحقه ودروى عن ابن عباس وعبد الله ابن عمرو بن العاص
وابي سعيد الخدري وابي هريرة والنعمان ابن بشير وغيرهم رضي الله تعالى عنهم
واتفقوا على توثيقه وعبادته وتوفي سنة اربعة عشر وقيل سنة عشرة ومائة
وهو ابن ثمانين سنة واخرج له اصحاب الكتب الستة وله ترجمة طويلة في الميزان
فوائد واحد وسبعين كتابا من الكتب القديمة النازلة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام

وغيرها فوجدت في جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم
رايا يعني ان عقله ازيد من عقول الناس والمراد اسد من عقولهم جميعا وارايهم
وقد تقدم انه كان يعرف الكتب القديمة ويقرؤها قال النجاني في كتاب المعارف
لابن قتيبة عن وهب انه قال قرات من كتب الله سبحانه وتعالى اثنين وسبعين
كتابا فيمكن ان يكون وجد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا
وافضلهم رايا في احد وسبعين كتابا منها فقط ولم يجد ذلك في الكتاب الثاني
والسبعين ويمكن ان تكون الروايات عنه مختلفة بزيادة ونقص والذي قاله
وهب من انه صلى الله عليه وسلم منوه بذكره في الكتب المتقدمة يعضده قوله تعالى
النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يعني رواية اخرى
عن وهب ايضا فوجدت في جميعها اي جميع الكتب التي قراها ان الله تعالى لم يقبض
جميع الناس حتى الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام من بدو الدنيا الى انقضائها
من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم اصله معنى الجنب الجارحة ثم استعير
للناحية التي تليها كاستعارة سائر الجوارح لذلك كاليمين والشمال وقوله في جنب
الله اي في امر وحد الذي حده لنا كما قاله الامام الراغب فالمراد بقوله في جنب الله
في حده ومقداره الذي اعطاه الله تعالى له الا كجبة رمل من رمال الدنيا يعني ان
عقله صلى الله عليه وسلم كجميع رمال الدنيا وعقل جميع الناس كجبة منها وهذا على
طريق التمثيل لان عقولهم لا تقاس بعقله صلى الله عليه وسلم كما ضرب الخضر لموسى
عليهما الصلاة والسلام مثلا بما في منقار عصفور من ماء البحر بالنسبة لسائره فشبه
به علم الله وعلم ما عداه وقد اورد على كونه افضل الناس رايا انه ورد ما يخالفه في
كثير من الوقايع الثابتة في الحديث ورجوعه عن رايه الى راي غيره كما في قصة بدر
في رجوعه لراي الحباب ابن المنذر حيث نزل النبي صلى الله عليه وسلم بادنى ماء من مياه بدر
فقال له الحباب اهذا منزل انزلكه الله فلا نتقدمه ولا نتاخر عنه او هو راي ومكيدة
حرب فقال بل هو الراي والمكيدة فقال ليس هذا بمنزل بل الراي ان ننتهي حتى
ناتي ادنى ماء من مياه بدر فننزل ثم نغور ما وراءه ونبني عليه حوضا ونملؤه ثم
نقاتل ونشرب ولا يشربون فقال اشرت بالراي ورجع صلى الله عليه وسلم
لما قاله وكذا في قصة اساري بدر والفداء وكذا في قصة تابير النخل ونحو ما ياتي
مما لا حاجة للتطويل بذكره واجاب النجاني بان رجحان رايه على ما سواه
مخصوص بما امضاه من سنن الشرع واجتهاده في امور الدين فلا ينافي رجوعه
في اهل الدنيا لغيره كما صرح به في قصة التابير اذ قال انما انا بشر مثلكم فاذا امرتكم

بشيء من دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشيء من راي فانما انا بشر اخطئ واصيب
وهذا نص فيما ذكر ورد بان مختار اهل الاصول انه صلى الله عليه وسلم كان متعبدا
فيما لا وحي فيه بانتظار الوحي ثم بالاجتهاد بعد وقت الانتظار وقيل
له الاجتهاد مطلقا في الامور الشرعية والدنيوية وهذا مذهب مالك واحمد
والشافعي وهو المنقول عن ابي يوسف وغيره واختلف في جواز خطائه في اجتهاده
فذهب الاوزاعي وغيره الى انه لا يجوز وفي التوضيح يجوز لكن لا يقر عليه وعدم
الاقرار بالاجماع لوجوب اتباعه المقتضي لعصمته وجواز الخطا عقلا لا مانع
منه بمقتضى البشرية وقوة عقله صلى الله عليه وسلم وكمال حدسه وسداد رايه
لا ينافيه لانه من لوازم الطبيعة البشرية واذا جاز سهوه في صلاته ومناجاته ففي
غيرها بالاولى فقول النجاني ان جميع امور الدينية صواب خلاف المختار عند
علماء الاصول وحينئذ فمعنى كونه افضل من راى غيره الناس رايا واجتهادا مع
جواز الخطا احيانا ان رايه لو خلي ونفسه من غير معارض فيما يقتضيه الطباع
البشرية كان افضل من راي غيره واجتهاده اذا خلي ونفسه ايضا مع رجحان
رايه بعدم التقرير عليه اذ خالف الاولى واراه صلى الله عليه وسلم كلها صواب
بعد التقرير عليها وقليله لا الاعلى قول من يقول كل مجتهد مصيب والحاصل
ان كون رايه افضل الاراء لا ينافي رجوعه لغيره ومشاورته له فان الغيره
بما وقع عليه القرار لا يبادي الراي قافهم وقال مجاهد رحمه الله تعالى
تقدم الكلام على ترجمته فيما رواه عنه ابن المنذر وابو نعيم موسلا بلفظ كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من بين
يديه قال البرهان في الاصل الذي وقفت عليه من بفتح الميم موصوله وخلفه
صلته منصوب على الظرفية وكذا بين يديه ورفي غيره بمن الجارة فيهما وهذا
الحديث رواه البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه لكن بلفظ قال
صلى الله عليه وسلم هل ترون قبلتي ها هنا فوالله ما يخفى علي ركوعكم ولا خشوعكم
واني لاراكم من وراء ظهري ورواه مالك واحمد وغيرهما وفي لفظه اختلاف كما
يأتي والمعنى متفق واختلفوا في هذه الرؤية هل هي مختصة بحال الصلاة او لا وهل
هي رؤية حقيقية او علمية قلبية فقال ابن الصباغ في الشامل ان المراد بها الحس
والتخمين وقيل المراد العلم بان يوحى اليه صلى الله عليه وسلم كيفية فعلهم
او نلهم ذلك وفيه نظر لانه حينئذ لا معنى لتقييده بقوله من وراء ظهري
وقيل المراد من عن يمينه وشماله وهو تكلف والصواب انه محمول على ظاهره وان

الأبصار حقيقي خاص به على طريق خرق العادة له صلى الله عليه وسلم ولذا اخرجه
البخاري في علامات النبوة ثم انه على ما ذكر يجوز ان يكون برؤية عينيه خرقا للعادة
فكان يرى بها من خلفه كما يرى ما يقابله بعلم انه لا يشترط في الرؤية المقابلة ولا
العضو المخصوص عند اهل السنة كما قرروه في رؤية الله وهذه امور عادية
يجوز الرؤية مع عدمها عقلا واذا قلنا الرؤية علمية فمعنى ارى من خلفي اراكم
وانتم من خلفي وقال الزاهدي الحنفي صاحب القنية في رسالته الناصرية
ان صلى الله عليه وسلم كانت له عينان بين كتفيه كسم الخياط يبصر بهما كما يجبهما
ثوب ولا غيره والظاهر ان مثله لا يقال بالراي وقيل كانت صورهم تنطبع في
حائط قبلته صلى الله عليه وسلم كما تنطبع في المرآت فيشاهد افعالهم ولا ينافي
هذا ما ورد انه صلى الله عليه وسلم وضع شابا حدثا من وفد عبد القيس خلفه ليلا
يراه ولا قوله اني لا اعلم ما وراء جداري هذا ان صح ولا قوله في الحديث ايكم الذي
ركع دون الصف فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه انا يا رسول الله فلو كان يرى
يرى كما ذكر ما احتاج الى السؤال لان الاول تشريع والثاني المراد لله تعالى علمه
علمه صلى الله عليه وسلم بالمغيبات مع ان عدم رؤيته ما وراء الجدار لا تنافي الرؤية
من غير حائل وهذا ان لم ينقل انه مخصوص بالصلاة كما في الامتناع واجاب
ابن عبد البر حديث ابي بكر رضي الله تعالى عنه بان هذه القضية كانت قبل ان
فضل الله بهذه الفضيلة فان شؤنه صلى الله عليه وسلم تترايد ابدا وقيل
معنى قوله اني اراكم ان قصدت ذلك ولم يكن صلى الله عليه وسلم قصد ذلك
كما ان الانسان قد لا يستعمل نظره احيانا او انه رآه ولم يعلم عينه او اراد تقرير
ليذكر له ما ذكره وارتضاه بعضهم وارتضى غيرهم انه كان خلف صفوف كثيرة
فلا يرد عليه رؤيته لانه لم يكن خلفه في الصف الاول فلا حاجة لما تكلفوه من الاجوبة
وهو كلام حسن وبه فسر بالبنا للفاعل اي فسر العلما او بعض المفسرين
قوله تعالى وتقلبك في الساجدين اي يرى تقلب بصرك في المصلين خلفك
لتراهم وتعلم ما يفعلون وهو امتنان بهذه النعم وهذا مؤنس لاختصاصه
بالصلاة كما ورد التصريح به في بعض الاحاديث ايضا وفي الموطا بصيغة المفعول
المسند الطا المهملة المهموز سمي به لما فيه من احاديث الاحكام المهمة للشريعة
وساق هذا الاستدلال به على قوله حواسه صلى الله عليه وسلم فيناسبه التفسير بانه
يراهم بعينيه حقيقة كما مر اني لاراكم من وراء ظهري ونحو عن انس رضي الله عنه
في الصحيحين وعن عائشة رضي الله عنها مثله قالت زيادة زادها الله تعالى

ايا

ايا هاني حجته وفي نسخة في حجته والاول اصح وفي بعض الروايات اني
لانظر من قبالتي كما انظر من بين يدي وفي اخرى اي في رواية اخرى لمسلم اني
لابصر من قفاي كما ابصر من بين يدي والمراد بحجته الدلايل الدالة على نبوته
صلى الله عليه وسلم وصدقه وقيل في حجته على الكفار لان هذه معجزة
من معجزاته خارقة للعادة وقوله زيادة بالرفع اي هذه زيادة ويجوز نصبه وقول
عايشة هذا لا ينافي رؤيته من خلفه واكثر المفسرين في هذه الاية الاقوال فيها
ما ذكره المصنف عن عايشة هنا وهنا ما من ان المراد انتقالك من صلب
نبي لنبي وسيأتي تتمته وقيل تردد في تصفح احوال المتهجدين لانه
لما نسخ فرض الليل دار صلى الله عليه وسلم على بيوت اصحابه ليتظر ما يصنعون
حرصا على طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير من الذكر والتلاوة وقيل معناه
نراك تقلبك في جماعة المصلين اذا امتهم وما ذكره المصنف رحمه الله عن الموطا
بعض حديث رواه مالك عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هل ترون قبلتي ها هنا فوالله ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم
واني لاراكم من وراء ظهري واول الحديث قال انس صلى بنا النبي صلى الله عليه
وسلم ذات يوم فلما انصرف علينا بوجهه قال ايها الناس اني امامكم فلا تسبقوني
بالركوع ولا بالقيام ولا بالانصراف فاني اراكم امامي ومن خلفي الى اخر الحديث
والكلام عليه مسوق في شرحه وحكى بقي بن مخلد بفتح الموحدة وتشديد
القاف المكسورة تليها ياء مثناة تحتية ومخلد بفتح الميم واللام وحا بينهما
معجمة ساكنة ودال مهملة هو الامام ابو عبد الرحمن القرطبي الجياني الحافظ
الزاهد العابد الثقة صاحب المسند الكبير والتفسير الجليل الذي قال ابن
حزم انه لم يصنف في التفسير مثله مولده في رمضان سنة احدى وما تين
وسمع من ناس كثيرين منهم يحيى ابن يحيى الليثي القرطبي وابا مصعب
الزهري ويحيى ابن بكير وابراهيم ابن المنذر الحزامي وابن ابي شيبة وطبقتهم
الشرق والغرب وشيوخه ما يتان ونيف وثمانون وروى عنه كثير كابنه
احمد وكان مجتهدا لا يقلد احدا وعد من اصحاب اهل السنن وكان مجاب
الدعوة يقال انه كان يختم القران في كل ليلة في ثلاث عشرة ركعة ويسرد الصوم
وحضر سبعين غزاة وتوفي سنة ست وسبعين وما يتين رحمه الله عن عايشة
رضي الله تعالى عنها انها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة
كما يرى في الضوء وفيه رواية كما يرى في النور ولا شك انه صلى الله عليه وسلم كان

كامل الخلقة قوى الحواس فوقع مثل هذا منه غير بعيد وقد رواه الثقات
كابن مخلد هذا فلا وجه لانكاره وقد اخرجه البيهقي عن عائشة رضي الله تعالى
عنها ونقل ابن دحيه في كتابه الآيات البينات عن ابن بشكوال انه ضعفه
لان في سنده ضعيفا واخرجه عن ابن عباس بلفظ كان صلى الله عليه وسلم يرى
بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء ثم قال وليس بالقوى وذكر ابن الجوزي
في العلل حديث عائشة هذا وقال لم يصح وقال العقيلي في مسنده من لا يعتمد
عليه كما فصله وذكر هذا الحديث الذهبي في ميزانه في ترجمة عبد الله ابن محمد ابن
المغيرة الكوفي مع جملة حديث قال انها موضوعة وقال السهيلي رحمه الله تعالى
في الروض ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ابتنى بام سلمة رضي الله تعالى عنها
وخلا عليها ببيتها في ظلمة فوطئ على زينب فبكت فلما كان من الليلة الاخرى
دخل في ظلمة ايضا فقال انظروا ان يتكم ان لا اطأ عليها وفي هذا الحديث
لمن هو الحديث انه كان يرى بالليل كما يرى بالنهار انتهى ولا يخفى انه لا معارضة
بين الحديث لقضي ما ذكره لان زينب رضي الله عنها كانت بنتا صغيرة نائمة
معطاة بازار ونحوه في جانب من البيت ومثلها قد لا يرى بالنهار ايضا وهذا على ما فيه
اقرب مما قيل ان عدم رويته صلى الله عليه وسلم لها كان لتغير حصل في بصره الشريف
لان الاعراض البشرية كانت تعتريه صلى الله عليه وسلم كما في قصة السحر فكان اذ ذاك
كذلك فان مثله لا يقال من غير سند ورواية مجازف والاحاديث كثيرة صحيحة
في رويته صلى الله عليه وسلم الملايكة والشياطين هذا مما لا شبهة فيه وانما ذكره
المصنف رحمه الله تعالى دليلا على قوة بصره صلى الله عليه وسلم وانه يرى ما
لا يراه اما رويته صلى الله عليه وسلم الملايكة فورد في احاديث كثيرة منها
ما في البخاري من انه قال لعايشة رضي الله عنها هذا جبريل يقرأ عليك السلام
فقالت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته انك ترى ما لا نرى وتأتي ما لا تأتي والا
والاحاديث في رويته الملايكة غير جبريل كثيرة لا يراها غيره كما في حديث
العقبة ورويته ملا الجبال المشهور وفي هذا دليل على قوة بصره صلى الله عليه وسلم
حيث يرى ما لا يراه غيره وليس هذا مختصوصا بشكل الملايكة فانها جواهر
مجردة قابلة للشكل عندنا وعند الحكما لقوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا
وليس ذلك لها بنقص فيها او زيادة بل لطافتها تتشرئر وتنتضام اخرى
كما نراه في لهب النار عند تلاعب الريح بها وكذلك الجن فانها مخلوقة من النار
الا ان الملايكة من نورها الصافي والجن من النار المختلطة بالدخان ولذا ذهب

بعض الحكما

بعض الحكما الى المغايرة الجنس واحد وان الاستثنا منصل وفي بعض الشروح فان
قلت ثما معنى تشكل الملايكة والجن في صور مختلفة ولا قدرة للمخلوق
على تغيير خلقته قلت قال القاضي ابو يعلى لا قدرة للجن على تغيير خلقتهم
ولا على صورتهم الى صورة اخرى لان ذلك انما يكون بنقص البنية وتفريق
الاجزا وان انتقضت البنية بطلت الحياة واستحال وقوع النقل من الجملة فكيف
سبيل بعينها وانما ذلك باعتبار جواز ان يعلمهم الله كلمات وضروبا من الافعال
اذا فعلها احدهم او تكلم به نقله من صورة الى صورة فيقال الله قادر على
التصوير والتخييل وجعل عليه نضور جبريل عليه السلام في صورة دحية
رضي الله تعالى عنه وتصوره لمريم بشرا سويا وجوز ان يكون الله تعالى
قد جعل لهم قوة الشكل عند ارادتهم ذلك لانهم ارواح انتهى وفيه كلام
آخر ليس هذا محله واما رويته الجن فقد ثبت في احاديث كثيرة منها ما رواه مسلم
عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه قال كنا معه صلى الله عليه وسلم ذات ليلة
فقدناه فالتمسناه في الاودية والشعاب فقلنا انه اغتيل فبتنا بشر ليلة
فلما اصبحنا اذا هو جاء من قبل حرا فسالنا فقال اتاني داعي الجن فذهبت معه
فقرات عليهم القران وساله الزاد فقال لكم كل عظم لم يذكر اسم الله عليه
فهو طعام لكم وكل بعر علف لدوابكم وورد في احاديث اخر في رويته صلى الله
عليه وسلم لهم وايمانهم به مفصله في كتاب لقط المرجان في احكام الجان قال
بعض فضلا عصرنا ظاهر كلام المصنف رحمه الله تعالى ان رويته الملايكة
والشياطين من خصايص النبي صلى الله عليه وسلم فلا يراهم غير الانبيا وفي حاشية
الحلبي في سفره صلى الله عليه وسلم الى الشام في قول الراهب رايت ملكين يظلانه
من الشمس فيه ما يدل على جواز رويته الملايكة كالجن وقد صرحوا به وقوله تعالى انه
يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم محمول على الغالب اي وفيه بحث يأتي آخر
الكتاب ولو كانت رويتهم محاله ما قال صلى الله عليه وسلم همت ان اربطه حتى تنظروا
اليه كلكم وقال المصنف قيل رويته الجن على صورتهم الاصلية ممتنعة الا للانبيا عليهم
الصلاة والسلام ومن خرقت له العادة وانما يراهم بنو آدم في غير صورهم الاصلية
ورده النووي بانه دعوى مجردة لا مستند لها ورفع النجاشي له صلى الله عليه
وسلم حتى صلى عليه يعني اذ الله تعالى رفع النجاشي وجنازته
وهو ببلاد الحبش قرأه النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة وصلى على جنازته وهذا دليل
على قوة بصره الشريف بحيث يراه مع بعد ما بينهما من المسافة البعيدة والبحور ورفع

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مبنى المجهول وتقديره رفعه الله وصلى فاعله ضمير النبى صلى الله عليه وسلم
قيل ويجوز ان يكون رفع مصدرا مضافا للمفعول له مبتدا خبره مقدر اى
او معجز ويجوز ان يجوز رفع عطفا على قوله فى رؤيته الملايكة والاخبار كثيرة
فى ذلك وفى رفع النجاشى يعنى انه تفرد بطرق كثيرة ولا مانع من ذلك والاول
اولى واظهر والنجاشى ملك الحبشة واسمه اصحمه بفتح الهمزة وسكون الصاد
وفتح الحا المهملتين والميم والها ابن ابجر بفتح الهمزة وسكون الموحدة بعدها
جيم مفتوحة وراء مهملة وقال مغلطاى ابن بجرى وقيل اسمه صحمه بهمايتين
مفتوحة فساكنة وقيل صحمة بتقديم الميم وقيل بالحا المعجمة كما نقله البرهان
الحلبى عن بعض مشايخه وقيل سليم بضم السين وقيل حازم وقيل مكحول
ابن مصيه بمهملتين اولاهما مكسورة والادغام والنجاشى بفتح النون المشددة
والجيم وتخفيفها وضرب المحب الطبرى للتخفيف كما قيل فى جنى ابن جنى لانه
معرب كنى والنجاشى غلب على المذكور كالنجم للثريا وهو فى الاصل كل من ملك الحبشة
كقيصر لكل من ملك الروم وكسرى لمن ملك الفرس وخاقان لملك الترك وفرعون
للقبط والعزيز لملك مصر وتبع لحمير ودهمى ومقفور لملك الهند وغانة للزنج
وبطليموس لليونان وقطيون بكسر القاف وسكون الطا المهملة ومثناة تحتية
مضمومة يليها واو ونون او مالخ بفتح اللام فالخا المعجمة او شالخ لليهود وللقبط
مرود وتبع ملك اليمن وجالوت من ملك البربر واخشيد من ملك فرغانة ونعمان
من ملك العرب من قبل النجم وجرجير من ملك افريقية وشهربان من ملك
خلاط وفور من ملك السند والاصفر من ملك علوى ورتبيل من ملك الخزر وكال
من ملك النوبة كذا فى المقتفى وغيره وفى سيرة مغلطاى ان ملك اليمن يسمى تبعا
فان نزع للملك سمى قيلا بفتح القاف وسكون المثناة التحتية وهو كالوزير
واصله قيلا بالتشديد كما حققه اهل اللغة وفرعون من ملك مصر
والشام فان اضيف اليها الاسكندرية فهو العزيز او المقوقس ومعنى اصمة
عطية الله واصمة هذا هو النجاشى وهو ملك جليل المقدار امن بالنبى صلى
الله عليه وسلم وكان بينه مهاداة ومكاتبة الا انه لم يلقه ولم يجتمع به ولذا
لم يعد فى الصحابة لان شرطها الملاقاة الا على قول ضعيف ذكره فى التقريب انه
يكفى فيها المعاصرة مع المعاهدة والايمان لا سيما من كان له عذر فى التخلف وله
اخبار حسنة منها انه لما بلغه وقعة بدر بعث لمن قبله من المسلمين فلما وصلوا
عليه وجدوه ليس مسجى وقعد على التراب فقالوا له ما هذا ايها الملك فقال انا نجد

فى الانجيل ان الله سبحانه وتعالى اذا انعم على عبد بنعمة وجب عليه ان يحدث
له تواضعا وان الله احدث لنا ولكم نعمة عظيمة وهى ما بلغنى ان النبى صلى الله
عليه وسلم التقى واعداوه بواد يقال له بدر كنت فيه ارعى غنما لسيدى فهزم
الله اعداءه ونصره دينه وروت عائشة رضى الله عنها انه يعمل صوته كان يرى
على قبره نور وقوله كنت ارعى الى آخره يدل على انه دخل بلاد العرب واما ما ذكره
النجانى من انه من بيت الملك وان الحبشة قتلت اباه وملكوا عمه وكان له ميل
اليه فخافوا ان يملكه بعده فيقتلهم بابيه فقالوا له لا بد من قتله او اخراجه
من ارضنا فباعوه ثم ان الله جعله ملكا عليهم بعده الا فلا الا له له على ما ذكر
كما توهمه لان بقية القصة مذكورة فى الروض الانف وفيها ما يدل على خلاف ما ذكر
ثم ان ما ذكره المصنف من رفع النجاشى للنبى صلى الله عليه وسلم حتى راى جنازته
قال السيوطى فى كتابه مناهل الصفا فى تخريج احاديث الشفا انه لم يجده فى
كتب الحديث وانما الوارد فيها انه رفع اليه معاوية المزنى حتى صلى عليه النبى
صلى الله عليه وسلم بتبوك اخرجه ابو يعلى والبيهقى عن انس رضى الله تعالى
عنه انتهى وبانى ببطوله اقول الذى انكره المخرج انما هو رفع جنازته
اليه فانه روى فى خصائصه الكبرى من طرق مثبته انه صلى الله عليه وسلم
نعى لاصحابه النجاشى لما مات وخرج وصلى عليه مع اصحابه وكبر اربع تكبيرات
والصلاة عليه ثابتة فى الصحيحين وانما ذكره المصنف رحمه الله تعالى قصة
الرفع مدرجة فى الحديث بناء على الاختلاف فى مشروعية الصلاة على الغايب
وصحتها مطلقا كما يانى وكانت وفاته فى التسنة التاسعة من الهجرة فى رجب
وعن ابى اسحاق ان نيزار وابى نيزار بنون ومثناة تحتية وزاى معجمة وراء مهملة
النجاشى كان مولى لعلى ابن ابى طالب بعد موت ابيه وطلبته الحبشة ليتوجوه
فابى وقال لا اريد الملك بعد ان من الله على بالاسلام وكان طويل القامة صبيح
الوجه وروته النور على قبر النجاشى غير مستقر فانه يرى على بعض قبور الكفار
ويصدقه قوله تعالى والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم وقد علم ان فقده
النجاشى فى الصحيحين وهى من اعلام النبوة لاخباره صلى الله عليه وسلم بموته
فى اليوم الذى مات فيه مع بعد المسافة ولما صلى عليه قال بعض المنافقين
صلى على علج من علوج الحبشة فنزل قوله تعالى وان من اهل الكتاب لمن يومن
بالله وما انزل اليكم الاية واستدل به من قال بالصلاة على الغايب وبه قال احمد
والشافعى وبعض السلف لان الصلاة على الميت دعاله فكيف لا يدعى له وهو

شبكة الألوكة
www.alukah.net

غايب او في قبره كما يدعى له وهو حاضر وذهب الحنفية والمالكية الى انه لا يشرع ذلك وعن بعضهم يجوز لمن كان في جهة القبلة بخلاف مستدبرها واجاب من قال بعدم الصلاة على الغايب عن هذه القصة بامور منها انه كان بارض لا يصلى بها فشرعت لذلك وله اقال الخطابي لا يصلى على الغايب الا اذا مات بارض لا يعرف بها الصلاة على الميت كبلاد اهل الشرك وكذا قال ابو داود فاذا مات بها وجب على المسلمين ان يقوموا بحقه في الصلاة فلو علم انه صلى عليه لا يصلى عليه من كان غايبا فان لو يصل عليه لعذر او غايب سن الصلاة عليه ولا يزال البعد المسافة ومنها ان هذا مخصوص بالنبي صلى الله عليه وسلم لما روى انه سويت له الارض حتى ابصر النجاشي وقد رد هذا بانه اذا فعل شيئا من افعال الدين كان علينا اتباعه فيه والتخصيص لا بد له من دليل ونقل ثابت لا يجرد الاحتمال ولو فتح هذا الباب لم يبق شئ يوثق به ولو كان كذلك لتوفرت الدواعي بنقله يوبو كلام التاهل المارقول ابن حجر ان نبينا صلى الله عليه وسلم اهل لذلك الرفع والاحضار فانه قاد رعلى ما هو اعظم من ذلك لكنا لا نخترع حديثا ونقوله من عند انفسنا ومثل هذه الامور الصناعا الضعاف تلاف باتلاف وقال الكرماني رحمه الله تعالى رفع الحجاب ممنوع ولين سلمناه فهو غايب في حق الصحابة الذين صلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وقد وقع في حديث مجمع ابن جارية ما يؤيد ذلك فان فيه فصفوا خلفه صفين وما يرى شيئا كما في سنن ابن ماجة والطبراني واجاب الحنفية بانه يصير كالميت الذي عليه يصلي الامام وهو يراه والمامور لا يراه فانه جايز اتفاقا فاذا اورد عليه انه ليس النزاع في الرؤية وعدمها فانه لا يشترط في صحة الصلاة رؤية الميت ولا سريره وانما النزاع في كون الميت في بلد والمصلي في اخرى وعلى تقدير انه راه لو يقع النزاع فان قلتم ان سريره رفع ووضع عنده صلى الله عليه وسلم لم يكن غايبا والحاصل ان هنا للاثة امور احدها ان النبي صلى الله عليه وسلم علم بموته وهو بالحبشة وصلى عليه بالمدينة هو والصحابة وعلى هذا هو دليل الشافعية الثاني ان يكون رفع له سريره او روحه وهو من مكانه وازيل الحجاب فهذا ايضا صلاة على الغايب مع انا نطالب مدعيه بنقل صحيح الثالث ان تحتمل جثته للنبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه وهو صلاة على حاضر ولم يقل احد انه ورد ولا يثبت فقول الحنفية انه دليل فاسد لا وجه له وكان الاولى للمصنف الاستدلال على قوة بصح صلى الله عليه وسلم بحديث معاوية المزني الذي رواه ابن عبد البر في الاستيعاب عن انس بن مالك

رضي الله

رضي الله عنه ان جبريل عليه الصلاة والسلام نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد مات معاوية ابن معاوية المزني افتحب ان تصلي عليه قال نعم فضرب بجناحه الارض فلم يبق شجرة ولا اكمة الا تضعضعت ورفع له سريره حتى نظر اليه فصلى عليه وخلفه صفان من الملايكة في كل صف سبعون الف ملك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل بم نال هذه المنزلة من الله عز وجل قال بحبه قل هو الله احد وقراته اياها جاييا وذاهبا وقايما وقاعدا وهذا حديث صحيح كما في شرح البخاري لابن حجر اقول بعد صحة هذا وبيان كيفية الصلاة فيه على الغايب والاحاديث يفسر بعضها بعضا علم ان قصة النجاشي ورفع السرير وازالة الحجاب خارق للعادة لا ينتشر لغير النبي صلى الله عليه وسلم فبين صحة جواب الحنفية وقوته وسقط الاعتراض عن المصنف ايضا وقد اختلف في النجاشي كما في بعض الشروح اهو علم شخص ام علم جنس لكل من ملك الحبشة كقيصر وكسرى هل اسم لكل منفر عن او هو علم شخص وقد يجمع بانه علم شخص نقل للعلمية والاوجه لانكار النقل فيه كما قيل تنبيه في حديث النجاشي امران احدهما انه وقع فيه نعي موت النجاشي وقد ورد في الحديث انه نهى عن النعي ولذا اختلف العلماء فيه فقيل مكروه وقيل انه مستحسن والاخلاف بينهما فان معنى النعي الاخبار بالموت فاذا فعل من غير صراخ او اطراء مما لا ينبغي فهو سنة ولو بالمذاياع في الاسواق لما فيه من الدعا للخير بتكثير الجماعة والانتفاع فان كان بخلافه فعلى عادة الجاهلية فكروه الثاني ان الشافعية هم بعد ما ذكروا دليل الخصم في التاويل قالوا لا دليل فيه فقيل انه فاسد لان الدليل ملزوم لا يلزم من نفيه نفي اللازم ودعوى الفساد غير ظاهر فان مرادهم ان الصلاة على الغايب ثابتة بالاحاديث الصحيحة فتاويلها من غير مستند لا يكون دليلا اذ لا بد لكل مدع من النقل فالجواب الصحيح ما نقلناه اذ المنع المجرد لا يسمع في مقابلة النص وقوله ورفع بيت المقدس حين وصفه لقريش بالرفع معطوف على النجاشي ويجوز جره كما مر ومقدس كرجع اسم مكان او مصدر ميمي من القدس وهو الطهر اي المكان الذي يطهر الله فيه العباد من الذنوب او يطهر من الاصنام وجا فيه ضم الميم وفتح القاف والدال المشددة اسم مفعول من التقديس وهو التطهير وجا بكسر الدال اسم فاعل لانه يقدس العابد فيه من الاثام ويقال البيت المقدس بالتوصيف والاشتهر فيه الاضافة وقدس بضمتين وضم فسكون الطهر واسم جبل معروف قال البرزي يقال انه غير مصروف ولا يمتنع واستشهد للاول كثير كالمصنف

غدا فاصبح واقعا في قدس بين مجاشم الأوعال انتهى فانظر
دخول الالف واللام عليه ورفع بيت المقدس اشارة الى ما وقع في حديث
الاسرا الذي رواه الشيخان وغيرهما عن جابر رضي الله تعالى عنه بسند
صحيح متصل وهو انه صلى الله عليه وسلم لما اسري به واصبح بمكة اتا مقدو
الله ابو جهل فقال له هل كان من شئ قال نعم اني اسري بي الليلة الى بيت المقدس
قال ثم اصبحت بين اظهرها قال نعم قال فان دعوت قومك اتحدثهم بهذا قال
نعم قال يا معشر قريش حتى كعب بن لوى فانفضت اليه المجالس حتى جاءوا
فقد حدث قومك بما حدثتني فحدثهم فصاروا بين مصفق وواضع يده
على راسه متعجبا فقالوا هل تستطيع ان تنعت لنا بيت المقدس وكم فيه من
باب فكربت كربا لم اكرب مثله قط فجلى الله لي بيت المقدس وكشف لي حجاب بيني
وبينه حتى راايته فنعته لهم وانا انظر اليه وجاوا ابا بكر فقصوا عليه
القصة وقالوا هل تصدقه فقال نعم اني اصدقه باخبار السما فسمي لذلك
صديقا ولا استحالة فيه فقد احضر عرش بلقيس في طرفة عين وهذا مؤيد
لما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من قرب بصره حتى راه مرفوعا ولم يغب
عنه شئ مما قيل من ان الاليق درج هذا فيما له عليه الصلاة والسلام
من الكرامات والمعجزات لانه امر زايد على تكميل الذات لا وجه له والكعبة حين
بنى مسجده اي رفعت له صلى الله عليه وسلم الكعبة وهو بالمدينة حين بنى
مسجده بها على الوجهين السابقين في الاعراب قال السيوطي رحمه الله تعالى
في مناهل الصفا رفع الكعبة له حين بنى مسجده رواه الزبير بن بكار في اخبار
المدينة عن ابن شهاب ونافع ابن جبير وابن مطعم مرسلا ثم ما ذكره المصنف
رحمه الله تعالى مشكل لانه صلى الله عليه وسلم لما اتى المدينة نزل بقبا اياما
ثم اسس مسجدها وهو اول مسجد اسس على التقوى ثم خرج منها راكبا
ناقته ثم اتى دور بني النجار فبركت ناقته في موضع مسجده فبناه على ما فصل
في السير والاحاديث الصحيحة وكانت القبلة بيت المقدس اذ ذاك خمسة عشر
شهرا او نحوها فكيف يصح ان يقال ان الكعبة رفعت له صلى الله عليه وسلم
حين بنايه كما وقع في حديث الشفاعة عبد الرحمن الانصارية انها قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بنى مسجده يومه جبريل الى الكعبة
وليقيم له القبلة وهذا كله في غاية الاشكال مع وروده في الحديث وكذا في الحديث
في الحديث المرسل الذي نقله السيوطي في تخريجه ولذا قال النجاني رحمه الله تعالى في شرحه

انه غريب والمعروف ان جبريل عليه الصلاة والسلام اعلمه بحقيقة القبلة واراه
سمتها لا انه رفع له الكعبة حتى اراها وبهذا جاءت الآثار من غير تقييد وفي
العتبية من سماعة مالك انه قال سمعت ان جبريل عليه الصلاة والسلام هو
الذي اقام لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبلة مسجده مسجد المدينة قال ابن رشد
في البيان والتحصيل يعني اراه التي مت اليها وبين له جهتها والصواب ان ذلك
كان حين تحولت القبلة لا حين بنى مسجده وكون جبريل عليه الصلاة والسلام
اراه سمتها لا يقتضي رفعها ومثله لا يقدم عليه من غير رواية والحاصل ان
ما في حديث الشفاعة من ان جبريل عليه الصلاة والسلام حين بنى مسجده كان يومه
الى الكعبة في غاية الاشكال لان القبلة لم تكن اذ ذاك الكعبة بل بيت المقدس
اللهم الا ان يقال ان يوجهه اليها لم ينسخ وكان مخيرا هل التوجه لها او للصخرة
وقد وقع في كتاب الناسخ والمنسوخ نحو واما ما قاله ابن الحنبلي في شرحه من
ان المعنى قول الشفا يومه ان يصير اماما اي متبعا في التوجه الى الكعبة لاجل
اقامة وبيان حرمتها كما يكون الرجل امامك اذا استهل الهلال ليريكه وانت متبع
له في التوجه ليريك سمته فمع تكلفه لا يجدي شيا ولما استشعر هذا تاول توجيهه
بما ذكره تاج القراء في سبب نزول قوله تعالى سيقول السفهاء من الناس الاية انه صلى
الله عليه وسلم كان يحب التوجه للكعبة قبل تحويل القبلة فلما قوي رجاؤه وتمكن
ان يكون سال جبريل عليه الصلاة والسلام ان يبين له جهتها عسى ان تكون قبلة
فعجل او سال الله ذلك والاما والمتبع في الاقوال والافعال مطلقا كما في عدة
الحفاظ وبه فسر قوله تعالى في جاعلك للناس اماما وبمجرد هذا الاحتمال لا يندفع
الاشكال وفي الشرح الجديد هنا كلام طويل بغير طايل رايتا نتركه اكثر فايدة
من ذكره ثم اني رايت في تذكرة الحافظ العلامة العلائي بخطه ان الراجح عند العلما
ان الكعبة كانت قبلة الانبيا عليهم الصلاة والسلام اما انها كانت قبلة ابراهيم
صلى الله عليه وسلم فما لا شك فيه وفي الاحاديث انه عليه الصلاة والسلام كان
يجب ان يتوجه الى قبلة ابيه ابراهيم الكعبة وفي الاثار ما يقتضي اذ توجه
اليهود الى بيت المقدس كان مما اجتهاد منهم او عناد وفي كتاب الناسخ والمنسوخ لابي
داود مسندا الى الحسن في قوله تعالى ان اول بيت وضع للناس الاية قال اعلم
قبلة فلم يبعث نبيا الا وقبلته البيت ووقع في قصة ذكرها مع سليمان من
عبد الملك ان خالدا قال قرات التوراة فلم اجد قبلة بيت المقدس فيه تابوت
السكينة كان على الصخرة فلما غضب الله تعالى على بني اسرائيل رفعه فكانت صلاتهم

الى الصخرة عن مشاورة منهم وقال ابو داود وخاصم يهودي ابا العالية
في القبلة فقال ان موسى عليه الصلاة والسلام كان يصلي عند الصخرة مستقبل
البيت الحرام فقال له بيني وبينك مسجد النبي صالح عليه الصلاة والسلام
فقال اي صليت فيه وقبلته الكعبة فهذه الاثار تدل على ان الكعبة كانت قبلة الانبيا كلهم
انتهى باختصار اقول وكذا قبلة عيسى عليه الصلاة والسلام وانما غيرها للمشرق
يونس عليه الصلاة والسلام كما صححه اذا عرفت هذا علمت ان النبي صلى الله عليه
وسلم كانت قبلته قبل الهجرة الكعبة ولكن كان يجعلها بينه وبين البيت
المقدس لانه صلى الله عليه وسلم كان يوافق اهل الكتاب فيما لم يوح اليه فيه
فلما هاجر الى المدينة استمر على ذلك وهو يعلم ان القبلة الحقيقية الاصلية
انما هي الكعبة وهي قبلة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقد امره الله
بالاقتداء به ولم ينص على القبلة فعينه صلى الله عليه وسلم بانه سيصرفه
الله اليها ولكنه منتظرا لامر الله مراعيا للادب فلا مانع من ان يسال صلى الله
عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام ان يريه سمتها حتى اذا وقع ذلك
لم يتردد ويحير فيه وهذا هو الحق الحقيق بالقبول فاعرفه ثم ذكر المصنف
رحمه الله تعالى ما يدل على قوة حواسه صلى الله عليه وسلم فقال

وقد حكي عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يرى في الثريا احد عشر نجما قال
السيوطي رحمه الله تعالى في مناهل الصفا هذا لم يوجد في شيء من كتب الحديث
والثريا مصغر ثروى من الثروة وهي الكثرة وهي منزل من منازل القمر فيه
نجوم مجتمعة جعلت علامة فقول بعض الشراح الها كوكب وهم منه قال في مصباح
الفكر وهي ستة انجم صغار طمس وخطها من لا معرفة له سبعة مجتمعة بينها نجوم
صغار كالترسائي وحكي ان الثريا اثنى عشر نجما لم يحقق الناس منها غير ستة
او سبعة ولم يرجميعها غير النبي صلى الله عليه وسلم لقوة جعلها الله تعالى في
بصره والنجم علم لها بالغلبة كالكوكب للزهرة وذكر التهيلي انه صلى الله عليه وسلم
كان يرى فيها اثنى عشر نجما وقال القرطبي في كتاب اسما النبي صلى الله عليه وسلم
انها لا تزيد عن تسعة فيما يذكرون ونظمه في ارجوزته فقال

وهو الذي يرى النجوم الخافيه ... مبينات في السما العاليه
احد عشر بعد في الثريا ... لناظر سواه ما تهيا

وفي كتاب التفهيم لابي الريحان البروني بكسر الموحدة والنون انها ستة كواكب
كهنقود عنب ويظن العوام والشعرا انها سبعة وهو ظن غير مصيب فتيل

وهو غير

وهو غير مصيب لنقصه عما راه صلى الله عليه وسلم وقد علمت انه لم يثبت
ما نسب للنبي صلى الله عليه وسلم هنا وقال الامام الحبري في خصائصه
ما ذكره القرطبي والسهيلي لم اقف له على سند واصل يرجع اليه وقال
التلمساني انه جاء في حديث ثابت من طرق الباس رضي الله تعالى عنه ذكره
ابن ابي خيثمة وهذه الامور المذكورة كلها من رؤية النحاس والكعبة والثريا
وغيره مما ذكر محمول على رؤية العين اي مفسرة بما ذكر وهو المراد منها والحمل
بستعار له لذلك في كلامهم استعارة مشهورة من حمل الاحتمال بجعل اللفظ محتملا
المعنى وقربت منه الاحتمال وهو قول احمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم
الى ردها الى العلم اي الى تاويل الرؤية بالعلم وصرفها عن ظاهرها فتعين
بالرد توطئة لقوله والظهور تخالفه اي ظاهر العبارة تخالفه ولا مقتضى
لصرفها عن الظاهر ولا احالة في ذلك اي ليس في حملها على الرؤية البصرية
امر محال يقتضي بقتضى العدول لاجله وهي من خواص الانبيا عليهم الصلاة
والسلام وخصائصهم اي قوة البصر والحواس من صفات الانبيا عليهم
الصلاة والسلام فلا وجه لاستبعادها وتاويل ما يدل عليها ثم ابدا
ذلك بالنقل فقال كما اخبرنا قيل الظاهر من الكاف في قوله كما انها التعليلية
مثلها في قوله كما ارسلنا فيكم رسولا منكم والمعنى انما قلنا هذا من خواص
الانبيا لاجل ما اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد العدل من كتابه قال التلمساني
هو التميمي مات بسبتة سنة احدى وخمسماية وهو من شيوخ المصنف وقوله
من كتابه اشارة الى انه قراه وهو يسمعه من كتابه لان من حفظه وقد
اختلف فيمن لا يحفظ وجدت من كتابه قال الصحيح انه يجوز روايته
ويحتج بها واليه ذهب ابن الصلاح وقيل لا يحتج الا بما يرويه من يحفظه
واختلف ايضا فيما اذا لم يتذكر ما في كتابه ونفصيله في ابن الصلاح وغيره
قال حدثنا ابو الحسن المغربي الفرغاني بالفا والغين المعجمة بينهما راء مهملة
نسبة الى فرغانة بلدة مشهورة بالمشرق ويحتمل نسبته لفرغان بلدة بفارس
وباليمن وهو علي ابن عبد الله المغربي نزيل مكة قال حدثتنا ام القاسم بنت
ابي بكر عن ابيها هي بنت ابي بكر محمد بن يعقوب البخاري الزاهد الصوفي المعروف
بالحقاف صاحب كتاب الاخبار بفواد الاخبار قال حدثنا الشريف ابو الحسن علي
ابن محمد الحسني هو الشريف ابو الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا بن جعفر
ابن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهم توفي في خلافة
المعتز بالله لاربع بقين من جمادى الاخرة سنة اربع وخمسين ومايتين وهو ابن اربعين

سنة وقيل غير ذلك قال حدثنا محمد بن محمد بن سعيد قال حدثنا
محمد بن أحمد بن سليمان قال حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق قال حدثنا همام هو
همام بن الحارث النخعي الكوفي سمع حذيفة وعمارا وروى عنه ابراهيم النخعي
وتوفي في خلافة الحجاج بن يوسف ولفظ همام وقع في كثير من النسخ والصواب
هناد كما اصلح وهو هناد بن يحيى السلمي وشيخه الذي اشار اليه بقوله هو الحنفي
ابن ابي جعفر الجعفري بضم الجيم والفاسبة للجعفر وهو مكان بالبصرة احد
الضعفاء وقد رواه ابو القاسم الطبراني عن احمد ابن الحسين بن مهران الايدجي
حدثنا محمد بن مرزوق البصري حدثنا هناد فذكره وقال اخره لم يروه عن قتادة
الا الحسين ابن ابي جعفر تفرد به هناد بن يحيى وقوله عن قتادة هو ابو عامة
التابعي الجليل وقد تقدمت ترجمته عن يحيى بن وثاب بفتح الواو وتشديد
المثلثة والف وموحدة وهو يحيى ابن وثاب الاسدي مولاهم روى عن
ابن عباس وعمر وعلقمة رضي الله تعالى عنهم وروى عنه الاعمش وعيسى وهو
ثقة محدث مقرئ توفي سنة ثلاث وخمسين ومائة واخرج له اصحاب
السنن الاربعة روايته عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ليست من الكتب
الستة عن ابي هريرة تقدم الكلام في اسمه وترجمته عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال لما تجلى الله لموسى عليه الصلاة والسلام كان يبصر النملة على الصفا
الصفوان والصفا الحجر الصلد الاملس في الليلة الظلماء مسيرة عشر فراسخ
جمع فرسخ وهو ثلاثة اميال والميل اربعة الاف ذراع طولها اربعة وعشرون
اصبعا وعرض كل اصبع ست حبات شعير ملصقة ظهرا لبطن وقيل ثلاثة اميال
والميل اربعة الاف خطوة كل خطوة ثلاثة اقدام بوضع قدم امام قدم يلصق به
وشين عشر ساكنة ومفتوحة ولفظ الفرسخ معرب وقيل عربي معناه السكون
لانه يقطعه يسكن وقيل معناه الراحة والفرجة وقيل معناه ساعة من ساعات
النهار والتجلي كما قاله الراغب في مفردات الكشف والظهور وقد يكون بفعله
بالذات نحو والنهار اذا تجلى وقد يكون بالامر والفعل نحو فلما تجلى ربه للجبل
انتهى واذا كان التجلي بغير الذات يشمل الخطاب والكلام فيحمل تجلى الله لموسى
عليه الصلاة والسلام على خطابه وتكليمه وتجليه للجبل امر اخر فلا يرد على
المصنف انه مخالف للقرآن فان التجلي فيه للجبل لا لموسى عليه الصلاة والسلام مع
انه غير مسلم فان القرطبي رحمه الله نقل في تفسيره قولا بان موسى صلى الله عليه وسلم
راى ربه ولذا اخر صعقا واما تجليه للجبل واندكاكه فاما بمعنى امره وفعله به
ما اراد او نقول بان الله خلق فيه ادراكا علم به تجلي الله فثبت وانهد من هيبته ولعل المقام

رحمه الله

رحمه الله تعالى ارتضى هذا وعليهما فاللام صلة التجلي لانه يتعدى بها وقول
النحاني في الجواب ان اللام تعليلية بتقدير مضاف اي فلما تجلى لاجل سؤال موسى رويته
وان هذا لا بد منه في الحديث للتوفيق بينه وبين الآية وقال بعضهم المراد تجلى
امره او نوره والمعتمد ما ذهب اليه المعتزلة لانكارهم الرؤية ومن اهل السنة لاستبعاد
ان يكون للجبل ادراك او روح تدرك وليس مثله بمستبعد من القدرة اقول
قد ارتضى هذا بعضهم وهو غير متات هنا لوجهين الاول ان ما ذكره خلاف
الظاهر لا يجوز الحمل عليه من غير قرينة الثاني انه لا يناسب سياق الحديث ولا كلام
المصنف لان تجلى الله للجبل حتى صار دكا وخر موسى صعقا عليه الصلاة والسلام
لا يقتضي التأثير في حواسه حتى يرى النملة المذكورة بل يقتضي خلافه
ولا يصح تفسير كلام المصنف به لمنافاته لغرضه فالحق ما قلناه وتحقيقه ان الله
تعالى لما قربه حتى سمع كلامه النفسي بنا على ما قاله الاشعري من انه يجوز سماعه
او كلاما بغير واسطة يدل عليه ان لم نقل بقدم الالفاظ كما ذهب اليه كثير من السلف
حصل له قوة روحانية واتصل به نور الهي اثر في الروح الحيوانية وزاد في
نورها الذي بانتشاره في البدن يحصل الادراك على ما حققه الحكماء في الحواس فادرك
بذلك ادراكا خارقا للعادة فاذا كانت زرقاء اليمامة التي ضرب بها المثل
فقيل ابصر من زرقاء اليمامة ترى من امتار وهي امراة من الجاهلية فما بالك
بهولاء وفي تخصيص النملة والظلمة والصخرة الملساء مبالغة لا تخفى وقيل
معنى الحديث ان الله تعالى لما خص موسى عليه الصلاة والسلام مناجاته طهرت
انوار ربانية ساطعة اضاءت بها الارض اضاءة عجيبة حتى صار يرى الصغير
من بعيد كما يرى الكبير من قريب والمهم المقدم فان فهمت فهو نور على نور وهذا
الحديث رواه الطبراني في مسنده الصغير وصححه لما كانت هذه القوة حصلت
للكليم بالتجلي فحصولها للنبي صلى الله عليه وسلم بعد الاسرا اما رواه اظهر فلذا
قال ولا يبعد على هذا ان يختص نبينا صلى الله عليه وسلم بما ذكرناه من رويته
للملائكة والجن ورويته بالليل كما يرى بالنهار من هذا الباب اي من نوع هذه
الرؤية فان الباب والبابة ورد بهذا المعنى بعد الاسرا قيد به لانه وقع بالمدينة
والاسرا كان بمكة ولانه يكون بعد تجلى الله لرويته على ما عليه الاكثر وتزيد
قوته الروحانية والجسمانية كما سمعته انفا والخطوة بما راى من ايات ربه الكبرى
الخطوه زيادة القرب مع المحبة وزيادة وهي بضم الخاء وكسرها واما ايات ربه
الكبرى فسياتي الكلام عليها في الاسرا وقد جاء الاخبار بانه صلى الله عليه وسلم صرع

ركانة اشد اهل وقته اشد لعظم قوة بدنية من جميع من كان بالقوة الجسمانية
وهذا اثبات لتفوقه البدنية صلى الله عليه وسلم على غيره في قوته البدنية بعد
ما اثبت فوق ادراكه صلى الله عليه وسلم وركانة بضم الراء المهملة وكاف مفتوحة
يليها الف ونون وهكذا قال الحافظ برهان الدين الحلبي في المقتفى هو ركانة
ابن عبد يزيد بن هاشم القرشي المطلبي الجاري المكي ثم المدني اسلم يوم الفتح
وهو الذي صارعه النبي صلى الله عليه وسلم فصرعه قال الحافظ عبد الغني المقدسي
وهذا مثل في مصارعته صلى الله عليه وسلم لغيره ورواه ابو داود والترمذي
مرسلا قال الترمذي وليس اسناده بالقايم واخرجه ابو داود عن قتيبة عن محمد
ابن ربيعة عن ابي الحسن العسقلاني عن ابي جعفر محمد بن ركانة عن ابيه انه
صارعه فذكره واخرجه الترمذي بهذا السند وزاد المزي ما لفظه هكذا
رواه ابو الحسن ابن العبد وغير واحد عن ابي داود مثل رواية الترمذي
ورواه البيهقي في المراسيل عن سعيد ابن جبير رضي الله عنه قال البيهقي وهو
مرسل جيد وروى باسناد اخر متصل الا انه ضعيف واشار الى ما تقدم
وقد رايت ما نقله في مراسيل ابي داود وفي اطراف المزي لكن قاله فيه انه
عليه الصلاة والسلام كان بالبطحا فاتاه يزيد بن ركانة او ركانة بن يزيد
فذكره بالشك والله تعالى اعلم وتوفي ركانة بالمدينة سنة اثنين واربعين
وقيل في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه وقال النووي في تهذيبه وقع
في المهذب في باب المسابقة انه عليه الصلاة والسلام صارع ركانة بن يزيد وهو
خطا والصواب ركانة بن يزيد انتهى وقال السهيلي في روضه ان ابا اسد ابن الجعد
واسمه كلدة بن اسيد بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح وكان بلغ من شدته
فيما زعموا انه يقف على جلد البقرة فيجاذبه عشرة ليتزعوه من تحت قدميه
فيتمزق الجلد ولا يتزحزح عنه وقد دعى النبي صلى الله عليه وسلم الى المصارعة
وقال ان صرعتني امنت بك فصرعه عليه الصلاة والسلام مرارا ولم يومن به
انتهى والحاصل ان الذي صارعه صلى الله عليه وسلم ركانة في اصح الروايات
وكان دعاه الى الاسلام فلم يسلم اولا ثم اسلم بعد ذلك كما تقدم قبل كان ينبغي
ذكر هذا قبله ذكر ما اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم من قوى الباطن ليترقى
منه الى ما هو اعلى من قوى الظاهر وهو ادنى من قوى الباطن ولا مرية انه صلى
الله عليه وسلم كان من اشجع الناس واقواهم وصارع صلى الله عليه وسلم ابا ركانة
في الجاهلية اي قبل ظهور الاسلام بمكة قال البرهان الذي صح انه ركانه واما

ابو ركانة

ابو ركانه فلم يصح والصواب ركانه وكذا ما نقل ان ابا جهل صارعه صلى الله عليه
وسلم لم يصح ايضا وذكر بعضهم عن السهيلي ان ابا اسد الجمحي صارعه وكان من اشد
الناس وقد مر وغيرهذين لم يصح والجاهلية منسوبة الى الامة الجاهلية
او الفترة والجاهلية تطلق على ما قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم وعلى ما قبل
الفتح قيل والمراد هنا الثاني وكان ابو ركانه شديدا وعاوده ثلاث
مرات اي صارعه مرة بعد مرة كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه
وسلم كل منصوب بنزع الخافض اي يصرعه في كل ذلك قال البرهان وغيره واما
حديث ركانة الذي تقدم فهو ما رواه البيهقي انه قال كنت انا والنبي صلى الله
عليه وسلم في غنيمة لابي طالب نرعاها فقال لي ذات يوم هل لك ان نتصارع
فقلت له انت قال انا فقلت على ماذا قال على شاة من الغنم فصارعته فصرعني
من شاة ثم قال هل لك في المعاودة الثانية قلت نعم وصارعته فصرعني
واخذ مني شاة فجعلت التفت هل يراني انسان من الرعاء فيختر علي وانا في قومي
امدهم فقال هل لك في الثالثة ولك شاة قلت نعم فصارعته وصرعني
واخذ مني شاة فقعدت كيئبا حزينا فقال مالك فقلت ارجع للصاحب
الغنم وقد اعطيت ثلاثا من غنمه وكنت اظن اني اشد الناس فقال هل لك
في المراجعة فقلت لا بعد ثلاث فقال اما الغنم فاني ارد ها عليك فردها
فلما ظهر امره اتيته واسلمت وفي رواية انه راهنه على عشرة وانه قال له
ما هذا الاسحر قال فان قلت ما حكم المصارعه شرعا قلت ذهب البغوي
رحمه الله تعالى الى تحريمها لانه لا منفعة لها في الحرب والاصح انها تجوز من غير
عوض لانه ربما تدعوا اليها المحاربة وبهذا افتى شيخنا الرملي واما اخذ النبي
صلى الله عليه وسلم العوض من ركانه فانما كان بينه رده وليرغب في المصارعه
وليكون ذلك سببا في اسلامه مع ان المروي ان ركانه هو الذي طلبها ثم
ذكر ما يدل على قوته صلى الله عليه وسلم ايضا وقال ابو هريرة رضي
الله تعالى عنه ما رايت احدا اسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في
مشيه بكسر الميم وسكون الشين المعجمة واليا المثناة التحتية المفتوحة
يليها تا تانيث مضافا لضمير النبي صلى الله عليه وسلم وهي هيئة المشي وروي
مشيه بفتح الميم ودون تا تانيث قاله التلمساني وقال النجاني كثيرا ما يقع
في الشفا وغيره مكسور الميم والصواب فتحها لان المشية بالكسر هيئة الا
الانسان وبالفتح مصدر فاذا فتحت كان المعنى اسرع من مشى رسول الله صلى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الله عليه وسلم واذا كسرت فالتقدير اسرع من هيئة مشيته ولا معنى له وردبان
المشي والمشية بمعنى ولم يرد الهيئة والمقصود واحد لان المشية تكون مصدرا
او هو كما يقول جمال ريد احمل وانت تريد ريد احمل في جماله فالمعنى اسرع من
مشيه في هيئته المخصوصة ولم يرد تفضيل الهيئة كما في قولك فلان احسن
الناس جلسة اي هيئة احسن من هيئة غيره في الجلوس اقول
هذا تكلف نشا من توهم ان المشية مفضل عليها وليس كذلك فان المفضل
مطلق حركته ومشيته وفي بمعنى مع اي لا يرى اسرع من حركته مع هيئته
المخصوصة في مشيته فليس المقصود تفضيل الهيئة يعني انه صلى الله عليه وسلم
مع مود يه واعتدال حركاته تراه يسرع كانه الماء الجاري من غير اضطراب ولولا
هذا ناقض ما ذكر من اعتدال حركاته في اول الفصل فلذا قال كانما الارض
تطوى له فانه يدل على ان مشيه ليس بالجري والهرولة وورد ان الارض كانت تطوى
له صلى الله عليه وسلم ولا منافاة بينهما اما لحمل هذا على المبالغة في حواله ونحوها وقيل انهما بمعنى فان احدهما استعارة او تشبيه بليغ وهذا تشبيه
صريح كما تقول هو الاسد وكانما تقول هو الاسد انا لنجهد انفسنا وانه لغير
وهو غير مكترث بجهد مضارع اما من الجهد بفتح الجيم وهي المشقة والتعب
او بضمها وهو الطاقة والمقدرة انا نتعب انفسنا في مساواة مشيته وهو صلى الله عليه
وسلم مستريح لا يرى له منفعة وانا نبذل وسعنا وطاقتنا وهو غير مبال بمشيه
ومكترث بالكاف والتاء المثناة وراء مهملة ومثلثة اسم فاعل من الاكتراث وهو المبالاة
والاعتناء بالامر قالوا ولا تستعمل الا في النفي وورد في الاثبات نادرا في حديث اكثرت
ذكره صاحب النهاية وقد ورد في صفة مشيه صلى الله عليه وسلم كما ياتي في الحديث
عن علي كرم الله وجهه وغيره اذا مشى مشى تكفيا كانما ينحط من صبب واذا وطئ
وطئ بقدميه كلتيهما وربع المشي اي خطاه متباعدة وكان اصحابه رضي الله تعالى
عنهم يمشون بين يديه صلى الله عليه وسلم وهو خلفهم ويقول خلوا ظهري للملائكة
وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى بعض من حديث اوله ما رايت شيا احسن من رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه وما رايت شيا احسن من
الى اخره رواه صاحب الشمايل والمصنف رحمه الله اختصر وغير بعض
الفاظه وهذه وفي نسخة المصحح مشيته موافق لاحد النسختين هنا وقد
علمت ما ورد عليه وجوابه فلا حاجة لما قيل ان المشية اعم المشي فلا لة
على الحديث والثاني على الحدث مع الهيئة وكلاهما لا على الحدث ولا

عكس والحديث المطلق اذا اضيف الى من صدر عنه استفيد منه خصوص الهيئة
لان الهيئة التي تدل عليها فعله المكسورة الفاء الحالية التي عليها الفاعل عند
تلبسه بالفعل وهي لازمة لكل مصدر فكل شي ومشيه من غير عكس لانه تكلف
وفي صفته صلى الله عليه وسلم ان ضحكه صلى الله عليه وسلم كان تبسما
الضحك وانبساط الوجه وظهور الاسنان فالذي سمي مقدمها الضواحك والتبسم
ابتداوه والاخذ فيه وقيل هو الضحك من غير قهقهة وفي الحديث كان ضحكه
تبسما كذا في عمدة الحفاظ وعلى كل حال فالتبسم بعض من الضحك او نوع منه وغلبه
قول النحاة في قوله تعالى فتبسم ضاحكا من قولها انا ضاحكا حال موكدة وقول
الزمخشري اي شارعا في الضحك واخذا فيه يعني انه قد يتجاوز حد التبسم
الى الضحك لا يقتضي التفرقة ولان المراد بالضحك امرا مخصوصا فلا اعتراض
على النحاة ولا على الزمخشري كما توهم وقد ورد في بعض الاحاديث ان ضحك
النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن الا تبسما وورد في بعضها انه ضحك حتى بدت
نواجذه وفي بعضها وصفه صلى الله عليه وسلم بمطلق الضحك وجمع بينهما
بان التبسم كان غالب امر صلى الله عليه وسلم وان عجبه وقع منه احيانا على الندرة
فلا منافاة بينهما وقيل المراد بقوله ضحك حتى بدت نواجذه المبالغة لا حقيقته
ولا حاجة اليه فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام والصحابة رضي الله تعالى عنهم
كانوا يضحكون اذا راوا عجبا او امرا يسرهم ولنا فيهم اسوة حسنة وانما
المكروه الاكثار كما ورد في الحديث كثرت الضحك تميت القلب كمن عليه ذلك من
اهل اللهو والبطالة وروى في قوله فتبسم ضاحكا انه كان فرحا بفضل الله
عليه ولم يكن بطرا واشرا لا سيما ما فيه من تانيس الناس وتغليبهم لحسن الخلق
واما ما روى عن الحسن رضي الله تعالى عنه من انه ما رئي ضاحكا ولا متبسما
في اهله ولا وحده ولا مع جماعة فذلك غير منكر لشدة خوفه من الله ومراقبته
له وهو مقام اخر لا يخالف فعل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ولا وجه للاعتراض
به عليه اذا التفت التفت معا فلا يسارق النظر ولا يلوي عنقه بمنة ولا
يسرة كما يفعله من به طيش وخفة بل يقبل جميعا ويدبر جميعا ومعنى معا يجمعه واذا
مشى تقلعا رواه الترمذي في الشمايل اذا مشى تقلع وفي رواية اذا زال زال قلعا
يمشي تكفيا ويمشي هونا وفي النهاية الاثرية ان المراد انه صلى الله عليه
وسلم يرفع رجليه من الارض رفعا قويا من غير مقاربة للخطا فانه مشي النشاط والمختالين
وقلعا روي بفتح القاف وضمها مصدر بمعنى الفاعل اي قالعا رجليه وفي غريب الانباري

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والتهذيب بفتح القاف وكسر اللام وهو قريب من قوله كأنما يخط أو يتحدر
من صب اي يتثبت من غير عجلة ومبادرة شديدة وروي في صب بفتح الصاد
المهملة وفتح اولى الموحدتين وهو الموضع المرتفع اوما انحدر عنه كصبب الجبل
من على ظاهرها وقيل الفاء بمعنى الى وسخط بمعنى تبدلى وكذا يتحدر وفي
رواية كأنما يهوى من صبوب بفتح الصاد وضمها مصدر او جمع صبب وهو وصف
بغاية السرعة كالنار لمن علو **فصل واما فصاحة**
اللسان وبلاغة القول معنى الفصاحة في اللغة كما في كتاب الصناعتين لابي
هلال الاظهار تقول العرب افصح الصبح اذا اضاء والابن اذا انجلت عنه الرغوة
وظهر وتمامها بتمام الة البيان وهي اللسان قال وانما تضمن الفصاحة معنى
الالة فوصف بها اللسان فيقال لسان فصيح وان وصف بها كلامه ولا يوصف
بها الله سبحانه وتعالى فلا يقال فيه فصيح وان وصف بها كلامه والبلاغة
من بلغت الغاية اذا انتهيت اليها وبلغتها فسميت بلاغة لبلوغها النهاية اولا
اولابلاغها المعنى لفهم السامع ومعنى الفصاحة عند اهل المعاني معلوم في كتبهم
وتقدم انه لو وصف بها اللسان والمفرد والكلام والمتكلم وفي وصف المفرد بها
كلام ليس هذا محله والمراد بالقول هنا جنس اللفظ المتضوع مطلقا او تعريفه
للاستغراق اي جميع اقواله بليغة واضاف الفصاحة للسان والبلاغة للقول لقصا
اولدلالة على كمال كلامه والة نطقه فان من العرب من كان كلامه بليغا مع نقص الية
كزيادة الاعجم فانه كان لا يقيم الحروف ويقول للحمار هار ولذا لقب بالاعجم ويحتمل ان
يريد باللسان اللغة **فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك** المذكور وهو الفصاحة
والبلاغة **بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل** المحل والموضع بمعنى وان تغاير
مفهومهما لان الاول مكان الحلول والثاني مكان الوضع وفي عبارته تفنن فرارا من
التكرار اي كان صلى الله عليه وسلم افصح البشر وابلغهم فكنى عن ذلك بجعله في
افضل محل البلاغة وفي موضع لها لا يجهله احد كما في قوله

ان الفصاحة والسماحة والندى • في قبة ضربت على ابن الحشرج

فهو كالاتيان بدليل ومرتبة في دلالة دون مرتبته الاعجاز وهو اقرب اليها من
كل بليغ وقوله بالمحل جر كان ومن بيانية على القول بجواز تقدمها وقيل تبعيضية
والجار والمجرور حال من المحل والموضع اي كائن بالمحلين كائنين ببعضه ذلك اي بعض مطلق
الفصاحة والبلاغة والمرتبة التي له من ذلك ويؤثر عنه من الكلمات البليغة ما لا تصل
اليه القوى البشرية **سلامة طبع** وفي نسخة مع سلاسة طبع والسلاسة السهولة

اي كانت سليقته صلى الله عليه وسلم في البلاغة تنقاد له بسهولة من غير تكلف
وسلاسة وقع بالنصب على نزع الخافض او هو مفعول له ولو رفع بتقدير له سلامة
طبع جاز ومن الغريب ان الشارح العرضي بعد ما اعربه مفعولا قال انه في جواب
سؤال مقدر تقديره هل كانت فصاحته سليقة او تتبع تراكيب البلغاء وقوانينهم
وبراعة منزع البراعة بفتح الباء والراء المهملة من برع الرجل بضم الراء وفتحها اذا
فاق غيره وكثيرا ما يستعمل بمعنى الفصاحة ولذا فسرها بها هنا بعض الشراح
وليس ببعيد والمنزع من نزع الى اهله اذا اشتاق واراد الرجل اليهم ونزع القوس
جذبها والمراد استوفى بها فالمنزع ان كان بفتح الميم فاسم مكان او مصدر ميمي وفسر
هنا بالماخذ وما يرجع اليه الرجل من رايه وامره والظاهر ان المراد اصله ومفره
يعني انه صلى الله عليه وسلم مع بلاغته الجبلية من قوم وجلدة هم افصح الناس
وان كان بكسرها كما على التلمساني فهو اسم الة كالمفصل وفسر باللسان واصله
السهم يقال نزعت في القوس نزعا وانزعت بمنزع اي سهم وفي المثل عاد السهم
الى النزعة اي رجع الحق لاهله **وايجاز مقطع** الايجاز التعبير عن معان كثيرة
بلفظ قليل ويقابله الاطناب والمساواة كما بينه اهل المعاني وهو بفتح الميم
والفصل للامور فانه محل الايجاز لاتمام الخطابة فانه يحمد فيه التطويل فاذا
اقتصر عليه لا لانه يعلم من البلاغة كما قيل وجوز فيه كسر الميم على ان المراد به
القول وتفسيره بتمام الكلام لظهوره عند تكلف **ونصاعة لفظ** النصاعة
الخلوص والوضوح اي ان لفظه صلى الله عليه وسلم خالص من كل بشاعة ولكنه
واضح لكل احد لمخاطبته كل احد على قدر عقله وبلغته **وجزالة قول** بفتح الجيم
والزاي المعجمة وهو القوة والاتقان وضدها الركاكة **وصحة معان** اي انه
صلى الله عليه وسلم مع فصاحة الفاظه ووضوحها معانيه صحيحة لا فساد فيها
ولا حتوا ايها على الاحكام والحكم الفصل **وقلة تكلف** لانه يتكلم عن روية وسه
وسلامة طبع من غير تمشدق ورعاية شجع ومشقة والمراد انه لا يتكلف
فالقلة هنا بمعنى النفي كما اثبته النحاة واهل اللغة فاندفع قول بعضهم
ولو قال وعدم تكلف لكان احسن وابقى **او في جوامع الكلم** اي اتاه الله
قوة ناطقة بحيث ينطق بالكلمات الجامعة للمعاني التي هي بمنزلة الامثال فان
من تامل كلامه صلى الله عليه وسلم راى فيه من المعاني الوجازة التي تستخرج
الطبع الغواص منها جواهر بحار فيها المنقول وقيل المراد بها القران والحديث
وفيه نظر **وخص ببدائع الحكم** اي خص صلى الله عليه وسلم بنطقه بكل حكمة بديعة

اي كانت

اسم مكان او مصدر او موضع نزع منه السهم

لم يسبق اليها والحكمة العلم النافع لمن وعاه من الزيغ والضلال وقال ابن عرفة
الحكمة عند العرب ما تمنع من الجهل ولذا سمي الحاكم حاكما لمنعه التعدي **وعلم السنة**
العرب اي انه صلى الله عليه وسلم يعلم لغاتهم لان اللسان يطلق على اللغة
وعلم مخفف ماض مبني للفاعل أو مشدد مبني للمجهول اي علمه الله او مصدر مجرور ومفعوله
مقطوع على بدايع الحكم **يخاطب امة منها** أي كل قبيلة وجماعة منهم **بلسانها** اي لغتها
لاختلاف لغاتهم **ويجاوزها بلغتها** أي يصاحبها ويراجعها بلغتها **ويقال بها**
في منزع بلاغتها المباراة بالواء المهملة غير مهموز والمباراة والمجاراة العارضة
وفعله مثل فعله **حتى كان كثير من الصحابة** رضي الله عنهم مع انهم فصحاء علما وهذا
غاية لجميع ما قبله اي لقوة فصاحته قد لا يفهمون كلامه لما فيه من المعاني البديعة
التي لا يسهو اليها ولما يليها من تكلمه بجميع الالسنة لان السامع قد لا يعرف لغة غيره
يسأله في غير موطن اي في مواطن كثيرة **عن شرح كلامه وتفسير قوله** لانه صلى الله
عليه وسلم لما ارسله الله لجميع الناس علمه جميع اللغات قال تعالى وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه وهو صلى الله عليه وسلم مرسل للجميع **من تأمل حديثه وسيره**
جميع سيره وروى بسيين مفتوحة مهملة وبا موحدة كما ذكره البرهان اي تتبعه
وقفى عليه واصله من سبر الجرح اذا اختبر غوره **علم ذلك وتحققه وليس كلامه**
مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد قريش قوم من ولد النضر بن كنانة
ابن خزيمة بن مدركة ابن الياس بن مضر سموا بذلك لتقرشهم اي تجمعهم بعد ما كانوا
متفرقين في غير الحرم فجمعهم مضر اولانهم كانوا يتقرشون البياعات والامتعة
اي يجمعونها او سموا بالقرش وهو دابة بحرية تخافها دواب الارض والانصار
جمع ناصر او نصير سموا بذلك في الاسلام لنصرتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم الاوس والخزرج قبيلتان سموا باسم جدهم كتميم والحجاز مكة والمدينة
والطايف وما يليها سمي به لانه حجز بين تهامة ونجد والسراة واحتجزت
بحار خمس معروفة ونجد بفتح فسكون ما ارتفع من الارض ويقابله تهامة وهي
من اعمال اليمامة كما بين في معجم البلدان وغيره **ككلامه مع ذي المشعار الهمداني**
بسكون الميم وذال المهملة يليها الف ولون وبا نسبة لهمدان وهي قبيلة عظيمة
باليمن واما همدان لها وميم مفتوحتين ودال مهملة فبلدة بخراسان بناها همدان
ابن الفلوج بن سام بن نوح والمعروف بين العجم ها لدالة فكان هذا تقريب له ورد
لمشاريهم مكسورة ثم شين معجمة ومهملة واقتصر في القاموس على الثاني والمهملة
وفي الروض الانف انه ابو نور مالك ابن نمط وهو من بني حارق او من سام وكلاما

من همدان وهو صحابي وفد على النبي صلى الله عليه وسلم مرجعه من تبوك وتخاوف نجا
معجمة وراء مهملة وفاء وياء مثناة تحتية ويقال اياء بهمزة وهو الذي ذكره المصنف
وهو همداني خارفي ارحبي ووهم ابن اسحاق في قوله في سيرته مالك بن نمط وابو نور
ولك ان تقول انه من عطف الكنية على الاسم ولا جد فيه والذي صححه الضياء
في كتاب الذيل والصلة ان المشعار بعين مهملة وانه لما قيل له ذو المشعار لانه
المشعار موضع باليمن ينسب اليه وسيأتي ما قاله للنبي صلى الله عليه وسلم لما قدم **وطهفة**
النهدي بكسر الطا المهملة وسكون الهاء والفا تليها هاء تانيث وهو ابن زهير ويقال
ابن ابي زهير وسماه الذهبي في تحريره طهية المثناة التحتية بدل الفاء وقال ابن الجوزي
انه صحفه بالحا المعجمة وقيل طعنه بالغين المعجمة وقيل طخفة بقاف وفاء وقيل
قيس بن طخفة وقيل اسمه يعيش واسم ابيه ابو ذر وقال التلمساني انه في بعض
الشروح بظا مسيلة مفتوحة ويقال بكسرها والنهدي بالنون والهاء والدال
المهملة منسوب لنهد وهو اسم قبيلة باليمن وهو خطيبها ووافدها للنبي صلى
الله عليه وسلم في سنة تسع لما قدمت عليه وفود العرب ولما قدم قام وقال اتيناك
يا رسول الله من غوري تهامة على اكوار الميس نرى بنا العيش نستحلب الصبر ونتحلب
الخبير ونتعضض البربر ونستحل الرحام ونستحيل الهجام من ارض غائلة
البطاغ ليطة الوطاق دنس الدهر وبيس الحقين وسقط الاملوح ومات
العسلوح وهلك الهدى ومات الورى مرنا يا رسول الله من العنن والوثن
وما يحدث الزمن لنا دعوة السلم وشريعة الاسلام ما طما البحر وقام نعارونا
نعم اعقالا ما تبض ببلال ووقير كثير الرسل قليل اصابتنا سنة حمراء موزلة ليس
لها علل ولا نهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لهم في محضها
ومحضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر يبانع التمر والحزلة النمد وبارك له
في المال والولد وهذا ما اشار اليه المصنف رحمه الله تعالى كما يأتي ونقلت
من خط العلامة العلاي بسنده الى عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه
قال قدم وفد بني لهد ابن زيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام طهية
ابن ابي زهير النهدي بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال اتيناك يا رسول الله من
غوري تهامة على اكوار الميس نرى بنا العيس ونستحلب الصبر ونستحلب الخبير
ونتعضد البربر ونستحيل الجهام من ارض عنابلة المنطا غليظة الموطا
قد نسف المدهن وبيس الحقين وسقط الاملوح من العكارة ومات العسلوح
وهلك الهدى ومات الورى بربنا رسول الله من الوثن والعين وما يحدث الزمن

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لنا دعوة المسلمين وشريعة الاسلام ماطما البحر وقام نقار ولنا نعم
هل اعقال لا تبض ببلال ووقير كثير الرسل قليل الرسل اصابتنا سنة حمر اموزاة
ليس لها علل ولا نهل فقال صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لهم في محضها ومحتها
وبذقها واحبس راعيتها على الدبر ويانع الثمر وبارك لهم في الولد من اقام الصلاة
كان مؤمنا ومن ادى الزكاة لم يكن غافلا ومن شهد ان لا اله الا الله كان مسلما لكم
يا بني نهد ودابع الشرك ووضايع الملك ما لم يكن عهد ولا موعد ولا تناقل
عن الصلاة ولا تلطظ في الزكاة ولا يلحد في الحياة من اقر بالاسلام قبله ما في
الكتاب ومن ابى فليجزية فعليه الزكاة وله من رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفا
بالعهد في الذمة وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع طهية ابي ابي ذهير كتابا
فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني نهد بن زيد
السلام على من اتبع الهدى وامن بالله ورسوله عليكم بالوظيفة الفريضة ولكم
العارض والعرش والعنان الركوب والصبيس لابو كل كلكم ولا يقطع بين حكم
ولا يحبس وركم ولا يقضد طلحكم ما لم تضمروا الرماق وتاكلوا الرياق انتهى
وتقييده الميس الرحال والعيس الابل والصبير السحاب بلا مطر امطر ببلاد
اخر غايلة المنطا بعيدة المسافة بيس المدهن غدير الماء والحقين عروق الشجر
البكارة البكراء ركه الهزال بعد السمن السلوح عروق الشجر يتشعب ورقه
والودى الفسيل والعين الخلاف وما نبض ببلال اي ليس لبن ووقير قليل
الرسل يعني الشرمة من الغنم ليس لها اولاد كبير الرسل يقول سديد العرف
في طلب المرعى وقوله في محضها وفرقها ومذقها كلها من اللبن والوثر الخضب
وبانع الثمر نضجه والثمد قليل الماء يخرج من الارض الميس الصعب والرماق
النفاق والرياق الدعاوة والعنان الفرس يركب ويذيل بالعنان لانه لا يركب
ما انحفض منها وغور كل شيء عمقه وقيل تهامة ما بين ذي عرق كل مرحلتين من وراء
مكة وقيل انها الى اليمن اقرب والميس شجر صلب يتخذ منه الرحال وترى بقصد
والعيس ابل بيض الى الصفرة والصبير سحاب ابيض منكانف كان بعضه
صبر على بعض اي حبس يستحلبه يستقطر والخبير النبات والعشب شبه بخبير
الابل وهو وبرها واستحلابه واستخشاشه بالمحلب وهو المجل والبرير
ثمر الاراك اذا اسود ويبتعضد يجتنه من عضده اذا قطعه والوهام
جمع رهم بالكسر وهو مطر ونشر بالقداح وهو غلط والاستحيال الاستطار
من الجولان والجهام سحاب صب ماوه ويستحيله روى بحا مهملة اي ينظر اليه

الجامعة في منظره وقائلة للمنطا كذا سمعناه والذي رواه ابن الاثير المنطا
بكسر النون من غيرهم وقائلة مهلكه والمنطا البعيدة والمدهن نغره
في الجبل فيها ما المطر والبكارة جمع بكر الابل والاملوح قيل ورد
شجر يشبه الطرفا وقيل بنت وقيل نوى المقل وقال الزمخشري انه استعارة
لما ذهب من سمن الابل الراعية والعسلوج غصن طري قريب عهد بالطلوع
والهدى ما يقدم للتجارة به مطلق الابل والعين الاعتراض من عن له كذا اذا
وطي البحار تقع موجه ونقار بكسر التا اسم جبل وهمل لا راعي له والاغفال
ما لا سمة له وقيل هما ما لا لبن له والوقير قطيع الغنم والمحض بمهملة
الخالص وبمعجمة المخضوض ليخرج زبده والمذق ابن مزج بالماء والعرق بكسر
فسكون انا يحلب فيه وقيل بفتحتين مكيال والاول اقرب هنا ووديعة
الشرك العهود والمواثيق بينهم في الجاهلية وقيل ما استودعوه من اموال
الذين لم يسلموا فاجلها لهم كذا بخط العلاي وقطن بن حارثة العليمي
قطن بفتح القاف والطا المهملة ونون والعليمي بعين مهملة مصغر وحارثة
بحا وراء مهملتين ومثلثة وهو منسوب لبني عليم ابن حباب ابن كلب فهو
كلبي وقيل عليم ابن جناب هبل من بني عذرة من قبايل كلب وهو صحابي قدم
على النبي صلى الله عليه وسلم وافدا لقومه فكتب له كتابا بعد كلمة بكلام فصيح
عرب وصورة الكتاب هذا ما كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لحما يوكلب
واخلافهما ومن طارة الاسلام ومع غيرهم مع قطن ابن حارثة العليمي يا قوم
الصلاة لوقتها وايتا الزكاة بحقها في شدة عقدها ووفاء عهدها بحضر
من المسلمين سعد بن عبادة وعبد الله بن انيس ودحية ابن خليفة الكلبي
عليهم في المهولة الراعية البساط الظفاري في كل خمسين ناقة غير ذات عوار
والمهولة البايرة لهما عابة وفي الشوى الورى مسنة حامل او حايل
وفيما سقى الحدول من الفين المعين العشر من ثمرها وما اخرجت ارضها وفي
العذى شطر بقيمة الامين لا يزاد عليهم ولا يفرق شهد الله على ذلك ورسله
وكتبه ثابت ابن قيس ابن شماس والاشعث ابن قيس ابن معدي كرب ابن
معاوية بن عدي معدي كرب ابو محمد وهو ولد اكل المرار الكندي الشريف
الصحابي توفي بالكوفة بعد موت علي كرم الله وجهه باربعين ليلة وصلى
عليه الحسن رضي الله تعالى عنه وكان شريفا مطاعا في قومه وفد على النبي
صلى الله عليه وسلم سنة عشر في ستين راكبا فاسلموا ورجعوا الى المدينة اليمن

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ثم خر الصنم فقام اليه وجعله رفاقا ثم سار حتى اتى المدينة ودخل المسجد
فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ادناه وبسط له رداءه واجلسه معه
ثم صعد المنبر وقال ايها الناس هذا وايل ابن حجر اتاكم من ارض بعيدة
راغبا في الاسلام فقال يا رسول الله بلغني ظهورك وانا في ملك عظيم فتركته
واخترت دين الله فقال صدقت اللهم بارك في وايل وولده وولد ولد ثم
انه طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم مكاتيب ثلاثة باقران على ارضه
وملكه فاعطاه ذلك وقد بسط ابن حديده في كتابه الذي الفه في كتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكاتيب وغيرهم اي غير من ذكر من العرب من اقيال
حضرموت وملوك اليمن والاقيال جمع قيل بفتح القاف واسكان المثناة
التحتية واللام وهو الملك من ملوك حمير واليمن وقيل الملك مطلقا وقيل
من دون الملك الاعظم كالوزير وفي النهاية الاثيرية انه صلى الله عليه وسلم
كتب لوايل ابن حجر الى الاقوال العباهلة وفي رواية الاقبال فقيل انه من
القيالة وهي الامارة وقيل من القول لنعوت قوله وامره فاصله على هذا قيل
بتشديد الياء اعلال بيت ولولاه لم يكن لقلب الواو ياء وجه واقوال
على الاصل واقيال لفظ قيل كما قيل ريح وارياح والقياس ازواح لكنه لم
يرجع لاصله فرقا بينه وبين جمع روح والعباهلة هم الذين قوم ملكهم
وبقي مترو كا على ما كان عليه من عيهلات الابل اذا تركتها ترعى متى شاءت
واحدة عيهل قالنا لتاكيد الجمعية كقشع وقشاعة اوجمع عيهول واصله
عياهيل فحذفت الياء وعوض منها التاء كما في قرازقة وقرانبن وفي تثقيف هر
اللسان العياهلة بالباء الموحدة هم الذين لا يد عليهم ولا حد وبالمثناة التحتية
الغيان وكلاهما مدح كما قاله التلمساني وحضرموت بفتح الحا المهملة واسكان
الضاد المعجمة وبفتح الميم وقال صاحب المطالع انه بضم الميم وجعله بعضهم
وجها جايزا فيه وهو علم مركب تركيبا مزجيا غير مختوم بويه وفي مثله ثلاثة
اوجه واعرابه اعراب ما لا ينصرف للعلمية والتركيب واجراء الاول على حسب
العوامل واضافته للثاني وبناؤهما كخمسة عشر وقال النووي الاقيل المعروف
وينسب اليه يمني ويمان بالتخفيف وبالتشديد وهو شاذ وسمي به لانه لا تنه
عن يمين الكعبة ويجمع يمني على يمنيين ويمانيون بالتشديد وانطن في كتابه
اي اعرفه وقف عليه باي طريق كان من استعماله المقيد في المطلق اي كتاب
النبي صلى الله عليه وسلم الذي كتبه الى همدان بسكون الميم والدال المهملة لما وفد عليه

ذو المشعار الهمداني فهذا رجوع الى بيان كلامه صلى الله عليه وسلم مع غير اهل
الحجاز وتقدم ان همدان قبيلة من بطونها خارف ويام بالتحتية ويقال
ايام ولذا ينسب اليها اهل الحجاز الحديث ايامي وقال ابن دريد ان همدان اسم
لابي القبيلة وقيل اسمه اوسلة والله اخبر بما عنه فقال هم دان فلقب به
ولهذا ليس هما يلتفت اليه انتهى كلامه في الجمهرة ولم يذكر فيه مادة همدنا
لاعجام لانه غير عربي عنده وتقدم الكلام عليه وقصة الكتاب ان ذا
المشعار قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما قالا لاقاه بتبوك يا رسول الله
من هدان من كل حاضر وباد انوك على قلوص واجة منصلة بحبايل الاسلام
لا تاخذهم في الله لومة لايم من مخلا في خارف ويام وشاك اهل السودة
والتود اجابوا دعوة الرسول وفارقوا الهة الانصاب عهدهم لا ينقض
ما اقام لغلع وما جرى العصفور بصلع فكتب لهم كتابا رسول الله صلى الله
عليه وسلم لمخلا في خارف واهل جناب الهضب وحفاف الرمل مع وافدها
ذي المشعار مالك ابن نمط ومن اسلم من قومه على ان لهم فراعها ووهاطها
ما اقاموا الصلوة واتوا الزكاة ياكلون علافها ويرعون فيها لهم بذلك عهد
الله ورسوله وشاهدهم المهاجرون والانصار وروى هذا كتاب من
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لمخلا في خارف ويام عهدهم لا ينقص عن سنة
ماخل واهل جناب الهضم وحفاف الرمل مع وافدها ذي المشعار مالك ابن
نمط ومن اسلم من قومه على ان لهم فراعها ووهاطها وعزازها ما اقاموا الصلاة
واتوا الزكاة ياكلون علافها ويرعون عافيها لنا من وفيهم وصرامهم ما سلموا
بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الفك والناب والفصيل والغارض
والداجن والكبش الحوري وعليهم فيها الضابع والقارح فقال في ذلك مالك
ذكرت رسول الله في صحمة الوجا ... وخن بنا على زحزحان وصلدد
وهن بنا حوض طلايح نفتل ... يركبانها في لاحب متمدد
على قتلا الذراعين جسره ... تمرينا من المهجن الحفيدد
حلفت برب الراقصات الى منى ... هوادر بالركبان من هضب قردد
بان رسول الله فينا مصدق ... رسول الى من عند ذي العرش مهتدي
واعطى اذا ما طالب العرف جاهه ... وامضى بحد المشرفي المهند
والى بعض من هذا اشار بقوله ان لكم فراعها بالفا المكسورة وراء وعين
مهملتين بينهما الف وهي ما ارتفع من الارض من مرتفعات المهفاع اواعالي

الجبال جمع قرعه بفتح فسكون يعني انه صلى الله عليه وسلم اقطعهم ذلك
وقوله طيها بكسر الواو وبالهاء والطاء المهملة جمع وهط كفرع وهي الوهدة
وما سفل وانخفض والضمير للارض المخصوصة والوهاط والوهاد بمعنى
ويحتمل ان احدهما مبدل من الآخر وعزازها بفتح العين المهملة وزاي معجمة
مخففتين وهو ما اشتد وصلب من الارض يملك الاملاك لاحد عليه فيوطا ويحرث
فيصير رخوا ومنه العز لصلابة جانبه تاكلون علافها بكسر العين المهملة
واللام والفا قال في النهاية جمع علف وهو ما كاله الماشية مثل حمل وحمال
وفي قوله مثل حمل لطف الا انه اذا كان علف الماشية فقوله تاكلون بالخطاب
لهؤلاء غير مناسب المقام هنا لا يتجه بان يقدر تاكل دوابكم او يجعل تاكلون
بمعنى تملكون ولعل للعلاف في معنى غير هذا او نزعوا عفا فيها بفتح العين والفا
والمد وفسروه بما ليس لاحد فيه ملك ولا اثر من عفا الشئ اذا اندرس ومن
عفا يعفو اذا خلص ومنه الحديث اقطعهم ما كان عفا بكسر العين جمع عفو
كحمل وحمال وهو بمعنى الاول وفي قوله نزعون ايضا ما مر وحوا ان الرعي
مخصوص باكل البهايم ولذا قال بعض الجهلة لبعض الادبا انت عندي
كالاب بتشديد الباء قال له فلذا ترعاني كان اللطف لما فيه من النورية لاحتمال
ان يكون من الرعي او الرعاية كما في الاب من احتمال المعنى الوالد على لغة فيه
ومعنى التبن لانه عنى انجهله الا نعام لنا من دفيهم وصرامهم الدف بكسر
الدال المهملة وسكون الفا فالهمزة وفسروه هنا بالابل والغنم سميت بذلك
لانها تتخذ من اصوافها واوبارها اثاث يتدفا به ويجعل منها البيوت من الشعر
ليتدفا بها وقال تعالى لكم فيها دفء ومنافع اي ما يتدفا به من الصوف والوبر
وهو في الحديث بمعنى الانعام التي تتخذ منها ذلك والصرام بكسر الصاد
المهملة وهي القطعة من النخل ويجوز ان يكون الثمر نفسه لانه يصرم من النخل
اي يجذ ويقطع فسمي به المصدر ويجوز فتح الصاد لانه يقال صرمت النخل صرما
وقيل من انه لا يجوز ان يكون جمع صرمة كما توهم لانها القطعة من الابل
من الثلثين والقطعة من السحاب وهو لا يصح ساقط لوجهين ما سلموا
بالميثاق والامانة ما موصولة خبر مقدم المراد العهد الذي اخذ عليهم او الاسلام
والمراد بما سلموا بتشديد اللام ما يعطوه من الزكاة المفروضة والامانة
اي كونهم مامونين على اموال الغير لان رب المال في الزكاة يصدق بقوله وقال التلمساني
اراد بها الطاعة او الغنا او العبادة وهو بعيد اي لا يوخذ منهم شئ قهرا بل

عن طيب نفس وعفى من غير تجاوز عما حده الله ولم يبين من يعلمون فيجوز ان
انهم يسلمون بانفسهم او للسعادة فلا يتكلف له ويقال ان المراد الاول
لان النبي صلى الله عليه وسلم علم منهم الرغبة في رضى الله ورسوله وانهم يودون
ما يجب عليهم بلا سعادة وانما يجب بعث السعادة اذا لم ينشيء وصول
الصدقة بدونهم ولهم من الصدقة الثالب المراد بالصدقة الزكاة والثالب بمثلثة
مكسورة ولام ساكنة وموحدة معناه الجمل المسن الهرم الذي سقطت
اسنانه والانثى مثلبة فهو مخصوص بالذكور كما قاله الهروي والناب مثل الثالب
معنى الا انه مخصوص بالنوق الاناث لا يقال للجمل ناب وان اسن وانما سميت نابا
لانها اذا هرمت طال نابها والفصيل ولد الناقة الصغير الذي فصل
عن رضاع امه والفصيلة انثاه والجمع فصال وفصلان وقيل هو من اولاد البقر
والمعروف في اللغة الاول والفارض الراجن الفارض البقرة المسنة قال
تعالى لا فارض ولا بكر اي فاطعا او فارضا لما يحمل من الاعمال الشاقة من الحرث والقطع وقيل بل لان فريضة البقر تبيع ومسنة فالتبيع يجوز في حال دون حال
والمسنة يجوز بدلها في كل حال فشبهت المسنة فارضا فعلى هذا يكون اسما اسلاميا
انتهى والراجن الشاة التي تكون في البيت لا ترسل للرعي وكذا الراجن بالواو كما في الصحاح
وعلى هذا فالراجن غير الفارض فينبغي عطفها كغيرها وهو في النسخ بغير عطف
اللهم الا ان يقال ما ذكر معناه الحقيقي وهي هنا صفة مجردة عن كونها شاة فجعلت
وصفا للفارض قلت ضمير لهم السابق لاصحاب المال ومن توخذ منهم الصدقة والجملة
ان ما ذكر يتركه لهم ولا يوخذ منهم لمقابلته ليقوله لنا والذي في الصدقة من
اوسط ما لهم لا اعلاه ولا ادناه كالصغير جدا او المسن الهرم فالفارض لما كان بمعنى
المسن الذي يوخذ في الصدقة والمراد خلافه هنا وصفه بقوله الراجن بمعنى الذي
يربض حول المنازل من شدة الهرم فلا يسرح للمرعى ولا يصلح للعمل والحمل هذا هو
المراد من غير حاجة لتكلف ودعوى تجريد وقيل الفارض المسن من الابل والراجن بالعطف ومعناها شاة صغيرة تربى في البيت كما وقع في حديث الافك
والكبش الحوري الكبش الذكر الكبير من الغنم الذي يقود غالبا ولذا اطلق
على الرئيس في المدح بخلاف التيس والحوري اختلفوا فيه فقيل انه بحاء مهملة وواو
مفتوحتين وراء مهملة يليها ياء نسبة وفي النهاية الاثيرية انه منسوب الى الحور
وهي جلود تتخذ من الضان وقيل هو ما دبغ من الجلود بغير القرظ وهو لحد ما جا على
اصله ولم يقل اعلا ناب انتهى وقال ابن رسلان الحوري بفتح الحاء وضم الواو ونسبة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

للحور وهي الجلود المذكورة والذي في الصحاح ان الحورة وجمعها الحور بفتح
الواو فيهما واقتصر ارباب الحواشي والحلبي والقسطلاني على ما في النهاية
ونقل عن الكاشغري في كتابه مجمع الغرايب ان الحوري الملوي نسبة الى
الحور وهي كبة مدورة يقال حورة اذا كواه وانه على هذا بسكون الواو لان
الحور بالقصر والمد للكبة ساكنة الواو وقال النجاني الحوري بفتح الواو وضرب
من الكباش حمر الجلود وروى الحواري بزيادة الف ومعناه الابيض لا الاحمر ولذا
قيل الحواريين لانصار عيسى عليه الصلاة والسلام لانهم كانوا قصارين
يبيضون الثياب ولذا فسر بعض ارباب الحواشي الحوري بغير الف بالابيض الجيد
لما ذكر اولان موضع الكنية ببيض اقول الحاصل ان في لفظ الحديث
وكلام المصنف ثلاثة اوجه اشهرها الحوري بفتح الواو والثاني الحوري بسكونها
الثالث الحواري بالف بعد الواو وكلها بمعنى والمراد الكبير من الغنم وهو لا
يوخذ في الصدقة لكونه انفسها ولانه يتماجتاج اليه للضراب فلا يوخذ منه الا
اذا اعطاه كما لا يوخذ ماذكر من الهرم وكل ناقص كما فصل في كتاب الزكاة وعلى الاول
لم يجعله مع تحرك الواو وانفتاح ما قبلها اما على خلاف القياس كما هو ظاهر كلام
النهاية السابق او تبعا لفعله وهو حور كفرح اوليلا يلتبس الواوي بالياي
الذي من مادة الحيرة وقول النجاني انه من الكبش ان لم يقله احد من اهل اللغة ففيه
نظر لانه ينبغي له ان يقول الكباش التي تتخذ منها الجلود الحمر ولبعضهم هنا
كلام طويل بلا طائل وعليهم فيها الضالع والضارح والضالع بضاد معجمة ولام
وعين مهملة ويقال صالع فان كلا صاد تبدل سينا مع العين كما فصل في محله وهو من
البقر والغنم ما كمل واتى سنه في السنة السادسة وقيل هو من ذوات الاظلاف
كلما اكملت سنين ودخلت في السابعة لان ولد البقرة عجل ثم تبيع ثم جذع ثم
ثني ثم رباع ثم سديس ثم صالع وسالغ ثم وشين وما وقع هنا في بعض النسخ
ضالع بضاد معجمة وعين مهملة تحريف ونقله عن النهاية وهم والضارح بفاء
وراء وحاء مهملتين بعد الالف وهو الفرس الذي دخل في الخامسة وفي القاموس
الضارح من ذي الحافر بمنزلة البازل من الابل وقال النجاني الضارح من ذوات
الحافر ما اكمل خمس سنين وهو في السنة الاولى حولي بسكون الواو ثم جذع
ثم ثني ثم رباع ثم ضارح وفي هذا المكتوب زيادة على ما قاله المصنف رحمه الله
تعالى وروايات اخر منها ما قدمناه ومعنى قوله وعليهم الى آخره انه اذا اوجد
عنهم هذا النوع يوخذ منه ما ليس هو ما ولا معيبا كما مر وهذا مبني على ان الخيل

تجب فيها الزكاة اذا كانت سائمة وذكورا واناثا لا صرف ذكور وان شاء اعطى
عن كل فرس دينارا او قومها واعطى زكاتها اذا حال الحول وتم النصاب والشافعي
يحمله على ما كان معدا للتجارة واد لتها مبسوطة في كتب الفقه وقوله صلى
الله عليه وسلم لنهد نهد قبيلة من اليمن تقدم الكلام عليها وهذا اشارة لما
قال عليه الصلاة والسلام لطهمة النهدي الشابق ذكره فاللام وصلة القول
تنزيل قوله لبعضهم منزلة قوله لكلهم اولتنزيل كتابه منزلة خطابه او هي
للتعليل وقيل انه هنا متعين لان هذا ليس مقولا لهم والمخاطب بهذا الكلام
الا هو الله عز وجل لما سالوه صلى الله عليه وسلم ان يستسقي لهم فدعا لهم وقال
اللهم اي يا الله بارك لهم اي اجعل البركة وزيادة الرزق ونباته مقسوما وواصلا
لهم قال الامام الراغب رحمه الله تعالى اصل البركة صدر البعير وان استعمل في
غيره وبروك البعير الذي بركة واعتبر فيه معنى اللزوم ومنه بروك الحرب لما كان يلزمه
الابطال والبركة لمجلس الماء والبركة ثبوت الخير الالهي قال تعالى لفتحنا عليهم بركات
من السما لثبوت خيرها ثبوت الما في البركة والمبارك ما فيه ذلك الخير ولما كان الخير
الالهي يصدر من حيث لا يحس على وجه لا يحصى ولا يحصر قيل لكل ما يشاهد منه
زيادة غير محسوسة مبارك وفيه بركة والى هذه الزيادة اشير بما روى لا ينقص
مال من صدقة الا الى النقصان المحسوس كما قال بعض الخاسرين حيث قيل له
ذلك بيني وبينك الميزان وقوله تبارك وتعالى تبارك الذي جعل في السماء
بروجا تنبيه على ما يفيض علينا بواسطة هذه البروج والبيوات المذكورة في هذه
الاية وكل موضوع ذكر فيه تبارك فهو تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات
المذكورة مع ذكر تبارك وهو تحقيق لامر يزيد على ما اخذ صاحب الكشف
ما قاله في اول سورة الملك وقد تقدم ان طهمة وفد من قومه على النبي صلى الله عليه
وسلم وهم في قحط شديد اصابهم فشكى له ما مسهم في كلام ذكرناه اولا فدعا لهم
وقال اللهم بارك لهم في محضها ومخضها متعلق بتبارك والمحض بفتح الميم وسكون
الحا المهملة والضاد المعجمة والمخض مثلثة الا ان خاه معجمة ومعنى الاول الخالص
كما مر وماذونه كلها تدل على الخلوص والصفا ومنه محض الايمان في الحديث ومحضت
له الود وعربي محض وخمر والمحض اصله تحريك السقا الذي فيه اللبن حتى
يتميز من زبده فيوخذ منه ويسمى اللبن الذي اخذ زبده مخيضا وهو صفة لما قبله
مبني به كما توهم ومذقها بفتح الميم وسكون الذال المعجمة والقاف واصل معناه
الخلط والمزج ثم استعمل في اللبن المخلوط بالما قال الجاحظ ابذق هل رايت الذيب قط

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والضمير راجع لارضهم او لانعامهم المذكورة في كلام ظهفة السابق الذي شكاته
محل بلادهم وهلاك دوابهم فدعا لهم صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم بارك لهم
في البانهم بافساما مما كان خالصا لم يتميز زبده وما يميز منه زبده وما مزج بالماء
ومجموعه كناية عن خصب ارضهم وسقيها فان الالبان انما تكثر بنبات المرعى
وهو انما يكون بالمطر فكانه قال اللهم اسق بلادهم واجعلها مخصبة هر
ملبنة كما يدل عليه قوله وابعث راعيها في الدثر ابعث بمعنى ارسل يقال بعث
الله رسوله للناس اي ارسله والراعي الذي يرعى الابل وغيرها والدثر بفتح الدال
المهملة وسكون المثلثة والراء المهملة وهو الابل الكثيرة ويقع على الواحد فما
فوقه ويجوز فتح تاييه وقيل الدثر الخصب وكثرة النبات لانه من الدثار وهو
الغطاء لانها تغطي وجه الارض والجرثومة الثمل الجرثوم بضم الجيم من جرثم بفجر كقعد
يقعد من تجمع الماء وهو جعله جاريا معينا والثمل بفتح المثلثة وفتح الميم وقد
جوز تسكينها واخره المهملة وهو الماء القليل والجرثومة مجاز عن معاني التكثير هر
المزومه غالبا فالمراد كثر ما قل من مايه وضميره للراعي واذا كثر له كثر لغيره وبارك
لهم في الماء والولد معطوف على ما قبله او على بارك الاول والمال كما يتولد وعيلك هر
وهو في كلام العرب في الاكثر يختص بالابل ويجوز ارادة كل منهما هنا من اقام الصلاة
كان مسلما اي مسلما كاملا كقوله المسلم من سلم الناس من يده ولسانه والمراد انهم
يحكم باسلامه بحسب الظاهر او المراد الحث على اقامة الصلاة المداومة والمحافظة
عليها كما حقق في الكشاف وشروحه وقيل انه على ظاهره لان من تركها مستحلا
لتركها كفر اولان تاركها كافر في احد قولي احمد او هو في حكم الكافر لانه يقتل
كما سياتي ومن اتى الزكاة بمدلول اعطاها واداها كان محسنا اي منعما متفضلا
على الفقراء اوتيا بامر حسن مطلوب في الدين ومن شهد ان لا اله الا الله كان
مخلصا اي من اتى بكلمة التوحيد واعلن بها فهو مخلص في ايمانه لان الظاهر
مطابقة قوله لما في قلبه وهذا من باب حمل لحوال المومن على الصلاح والمراد هر
بالاخلاص عدم النفاق وقيل المراد من قال كلمة الشهادة وهي لا اله
الا الله محمد رسول الله فهو كما يقال قرا حم والكتاب المبين اي السورة
بتمامها وعليه يحمل نظائره الواردة في الاحاديث لكم يا بني نهد وداية الشرك
لكم خير مقدم للاهتمام لا للحصر القلبي بناء على ما سياتي من تفسيره وجملة النداء
معترضة لبيان المخاطب وودايع الشرك المراد بها كما في النهاية العهود والمواثيق
التي كانت بينهم وبين من حاورهم من الكفار في المهادنة يقال توادع الفريقان اذا اعطى

كل واحد منهم الآخر عهدا ان لا يغزوه ويسمى ذلك العهد وديعا بغير ها فيقال
اعطيته وديعا اي عهدا والظاهر ان المراد عهودهم التي وقعت بينهم بعد
الحروب بعد المواخذة بما قتلوا اذ تحابوا وقبل بعضهم بعضا وما اراد قوامن
الدعاهدر كما في الحديث الآخر كل دم في الجاهلية تحت قدمي هذه اي متروك
هدرا وقيل معناه انهم كانوا التزموا مهادنة بعض الكفار فغير الاسلام هر
ذلك الحكم فلو وجب عليهم الوفا بما التزموه لامرهم بغزوهم لمن خالف دينهم فالمعنى
من قيود ما التزموه في الشرك من ذلك ولا يخفى بعده وتكلفه ثم قال في النهاية
ويجوز ان يراد ان ما استودعوه من اموال الكفار حلال لهم لانها مال اخذ من الكفار
فهو جمع ودعة بالها من غير ايجاف خيل وركاب فهو فيء وهكذا حكم ودايع
الكفار فهو جمع ودعة بالها على هذا ولا ينافيه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر
خلف عليا كرم الله وجهه ليرد ما كان عنده صلى الله عليه وسلم من الودايع والامانات
لانه كان قبل حل الغنايم له او لانه صلى الله عليه وسلم قرر من نسبته للخيانة وذهاب
شهامته وامانته فيطمع به في الاسلام وبعده وامن الايمان وضايع الملك الضياع
جمع وضيعة بمعنى موضوعة والملك بكسر الميم اي ما كان يوضع على الاملاك
من الزكاة والصدقة ثابت لكم كساير المسلمين يلزمكم وما يلزمهم من الوظايف
من غير زيادة ولا نقص والملك بضم الميم والمعنى ان ما كان ملوك الجاهلية
يوظفونه على الرعايا ويستاثرون به من غنايم الحروب لا يوخذ منكم فهو لكم فلام
لكم على ظاهرها بتقدير التفسيرين الاخيرين للودايع والوضايع وبمعنى على كما في قوله
تعالى وان اسايتم فلها على التفسيرين الاولين لها وقيل عليهما ان العهد اذا لزم
الوفا به يكون على المعاهد لانه فرض مطلوب منه وعهودهم انتهم قبل الاسلام هر
لا يجب الوفا بها بعد الاسلام والقايل بان وجوب الوفا بها محل اللام على ما حمله هر
وليس كذلك كما مر لان عهد الكافر لا يعتد به واما الوضايع بمعنى تكاليف الزكاة
فمنى وان نقلت على بعضهم لهم باعتبار الاجر عليها وقد علمت ان هذا مبني على تفسير
وليس بمتعين كما مر مع ما فيه لا تلطط في الزكاة تلطط بضم التا المثناة وكسر
اللام وكسر الطا المهملة الاولى وجزم المهملة الثانية بلا الناهية وفي الزكاة هر
متعلقة به اي لا تمنعها قال ابن الاعرابي لطه العزيم اذا منع حقه واصله
من لطت الناقة فرجها بذنبها اذا ضمته عليها ولا ذرا دها الفحل وفي شعر
الاعشى الحماري في امراته وقد نشزت

اخلفت الوعد ولطت بالذنب وهن شر غالب لمن غلب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولط الفريراذا اختفى ولا تلحد في الحياة هو مضبوط بضم التا المثناة اوله لامر
تاكيد تليها حا مهملة مجزومة من الحد الحاد اذا جار وعدل عن الحق واصله
مطلق العدول ويقال لحد ولحد قليلا والذي في الشفا هو الذي رواه القتيبي
بالفعل والخطاب الواحد والذي رواه غيره ما لم يكن عهد ولا موعد ولا تاقل
في الصلاة ولا تلطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة بالاسم المصدر ويشد عين الاخير
وهو الوجه لانه خطاب للجماعة واقع على ما قبله كذا في النهاية الا ترية يعني
ان هذه الرواية بلفظ المصدر من التفاعل هو الوجه الواضح لانه كلام محوط
به جماعة في قوله يا بني نهد وهذا جار على غير اسلوبه لتوجه الخطاب لواحد من
بينهم وان كان ما قبله مشتملا على صيغ الجماعة المخاطبين دونه وقد جا التلطط
بمعنى الالطاط المتقدم يقال لتلطط والطط والطى بابدال الاخيرة يا للتخفيف
وقال ابن رسلان لا تلطط او تلحد بالنون من باب نهى الانسان نفسه لينتهي
غيره قيل ولا ضير في رواية القتيبي اذ الخطاب فيها لمن تلقى الكلام له النبي
صلى الله عليه وسلم من بين جميع ما خوطبوا ابتدا او نظيره في افصح الكلام ثم
عفوا عنكم من بعد ذلك حيث خوطب من يتلقى الكلام بلفظ ذلك ولم يقل ذلكم وتخصيص
وتخصيص واحد من الحاضرين بخطاب النهي المتعريض بالباقين والصون لهم
عن توجه صيغة النهي اليهم رجا الالقياد للامتثال بالطف وجه ويحتمل ان
الخطاب لهم برمتهم او لائم توجه لواحد في المجلس خارج عنهم فنهاه تعريضا بهم
او نهاهم نهي غيبة لتنزيلهم منزلة الغايبين عند توجيهه الى غيرهم ولم يقل لا تلطوا
وتلحدوا بلفظ جماعة الذكور الغايبين بل لا تلط وتلحد او هي والضمير لبني نهد
وبنون وان كان جمع مذكر سالم ومثله لا يعود له ضمير المونث ولا تلحقه التا
فلا يقال الزيدون قامت ولا قامت الزيدون ولا العمرون تقعد بخلاف قامت
الرجال والرجال تقوم بتا التانيث الا انه لما غير مفرده عند جمعه اشبه جمع
التكسير فاعطي حكمه فجاز لحاق التا بفعله نحو قامت البنون ومنه قوله
تعالى الا الذي امنت به بنو اسرايل وصار ذلك داعيا الى جواز السون
قامت وتقوم وتخفى بتا التانيث وذهب بعض النحاة الى انه جمع تكسير بدليل
جواز لحاق التا قال في ضو الزمان هذا مذهب غريب ورأى غير مصيب قلت
المخطي محوط وهذه المسالة مذكورة في شروح كتاب سيبويه والذي قال انه قول
غريب ارتضاه ابن خروف ولولا خوف الملل فصلناه وقيل عليه ان قياس
الضمير على حرف الخطاب المتصل باسم الاشارة لا وجه للفرق بينهما وما في الحديث

يوجه بانه

بان

يوجه بانه خاطب القوم اولا بقوله يا بني نهد وعلم ان فيهم واحدا متبعا لهوى
لنفسه مخصه من بينهم بالخطاب بما يليق به او جعله تعويضا لباقيهم ليلا
تتثقل عليهم المواجهة بالنصيحة ونقل عن ابن البادش ان الخطاب المفرد بعد
الجمع له تاويلان اما تخصيص واحد من بينهم او تاويله بمفرد لفظا بجموع معنى
كالفريق وجوز فيه ان يكون التفاتا والى مما لا يسمن ولا يغني من جوع هو
على عادته في التطويل المملل من غير فايدة وانا اقول هذا كله مبني
على قاعدة ذكرها النحاة على ما في الكفاية للرضي وهي انه لا يكون في كلام واحد خطا
لمخاطبين متغايرين من غير عطف ولا جمع وتثنية وهذه القاعدة ذكرت
في باب الاشارة وقد تتبعت كلامهم فرايتها مفيدة باربعة قيود الاول ان يكون
ذلك في جملة واحدة فلو قلت انت يا زيد تضرب انت يا عمرو تشتم لم يمتنع
الثاني ان لا يتغايرا فلو كان احدهما غير الاخر جاز نحو اذكراذ قال ربك كما قدره
المفسرون في مثله وغفل عنه بعضهم فاعترض بما لا يحصل له الثالث ان لا يكون
احدهما بعض الاخر ليتحدا كما ذكره النحاة في افعال القلوب وصرح به المرزوقي
رحمه الله تعالى في قوله اجدوا قومها لكم يا جزول فقال جزول
اسم رجل جعل اول الكلام خطابا لجماعتهم ثم خص بالبدا واحدا منهم جعله
المامور بما اراد كقول الهذلي

احيى ياكن يا ليلى الامراج فقال

ياكن ثم قال يا ليلى انتهى الرابع ان يبقى الخطاب على حقيقته كما ذكره الرضي
في باب التعجب وقد بسطنا الكلام على هذه المسالة في كتاب طراز المجالس
والمعترض والمجيب خبطا هنا خبط عشوا فان هذا التركيب صحيح من وجهين
لكونه بعضا في جملة اخرى فاحفظه فانه من نفايس الذخاير ثم انه ذكر في اعراب
قوله في الرواية السابقة ولا موعد كلاما يقتضي منه العجب واجاب عنه تلميذه
فاعجب واعجب الا ان المصنف رحمه الله تعالى كفانا مونته لانه لم يذكره فلذا
اضربنا عنه فانا ردت فانظم وقوله في الحياة اي لا تلحد ما دمت حيا ولا
تتثاقل عن الصلاة بجزم اللام والكلام فيه كالذي قبله اي لا تتوانى
وتكسل عن الصلاة وتتركها والتثاقل يحصل كناية كان عليه ثقلا يمنعه
عن الحركة اليها وكتب لهم في الوظيفة اي امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يكتب
لهم كتابا يبين لهم فيه ما يلزمهم بعد الاسلام والوفا باركانه وضمير لهم لبني
نهد وهو متعلق بكتب والوظيفة بالنظا المشالة والفايزة سفينة وهي العين

في كل يوم او في زمان معين من الطعام وغيره من الورق ويطلق على العهد والشرط
وجميعه وظائف ووظف بظاءين كسنن كما قاله اهل اللغة والمراد الاخير
اي كتب في العهد وما شرط عليهم في الزكاة لهم فيما يوخذ منهم من الوظائف
المرتبة عليهم الفريضة اي ما فرض عليهم ففريضة بمعنى مفروضة فان كانت
الفريضة بمعنى الهرمة المسنة كالفارض لفرضها سنها اي قطعها له اولانه
اولا انقطاعها عن العمل والانتفاع بها فهي غير مراده هنا لانه روى عليكم
في الوظيفة اي في كل نصاب ما فرض فيه وهذه الرواية مفسرة للمراد به ولانه
قوله ولكم الفارض يابا ه لما بينهما من التدافع غاية ما فيه اطلاق الوظيفة
الارض المعينة على النصاب لانه وظيفة لاصحاب الارزاق مقدرا لهم
كوظيفة الارض المعينة التي وصفها عمر رضي الله تعالى عنه كما ذكر في
باب الوظائف ولا يجوز فيه كما توهم والفارض بالفا كما ضبطه البرهان
الحلبي وقد تقدم الكلام على نصيبها ويوتيه ما في الحديث الاخر ولكم الفارض
والعريض يعني لا يوخذ منكم ولا يكون على الا نصبا لانه لا تصح به الزكاة وضبط
التجاني بالعين المهملة بدلا لفا وقال العارض المريضة التي اصابها كسر وهي
لا تقبل في الصدقة فهي باقية لاصحابها وفي تنزيل الخفا انه وقع في بعض
النسخ بالعين المهملة وهي الناقة التي بصبيها اكسر او مرض فتنحر وفي العريض
في بعض نسخة الفارض بالفا وقيل بالعين التي اصابها كسر ولم يتعرض لمرضها
يقال عرضت الناقة اذا اصابها فقا او كسر وبنو فلان اكالون للعوارض اذا لم
يخرجوا الا ما اصابه مرض او كسر خوفا ان يموت فلا ينتفعون به والعرب تعير
باكله قلت كانه سقط من عبارة التجاني لفظ او او عد بالكسر رضا وفي
الشرح خلط هنا لم نسود به وجه الطرس والفريش بفتح الفا وكسر الراء المهملة
والمثناة التحتية الساكنة والشين المعجمة الحديث العهد بالنتاج كالنفساء من
النساء وحكى انه لا يطيق حمل الانقال من الابل لصغره كما حكى انه يقال فرش
وفريش بمعنى وان كان المشهور فيه الفرش كما في الاية ومن الانقاء حمولة وفرش
وقيل الفرش ما انبسط على وجه الارض من النبات وهو بعيد هنا يعني
ان هذه كلها لا توخذ في الزكاة اما على الاول فلانها لبون نفيسة واما على
الثاني فلحنتها وذو العنان الركوب العنان بكسر العين ونونين بينهما
الفو الركوب بفتح الراء هو المركوب الذلول قال تعالى فمنها ركوبهم ووصفه
بذي العنان في محله يعني لا يوخذ الزكاة من الفرس المعد لركوب صاحبه فلا يوخذ

في الزكاة وان قلنا بزكاة الخيل وكذا الصغير لانه ليس من اوساطها والركوب بالرفع
صفة ذو وروى بالجر صفة العنان والفا و بفتح الفا وضم اللام وتشديد الواو
المهر الصغير من الخيل لا يوخذ في الزكاة وسمي فلوا لانه يفلى من امه اي يقطع
بالفطام عنها قال الجوهري يقال فلوته اذا فطمته وعن ابي زيد اذا فتحت
الفا شددت الواو واذا كسرتها خففت فقلت فلو كجرو وفي القاموس انه
يقال كجرو وعدو وسمو وقال انه للخيل والبغل والحمر وقال الصغار اولاد وات
الحافر مطلقا وروى الفلوبرون واو عطف والاول اصح الطبيس بفتح
الضاد المعجمة وهم من قال المهملة والموحدة المكسورة والمثناة التحتية ثم
والسين المهملة اي المهر العسر الركوب الصعب وهو من الرجال كذلك وكانه
كني به عن صغره ولو عطف كان المراد به الحرون الا انه وقع بلا عاطف فليتبع
بالبنا للمفعول سرحكم بامالة السين المفتوحة وسكون الراء المهملة والحا المهملة
وهي الماشية التي تسرح بالغداة للمرعى والمراد ان مطلق الماشية لا تمنع عن
مرعاها يقال سرحت الماشية تسرح اذا خرجت للمرعى وفعله يتعدى
فاذا رجعت قيل اراحت قال تعالى حين تريحون وحين تسرحون
وهذا كما قال في كتاب اكيدر لا تعذل سارحتكم ولا رادتكم من مرعى الا انه غير فيه
بالسارحة لمشاكلة الغاردة كما عبر هنا بالسرح لمشاكلة قوله ولا يعضد طلحكم
يعضد بمعجمة بين مهملتين يعني يقطع يقال عضد عضدا اذا قطعه والطلح
بفتح الطا المهملة وسكون اللام والحا المهملة شجر عظام يقال له العضاة وام
غيلان وكل شجر عظيم له شوك يقال له عضة والطلحة في قوله تعالى وطلح
وقيل هو الطلع وقيل شجر الموز والمراد لا يقطع لكم شجر طلحا كان او غيره وخصه
لانه لا غير له فاذا منع قطعه علم عدم قطع غيره بالطريق الاولى ولا يحبس دركه
بفتح الدال وتشديد الراء المهملتين واصل معناه اللاحق والمراد به هنا الانعام
ذوات الدرك لا تحبس عن المرعى في مكان يجتمع فيه لبعدها من ياخذ الصدقة
لما فيه من ضرر صاحبها بقدر رعيها ومنع درها عنه وروى لا يحسر دركم اي
لا يجتمع في مكان عند المصدق وهما بمعنى لما مر من الضرر وما قيل من ان ما رواه
المصنف لا يختص بالحبس عن المرعى لشموله لحبسها عند صاحبها على وجه يمنعها
من المرعى وحبسها عند المصدق لبعدها عليه مع مخالفته لكلامهم والسياق
لا طائل تحته وكذا ما قيل ان معناه لا يوخذ الدر نفسه الا ان يكون منحة وكل
هذا مناف للغرض وقد ورد في صلح اهل نجران ان لا تحشروا ولا تعشروا ومقصوده

صلى الله عليه وسلم الرفق بمن يوخذ منهم الزكاة فيوتى لمتازلهم من غير سوق
لمواشيهم وحبسها ما لم تنضم وا الرماق بمعنى تخفوا وتكتموا الرماق بكسر
الراء المهملة وميم والف وقاف هو النطاق يقال رامقته رماقا وهو النظر
الشزر من العدو والمعنى ما لم تضيق قلوبكم عن الحق يقال عيش رماق اي
ضيق يمسك الرمق وهو بقية الروح واخر النفس كما قال ابن الاثير ولا تاكلوا
الرياق بفتح الراء المهملة والموحدة والقاف قال الشمني جمع ربقة وهي حبل فيه
عري يشد به البهايم وفي الحديث خلع ربقة الاسلام من عنقه قال ابن الاثير شبه
ما يلزم من العهد بالربق واستعار الاكل لنقضه فان البهيمة اذا اكلت الربق خله
من الشدة وما مصدرية ظرفية وهو اما فيما قبله او لجميع ما تقدم والمعنى
ان هذا امر تقدر عليكم ما لم تنقضوا العهد وترجعوا عن الاسلام فاذا
كان كذلك فعليكم ما على غيركم من الكفرة وهذا معنى لاغبار فيه والترتيب في
محله لان المعنى ما لم تضمروا النفاق ثم تظهروا نقض العهد وقريب منه تفسيره
بالعذر والشك والعداوة فانها اذا اضمرت كانت نفاقا واما تفسير اضمار
الرماق باخفاء قطيع من الغنم يعني عن الصدق فانه خيانة تقتضي ضيق المصدق
عليهم بحشر العام درهم وحبسها فهو على متعلق بقوله لا يحبس دركم وهذا
معنى صحيح موافق للغة لان الرمق القطيع من الغنم فارسي معرب كما قاله
الجوهري الا ان المشهور المانوس في تفسير الحديث ما تقدم فاعتراض البرهان عليه
بانه لم يتطرق في غير الصحاح واخشى ان لا يكون احد قاله فبله بما يليق ذكر وكذا
القول بان النفاق اضمار العذر مع اظهار خلافه فتفسيره غير مستقيم ليس بشئ
وكذا تفسير الرباق بالموحدة بالغنم مجاز العلاقة المجاورة فكله بعيد بمراحل
عن المرام وفي الكلام استعارة تمثيلية او تصريحية والمراد بالعهد التزام اولي
الله ورسوله ونواهيه وفي الشرح الجديد قال البرهان عن المعلق ان الرباق
مجاز عن الغنم ولا ادري من هذا المعلق وعلى التقدير معناه ما لم نا كلوا الغنم
ولا معنى لهذه الظرفية حينئذ اذ يؤل الى اوراكنكم ما لم نا كلوا الغنم ومثله
سمج لا يليق بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم المسوق لبيان فصاحته عليه
الصلاة والسلام وفي الحواشي التلمسانية تضمروا الاماق مكسورة وميم ساكنة
وهمزة ممدودة يليها قاف بزنة الاكرام ومعناه العذر والبغض يقال اماق يمقق
ربا عيا وقد يخفف همزته هكذا ثبت عند العرقي وفي بعض نسخ الشفا الرماق
بكسر الراء والميم بعدها وهو بخط القاضي رحمه الله تعالى انتهى والشراح وارباب

الحواشي

الحواشي متفقون على الرواية الثانية من اقر فله الوفا بالعهد والذمة
ال في العهد للعهد فالمراد ما عرف من عهود الاسلام وما عاهدهم الله ورسوله
فيما كتب لهم والذمة قال البرهان الحلبي بمعنى العهد والامان والضمان والحرمة
والحق والمراد الاولان وسميت الذمة ذمة لان تركها يوجب الذم ثم سمي محل
الالتزام بها في قول الفقها ثبت في ذمته كذا ومن الفقها من قال انها معنى
يصير به الادمي على الخصوص اهلا لوجوب الحقوق له وعليه كما قاله تاج الشريعة
رحمه الله تعالى في شرح الهداية وقال القرافي رحمه الله تعالى في قواعده
لم يعرف اكثر الفقها معناها المستعملة فيه وحقيقتها حتى ظنوا انها
اهلية المعاملة او صحة التصرف وليس كذلك لان كلا منهما يوجد بدون الاخر
وهي عبارة عن معنى مقدر في المكلف قابلة للالتزام واللزوم مسبب عن اشيا
خاصة في الشرع وهي البلوغ والرشد وعدم الحجر وهي من خطاب الوضع انتهى
وسمي اهل الذمة بذلك لدخولهم في عهد المسلمين وامانتهم والمراد من اعترف
وصدق بما جا به الرسول صلى الله عليه وسلم فله الوفا بالعهد والذمة ومن
ابى اي امتنع من قبول العهد او نقضه بعد قبوله ودخوله فيه من منع
الزكاة فعليه الربوة والربوة بمثلثة الزاء المهملة وسكون الباء الموحدة
والواو والهاء كما في القاموس فالاقتصار على بعضها تقصير وهي الزيادة ومنه
الربا لاخذه زيادة على ما اعطاه وفسرت الربوة بان يوخذ منه زيادة على فريضة
الزكاة عقوبة له وروى من اقر بالجزية اكثر مما يجب عليه بالزكاة قاله ابن
الاثير وقال النجاني عن صلى الله عليه وسلم ان من ابى من اداء الزكاة اخذ من
الفرض وزيد عليه كما في حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه الصحيح ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ندب الناس الى الصدقة فقيل له منعها خالد ابن
الوليد وفلان وفلان فقال اما خالد فالناس يظلمونه لانه احتبس ادراعه
واعدها في سبيل الله واما فلان فلم ينقم منا الا ان كان فقيرا فاغناه الله ورسوله
واما فلان فانها عليه ومثلها معها وروى فانها عليه صدقة ومثلها معها
وروى فانها عليه وفي رواية البخاري ان عليه صدقة واجبة نوخذ منه
وليس معناها انه يعطاها ويعطى مثلها معها لان المذكور من اهل البيت
لا تحل له الصدقة وذهب ابو عبيد في معنى هذا الحديث الى ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم انما الزمه اياها ومثلها معها لانه كان قد اخر عنه صدقة العام
الماضي ومثله جايز للامام اذا علم حاجته وفقره لكن ظاهر الحديث يخالفه

لانه في معرض العقوبة والجزاء ولو كان كذلك لم يكن فيه رد ح له انتهى وفي
رواية البخاري احتمال انها كانت قبل تحريم الصدقة على اهل البيت كما في بعض
شروح مسلم واعلم انه اي النجاني لم ينقل الحديث على وجهه فانه هكذا في
الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه انه قال بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم عمر رضي الله تعالى عنه على الصدقة فقيل منع ابن
جميل وخالد ابن الوليد والعباس فقال صلى الله عليه وسلم ما ينقم ابن جميل
الا ان كان فقيرا فاغناه الله تعالى واما خالد فانكم تظلمونه وقد احتبس
ادراعه في سبيل الله واما العباس فهو علي ومثلها معها استعرف ان الرجل صنو
ابيه وفي رواية البخاري فهي عليه صدقة ومثلها معها وفي رواية لم يقل صدقة
ففيه ثلاث روايات ومعنى الاولى انه صلى الله عليه وسلم التزم باخراج
ذلك عنه وبين سببه بقوله عم الرجل الى اخره تشريفا له ويحتمل انه صلى
الله عليه وسلم يحتملها عنه لتعلق الزكاة بالذمة وجمع ابن الجوزي بين رواية
على وعليه بانهما بمعنى وزيد في الثانية ها التي للسكت في على وقيل معنى على انها
عندي لاني اخذت منه صدقة عامين وقد ورد مصرحا به في رواية
اخرى بناء على جواز تعجيل الزكاة وفي الحديث وجوه اخر في شرح الصحيحين
لا حاجة لنا بها هنا ومن هذا علمت ما في قوله لكن الحديث يخالفه لانه ورد في
معرض العقوبة الى اخره فانه لا زجر فيه الا لابن جميل لا للمقول في حقه فاي
عليه ومثلها كما سمعته انفا ومن كنا به صلى الله عليه وسلم لو آيل ابن عمه
تقدم الكلام عليه الى الاقيال العناهلة اي الى الملوك القارملكهم وقد تقدم
تفسيره وبيان لغته وضبطه والارواع بهمزة وراء مهملة وواو وبعدها
الف وعين مهملة وهم الشاة الزهر الالوان الحسان الوجوه وقيل انه جمع رايع
وهم الذين يروعون الناس اي يحسنون منظرهم لجمالهم وهيأتهم قاله
ابن الاثير قيل والاول اولى وجمع فاعل على افعال نادر جدا اقول
ما قاله ابن الاثير هو الذي ارتضاه المبرد في الكامل لما فيه من البلاغة فان الحسن
الرائع اذا راه من له ادراك اداه هشه وحبب فيشبه الخائف الفزع ومن وقف
على كلام المبرد عرف حسنه وقيل انما كان هذا غير موجه لان الهيئة التي كانت
لهم هيئة تخير وظلم لان لها الاسلام والنبي صلى الله عليه وسلم انما اراد مدحهم
بالحلم والرافة وليس بشئ المشاييب بفتح الميم والشين المعجمة ثم موحدتين
بينهما الف ومثناة تحتية جمع مشيب وهو الحسن الازهر اللون قاله ذو الرمة

انا الارواع المشيب اضحى كانه ٭ على الرحل مما منه السير احمق

والمراد الشيب الطاهر الازهر اللون المنير كانه اوقد في وجهه سراج منير
وهو يجمع مع الاروع في كلامهم كما في البيت فان النار مما تروع ناظره وروى
الاشياب بزنة الاخلاء جمع شيب كخليل وقيل هم الرجال الذين وجوههم
بيض وشعورهم سود فهذا لا يقال للحسناوات الذوائب السود شعرها
يشب لونها اي يظهره ويحسنه وقيل المراد الاذكياء وفيه اي في كتابه
صلى الله عليه وسلم لوائل في النبعة شاة التبعة بكسر التا الفوقية وسكون
المثناة التحتية والعين المهملة الاربعون من الغنم وقيل الخمس من الابل
وقيل هي ادنى ما تجب فيه الصدقة من الغنم والابل وهو المقدار
المذكور وقيل هي ما ياخذ الساعي من الزكاة وهو غير مناسب هنا وهو من
التبع وهو الفي وقد وقع التشبيه به في حديث الراجع في هيئته كالراجع في
فيئه ويقال اتاع فيئه وتاع ويقال تاع بمعنى ذهب قيل وجه المناسبة
سرعة المبادرة اليها كسرعة الفي اولذهاب الساعي اليها والاحسن ان يقال
انها فضلة ووسخ يستريح يدفعها لان الصدقة اوساخ الناس كما ورد في
الحديث ولذا منع اهل البيت منها لشرفهم لا مقورة الالياط مقورة بميم مضمومة
وقاف ساكنة وواو ومفتوحة مخففة وراء مهملة مشددة من الاقوار بكسر
من الاحمرار وهي المسترخية الجلد من الهزال فلا توخذ في الصدقة لرداتها وقيل
هي المتسخة من الهزال ايضا وقيل هي السمينة فهي من الاضداد كما ذكره الصاغاني
في كتاب الاضداد وهذه لا توخذ لانها اغلى والمامور باخذه الوسط وفي بعض
النسخ مقورطة مفرعلة قال التلمساني قال ابن سيدي الحسن مفزبطة يقال
اقربط الجلد ابضم بعضه لبعض او مقربطه وهو بمعناه والالياط بلام
وياء مثناة تحتية وطاء مهملة جمع ليط بكسر اللام وهو قشر العود فاستعير
للجلد من لاط يلوط اذا الصقه وقيل المقورة المقطوعة والمعنى لها القليلة
فالتفاسير متقاربة والاصفال بفتح الضاد المعجمة وكسرها قال النجاني ويجوز
ضمها وحط فيه لانه بمعنى الزكام ولا مناسبة له هنا وفي ضبطه نظر
لما في العباب للصاغاني الضئال بالفتح قاله الفارابي وقال غيره هو بالكسر
وهو الصواب وهي الكثيرة اللحم السمينة فلا توخذ لجودتها وانظوا الثيحة
انظا بمعنى اعطا لغة لاهل اليمن او لبني سعد وروي في الدعا اللهم لك
انظيت وقرئ شاذا انا انطيناك والثيحة بالمثلثة والموحدة والجيم المفتوحة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والهاء بمعنى الوسط والها للنقل من الاسمية للوصفية وقال التجاني
ان الباء الموحدة مكسورة ومنه ثبج البحر لوسطه وفي الحديث خياركم
اولها واخرها وبين ذلك ثبج والمقصود انه لا يوخذ في الزكاة الاعلى لاضراه
برب المال الا ان يكون موصى منه ولا الادنى ولا المعيب الا ان يكون الكل كذلك
لان الجود بالجود وتفصيله في كتب الفقه قال البرهان وفي بعض النسخ
بكسر الباء وتشديد الجيم وفيه نظر قال التلمساني وروى الشيخة بالنون
والجيم من شيخ سار من شدة واراد اعطا القوي للضعيف فتامله وفي
السيوب الخمس السيوب بضم السين المهملة والمثناة التحتية وواو وباموحدة
جمع سيب وهو الركاز بمهملة وكاف وزاي معجمة بوزنة كتاب بمعنى مركوز وهو
المال المدفون الجاهلي من ركز الرمح اذا غرزه في الارض واقام او من الركز وهو
الاخفا قال تعالى او تسمع لهم ركزا اي صوتا خفيا وسمي سيبا لانه عطية
من الله تعالى وقيل هو الذهب والفضة المعدني من تسيب بمعنى تكون
من غير صاحب له فكانه مسيب والخمس بضمتين وضم فسكون ويقال له
خميس ومنه اسم الجيش لكونه خمسة اقسام ميمنة وميسرة ومقدمة
وساقة وقلب وقوله في الحديث المعدن خيار وفي الزكاة الخمس يدل على
ان الركاز غير المعدن واتفقوا على وجوب الخمس في الركاز الا الحسن البصري
فقال ان وجد في دار الحرب ففيه الخمس وفي غيره الزكاة ولا فرق بينه وبين
النقدين وغيرهما والقليل والكثير ولا يشترط الحول كالزكاة وعند الشافعي
انه كان وجد في ملكه فهو له ان ادعاه والا فهو لقطه ومن زنا مم بكر فاصفقي
ما يتر قوله مم بكر وما ياتي من قوله مم ثيب اصله كما في النهاية من بكر ومن ثيب
فقلبت النون ميما لانها اذا سكنت قبل الباء تقلب ميما سواء كان من كلمة نحو عنبر
او من كلمتين نحو من بكر وتقدم ان لام التعريف تبدل ميما في لغة حمير نحو ليس
من امبر امصيام في امسفر فاما ان يكون ما نحن فيه من الثاني فاصله من البكر
فحذفت نون من على حد البكر قولهم في بني الحارث بلحارث فيكون بكر حينيذ
غير ممنون واستعمل البكر موضع الابكار والاشبه ان يكون بكره منونة وابدلت
نون من ميما انتهى وقيل عليه ان كون بكر بمعنى ابكار لاجل من التبعيضية
فتقديره من زنى ببكر من الابكار ويجوز ان يكون لبيان الجنس فبكر على اصلها
وهو على هذا يحتمل ان يكون بمعنى الابكار لما في من من العموم ثم انه اذا قلب
النون ميما على نهج الانقلاب التجويدي لا ياتي في قوله مم ثيب فلنا قال في مزيل

الخفا انه من باب الازواج والمشاكلة كما في قولهم ما قدم وما حدث
بضمهما مع ان حدث بالفتح فان قلنا انه انما قيل مم بكر بقلب النون ميما
لانها تعاقبها كثيرا كما في قولهم بيان وسلم ودان ودام كما قاله التجاني
لم يحتج لما ذكر وقوله فاصفعوع بهمزة وصل ثم صاد ساكنة ثم فاء مفتوحة
ثم عين مضمومة مهملة اي فاضربوع ويقال اسفعوه بالسين ايضا من
الصفع وهو الضرب واصله الضرب على الراس وقيل هو الضرب
ببطن الكف وضبطه بعض الشراح فاصفعوع بالفا بدل القاف كما نقله التلمساني
يقال صفعت فلانا اصفعه صفعا اذا ضربت قفاه بجمع كفي وهو
مصفعا بي يفعل به ذلك والعامة تقول لمن شرفت عما منه الله صفع
وهي استعارة تعامية ركيكة كما قال ابن نباتة رحمه الله تعالى

اسعت لشاشي الذي فد مضى ٭ وفاز به سارق حاشه
ووالله ما بي مما جرى ٭ سوى قولهم صعوا شاشه

وتطفل عليه الصفدي رحمه الله على عادته فقال

قد شرف الشاش بليل وما ٭ قدره الله مما يندفع
الحمد لله الذي لم يكن ٭ شاشي على راسي لما اصفع

والمراد هنا حد الجلد والمراد بالبكر غير المحصنات كما بين في الحدود واستفوضوه
عاما بهمزة وصل وسين مهملة وواو ومثناة فوقانية وفا وضاد معجمة بمعنى
اتقوع وعرفوع من وفضت الابل اذا تفرقت والعاع والسنة بمعنى هنا
وان كان الامام الشهيلي فرق بينهما في الروض الانف باعتبار اصل الوضع فان
السنة من دور الشمس الى عودها لمحلها لانها من سنى بمعنى دار ومنه السانية
والعام ما اشتمل على الفصول الاربعة بنمائها وهو من زنا مم ثيب اي محصنة
وتقدم ما فيه فاضرجوع بالاضاميم ضرجوع بضاد معجمة مفتوحة وراء مهملة
مكسورة مشددة وجيم مضمومة من التضريج وهو التذميه اي ارجموه
حتى يسيل دمه ويقتل قال ان بني ضرجوني بالدم
والاضاميم بفتح الهمزة والضاد المعجمة وميمين اولاهما مكسورة بينهما
تا مثناة ساكنة للحارة واحدها اضمامه بكسر الهمزة او ضمها وضم بعضها
كاقنوم سميت بها لانه يضم بعضها لبعض ويطلق على كل مجتمع من الناس وغيرهم
والمراد بالرجم الذي هو حد المحصن كما فصل في كتب الفقه واختلافهم في كون التغريب
من الحد او لا مشهور مر في الفروع شهرته تغني عن ذكره ولا توصيم في الدين توصيم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تفعيل من الوصم بالصاد المهملة وهو العيب والعار اى الاكبر والاعيب
والاعار ولا كسل في اقامة حدود الله فلا تخابوا فيهما وهذا في معنى قوله
تعالى ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله ولذا حرم الفقهاء الشفاعة في
الحدود دون التعزير ولا غمة في فرايض الله تعالى الغمة بضم الغين المعجمة
وتشديد الميم اي لا يخفى وتستر فرايضه تعالى بل تظهر ويجهر بها
اقامة واظهارا لشعاير الدين وهذا يقتضي ان اظهار الفرايض اكمل فينبغي
اظهار اداء الزكاة دون اخفائها ففوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما
هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم محمول على صدقة التطوع
فان الافضل اخفاؤها وقيل انه شامل للزكاة وقد يستحب اخفاؤها اذا خاف
الرؤيا ونحو وقيل انه يختلف باختلاف الاحوال والزمان ولو قيل ان المراد
هنا ان الحرامين والحلالين لم يحتج للتقييد ويؤيده انه روى هذا الاعمه
بفتح العين المهملة والميم المخففة والهاء اي لا حيرة ولا تردد فيها وروى لاغمه
بكسر الغين المعجمة وسكون الميم والدال المهملة ومعناها لا ستر ولا خفاء كتعمدنا
الله برحمته اي سترنا بها وكل مسكر حرام هذا حديث صحيح رواه مسلم وهو
وهو انه قال كل مسكر خمر وكل مسكر اي كل ما من شانه الاسكار فهو حرام
اي ولو قطرة منه والخلاف في المثلث بشروطه معلوم ويدخل فيه الحشيش
على الاصح والزركشي رحمه الله تعالى فيه تاليف مستقل واعاذكره هذا لانهم
سالوه وقالوا يا رسول الله ان شرابا يصنع بارضنا يقال له المرزوا البتع
واهل تلك الديار لهم ولع به فلذا بينه لهم والكلام على الحديث مفصل
في شرح مسلم ووايل ابن حجر تقدم بيانه يترفل على الاقيال يترفل بالواو
المهملة والفاء واللام والترفل اصله تطويل الرداء والثوب ومثله يكون
حرا اوعطة فاستعير او جعل كناية وهذا اظهر لجعله رئيسا عليهم محكما
فيهم وفي اخذ صدقاتهم لان الترفل للتعظيم والرييس والحاكم اعظم تجفل
هذا عبارة عن ان النبي صلى الله عليه وسلم جعله واليا على امورهم وقبض
صدقاتهم قال النجاني اي يتامر ولبتراس وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم في
كتاب اخر له وقد وجهه الى المهاجر بن ابي امية من محمد رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى المهاجر ابن ابي امية ان وايلا يستعمر ويترفل على الاقيال حيث كانوا
من حضرموت اي هو مستعمل على الصدقات واميرعلى الاقيال قال الشاعر
اذا نحن رفلنا امرا ساد قومه * وان لم يكن من قبل ذلك يذكر

وقد تقدم

وقد تقدم معنى الاقيال واصله من الترفل هذا الترفيل المذكور في العروض
وقوله ابن ابوامية كذا صحت روايته بحكاية اول احواله واشرفها كما يقال
على ابن ابوطالب قال النجاني وقريش لا تغير الاب في الكيفية فتجعله بالواو
في احواله الثلاثة وحكاه ابوزيد عن الاصمعي في نوادره فليس بلحن كما يتوهم
كما يقولون يا زيد فهذه لغة خامسة لكنها لكونها مخصوصة بالكنية
لم يذكروها ابن هذا من كنا به صلى الله عليه وسلم لانس رضي الله عنه في الصدقة
المشهور ابن استفهاما عن المكان والمراد ان بينهما بون وفرق فان زال جاء بلغة
اهل اليمن وهذه البلغة قريش وتهامة المالوفة بينهم ففيه اشارة الى فصاحته
صلى الله عليه وسلم ومعرفته باللغات وخطاب كل احد بلسانه ولغته وهذا
اشار الى الكتاب الذي دفعه ابوبكر رضي الله تعالى عنه لانس رضي الله تعالى
عنه حين ارسله في خلافته الى البحرين وامره ان يعمل به وهو من كلام رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبعضهم وقفه على ابوبكر رضي الله تعالى عنه وبعضهم
رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال انه كان عند ابي بكر رضي الله تعالى عنه ولما
ولاه دفعه اليه خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الكتاب ذكره البخاري
في صحيحه والنساي وابوداود والترمذي وغيرهم على اختلاف بينهم في كثير
من الفاظه والبخاري ذكره مفرقا في كتابه ولم يخرجه مسلم واختلف في سبب
تركه مع صحته وشهرته فقيل لاختلافه في كونه من كلام النبي صلى الله عليه وسلم
او من كلام ابي بكر رضي الله عنه وقيل لاختلافه في المحدثين في الكتاب والعمل به
وان كان الاصح انه يعمل به ولا فرق بينه وبين غيره من الاحاديث وله طرق
مختلفة واوله بسم الله الرحمن الرحيم هذه فريضة الله التي فرضها رسول الله
صلى الله عليه وسلم على المسلمين على وجهها فليعملها ومن سئل فوقها
فلا يعطه فيما دون خمس وعشرين من الابل الغنم في كل خمس ذود شاة فاذا بلغت
خمسا وعشرين ففيها بنت مخاض وبقية الكتاب مذكور فيه احكام الزكاة وهو
مذكور في المطولات ولكن ذكرنا هذا المقدار منه تبركا لان التبرع تدل التبرع وقيل
الخفا قيل لم يكتب النبي صلى الله عليه وسلم الى انس وانما ابوبكر رضي الله تعالى عنه
وهو الذي كتب اليه واجيب بان الدارقطني ذكر باسناد صحيح رواية
هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ابوداود عن ابن عمر رضي الله تعالى
عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب كتاب الصدقة ولم يخرجه الى حياته فعمل به ابو
بكر رضي الله تعالى عنه ثم بعده عمر رضي الله تعالى عنه وعلى هذا ففي كلام المصنف

رحمه الله تقدر ذلك ليكون خصوص الواقعة اي في كتابه الذي كتبت نسخته لانس
رضي الله عنه لما في صحيح البخاري ان انسا حدث ان ابا بكر كتب له هذا الكتاب لما وجهه
الى البحرين ثم ان المصنف رحمه الله بين وجه التباين لما كان كلا وهؤلاء الاشارة
الى جميع من تقدم من الانصار وقريش واهل نجد واهل الحجاز والهدايين
والمهدين او الى الاخيرين لقربهم على هذا الحد اي على هذه الصفة قال الواغب
حد الشئ الوصف المحيط بمعناه المميز له عما عداه وبلاغتهم على هذا النمط او
على هذه الطريقة واكثر استعمالهم هذه الالفاظ استعمالها معهم يعني ان استعمال
هذه الالفاظ مع من هي لغتهم لا تخل بالفصاحة بل هو اعلى طبقاتها وان كان فيها
ما هو غريب وحشي بالنسبة لغيرهم فان الجاحظ نص في التبيان على ان كلام اهل
البادية الوحشي بالنسبة لهم فصيح وان كان كلام اهل المعاني قد يوهم خلافه
وان يخل بالفصاحة مطلقا وهذا مما عقلوا عنه وله هذا افضل بديع منه مراعاة
معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن
حقهما ان تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما ولا تعقود من اجله ان تكون اسولحاله
منك قبل ان تلتمس اظهارهما فكن في ثلاث منازل اولها ان يكون لفظك رشقا
عذبا رفيقا سهلا ويكون معناه ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا اما عند
الخاصة ان كنت للخاصة قصدت واما عند العامة بان تكون العامة اردت
والمعنى ليس بشرف بان يكون من معاني الخاصة ولا يتضع بان يكون من معاني
العامة وانما مدار الشرف على الصواب واحراز المنفعة مع موافقة الحال وما
يجب لكل مقام من المقال الى اخرها فصله ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث
الناس بما يجهلون اشارة الى انه لما كان مبعوثا لجميع الناس كان يتكلم بكل لغة
مع اهلها لانه ابلغ في الابلاغ وانفع وكقوله صلى الله عليه وسلم في حديث
عطية السعدي منسوب لقبيلة بني سعد بن بكر وفي العرب سعود غيرهم
سعد تميم وسعد قيس وسعد هذيل وسعد بكر فهو لاء وغيرهم وعطية هذا هو
ابن عروة السعدي ويقال عطية ابن عامر ويكنى ابا محمد روى عنه اهل اليمن
والشام وهو جد عروة ابن محمد ابن عطية روى ابن عبد البر بسنده الى عروة
ابن محمد ابن عطية قال حدثني ابي ان اباه حدثه انه قدم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم في نابر من بني سعد قال وانا اصغرهم فخلفوا في رحالهم ثم اتوا صلى الله
عليه وسلم فقضى حوايجهم ثم قالوا هل بقي منكم احد قالوا يا رسول الله غلام من خلفنا
في رحالنا فامرهم ان يبعثوا اليه فاتوا الي وقالوا الجب الى رسول الله صلى الله عليه

وسلم فاتيته فلما رآني قال ما اغناك الله فلا تسأل الناس شيئا فان
اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة تمامه
وما ال الله مسئولا ومسطاورى يود ل وينطى وهذا حديث صحيح رواه الحاكم
وصححه من طريق عروة وتمامه كما رواه الواقدي في قصة وفود السعديين عن
ابن النعمان منهم عن ابيه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاد
الى ان قال ثم انصرفنا الى رحالنا وقد كنا خلفنا عليها اصغرنا فبعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم في طلبنا فاتى بنا اليه فتقدم صاحبنا فبايعه على
الاسلام فقلنا يا رسول الله انه اصغرنا وخادمنا فقال اصغر القوم خا
بارك الله عز وجل عليه فكان والله خيرنا وقرانا للقران لدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم له ثم امره رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فكان منا
ولما اردنا الانصراف امر بلالا رضي الله عنه فاجزنا باواقي فضة لكل رجل
منا فرجعنا الى قومنا فرزقهم الله الاسلام وهذا يشعر بانه كان امير القوم
واذ كاهم فلذا نصحه النبي صلى الله عليه وسلم بما ذكره المصنف رحمه الله قال
اي عطية السعدي فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا ورواه
السيوطي رحمه الله تعالى في تخريجه فكلمني ولا تخالفه رواية المصنف لانه
صلى الله عليه وسلم القى اليه الكلام وتوجه اليه لما تفرس فيه الخير لخائل نجابته
والقوم يسمعون فيصح ان يقال كلمهم وكلمه وقيل اراد بقوله كلمنا نفسه
بنون العظمة اظهارا لانعام الله تعالى عليه بخطاب النبي صلى الله عليه وسلم
له وجعله اليه وتاميره عليهم والمقام باباه وقوله بلغتنا اي بلغة بني سعد
لانهم كانوا يقولون انطى بنطى انطا بمعنى اعطى ولاينافيه ما قيل انها لغة
يمانية لانه يجوز كونها لغة لهما وقال التلمساني قيل لغة حمير انط بمعنى اسكت
وكتب رجل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فدخل اخر فقال له صلى
الله عليه وسلم انط اي اسكت ستر السوة واليد العليا اليد المعطية والسفلى
يد السائل الاخرة وهي المعطاة وقد جا تفسيرهم بذلك في حديث اخر وهو انه
صلى الله عليه وسلم قال على المنبر وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسئلة اليد
العليا خير من اليد السفلى والعليا المنفقة والسفلى السائلة وهو حديث
صحيح رواه الشيخان والمنفقة بنون وفاء وقاف ويروى المتعففة بعين
وفاء بن اي التي لا تسأل احدا وقيل المنفعة بتشديد الفاء وقيل يد الله فوق
يد المعطي ويد المعطي فوق يد المعطى بالفتح فهو اسفل الايدي والايدي ثلاثة

وقيل اليد السفلى الآخذة بسؤال ودونه وما قيل ان هذا لا ينبغي لان الصدقة تقع اولا في يد الله ليس بشئ لان هذا ليس على حقيقته لان المراد انها تقبلها ويذخرها له وقيل اليد العليا المعطية والسائلة المانعة وقيل اليد العليا يد الغفير لتحصيلها الثواب لصاحب المال ودفع البلاغة واختاره بعض مشايخ الصوفية فيده افضل عند الله قال ابن قتيبة وما ارى هذا الا كلام قوم استحبوا السؤال وحسنوه وكل هذا متحمل بعد التصريح بتفسيره في الاحاديث الصحيحة وان قيل فيه انه مدرج والخلاف مبني على ان المراد بالعلو المحسوس بنا على الغالب او المعنوي من علو الشرف كما قال الشاعر

اذا كان باب الذل في جانب الغنا سموت الى العليا في جانب الفقر

والتعبير عن المعطي بالمنفق ويد العليا بنا على الغالب المتبادر فلا يقال يد السائل قد تكون فوق اذ الاخذ من كفه وان المنفق قد لا يكون منصدقا وان الآخذ قد لا يكون سائلا بان يعطى ابتداء والسائل قد لا يكون منصدقا عليه كسائل القرض وغيره وهو ظاهر لا ينبغي التطويل بمثله وتحصل في الحديث ثلاثة اوجه احدها ان معناه يد المعطي ويد السائل بطريق الكناية الثاني ان معناه المنفق والآخذ الثالث عكس الاول والاصح رواية ودراية وبقي وجه اخر وهو ان يراد بالعلو ومقابلة العلو المعنوي لعلو رتبة المنعم وانحطاط رتبة الآخذ وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث العامري حين سأله النبي صلى الله عليه وسلم العامري نسبة لعامر اسم قبيله وتسمى بنو عامر سموا باسم جدهم كتميم وكانوا وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم عامر بن الطفيل واريد وتواعدا ان يقتلاه صلى الله عليه وسلم غيلة فهلكا في الطريق لما رجعا من عنده صلى الله عليه وسلم وقد عصمه الله وجاء اما اريد فاصابته صاعقة اهلكته واما عامر فاصابه طاعون مات فيه في بيت امرأة سلولية وسلول قبيلة مذمومة مستردلة عند العرب وكان يقول الغدة كغدة البعير وموت في بيت امرأة سلولية فجرت مثلا لاجتماع امرين حقيرين واريد اخو لبيد الشاعر وقد حكاه هداه الله للاسلام بعد موت اخيه اريد وحسن اسلامه ولم يقل شعرا بعد اسلامه بعد غير قوله

الحمد لله اذ لم يأتني اجلي ٭ حتى اكتسيت من الاسلام سربالا

وهذا العامري اسمه عطية توفي في حدود الثمانين وفي العقد لابن عبد ربه ات

اسمه لقيط ابن عامر ابن المنتفق وساق له حديثا على وجه اخر سل عنك بفتح العين وسكون النون عن الجار وكاف خطاب هذا الحديث رواه ابو نعيم في الدلائل عن شداد ابن اوس ولم ار من صحح لغة بني عامر هذه وبين وجهها ورايت في شرح ديوان الاعشى في قوله

فاذهبي ما اليك او دكين الحلم قد عداني لحاكم اشتعالي

ان العرب تقول اذهب اليك وسر عنك بزيادة اليك وعنك انتهى والمصنف رحمه الله لغة واسع الاطلاع لو لم يقف على ان على هذه لغة لبني عامر لم يذكرها ووجه البلاغة فيها انها جعلت كناية عن سل عن كل شئ فان كل احد ادرى بنفسه فاذا امره بسؤاله عنها فكانه قال له انا اعلم بك منك واذا كان كذلك فهو عليم بجميع احواله وهذا يدل على المراد بطريق برهاني بليغ اي سل عم شئت وهي لغة بني عامر عم وقع في بعض النسخ عما بالالف وفي بعضها عم بدون الف والاولى اولى لانها موصولة كما لا يخفى وان اردت تحقيق هذا المقام فاعلم ان ابن قتيبة قال في ادب الكتاب اذا جررت ما الاستفهامية بحرف جر سقطت الفها فرقا بينها وبين الموصول الاتم شئت فان العرب تقول ادع بمن شئت في الموصولة والاستفهامية فان جررت باسم مضاف لم تحذف في شرح الليلى اما اذا كان الجار لها اسما متمكنا لم يفعلوا ذلك وقول العرب محرم ومثل مر شاة وانما حذفت مع الحرف تخفيفا فرقا بين الاستفهام والخبر وخص الاستفهام لانه اسم تام فصارت مع الحرف كاسم واحد فحذف الالف لطول الاسم وجاء نادرا سل عم شئت فان جره اسم متمكن لم يفعلوا ذلك وجاء مع بعد وعلى لعدم تمكنها فالحقا بحروف الجر وقول العرب مجرم حيث ومثلم ان شاذا انتهى وهو تفصيل نفيس قل من حرره هذا التحرير ومنه عرفت ان قوله عم شئت صادق بمحو وانه لا يرد علي مما قالوه وفي شرح التسهيل لابي حيان ان الاخفش قال في الاوسط انا وقد ذكر ان كثيرا يقولون سل عم شئت كانهم حذفوا الفها لكثرة استعمالهم اياها انتهى وحينئذ لا حاجة الى ما قيل ان المصنف رحمه الله وقف على انها لغة لبني عامر فقد جانس المفسر والمفسر وما قيل من انه لا وجه لهذه النسخة من قصور النظر وقصر بالاطلاع واما كلامه المفاد اي كلام النبي صلى الله عليه وسلم الذي اعتاده في مجالسه مع قومه واهل ارضه وغيرهم وفصاحته المعلومة لكل احد من كلامه وجوامع كلمه كما ورد في الحديث الصحيح اوتيت جوامع الكلم والجوامع جمع جامعة اي كلمة

جامعة لوجوه الفصاحة والكلم اسم جنس جمعي لكلمة لا جمع ولا اسم جمع على الاصح
والمراد ان الله تعالى من عليه صلى الله عليه وسلم باقداره والمراد ان الله تعالى من
عليه صلى الله عليه وسلم باقداره على التكلم بكلمات بليغة جزلة حاوية لمعان نافعة
من المواعظ ونحوها وقيل المراد بها القران والاصح الانسب بالمقام الاول وقول
الهروي معنى جوامع الكلم كلمة القران جمع الله له فيه معان كثيرة في الفاظ يسيرة
وكلامه صلى الله عليه وسلم كان كذلك عرفت ما فيه وقال ابن شهاب بلغني
ان جوامع الكلم ما جمعه الله تعالى من الكتب التي كانت قبله في الامر الواحد
والامرين ونحو والحاصل انهم عدوا من فضايله صلى الله عليه وسلم وكمالاته
انه كان يتكلم في محاورته بقليل الالفاظ المحتويه على المعاني التي لا تحصر
لمقاومنه ما ورد في الحديث ان الله صلى الله عليه وسلم كان ينتخب الجوامع
من الدعاء وهو ما يجمع الاغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة او ما
يجمع انواع السؤال واداب المسالة كما قلت في قصيدة في مدحه صلى الله
عليه وسلم وجوامع الكلم التي فتحت له * سجدت لها البلغاء الاقلام
وحكمه المأثورة هو من الاثر وما يدل على الشيء من اثاره وعلاماته ومنه
اثرت العلم اذا رويته اثره اثرا واثارة واثرة اذا تتبعت امره كما قاله الراغب
فالمأثورة المقتولة المروية والحكم جمع حكمه وهي الكلمات النافعة فتشمل
الموالفظ فهي اعم من جوامع الكلم فقد الف الناس فيها الدواوين الفاجواب
اما والضمير للحكم والمذكورات كلها والمراد بها هنا الكتب المستقلة جمع
ديوان بكسر الدال وفتحها لغة وقال ابو عمرو انه خطا ولو صح كان جمعه
دياوين ولم يسمع كما قاله الجواليقي وفي الاحكام السلطانية الديوان موضوع
لحفظ الاموال والاعمال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال ووجه التسمية
بذلك ان كسرى اطلع عليهم وهم يحسبون مع انفسهم فقال ديوانه اي مجانين
ثم خفف بحذف الهاء وقيل ان الديوان بالفارسية اسم للشياطين جمع ديو
بكسر الدال والالف والنون علامة للجمع في الفارسية كزاهد وزاهدان فسموا
الحذقة بالامور وفوقهم على الجبلي والخفي ثم سمي به مكانهم واول من وضع الديوان
عمر رضي الله تعالى عنه وهو معرب كما قاله الجواليقي واطلق الدفتر ثم
قيل لكل كتاب وقد يختص بالشعر لشاعر معين مجازا وشاع حتى صار
حقيقة فيه مما فعاينه خمسة الكتبة ومحلهم والدفتر وكل كتاب ومجموع
الصحف وجمعت في الفاظها ومعانيها الكتب المراد كتب الحديث المسندة وغيرها

وشرحها وجمعت مبنى للمفعول فلا وجه لما قيل ان الالفاظ قوالب المعاني
فتبقى تجرد تعنها كانت مهملة ومنها ما لا يوازى فصاحة يوازى مبنى المجهول
اي يماثل ويقابل ويساوى من الموازاة وواو مبدلة من الهمزة يقال اوزى
الشيء يلوزيه اذا حاذاه وفي شرح الكرماني للبخاري ازيته ولا وازنه يعني
لا يقال ذلك في ماضيه واما المضارع فيجوز ابدال الهاء فيه واوا لانضمام ما قبلها
فتدبر ولا يبارى بلاغة اي لا يعارض فيوتى بمثله وهو مجهول بضم المثناة التحتية
والموحدة وراء مهملة بين الفين وانما لم يمكن معارضته لقربه من مرتبة الاعجاز
فتى تعريه بالموازاة في الفصاحة وبالمباراة في البلاغة حسن ولا يخفى وجهه
فلا يرد عليه ان الذي لا يعارض هو الكلام المعجز والاعجاز مختص بالقران كما
توهم وفصاحة وبلاغة منصوبان على التمييز كقوله صلى الله عليه وسلم
المسلمون تتكافى دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم التكافو
التماثل من الكفو بالهمزة وهو المثل اي هم متساوون في القصاص والدية فشريفهم
ومشروفهم وصغيرهم وكبيرهم وفقيرهم وغنيهم واميرهم وسوقتهم وهذا
كقوله النفس بالنفس خلافا لما كان عليه الجاهلية من قتل الجمع الكثير بالواحد
كما في قصة كليب وغيرها فجاء الشرع بابطاله فلا تقتل الجمع بالواحد الا ان تواطيوا
عليه وكان فعل كل واحد منهم يقتل لو انفرد وبهذا الحديث استدل على ان المسلم
لا يقتل بالكافر لا بناء على ان العمل بمفهوم المخالفة بل لما ورد من التصريح في الاحاد
كقوله صلى الله عليه وسلم لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده والقائل
بانه يقتل المسلم بالكافر الذمي قال المراد بالكافر هنا الحربي وفي وجه التخصيص
كلام الفقهاء والاصوليين وقد انفرد بهذا الحديث بحزم ومستقل وهذا اخرجه
ابو داود والنساي عن علي كرم الله وجهه وصححه والى عدم قصاص المسلم
بالكافر ذهب ابو حنيفة خلافا للشافعي وتساوي دمائهم كناية عن التساوي
في القصاص والدية كما مر وقوله ويسعى بذمتهم ادناهم المراد بالذمة العهد
والامان فانه اذا امن احد من المسلمين واحدا من الكفار كان ذلك جاريا على
جميع المسلمين لا يجوز نقضه لاحد منهم وادناهم اقلهم مقدارا فيشمل كل
وضيع بالنص وكل شريف بالفحوى فيدخل فيه الصبي والمراة واختلف
في امان العبد فقيل يقتل وقيل ان كان مقاتلا جاز والا فلا والصبي قيل ان
امانه يقبل وقيل ان كان مراهقا قبل والا فلا والمجنون لا يصح امانه بلا خلاف
ومنهم من استثنى الاجراء والاسراء في دار الحرب ومعنى يسعى يباشر ويفعل وقوله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهم يد على من سواهم في النهاية معناه انهم مجتمعون على اعدائهم يعاون
بعضهم بعضا فلا يخذله فجعل ايديهم كانها يد واحدة في الاتفاق ولذا لم يقل
ايدي واليد تستعمل في القهر والقوة والقدرة اي هم مسولون قاهرون لغيرهم
من اهل الملل فهم في الاتفاق كاليد الواحدة وهو تشبيه بليغ او استعارة وفي هذا
الحديث ورود عليهم اقتضاهم وتفسيره مذكور في كتب الحديث وقوله صلى الله عليه
وسلم الناس كاسنان المشط مناسبة لما قبله ظاهره والمشط بضم الميم وكسرها
وفتحها وشينه مثلثة ايضا ويقال ممشط كمنبر وهو آلة معروفة يسرح بها
الشعر وهذا مثل كذا في الشروح وهذا الحديث اخرجه ابن لال عن سهل بن سعد
في مكارم الاخلاق واعترض على هذا التفسير وجعله نظيرا لما قبله بان
تفاوت الناس في الاخلاق مقرر فالظاهر ان المراد تساويهم في الاحكام الشرعية
والمراد بالناس المسلمون لان غيرهم لا يساويهم في الانساب فانهم كلهم اولاد آدم كما قال
تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الى آخره فالمراد نفي ما كان عليه الجاهلية
من التفاخر بالنسب فلا شرف الا بالعلم والتقوى كما ورد في الحديث يا ايها الناس
ان ربكم واحد وان اباكم واحد لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي الا بالتقوى
وفي معناه ما نسب لعلي كرم الله وجهه

الناس في عالم التمثيل اكفاء ابوهم آدم والام حواء
وقدر كل امرء ما كان يحسنه والجاهلون لاهل العلم اعداء

والشعر بتمامه مشهور وليس المراد ان النسب لا يعتبر مطلقا والمرء مع من احب
رواه الشيخان عن انس رضي الله تعالى عنه وغيرهما وهو حديث صحيح يروى
من طرق منها ما اسنده الى ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال جاء رجل الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف تقول في رجل احب قوما ولم يلحق بهم
فقال المرء مع من احب فمن احب الابرار فهو من الابرار ومن احب الفجار فهو مع
الفجار وفي الحديث لا يحب الرجل قوما الا حشر معهم وفيه يحشر المرء مع خليله
فليبطر مع من يحالك وروى من يحال بالتشديد ومصادقة قوله تعالى
ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا وامثاله كثيرة لا تحصى
والمرء بمعنى الرجل والمراد به هنا مطلق الانسان الشامل للمرء والمراة بطريق
التغليب ويحتمل التخصيص لان المراة تحشر مع زوجها ولو احبت غيره لله تعالى
والمراد المعية في الحشر ومنازل الآخرة فبر تقي من منزلته لمنزلتهم بسبب خلوص

المحبة قال الغزالي رحمه الله تعالى وهذا المناسبة روحانية باطنية خفية
واسباب لا يطلع عليها كما ورد في الحديث لو ان مؤمنا دخل مجلسا فيه مائة منافق
ومؤمن واحد فجاء حتى يجلس اليه فالمعية لدنو وقرب ديني لا في مجرد الاكرام
وصدر فضلا من الله لا يعلمه الا الله ولذا قال في الآية السابقة ذلك الفضل
من الله وكفى بالله عليما وان لم يعلم عمل من احبه ولو كانت المعية في مطلق
الاكرام نال كل مؤمن صالح وان لم يحب فان قلت من اخلص محبة رسول الله صلى الله
عليه وسلم كيف يكون معه وقد خصه الله تعالى بدرجة رفيعة لا يصل
اليها احد وهذا هو الداعي لمن جعل المعية في مجرد الاكرام بقطع النظر
عن خصوص المرتبة قلت هذا ارتضاه بعضهم وقد عرفت ما فيه
وقد ارتضى غيره خلافه وقال صلى الله عليه وسلم كما قيل اليتيم كهاتين ولا
يلزم مساواته من كل الوجوه وقد اطال في الشرح الجديد هنا بما لا محصل له على
عادته ويجوز ان يراد بكونه معه كونه في الجنة ولابن حجر رحمه الله تعالى

وقائل هل عمل صالح اعدته ينفع عند الكرب
فقلت حسبي خدمة المصطفى وحبه فالمرء مع من احب

وقلت انا

وحق المصطفى لي فيه حب اذا مرض الرجا يكون طبا
ولا ارضى سوى الغر وس ماوى اذا كان الفتى مع من احبا

ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له هو حديث رواه ابن عدي في الكامل
بسند ضعيف كما قاله السيوطي في تخريجه واوله كما قاله التلمساني المرء
على دين خليله ولا خير في صحبة من لا يرى لك من الخير مثل ما ترى له وروى من لا يرى
لك مثل ما يرى لنفسه قال وروى يرى بالياء والتاء والبناء للفاعل والمفعول
والصحبة بضم الصاد وسكون الحاء المهملتين والموحدة مصدر كالرفقة اي
يكون عنده من الرغبة والمودة هو النفع مثل ما عندك كما قال ابن الاحنف
اذا كان لا يدنيك الا شفاعة ولا خير في ود يكون بشافع

والناس معادن رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه الناس
معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا
فقهوا والارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف
والمعادن جمع معدن بكسر الدال وفتحها حطا منبت الذهب والفضة ونحوهما
من عدن بمعنى اقام لاقامة اهله فيه او لاتيانه فيه ويطلق على مكان كل شيء فيه

اصله وعلى كل اصل وعلى بيوت العرب يعني صلى الله عليه وسلم بذلك ان بني آدم يختلفون باختلاف اصلهم فمن كان اصله شريفا اعقب مثله وسرى عرقه فيه ومن كان دون ذلك كان عقبه مثله ومن كان خبيثا الا ترى ان الشجرة الكريمة تنبت فرعا طيبا وثمرة خبيثة وضدها كذلك فعروق الحنظل لا تنبت الا حنظلا ولو سقيت شهدا او منبت الذهب لا يتكون فيه الحديد والنحاس لكن خيارهم حسبا لا يصير خيارا في الاسلام الا بالتقوى والعفة والعلم فاذا كان كذلك طاب اصلا وفرعا والا فلا ينفعه حسبه كابي جهل لعنه الله واضرابه وههنا نكتة وهي انه صلى الله عليه وسلم قال كمعادن الذهب والفضة ولم يذكر معادن غيرهما من الامور الخسيسة كالحديد والملح اشارة الى ان خلقة الانسان وجبلته خلقت على الكرم والشرف كما قال تعالى ولقد كرمنا بني آدم وقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وقوله فقهوا بضم القاف من الفقه وبكسرها بمعنى الفهم ويجوز في الاول الكسر ايضا والفقه حذق الرجل بما يعلمه وعلمه وفهمه ثم صار بعلم الشريعة مطلقا ولذا قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى هو معرفة النفس ما لها وما عليها وسمى كتابه في العقايد الفقه الاكبر ونقل لعلم الفروع وتفريعه والكلام عليه مفصلا في كتب اصول الفقه وقوله الارواح جنود مجندة يعني انها خلقت قبل الاجساد اقساما مجتمعة فمن وافقت روحه الروح التي هي من قسمه الفتها كما قال ابو نواس

ان النفوس لارواح مجندة * لله في الارض بالاهوا تأتلف

فما تعارف منها فهو موتلف * وما تناكر منها فهو مختلف

ومن جوامع الكلم قوله صلى الله عليه وسلم وما هلك امرء عرف قدر قال السيوطي قال السمعاني رحمه الله تعالى انه حديث روي مسندا عن علي كرم الله وجهه وفي سنده من لا يعرف حاله وقال النجاني لا اعرف له سندا صحيحا الى النبي صلى الله عليه وسلم وانما هو من كلام اكثم بن صيفي في وصية فان ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فلعله تمثل به واكثم هذا ممن ضرب به المثل في بلغاء العرب وعده بعضهم في الصحابة والاكثر على خلافه وفي كلام كتاب جوامع الكلم وابدايع الحكم هو من كلامه صلى الله عليه وسلم وذكره مسندا يعني ان من عرف مقدار نفسه ونزلها منزلتها نجا في الدنيا والاخرة من الهلاك ومن تعدى ومن تعدى طوره فتكبر ورفع نفسه فوق حده هلك وهو ظاهر والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم المستشار اسم مفعول من المشاورة وسببه الطلب اي طلب راي من يشاور وسياتي ان المشورة

بفتح الميم وسكون الشين وان الاوضح فتحها وضم الشين وكلاهما جايز بمعنى الشور من شار العسل اذا جناه واشتاره اجتناه لانه يراه الصواب كانه اطعمه شهدا او من شار الدابة اذا عرضها وميز المسوار المكان تعرض فيه الدواب والعامة تطلقه على جريها من الطلاق اسم الحال على المحل فاختر لنفسك ما يحلو فسميت بها العرض امر من على من استشاره وانما كان المستشار مؤتمنا لانه اوعى وعسى وما خفي من امر وجعله امانة عنده فعليه ان يحفظه ولا يظهر وان ينصحه فيما استشاره فيه وقد امر النبي صلى الله عليه وسلم بالمشاورة ونهيك بعلو مقامه ومعرفته بعواقب الامور حتى قيل انها كانت واجبة عليه في الحروب تشريعا لامته صلى الله عليه وسلم وتطييبا لقلوب اصحابه رضي الله تعالى عنهم كما قيل

شاور صديقك في الخفي المشكل * واقبل نصيحة فاضل متفضل

فالله قد اوصى بذاك نبيه * في قوله شاورهم وتوكل

وقوله وهو بالخيار الى اخره معناه انه مخير ان شاء اشار عليه بما شاور وان شاء سكت ولم يتكلم فاذا تكلم لزمه بيان رايه ونصحه وذكر الصواب عنده وهذا الحديث اخرجه احمد عن ابن مسعود رضي الله عنه ولفظه المستشار مؤتمن وهو بالخيار ان شاء تكلم وان شاء سكت فان تكلم فليجتهد رايه اي فليبالغ في اجتهاده في رايه ويفكر في الصواب فيه واخرج صدره فقط الاربعة من حديث ابي هريرة رضي الله عنه والحاكم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما من جوامع الكلم النبويه قوله صلى الله عليه وسلم رحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم هذا الحديث اخرجه ابو الشيخ عن ابي امامة رضي الله تعالى عنه والديلمي عن انس رضي الله تعالى عنه لكنه رواه رحم الله امرأ بكر لعبدا والعسكري ايضا رواه عبدا امرؤ عا عن انس ايضا وله شواهد وروايات تقويه وتصححه فرواه البيهقي في الشعب والخرايطي في الاخلاق اما كونه اذا قال خيرا كالعلم والذكر والغطة فانه يغنم الاجر والذكر الجميل وربما يجعل المغنم في الدنيا وقوله او سكت اي عن خلاف الخير فيسلم من وباله وما ومايندم عليه كما لا يخفى واسلم تسلم يوتك الله اجرك مرتين من حديث رواه الشيخان في كتابه الذي كتبه صلى الله عليه وسلم لهرقل ملك الروم وروى اسلم تسلم واسلم يوتك الله اجرك مرتين الى اخره وهو ظاهر وعلى الاول فالثاني يدل مما قبله او جواب بعد جواب او مجزوم بجازم مقدر فيه من البدايع التخييل والا تسلم والا يجار ومعناه تسلم من عذاب الدارين ومن ذل الجزية ويوتك الله اجرين اجرا بما علمك عيسى عليه الصلاة والسلام وايمانك به واجرا اعظم منه بالاسلام واتباع

شبكة الألوكة
www.alukah.net

خير النبيين عليه أفضل الصلاة والسلام ومرتين منصوب على الظرفية
وهذا كما ورد في حديث آخر ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين فذكر منهم رجل من أهل
الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به الى آخره بخلاف
المشركين وكتابه صلى الله عليه وسلم لهرقل كان في سنة ست حين مادّ قريشا
وقيل في سنة خمس وصورته بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى هرقل عظيم الروم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك
بدعاية الاسلام اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرتين الى آخره وهو مذكور في
الصحيحين مشروح في شروحهما والدعاية بكسر الدال مصدر بمعنى الدعوة وكتب
الى المقوقس فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
المقوقس وقال فيهما عظيم الروم وعظيم القبط لانه لا يستحق ذلك ولم يقل ملك
الروم ولا ملك القبط لانه لا يستحق ذلك العنوان الا من كان مسلما وجمع ذلك
فلم يجل بتعظيمها تلبيسا لقولهما في أول الدعوة الى الحق وهرقل بكسر الهاء
وفتح الراء المهملة وسكون القاف كما قال الجوهري
وأرض هرقل قد هرقت وداهرا ويسعى لكم من آل كسرى النواصب
وقيل انه بسكون الراء وكسر القاف ولعلها لغة فيه لتلاعبهم بالاعجمي وهو
علم ممنوع من الصرف ولقبه قيصر ويلقب به كل من ملك الروم كما مر ولم يقل ويوتك
بالعطف لتكرار اسلم لفظا أو تقديرا في حقه صلى الله عليه وسلم على الاسلام ومناسبة
تكون أجرهم مرتين وليكون له أجران ايضا والامر الأول للدخول في الاسلام والثاني
للدوام عليه ووصل له الكتاب مع دحية رضي الله تعالى عنه وهو في المحرم سنة
سبع فلما قرأه كتب الى النبي صلى الله عليه وسلم انى مسلم ولكني مغلوب فقال صلى الله
عليه وسلم كذب عدو الله انه على نصرانيته وقيل انه أمن قال ابن عبد البر كيف هذا
وقد قاتل صلى الله عليه وسلم ان يأتيه في العام المقبل فنزل النبي صلى الله عليه وسلم
لاجله الى تبوك فلم يجئ ثم اخذت البلاد منه فمات بالقسطنطينية الى ان هلك
على نصرانيته سنة عشرين ولذا لم يلقبه الرسول صلى الله عليه وسلم بالملك مع
انه اعترف بانه مغلوب والمتغلب معزول عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى ففي هذا
اخبار بالغيب فان قلت قوله تعالى اولئك يؤتون أجرهم مرتين نزلت في أهل
الكتاب بين التوراة والانجيل وهو في النصارى صحيح واما في اليهود فلا
اذ لا يؤجرون على دينهم بعد نسخه بشريعة عيسى صلى الله عليه وسلم قلت
قد ثبت انها نزلت في عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه واضرابه ممن اسلم من اليهود

الصحابة رضي الله تعالى عنهم
بتوفيق ورواعد النبي صلى الله عليه

واستمر قبل دالة على اليهود ولم يتبع عيسى عليه الصلاة والسلام فقيل انهم لا يمانهم
بمحمد صلى الله عليه وسلم ودينه يؤجرون عليه وان كان دينهم منسوخا واما القول
بانهم لم تبلغهم دعوة عيسى عليه الصلاة والسلام فبعيد ولانهم ماولين بانه مبعوث
لبني اسرائيل خاصة وهم من العرب لا سيما وهم ينكرون النسخ واما القول بانها نزلت
في كعب الاخبار فغير صحيح لانه ليس له صحبة ولم يسلم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
الا ان يؤول بانها نزلت في امثاله ممن امن من اهل الكتاب وهو بعيد وقال الكرماني
رحمه الله تعالى ان هذا مخصوص بمن امن به صلى الله عليه وسلم في عصره لان من بعده
ينسخ دينه ويلغو دعوة الاسلام وصحح غيره انه عام لكل من اسلم من اهل الكتاب
لما مر وبه افتى الامام البلقيني فلا اشكال وان احبكم الي واقربكم مني مجالس
يوم القيامة احاسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يألفون ويؤلفون هذا
ايضا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم وبدايع حكمه وهذا ايضا الحديث
رواه الترمذي عن ابن مسعود وعن جابر رضي الله عنهما ورواه الطبراني وزاد فيه
وان ابغضكم الي وابعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرارون المتفيهقون المتشدقون
وزاد غيره المساوون بالتسمية المتربون بين الاحبة الملتمسون للبراء العيب وافتصر
المصنف رحمه الله تعالى على بعض وفيه روايتان مختلفة بالزيادة والنقص
واحبا فعل تفضيل من المبني للمجهول وفعله ثلاثي لانه يقال حبه بمعنى احبه فهو
محبوب وان كان قليلا وصوغه من المجهول مقصور على السماع في الاصح ومجالس جمع مجلس
وهو محل الجلوس منصوب على انه تمييز والتمييز يجوز افراده وجمعه كما بينه النحاة
ونسبته القرب لها كناية عن رضاه عنهم وشفاعته صلى الله عليه وسلم لهم في الموقف
والاحاسن جمع أحسن افعل تفضيل وجمع لمطابقة ما هو له وهو المضاف اليه
واستدل النحويون بهذا الحديث على ان افعل التفضيل اذا اضيف لمعرفة يجوز
ان يطابق موصوفه وان لا يطابقه لافراده أحب واقرب وجمع احاسن بخلاف
ما اذا اضيف لنكرة فانه يلزمه الافراد والتذكير ولا حاجة الى القول بانه انسلخ
عن معنى التفضيل وصار بمعنى حسن وان ورد كثيرا في كلامهم كما قاله ابن مالك
رحمه الله تعالى بناء على ان الاحبية وكثرة الثواب يحسن الخلق في الجملة والاخلاق
جمع خلق تقدم بيانه والموطئون بضم الميم وفتح الواو والطاء المهملة المشددة
وبعدها همزة مضمومة جمع موطأ اسم مفعول وقال البرهان الحلبي انه في الاصل
الذي وقف عليه بفتح الطاء من غير تشديد وهو من فيه لين ورفق ولين وسهولة
من التوطئة وهي التمهيد والتذليل يقال دابة وطيئة اي لا تحرك راكبها وفراش

عرضي

وطئ لأنوه ي جنبا لتام عليه وهو في الأصل على طريق التمثيل والاستعارة كأنه
يمكن غيره من وطيئه باقدامه فاريد به ما مر والاكناف جمع كنف بزنة جمل وهو الناحية
والجانب اي من يلين جانبه لغيره او المراد من يلتجأ اليه ويعتمد عليه والاول بما بعده
انسب من قوله الذين يألفهم الناس وبالفونهم من الالفة بالضم وهي الاجتماع مع
حسن المعاملة والعشرة والثرثار الكثير الكلام فيما لا يعني مستعار من عين ثرثارة
اذا كانت كثيرة الماء وكذا المتفيهقون وهو مفيعل من الفهيقة من فهق الفدر يفهق
بفتح الهاء فيهما اذا كثر ماؤه والمتشدقون الذين يتكلفون في كلامهم بفتح
الشين اشداقهم كما قيل

تشادق حتى مال بالقول شدقه • وكل خطيب لابالك أشدق

وورد في هذا الحديث ان الصحابة رضي الله تعالى عنهم قالوا يا رسول الله
قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون وهو غير
مخالف لما تقدم لان العجب بنفسه وكلامه تدعو حاله الى المتكبر وفي التقريب
الفهق الاتساع وكل شيء توسع فقد تفهق وانشد المبرد

تفهق بالعراق ابو المثنى • وعلم قومه اكل الخبيص

وتفهق الغدير يفهق فهقا وفهر الرجل بالكلام امتلا انتهى ثم عقبه بما يناسبه
من جوامع الكلم فقال وقوله صلى الله عليه وسلم لعله كان يتكلم بما لا يعنيه
ويبخل بما لا يعنيه هذا حديث روي من طرق بعضها موافق لكلام المصنف
وفي بعضها ما لا ينفع وفي بعضها ما لا يضر وضمير راجع للرجل المذكور في اول
الحديث الذي رواه البيهقي عن انس رضي الله تعالى عنه في الشعب ان رجلا من
الصحابة استشهد باحد فقالت امه يا بني ليهنك الشهادة فقال رسول الله صلى
الله عليه وما يدريك لعله الى اخره واخرج الترمذي من حديث حفص بن غياث
عن الاعمش عن انس رضي الله تعالى عنه قال توفي رجل من الصحابة فقالوا له ابشر
بالجنة فقال صلى الله عليه وسلم اولا تدرون فلعله قد تكلم بما لا يعنيه او بخل
بما لا ينفعه واخرجه البيهقي من هذا الوجه ايضا وقال هذا هو المحفوظ قال
خاتمة الحفاظ الجلال السيوطي رحمه الله تعالى ومعناه انه لا يرهن ويبشر بالجنة
الا من لم يصدر عنه مثل هذا فلعله يعاقب عليه ويعنيه بفتح المثناة التحتية
وسكون العين المهملة والنون بمعنى يهمه وينفعه من عناه يعنيه ومنه الحديث
من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وفيه نهي عن التكلم بما لا يلزم ولو مباحا
لما فيه من تضييع الاوقات ومن ترك الاهم لذكر الله وتلاوة القرآن واذا نهي عن

هذا فما بالك بالتكلم بكل قبيح كالغيبة والنميمة لقوله ويبخل بما لا يعنيه
ويعنيه تجانس والبخل ترك البذل ومنع العطا اللازم كالزكاة والنفقة
على من تلزمه نفقته او المستحسن مرة كالتصدق على الفقراء وتفريج ضيق
واطعام الطعام وتخصيصه بالاول غير ظاهر وكان الظاهر ان يقال بما
لا يحتاج اليه كما في الرواية الاخرى لا يضره ولا ينقصه فعدل عنه لانه ابلغ
فهو كناية عما ذكر لانه يعلم منه بالطريق الاولى او المراد ما لا غنا له عنه والبخل
صفة ذميمة لا تعقب الا الخسارة كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم بشر مال
البخيل بحادث او وارث وقال الشاعر

يفني البخيل بجمع المال مدته • والحوادث والوراث ما يدع

كدودة القز ما تبنيه تهلكها • وغيرها بالذي يبنيه ينتفع

وقوله صلى الله عليه وسلم ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها هذا
حديث رواه ابو داود عن عمار بلفظ ذو الوجهين وذو اللسانين في النار فيقال
له ذو الوجهين وذو اللسانين ويقال ذو الاوجه كما قال

وكم من فتى يعجب الناظرين • له السن وله اوجه

واذا كان ذو الوجهين كذا فذو الاوجه معلوم بطريق الاولى وبين الوجه
والوجيه جناس اشتقاق كقوله فاقم وجهك للدين القيم وفيه لطافة
لما فيه من جعل كونه له حالين متخالفين وكلامين غير متوافقين عند رجلين
على وجه الافساد اذا كانا متحابين او على وجه الاضرار اذا كانا متعاديين بمنزلة من له
وجهان يأتي هذا بوجه وهذا باخر كما قالوا خرج بوجه واتى بوجه غيره والواجب
الذي له قدر ومنزلة والمراد بكونه لا يمنزله عند الله انه لا يرضاه ولا يحبه لقباحة
فعله اما لو فعله لان لا صلاح ذات البين وازالة ضغائن القلوب ونحو ذلك فهو
من حسن ليس داخلا فيما مر وقال النجاني هو الذي يأتي كل قوم بما يرضيهم خيرا كان
او شرا فيظهر لاهل المنكر انه راض عنهم فيستقبلهم ببشره منه وترحيب ويظهر
لاهل الحق انه عنهم راض ويريد ارضا كل فريق منهم ويظهر انه معه وان كان ليس
كذلك باطنا وروى ابو هريرة رضي الله تعالى عنه ان صلى الله عليه وسلم
قال ان من شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلا بوجه وهؤلا بوجه خرجه
مسلم وعن انس رضي تعالى عنه ان صلى الله عليه وسلم قال من كان ذا لسانين في الدنيا
جعل الله له لسانين من نار يوم القيامة وظهيه عن قيل وقال هذا حديث
صحيح رواه الشيخان عن مغيرة ابن سهم وفيه ثلاثة اوجه فقيل القيل والقال

مصدران بمعنى القول وقيل فعلان احد مما مبنى للمجهول والثانى غير مجهول
وجوز فيه ان يحكى مبنيا على الفتح وان يعرب اعراب الاسما ويون ومنه تعلم
ان نقل الجمل يجرى فى غير الاعلام كما صرح به المرزوقى وذكر له نظائر هذا ما يتعلق
بلفظه واما معناه فالنهى عن كثرة الكلام لما يئول اليه من الخطا وكونه بغير
لا وجه له فقيل انه اشارة الى حكاية كلام الناس قالا ول لحكاية عن غير معين
والثانى عن معين وقيل الاول عبارة عن السوال والثانى عن الجواب فالمعنى
انه نهى عن كثرة البحث والجدال فى الدين وغيره مما لا يلزم وقيل انه نهى وزجر
عن كثرة الكلام مبتدئا ومجيبا وكثرة السوال اى سوال الناس ما بايديهم
استفطا وهو للقادر على الكسب من غير ضرورة حرام وهو الذى ارتضاه علما
علما ؤنا وقيل مكروه اوالسوال عن اخبار الناس واحوالهم وقيل وهذا يغنى
عنه قوله عن قيل وقال اوالسوال عن الشبهات والبحث عنها والتكلف فى تحريرها
وتوجيهها وقد ورد النهى عن ذلك اوالمراد نهيهم عن سوال رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن امور لما يوذن فى السوال عنها كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا
تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسوكم ويرد عليه انه لو اريد هذا قال وعن السوال
من غير ذكر الكثرة واجيب بان كثرته بنصه لما اذن فى السوال عنه وهذا
يتضمن النهى عن احدهما لان النهى بمجموع امرين احدهما هو المنهى عنه فى نفس الامر
نظرا الى هيئتهما المجموعة بتضمن النهى عن خصوص ذلك المنهى عنه ولا يخفى ما
فيه من التكلف لادعا امر لا يدل عليه اللفظ واضاعة المال باى طريق كان
سوا كان ماله اوما لغيره كالانفاق فى الحرام واما مال ماله وعدم تنميته حتى يهلك
وعدم مال السفيه له والاسراف فيما لا فايدة فيه كل ذلك منهى عنه وعد من اضاعة
حبسه وعدم صرفه فيما يليق كما قيل

وما ضاع مال اورث المجد اهله ٭ ولكن اموال البخيل تضيع

ومنها ان عليه المال توجهت اليه الامال ٭ ومن بسط راحته انس ساحته وكما قلت
وتكرم نفس المرء ان هان ماله ٭ وكل كريم النفس فهو كريم

وقيل تصدق المحتاج والمديون حرام وكذا تصدقه بجميع ماله وقال السبكى
فى فتاواه الظاهر فى اضاعة المال ان يكون لغرض دينى او دنيوى فاذا انتفيا
كان اضاعة ومحل حرمة ما مر اذا لم يصبر ويتوكل على الله حق التوكل لقوله تعالى
ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومنع وهات منع مون مجرور وجوز
فيه ان يكون فعلا ماضيا وهو بعيد والمراد منع بذل ما يجب او يستحسن او مطلق

الامساك وهات بكسر المثناة الفوقية اى طلب ما عند غيره وسواله وهو فعل
امر اصله آانت فقلبت همزته ها وهو مذهب الخليل رحمه الله تعالى وعليه اكثر
النحاة وعقوق الامهات العقوق مخالفة الوالدين وايذاوهم ضد البر من
العق وهو القطع والامهات جمع امهه وهى الام واصل الام امهه جمعه على
امهات وتصغيره على اميمة وقد جا اصله من المضاعف لقولهم امات واميمة
وقال بعضهم اكثر ما يقال امات فى البهايم ونحوها مما لا يعقل وامهات
فى الانسان وخص الامهات مع ان عقوق الوالدين من الكبايرلانهن اكثر حقا
وشفقة على الولد ولذا لما سال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احق
الناس بحسن صحابتى قال امك ثم من قال امك ثم من قال امك ثم من قال ابوك
ثم قال من قال امك ثلاثا ثم قال من قال ابوك وهو حديث صحيح وايضا
لما لم يكن للنسا تلك الحرمة خصهن ليحثهم على برهن وينبه على ما يجب
لهن قيل ومنه يوخذ انه اذا اعطى والديه شيا يزيد عطية الام على
الاب واكثر العقوق يكون لهن وقال حملة الثلاث فى الحديث مستفاد من الحمل
والوضع والرضاع وذهب الجمهور الى انه تحصل على الاب فى البر ونقل عن مالك
وبعض الشافعية التسوية بينهما والاول الاصح ووا د البنات الواد بفتح
الواو وسكون الهمزة والدال المهملة واصله الصوت الشديد وهو دفن البنات
فى حياتهن اما انفة وغيرة من النكاح او خوفا من الفقر والمدفونة حية حالة الدفن
تصيح غالبا وما فى الشرح الجديد من انها سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب
فيودها اى يثقلها ومنه ولا يوده حفظهما غلط فاحش لاختلاف مادتهما
فان مادة الاول واو والثانى اود واو اختلاف معنييهما كما بينه اهل اللغة
وادعا القلب لا حاجة اليه وكان هذا فى الجاهلية واول من فعله قيس بن عاصم
التميمى فتبعه العرب على ذلك وكان بعضهم يقتل اولاده مطلقا وكان معصب
ابن ناجية جد الفرزدق منع الواد فى الجاهلية كما قال

وجدى الذى منع الوادان واحيى الوئيد فلم يوئد

وخص البنات لانه الغالب وكانوا على فريقين منهم من يحفر حفيرة تلد
المراة عندها فان وضعت ذكرا ابقته وان وضعت انثى القتها فى الحفيرة
وردم عليها التراب فان لم تفعل ذلك وصارت سداسية ذهب بها ابوها
ليبيرورماها فيها بعد ما طبتها امها وزينتها وفى الجاهلية من نهى عن ذلك
كزيد بن عمرو بن نفيل فلما جا الشرع ابطل ذلك كله وقد جعلوا الوا د اخفيا

عرضي

شبكة الألوكة www.alukah.net

وهي المودة الصغرى ووجهه ظاهر وهو حرام او مكروه وفيه تفصيل
ذكره الفقهاء وفيه صلى الله عليه وسلم عن الثلاثة الاول في هذه الامور
الستة نهي كراهة وعن البقية نهي تحريم لكن يسن بصيغة النهي بكل بمقتضى
الحديث الاخر الصحيح وهو انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله حرم عليكم عقوق
الامهات الى اخره ولقي كلام زايد على مقتضى المقام وقوله صلى الله عليه وسلم
اتق الله حيث كنت وفي نسخة الدرجي حيث ما كنت وهذا الحديث رواه احمد
والترمذي والحاكم عن ابي ذر رضي الله تعالى عنه ولا فرق بين الروايتين
معنى لان ما زايدة والتقوى حفظ النفس عن ارتكاب المعاصي ولها مراتب
فصلها القاضي في اول سورة البقرة وحيث ظرف مكان يضاف للجمل والمراد لها
هنا التعميم اي في اي مكان واي حال وقيل الها ظرف زمان بنا على تجيئها للزمان
لان التقوى في جميع الازمنة وقيل ان الرواية حيث ما كنت وقال غيره انه
روى بحذفهما ايضا والامر لواويه او لكل من يقف عليه ليعم كلها مامور وباعتبار
افراد الضمير كما في قوله ولو ترى اذ وقفوا على النار ولنا فيه كلام ليس هذا محله
واتبع السيئة الحسنة تمحها هذا وما قبله وما بعده حديث واحد رواه الترمذي
وقال انه حديث حسن صحيح والمراد باتباعها اياها فعلها بعدها وجعلها
تابعة لها اي واقعة بعدها يقرب منها وفي معنى الحديث قوله تعالى ان الحسنات
يذهبن السيئات ومحوها واذهابها بمعنى تكفيرها وعدم مؤاخذة الله بها
فكانها لم تكن والمراد بالسيئة الصغيرة لقوله في الحديث الصلاة الى الصلاة كفارة
لما عدا الكبائر وقالت المرجئة انه شامل للكبائر والصغائر وقال بعض
المعتزلة المراد ان المعتزلة ان الحسنة تكون سببا لترك الذنب ولا تكفر ثبتا اصلا
ويحتمل ان المراد بالمحو حقيقته والمعنى انها تمحى من كتاب اعماله وتمحها مجرورة في
جواب الامر ولا يخفى ان هذا مفيد بغير حقوق العباد اما هي كالغيبة فانه
لا يمحوها الا الاستحلال اذا ابلغت من قبلت فيه بعد بيان جهة الظلامة ان امكن
والا فقالوا ينبغي ان يكثر من الاستغفار والدعاء له ويكثر من فعل الحسنات
لحديث اذا اغتاب احدكم اخاه من خلفه فليستغفر له فان ذلك كفارة ولهذا زيادة
بيان وتفصيل في كتاب المكفرات للسيد السمهودي رحمه الله تعالى وقوله وخالق
الناس بخلق حسن قد علمت انه من تتمة ما قبله وخالق امر من خالقه يخالقه
بمعنى عاشرهم وخالطهم وعاملهم بما تحب ان يعاملوك به فليس المنصوب
المفاعلة بل هو لاصل الفعل او هو على اصله بجعل المطلوب منهم بمنزلة الواقع والخلق

بضمتين وضم فسكون السجية والطبيعة التي طبعوا عليها وفيه اشارة
الى انه يمكن اكتسابه والا لم يكن للامر به فايدة كما ورد يا معاذ حسن خلقك
مع الناس اي عاملهم بطلاق وجبر الخواطر وكف الاذى فان ذلك مودي لاجتماع
القلوب وانتظام الاحوال وهو جماع الخير وملاك الامر كما قلت

ان رمت ان تحظى بعز وهناء فاجتنب الناس وكن عنهم غني
وان تخالطهم فكن ذا عفة وخالق الناس بخلق حسن

وخير الامور اوسطها لما كانت الملكات المحمودة لها طرفا افراط وتفريط
مذمومان والمحمود منها ما بينهما وهو الوسط كالكرم بين التبذير والبخل والشجاعة
بين التهور والجبن جعل الوسط منها مطلوبا على بين في علم الاخلاق وبه ورد
التصريح في الحديث الذي رواه العسكري عن الاوزاعي بسنده ما من امر امر الله
به الا عارض الشيطان فيه بخصلتين ايهما فعل اصاب الغلو والتقصير وروى
ابو يعلى بسند عن وهب بن منبه ان لكل شيء طرفين ووسطا فاذا امسك باحد
الطرفين مال الاخر واذا امسك بالوسط اعتدل الطرفان فعليكم بالاوساط
من الامور وليشهد له قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا اي بين غلو النصارى
وتفريط اليهود وقال الشاعر

عليك باوساط الامور فانها نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا

وقال الحبري

حب التناهي غلط خير الامور الوسط

وقال

خير الامور عندنا الاوساط ويكره التفريط والافراط

وليس الوسط بمعنى الخير والحسن مطلقا بل في امور مخصوصة اقتضى توسطها
خيريتها الا ترى الى قولهم خوالدين الوسط وقولهم ابقل من مضن وسط لا مطرب
ولا مضحك كما في الروض الانف وهذا الحديث اخرجه السماني في تاريخ ذيل بغداد
عن علي كرم الله وجهه عنه صلى الله عليه وسلم وابن جرير في تفسيره عن مطرف
ابن عبد الله وزيد بن مرة الجعفي وكذا اخرجه البيهقي بلا سند وذكره الديلمي
بلا سند عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظه
دوموا على اداء الفرايض فخير الاعمال اوسطها ويناسبه قوله احبب حبيبك
هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون
حبيبك يوما ما والهون بفتح الهاء وسكون الواو والنون مصدر كالقول من هان

عليه الشئ اذا خف وسهل ومنه الهون في المشي وهو الرفق والدين فارشد
صلى الله عليه وسلم المتحابين الى الاقتصاد في المحبة وعدم المبالغة فيها وكذا
المتباغضين الذين بينهما عداوة لا ينبغي لهما المبالغة في العداوة واظهارها
فليكن ذلك على قدر متوسط فان خير الامور الوسط فقد ينتقل الحب الى البغض
والبغض الى الحب فيقبح تفاوت حالك وبغيرك فوالك رافعا لك فالهون هنا
بمعنى التوسط وعدم الافراط وقد فسره به اهل اللغة قال في النهاية اي
لا تسرف في الحب والبغض فعسى ان يصير الحبيب بغيضا والبغيض حبيبا
فيندم ويستحيي فدخل هذا الحديث تحت ما قبله وقال ارسطاطاليس للاسكندر
لا تملأن قلبك بمحبة شئ ولا تستولين عليك نقضة واجعلهما قصدا فان القلب
كاسمه يتقلب وقال بعض العرب

واحبب اذا احببت حبا مقاربا * فانك لا تدري متى انت زائع
وابغض متى ابغضت غير مباين * فانك لا تدري متى انت راجع

وبين علته ابن الرومي بقوله

احذر صديقك مرة * واحذر عدوك الف مره
فلربما انقلب الصديق * فكان اعرف بالمضره

فان قلت كيف يدل هذا على التوسط وقد قالوا انما يدل على التعليل
سواء قلنا الفاء زائدة او انما على ما فصله المفسر في قوله تعالى مثلا ما بعوضة
وهي هنا مشددة لقلب النون ميما او غامها فيها قلت لان الوسط قليل
بالنسبة الى الكل وقيل انها تفيد تعليل الوسط والحباذا كان على وجه التوسط
في القليل كان قليلا ولكن غير خارج عن مراتب التوسط بل عن مرتبة التوسط الوسطى
ومن الجائز ان يكون له مراتب متفاوتة قربا من الطرفين وبعدا منهما وعدم
قرب وبعد منهما وعند عدم القرب والبعد منهما يكون التوسط الكثير ونعني
به التوسط التام كما يعني بالتوسط القليل التوسط الناقص والحق انه لا تقليل
فيها وانما المراد اي هون كان وما في ذلك للتاكيد كما في الاية والتقليل لو سلم
يفيده تنكير هونا انتهى وفيه نظر وهذا الحديث اخرجه
البخاري في الادب والترمذي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه وقال
النجاني الاكثر على انه من كلام علي كرم الله وجهه ورواه الحسن بن ابي جعفر
مسندا عن علي كرم الله وجهه برفعه للنبي صلى الله عليه وسلم باسناد ضعيف
وقال الترمذي الاصح انه موقوف عن علي وذكر الترمذي ايضا انه ورد عن محمد

ابن سيرين عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال واراه رفعه وهو غريب
لا نعرفه بهذا الاسناد الا من هذا الوجه وممن رفعه القضاعي في الشهاب ورواه
الماوردي مرفوعا في ادب الدين والدنيا وكذا الغزالي في الاحياء ورواه في مسند
الفردوس والظلم ظلمات يوم القيامة الظلم وضع الشئ في غير محله وقد يكون
بمعنى النقص قال ولم تظلم منه شيئا ان لم تنقص منه شيئا وارض مظلومة اي
لم تمطر فكانها نقصت عن غيرها والمراد به تعدي الحدود سواء كان في حق او في
غيره وتعريفه يراد به العموم وافراد الظلم وجمع الظلمات اما لانه جمع معنى لاستغراقه
فيكون كمقابلة الجمع بالجمع او اشارة الى ان الظلم الواحد تتشعبه ظلمات متعددة
لتطاعنه وقال ابن الجوزي ان من ظلم نفسه او غيره تنشأ لك عن قسوة قلب
ثم يعقب ذلك تعدية ومبارزة ربه بمخالفته فلذا تعدد جزاؤه وتلك
الظلمة اما حقيقة حسية كما ان المؤمن المطيع له نور في يوم القيامة قال
الله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم الاية ومنهم من حمل
الظلمة على الاهوال والشدايد كما فسر به قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات
البر والبحر اي شدايدها ولا حاجة الى صرفه عن حقيقته مع امكانها وهذا
الحديث صحيح اخرجه البخاري وترجم وسنده الى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما
ورواه كما رواه المصنف رحمه الله الظلم ظلمات يوم القيامة ورواه مسلم اتقوا
الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح اهلك من قبلكم حملهم
على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وبذلك علم ان ما ذكره المصنف من حذف ات
رواية فيه فلا يقال انه اخل بلفظه او وقع على رواية فيه غير مشهورة وحمل على
الظلم الظلمات وجعلها عينه لانه سببها مبالغة وقوله اي النبي صلى الله عليه
وسلم في دعائه اي في بعض دعواته المأثورة وقد جمع العلماء ادعيته في كتب مستقلة
من وقف عليها راى فيها من هذا النمط امورا عجيبة وهذا الحديث رواه الترمذي
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقال انه غريب قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقوله ليلة حين فرغ من صلاته اللهم اني اسالك رحمة من عندك
وفي رواية عن المصنف رحمه بدون قوله من عندك والاولى المذكورة في الترمذي
وعنده اذا اضيفت الى الله لها معان منها العلم كقوله وكان عند ربه مرضيا
ويكون بمعنى الحكم نحو وكان عند الله عظيما وبمعنى التفضل والانعام
من غير مقابلة عمل نحو قالت هو من عند الله وبهذا فسره البرهان هنا اي اطلب
منك احسانا بمجرد فضلك لا في مقابلة عمل وقيل بل معناها قرب المنزلة اي اسئلك

ابن الحنبلي

ابن سيرين

رحمة تقربني اليك لديك والهداية وغيرها بمحض فضل الله اذ لا يجب عليه شئ
فقوله من عندك ليس معناه لا في مقابلة طاعته لاشعاره بان ما كان في مقابلتها
ليس بمحض الفضل فذلك نسبة تشريف وتفظيم وتقريب وتكريم انتهى وليس
بوارد لان ما في مقابلة العمل ليس بطريق الوجوب بل بمقتضى وعده وحكمه
السابق وهو تفضل مخصوص منه ايضا وقيل معنى العندية عموم نفعها ه
وجدواها بدون وسايط كونه وهو تكلف لا يساعده اللفظ والرحمة بمعنى
الانعام او ارادته كما حقق في محله لقدي بها قلبي اي تذله او توصله الى
ما يقربني من حضرة قدسك لاشاهد نفحات انسك وتجمع بها امري اي
تنتظم بها امري وشاني حتى لا يكون لها تشتت وتلم بها شعثتي اي تلم
برحمة من عندك وتجمع ما تشتت وتفرق وتفرق من امري وهو كالتفسير
لما قبله قال الجوهري الشعث انتشار الامر يقال لم الله شعثك
اي جمع امرك انتهى واصله انتشار الغبار في الهوا وتصلح بها غايبي بالغين
المعجمة والباء الموحدة فشروع بباطني اي ما خفي من اموري عني وعن غيري وقيل
المراد قلبي وصلاحه بصلاح صفاته من الاخلاص والصدقة والتوكل والتوحيد
وترفع بها شاهدي اي ظاهري من الشهود وهو الحضور والمعاينة وهو
مقابل لقوله غايبي وبينهما صفة الطباق وقيل اراد بهما الدنيا والاخرة
ورفعها اي جعلها عالية رفيعة بالاعمال الصالحة والصفات الحسنة وقيل
المراد بظاهره جسده ورفعته سلامته من الافات وعصمته من البليات وقد
دل صلاح قلبه عليه لان بصلاحه صلاح غيره لقوله صلى الله عليه وسلم ان
في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله وتزكي بها عملي اي برحمة وتفضل
منك تجعل عملي كله مباركا مقبولا سالما مما ينقصه كالريا او هو من تزكية
الشهود اي تجعله ممدوحا وهما متقاربان وتسلمه بها رشدي الالهام
ايقاع الخير في القلب والرشد والرشاد السداد والاستقامة والرشد في اسما
الله تعالى هو الذي يرشد عباده لمصالحهم ويدبرهم وتزد بها الفتى بضم
الهمزة وكسرها وسكون اللام وفتح الفا يليها تا تانيث ويا متكلم مصدر
بمعنى المفعول اي ما كنت الفه كالاليف ما تحبه وتريد اجتماعه ورده
عودها الى ما كانت عليه والمراد عشيرته واقرباؤه واهل محلته فدعا الله
ان يولفهم ويهديهم للاسلام كما يقال رد الله عليه ضالته اي جمع بينه وبينها
وقيل المراد حالة التي كان عليها في عالم الذر والارواح من حب الله وتعظيمه

وخلوصه من

وخلوصه من الكدورات الجسمانية وهو بعيد وتعصمني بها من كل سوء اصل
معنى العصمة المنع والحماية اي يصونني ويحفظني مما يسوني والباقي
للمواضع كلها سببية وزاد النجاني هنا اللهم اعطني ايمانا ويقينا ليس بعده
كفر ورحمة انالها اشرف كرامتك في الدنيا والاخرة اللهم اني اسالك الفوز
في القضا وروي في العطا والفوز النجاة والقضا والقدر بالفتح والسكون
بمعنى في اللغة ومنهم من يفرق بينهما فيجعل القدر تقدير الله الامور قبل ان تقع
والقضا انفاذ ذلك القدر وخروجه من العدم الى حد الفعل وهو الصحيح
لانه قد جاء في الحديث انه صلى الله عليه وسلم مر بكهف مايل للسقوط فاسرع
المشي حتى جاوزه فقيل له اتفر من قضا الله فقال افر من قضايه الى قدره
ففرق بين القضا والقدر وبين ان الانسان يجب عليه ان يتوقى ما يضره
قال البطليوسي فالمعنى انه سال الله النجاة من كل سوء قضاه على غيره او عليه
معلقا على امره وقوله ونزل الشهدا النزل بضم النون والزاي وتسكن وهو
مصدر جعل اسما لما يعد للضيف اذا نزل من القوى والكرامة اراد ما لا رواح لهم
في البرزخ ولهم في الجنان من الاكرام والرزق والثواب وقد فاز صلى الله عليه
وسلم بزلال ما منحه الله من الشهادة مع ما لا عين رات ولا اذن سمعت وعيش السعدا
اما ان يريد بالعيش الحياة بان يكون سعيدا في الدنيا معززا مكرما موفقا لما يرضاه ويرتضيه
بكل شئ يتمناه او في الاخرة بان يحييه حياة مخلدة منعما فيها ما يليق بجنابه صلى
الله عليه وسلم لقوله تعالى واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها الاية
والاحسن ان يريد مجموعهما والعيش اصل معناه الحياة والسعدا جمع سعيد
ضد الشقي وبعده في الدعا وموافقة الانبيا والنصر على الاعدا اي الانتصار عليهم
وغلبتهم والاعدا جمع عدو وضده الصديق وتمامه اللهم انزلت بك حاجتي
يا قاضي الامور ويا شافي الصدور كما تجير من البحور ان تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة
الثبور ومن فتنة القبور اللهم وما قصر عنه رأيي وضعف عنه عملي ولم
تبلغه نيتي او امنيتي من خير وعدته احدا من عبادك او خيرا نته معطيه لاحدا
من خلقك فاني ارغب اليك فيه واسالكه يا رب العالمين اللهم اجعلنا هادين
مهديين غير ضالين ولا مضلين حربا لاعدايك وسلما لاوليايك نحب بحبك الناس
ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعا وعليك الاجابة وهذا
الجهد وعليك البلاغ ولا حول ولا قوة الا بالله اللهم ذا الحبل الشديد والامر الرشيد
اسالك الفوز يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود

الموفين بالعهود انك رحيم ودود وانت تفعل ما تريد سبحان من تفرد بالعز
وقال به وسبحان الذي لبس المجد وتكرم به سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا لسبحان
ذي الفضل والنعم سبحان ذي القدرة والكرم سبحان ذي الجلال والاكرام سبحان الذي
احصى كل شيء بعلمه اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي ونورا
في بصري ونورا من شعري ونورا في بشري ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا
في عظامي ونورا بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي
ونورا من فوقي ونورا من تحتي اللهم اعطني نورا واجعل لي نورا انتهى
وقوله اعطني باللام لمشاكلة اجعل لي فلا وجه لما قيل اعطني لانه لا يتعدى
باللام ان صحت الرواية اللهم اعظم لي نورا واعطني نورا واجعلني نورا ومما
وقع في هذا الدعاء السجع لا ينافي ما قيل من انه صلى الله عليه وسلم كان يكرهه
لان محله ما اذا كان عن تصنع وتكلف ملتزما فاما ما جاء من غير تكلف فلا بأس
به وقد روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه كان يكره السجع اذا كان
عن تعمد لانه من التكلف وهم يريدون منه كتكلمه بالنظم الملتزم عنه اما صدوره منه
احيانا وان التزم فهنا فغير مكروه كما ورد في القرآن ولذا قيل انه يصح الطلاق
السجع عليه ثم اشار الى ما ذكر من قطرة من بحر فان شئت الوقوف على غير ما
ذكر الى ما رووه الكافة عن الكافة فما رواه كثير من الناس لا يحصون وكافة
وان كان بمعنى جميعا انه اسم فاعل او مصدر كما فيه والفاتحة في قول من كف اذا اجمع
اطرافه او من كف اذا منع لانه كان يمنع من الزيادة عليه اريد به الكثرة كما ورد
كذا لك كثيرا اذا لم يروه جميع الناس ولا جميع المحدثين لكنه لما شاع وذاع فكان
كذلك ثم ان سيبويه قال ان كافة يلزم التنكير والنصب على الحالية كعامة وقاطبة
وطرا ونحو وزاد غيره انها لا تثنى ولا تجمع ولا تطلق على غير العقلا ولم يرد
ذلك في كلام الله تعالى ولا كلام العرب وهموا من استعمالها على خلاف
ذلك كابن نباتة في خطبه وصاحب الكشاف في كشافه وفي قوله في خطبته
المفصل محيط بكافة الابواب لاخراجه لها عن النصب والتنكير واستعمالها
فيما لا يعقل واما قول الجوهري الكافة للجميع من الناس فلا وهم فيه لان النكرة
اذا اريد لفظها يجوز ان تعرف فلا وهم فيه كما توهم صاحب الدرة وتبعه
بعض الشراح فانه ليس مما نحن فيه اقول هذا وان اتفقوا عليه لا وجه
له رواية ودراية اما الاول فلان العرب اذا استعملت لفظا في معنى وضعته
له على وجه مخصوص من الاعراب لم يلزم غيرهم اتباعهم فيه ولو قلنا بذلك لادى الى

التضييق على الناس في استعمال الالفاظ العربية وعد هذا ونحو لحن كما قاله
الحريري لا وجه له واما الثاني فلانه روي عن عمر رضي الله تعالى عنه
استعماله في كتابه لنبي كاملة المروي عنه رواية ثابتة وعلى كرم الله وجهه
في ذلك ايضا حيث كتبه بعينه بين جمع من الصحابة وناهيك بهم فصلحة
فان اردت تفصيله فانظر في شرحنا لدرة الغواص قوله من مقاماته ومحاسنها
بيان لما في رونقه والمقامات بفتح الميم جمع مقامة مفتوحتها وهي اسم لمكان القيام
وتوسعوا فيه فاستعملوها لمطلق المكان كقوله

وكالمسك تربة مقاماتهم ٭ وتربة قبورهم اطيب

ثم كثر فيه فاستعملوه لمن قام فيه كما ستوهم مجلسا في قوله واست بعدك
يا كليب المجلس وزاد وا في التوسع حتى سموا به الكلام الصادر فيه مقامه
كمقامات البديع والحريري ومثله من التجوز كثير ومنه نعلم ان المجاز على المجاز
لا يقتصر على مرتبة واحدة كما يوهمه كلامهم فالمراد به الكلام القائم ومنه في
مجالسه وخطاب امنه صلى الله عليه وسلم في حال حكمه وحربه ولا يختص
بالخطب لكونه يخطب قائما لذكره لغيره وان كان المقام مقام خطابة يغتفر فيه
فيه الاسهاب ولما اريد به هنا الكلام وقع بيانا لما رووه الكافة عن الكافة
والمحاضرات جمع محاضرة ولا محضرة كما توهم بضم الميم وحاء مهملة وضاد معجمة
وراء مهملة اصل معناها كما قاله الجوهري من حاضرته اذا جالسته
عند السلطان وهو كالمغالبة والمكاثرة وحاضرته حضارا عدوت معه انتهى
يعني انها مفاعلة من الحضور عنده او من الحضر بالضم فمعناها مجاورة الجليس
جليسه في الكلام بان تتكلم بما عندك فيما يخطر على بالك ويتكلم هو في ذلك
معك فالمراد مصاحبة النبي صلى الله عليه وسلم مع اصحابه احيانا ومصاحبتهم
له كالتحدث بامور سلفت ونحوها مبسطة وملاطفة ومنه كتب المحاضرات
الادبية كمحاضرات الراغب وخطبه جمع خطبة بضم فسكون من خطب الخاطب
خطابة بالفتح وخطبة بالضم اذا تكلم بكلام في امر مهم سواء كان قائما على منبر والكلام
مسجع اما لا وهي معروفة وادعيته جمع دعاء كدعاوا وعيه وهي سؤال الله وتوجهه
اليه فيما يهمه ومخاطباته اي توجيه الخطاب لغيره حسبما اتفق وعهوده اي
كلامه اذا اخذ العهد والميثاق على غيره من المسلمين كما في كتبه للملوك وغيرهم وقيل
المراد وصاياه بما لا خلاف انه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وانه بتقدير
في انه لاطراد حذف الجار قبل ان وان كما ذكره النحاة والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم

أولما وذلك اشارة الى البلاغة والفصاحة لسبقهما اوللعلم بهما من سياق كلامه
ونزلة منزلة ومرتبة اي حل محلا عاليا ووصل الى محل لا يصل اليه غيره والمنزلة هو
تستعمل في الشرف والثنا للنقل وفي بعض النسخ مرقية بالقاف اي محلا عاليا
من شانه ان يرقب فيه ويطلع على احوال غيره وقوله لا يقاس الى آخره اي لا يساويه
غيره وضميره لها للمرتبة وضمير غيره للنبي صلى الله عليه وسلم او للكلام والقياس يتعدى
بالباء وعلى يقال قاسه بغيره وعليه كما في القاموس والاساس وفي حواشي العضد
للإيهري تقدير شيء باخر وعدي بعلى لتضمنه معنى البناء وهو مخالف لما في القاموس
مع ان تعدي البناء بعلى فيه كلام في حواشي تهذيب المنطق واما تعديته بالى
في قول المتنبي

بمن اضرب الامثال أم من اقيسه اليك واهل الدهر دونك والدهر

فلتضمنه معنى الضم والجمع كما قاله الواحدي وحاز فيها سبقا حاز بالحاء
المهملة والزاي المعجمة بمعنى حوى واشتمل وضمير فيها للمرتبة والسبق بفتح السين
وسكون الباء الموحدة مصدر واما السَّبَق بفتحتين فما يجعل من المال للمراهنة
في المسابقة اي ما توعد باعطائه لمن سبق غيره وهو اولى هنا فكانه قال لتحقق سبقه
احد وفاز ما بعد للسابقين واما السبق في قول صدر الشريعة حفظته سبقا
وسبقا فالمورد العين لحفظ الاطفال وهو مولد ما خوذ من هذا لا يقدر بضم
المثناة التحتية وفتح الدال المهملة المخففة مبني للمجهول قدره بسكون الدال اي
مقداره اي سبق كثيرا لا يلحقه فيه احد ولا يعرف حقيقته كما في قوله تعالى وما قدروا
الله حق قدره وقد جمعت من كلماته صلى الله عليه وسلم التي لم يسبق اليها ضبطه
الدلجي وبعده الشارح للجديد بالبناء للمفعول وسكون تا التانيث والجار والمجرور نايب
الفاعل ومن للتبعيض اي جميع الرواة بعض كلماته لم يسبق اليها ولم يتكلم بها
صلى الله عليه وسلم او من زايدة وكلماته نايب الفاعل الا ان فيه زيادة من الاثبات ومد
ومدحو لها معرفة او نايب الفاعل ضمير الكلمات المعلومة من السياق وهذا كله
تكلف حملهم عليه انه روى كذا والفعل المجهول لا يونث اذا كان نايب فاعله جار
ومجرور مونث فلا يقال اخذت من هند وعد وامثاله خطا لكن ابن جني رحمه الله
تعالى قال في اعراب الحماسة انه سمع نادرا وقرئ به في الشواذ في قوله تعالى
ان تعف عن طايفة منكم خطا صاحب التلخيص في قوله صوجت معها لم يصب
وسياتي وجه اخراظهر من هذا وهو ان نايب الفاعل ما الموصولة في قوله ما يدرك
الناظر او قرئ بالبناء للفاعل وحذف المفعول جاز ولا قدر احد ان يفرح في قالبه

عليها بالتخفيف من القدرة ويفرغ بضم المثناة التحتية وسكون الفاء وكسر الراء المهملة
والغين المعجمة وهو صب المايعات في ظرف وقالب بفتح اللام اسم الة كالعالم على خلاف
القياس وقد تكسر لامه وقيل انه معرب كالب وقيل انه غير صحيح والقالب ما يصب
فيه ما يذاب من الجواهر كالفضة ليصاغ ففيه استعارة مكنية وتخييلية لجعله
الكلام بمنزلة الجواهر واسلوبه بمنزلة هيئة صياغه واثبت له القالب تخييل وعليها
بتقدير على هيانتها وان تحالى وفيه من البلاغة والمبالغة ما لا يخفى وقيل المراد
بالقوالب الالفاظ لانها قوالب المعاني قال الجاحظ استعمل النبي صلى الله
عليه وسلم التوسط وهجر الغريب ورغب عن البهر فلم يات الا بكلام حق وسدد بالتا
جمع الرقة والجزالة تدخل الاذن بغير اذن ليحفظ وينقل عنه كقوله حمى الوطيس هذا
حديث مروي عن العباس رضي الله تعالى عنه ورواه مسلم والبيهقي عن جابر بن عبد الله
رضي الله تعالى عنهما وانه صلى الله عليه وسلم قاله يوم حنين وقيل انه اول ما
قاله باوطاس ففي التعبير به مناسبة لفظية متضمنه لبلاغته وابداعه اي اشتد
الحرب والوطيس بفتح الواو وكسر الطا المهملة يليها مثناة تحتية وسين مهملة وهو
التنور الذي يسجر به ومن فسره بضراب الحرب اراد المعنى المجازي وقيل هو الوطئ
الشديد الذي يطس الارض اي يدقها وقيل هو حجارة مدورة اذا حميت لم يقدر
احد ان يطاها قيل ولم يسمع هذا الكلام من احد قبل النبي صلى الله عليه وسلم
وهو من بليغ الكلام وفيه استعارة مصرحة مرشحة بقوله حمى اي اتقد وقد
حماه اذا سخنه وهي عامية وهو طرف من حديث طويل في مسلم ورماهم بحصى فانهزموا
فان كان الوطيس بمعنى الحجارة ففيه مناسبة وما حتف انفه اي من غير ضرب
ولا قتل ولا حرق ولا غرق ونحو على فراشه كانه سقط على انفه فمات والحتف الهلاك
وقيل كانت العرب تتوهم ان روح المريض تخرج من انفه وروح المجروح تخرج من
جراحته فكلمهم النبي صلى الله عليه وسلم على قدر عقولهم وهذا بعض حديث صحيح رواه
عبد الله بن عتيك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذي يخرج مجاهدا
في سبيل الله ان لسعته دابة او اصابه شئ فهو شهيد ومن مات حتف انفه فقد وقع
اجره على الله ومن قتل فقد استوجب المتاب قال عبد الله بن عتيك فوالله ما سمعت قوله
حتف انفه من احد من العرب قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا بين المصنف
رحمه الله تعالى كلامه وعدها من كلامه الذي ابتدعه وهو المشهور وذهب
بعض اهل اللغة الى ان هذه الكلمة تكلمت بها العرب قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصححه في المصباح واستدلوا بقول السموءال

وَمَامَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتْفَ أَنْفِهِ • وَلَا طِفْلٌ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ

وَاجِيبَ بِأَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ اخْتُلِفَ فِي قَائِلِهَا فَقِيلَ هُوَ السَّمَوْأَلُ وَهُوَ شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ وَقِيلَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ الْحَارِثِيُّ وَهُوَ إِسْلَامِيٌّ وَقِيلَ إِنَّ الرِّوَايَةَ لَيْسَتْ هَكَذَا وَإِنَّمَا هِيَ وَمَامَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ فِي فِرَاشِهِ فَعَلَى هَذَا لَا يَرِدُ عَلَى مَنْ عَدَّهَا مِنْ مُعْجِزَاتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّ الشَّاعِرَ الْجَاهِلِيَّ لَمْ يَقُلْهَا وَالْإِسْلَامِيُّ أَخَذَهَا مِنْ كَلَامِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَقَوْلِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ التَّابِعِيِّ مَا مَاتَ مِنَ السَّمَكِ حَتْفَ أَنْفِهِ فَلَا تَأْكُلْهُ أَيْ مَا طَفَا عَلَى الْمَاءِ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ ظَاهِرٍ لِمَوْتِهِ أَوْ أَنَّهُ لَمْ يَسْبِقْهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِ وَلَمْ يَسْمَعْهُ مِنْ غَيْرِهِ فَتَأَمَّلْهُ وَلَا يَلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ وَفِي لَفْظِهِ اخْتِلَافٌ لَا يَضُرُّ فِي بَعْضِهَا مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ وَفِي بَعْضِهَا تَقْدِيمُ الْمُؤْمِنِ وَهُوَ مِنَ الْأَمْثَالِ النَّبَوِيَّةِ وَفِي كِتَابِ ابْنِ مَسْكُوَيْهِ الْمُسَمَّى بِجَاوِدَانَ خِرَدَ الَّذِي جَمَعَ فِيهِ حِكَمَ الْيُونَانِ أَنَّ مِنْ أَمْثَالِهِمْ لَا يَزْنِي الْعَاقِلُ بِجُحْرَيْنِ فَانْظُرِ الْفَرْقَ بَيْنَ كَلَامِ النُّبُوَّةِ وَغَيْرِهَا فَإِنَّ الْعَاقِلَ إِذَا أَوْخَلَ يَدَهُ فِي جُحْرٍ هَلْ يُدْخِلُهَا مَرَّةً أُخْرَى وَقَدْ قِيلَ مَنْ لَسَعَتْهُ الْحَيَّةُ مِنَ الْجَبَلِ يَخَافُ يَعْنِي أَنَّ الْمُؤْمِنَ الْفَطِنَ لَا يُخْدَعُ مَرَّةً وَلَا يُؤْتَى مِنْ جِهَةِ الْفِعْلِ فَيَقَعُ فِي مَكْرُوهٍ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مُتَيَقِّظًا فِي أُمُورِ دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ وَيَلْدَغُ بِاللَّامِ الْمَضْمُومَةِ الْمُثَنَّاةِ التَّحْتِيَّةِ وَاللَّامِ السَّاكِنَةِ وَبِالدَّالِ الْمُهْمَلَةِ وَالْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ وَأَمَّا بِالذَّالِ الْمُعْجَمَةِ وَالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ فَهُوَ إِحْرَاقُ النَّارِ وَالْجُحْرُ بِضَمِّ الْجِيمِ وَحَاسَاكِنَةٍ مُهْمَلَةٍ حُفْرَةٌ فِي الْأَرْضِ يَكُونُ فِيهَا الْحَيَّاتُ وَالْحَشَرَاتُ وَهَذَا قَالَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي عِزَّةَ الشَّاعِرِ وَكَانَ يُحَرِّضُ النَّاسَ بِشِعْرِهِ عَلَى قِتَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسَرَ مَرَّةً فَقَالَ إِنِّي مُحْتَاجٌ وَلِي بَنَاتٌ فَمَنَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَطْلَقَهُ بِغَيْرِ فِدَاءٍ وَأَخَذَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يُظَاهِرَ عَلَيْهِ أَحَدًا فَقَالَ يَمْدَحُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي الرَّسُولَ مُحَمَّدًا ... فَأَنْتَ حَقُودٌ وَالْمَلِيكُ حَمِيدُ

وَأَنَّكَ أَمْرُؤٌ تَدْعُو إِلَى اللهِ وَالتُّقَى ... عَلَيْكَ مِنَ اللهِ الْعَظِيمِ شَهِيدُ

وَأَنْتَ امْرُؤٌ بُوِّئْتَ فِينَا مُبَاءَةً ... لِمَهَادِ رَجَّاتٍ سَهْلَةٍ وَصُعُودُ

فَإِنَّكَ مَنْ حَارَبْتَهُ لَمُحَارَبٌ ... شَقِيٌّ وَمَنْ سَالَمْتَهُ لَسَعِيدُ

ثُمَّ نَقَضَ عَهْدَهُ وَأَتَى مَعَ الْكُفَّارِ لِحَرْبِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَ أَيْضًا بِأَحَدٍ فَسَأَلَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِ عَلَى مِثْلِ شَرْطِهِ الْأَوَّلِ وَقَالَ غَلَبَتْنِي فَاقَتِي فَلَمْ يَفْعَلْ وَقَالَ لَأَرْعَدَكَ تَمْسَحُ عَارِضَيْكَ بِمَكَّةَ تَقُولُ خَدَعْتُ مُحَمَّدًا مَرَّتَيْنِ وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُلْدَغُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ وَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ فَقُتِلَ صَبْرًا وَمَرَّتَيْنِ أُرِيدَ بِهِ التَّكْرَارُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فَارْ

البَصْرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ لَكِنَّهُ اقْتَصَرَ عَلَى الْأَقَلِّ لِأَنَّهُ أَسْبَبُ بِالْحَزْمِ فَكَانَ مُحَارِبًا شَقِيًّا كَمَا قَالَ فِي شِعْرِهِ الْفَالِ مَوْكِلٌ بِالْمَنْطِقِ وَلِمَا فِيهِ مِنَ الْمَيْلِ لِلْحُكْمِ أَجَرَهُ مِنْ نَفْسِهِ نَقْطًا مُنْتَقِمًا لَا مُنْخَدِعًا لِقَادِرٍ مُقْتَدِرٍ وَانْتَقَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ وَلَمْ يَعْفُ عَنْهُ فَإِنَّ غَضَبَهُ لِلَّهِ يَأْبَى الْحُكْمَ كَمَا قِيلَ

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ ... بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا

وَإِنْ كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُغْضِي عَنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ وَيَتَغَافَلُ عَنْهَا فِي مَقَامٍ آخَرَ كَمَا قَالَ أَبُو فِرَاسٍ

لَيْسَ الْغَبِيُّ بِسَيِّدٍ فِي قَوْمِهِ ... لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ الْمُتَغَابِي

قَالَ النَّجَّانِيُّ وَمَا وَقَعَ فِي شِعْرِ أَبِي عِزَّةَ مِنْ مَدْحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنُّصْحِ بِرِسَالَتِهِ لَيْسَ لَهُ مَخْرَجٌ إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَصَدَ بِهِ خِدَاعَهُ وَالسَّعِيدُ مَنْ وَعَظَ بِغَيْرِهِ الْمُرَادُ بِالسَّعِيدِ الْمُبَارَكُ الْمَرْضِيُّ عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ وَالْوَعْظُ كَمَا يَلِينُ الْقُلُوبَ مِنْ ثَوَابٍ وَعِقَابٍ أَيْ مِنْ نُصْحِهِ لِلْحَوَادِثِ النَّازِلَةِ بِغَيْرِهِ فَذَكَرَتْهُ عَوَاقِبَ الْأُمُورِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ فَانْتَقَطَهَا فَقَبِلَهَا فَهُوَ سَعِيدٌ وَمَنْ يُوعَظُ بِهِ غَيْرُهُ فَهُوَ شَقِيٌّ وَأَبْلَغُ مِنْ هَذَا وَإِنْ كَانَ مَعْنَى آخَرَ مَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَاعِظًا مِنْ نَفْسِهِ كَمَا رَوَاهُ الْمَاوَرْدِيُّ فِي أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ وَفِي مَعْنَاهُ قَوْلُ عُمَرَ لَا تَنْتَهِي الْأَنْفُسُ عَنْ غَيِّهَا ... مَا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا لَهَا زَاجِرُ

وَفِي مَعْنَاهُ قُلْتُ

الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا وَتَرْكُ الْهَوَى ... عَنْ كُلِّ أَمْرٍ يُرْتَجَى فَائِتُ

وَمَنْ يُرِدْ خَيْرًا بِهِ رَبُّهُ ... كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظُ

وَمَا ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ بَعْضُ حَدِيثٍ طَوِيلٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِيهِ الشَّقِيُّ مَنْ شُقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَالسَّعِيدُ مَنِ اتَّعَظَ بِغَيْرِهِ وَالسَّعِيدُ سَعِيدٌ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَأَخْرَجَهُ الْعَسْكَرِيُّ مَرْفُوعًا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَيْسَ مِنْ كَلَامِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَمَا تَوَهَّمَ وَإِنَّمَا تَمَثَّلَ بِهِ كَمَا قَالَهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ وَشَيْخُهُ الْعِرَاقِيُّ وَقَوْلُهُ فِي إِخْوَانِهَا جَمْعُ أَخٍ أَيْ فِي الْكَلِمَاتِ الْمُشَابِهَةِ لَهَا بِحَسَبِ الْبَلَاغَةِ يُقَالُ هَذَا أَخُو هَذِهِ الْمُشَابِهَةِ مُؤَاخَاةً لِعِلَّةِ الْمُشَابَهَةِ بَيْنَ الْإِخْوَانِ فَهُوَ اسْتِعَارَةٌ أَوْ مَجَازٌ مُرْسَلٌ وَفِي بِمَعْنَى مَعَ كَقَوْلِهِ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ أَوْ هِيَ عَلَى أَصْلِهَا كَانَ إِخْوَانُهَا الْكَثِيرُ بِهَا مُحِيطَةً بِهَا إِحَاطَةَ الظَّرْفِ بِالْمَظْرُوفِ فَفِيهِ اسْتِعَارَةٌ وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى كَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَالْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَاتِ وَالْحَرْبُ خَدْعَةٌ وَإِيَّاكُمْ وَخَضْرَاءَ الدِّمَنِ الْمَرْأَةَ الْحَسْنَاءَ فِي الْمَنْبِتِ السَّوْءِ وَغَيْرِهَا مِمَّا لَا يُحْصَى وَقَدْ أَفْرَدَ بِالتَّأْلِيفِ وَذَكَرَ الشَّارِحُ لِلْجَدِيدِ مِنْهَا جَانِبًا وَفِي شَرْحِهِ وَهُوَ بِمَعْزِلٍ عَنْ شَرْحِ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الكتاب فلذا اضربنا عنه صفحا ما يدرك الناظر العجب في نظمها قيل ما
نائب فاعل جمعت المبنى للمجهول كما تقدم وضبطه وانت رعاية لمعناه لانه بمعنى
الكلمات المجموعة وجملة يدرك بمعنى يلحق والعجب فاعله او الناظر فاعل والعجب
مفعول ويدرك من الادراك بمعنى التصور ومضمنها بضم الميم وفتح الضاد المعجمة
والنون اسم مفعول اي ما تضمنته من المعاني البديعة والتراكيب الصحيحة اي يتعجب في
دلالة كل من راها وفي نسخة مضمونها وتذهب به الفكر في ادانى حكمها اي يذهب
بالناظر فكره في اقلها واقل ما تضمنته من الحكم فالضمير في به للناظر وادانى جمع
ادنى بمعنى اقل عددا او كلما قما بالك بالاكثر ومعمول يذهب محذوف لقصد العموم
اي في كل مذهب فمعنى الذهاب به انه يتحير فيها فهو على حد قوله الم تر انهم في كل
واد يهيمون ففيه استعارة تمثيلية او كناية وقد قال له اصحابه صلى الله
عليه وسلم ورضي عنهم ما رايناك الذي هو افصح منك هذا الحديث رواه البيهقي في
شعب الايمان مسندا وذكره العلائي في امالية وشرحه وهو انه صلى الله عليه وسلم
كان يوما جالسا مع اصحابه فنشأت سحابة فقال صلى الله عليه وسلم كيف
ترون قواعدها الى آخره وستراه قريبا ومثله ما رواه ابو نعيم في الدلائل قال
لما خطب عبده صلى الله عليه وسلم بعض خطبا الوفود فاجابه بكلام عذب فصيح
فقال له علي كرم الله وجهه يا رسول الله نحن وانت بنو اب واحد ونشانا في بلد
واحد وانك تكلم العرب بلسان ما يفهم اكثره فقال ان الله ادبني فاحسن تاديبي
ونشأت في بني سعد بن بكر والحاصل ان الصحابة رضي الله عنهم اكثر من مخالطة
فصحاء العرب وخلصها وكانوا لا يفقهون احيانا كلامهم حتى يفسر صلى الله عليه
وسلم لهم وقد ورد ايضا كما ياتي ان لغة اسمعيل عليه الصلاة والسلام كانت
اندرست فعلمها له جبريل عليه الصلاة والسلام كما علم ادم الاسماء قال وما يمنعني
وانما انزل القران بلسان عربي مبين اي ما يمنعني من اكون افصح الناس او من
ان لا نزوا فصح مني والكتاب الذي انزل علي بافصح اللغات وفي اعلا طبقات
البلاغة هذا من تتمة الحديث السابق في وصف السحابة وهو حديث صحيح رواه
النجاني مسندا عن عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب عن موسى بن محمد بن ابراهيم
التيمي عن ابيه عن جده قال بينا رسول الله صلى الله عليه ذات يوم جالسا مع اصحا
اذ نشأت سحابة قالوا يا رسول الله لقد سحابة فقال ترون رحاها فقالوا اما احسنها
واشد استدارتها كيف ترون قواعدها قالوا اما احسنها واشد تمكنها قال
وكيف ترون رحاها قالوا اما احسنها واشد استدارتها قال وكيف ترون بواسقها

قالوا اما احسنها واشد استقامتها قال وكيف ترون برقها او مبيضا م خفيا
او يسق شقا قالوا بل يشق شقا قال وكيف ترون جونها قالوا اما احسنه واشد
سواده فقال صلى الله عليه وسلم الحيا فقالوا يا رسول الله ما رايناك الذي هو افصح
منك فقال وما يمنعني من ذلك وانما انزل القران بلسان عربي مبين وقواعد
السحابة اسافلها واحدة قاعدة واما القواعد في النساء فواحدتها قاعد
وهي التي قعدت عن الولد ورحاها وسطها ومعظمها وكذا رحى الحرب وسطها
ومعظمها حيث استدار القوم وقال الجوهري مستدارها وبواسقها اعلاها
منها وارتفع وكل شيء علا فقد بسق وقال ابن الاثير ما استطال من فروعها والوميض
اللمع الخفي يقال ومض ايماضا او ومض يعينه عمرو والخفق بزنة الضرب وبالاحمر
البرق الضعيف كما قاله القالي قال التجاني التقدير ان ترونه وميضا او ذا خفق لقول
الجوهر خفا البرق يخفق خفوا ويخفق خفيا اذا لمع لمعا ضعيفا معترضا في نواحي
الغيم فان لمع قليلا ثم سكن فهو الوميض فان شق الغمام فاستطال فهو العفيف
وجونها اسودها وهو من الاضداد لانه يكون بمعنى الابيض والحيا بالقصر
الغيث وجمعه احيا والعناية بوصف السحاب مشهورة بين فصحاء العرب وقال
صلى الله عليه وسلم مرة اخرى بيد اني من قريش ونشأت في بني سعد قال
السيوطي هذا الحديث اورده اصحاب الغريب ولا يعرف له اسناد وللطبراني
من حديث ابي سعيد ولفظه وانا اسمع اعرب العرب ولدت في قريش ونشأت
في بني سعد فاني يأتيني اللحن وقال قطرب بغا في تخريجه اخرجه ابو عبيد بلاغا
واخرج الطبراني في الكبير عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب انا اعرب العرب ولدتني قريش ونشأت في بني
سعد فاني يأتيني اللحن وفي سنده مقال واما ما اشتهر من انا افصح من نطق بد
بالضاد بيد اني من قريش فقالوا انه لم يثبت وان ذكر في كتب النحو والاصول وبيد
فيها لغتان اخريان ميد بالميم وبايد كما ورد في الحديث قال في النهاية ولم اقف
عليه ولعله مايد اي بقوة فحرف وفسر بغير الاستثنائية ومن اجل التقليل
وبعلى ان كما يقال هو كثير المال على انه بخيل وتلزم الاضافة لان المشددة وصلتها
وهي في الحديث بمعنى غير والاستثناء هنا منقطع على حد قوله

ولا عيب فيه غير ان نزيله ٭ يعاب بنسيان الاحبة والوطن

واستدل ابو عبيدة على مجيئها بمعنى من اجل بقوله

عمدا فعلت ذاك بيد اني ٭ اخاف ان هلكت ان ترثني

وقولهم مارايتا الذي هو افصح منك عنوا ولا يساويك كما مر تحقيقه وجوابه
بقوله بيد الى اخره ان فسر بغير ظاهر لافادته انه صلى الله عليه وسلم افصح من
جميع العرب واما تفسيرها بمن لجل فقد استشكل بان مفهومه انه من قريش وهو
افصح العرب ولا يلزم منه ان يكون افصح العرب بل من افصحهم وهذا الاشكال
اورده بعض الشراح على انه من نبات افكاره مر به وقد سبقه اليه الكرماني في شرح
جمع الجوامع وتقدم ما في ذلك مبسوطا او الكتاب ووجهه ان العلة موجودة في
غيره وهو نقض للحكم بوجود علته في غيره واورد عليه ان كثيرا من الاصوليين كالبيضاوي
والهندي ذهبوا الى ان تخلف الحكم ان كان لمانع او لفقد شرط لا يقدح في علة العلة
مطلقا سواء كانت منصوصة اولا والتقدير هنا مع كونه نبيا فالتعليل هنا صحيح
مطرد على ما فصل في العضد وغيره ويسمونه خصوص العلة وهذه حزبرة
لان الحديث بيداني من قريش واسترضع في بني سعد وفي رواية وانزل القرآن
بلسان عربي مبين والمجموع هو العلة ولا توجد في غيره اي انى من قبيلتين هما افصح العرب
وقد نشأت بالحاضرة والبادية فجمع لي من الرقة والجزالة ما لم يجتمع لغيري والمعنى
اني انزل على القرآن على اسلوب لا يوجد في غيره جامع لزبدة جميع اللغات فانتفى سلامة
طبعي وانتفاء صحة ذهني ما لم يتصور لغيري واما النبوة فلا دخل لها هنا
او نقول كونه افصح العرب من قريش معلوم لان الشاذ لا بن له صلى الله عليه وسلم منهم
وهو بين اظهرهم لا يخفى عليهم حاله واما كونه نشأ في بني سعد واسترضعوه فلان
حليمة السعدية رضي الله عنها ارضعته بعد ثويبة جارية ابي لهب فحليمة
بنت ابي ذويب وزوجها الحارث ابوه من الرضاعة وبنو سعد من اكرم العرب وافصحهم
وحليمة من اوسطهم ولذا اختارها الله لرضاعه صلى الله عليه وسلم لان الرضاع يؤثر
في الطباع ووقع عندها شق صدره الشريف وسيأتي بيانه وانه وقع مرارا
شرح التجاني قال اختلف المتكلمون في كلام النبي صلى الله عليه وسلم هل منه ما هو
معجز كالقرآن بناء على هذه الاحاديث ام لا فذهب بعضهم الى اعجازه وان اعجازه هو
دون اعجاز القرآن وذهب الباقون الى انه في معناه في الفصاحة ولكن لا يبلغ الى
رتبة الاعجاز وهذا هو الصحيح واحتج الاولون بما روى عن ابن مسعود رضي
الله عنه انه اشتبه عليه كون المعوذتين من القرآن وعد بعض الصحابة رضي الله عنهم
القنوت من القرآن وهم فصحاء عالمون بالاعجاز والصحيح ان هذا باطل لم يثبت
عن ابن مسعود رضي الله وغيره او مناول بانه لم ينكر كونهما من القرآن ولم يشك فيه
وانما انكر كتابتهما في المصحف لانه لم يبلغه انه صلى الله عليه وسلم امر بكتابتهما

الكوراني ع

وهو يحتج بقرآنه وقراءة الصحابة رضي الله عنهم بهما في الصلاة وسيأتي لذلك
بيان في آخر الكتاب فان قلت ما مر من تكلم النبي صلى الله عليه وسلم بالوحشي من اهله
ومن يتكلم معهم فصيح فلا حاجة الى القول بانه غير عربي لثبوته في كتب اللغة من غير
احتياج لتنقير وتفحص والى ما ذكرناه اشار المصنف رحمه الله بقوله جمع له صلى الله
عليه وسلم بذلك قوة عارضة البادية جمع مبنى للمجهول واصله جمع الله له فحذف
للعلم به وذلك اشارة لكونه من قريش ونشأ في بني سعد وانما نشأ صلى
الله عليه وسلم فيهم ع على عادة قريش في دفعهم اولادهم لمرضعات بالبادية ليتفرغ
النساء شأنهن ولان هواها اصح وليكون مع اولاد الاعراب فتدرب الترفه وكذا
كان عادة ملوك بني امية والعارضة التخلد والقدرة على الكلام ويقال
بغير عرضه للسفراي قوى عليه واضافة القوى لها بيانية والبادية والبداوة
والبداة خلاف الحاضرة وتبدى اتى البادية وتبادى تشبه باهلها وهي خلاف
الحاضرة اي الامصار والمراد بالبادية اهلها او هو بتقدير مضاف وجزالتها بفتح
الجيم والزاي للحجة خلاف الركاكة اي جزالة كلامها يقال كلام جزل اي قوي شديد
ومنه الحطب الجزل الغليظ وليس من الركيك وهو الضعيف من الالفاظ المحلول
التركيب فتكثير السواد به هنا غير مناسب وفصاحة الفاظ الحاضرة النصاعة
كالفصاحة مصدر بمعنى الخلوص والمراد خلوصها من التعقيد والغرابة الوحشية
وضاده وعينه مهملتان من نضع الشيء اذا بان جيده من رديه والحاضرة خلاف
البادية سكنا القرى والامصار ورنق كلامها الرونق البهاء والحسن فان
كلام اهل البادية قوي متين لعدم تصنعهم وكلام اهل الحاضرة رقيق لطيف
فجمع كلامه صلى الله عليه وسلم بين هاتين الصفتين مضموما ذلك الى التاييد الالهي
الذي مرده الوحي ومدده بمعنى ممدوده لا بمعنى زيادته والتاييد التقوية من
الايد وهو القوة وامده بايحابه وانزاله اليه كلامه المعجز ولذا صح ان اهل
الجنة يتكلمون بلغة محمد صلى الله عليه وسلم ولغة اهل الجنة فلا صحة لما رواه
بعضهم ان لسان اهل الجنة فيها الفارسية الدرنة وهذا في معنى ما روى ان عمر
رضي الله عنه قال مالك افصحنا ولم تخرج من بين اظهرنا فقال صلى الله عليه وسلم
كانت لغة اسماعيل فدرست فجاءني بها جبريل عليه الصلاة والسلام فحفظتها
الذي لا يحبط بعلمه بشري اي انساب منسوب للبشر وهم الناس والضمير
للتاييد الالهي وقالت ام معبد هي كما مر عاتكة بنت خالد بن زمعة احدى نسا
بني كعب بن عمرو بن خزاعة وزوجها عبد الملك بن وهب وقيل لا يعرف

اسمه نوفل في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ويقال انه صحابي له رواية وكانت تنزل
بين مكة وجبالها فنزل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه لما
هاجرا فقرتهما فلما جاز وجها اخبرته بذلك ووصفته له في حديث ذكره اهل
السير افرده الحافظ العلاي بالشرح **في وصفها له** مصدر مضاف لفاعله وضمير
له للنبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون له خبر مقدم والاول اولى **حلو المنطق** الحلو
في المطعومات مستلذ فاستعير لما يعجب السامع ويستلذ بسماعه ذوقه او كلجين
الماء **فصل** مصدر بزنة ضرب بفاء وصاد مهملة ولام اي فاصل بين الحق
والباطل او بين ظاهر قاطع للشك لا لبس فيه او يفسر قوله لا نزر ولا هذر
كما قاله العلاي رحمه الله اوذو فصل بين اجزايه لقول عايشة رضي الله عنها
ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا ولكن كان اذا تكلم
بكلام بينه فيحفظه من يجلس اليه كما في المصابيح ونزر بفتح النون وسكون الزاي
قليل لا يفهم والهذر بالهاء والذال المعجمة المفتوحتين بليه راء مهملة كذا ضبطه العلاي
وهو زاد بشقة وتبعه بعض ارباب الحواشي وضبطه ابن الحنبلي بسكون الزال مصدر
هذر يهذر في كلامه والاسم الهذر بالتحريك وهو كثرة الكلام بحيث يمل وهذا غير منافي
لما ورد في الحديث اوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا لان المنفي الايجاز
المخل لا القبول فيه **كان منطقه** اي ما ينطق به **خرزات نظم** اي متناسبة
لها رونق كالعقد المنظوم من الجواهر والخرز ما ينظم من الجواهر وليس كما توهمه
العامة من تخصيصه بنوع كما في الصحاح من الخرز وهو المثقب **وكان جهير القول**
حسن النغمة العرب تتمدح بعلو الصوت وتذم بضده ولذا تمدحوا بسعة الفم وتذموا
بصغره كما قاله الجاحظ في كتاب البيان وقد ورد في وصفه صلى الله عليه وسلم في
حديث ابن ابي هالة انه كان يفتتح الكلام ويختمه باشداقه كما قاله الفخر الشلوبين
جهير وممتد العنان مناقل • بصير بعوار الكلام خبير
لوان الصخور الصم يسمعن صوته • لرحن وفي اعراضهن فطور
والجهير والجوهري العالي الصوت فليس فيه خفاء ولا تكسير ككلام النسا اقول
هذا لا ينافي ما مر من ذم التقعر والتشدق في الكلام فان ذلك اذا افرط او كان تصنعا
ثم ان المدح بسعة الفم لدلالته على الفصاحة وقوة القدرة على الكلام بخلاف غيره والذم
ما لم يفرط بحيث يشوه الخلقة لا سيما مع غلظ الشفتين ولا عبرة بمدح شعر العجم
ومن تبعهم من المتاخرين لصغير الفم فانه مقصد فاسد كما قاله ابن سنا الملك
له فم ضيق فلم يستطع • ان يخرج اللفظ بتقويم • ولفظ سكران من ريقه • فمولهذا غير مفهوم

وقال أيضا بمجتنى افديه من • فصيح لفظ معجمه • لا يستطيع اللفظ ان
يخرج من ضيق فمه • وكان صلى الله عليه وسلم اذا قرا بالليل او خطب يسمع صوته
واما حسن نغمته فلما ورد في الحديث عن علي كرم الله وجهه لم يبعث الله نبيا
الا حسن الوجه حسن الصوت وكان داود صلى الله عليه وسلم اذا قرا الزبور لم
تبق دابة الا انصتت له الا ان قراءة نبينا صلى الله عليه وسلم لم يكن على طريقة الالحان
والموسيقى فانه غير ممدوح وحديث ليس منا من لم يتغن بالقران الكلام فيه مشهور
غريبة ذكرها التلمساني هنا قال قال السيد الحسن كان شيخنا ابو زكريا يحدث
عن شيخه منصور بن علي النجاني عن ابيه وغيره من شيوخه يقولون انما كانت المصامدة
فيهم بركة لانه وفد منهم رجل وقيل رجلان وقيل بل هم سبعة على النبي صلى الله عليه
وسلم حين بعث فلما دخلوا المسجد الحرام لم يعرفوا النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا
لا يعرفون العربية فقال رجل منهم بلغته من ابون اسيران واسير بلغتهم النبي او الرسول
اي ايكم رسول الله فلم يفهم الحاضرون قوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشكذا ونر
تعالى واقبل وهلم وهو بهمزة وشين معجمة ساكنة وكاف مفتوحة مشددة
وآو ومعناه آوالينا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيبه بلغته ولا يفهم
القوم فاسلم وبايع وانصرف لقومه وكان النبي صلى الله عليه وسلم اخبرهم بقدومه
ولغته قال ابو زكريا كان شيخنا منصور يحدث بهذا الحديث في هذا الفصل فسبحان
من علمه ذلك ان المنعم الكريم قال وقبورهم موجودة الى الآن انتهى **فصل**
واما شرف نسبه وكرم بلده ومنشيه الشرف رفعة القدر والكرم تجمع انواع
الخير وان خصه العرف بمعنى الجود والمنشا محل نشا فيه وتربي **فيما لا يحتاج الى**
اقامة دليل عليه لظهوره ولا بيان مشكل ولا خفي منه المراد انه لا خفا فيه
ولا اشكال حتى يحتاج الى البيان على حد قوله ولا ترى الضب لها ينجحر **فانه صلى**
الله عليه وسلم نجبة بني هاشم النجبة بضم النون وسكون الجيم وفتحها وبالموحدة
كنمرة المختار من بينهم المنتقى **وسلالة قريش وصميمها** السلالة بالضم بمعنى النسل
المستخرج منهم والصميم الخالص **واشرف العرب واعزهم نفرا** اي قوما والنفر ما
الانسان وعشيرته وهو اسم جمع لا واحد له يقع على الرجال خاصة من الثلاثة الى
العشرة وذكر الكرماني انه يقع على الواحد كما ذكرناه في شرح الدرة **من قبل ابيه**
وامه كما هو مبين في السير **ومن اهل مكة من اكرم بلاد الله على الله** لتشريفها وجعلها
قبلة الانبيا عليهم الصلاة والسلام ومقصد الحجيج **وعلى عباده** اذ لم تزل الناس تعظمها
في الجاهلية والاسلام وقال النجاني وتبعه بعض الشراح هنا بعد ما ذكر انك لا جد ارض الله

تكلم صلى الله عليه وسلم بالبربرية

وقال النضر

إلي ولاحب ارض الله الى الذي قال صلى الله عليه وسلم عند ما خرج منها مهاجرا اجمعوا
على ان مكة والمدينة افضل البقاع وانما اختلفوا ايهما افضل فنسب للمالكية تفضيل
المدينة والشافعي وابو حنيفة والاكثر على تفضيل مكة لما لها من المزية بان
الله حرمها وحرم صيدها وقيل بتغليظ الذنب ودية القتل فيها والية لا يقام
الحد فيها وغير ذلك من الحرمة التي ليست لحرم المدينة والصلاة بها توازي زيادة
على غيرها وهذا في غير البقعة التي وضع فيها النبي صلى الله عليه وسلم وسياتي ان
المصنف رحمه الله فضل مكة على المدينة فجعلها اشرف واكرم وكلامه هنا مناف
لمذهبه ولكلامه الآتي ولهذا اعترضوا عليه وفيه حملا وعند المالكية ايضا كما
سياتي فلا حاجة لما قيل من ان كلام النجاني يكفي ليلا على فضل مكة في مذهب
مالك وقال الطبري بيت خديجة يلي المسجد الحرام في الفضيلة واجيب بانه
غير مناقض لما سياتي لانه لو قيل مكة اكرم واشرف البلاد بل من اكرم البلاد ومن فيه
تبعيضية لا بيانية وكون الشيء بعض الاشرف لا يقتضي انه اشرف فان البلاد
البلاد الثلاثة التي تشد الرحال اليها شريفة وهذا منها اقول ولو قال
اشرفها لم تشكل ايضا لان الكلام في منشايه ومولده وهي في زمن ولادته وقبل
هجرته كانت اشرف البقاع على الاطلاق اذ المدينة انما صارت حرما مكرما بعد هجرته
تكريما له صلى الله عليه وسلم وكان المعترض لاحظ ان المراد تفضيل النبي صلى الله عليه وسلم
على جميع خلقه بشرف منشيه فناسب كونه اشرف من جميع ما عداه فتدبر ووقع في
بعض الشراح اكرم بدون ميم فلعل كلامهم مبني على هذه النسخة حدثنا قاضي القضاة
ابو محمد القدفي نسبة الى القدقة وهو اسم قرية من قرى القيروان ووقع للقمها حسين
اختلاف في جواز اطلاق قاضي القضاة فقال بعضهم لا يجوز كملك الملوك وشاهنشاه
وشاهنشاه اي سلطان السلاطين فانه هو الله والحق جوازه كما افتى به كثير من
ارباب المذاهب الاربع فان القرينة ظاهرة في ان المراد قضاة عصره ومملكته فانه
يطلق على من يكون قاضيا في تحت الملك ويودن له في تولية قضاة الاطراف ولهذا
عدلوا عنه وقالوا قاضي العسكر ولكن قوى بعضهم منعه لورود التصريح بمنعه
في الحديث والقدفي هو ابن سكرة وهو امام ثقة ترجمته مشهورة قال حدثنا
القاضي ابو الوليد سليمان بن خلف هو الامام العلامة الحافظ ابو الوليد الباجي
وقد تقدمت ترجمته ايضا قال حدثنا ابو ذر عبد احمد هو الامام الحافظ ابو الوليد
ذر الهروي وقد تقدمت ترجمته وعبد اسمه من غير اضافة قال حدثنا ابو محمد السرخسي
نسبة الى سرخس بفتح السين وفتح الراء بلد عظيم بخراسان وهذا هو المعروف واما قول

التلمساني

التلمساني نقلا عن ابن مرزوق انه بكسر السين وفتح الواو انه يقال ابزنة درهم
فلا نعرفه وابو اسحاق المستملي واسمه ابراهيم بن احمد بن داود المستملي
الامام الثقة وابو الهيثم محمد بن يوسف هو محمد بن المكي بن زراع الكشميهني
بضم الكاف وسكون الشين المعجمة وكسر الميم وسكون المثناة التحتية وفتح
الهاء وكسر النون وياء النسبة نسبة لقرية من قرى مرو قديمة خربت وخرج منها
جماعة قاله ابن الاثير قال التلمساني ويقال الكشماهني وياتي الكلام عليه ايضا
بابسط من هذا قال لنا حدثنا محمد بن يوسف هو الفربري وقد تقدمت ترجمته
قال حدثنا محمد بن اسماعيل هو حافظ الاسلام البخاري وقد تقدمت ترجمته
قال حدثنا قتيبة بن سعيد تقدمت ترجمته قال حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن
ابن محمد بن عبد الله القاري منسوب للقارة قبيلة المدني نزيل الاسكندرية وهو
يروي عن زيد بن اسلم وسهل بن ابي صالح وغيرهما وروى عنه قتيبة ويحيى ابن
بكير توفي سنة احدى وثمانين وماية واخرج له اصحاب السنن ووثقه
ابن معين عن عمرو بن عمرو ويقال ابن ابي عمرو مولى المطلب روى عن انس وعكرمة
وطايفة وروى عنه مالك والدراوردي ووثقه وقال النسائي انه ليس بالقوي
وقال احمد ليس به باس وقال ابو زرعة انه ثقة واخرج له الايمة الستة وتوفي
في اول خلافة المنصور وله ترجمة في الميزان عن ابي سعيد المقبري بفتح الباء
سمي به لسكونه بقرب المقابر كذا وقع في بعض النسخ قال البرهان الحلبي وضبط
المصنف رحمه الله على لفظ ابي وهو الصواب فانه سعيد بن ابي سعيد المقبري
واسم ابي سعيد كيسان وكنيته سعيد ابو سعيد وفيه نظر وهو يروي
عن ابيه وابي هريرة وعايشة وغيرهما وروى عنه الليث ومالك وخلق
ووثقه النسائي وابو زرعة وغيرهما وقال احمد ليس به باس توفي سنة ثلاث
وخلاثين وقيل خمس وعشرين وماية واخرج له اصحاب الكتب الستة عن ابي
هريرة رضي الله عنه فقدمت ترجمته والكلام في اسمه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني ادم هذا حديث صحيح انفرد
البخاري باخراجه وعنه روى المصنف رحمه الله وفي القرن عشرة اقوال فانه
معنى القرن مقدار من الزمن ويطلق على اهله فقيل عشرة وعشرون وثلاثون
واربعون وستون وسبعون وثمانون ومايه وعشرون ويطلق ايضا
كما قاله البرهان الحلبي قال وابتدا قرنه عليه الصلاة والسلام من بعثته او
من حين فشا الاسلام وقيل القرن كل عصر فيه نبي او كبار من العلما فليس

زمان الفترة بقول نقله التلمساني وقال النجاني القرن في اللغة كل طبقة من الناس مقترنين في وقت واحد وربما سمي الوقت قرنا لانه يقرن ناسا بناس واحتج القائلون بانه مائة سنة بان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح رأس غلام وقال عش قرنا فعاش مائة سنة كما ذكره الهروي والمختار ما قيل ان القرن كل امة هلكت فلم يبق منها احد انتهى وفيه نظر والظاهر ان المراد بالقرن في الحديث طائفة وجيل من الناس في عصر واحد وزمان متقارب اشتركوا في امر من الامور المقصودة وقوله من خير الى اخره من فيه لابتداء الغاية لا للتبعيض لان المراد ان قرنه الذي بعثه فيه خير القرون لا انه بعث في بعض القرن بدليل ما روي في الحديث الصحيح خير القرون قرني والمراد به عصره صلى الله عليه وسلم وعصر صحابته رضي الله عنهم لانهم انقرضوا بعد مائة من انتقاله صلى الله عليه وسلم وكسور اختلف فيها قيل وهذا الحديث يدل على ان اصحابه افضل هذه الامة وسائر الامم غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان ذلك ثابت لكل واحد منهم لعموم والى ذهب الجمهور لان فضل الصحبة ونورها لا يعدله شئ ولا يساويهم في الفضل وان تفاوتوا فيه بعد الصحبة ونحو مخالفا لابن عبد البر رحمه الله حيث جوز ان يكون بعد الصحابة من هو افضل من بعضهم الا من قاتل معه صلى الله عليه وسلم وانفق ماله في سبيل الله فانه لا يعدله غيره بالاتفاق واستدل بحديث امتي مثل المطر لا يدري اوله خير او اخره وهو حديث صحيح واجاب النووي رحمه الله بان المراد باخره من ادرك عيسى عليه الصلاة والسلام ورآي في زمانه من الخير والبركة وانتظام كلمة الاسلام واضمحلال الكفر وهو متفق واخره من لم يدركه في صدر الاسلام غير الصحابة وسياتي الكلام عليه مفصلا قرنا فقرنا هذا كتولهم قرأت النحو بابا بابا او هو حال بتاويل مرتبا ولم يذكره النحاة معطوفا وكانه الحامل لبعض الشراح على جعله معمولا لحال مقدرة والمقال للترتيب في الوجود الفضل نحو خذ الاكمل فالاكمل ومنه والصافات صفا فالزاجرات زجرا وهذا قريب من قول ابن الرومي

وكم من اب قد علا بابن ذوي شرف ... كما على برسول الله عدنان

حتى كنت من القرن الذي كنت منه قيل حتى غاية لبعثه واراد به ثقيلة في اصلاب ابائه من ابراهيم عليه الصلاة والسلام ثم من ثابت ابن اسماعيل ثم من النضر بن كنانة ثم من قريش بن النضر ثم من عبد الله بن عبد المطلب ثم ايد هذا بحديث

رواه البيهقي مسندا في دلائله والترمذي وحسنه وهو ما اشار اليه بقوله وعن العباس رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق اي المخلوقات كلها من انس وملك وجن فجعلني من خيرهم اي اوجدني وصيرني من خير جنس منهم وهم الانس وهم خير نوع وهم العرب ومن خير قرن وهو قرنه صلى الله عليه وسلم وقرن اصحابه فلذا ابدل منه قوله من خير قرنهم بدل بعض من كل ثم تخير القبائل اي اختار من قرنه خيارهم اي اشرفهم فجعلني من خير قبيلة من العرب وهم قريش والقبيلة واحدة القبائل الجماعة من اب واحد والقبيل من غيرها بنو اباء من اباء منتسبة للاب الاول تسمى بيونا وبطونا لانهم من بطن واحدة وتجمعهم بيت واحد واصل البيت المسكن الذي يبيتون فيه فاطلق على اهله وصار حقيقة فيهم فلذا قال ثم تخير البيوت بضم الباء وجوز كسرها فجعلني من خير بيوتهم يعني بيه بني هاشم وقيل المراد بالبيت هنا الشرف اي تخير الله جهات الشرف واسبابه المقتضية له واختار الى اعلاه والاشرف والاول هو الموافق للغة نعم البيت يخص بمن له شرف فانا خيرهم اي جميع من ذكر نفسا اي روحا وذاتا وخيرهم بيتا اي حسبا وشرفا واصلا وفيما ذكر اشارة الى الطبقات الست من الناس فان العرب كما تقدم تنقسم الناس لشعب وقبيلة وعمارة وبطن وفخذ وفصيلة كل طبقة تجمع ما بعدها وما قيل من انه لا يلزم من كونه خيرهم بيتا ان يكون هو خير المشاركة اهل البيت له في شرفه والجواب ان المراد انه خيرهم بالقياس الى غير بيته لا الى كل واحد من اهل بيته ليس بشئ لانه لو كان كذلك لم يصح تفريعه على كونه خيرهم نفسا فهذا كقولهم فلان من العلماء وهو امدح من قولهم عالم كما قرره اهل المعاني لسوق فضله وخيريته ساق المعلوم المسلم وبيان عوافيه واصالته في ذلك كقوله وكانت من القانتين كما مر وعن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه وفي التذكرة في رجال الكتب العشرة لابي المحاسن العلوي واثلة بمثلثة ولا ابن الاسقع ابن كعب بن عامر ابو الاسقع ويقال ابو قرصافة الليثي اسلم قبل تبوك وشهدها وكان من اهل الصفة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابي مرثد الغنوي وابي هريرة وام سلمة رضي الله عنهم وروى عنه بنوه ومكحول وجماعة قالوا مات سنة ثلاث وثمانين وعمره مائة وخمس سنين وقال البرهان خمس وتسعون سنة وخدم النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين وذكر نسبه مخالفا لما ذكرناه فقال ابن عبد العزى ابن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن بكر بن عبد

مناف بن كنانة وقيل ابن عبد الله وقيل غير ذلك والاسقع بفتح الهمزة وسكون
السين المهملة وفتح القاف وعين مهملة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله اصطفى اى اختار وارتضى من ولد ابراهيم اسماعيل عليهما الصلاة
والسلام فهو افضل اولاده وكان له غير اسماعيل واسحاق ستة اولاد من قطورا
واصطفى من ولد اسماعيل بنى كنانة قال السهيلي ولاسماعيل بنون ذكر اسامم
ابن اسحاق وهم اثنى عشر منهم ثابت بالنون اي كما تقدم وهو جد كنانة وبينه
وبين ثلاثة عشر ابا وسمي بكنانة السهام التي تسمى رجحة ولقب به وحكى
ابو حاتم عن الاصمعي ان رجلا وقف مع اخيه اسد بسلحان جزورا لهما فقال لرجل
ماجلا الكاشطين فقال له خابية للمصارع وقصار الاقران فقال يا كنانة ويا
اسد اطعمانا من جزورنا فاطعماه فكنى الرجل عن كنانة بخابية الرجل المصارع
يعني السهام لانها تصرع ما اصابته وروى المصادع بالدال بدل الراجم مصدع
والمصرين صفات الاسد وجلا بكسر الجيم والمداي ما اسمها الذي يكشف اللبس
عنهما والكشط بمعنى السلخ والولد صفته مشبهة جرى مجرى الاسماء يشمل الواحد
وغيره واصطفى من بنى كنانة قريشا ولكنانة لصلبه النضر وله اربعة
اولاد ومن ذريته قريش واول قريش فهر بن مالك بن النضر وقيل النضر اول قريش
واختلف هل قريش اسمه او لقبه واسمه فهر وبه جزم العراقي في الفية السيرة
ويطلق قريش على بنيه فينصرف ولا ينصرف باعتبار القبيلة كما يقال تميم وربيعة
وكذا النضر فمن لم يكن من ولد النضر ليس بقرشي قال الشعبي رحمه الله النضر
ابن كنانة هو قريش وانما سمي قريشا لانه كان يتقرش عن ارباب الحاجات ليقضي
حوائجهم والتقريش التفتيش وقيل التقرش التجمع فسموا به لجمعهم فيكون
للقبيلة ولذا جاز منع صرفه تماعلم وقيل هو اسم سمكة عظيمة سمي به القبيلة لانه
يأكل السمك ويقهرها فسمي به القبيلة او ابوها لشدتهم وتصغيره للتعظيم قال الشاعر
وقريش هي التي تسكن البحر وبها سميت قريش قريشا واصطفى من قريش بنى
هاشم واسم عمرو وهو علم منقول من معان منه العمر بالضم ولحد عمود الانسان
وهو اللحم المطيف بهما وهاشم اسم فاعل من هشم بمعنى كسر سمي به لانه هشم الثريد لقومه
في سنة مجدبة قال عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف
اوكان يهشمه للحاج وهذا الشعر لمطرود بن كعب الخزاعي والقافيه مرفوعة وتوارد
مع عبد الله بن الزبعرى في قوله
يا ايها الرجل المحول رحله • الا نزلت بال عبد مناف

الى العون

الخالطين غنيهم بفقيرهم • والقائلين هلم للاضياف
عمرو العلا هشم الثريد لقومه • فومت مكة مسنتين عجاف
وخلط الرواة في الشعرين فزعموا انه اقوى وليس كذلك واصطفاني من
بني هاشم هذا الحديث رواه مسلم والترمذي وما قاله المصنف رحمه الله هو
بلفظه في الترمذي ولفظ مسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى
قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وفيه
دليل على تفاضل العرب فيما بينهم الا انهم اختلفوا في التفاضل بين قريش على
ما فصله الفقهاء في باب النكاح في احكام الكفاءة وقد تبرع به بعضهم هنا وادا على له
قال الترمذي هذا حديث صحيح ونقل المزي عنه انه قال انه حديث صحيح
غريب وفي حديث عن ابن عمر رضي الله عنهما رواه الطبراني في الاوسط بسند
حسن ورواه الطبري هو الامام الفرد الحافظ ابن جرير ابو جعفر احد
الاعلام صاحب التصانيف المشهورة من اهل طبرستان كان كثير الطواف
والعبادة وسمع من محمد بن ابي الشوارب والسكوني واسحاق بن اسرابيل وغيرهم
واخذ القرآن عن جماعة وروى عنه كثير توفي ودفن ببداره وولد سنة اربع
وعشرين ومائتين وترجمته مشهورة انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز
وجل اختار خلقه اي اراد ان يخلق خلقه ويوجدهم فلما اوجدهم تخيرهم
فاختار منهم بني ادم وقيل اختار خلقه بمعنى اختار منهم ففيه حذف وايصال
وقوله فاختار الى اخره بيان له وكذا قوله ثم اختار بني ادم فاختار منهم العرب
وهم الجيل المعروفون كما تقدم وقيل معناه ميز بني ادم من بينهم عن غيرهم ثم
اصطفى بني ادم على غيرهم او معناه فاصطفى من بينهم بني ادم ثم واو على اصطفا
ايام وكثيرا ما يضمن الافعال معنى الدوام نحو يا ايها الذين امنوا امنوا والا
فلا معنى لاصطفا ايهم واختيارهم مرة بعد اخرى وليس العرب كلهم من ولد اسماعيل
كما قاله بعضهم فانه قول غير صحيح لشهرته لا حاجة لذكره ثم اختار العرب
اي بطنا من خيارهم ليزيده لطفا فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار
منهم بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني منهم فلم ازل خيارا من خيار اى
لم ازل من اصل مبدى واصولى الى ان انشاني الله خيارا مخلوقا من خيار وشريفا من شريف
الاحرف استفتاح وتنبيه على ما علم مما قاله وتحقيق لما بعده من احب العرب
فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم الظاهر ان الباء للسببية
اي من احبهم لسبب محبة النبي صلى الله عليه وسلم لهم ولمحبته فان من احب احدا يحب لاجله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قومه واصوله وكذا البغض وهو عدم المحبة ولا يكمل ايمان المؤمن حتى يكون الله
ورسوله احب اليه من نفسه ونقل عن بعض المالكية ان من سبهم وجب قتله
قيل وهذا ينبغي ان يقيد بالحبيثة فانه ملاحظ في كثير من القضايا اي من
حيث كون النبي صلى الله عليه وسلم منهم او من حيث انهم كرب لا من البغضهم او ذمهم
لامر اخر كقوله تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا ويدل عليه قوله في الحديث
احب العرب لثلاث لاني عربي والقرآن عربي ولسان اهل الجنة في الجنة عربي والمراد
الحث على محبتهم وقد صنف العراقي رحمه الله كتابا في هذا سماه نيل القرب في محبة
العرب وفي هذا رد على الشعوبية وهم قوم يفضلون العجم على العرب ولهم ادلة على
مقالتهم ينسبوها وما عليها واورد الاحاديث الموضوعة نصرة لهم منها ان الله
تعالى اذا تكلم بالرضى تكلم بالفارسية واذا تكلم بالغضب تكلم بالعربية وفي الشرح
الجديد الاحاديث الواردة في فضل اللغة الفارسية كلها موضوعة وفضلهم في
الكرم والشجاعة والحلم والعلم اكثر من ان يحصى وقيل ان ابا عبيدة كان شعوبيا
وصنف كتابا في مثالب العرب وقد قيل انه كذب عليه فان قلت ان تقديم المتعلق اعني
سببي وبغضي يقتضي الحصر ومحبتهم لشرف نسبهم وحسبهم وما فيهم من الامور
المحمودة لا يتوقف على محبته صلى الله عليه وسلم قلت ان كانت الباء للالة الادغامية
كما في نحو نظرت بعيني وسمعت باذني فلا اشكال لان المعنى من احبهم او ابغضهم فبسبب
انبحبهم بمثل حبي وبيغضهم بمثل بغضي وهو الحب في الله والبغض في الله وان كانت
للسببية فالمراد انه بسبب حبي بحبهم لا للعصبية وامور الجاهلية فتدبر قلت هذا
الحديث رواه البيهقي عن محمد بن ذكوان عن عمرو بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما
قال اقعدوا بقنا النبي صلى الله عليه وسلم اذ مرت امرأة فقال بعض القوم هذه
ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو سفيان مثل محمد صلى الله عليه وسلم في بني
هاشم مثل الريحانة في وسط العرين فانطلقت المرأة واخبرت النبي صلى الله عليه وسلم
فما يعرف في وجهه الغضب فقال ما بال اقوام يبلغني عنهم ما يبلغني ان الله عز
وجل خلق الخلق واختار من الخلق بني آدم واختار من بني آدم العرب واختار من العرب
مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بني هاشم واختارني من بني هاشم فانا
خيار من خيار الى الخير فمن احب العرب الى آخره وقوله وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال
السيوطي هذا الحديث رواه ابن ابي عمر العدني في مسنده ان قريشا بفتح همزة ان للشدة
والمصدر مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله كانت نورا بين يدي الله تعالى هو مستعار
مما بين الجهتين المتباينتين لدى الانسان لانهم من الله بمنزلة توجب اجلالهم ومحبتهم

تفخيما لشانهم وحثا على محبتهم وقيل انه كناية عن غاية القرب من محل رضاه كما يقال
فلان بين يدي الملك وان كانت الحقيقة هنا متعذرة فهو مجاز متفرع على الكناية
كما في قوله لا ينظر الى فلان كما في شرح المفتاح قبل ان يخلق آدم عليه الصلاة والسلام
بالف عام هو على حقيقته او المراد طول المدة اي قبل ان يظهره في عالم الشهادة نحو
لعه حكمة اظهاره بقوله يسبح ذلك النور ويسبح الملائكة اقتدا بتسبيحه اي
بتقديسه وتنزيهه لله والمراد بكون قريش نورا ارواحها او ان الله مثلها بهذا
المثال وابرز صورها في الملا الاعلى ينسبح ليعلم انها بشرية ملكية ولذا قال الله
لهم قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما ونحن نسبح بحمدك ونقدس
لك قال اني اعلم ما لا تعلمون يعني انهم سبحوا قبل ما سبحتم في الازل فهم لم يعلموا
بذلك لانهم ظنوا ان تلك الانوار ملكية صرفة وكان نور محمد صلى الله عليه وسلم مدرجا
اذ ذاك في اصوله من قريش وخبرهم بحاله اصلا به المسبحه وان لم يشعروا به وان من
شيء الا يسبح بحمده فلما خلق الله ذات وجسم آدم عليه الصلاة والسلام القى ذلك النور
والصلب والصالب عمود الظهر ويقال بضم الصاد وفتحها اي اودعه فيه كما يأتي
تحقيقه ثم وصله بقوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهبطني في صلب آدم
اي انزل نوري الذي في صلبه الى الارض وجعلني في صلب نوح اي نقل نوري من صلب
آدم عليه الصلاة والسلام ولم يقل جعلني ما بين نوح وابراهيم عليهما الصلاة
من البعد لان القذف الرمي من بعيد واصله الرمي بالحجارة يقال هم ما بين حاذف
وقاذف والحذف رمي العصا ثم لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الكريمة يعني
اصلاب اجداده عليه الصلاة والسلام والارحام الطاهرة من حيث الزنا وغيره
ووصف الاصلاب بالكريمة والارحام بالطاهرة في غاية الحسن لانها مقر الطمث
والدم والنطف والارحام جمع رحم وهو وعاء الولد ويطلق على القرابة حتى
اخرجني من بين ابوي اي ابي وامي على التغليب المشهور واخراجه من بينهما تولده
منهما وخلقه من نطفتهما لم يلتقيا على سفاح قط جملة حالية والسفاح هو
الزنا من سفح الماء ونحوه من المايعات اذا اراقه اي لم يجتمعا على زنا ولم تلق نطفة
احد من ابويه وابائه في غير الارحام الطاهرة من الزنا ونكاح الجاهلية كما مر وقط
لتعميم الازمنة الماضية يقال ما رايته قط بفتح القاف وضمها وتشديد الطا
وبفتح القاف وتخفيف الطا المضمومة واذا كانت بمعنى حسب فبفتح وسكون
ويشهد لصحة هذا الخبر شعر العباس رضي الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم
فانه اشتمل على معناه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وهو الشعر المشهور الذي اوله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق

الابيات وستاتي بتمامها مع الكلام عليها وقد قيل انها لحسان رضي الله عنه والصحيح الاول وان ذهب ابن عساكر في تاريخه الى الثاني في حديث اخرجه عن ابن عباس رضي الله عنهما الا انه ضعيف جدا **فصل** واما ما تدعو ضرورة الحياة مما **فصلناه** فيما تقدم اول الباب وتدعوا بمعنى تقتضيه والمراد حتى كانه تطلبه منه فهو استعارة في الاصل وضرورة الحياة ما لابد منه فيها بما يضطر اليه **فعلى ثلاثة ضروب** جمع ضرب وهو القسم والنوع من الشيء وفي بعض النسخ فعلى ثلاثة ضرب وفي بعضها اضرب بجمع القلة وهو انسب بالثلاثة والاولى لان الجمعين يقام كل منهما مقام الاخر كثيرا كقوله ثلاثة قروء وفيه تفصيل ليس هذا محله **ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل في كثرته فضرب تختلف الاحوال فيه** وافرد لكل منها فصلا كما سياتي **فاما التمدح** اي حسنه بحيث يستحق المدح به وليس المراد به التكلف كتحلم **والكمال لقلته اتفاقا** شرعا وعادة كما بينه بقوله **وعلى كل حال عادة وشريعة** والمراد بالعادة ما اعتاده الناس مما يودي اليه العقل اذا خلى ونفسه وطبعه والشريعة ما امر به الشارع صلى الله عليه وسلم ونهى عنه مما تضمنه الوضع الالهي السابق لذوي العقول باختيارهم المحمود **كالغذا والنوم** الغذا بكسر الغين وفتح الذال المعجمتين وبالمد كل ما كول ومشروب به قوام البدن مطلقا واما بفتح المعجمة وحال مهملة فما يوكل في اول النهار كما مر والنوم معروف **ولو نزل الحكما والعرب** اراد بالحكما حكما اليونان والهند والفرس ونحوهم ولذا قابلهم بالعرب وهم يمكحون قلة النوم والتشهر مما لا مزيد عليه قال في هياكل النور النفوس الناطقة من جواهر الملكوت وانما يشغلها عن عالمها القوي البدنية وشاغلها وضعف سلطان القوى البدنية بتقليل الطعام وتكثير السهر فيتلخص احيانا الى عالم القدس ويتلقى منه المغيبات **تتماوح بقلتهما وتذم بكثرتهما** تتماوح كتتفاوح لفظا والمقصود الكثرة لا التفاعل وخص العرب لانهم اكثر الناس مدحا لهذين بخلاف غيرهم كالروم والعجم فانهم يفتخرون بكثرة الاطعمة ونفاستها ولهم حرص عليهما وذكر الحكما منهم ومن غيرهم ومرد ذلك لاعتنايهم بالرياضة وقلة التنعم في ما كل ومشرب مع سداد عقولهم وصفاء ذهانهم واعتنايهم بهمات امورهم وعبادتهم وهو ظاهر وورد في الحديث ابغضكم الى الله كل نوام وقال عيسى عليه الصلاة والسلام للحواريين اجيعوا بطونكم لعلكم تروا ربكم بقلوبكم وقالوا البطنة تذهب الفطنة والاحاديث في هذا اكثر من ان تحصى وقال الله تعالى الذين كفروا يتمتعون ويا كلون كما تا كل الانعام لان كثرة الاكل والشرب دليل على النهم بفتح النون والهاء وهو الافراط في شهوة الطعام ومنه الحديث منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال والشرب مثلث الشين **والحرص والشرة** اي الحرص على الاكل والشرب والشرة بفتح الشين المعجمة والراء المهملة والهاء زيادة الحرص ففيه ترق **وغلبة الشهوة** المراد غلبة شهوته للطعام على تحمله وصبره وعقله فيما فيه صلاحه فليس فيما في كلامه تكرار وهذه كلها صفات مذمومة كما ورد في الحديث والحرص والشرة وعاء اعضال والحريص اسير شهوته وعبد بطنه والحرص قوام الحسد وهو هادم الحسد والحرص قد يكون محمودا اذا كان في تحمد قال تعالى حريص عليكم بالمومنين رووف رحيم وانما يمدح قلة الغذا والنوم اذا لم يفرط حتى يودي لضرر بلا ضرورة كما قال

واخشى الوسايس من جوع ومن شبع ٭ فوب مخمصة شر من التخم

شر ان ترك من ابتلي به اذا اعسر عليه ينبغي قطعه بالتدريج كما في منظومة ابن سينا وكل عادة تضر اهلها ٭ فاقطع بتدريج الزمان اصلها

وقوله مسبب لمضار الدنيا والاخرة خبر بعد خبر لان وهو بكسر الباء المشددة اسم فاعل ولم يقل سبب مع انه اخف واظهر لانه امر مباح لا ضرر فيه دنيوي ولا اخروي بل ربما يترتب عليه نفعهما كرامة البدن والقيام بعده للعبادة كمن لم يهم اول الليل لم يدرك صلاة الصبح فحيث انه يترتب عليه نفع تارة وضرر اخرى علم انه ليس سببا بل قد ينشو عنه سبب ضررها فهو مسبب لا سبب فان النوم قد يكون منه ترك الصلاة وهو سبب لضرر الاخرة والاكل يكون منه الامتلا وهو سبب للسدة والسل والشرب بعد النوم يورث الامراض وقيل انه بمعنى السبب هنا المفضي الى المسبب بالفتح والفضل للمتقدم فمعنى مسبب موجد للاسباب وهذه الشهوة والحرص عليها يودي الى جلب المال وكذا حب المال وكذا حب الدعة والراحة قد يترتب عليه مفاسد كما قال الشاعر

وانك ان اعطيت بطنك همة ٭ وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا

ويقع في بعض النسخ وغلبة الشهوة مسبب برفعهما على انه مبتدا وخبر وليس بشي لان غلبة الشهوة ليس سببا للمضار وانما سببه الاكل والشرب كما قاله الانطاكي ثم اشار المصنف الى ذلك على طريق اللف والنشر فقال **جالب لاد والمجسد** اي امراضه واسقامه كما هو مشاهد وقال

فان الداء اكثر ما تراه ٭ يكون من الطعام او الشراب

فهذا راجع لكثرة الاكل والشرب اذ بهما تمتلئ المعدة والعروق بالدم وتزيد الاخلاط
فيتولد منها الامراض واجمع اربعة اطباء هندي ورومي وعراقي وسوادي عند
الرشيد فقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا داء معه فقال الهندي هو الاهليلج
الاسود وقال الرومي حب الرشاد الابيض وقال العراقي الماء الحار فقال السوادي
وكان اعلمهم الاهليلج يفصح المعدة وهذا واوحب الرشاد يرققها وهذا داء
والماء الحار يرخيها وهذا داء قالوا فما هو قال ان لا تاكل الطعام حتى تشتهيه
وترفع يدك منه وانت تشتهيه وفي الطب النبوي في معناه احاديث كثيرة نحو
نصوا تصحوا وخثارة النفس بفتح الخاء المعجمة والمثلثة والراء المهملة عند
ابن رسلان وبضم الخاء عند البرهان الحلبي والاول هو الظاهر لموافقته القياس
كالكفالة والضلالة قال ابن الاثير هو ثقل النفس وعدم نشاطها والظاهر انه
راجع لكثرة النوم فانه يورث لا سيما بالنهار ضعفا للبدن ووقع في بعض النسخ
خسارة بالسين وهو تصحيف وتحريف من الكاتب وهو مجرور معطوف على الاداء
وكذا قوله وامتلاء الدماغ بابخرة رطبة تنتصاعد عند النوم ترخي اعصاب الدماغ
وتضعفه وتذهب صفاء الذهن وتورث البلادة وقلة الحفظ ويصح رجوع هذا
وما قبله للجميع لكن يأباه ما قبله من قوله وقلة دليل على القناعة بالنصب عطفا
على كثرة الاكل ويجوز رفعه على الابتداء الا ان من اعتاد قلة الاكل يقنع باليسير
فاستراح واستغنى عن الناس فعز وتخلى للعبادة وكان من رجال لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله وملك النفس معطوف على القناعة اي ملك نفسه
الامارة ولا تعصيه لانه اذا تتبع عصته نفسه وتحركت شهوته كما قال ذو
النون رحمه الله ما تتبعت الاهمت بمعصية والجوع يقمع الشهوات وقمع الشهوة
معطوف على القناعة والقمع القهر اي قهر شهوته وغلبها واضعفها حتى
لا تخالفه وما بعده خبر مبتدا مقدر والظاهر انه مبتدا خبره مسبب الصحة
وصفاء الخاطر وحدة الذهن الخاطر يطلق على ما يخطر على القلب من الافكار ويطلق
على نفسه وصفاؤه من الكدورة بحسب فهمه والذهن قوة الفهم وحدته سرعته
وهذا يكون عند الجوع اقوى واصفى وبه تتصل المعارف الربانية ويلتذ بالمناجاة
والاذكار والعبادة وقال الجنيد يجعل الحق بينه وبين قلبه مخلاة من
الطعام ويريد ان يجد حلاوة المناجاة وهذا كله راجع للاكل وما بعده لما
والحدة بكسر الحاء القوة كبعثة كما ان كثرة النوم دليل على الفشولة بضم الفاء
والسين المهملة واللام وهي الرذالة وعدم الهمة في امور الدنيا والاخرة

فيا نائم الليل هنيئته فقبل الممات سكنت القبورا

لانه يميت القلب ويورث الكسل ولا يصح ايجامه وان كان بمعنى الجبن لعدم مجيء
مصدره على فعوله والضعف اي ضعف القوى والادراك وعدم الذكاء والفطنة
هما متقاربان او الفطنة الفهم والذكاء سرعته فقدم نفي الاخص على نفي الاعم ليفيد
المبالغة على قاعدتهم في الترقي فيه وعدم الذكاء مرفوع مبتدا وخبره سبب كما في
الاصول والاظهر جره عطفا على ما قبله فسبب خبر بعد خبر كما هو للكسل
وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع اما كون كثرة النوم سبب التواني عن
فعل المهم فلتغفل الحواس فيه وارتخائها بعده فاذا الف ذلك عجز وضاع
عمره بلا فائدة كما قال

ليس من الخسران ليلا ليلا تمر بلا نفع وتحسب من عمري

فمثله لا يعد عمرا لانه ما عمر الانسان احد داريه

اذا كان راس المال عمرك فاحترس عليه من الانفاق في غير واجب

وقساوة القلب وغفلته وموته لعدم قبوله الموعظة بسبب غفلته عما يهمه وموته
بعدم ادراك لانه صفة تبطل الحس والارادة كالموت والية الاشارة بقوله تعالى الله
يتوفى الانفس حين موتها الاية فالنوم اخو الموت والشاهد على هذا اي الدليل
على هذا وانهما يوريان ما ذكر ما يعلم ضرورة اي يعلمه كل احد علما بديهيا ضروريا
ويوجد مشاهدة منه ومن امثاله او ينقل متواترا اي نقلا متواترا بحسب
المعنى من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين المتقدمين على ملة الاسلام
من حكماء الهند والعجم واليونان والعرب وغيرهم كقول الحارث بن كلدة حكيم
العرب افضل الدواء الازام اي قلة الاكل وقال داود اياك وكثرة النوم فانه
يفقرك اذا احتاج الناس الا عما لهم واشعار العرب واخبارها كقوله قارب
قديتك ان اكلت وان شربت وان عشيتا وانا الكفيل لك الحياة وان تعافا
ماجيتا وقال قيصر لفتى من ساعدة ما افضل الاكل قال ترك الاكثار وصحح
الحديث النبوي مثل ابغضكم الى الله كل نوام اكول شروب وغيره واثار من سلف
وخلف الاثر ما اثرته اي نقلته عن غيرك فيشمل الحديث ويطلق ويراد به ما يقابل
والمراد بمن سلف من تقدم عصر النبي صلى الله عليه وسلم وبمن خلف ما عداهم كالصحابة
رضي الله عنهم والتابعين مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه اي طلب شاهد
ودليل عليه وبين وجه ترك الاستشهاد بقوله اختصارا وافتصارا على
اشتهار العلم به الغنى عن التطويل بذكره والاختصار عند اهل العربية الحذف

شبكة الألوكة www.alukah.net

لدليل والاقتصار حذف بلاد ليل وعند المحدثين ان يكون للحديث طرق فيكتفي باحديها
والمراد هنا عدم التطويل اكتفا بشهرة العلم بما ذكر فكان النبي صلى الله عليه وسلم
قد لخذ من هذين الفنين اي النوعين وهما الاكل والنوم بالاقل عداه بالبا
وان كان متعديا بنفسه لتضمنه معنى التمسك او الاتصاف اي لازم صلى الله عليه
وسلم اقل قليل منهما لما فيه من الكمال والملكية المرضية والتي تاتي باسم الاشارة القريب
تحقير لهما نحو ما هذه الحياة الدنيا وتبعيدا لهما عن ساحة الاعتبار لعدم المبالاة
بهما وما قيل من انه كان ينبغي للمصنف رحمه الله ان يقتصر على كلامه صلى الله عليه
وسلم فان معه لا يحتاج لغيره من شعر وحكمة ليس بشئ فان مراده ان صفاته
صلى الله عليه وسلم مما اتفق العقلا وجميع الامم على حسنها وكونها مرضية محمودة
وان كلامه صلى الله عليه وسلم زبدة حكم الامم وان لم يرهم ولم يقرا كتبهم وكفاك
قصر القران نظيرا الصنيعه هذا اي ما ذكر من قلة اكله صلى الله عليه وسلم ونومه
مما لا يدفع اي لا ينكر ولا ينازع فيه من سيرته اي من طريقته وصفته وهو بيان
للحال من ضمير يدفع اي لشهرته وتواتره لا ينازع فيه لحد وهو الذي امر به
امته دون ضده وضمير به لهذا او الاقل وحض عليه بحامله وضاد مجته اي
حث الناس ورغبهم في التخلق به لما علم من شرفه وكماله لا سيما بارتباط احدهما
بالاخر لا سيما بمعنى لا مسلما والكلام عليه مفصل في العربية ويذكر بعده ما هو اولى
بالحكم بحاكم الناس لا سيما العلما الا ان في كونها هنا كذلك خفا لو تيقر ضواله غيران
بعضهم قال المغني لا سيما الامر بالاخذ بالاقل والحض عليه مع ارتباط احدهما بالاخر
لانه اذا شبع شبعا كثيرا نام كثيرا ففاته خير كثير يعقبه ندم كبير وهو لا يجدي نفعا
والبيان الثاني ان كلا واحد منهما مذموم مع انفراده ينبغي الحث على تركه فكيف اذا
اجتمعا وهما كذلك غالبا للزوم احدهما للاخر فان النوم يلزم الاكل والبا بمعنى
مع فما قيل ان لا سيما هنا ليست على وفق استعمالها ليس بشئ وهو نوطية للحديث
الاتي المتضمن للازمهما ومن لم يفهم هذا قال ان المصنف استعمل لا سيما على خلاف
ما جا في قوله ولا سيما يوم بدارة جلجل وقد قال انه لحن من استعملها على خلافه فهو محجوج
وحذف الواو والمستثنى بها وتقديم ولا سيما حض بارتباط احدهما بالاخر الى اخر
حدثنا ابو علي الصدفي هو الحافظ ابن سكرة تقدم بيانه بقراتي عليه بين
طريق روايته عنه بانه قرا وشيخه يسمع الا ان قراة الشيخ والسماع منه
اعلى رتبة في الرواية لكن صار المعروف اليوم القراة على الشيخ ولذا قيل انها ارفع
وقيل انهما سوا قال حدثنا ابو الفضل الاصفهاني بفتح الهمزة وكسرها

وبالبا والفا وهي بلدة عظيمة وهو احمد بن خبرون وقد تقدم اصبهان نفر
الفرسان لان اصب بمعنى فرس قيل وهي لا تخلو غالبا من ثلاثين رجلا
يستجاب دعاويهم وكان نمرود حمل منهم ثلاثين رجلا لحرب الخليل فلما راوه امنوا
به فدعا لهم بذلك اي بان تجاب دعوتهم كما اجابوا دعوته قال حدثنا ابو نعيم
بالتصغير وهو حافظ عصره ومحدثه احمد بن عبد الله بن احمد بن اسحاق بن موسى ابن
مهران الاصبهاني الصوفي سبط الزاهد محمد بن يوسف البنا ولد سنة ست وثلاثين
وثلثمائة وتوفي في المحرم سنة ثلاثين واربعمائة وعمره اربع وتسعون سنة وسمع
من كثير وسمع منه الحفاظ وله ترجمة في الميزان وتصانيفه مشهورة قال حدثنا
سليمان بن احمد بن ايوب بن مطر الشيباني مسند الدنيا الامام الجليل ولد بعكا
في صفر سنة ستين ومائتين واعتنى به ابوه فرح به في حداثته وسمع في سنة
ثلاث وسبعين وبعدها بمدائن الشام والحرمين ومصر وبغداد والكوفة
والبصرة واصبهان والجزيرة وغيرها وحدث عن كثير من الف شيخ وصنف
المعجم الكبير ولم يسند مذكر ابي هريرة فانه افرده بمصنف والمعجم الاوسط وهو كتاب
جليل نفيس فيه وكان يقول هو روحي والمعجم الصغير ومصنفات اخر جليلة
وفي ليلتين من ذي القعدة من سنة ستين وثلثمائة وله اية سنة وعشرة
اشهر بقيسارية وترجمته في الميزان قال حدثنا ابو بكر بن سهل ابو محمد مولى بني هاشم
ابن عبد الله بن يوسف الدمياطي روى عنه الطحاوي والطبراني وغيرهما توفي
سنة تسع وثمانين ومايتين عن نيف وتسعين سنة وهو مقارب الحال وقيل
ضعيف كما في الميزان قال حدثنا عبد الله بن صالح هو ابو صالح الجهني مولاهم
كاتب الليث روى عن معاوية بن ابي صالح الاتي وموسى بن علي وغيرهما وروى له
البخاري واصحاب السنن وهو زاهد حسن الحديث توفي في سنة مايتين وثلاث
وعشرين وعمره ست وثمانون سنة وله ترجمة مطولة في الميزان قال حدثنا عم
ابي ابي صالح الحضرمي قاضي الاندلس وهو امام صدوق توفي سنة ثمان وخمس
مائة وله ترجمة في الميزان ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن معدي كرب هو
يحيى بن خالد الطائي قاضي حمص مات سنة مائة وستة وعشرين واخرج له اصحاب
السنن والمقدام بن معدي كرب بن عمرو الكندي نزل بغداد صحابي نزل حمص وترجمته
مشهورة توفي سنة سبع وثمانين واخرج له اصحاب السنن واحمد قال السهيلي
معنى معدي كرب وجه الفلاح وفيه لغات اسكان يا معدي ولوبا لنصب مع فتح
باكرب بلا تنوين لبنائه واعرابها بالاضافة مع الصرف وعدمه ان رسول الله صلى

الله عليه وسلم قال ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه وهذا الحديث رواه الترمذي
والنسائي وابن حبان واخرجه المصنف رحمه الله عن الطبراني ولم يرده عن الترمذي
لان سنده لمعجم الطبراني اعلى من غيره لا بينه وبين المقدام ثمانية في رواية الطبراني
وبينه وبينه في رواية الترمذي من احدى طريقيه احدى عشر ومن الاخرى عشرة
والحديث صحيح وفي الروايات اختلاف يسير فعند الترمذي بدل ابن آدم آدمي وبلفظ
بطن بلا اضافة وبحسب الاتي بالباء الجارة والوعاء ظرف الطعام والمراد انه لا وعاء
اشر منه ولا يساويه في الشر فجعل بطنه كاوعية البيت تحقيرا له ثم جعله شرا لاوعية
زيادة في تحقيره لان امتلاءه يورثه البلادة ويجرك شهوته فيرتكب المعاصي ويحصل
له من الامراض ما يضنيه كما مر ويودي الى هلاكه ولا شر اعظم من هذا فحسبه منه ما يقيم
صلبه ويعينه على عبادة ربه ونظام امور دنياه فلذا قال حسب ابن آدم وفي رواية
المسلم بدون ابن آدم اكلات يقمن صلبه حسب بسكون السين اسم بمعنى في كما يقال
اعطيت الرجل ما حسبته اي اعطيته عطاء يكفيه وهو مبتدأ خبره اكلات بضم الهمزة
والكاف معا والرواية به ويجوز فتح الكاف وتسكينها جمع اكلة بضم الهمزة وسكون الكاف
اسم لما يوكل ويقمن بمعنى يقوين من اقام بمعنى دام وثبت وصلبه بضم الضاد وفتحها
عظام سلسلة ظهره لانه عمود وفيه النخاع الذي يمد العصب الممسك فاذا افرط
جوعه ضعف واخنى صلبه وفي القاموس ما يخالف ما قاله الشراح لانه جوز في اكله
الفتح والضم واقتصر في جمعه على فتح ثانيه كصرد وقال البرهان اكلات بضم الهمزة والكاف
جمع اكلة بفتحها وهي اللقمة فان كان لا محالة بفتح الميم والحاء المهملة واللام بمعنى
لابد ولا حيلة كما في قوله وكل نعيم لا محالة زائل اي لم يكن صبر على الافتصار على لقيمات
فثلث من بطنه لطعامه وثلث لشرابه وثلث منه لنفسه بفتحتين وهو
الهواء الخارج من الجوف وروى الدبلي لطعامك وشرابك ونفسك بكاف الخطاب
على الالتفات من الغيبة للخطاب اعتناء بشان من ارشده فيما ارشده اليه وانه
لا ينبغي تجاوزه وفي الاول حث على الاقلية وفيما بعده تجويز لما فوقه من غير افراط
والشراب هنا بمعنى الماء ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب هذا من كلام
المصنف رحمه الله لان الحديث الا ان الشراح لم يبينوا وجه ارتباطه بما قبله
ولا علم عطف والظاهر انه عطف على قوله السابق بارتباط احدهما بالاخر لان
السبب والعلة في معنى واحد فالمراد بارتباطهما ان احدهما يستدعي الاخر فان
الاكل يقتضي الشرب ثم بين انهما وكثرتهما يقتضيان كثرة النوم لما يصعد منهما
من الابخرة الكثيفة الى الدماغ المرخية له المقتضية لكثرة النوم المستدعي للكسل وثقل

الفطنة وفوات العبادة وفي ذلك ما لا يخفى من الضرر وان سفيان الثوري بكسر
السين وضمها وفتحها وهو سفيان بن سعيد بن مسروق ابو عبد الله والثوري
نسبة لثور ابن مناه وقيل من ثور همدان وهما قبيلتان الكوفي عالم عصره الزاهد
المحدث توفي سنة احدى وستين ومائة وعمره اربع وستون وهو ثقة ولا عبرة
بمن تكلم فيه وهو من اقران مالك رحمه الله يملك سهر الليل بقلة الاكل يملك بضم
الياء وفتح اللام للمفعول وسهر مرفوع نائب فاعله اي يقوى ويقدر عليه
من غير مشقة فشبه قدرته بملكه له فهو استعارة لان النفس تقهر بقلة الطعام
بعد ان كانت قاهرة وقال بعض السلف لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فتردوا
كثيرا زاد الغزالي في الاحياء فتخسروا خيرا كثيرا وزاد غيره فتندموا عند الموت
بقلة الزاد لانه اكل زاده فضيعه في غير وقته وقد روى عنه اي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه كان احب الطعام اليه ما كان على ضفف اي كثرة الايدي
لما فيه من السخاء بالطعام وقلة الاكل وكثرة البركة وهذا الحديث قال السيوطي
رحمه الله انه رواه ابو يعلى عن انس وجابر رضي الله عنهما بسند جيد ولفظه كما
قال الشيخ قاسم في تخريجه انه لم يجمع له غدا وعشا وخبز ولحم الا على ضفف
وشده جيد واخرج ابو عبيد في الغريب انه صلى الله عليه وسلم لم يشبع من خبز
ولحم الا على ضفف واخرج الترمذي في الشمائل عن مالك بن دينار قال ما شبع رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الخبز قط ولا من لحم الا على ضفف قال ما لان سالت رجلا من
اهل البادية ما الضفف قال ثنا ولمع الناس واخرج الطبراني عن جابر بن عبد الله
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال احب الطعام الى الله ما كثرت عليه الايدي
انتهى والضفف بفتح الضاد المعجمة والفاءين اولاهما مفتوحة فسرها المصنف
رحمه الله بما ذكره اهل اللغة وهو تفسير ماثور كما سمعته انفا وهو من قولهم ريح
ضفوف اذا اكثر الناس عليها وقال يحيى بن احمد الضفف ان يكون الاكلة اكثر
من الطعام والجفف بالجيم ان يكون بمقداره وقيل الضفف الضيق والشدة اي
لم يكن صلى الله عليه وسلم محبا للترفه في ماكله ولا متنطعا فيه وفي رواية لم يشبع
رسول الله صلى الله عليه وسلم من طعام الا على ضفف وروى على شطف اي ضيق
وشدة كما علم فالضفف والشطف رويا بمعنى الضيق والحاصل انه صلى الله عليه وسلم
كان يحب الاكل مع الجماعة وان قل طعامه وضاقت معيشته والاحاديث
في معناه كثيرة كطعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الاربعة وطعام
الاربعة يكفي الثمانية وهو حديث صحيح وقيل الضفف كثرة العيال وقيل

قلة الطعام وكثرة الاكلين ويقال ضف بالادغام وقال ابن السكيت الضف
الاكل باليد ففيه لغتان وله معان وعن عائشة رضي الله عنها لم يمتلئ جوف
النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط وروى عنها ايضا ما شبع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلاثة ايام شباعا من خبز بر حتى مضى لسبيله وهذا يقتضي بمفهومه
انه شبع في بعض الايام دون الثلاثة وهو معارض للاول وكلاهما صحيح ويجمع
بينهما بان دلالة المفهوم لا تعارض المنطوق عند من قال بها كابي حنيفة رحمه
الله فلا تعارض بينهما بالطريق الاولى او يقال الامتلاء شبعا صفة زايدة على
الشبع فالشبع الاعم كان يقع منه صلى الله عليه وسلم احيانا واما الامتلاء من الشبع
فلم يقع اصلا والشبع مباح له محرم على غيره الا للمتقوي على صوم الغد او لموانسته
الضيف حتى لا يستحي من الاكل كما قاله الحنفية وعند الشافعية هو محرم من مال
الغير ان لم يعلم رضاه ومن مال نفسه مكروه مع ان ما ذكر من تعارض الحديثين
غير مسلم لان ما ذكره المصنف هنا ذكره في الاحيا ايضا عن عائشة رضي الله عنها
وتمامه ورحم يكتب رحمة له صلى الله عليه وسلم لما ارى به من الجوع وامسح بطنه
بيدي واقول نفسي لك الفداء لو تسلفت من الدنيا بقدر ما يفوتك منها ويمنعك
من الجوع فيقول يا عائشة اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد
من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم عز وجل فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم
واجدني اخشى ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب
الي من ان ينقص حظي غدا في الاخرة وما من شيء احب الي من ان الحق اخواني وخلاني
قالت فوالله ما استكمل بعد جمعة حتى قبضه الله وقد ذكر المصنف صدره فقط
وقال العراقي في تخريج احاديث الاحياء لم اجد هذا الحديث فلا تعارضه وشبعا
تمييز او مفعول له او مفعول مطلق وشينه مفتوحة وتكسر وتفتح الباء
وتسكن وصوب ابن مكي كسر الشين وسكون الباء كما قاله التلمساني فانه ورد
في الاحاديث انه صلى الله عليه وسلم كان يشبع ويجوع وفي البخاري ما شبع آل محمد
قط وهذا محمول على غالب احواله صلى الله عليه وسلم فان الغالب ينزل منزلة الكل كثيرا
وهذا لم يكن من احتياج حقيقي لما رواه الترمذي عن ابي امامة رضي الله عنه انه قال
صلى الله عليه وسلم عرض علي ربي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب اشبع يوما
واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك واذا شبعت شكرتك كما قال البوصيري
وراودته الجبال الشم من ذهب * عن نفسه فاراها ايما شمم
فجوعه صلى الله عليه وسلم كان قصدا ولكن يظهر انه عن احتياج تطييبا لقلوب الفقر

وتنزيها من الربا وبرا من رياضة اهل الكتاب والحكما كما قال صلى الله عليه وسلم
لا رهبانية في الدين وهذا ايما ينبغي التنبيه له ويجب اعتناؤه والتاسي به فيه فافهم
وانه معطوف على ما قبله من قوله انه كان احب الى اخره وقوله كان في اهله لا يسأل
طعاما ما حاله منه وعدم سؤاله صلى الله عليه وسلم لذلك لعدم اهتمامه به والتفاته
لما هو اهم منه ولا يشتهاه مضارع يشتهي تفعل من الشهوة وهي الميل الى ما يستلذ
وقيل هي ادراك الملايم من حيث هو ملايم وقيل الشهوة لا تحد والفرق بينها
وبين الارادة ان الانسان قد يريد ما لا يشتهيه ويشتهي ما لا يريده كالمريض المحتمي
عما يشتهيه والارادة قد تتعلق بنفسها بخلاف الشهوة فانها لا تتعلق بنفسها
بل تتعلق بالذات المغايرة لها فاذا ذكرت متعلقة بنفسها كانت مجازا عن الارادة
كما قيل للمريض ما تشتهي فقال اشتهي ان اشتهي وفرق بينهما وبين المحبة ايضا
فانك تقول احب الله ورسوله ولا تقول اشتهيهما فالمحبة اعم والشهوة في الاكل
تكون وجدانية غير اختيارية بخلاف المحبة ولذا فرق النحاة بين قوله احب الي
واشهى الي فجعلوا الي في الاول للتبيين وفي الثاني بمعنى عند وفيه كلام لنا في
بكت المعنى من باب الهمزة فان اردته فراجعه ثم بين ما ذكر ان اطعموه اكل وما
اطعموه قبل وما سقوه شرب يعني انه صلى الله عليه وسلم كان يأكل ما قدمه له
اهله ونحوهم من الطعام ويقبله من غيرهم ان يعينه وكذا كل ما قدم له من المأثور
وهذا كان غالب حاله صلى الله عليه وسلم فلا ينافي ما وقع له نادرا على خلاف مقتضى
طبعه كما في مسلم عن عائشة رضي الله عنها انها قالت قال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذات يوم يا عائشة هل عندكم شيء فقلت يا رسول الله ما عندنا شيء قال
فاني صايم الحديث وسقوا بمعنى اعطوه ما شرب وزاد الدولجي قط بعد قولهم السابق
لا يسألهم ولا يعترض بنا المجهول على هذا بحديث بريرة رضي الله عنها
اي على هذا المذكور من عدم سؤاله لما ذكر وبريرة بفتح الموحدة وراءين مهملتين
اولاهما مكسورة بينهما مثناة تحتية من البر بمعنى مبرورة او بارة وهي بنت
صفوان وهي قبطية وحبشية عند الذهبي مولاة عائشة رضي الله عنها اشترتها
من عتبة بن ابي لهب وقيل من بني كاهل وقيل كانت لناس من الانصار وحديثها
خرجه مالك في الموطا عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها ورواه الشيخان
وهو قالت عائشة كان في بريرة ثلاث سنن وكانت احدى السنتين انها اعتقت
فخيرت في زوجها وقال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الولاء لمن اعتق ودخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم على اهل بيته والبرمة تفور باللحم فقربوا له خبزا وادما من ادم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

البيت فقال الوان البرمة فيها لحم فقالوا بلى يا رسول الله ولكن هو لحم تصدق
به علي بريرة وانت لا تاكل الصدقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لها صدقة
ولنا هدية فاخبرهم صلى الله عليه وسلم ان هذا اللحم باهدائها اياه انتقل من حكم الصدقة
الى حكم الهبة واما حرم عليه ما تصدق به عليه نفسه وجعل محلا لقبوله ولو كان ما تصدق
به مرة يثبت له حكم الصدقة لما جاز للفقير اذا تصدق عليه بشئ ان يتبعه من غنى فقد
سالهم صلى الله عليه وسلم الطعام واجاب عنه المصنف سواله المقتضى والمتي
السوال بغير مقتضى وقوله الوان البرمة بضم الموحدة وسكون الراء وبالميم وهي عند
العرب قدر تتخذ من الحجارة وقيل اعم من ذلك فيشمل النحاس والحديد وغيرهما فيها
لحم الضمير للبرمة لانها مؤنث كالقدر الا ان تانيث الثانية سماعي واللحم بسكون الحا
المهملة وتفتح وقد قيل انه لغة مطردة في كل ما تاليه حرف حلق كالبحر والنهر
والبغل والبخل والنحل وانكره البصريون اذ لعل سبب سواله ظنه صلى الله عليه
وسلم اعتقادهم اي اعتقاد عايشة المخاطبة وغيرها من الناس قد كره تغليبا
انه اي اللحم بسبب انه صدقة في الاصل لا يحل له صلى الله عليه وسلم كالصدقة
عليه بالذات فاراد بيان سنته اي طريقته المشروعة له وهي جواز اكل الهدية
وان كانت صدقة على مهديها او رآهم لم يقدموه اي اللحم اليه مع علمه انهم لا يتناولونه
عليه به اي لا يخصون انفسهم ويقدمونها على النبي صلى الله عليه وسلم في شئ من
الطعام وغيره فصدق بتخفيف داله ويجوز تشديدها عليهم ظنه بالنصب
اي صدق في ظنه جهلهم بذلك فهو مفعول به على الحذف والايصال كما في
صدق وعده او بالرفع على الفاعلية اي بحقق ظنه او وجد صادقا في جهلهم ذلك
وبين لهم ما جهلوه من امره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية وهذا جواب
استحسنوه فان الرجل اذا راى طعاما اهدى له فسال عنه وطلب ان يوتى به لا يدري
انما لا يسال عما عهده من طعامه ويبحث واتى بلعل التي للترجي لانه لم يجزم به
وتقدم جواب اخر وهذا الحديث يدل على ان الصدقة حرام عليه صلى الله عليه وسلم
لشرف قدره وعلو منصبه وعشاه حقيقة وسواء منه صدقة التطوع والفرض
كالزكاة وفي حل التطوع قول للشافعي وكذا اهل بيته وقيل لا يحرم عليه الصدقة
العامة كالسيل والابار المسبلة وهل ذا لتحريم على سائر الانبياء عليهم الصلوة
والسلام او خاص به صلى الله عليه وسلم فيه خلاف والاصح اختصاصه به صلى الله
عليه وسلم وفي الاحاديث ما يدل عليه ونقل عن ابي حنيفة رحمه الله جواز الصدقة
على اهل البيت مطلقا وقيل اذا حرموا سهمهم من بيت المال كما نقله الطحاوي وهو وجه

عن الشافعي ومالك وهم بنو هاشم وكذا بنو المطلب بخلاف غيرهم من قريش وازواجه
رضي الله عنهن وفي حكمة لقمان بن عنقا بن سيرون وارم ابيه تارا وقيل غير
ذلك وقيل انه ابن اخت داود عليه الصلاة والسلام وعنه اخذ الحكمة وقيل
كان قاضيا في بني اسرايل والاصح انه حكيم وقد جمع حكمه في كتاب مستقل مسند والاولى
بالحكمة الموعظة الحسنة لفظا ومعنى ولقمان هذا هو المذكور في القران وكانت
الحكم تجري على لسانه لما اتاه الله من العلم والنفس القدسية وهو والد عند الاكثرين
وابن عند بعضهم وكان عبدا حبشيا نجارا بالراء وقيل نجادا بالدال او خياطا
او راعيا وقيل نوبي وقيل انه تلمذ لالف نبي وهو غريب وهو من اهل ايلة وقيل
انعم وقيل اسلم وقيل مات آن وقيل انه ابن اخت ايوب او ابن خالته وقيل انه
كان في زمن داود وقيل انه بعد ابراهيم والاصح الاول وقيل بعد عيسى عليه
الصلاة والسلام والقول بانه عاش الف سنة غلط من لقمان بن عاد يا بني
بالتصغير والاضافة واسمه مشكم بكسر الميم وسكون المعجمة وميم على الاصح وقيل
غير كما مر اذا امتلات المعدة قامت الفكرة المعدة بفتح الميم وسكون العين
وبكسر الميم مع سكون العين مقر الطعام وهي للانسان كالكرش للبهايم والحوصلة
للطير والفكرة والفكر قوة مدركة في الدماغ عند من اثبت الحواس الباطنة في بطون
الدماغ كما فصل في كتب الحكمة ومن لم يثبتها يقول هي قوة للنفس تدرك بها الامور الدقيقة
فعلى الاول نومها استعارة تبعية لبطلان عملها او شبهت الفكر بشخص واثبت له
على طريقة المكنية والتخييلية وكذا على الثاني او المراد نام صاحبها والنوم مبطل للحس
والادراك والمراد على كل غلبة الغفلة والذهول على كل من يشغله بطنه عن مهماته
ومثله ما ورد في الحديث لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع
يموت اذا اكثر عليه الماء فيبر عما يهمه من العلم النافع والعبادة والجهل يستعار
له الموت كما قيل لا يعجبن الجهول بزته فذاك ميت وثوبه كفن وخرست
الحكمة هو كالذي قبله في الاستعارة ونحوها اي خرس اللسان التي تجري عليه
والحكمة النطق بما فيه كمال النفس المعلوم النظرية والملكات التامة والافعال
الفاضلة اي تركت ذكرها واكتسابها وقعدت الاعضاء عن العبادة اي كسل صاحبها
فلم يستعملها في عبادة الله بان يعطل بدنه من القيام لها واللسان من ذكرها والقلب
والغلبة عن فكرها وهكذا فاشبه تركه بالقعود او استعمله في لازمه وحق بما مر
فقسه على ما قبله وقال سحنون العقبه المالكي وهذا لقبه واسمه عبد السلام
ابن سعيد التنوخي قاضي القيروانية وكنيته ابو سعيد وهو بضم السين وضم

القاضي فتحها وقال ان الضم زعمه بعض الفقها وعليه ابن الحاجب في الشافية
حيث قال سحنون ان صح الفتح ففعلون كمحدون وهو مختص بالعلم للذور فعلول وهو
صعفوق وخرنوب ضعيف وقال غيره انه صحيح على انه فعلون بالنون وهو اولى
لكثرته في الاعلام كعبدون وزرقون وزيدون خصوصا بالمغرب وهو اسم طائر
كثير الحركة في الاصل وقيل هو البلبل وادرك ما لكا ولم يقراعليه وقرا على ابن القاسم
واشهب وهو واضع كتاب المدونة وانتهت اليه رياسة العلم بالمغرب وحصل
له ما لم ينله غيره وولد في رمضان اول سنة ستين ومايتين ومات لتسع خلون من
رجب سنة اربعين ومايتين وقيل الظاهر ان سحنون فعلول من السحنة وهي الهيئة
الحسنة وهو ممنوع من الصرف للعلمية وشبه المعجمة او هو مصروف ان كان فعلولا وقال
التلمساني وقع في نسخة العرقي هنا والنون بدل سحنون وهو العابد الزاهد المشهور
وهو تو بان وقيل الغبض بن ابراهيم المصري فيمكن ان يكون احدهما روى عن الاخر
لامتمايي عصر واحد لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع المضارع بقيد الاستمرار التجددي
ان يكون من دابه كثرة الشبع يكثر نومه ويصير بليدا بطالا فلا يحصل العلم ولا
يليق به طلبه فان البطنة تذهب الفطنة ولا يذم لانه يشتغل باصلاح ما كله وكسب
ما لا يحصله فيفوته العلم وكل خير وفي صحيح الحديث الذي رواه البخاري وغيره ويحتمل
ان يريد المصنف بصحيح الحديث كتاب البخاري لان الصحيح غلب عليه اما انا فلا
اكل متكيا هذا اللفظ في الصحيحين مروي بروايات مختلفة منها ما ذكره المصنف ومنها
انى لا اكل متكيا ومنها لا اكل وانا متكى قال الكرماني هذا ابلغ في الاثبات والاول ابلغ
في النفي فقيل عليه المراد انه اكثر مبالغة لا ابلغة ووجهه ان متكى اسم فاعل فيه ضمير
مستتر فاسند الاتكاء اليه مع اسناده معه الى انا فهو ابلغ في اثبات الاتكاء لتكرر اسناده
فان لو يكن متكى مع فاعله جملة تحلا فلا اكل متكيا فانه لم يتكرر فيه الاسناد فهو في النفي ابلغ
وعندي ان الثاني ابلغ لنفي القيد والمقيد انتهى اقول هذا كلام محصل له مع عدم
استقامته والظاهر ان مراد الكرماني بالنفي والاثبات نفي الاكل في حال الاتكاء واثبات
الاكل في حال عدم الاتكاء الذي يقتضيه مفهومه بناء على الفرق بين الحال المفردة والجملة
فان النفي في الاولى ينصرف الى القيد والمقيد فيقتضي نفيهما والثانية لا تقتضي ذلك
نحو وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فانه يقتضي انهم يعذبون بعده كما مر ويقتضي هذا انه
يأكل اذا زال الاتكاء وفيه بحث ليس هذا محله وسبب هذا الحديث ما اخرجه ابن ماجة بسند
حسن وهو ان لاعرابيا اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فحثى على ركبتيه يأكل فقال له
الاعرابي ما هذه الجلسة فقال ان الله جعلني كريما ولم يجعلني جبارا عنيدا والاتكاء هو

التمكن للاكل والتقعدة في الجلوس له اي لاجل الاكل والتقعدة تفعلل من
القعود ومعناه التثبت والتمكن من القعود الا انه قيل انه لم يوجد من هذه المادة
تفعلل والمصنف ثقة ما يقوله بمنزلة ما يرويه والجلوس انواع بينها الثعالبي في
فقه اللغة كالتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته
من ارض وفراش ونحوهم والتربع يكون بمعنى النزول في الربيع وجعل الشيء رباعيا وقع
من الجلوس ماخوذ من الاخير لبسط اربعة من اعضايه الساقين والوركين مع انضمامها
على هيئة معلومة وقوله من تمكن الى اخره بيان للتربع وشبهه والتمكن تفعل من المكان
اي تثبته في المكان والاعتماد بمعنى الاتكاء كما في الصحاح وهذا اشارة الى ما ارتضاه
في تفسير الاتكاء فان اهل اللغة اختلفوا فيه فذهب بعضهم الى انه الميل الى احد
جانبيه مع اعتماده على شيء كالمخدة والوسادة وهو المشهور وذهب الخطابي وتبعه
المصنف رحمه الله الى انه الاعتماد على ما تحته من غير ميل كما بينه هنا وسياتي تحقيقه
ثم اشار الى وجه كون الاتكاء بهذا المعنى في حال الاكل لم كان غير محمود فقال والجالس
على هذه الهيئة يستدعي الاكل اي يطلب الاكل ويرغب فيه ويقتضي تناوله وميله
ويستكثر منه اي يكثر منه كثرة مفرطة متجاوزة حد الاعتدال حتى كانه يطلبه
من نفسه لاقبال عليه وقوة شهوته لغلبة حيوانيته والنبي صلى الله عليه وسلم لاعراضه
عن مثله وتناوله منه مقدارا ضروريا بسرعة اما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز
مقعيا الذي لا يكون مطمئنا بل مستعجلا للقيام ومنه نحن على اوفاز اي على سفر كما
قلت في الفصول القصار

من كان في الدنيا على اوفاز استراح لتهيئه بعيشه اوفاز
والاقعاء بقاف وبعين مهملة والف ممدودة له تفاسير والمعروف منها اثنان
احدهما ان يلصق اليتيه بالارض وينصب ساقيه وفخذيه ويلصقهما بصدره
وربما يكون مع وضع يديه على الارض مع افعنساس تشبيه جلوس البدوي
المصطلى والثاني ان ينصب قدميه واضعا على عقبيه اليتيه ضاما فخذيه وساقيه
واضعا ركبتيه على الارض وبه ورد الحديث وهذا اسخه الشافعي في الصلاة اذا
رفع راسه من الصلاة من السجود الاول وبه ورد الحديث وقال الشافعية ان علة
العبادلة وكرهه الحنفية واما الاول فمكروه بلا خلاف في الصلاة واما اقعاؤه
صلى الله عليه وسلم للاكل ففسر بالصاق مقعده بالارض ناصبا ساقيه وهو الاحتفاز
والاستيفاز وقول التجاني ان قول المصنف رحمه الله ان جلوس النبي صلى الله عليه وسلم
كله مستوفزا مقعيا ظاهره انه كان عادة له في كل احواله والذي ورد في الحديث انه

انه اكل مرة هكذا كما قال انس رضي الله عنه رايته صلى الله عليه وسلم اكل مرة مقعيا
لا وجه له لان ما قاله المصنف هو المصرح به في عامة الكتب ورواية انس رضي الله
عنه مرة لا تصلح سندا للنفي في غير تلك المرة وانما امتنع صلى الله عليه وسلم من الاتكا
في اكله لانه من الكبر والترفه الذي ينزه طبعه عن الميل له ولانه يضر اذا مال ومستدعي
لكثرة الاكل اذ الترفه وهل كان الاكل متكيا مكروه في حقه صلى الله عليه وسلم كسائر الامة او
حرام عليه وان ذلك من خصائصه ذهب الى الثاني بعض الشافعية والاصح الاول وا
واختياره صلى الله عليه وسلم غير ابيا لا يدل على حرمته ويقول انا اعبد لله لا املك
لاختياره العبودية التي هي اشرف الصفات وهذا من حديث رواه البخاري عن عمر رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى بن مريم
عليه الصلاة والسلام انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله والاطراء المبالغة في المدح
والى هذا اشار البوصيري

دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت وصفا فيه واحتكم

وهذا من تاكيد المدح بنفيه اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد في حال الاكل
وغيره تواضعا لله فلا يمد رجليه عند جلسائه تكريما وتعظيما لعباد الله وارشادا
لغيره ولا يعبد بترفع ذوي الوجاهة والتكبر من الملوك وغيرهم وبه اقتدى خلفاء
رضي الله عنهم لان الله رقيب عليهم وهو معهم فاذهم انما هو معه وسياتي الكلام ايضا
على هذا الحديث عند ذكر المصنف له في قوله فصل واما تواضعه وقد صنف
بعض المشايخ بعض الامراء وهيا له محلا ينام فيه فلما دخل وجد فيه مصحفا فلم ينزل
قائما على قدميه الى الصباح فلما اتاه رب المنزل راه قائما فقال له لم لا تجلس فقال له كيف
اجلس وانا في محل فيه كلام الله فقال له من عظم الله عظمه فلم يمض زمن حتى صار
سلطانا واستمر الملك في عقبه الى الان فلما طغوا وتكبروا حتى طلب بعضهم سجود
الناس له قصمه الله وصار ملكهم على شرف الزوال ومالك الملك يؤتيه من يشاء وليس
معنى الحديث في الاتكا المذكور سابقا الميل على شق عند المحققين من اهل اللغة والحد
بل هو ما مر وهو لحد قولين لهم واعلم ان الصاغاني قال في المجمع رجل تكاء مثل نؤدة
كثير الاتكا واصله وكاة والتكاة ايضا ما يتكا عليه وهو المتكا قال تعالى واعتدت
لهن متكا قال الاخفش هو في معنى مجلس ومعنه حتى اي اتفاه على هيئته المتكئ واوكا
فلانا نصبت له متكا وفي نوادر ابي عبد اوكان عليه اي نوكان انتهى وكذا قاله غيره فهو
واوي من الوكاة واصل معناه الشد والمعتمد على شيء يتقوى ويشتد به فالاعتماد حالة
الجلوس على الارض وغيرها متكئ والمايل على احد شقيه المستند الى الارض او الوسادة متكئ ايضا

فكلا التفسيرين صحيح والمراد به في الحديث صالح لكل منهما ومن فسره بالميل
جنح الى انه عادة المتكبرين المترفهين والمشهور في الاستعمال فحيث طابق الوضع
كان اظهر فرد المصنف رحمه الله لم يصب واكثر على خلافه الا الخطابي
والحق حق بالاتباع فالحاصل ان حقيقته انما هي الاتباع الاعتماد الحسي فالمتربع
معتمد والمايل معتمد على احد شقيه فلا خطا وكلا التفسيرين لمن له معرفة باللغة
فالتحقيق خلاف ما ادعاه المصنف رحمه الله من التحقيق وانما جعل النبي صلى الله
عليه وسلم هذه حالة العبد لانه لاشتغاله بالخدمة والمهنة لا يستقر ويطمئن
فيكون مستوفزا مستعجلا والمعنى اني لست مخلوقا للدنيا وترفهها فنظري انما
هو لعبادة الله وتبليغ اوامره فلا التفت اليها وانما اتناول منها مقدارا يسيرا
لدفع الجوع كالعبد الموكل بخدمة سيده ومتى نكت اخر تدرك بالذوق اي انه
بالاكل والشرب كالبهائم وكذلك اي كفعله اكله وشربه وعدم ترفهه فيهما نومه
صلى الله عليه وسلم كان قليلا بيان لوجه الشبه شهدت بذلك اي بقلة نومه
صلى الله عليه وسلم ودلت عليه الاثار الصحيحة اي الاحاديث الصحيحة المسندة
في كتب الحديث التي اعتنت شهرتها عن ذكرها كما مر وهذا كان اكثر حالا انه صلى الله
عليه وسلم وربما خالف هذا احيانا اذ قد ورد ما يوهن بان نومه زاد على يقظته
اوساواها كحديث النسائي عن انس رضي الله عنه قال ما كنا نشاء ان نرى برسول
الله صلى الله عليه وسلم بالليل مصليا الا رايناه ولا ننشا ان نراه نائما الا رايناه
ومع ذلك اي مع قلة نومه غالبا فقد قال صلى الله عليه وسلم ان عيني تنامان
ولا ينام قلبي فنومه صلى الله عليه وسلم ليس كنومنا بل يقظة فكانه لا نوم له
اصلا بحسب الحقيقة فقلبه صلى الله عليه وسلم مستيقظ ابدا مدرك ما لا يدركه
غيره في يقظته ولذا كانت رويا صلى الله عليه وسلم قسما من الوحي لانضباط عالم
الملكوت بنومه وكذلك سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام تنام عيونهم ولا تنام
قلوبهم فهذه خصوصية اضافية بالنسبة لامته وهذا ايضا باعتبار غالب حاله
فانه صلى الله عليه وسلم نام وهو واصحابه مرة حتى فاتتهم صلاة الصبح وادركهم حر
الشمس وقد اجيب عنه ايضا بان القلب وان كان يقظان لا يدرك كما تدركه
العين النائمة وانما يدرك ما يتعلق به من الحدث والالم ولذا ذهب بعض الفقهاء
الى ان نومه صلى الله عليه وسلم لا ينقض وضوءه وبان شغل الله تعالى قلبه الشريف
بمشاهدة ملكوته مع نوم عينه فلم تدرك حروج الوقت للتشريع لامته وقد مر الكلام
على ذلك كله وكان نومه صلى الله عليه وسلم على جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم

اي استعانة فان الاستظهار استفعال من الظهر بمعنى التقوية والاستعانة لان
قوة البدن واستمساكه بظهره فكان صلى الله عليه وسلم من عادته انه اذا نام
على شقه الايمن وحكمته ما يأتي ان القلب مائل الى جانبه اليسار فاذا نام المرء على
يساره يستقر القلب فيزيد نومه لراحة قلبه فاذا نام على يمينه تعلق القلب ولم
يستقر فيخف نومه ويكثر سرعة يقظته من نومه وانما كان مقتضى الحكمة كون
القلب في جانب اليسار ليعادل الكبد الذي في جهة اليمن غالبا ولموافقته لما كان يحبه
صلى الله عليه وسلم من التيامن في اموره لما فيه من اليمن لفظا ومعنى وما قيل
من انه حال امتهان لانكاءه على الجانب الذي ينام عليه لا وجه له فان النوم راحة تعين
على العبادة فالانكاء عليه كالانكاء على اعضاء السجود وكذا ما قيل انه صلى الله عليه وسلم
روحه ويقظة قلبه غالبة لنومه غير محتاج للاستظهار عليه وانما هو للتيمن والتشريع
فان القوى اذا تقوى كان شديد القوة والنوم امر طبيعي في جميع الخلق غالب وقد
عرفت ان يقظة قلبه كانت هي الحالة الغالبة فالتقوى احترازا مما يعرض نادرا لانه
اي النوم على الجانب الايسر اهنا افعل تفضيل مهموز الآخر من الهنء اي اسهل والمد
والهنى ما اتاك من غير مشقة فالنوم على الايسر ايسر وفعله هنؤ بالضم ويكسر هاهنا
قيل وانما جعل الطايف البيت عن يساره لتوجه قلبه اليه بدعوة واجعل فيدة
من التلس تهوى اليهم فجعل جانب القلب واعلاه محاذيا له وقيل لان اليسار محل الوسوسة
وكاتب السيات واليمن محل الرحمة وكاتب الحسنات كما ان البيت محل الرحمة فجعل اليسار
بين رحمتين لتقلب صدره وقال ابن عبد السلام الحكمة فيه ان القائم يستقبل البيت
من شبيبة كذا من ناحية باب بني شيبة فيبقى ركن البيت على يساره ويباركه
يمينه والذي يلاقيك من البيت وجهه وهو الباب لان باب كل بيت وجهه والادب
ان يوفي الكبير من قبل وجهه ولهذا ابتدا بشيبة كذا والاصل في القرية التيمن فلو
ابتدا بالحجر وجعل البيت على يساره فكانه قد ابتدا بالوجه واليمن معا فيجمع بين
فاضلين ولو ابتدا بالحجر وجعل البيت على يمينه ترك الادب ويمين البيت الخايط
الذي من مركز الحجر الى الطرف الآخر وغيره ما يقابله وهو معنى حسن كما قاله ابن مرزوق
وقوله لهدو القلب تعليل لكونه اهنا اي لراحته واستراحته لسكونه والهدوءة
العلو بداء السكون وهو مهموز الآخر وتبدل همزته واوا وتدغم وتسهل ايضا وهو قريب
من الهنء ولانهما همزة في الاصل وما يتعلق به اي ولهدو ومعلاقه الذي تعلق به
وبناط وكلاما من الاعضاء الباطنة اي الموجودة في داخل الانسان حينئذ اي
حين نومه على جانبه الايسر فيستدعي ذلك اي يقتضي ذلك الهدو ويستلزمه بحسب

الطبع

الطبع الاستقال فيه اي ثقل بدنه في نومه وغلبة النوم حتى يستغرق فيه ويحمل
اذا ومسبب عما قبله والطول اي طول نومه وطول زمان بطالته واذا نام النايم
على جانبه الايمن تعلق القلب وقلق اي لو يستقر ويطمئن فاسرع الافاقة اي
التيقظ من نومه ولم يغمره بفتح بالياء وسكون الغين المعجمة وضم الميم وجزم الراء
المهملة الاستغراق في النوم وهو انقطاع احساسه انقطاعا تاما طويلا وعمره
له بتغطيته وشدة استيلايه عليه من عمره الماء اعلاه فهو استعارة كما استعيرت
الغمرة للشدة فبينه وبين الاستغراق مناسبة لطيفة لانه من الغرق وذلك لان
القلب مائل طرفه الاسفل الى اليسار لتتوفر الحرارة منه عليه فيعتدل الجسم فان الحرارة
كلها في الايمن لكون الكبد فيه فصل والضرب الثاني مما تدعو ضرورة الحياة
اليه وهو الفصل التاسع وعقبه بما قبله لانه صدره اذ ما فيما قبله يتمدح بفضله وبضدها
تتبين الاشيا وهو ما يتفق التمدح بكثرته يتفق اما من قولهم اتفق كذا او وقع
اتفاقا اي وقع من غير قصد لها لصاحبه او من الاتفاق وهو اجتماع الكلمة فالاصل
ما يتفق الناس على التمدح بكثرته اي كثرة المدح وقوته والمراد الاول لان صاحبه
لم يقصده ولم يقصد مدح الناس له بسببه وان كان يقصد لذلك والفخر بوفوره اي
الافتخار بكثرته دون قلته ووجوده فانه موجود في كثير مما لا يعتد به وقد كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اخذ منه بالحظ الاوفى الاوفر كالنكاح اي الجماع فانه يطلق عليه
وعلى العقد كما مر والمراد الاول والجاه وهو علو القدر عند الناس والمهابة ونفوذ
الكلمة والاشتهار بذلك وهو من الوجاهة والمواجهة واصله وجه فقلب واعل
كما مر اما النكاح فتتفق فيه اي في مدحه وشانه اتفق العلما واصحاب البصيرة والتمييز
شرعا كما سياتي بيانه وعادة فيما اعتاده الناس وتعارفوه كما لا يخفى ونصب شرعا
وما بعده على التمييز او المصدرية ثم بين ذلك على اللف والنشر المشوش فقال فانه اي
النكاح دليل الكمال في الخلقة والجسم بقوته واعتداله وصحة الذكورة الظاهر
انها مصدر كالصعوبة والانوثة والمشهور انها جمع ذكر خلاف الانثى ويصح ارادته
ايضا الا ان الاول اولى وصحة الذكورية بمعنى قوتها وسلامتها من الضعف والافة
ولم يزل التفاخر بكثرته عادة للناس كما حكيه بينهم لا شكر والتمادح به سيرة اي
طريقة ماضيه اي قديمة او نافذة مقررة من مضى الامر اذا قضى وقرر واما الشرع
فسنة مأثورة اي هو في الشرع امر مسنون منقول في آثار السلف والاحاديث الصحيحة
اي المراد انه طريقة مشهورة قال الراغب سنة النبي طريقته التي كان يتحراها وقد قال
ابن عباس رضي الله عنهما وهو حديث صحيح رواه البخاري افضل هذه الامة اي

أفضل امة الاجابة لنبينا صلى الله عليه وسلم ولذا عبر باسم الاشارة أكثرها
نساء مشيرا اليه صلى الله عليه وسلم يعني ان المراد بالأفضل في كلامه هو النبي صلى الله
عليه وسلم لانه ابيح له جمع ما فوق الاربعة وهو من خصائصه صلى الله عليه وسلم
دون امته فدلت الاكثرية على تعينه بهذه الافضلية ولذا عبر عنه بالاشارة فانها
تطلق على مقابل الصريح وهو وان كان افضل من امته احل واعلى من ان يقال انه
افضل منهم مع انه لا فائدة فيه ينادي الرائي الا انه رضي الله عنه فضد الحض على
النكاح والاكثار منه ولذا كان مفيدا وهذا الكلام قاله لسعيد بن جبير رضي
الله عنه لما سأله الذ زوجة فقال لا فقال له تزوج فانه خير هذه الامة من كان اكثرها
نساء وفي صحيح البخاري كما مر ولا بد من جعل النبي صلى الله عليه وسلم داخلا في الامة
على ما يأتي لان افعل التفضيل في الاصل انما يضاف لما هو بعضه وان جاز يوسف
احسن اخوته على ما ارتضاه بعض النحاة على تفصيل فيه شهرته تغني عن ذكره وهذه الكثرة
باعتبار ما ابيح له صلى الله عليه وسلم بعد التزوج بمن شاء ان يجمع في وقت واحد عنده عزة
لا تجوز لا بحر والدخول والعقد فانه ثابت لغيره ايضا وكان اللاتي تزوج صلى الله عليه وسلم
باجماع اهل السير احدى عشر امرأة ستة من قريش واربع من سائر العرب وواحدة من بني
اسرائيل من نسل هارون عليه الصلاة والسلام وهي صفية بنت حيي وسيأتي لذلك مزيد
بيان واما التي اختلف فيها من يمن فارقها او عقد عليها ولم يدخل بها او خطبها ولم يقع عليها
العقد فاختلف فيها من وفي سبب فراقها والذي ذكره بعضهم اثنتي سوى من تقدم
سبع فالجميع ثمان عشرة امرأة غير السراري ويمكن ان يكون المراد بالامة ما يشمله صلى الله
عليه وسلم وامته ولا بعد فيه كما قيل والتمدح بالنكاح لما فيه من الفوائد كالولد وكسر
الشهوة وتدبير المنزل وترك ما لا يشغل عن القيام بأوامر الله مع امتثاله امر الله كقوله
خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وفي ذلك تنسب للالفة والمودة وابقال
القرابة ولان فيه تبليغ الاحكام التي لا يطلع عليها الا النساء ولما فيه من اظهار معجزة
لقوة قدرته على الجماع مع قلة اكله وتنعمه والمعتاد خلافه ومع ذلك لم يشغله ذلك
عن تفقيده بأمر الجهاد والتبليغ الى الخرج لذا مما لا يحصى وقد عد من النسك والعبادة
بل قيل انه افضل منها احيانا وهو من اخلاق الانبياء عليهم الصلاة والسلام
وتركه للقادر عليه مكروه الا ان يتوجه لكسب ما لا بد منه عليه وارتكاب محظور ما في ازمنة
الزمان ولذا ورد خيركم الخفيف الحاذ الذي لا زوجة له ولا ولد وانما قيد بهذه الامة
ليخرج سليمان وداود عليهما الصلاة والسلام فانهما كان اكثر منه صلى الله عليه وسلم
نساء وفيه تأمل وقد قال صلى الله عليه وسلم تناكحوا تناسلوا فاني اباهي بكم الامم يوم

بيان حسبي

القيامة

القيامة ووقع في بعض النسخ تناكحوا فاني مباه بكم الى آخره بدون تناسلوا والتناكح تفاعل
من النكاح بمعنى التزوج كما ورد بهذا اللفظ والمفاعلة على ظاهرها بان يراد لينكح احدكم
بنت غيره وينكح الغير بنته وهو عبارة عن مصاهرة المسلمين بعضهم من بعض والتناسل
كثرة النسل وهم الاولاد والذراري والذراري او المراد بالتفاعل لازم معناه وهو
كثرة النكاح وهذا اانسب بالمقام وبما بعده وتناسلوا اصله تتناسلوا بتاءين في
أول المضارع وحذفت على القياس بخلاف تاء تناسلوا فانها في اوله او هو امر بدل مما قبله او بتقدير
العاطف والاول اولى لان التناسل ليس باختيارهم وانما هو فعل الله فيحتاج الى تأويله
بالطلب التناسل واحرصوا عليه بان تتكحوا غير العقيمة والايسة من الولد بان يعلم ذلك
منها ان كانت ثيبا او يكون الظاهر ذلك منها لنسائها ففيه نهي عن نكاح العجائز من غير داع
واشارة الى انه ينبغي ان يكون المقصود من النكاح مع قمع الشهوة وجود ذرية تعبد الله
وتحصل بها كثرة الامة والمباهاة المفاخرة وهي على ظاهرها بان تقع منه المفاخرة حقيقة
او يجعل مسرته بهم ورؤية غيرهم لهم كالمفاخرة ويؤيده ما روى عن ابي هريرة رضي
الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال اني يوم القيامة بمثل السيل فيحطم الناس فيقول
الملائكة عليهم الصلاة والسلام لما جامع محمد اكثر مما جامع الامم والانبياء فهو صلى الله عليه
وسلم اكثر الناس امة لعموم بعثته وبقائها وكثرة اتباعه وجنده الموحدين لدين
الله ففيه فخر عظيم وهذا الحديث اخرجه ابن مردويه في تفسيره بسند ضعيف الا انه
حسن لكثرة متابعته لفظا ومعنا فانه رواه الطبراني في الاوسط من حديث سهل
ابن حنيف رضي الله عنه تزوجوا فاني مكاثر بكم الامم وعن معقل بن يسار رضي الله عنه
تزوجوا الولود الودود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة ونهى صلى الله عليه وسلم عن
التبتل كما رواه الشيخان عن سعد بن ابي وقاص والحديث صحيح قال فيه رد رسول الله صلى
الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو اذن لنا لاختصينا هذا هو المنهي الذي كان
استأذن في التبتل فرده ونهاه عنه وروى ان جماعة من الصحابة هموا على كرم الله وجهه
لما رأوا عبادة النبي صلى الله عليه وسلم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قالوا لو ان لزم
الصوم فالعبادة ونترك نساءنا ونطلقهن وننقطع للعبادة فنهاهم صلى الله عليه وسلم
عن ذلك والاختصاء الشق على الانثيين وانتزاعهما وهو التبتل من التبل وهو القطع
والمراد الانقطاع عن النكاح بالكلية ويقال رجل بتول وامرأة بتول اذا انقطعت عن
الرجال ولذا قيل لمريم البتول واما فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها فسميت بتولا
لانقطاعها عن الدنيا وزهدها او لانقطاعها لعبادة الله اولا نقطاعها عن نساء زمانها
فضلا ودينا وحسبا واما قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا فليس منافيا للحديث لانه بمعنى

شبكة الألوكة www.alukah.net

أحراي التقطع في الليل لعبادة الله والتجرد لخلوه واقرا القران وورد النهي عنه
موافقتهم للنصارى وما كانوا عليه من الرهبانية واما قوله لو اذن لنا لاختصينا فلا
يدل على جواز الاختصا ان كان على حقيقته فانه قد يستعمل بمعنى اخر كما سمى الصوم وجا
وهو جايم في البهايم في صغرها لغرض كتسمين الماكول وهو في الادميين حرام
لانه مثله ويكره استخدام الخصي ويمنع من دخوله على النسا ثم ان النهي عن ترك النكاح
للقادر عليه يفيد كراهته لانه مستحب وعند المالكية واجب فالنهي على ظاهره قال
النجاني المتاخرون من المالكية يحصلونه في بعض حق الناس ولجنا
وفي حق بعضهم مندوبا اليه وفي حق بعضهم مباحا التفاتا للمصلحة وهذا
نوع من القياس يسمى القياس المرسل وهو الذي ليس له اصل يستند اليه وانما هو
لاقتضا المصلحة كما اجابوا دعوته قال حدثنا ابو نعيم بالتصغير وهو حافظ
عصره ومحدثه احمد بن عبد الله بن احمد بن اسحاق بن موسى بن مهران الاصبهاني
الصوفي سبط الزاهد محمد بن يوسف البنا ولد سنة ستة وثلاثين وثلثمايه
وتوفي في المحرم سنة ثلاثين واربعمايه وعمره اربع وتسعون سنة وسمع من
كثير وسمع منه الحفاظ وله ترجمة في الميزان ونصا بنيف مشهورة قال
حدثنا سليمان بن احمد بن ايوب بن مطر الشيباني مسند الدنيا الامام الجليل ولد
بوكا في صفر سنة ستين ومايتين واعتنى به ابوه فرحل به في حداثته وسمع
في سنة ثلاث وسبعين وبعدها بمدائن الشام والحرمين ومصر وبغداد والكوفة
والبصرة واصبهان والجزيرة وغيرها وحدث عن اكثر من الف شيخ وصنف
المعجم الكبير ولم يذكر مسند ابي هريرة فانه افرده بمصنف والمعجم الاوسط وهو كتاب
جليل نفيس فيه وكان يقول هو روحي والمعجم الصغير ومصنفات اخر جليلة
وتوفي لليلتين من ذي القعدة من سنة ستين وثلثمايه وله مايه سنة وعشرة
اشهر بقيتا وترجمته في الميزان قال حدثنا ابو بكر بن سهل ابو محمد مولى بني هاشم
ابن عبد الله بن يوسف الدمياطي روى عنه الطحاوي والطبراني وغيرهما توفي سنة
تسع وثمانين ومايتين عن نيف وتسعين سنة وهو مقارب الحال وقيل ضعيف
كذا في الميزان قال حدثنا عبد الله بن صالح الحضرمي قاضي الاندلس وهو امام صدوق
توفي سنة ثمان وخمسمايه وله ترجمة في الميزان ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام
ابن معدي كرب هو يحيى بن خالد الطاي قاضي حمص مات سنة مايه وستة وعشرين
واخرج له اصحاب السنن والمقدام بن معدي كرب بن عمرو الكندي صحابي نزل حمص
وترجمته مشهورة توفي سنة سبع وثمانين واخرج له اصحاب السنن واحمد قال السهيلي

من هنا الى قوله لاقتضا المصلحة ساقط من نسخة وفيها بدله وقد قال ابن دقيق العيد ان ادعوا انه صلى الله عليه وسلم علل بذلك كان كفرا للنص

معنى معدي كرب

معنى قوله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج الحديث

معنى كرب وجه الفلاح وفيه لغات اسكان يا معدي وكسر ياء بلا تنوين لبنائه واعرابها بالاضافة مع الصرف وعدمه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما ملا ابن ادم وعاء شرا من بطنه لاقتضا المصلحة وقد
انكره كثير من العلما والظاهر من مذهب اصحاب مالك القول به انتهى مع ما فيه
اي في النكاح اي في البتل وقيل الاول متعين بقرينة ما سياتي من قمع الشهوة اي
قصرها والغلبة واصله ضرب الراس ومنه مقامع من حديد والمراد بالشهوة شهوة
النكاح والنسا وغض البصر اي خفض البصر وتغميضه عن النظر عما يحرم وجعل
غض البصر كانه فيه مبالغة لانه حامل عليه وقيل انه مجاز كان من لم يتشوف لامر
يغض عنه عينه فكانه لا يبصره ويجوز جعله حقيقة او كناية اللذين انبه عليهما
صيغة لقمع الشهوة وغض البصر بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي
رواه ابن ماجة عن عايشة رضي الله عنها الا ان في سنده مقالا وفي الصحيحين عن
ابن مسعود رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال يا معشر الشباب من استطاع
منكم الباة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج واخرجه الطبراني
بلفظ المصنف بدون فانه الى اخره من كان ذا طول بفتح الطا المهملة وسكون
الواو واللام وهو سعة الرزق والمال بحيث يكون له قدرة على نفقة زوجته
واهله بحيث لا ينظر الى مال امراته وغيرها فانه ورد في الحديث ايضا لا تنكح المراة
لمالها فلعل مالها ان يطغيها ولا لجمالها فلعل جمالها ان يرديها وعليكم بذات
الدين فانهن في النسا مثل الغراب الاعصم قال ابن رشد وهذا منه ارشاد لا تحريم
ورد في الحديث استوصوا بالنسا خيرا فانهن خلقن من ضلع وان اعلاه اعوج
فان اردت تقيمه كسرته وقد نظمه القايل حيث قال

هي الضلع العوجا لست تقيمها ... الا ان تقويم الضلوع انكسارها
اجمع ضعفا واقتدارا على الذي ... ابس عجيبا ضعفها واقتدارها

ومنه اخذ المنصور قوله

اذا تقمت عرس وانت تحبها ... فدع جرازها واذا تثر الموجا
ولا تظمن الدهر في ان تقيمها ... فقد خلقت في الاصل من ضلع عوجا

فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج اي فان التزوج اكثر حملا على غض البصر
وكفه عن النظر لما يحرك الشهوة واكثر تحصينا اي حفظا للفرج عن الزنا والفضل
عليه التبتل وتحصين الفرج بقمع الشهوة ففيه تنبيه على الامرين المذكورين ثم
لما كان في التبتل زهد ظاهر بما يتوهم انه افضل من التزوج رفعه بقوله

ابن اقرس

بذات

حتى لو يره أي التزوج والنكاح العلما بالدين والشرع مما يقدح في الزهد
القدح والطعن في الشئ وذكر عيوبه أي ليس مما ينقص الزهد حتى يجيبه الناس
فاسند القدح اليه مبالغة وقوله في الزهد اي ترك الدنيا وانما قلنا ان ما ذكره من جملة
التلذذ لان القصد به التعفف والتسل وهذا مروى عن عمر رضي الله عنه فانه
قال ليس في النساء سرف ولا في تركهن عبادة وزهد كما في تحفة العروس للنجاني قال
سهل بن عبد الله التستري وقد تقدمت ترجمته فدحين بالبنا للمجهول والتشديد
الى سيد المرسلين اي خلق الله فيه مجبتين والضمير للنسا فكيف يزهد
فيهن اي اذا كان الله جعل حبهن من مركوزا في جبلة من هو ازهد الخلق صلى الله
عليه وسلم فكيف يدعي احد ان تركهن زهد وفي سراج المريدين في قوله تعالى
والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين
اماما ان هذه الآية تدل على فضل التزوج على العزوبية لبقا الذرية ودعاء الذي
هو عمل لا ينقطع بموته ويدل على انه افضل في حق من يقتدى به الناس ونحو
اي مثل المروي عن التستري مروي عن ابن عيينه علم منقول من تصغير العين
وهو سفيان بن عيينه بن عمران الكوفي احد الايمة الاعلام الامام الحافظ روى
عن كثير كالزهري وابن دينار واحمد والزعفراني وروى عنه خلق كثير وخرج
له اصحاب الكتب الستة وكان بمكة وتوفي في رجب سنة ثمان وتسعين
ومايه ومولده سنة سبع ومايه وكان اعور وترجمته مشهورة وهو من تبع التابعين
ادرك منهم سبعة وثمانين نفسا وقد كان زهاد الصحابة رضي الله عنهم كثيرى
الزوجات والسراري كثيرى النكاح كثيرى بيان اصله كثيرين بصيغة
الجمع فحذف نونه للاضافة يعني كانوا يكثرون من النساء حبا وماء اوانهم
كانوا يطلقون كثيرا فيكثرن وجاءتهم بهذا الاعتبار كما قاله التجاني وكان عند
علي كرم الله وجهه اربع نسوة وتسع عشر وليدة الا انه لم يتزوج غير فاطمة
رضي الله عنها حتى ماتت وولد له منها الحسن والحسين ومحسنا وتوفي
صغيرا في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي سماه محسنا كما ذكره الدار
قطني والحسن رضي الله عنه كان من اشد الناس حيا للنسا وكان مطلاقا قيل انه ارخى
ستره على ماية حرة والسراري بتشديد اليا وتخفيفها جمع سرية بالتشديد
والسرية هي الامة المنكوحة ولو مرة فلا تسمى سرية قبل الوطي حتى ان من جعل
بيد زوجته عتق كل سرية لم يكن لها عتق التي لم يطأها ووجهها وهي منسوبة
الى السر الذي هو الجماع او الاخفا لانه كثيرا ما يخفيها عن زوجته وضم سينها من تغاير

النسب

النسب كما قيل في النسبة للدهر دهري بالضم وقيل انها مشتقة من
السرور لانه يسر لها فابدل احدى راييها يا كما قالوا اتطيت وتظنت وضم سينها
لازم وله اقيل عليك بضم صدر السرية والتسري سنة وقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم عليكم بالسراري فانهن مباركات الارحام وقد تسرى الانبيا عليهم الصلاة
والسلام والصحابة رضي الله عنهم وحكي بالبنا للمجهول في ذلك المذكور من التزوج ج
والتسري وكثرته عن علي كرم الله وجهه والحسن ابنه كما مر لانه المنقول عنه ذلك
ولذا قدمه لا الحسن البصري فانه لم ينقل عنه مثله وابن عمر وغيرهم
من الصحابة غير شئ هذا هو نايب فاعل اي حكي عنهم اشيا كثيرة في ذلك
لا شيا واحدا او ابهمه لكثرته كما في قوله وذكره غير واحد من السلف الصالحين
ان نلقى الله اي يموت لان لقا الله يكنى به عن الموت كما جا في الحديث من احب لقا الله
احب لقاه وقال الراغب لقا الله عبارة عن القيامة وعن المصير اليه
قال تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم واللقا الملاقاة واصله مصاه
مقابلة الشئ ومصادفته معا وقد يعبر به عن كل واحد منهما عزبا بفتح العين
للمهملة والزاي المعجمة والبا الموحدة هو الذي لا مراة له من عزب بمعنى تباعد
يقال رجل عزب وامراة عزبة وعزب عنه علمه اذا غاب عنه ولم يعلمه وهذا
مروي عن ابن مسعود رضي الله عنه فقد حكي انه كان يقول لو لم يبق من
عمري الا عشرة ايام لاحببت ان اتزوج ليلا القى الله عزبا وماتت امراتان لمعاذ
ابن جبل رضي الله عنه في الطاعون وكان هو يطعون ايضا فقال زوجوني
فاني اكره ان القى الله عزبا اي بعيدا عن النسا وقال في الدرة العزب يقال للذكر
والانثى وقد يقال للمراة عزبة ولا يقال للرجل اعزب بالهمزة او هي لغة قليلة
وفي التقريب قال ابو حاتم لا يقال اعزب قال الازهري واجازه غيره وورد
في الحديث في مسلم ما في الجنة اعزب قال النووي هو في جميع نسخ بلادنا بالالف
وهي لغة مشهورة وما وقع في بعض النسخ من تقييد عزب بسكون الزاي
بالقلم كما قاله البرهان لا وجه له فانه خلاف المنقول في كتب اللغة فان قلت
كيف يكون النكاح وكثرته من الفضايل وهذا يحيى بن زكريا جعلهما
لشهرتهما وشهرة اتصافهما بما ذكر بمنزلة المحسوس المشاهد حين اشار
اليهما ويحيى وزكريا بلغاتهما اعجميان وقيل انه عربي مشتق من الحياة لا كالمغارة
بل لان الله احيا قلبه بانوار النبوة الذاتية والمقتبسة من زكريا لانه اول من
امن به واوتي النبوة والفضايل المكتسبة منه فقال انا نبشرك بغلام

اسمه يحيى لم يجعل له من قبل سميا قال قتادة والكلبي لم يسم احد قبل يحيى بذلك
فاحيى الله به دين عيسى عليه الصلاة والسلام فاشتق له من اسمه الحي اسما كما
اشتق لكل اسم سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم من اسمه المحمود كما قيل وكان
هو وعيسى ابني خالة وكانت امه تقول لمريم اني اجد الذي في بطني يسجد للذي
في بطنك كما سياتي ويحيى اكبر من عيسى وفي مقدار عمره اختلاف فقيل ماية وعشرين
سنة وقيل ثمانية وتسعين وقيل اثنتين وسبعين واما زكريا فمن ذرية سليمان
عليهما الصلاة والسلام وكان آخر من بعث من بني اسرائيل قبل عيسى عليه الصلاة
والسلام ولما اراد بنو اسرائيل قتله فر منهم فانفلقت له شجرة فدخلها فاخذ
الشيطان هدب ثوبه فلما راوه نشروا الشجرة حتى قطعوه في جوفها واما يحيى
عليه الصلاة والسلام فقتل بسبب امراة اراد ملكهم تزوجها فقال له يحيى لا تحل لك لانها بنت امراتك فتوصلت لقتله قبل ان يرفع عيسى عليه الصلاة
والسلام وكان ومدينة حتى قتل منهم بحت نصر سبعين الفا وهذا قصام
الانبيا عليهم الصلاة والسلام كان قصاص للملوك خمسة وثلاثين الفا كما قال
ابن عباس رضي الله عنهما وقد قيل ان الموت بعد استقرار اهل النار في النار
واهل الجنة في الجنة يوتى به بصورة كبش املح فيذبح يحيى وقيل الذي يذبحه
جبريل عليه الصلاة والسلام والثاني مروي في بعض التفاسير واما الاول فلا
فلا مستند له وان ذكره بعض الصوفية قد اثنى الله عليه انه كان حصورا في قوله وسيدا
وحصورا والسيد الرئيس الشريف وفيه تفاسير سياتي واما الحصور فمن الحصر وهو
المنع ولذا اشتهر تفسيره بمن انحصر عن النساء حيث لا ياتيهن واخرج ابن جرير عن عمر
وعمرو بن العاص رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد يلقى الله
الا وقد هم بالذنب او عمله الا يحيى بن زكريا فان الله عز وجل يقول وسيدا وحصورا قال وانما كان
ذكره مثل هدبة الثوب واشار بامليه وبه فسر ابن عباس رضي الله عنهما وورد شاهدا
له من كلام العرب وعلى هذا بين المصنف السؤال كذا في الشرح الحديد اقول
هذا الحديث لو ثبت وسئل النووي رحمه الله في فتاويه عن حديث ما منا الا من عصى
الا يحيى بن زكريا فاجاب بانه حديث ضعيف لا يحتج به رواه ابو يعلى في مسنده عن عبد
عن خلف عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان بضم الجيم واسكان الدال المهملة
عن يوسف بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ما احد من ولد ادم الا وقد اخطا
او قدم بخطيئة ليس يحيى بن زكريا واسناده ضعيف لان ابن جدعان ضعيف ويوسف
ابن مهران مختلف في جرحه فكيف يثنى الله عليه في القران بالخير مما بعده فضيلة

وهو النكاح

وهو النكاح وكثرته وهذا عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام بانه كان حصورا
ليس معناه كما قال بعضهم كما مر انه كان هيوبا اصل معنى الهيوب الجبان من الهيبة
وهي المخافة والتقية وباتي بمعنى من يخافه الناس وليس بمراد هنا بل المراد انه
كان جبانا عن النكاح اولا وكونه الذكر بفتحتين معروف فلم يرد ظاهره واما اراد
انه صغير جدا او لا حراك له اصلا ما ورد في بعض الاحاديث الضعيفة ان النبي
صلى الله عليه وسلم اخذ نواة او قذاة وقال كان ذكره مثل هذه وفي اخرى مثل هدبة
الثوب وقال ابن المنذر كان عنينا وقد يطلق الحصور على المجبوب الذكر والانثيين
كما في حديث الفطر الذي امر النبي صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه بقبله قال فرفعت
الريح ثوبه فاذا هو حصور بل قد اخرج هذا احذاق النسرين ونقاد العلل احذاق
جمع حاذق بمعنى ماهر في علم التفسير والنقاد جمع ناقد وهو الذي يميز جيد
النقدين من رديهما واصل معناه الوزن وحذاق النسية ولم يذكر الاول في القاموس
وهو المراد هنا وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا تليق بالانبيا عليهم الصلاة
والسلام اي لا تصلح لهم ولا تناسبهم من لاق الدواة يليقها اذا اصلحها والما معناه
انه كان معصوما من الذنوب والعصمة عندنا ان لا يخلق الله فيهم ذنبا وعند
الفلاسفة كسائر الانبيا ملكة تمنع الفجور وسياتي الكلام على تفصيل عصمة الانبيا
عليهم الصلاة والسلام ابى لا يانيهما كان اخصر عنها اي ممنوع عنها فحصور بمعنى محصور
قال النجاني هذا الجواب ضعيف لما ورد في حديث بشر بن عطية قال لعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لعن من تحصر في الاسلام وقال لا حصور الا يحيى بن زكريا كما خرجه
الماوردي وغيره وفيه نظر سياتي وقيل ما آوى نفسه من الشهوات وقيل
ليست له شهوة في النسا يعني ان له قدرة على الجماع ولكنه يمنع نفسه عنها باشتغاله
بغير هامن العبادة اوله قدرة ولكن لا تتوق نفسه له ولا يريده فلن هم عرفوا الفرق
بانها توقان النفس الى الامور المستلذة وفرقوا بينها وبين الارادة بان الارادة اعم
فان الارادة قد تتعلق بما لا يشتهى كارادة شرب الدواء والاشتهاء ميل طبيعي غير
مقدور ولذلك يعاقب بارادة العاصي عند بعض ولا يعاقب باشتهائها فالمعنى
ان الله عصمه بان لم يخلق فيه ميلا للمشتهيات ولو لم يفسر بما ذكر لما دفع تعقبه بقوله
فقد بان لك من هذا ان عدم القدرة على النكاح نقص واما القصد فهو كونه لم
يوجد ثم قعها وهذا معنى ما قاله البيلي في تفسيره ان الظاهر ان كونه حصورا
كان عن اختيار منه لان خلافه نقص في الخلقة وعيب تنزه عنه الانبيا عليهم
الصلاة والسلام وما ذكر ابن حزم في الملل والنحل من ذمه انما يتمشى فيما اذا كان لمجرد

الشهوة البهيمية اما اذا كان لتكثير النسل في الاسلام فلا مذمة فيه وقال ابن العربي
قول من قال الحصور هو الذي يكف عن النساء عن قدرة هو الصحيح لوجهين
احدهما انه اثنى عليه ومثله انما يكون على المكتسب لا الجبلي الثاني ان حصورا فعول
من صيغ المبالغة وهو انما يكون في الافعال الاختيارية فهو كف عن قدرة وهو
في شرعه مطلوب بحلا في شرع نبينا نهيه صلى الله عليه وسلم عن التبتل انهى فاندفع
ما قيل ان قوله لا شهوة له في النساء لا وجه لذكره هنا لانه في مقام الجواب عما
اوردوه وهذا مقر للايراد لا جواب عنه وما ذكر في هذا المقام هو وجه
تفضيل البشر على الملك فان قلت فما نقول فيما ورد في الحديث على فرض
صحته من انه عنين او ماله كقذاة او نواه او هدب ثوب قلت اجيب عنه
اجيب عنه بانه لغلبة خوف الله عليه وشدة الرياضة التي كانت مشروعة له
ذبلت اعضاؤه واضمحلت حتى صار كانه مثل ما ذكر لا انه لنقص في خلقته
فهو على طريق التشبيه والتمثيل اما بمجاهدة متعلق بقمع والمراد بذلك ان الله خلق
الانبياء عليهم الصلاة والسلام على احسن تقويم فلهم قوة على الجماع زايدة على
غيرهم الا ان منهم من قهر شهوته وغلبها حتى اضعفها وذلك اما بمجاهدة كافراط
الرياضة بجوع وسهر وخلوة عمن للعبادة ولهو المراد بالمجاهدة لانه يجاهد
نفسه بمنعها عما تريده من الشهوات وهو الجهاد الاكبر كعيسى عليه الصلاة والسلام
او يقهرها بعدم مطاوعتها على ما تريد لانه خلقه وجعل فيه ملكة على ترك الشهوات
من غير مشاهدة من غير مشاهدة مجاهدة وهو المراد بقوله او بكفاية من الله كيحيى
عليه الصلاة والسلام فان الله صرفه عن شهوة الجماع قيل والا لما يكون له قدرة
قمعها بالمجاهدة كعيسى عليه الصلاة والسلام فلذا فسر البيضاوي حصورا بمبالغ في
حبس نفسه عن الشهوات والملاهي والتبتل في حق المعصوم امر مطلوب وفي غيره منهي
عنه وكان مشروعا في دينهم كما مر وترك التزوج عبادة عندهم لمن قدر على صون نفسه
الشهوات وكان عليه الصلاة والسلام شديد الخوف من الله حتى قيل انه وضع وجهه
على الارض وبكى حتى ذهب حدبه وبدن اضر امه للناظرين فضيلة زايدة مرفوع
خبر للمبتدا وهو قمعها في قوله ثم قمعها اي ترك الشهوة والجماع بعد القدرة والقوة
عليه فضيلة محمودة وصفة حميدة زايدة في الخلقة على اصلها لكونها شاغلة
في كثير من الاوقات اي لكون الشهوات يستطل الانسان كثيرا عن العبادة والمهمات
وفي نسخة مشغلة قال التلمساني مفعلة من الشغل وروى مشغلة اسم فاعل
من اشغل وهو قليل وروى شاغلة انتهى قلت الاخير هو الصحيح رواية ودراية

لان الاشتغال لفقه ردية ولذا لما وقع الصاحب على رقعة فيها الاشتغال قال
نعمة قال اشتغالي لا يصلح لاشتغالي كما مر وهو لم يقع في النسخ المتداولة حاطة
الى الدنيا اسم فاعل من الحط وهو الانزال من علو الى اسفل وهو منصوب خبر بعد
خبر للكون اي نزل الانسان الى شهوات الدنيا الدنية لمن لم يعصمه الله عن التعلق
بها ومنعه عن اشتغال قلبه بها ثم هي اي الشهوة في الجماع الفضيلة الزايدة
عليها كما توهم في حق من اقدر عليها بالبنا للمجهول اي من اقدره الله على شهوته
فلم تغلبه وملكها اي تصرف فيها كما يريد منعا وفعلا وهو بفتح اللام والميم
مبني للفاعل او بضم الميم وكسر اللام المشددة والبنا للمجهول قال التلمساني
وهو اولى ليكون على نسق اقدر والحق هنا بمعنى الشان والحال كما يقال الغنى في
حق الكريم حسن وقام بالواجب فيهما معطوف على ملكها اي من ملك شهوته
ولم يمنعه من القيام بما يجب عليه من مهمات دينه ودنياه لان ما يمنع عن ذلك ينبغي
تركه وفيها متعلق بقام اي قام بما يجب عليه وهو متلبس بهما ولم تشغله
عن ربه شغل يشغل كسال يسال وقوله درجة عليا مرفوع خبر هي اي مرتبة
رفيعة عند الله وعليا بفتح العين والمد وهي في الاصل كل مكان مشرف اي مرتفع
واريد به علو المنزلة وهي درجة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اي هذه الدرجة
العليا عند الله التي وصل اليها في الدنيا مع انها غير شاغلة له عن التقرب الى
الله بفعل ما يجب عليه من العبادة ودعوة الخلق الذي لم يشغله صفة لمحمد صلى
الله عليه وسلم مبينة لما قلناه كثرتهن اي النسا عن عبادة ربه بل زاده ذلك
عبادة على عباداته المعروفة من الصلاة والصوم وقيام الليل لتحصينهن اي
جعلهن محصنات متعففات بنكاحهن صلى الله عليه وسلم لهن وقيامه بحقوقهن
من النفقة والكسوة وغيرها لانه فيه اجرا ايضا واكتسابه لهن فان الكسب
الحلال للعيال عبادة وارشاد للخلق وان كان ذلك لو سال الله تبارك وتعالى
ذلك او صله من غير كسب لكنه صلى الله عليه وسلم اكتسب ملتزم لمقام العبودية
وهدايته اياهن بتعليمه الدين بعد خلوص الايمان بالله ورسوله ثم ترقى لمرتبة
اعلى من هذه بين فيها ان حظوظه الدنيوية ليست ناشئة عن ميل قلبه وتوجه
فكره حتى يشغله عن ربه فاضرب عما يوهم ذلك فقال بل صرح انها ليست من حظوظ
ونياه هو جمع حظ كحاظ ولحظ وهو النصيب المقدر مما يسر به ويقال حنظ
بالنون وهي لغة يمانية وان كانت من حظوظ ونيا غيره من الناس فانهم يسرون
بها ويعدونها لذة عظيمة واضافة الدنيا ومحبتها لغيره اشار الى انه صلى الله عليه وسلم

دلجي

برئ منها ومن محبتها فان قلبا امتلا بمحبة الله لا يدخله محبة غيره كما قيل

تملك بقبض حبك كل قلبي فان ترد الزيادة هات قلبا

ثم فسر بصريحه بانها ليست من حظوظه بالحديث فقال حبب الى من دنياكم بالبناء للمجهول ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة قال السيوطي هذا الحديث رواه الحاكم والنسائي عن انس رضي الله عنه بدون لفظ ثلاث الا ان احمد رواه عن عائشة رضي الله عنها ولفظه كان يعجبه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ثلاثة اثنا النساء والطيب والطعام فاصاب اثنتين ولم يصب واحدة اصاب النساء والطيب ولم يصب الطعام واسناده صحيح الا ان فيه رجلا لم يسم وقد روى هذا الحديث من طرق اخر يقوى بعضها بعضا فهو صحيح الا ان اكثر الحفاظ على انه ليس فيه لفظ ثلاث كابن القيم والعراقي وانها مدرجة في الحديث ومن رواها فيه فقد وهم وخالفهم في ذلك ابن فورك وقال انها مروية في ذلك في الحديث والف في ذلك جزءا مستقلا صح فيه روايتها ولم اقف عليه وتبعه في اثباتها الزمخشري في سورة آل عمران والراغب وابن عرفة في الخصوص وغيرهم ومن وهمهم قال الصلاة ليست من امور الدنيا فلا يصح عدها منها لمجلوم وهما ومعنى لفظا ومن اثبتها افترقوا فرقتين فرقة قالت ان المراد بامور الدنيا ما وقع في الدار الدنيا لذة كان اوعبادة فالصلاة من امورها على هذا وفي لفظ ثلاث تغلب للموث على المذكر عكس القاعدة للشهرة لنكتة وغير الاسلوب في الثالث فعبر عنه بالفعل اشارة لمغايرته لما قبله وفيه عطف الفعل على الاسم الجامد والمصروف على المنصرف كما قال ابن مالك رحمه الله

واعطف على اسم شبه فعل فعلا وعكسا استعمل تجد سهلا

فليست زيادة مخلة بالمعنى كما توهم وفرقة ذهبت الى انه نوع من البديع يسمونه النفي وهو ان يذكر شيئا يريد تفضيله فيذكر بعضا منه ويترك بعضا فالثالث نطوى ذكره في الحديث لنكتة كايهامه على السامع لعدم رادا وته ووقوف السامع عليه لنكتة فان هنا الطعام كما ورد التصريح به في رواية احمد كما مر فطيه لخسته عنده واستشهد والده بقوله

ان الاخامرة الثلاثة اهلكت مالي وكنت بهن قدما مولعا

الخمر والماء القراح واطلي بالزعفران فلا ازال مولعا وقوله

كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم من العبيد وثلثهم من موالينا

وفيه مع النكتة المذكورة تقليل اللفظ مع تكثير المعنى وقد يقال الاشاهد

فيما ذكر

فيما ذكر اما الاول فالثالث وهو قوله واطلي الى اخره على نهج ما تقدم في الحديث واما الثالث فلانه ذكر قبيلة حنيفة وجعلها اثلاثا عبيد وموالي وجلفا فبقي نفس القبيلة وصميمها وهي مذكورة اولا وقال حبب بالبناء للمجهول ودنياكم بالاضافة اليهم ولم يقل حببت من دنياي اشارة الى ان محبته صلى الله عليه وسلم لذلك ليست باختياره لشهوات نفسه بل بفعل الله فحبه انما هو لله ولذاته لما اراده ورضيه له لانه صلى الله عليه وسلم بشري الظاهر ملكوتي لا يخلى باحوال البشر الا اذا امره الله بها لتتاسى به امته وتتشرف بما رضيه له فعده صلى الله عليه وسلم من البشر كقد الياقوت من الاحجار وكان اذا دخل في الصلاة اشتغل ظاهره وباطنه عن الخلق لوقوفه بين يدي خالقه فيزداد قربا ومشاهدة فيتصل نور بصر بنور بصيرته فلذا جعلها قرة عينيه ولذا شرع السلام لعوده الى من عنده من معراجه ولذا كان بعض الناس يصلح من عنده فافهم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم جلس مع اصحابه الاربعة رضي الله عنهم فقال حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة فقال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله وانا حبب الي من الدنيا ثلاث الجلوس بين يديك والنظر اليك وانفاق جميع مالي عليك وقال عمر رضي الله تعالى عنه وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا ثلاث الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وحفظ الحدود وقال عثمان رضي الله عنه وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا ثلاث افشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وقال علي رضي الله عنه وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا ثلاث اقراء الضيف والصوم بالصيف والضرب بين يديك بالسيف ونزل جبريل عليه الصلاة والسلام وقال وانا يا رسول الله حبب الي من دنياكم ثلاث حب المساكين وتبليغ الرسالة للمسلمين واداء الامانة واداء الدين قبل الله تعالى وهو يقول ان الله يحب من دنياكم ثلاث بدن صابر ولسان ذاكر وقلب شاكر فالخطاب على هذا للخلفاء الاربعة رضي الله عنهم ويجوز ان يكون لجميع الناس او الامة فدل ان حبه صلى الله عليه وسلم لما ذكر من النساء والطيب الذين من دنياهم اي دلما ذكر من بين احبب للمجهول واضافة الدنيا لغيره صلى الله عليه وسلم واستعماله لذلك بالنصب عطفا على اسم ان والمراد باستعماله لذلك مباشرته كالجماع وتطييبه وتضمخه بالطيب ليس لدنياه والتذاذها بل لاخرته اي استعانها بنية العبادة التي هي من امور الاخرة للفوائد التي ذكرناها

في التزوج من تحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه وهدايته لهن وللقا
الملايكة في الطيب اي استعماله لاجل محبة الملائكة له وهو صلى الله عليه وسلم يلاقيهم
كثيرا ولذا ترى اصحاب العزايم والهياكل يلازمون التبخير لمحبة الروحانية له ولانه
اي الطيب ايضا مما يحض على الجماع ويعين عليه اي مما يحرك داعية الجماع ويقويها
لانعاش الروح به وتحرك اسبابه اي يهيج مقاماته كالشهوة والقبلة او المراد
النية فكني عنها تاديبا واحتشاما وهو تعبير حسن وكان حبه صلى الله عليه
وسلم لهاتين الخصلتين الجماع والطيب لاجله غيره اي الزوجات والملايكة
عليهم الصلاة والسلام وقمع شهوته لا لمجرد التلذذ والتنعم كغيره فان كان
قادرا على غيره على ذلك ولذا كان صلى الله عليه وسلم لا يرد الطيب اذا اهدي اليه
وفي الحديث من عرض عليه طيب فلا يرده فانه طيب الريح خفيف المحمل واذا
اعطى احدكم ريحانا فلا يرده والمراد الريحان المعروف او كل ذي رايحة
طيبة وكان حبه الحقيقي المختص بذاته لامر اخر عرضي يرجع بالاخرة الى
الدين والثواب في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته الجبروت فعلوت كالرحموت
والملكوت والمراد عظمة الله سيده ومولاه والمناجاة المسارة بتلقي وحيه ودعا
وقراءة القران وقال الدواني في شرح هياكل النور الجبروت يراد به عالم العقول
اي الملايكة ويسمى ايضا بالملائكة الاعلى والاعظم قيل انما سمي بالجبروت لانها
محبورة على كمالاتها العطرية اولانه جبر نقصها الامكاني بحصول ما يمكن
لها بالفعل انتهى ولذلك ميز فرق وفصل بين الحالين اي حب ما هو من امور الدنيا
ظاهرا او بين ما هو حقيقة لله وفصل بين الحالين اي حال المحبتين بتغيير
العبارة والاسلوب كما مر فقال وجعلت قرة عيني في الصلاة فاورد ها جملة
فعلية معطوفة على اسم قبلها كما مر تفظيما لشانها وتفخيما لامرها لكونها محبوبة
لذاتها فليست معطوفة على حبب عطف الفعلية على الفعلية كما ذهب اليه
من جعل الثاني مطويا كما عرفته وقرة العين ما يسر من ينظره من قريقر
بالفتح اذا برد لانه كما قيل دمعة السرور باردة او من القرار والسكون
لكونها اذا نظرت من نحب او بوجهها لان الحزين يسهر وقد قيل عيني
تقر بكم عند تقربكم ولو لم يغير الاسلوب قال والصلاة التي لها قرة عيني او وقع
عيني في الصلاة فلا يحصل التمييز بين ما حبه عرضي وبين ما حبه ذاتي
وحقيقي وبهذا القدر علم انما لبست من دنياهم وهذا انما يتوهم اذا كان الحديث
لفظه هكذا والمصنف رحمه الله لمن لا يقول بصحته كما سياتي في فصل وقارة

والمراد بالصلاة الصلاة المعروفة ذات الركوع والسجود لما يشاهد فيها كما مر
وقيل المراد صلاة الله وملايكته عليهم الصلاة والسلام عليه قال
ابن قرقول والاول اظهر فقد ساوى صلى الله عليه وسلم عيسى ويحيى عليهما
الصلاة والسلام في كفاية فسهن يعني ان يحيى وعيسى صلى الله عليهما
وسلم نبتلا وتركا التزوج مع القوة والقدرة خوفا من فتنة النساء وهي تمكن
حبهن في القلب والاشتغال بهن عن العبادة في مشاهدة عالم الملكوت وهو لم يشغله
صلى الله وسلم ولم يمنعه عنها في حال من الاحوال فساواهما في عدم الاشتغال
حتى كان الوحي ينزل عليه صلى الله عليه وسلم وهو في فراش زوجاته واعانته
خديجة رضي الله عنها في اول امره فلا يقال انه صلى الله عليه وسلم في حال مضاجعتهن
مشغول عن عبادته الا ان يعد جماعة عبادة وزاد فضيلة عليهما بالقيام لهن
اي له صلى الله عليه وسلم فضيلة زايدة على من ذكر بقيامه على زوجاته وكسبه
لهن وهدايته لهن مع عدم غفلته صلى الله عليه وسلم طرفة عين عن الله وكان
صلى الله عليه وسلم ممن اقدر بالبناء للمجهول اي اقدره الله على القوة في هذا اي امر
النكاح مع القيام بحقه وحق الله وليس في هذا دلالة على ان غيره صلى الله عليه وسلم
اقدر منه كما توهم واعطى الكثير منه ولهذا ابيح له صلى الله عليه وسلم من الحوايا
جمع حوية على خلاف القياس لكونه بمعنى عقيله فجمع جمع فعيله كما قال النابغة
حذارا على ان لا تنال مقادتي ولا نسوتي حتى يمتن حرائرا
ما لم يبح لغيره من جمع ما فوق الاربعة وهو من خصايصه صلى الله عليه وسلم
بالنسبة لامته فابيح له ان ينكح من النساء ما شاء في اول امره ثم حكم عليه بعد ذلك
ان يزيد على ما في عصمته من ازواجه فقال لا تحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن
من ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك قاله النجاني وقال مغلطاي
له صلى الله عليه وسلم خصايص جمة منها اباحة تسعة نسوة والصحيح انه لا زيادة
قال بعض الشراح من قال لا يزيد على التسعة استند له بقوله تعالى فانكحوا ما طاب
لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع وهو خطا بالاجماع لانه ليس معنى الاية وليست
الاية في حقه صلى الله عليه وسلم وانما هي في حق الامة والزيادة على الاربعة لهم ممنوعة
بالاجماع الدال على معنى حديث غيلان ولم يخالفه مستندا بهذه الاية الا بعض الروافض
والزنادقة كما فصله ابن حزم في كتاب المحلى وقد روينا عن انس رضي الله عنه قال
السيوطي هذا الحديث عزاه المصنف رحمه الله الى النسائي وهو عند البخاري ورويناه
بفتح الراء والواو المخففة وما قاله الشمني نقلا عن المزي من انه بضم الراء وكسر الواو

المشقة لا وجه له لانه صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسائه أي يجامعهن
من دار على كذا اذا طاف به اذا استثنى حوله فجعله كناية عما ذكر في الساعة من الليل
والنهار اي في مقدار ساعة منهما فقدرته صلى الله عليه وسلم على ذلك مع ما كان
عليه من قلة الاكل والشرب معجزة في حقه صلى الله عليه وسلم قيل والتسلي في
حق يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام تشبيهما بالملائكة كان افضل في
زمانهما ودوره صلى الله عليه وسلم كان برضاهن فلا ينافي وجوبه في القسم
وهن احدى عشرة اي نساوه صلى الله عليه وسلم اللاتي دار عليهن كذلك
عدتهن قال البرهان كذا في صحيح البخاري من حديث انس رضي الله عنه وقال
ابن خزيمة لم يقل احد من اصحاب قتادة بانهن احدى عشرة الا معاذ بن هشام
عن ابيه وعن انس رواية اخرى في البخاري انهن تسع وجمع بينهما بان ازواجه
صلى الله عليه وسلم كن تسعا في ذلك الوقت كما في رواية سعيد في سيرته ماريه
وريحانه عند من قال ان ريحانه كانت امة وبعضهم قال انها زوجة وروي
ابو عبيد انه كان مع فاطمة بنت شريح وريحانة وقال ابن حبان كان هذا اولا قبل
صلى الله عليه وسلم المدينة وكانت زوجاته تسعا لان جميع نسائه لم يقع مرة
واحدة ولا يستقيم هذا الا في اخر مرة حيث اجتمع عنده تسع نسوة وجاريتان
ولا يعلم اجتماع احدى عشرة زوجة عنده فانه صلى الله عليه وسلم تزوج احدى
عشرة امراة اولاهن خديجة ولم يتزوج عليها حتى ماتت انتهى ما ذكره البرهان
وكلام ابن خزيمة يدل على ان رواية الاحدى عشر مرجوحة والتسع راجحة وجمع
بينهما بان مع التسع فاطمة بنت شريح وريحانة على القول بانها زوجة فصدر
الجمع منه صلى الله عليه وسلم مرة تسعا ومرة احدى عشرة وايضا قيل التسع
محمول على الحقيقة والاخرى على تغليب الزوجات على السريتين وهما ريحانة
ومارية فان قيل الرواية بلفظ النسا وهن حقيقة في غير الرجال فلا حاجة
الى التغليب قيل لا يقال انه حقيقة في ذلك الا اذا لم يضف للازواج الا ما
كما في الحديث وقوله تعالى والذين يظهرون من نسائهم فان اضيف لهم لم
تتناولهم الا ما حقيقة ولذا احتج علماؤنا بهذه الاية على عدم صحة ظهار الاما
خلافا لمالك وقد تبعه النجاني اذ جمع بين روايتي انس بانهن تسع حرائر واحدة
عشر مكوحة وسريتان لدخول السراري في النسا كالامة والنسا والنسوان
والنسوان جمع المراة من غير لفظها كما تقدم في جمع المرء وقد تقدم انه طوافه
صلى الله عليه وسلم على نسائه في ساعة واحدة لا ينافي القسم ان قلنا بوجوبه عليه

ولم نقل ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه لا يجب عليه القسم وقد ذهب الى
هذا الزيلعي من ائمتنا وبعض المحدثين فقسمه صلى الله عليه وسلم انما كان تطييبا
لخاطرهن تفضلا منه وتفليما لامته ولذا كان يقرع بينهن اذا اراد السفر مع
ان القسم انما يجب عليه في الحضر او يقول لهذا برضاهن مع ان هذا لا يفوت القسم
لسا وائتمن والاختيار في القسم للزوج ويدل على عدم الوجوب انه روى انه صلى
الله عليه وسلم كان يقسم لثمان ويترك واحدة منهن قيل انها صفية بنت حيي
رضي الله عنها كما في مسلم وعليه قوله تعالى ترجي من تشا منهن وتوي اليك
من تشا وقال المنذري كان ممن يوي عايشة وام سلمة وزينب وحفصة رضي الله
عنهن ومن ارجاه سودة وجويرية وام حبيبة وصفية وميمونة رضي الله عنهن
انتهى واستدل القايل بالوجوب عليه بحديث الترمذي انه صلى الله عليه وسلم كان
يقسم بين نسائه فيعدل ويقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تواخذني فيما تملك
ولا املك وقد يقال هذا كان قبل اعلامه بعدم الوجوب عليه او اعدوله عن الافضل
في حقه صلى الله عليه وسلم والكلام على ترجمة زوجاته رضي الله عنهن مفصل في السير
وللعلامة ابن حجر العسقلاني رحمه الله تو في رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تسع نسوة
اليهن تنزى المكرمات وتنسب فعايشة ميمونة وصفية وحفصة تتلوهن
هند وزينب جويرية مع رملة ثم سودة ثلاث وست نظمهن مرتب والواو من قوله
من الليل والنهار بمعنى أو قال انس رضي الله عنه وكنا نتحدث انه صلى الله عليه وسلم
اعطي قوة ثلاثين رجلا في الجماع وهذا تتمة الحديث الذي قبله خرجه اي
رواه مسندا النسائي وقد تقدم ان البخاري رواه ايضا وروي بالبنا
للفاعل والمفعول نحو عن ابي رافع اي هذا الحديث مروي عن ابي رافع ايضا في سنن
ابي داود والبيهقي والنسائي ولفظه طاف صلى الله عليه وسلم في يوم وليلة واحدة
وكان يغتسل عند هذه وهذه ولذا قال نحو لاختلاف لفظه وزيادته وابو رافع
هذا هو مولى النبي صلى الله عليه وسلم وهو قبطي واسمه ابراهيم وقيل اسلم وقيل ثابت
وقيل هرمز وقيل صالح وقوله قوة ثلاثين قال البرهان الحلبي في الصحيح من
رواية الاسماعيلي عن معاذ اعطي قوة اربعين رجلا وفي حليته الى نعيم عن مجاهد
قوة اربعين رجلا من رجال الجنة وفي الترمذي ان قوة كل رجل من رجال الجنة قوة
سبعين رجلا يعني من اهل الدنيا وصححه وفيه قوةماية رجل وقال انه صحيح
غريب وقال ابن حبان قوة كل رجل في الجنة قوة ماية رجل والنسائي هو الامام
الحافظ ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب بن علي صاحب السنن سمع من قتيبة وطبقته

واصحاب مالك وحماد بن زيد وانتهى اليه علم الحديث وروى عنه كثيرون وتوفى
سنة ثلاث وثمانمائة وبشبه انه سنة خمسة عشرة ومائتين ولم يبق
من اصحاب الكتب الستة بعد الثلاثمائة غيره فعلى هذا قوله صلى الله عليه
وسلم قوة الوف وقع فى بعض النسخ ههنا برواية اللمعى عن المصنف رحمه
الله وعن طاوس اعطى صلى الله عليه وسلم قوة اربعين رجلا وقد تقدم
من رواه ومافيه وطاوس هو الامام عبد الرحمن بن كيسان اليمانى وهو
من ابناء الفرس وقيل من الفرس بن قاسط وقيل اسمه ذكوان ولقب
بطاوس لانه كان طاوس القراء وروى عن عايشة وابى هريرة وابن عباس
وغيرهم رضى الله عنهم وروى عنه الزهرى والنيمى وابنه وغيرهم وتوفى بمكة
سنة سنة ومائة واخرج له اصحاب السنن وغيرهم وعن صفوان بن سليم
بالتصغير وهو امام عابد قيل انه لم يضع جنبه على الارض اربعين سنة
حتى نقلت جبهته من السجود وتوفى سنة اثنين وثلاثين ومائة وهو تابعى
روى عنه اصحاب السنن وقالت سلمى مولاته بفتح السين بلا خلاف وغلط
من ضمها كما قاله النووى رحمه الله والضمير للنبى صلى الله عليه وسلم لانها خادمة
وقيل انها مولاة صفية عمته صلى الله عليه وسلم وهى زوج ابى رافع وابية
فاطمة الزهراء رضى الله عنها وروى عنها ابنها عبيد الله وهذا الحديث
صحيح رواه ابوداود كما قاله السيوطى طاف النبى صلى الله عليه وسلم على نسائه
التسع ونظهر من كل واحدة اى من جماع كل واحدة منهن قبل ان يأتى الاخرى
وقال هذا اى الغسل من كل جماع اطهر واطيب وروى انكى واطيب واطهر
اما كونه اطهر فظاهر واما انه اطيب فلانه يقوى البدن بانعاشه وقيل
اطيب للباطن واطهر للظاهر وهذا الحديث منفصل لان سلمى روته عن زوجها
ابى رافع وفيه دليل على ان الغسل على الفور وانه لا يجب لكل جماع وقيل
ان لم يغتسل يستحب له الوضوء كوضوء الصلاة وروى عن عمر انه لا زم وورد فى
الصحيح انه صلى الله عليه وسلم طاف على نسائه بغسل واحد فلبيان الجواز وحمل
بعضهم الوضوء فى قوله صلى الله عليه وسلم اذا اتى اهله احدكم فليتوضأ على الوضوء
اللغوى اى يغسل فرجه وهذا بنا على ان الوضوء لا يستحب كما قاله ابو يوسف وذهب
بعضهم الى انه يستحب لانه انشط كما ورد فى الحديث وقد قال سليمان عليه
الصلاة والسلام لاطوفن الليلة على مائة امراة او تسع وتسعين وانه
فعل ذلك اى الطواف عليهن وجماعهن كما قال وفى صحيح مسلم عن ابى هريرة رضى

الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ان سليمان ابن داود عليهما الصلاة والسلام
لاطوفن الليلة على سبعين امراة كلهن ياتى بغلام يقاتل فى سبيل الله تعالى
فقال له صاحبه او الملك قل ان شاء الله تعالى فلم يقل ونسى فلم تات واحدة
منهن بولد الا واحدة جاءت بشق غلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو
قال ان شاء الله لم يحنث وكان له درك لحاجته وفى رواية على ستين امراة وفى
رواية على تسعين وفى اخرى على سبعين وتسعة وتسعين وستاتى
الزيادة ومافيها قالوا ولا تعارض بين الروايات لان اثبات القليل لا ينفى
الكثير والعدد لا مفهوم له ثم هذه النسا ان كانت امآ او بعضها حرائر
وبعضها اما فلا اشكال وان كانت حرائر فلان الحصر فى الاربع لم يكن شرعا
لمن قبلنا وانما صار شرعا لنا لضعف الابدان وقلة الاعمار ويقال طاف
بالشئ واطاف اذا دار حوله وقد قدمنا انه كناية عن الجماع وعلى اختلاف
اللغتين جاء رواية لاطوفن ورواية لاطيفن وفى الحديث جواز القسم
والتعليق بالمشيئة واما كون سليمان عليه الصلاة والسلام لم يقله
وانه نسيه فسيذكره المصنف رحمه الله فى اول القسم الثالث وقوله فى الحديث
لم يحنث بمعنى لم يأثم ويحنث لانه فعله وليس المقسم عليه الولد لانه ليس فى قدرته
ومثله لا يخفى عليه والدرك بفتح الراء بمعنى الادراك والتحصيل وفى البخارى
بد له كان ارجا لحاجته وسليمان نبى الله عليه السلام امره ونسبه بفصل
فى القصص والتراويح قال ابن عباس رضى الله عنهما
كان فى ظهر سليمان عليه الصلاة والسلام مائة رجل المراد بالماء المنى ومنعه
من الرجال صلب الرجال كما ذكروه فى قوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب
والمراد انه له قوة مائة رجل فى الجماع وكانت له ثلثمائة امراة وثلثمائة سرية
وحكى النقاش رحمه الله تقدمت ترجمته وغيره انه كان له سبعمائة امراة
وثلثمائة سرية وروى ان له الف امراة وتسعمائة سرية وهذا يحدش
فيما تقدم من العدد وقد تقدم ما اجابوا عنه الا ان بعضهم ضعفه وجمع
بين الروايات بان بعضها محمول على الحرائر وبعضها على الحرائر والسراري
ولا يخفى ما فيه ولو قيل ان الاختلاف لاختلاف احواله صلى الله عليه وسلم
باعتبار الزمان فكانت تزيد وتنقص بهذا الاعتبار لكان اظهر وفى
تفسير النسفى عكس ما حكى المصنف رحمه الله عن النقاش فقال كان لسليمان
عليه الصلاة والسلام ثلثمائة حرة وسبعمائة سرية وكذا فى الكشاف والله اعلم بالحال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد كان لداود على زهده واكله من عمل يده لان الله تعالى الان له الحديد فكان يبيع
من الدروع وسمه ويأكل هو واهله من ثمنها من جميع ما اتاه الله من الملك وافضل
ما انفق المرء ما كان من كسب حلال كالصنعة والتجارة والزراعة واختلفوا
في الافضل منها وفصلوه في كتب الفقه والحديث مما لا مزيد عليه ولا حاجة لنا
هنا به تسع وتسعون امراة كما ذكره القشيري في تفسيره وثمت بزوج اوثل
مائة يقال لكل قرنين من ذكر وانثى زوج وزوجة لغة ردية واوريا علم
لرجل من بني اسرائيل عبراني واختلفوا في ضبطه بعد الاتفاق على انه
بهمزة وواو وراء مهملة ومثناة تحتية فقيل ممدودة وقيل مقصورة وعزية
مضمومة وواه ساكنة وراوه مكسورة وياوه مفتوحة بعدها الف وقيل
همزته مفتوحة وهو اوريا ابن حنان وقال ابو الفرج الاصبهاني في كتاب
النساء هو اوريا السعدي وزوجته هي ام سليمان النبي صلى الله عليه وسلم
وقصته هي المذكورة في القران في قوله تعالى ان هذا اخي له تسع وتسعون
نعجة وقصته ستاتي وما فيها من القسم الثالث من هذا الكتاب ولكنا نوردها
هنا تبعا لما في بعض الشروح وذلك ان داود عليه الصلاة والسلام كان
في ملا من بني اسرائيل فاعجب بعلمه وانه لا يخاف الفتنة ويقال انه قال
للملكين الحافظين له اني لا اقع في مكروه غبتما او حضرتما فانفرد في محرابه
يوما فوقع بين يديه طائر حسن الهيئة يقال انه ابليس فمد يده ليأخذه فزال
من موضعه غير بعيد فتبعه فخرج من مدخله فاطلع داود منه فراى امراة جميلة
تغتسل فاعجبته فلما اشعرت به ارسلت شعرها وابيها لستترها فزاده
ذلك تعجبا لها فانصرف وسال عنها فقالوا انها امراة رجل من جندك تسمى
اوريا وكان مع جيش له يغزو اللقتال فارسل لامير ان يجعله مع التابوت في المقدمة
وهو معترك الحرب واشده فقدمه فاستشهد فلما جاء خبر الشهداء كان كلما اخبر برجل
منهم يرجع فلما اخبر به قال الموت مكتوب على كل نفس وخطب امراته وتزوجها
فولدت له سليمان عليه الصلاة والسلام فبعث الله له خصمين ليعلمه بحكمه ان ما فعله
ظلم وهو اشد عليه فتسور احايطه ودخل عليه ففزع منهما لخوف انهما من اهل
ملكه بغاة لان التسور في العادة كذلك لانه كان ليلا بلا استيذان فعهما منهما
الخوف وقالا لا تخف وقص امرهما وقالا له احكم ولا تجر كما قصه الله وقد ارشدا
على لسان اوريا وقوله تعالى اكفلنيها اي اجعلها في كفالتي او كفل بمعنى دوجني
والنعجة كناية عن المراة وقوله عزني اي غلبني لخلبته على وقهره فقال داود لخصمه

لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض
ما نقول فاقر فزجره وامره بالرجوع للحق وقال لقد ظلمك بسؤال فتبسما وذهبا
وقيل ارتفعا للسما فشعر بما اراد او قيل ببيانه ما فعل وعرفاه انما
قالاه تمثيلا فخر ساجدا فغفر الله له فقال يا رب ماذا اصنع اذا طالبتني بدمه فقال
استرضيه فسر بذلك قالوا وهذه القصة مما افتراه الخصاص واهل
الكتاب حتى روى عن علي كرم الله وجهه من حدث بقصة داود عليه الصلاة
والسلام جلدته مائة وستين وهو حد قذف الانبياء عليهم الصلاة والسلام
عندنا والمعتمد ان داود عليه الصلاة والسلام راى امراته فاعجبته فسال
تطليقها فطلقها بطيب خاطره فتزوجها ومثله في شرعهم جائز وقد كان
مثله في صدر الاسلام مع المهاجرين والانصار وسياتي بقية الكلام على هذا
وقد نبه الله عز وجل على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى ان هذا اخي
له تسع وتسعون نعجة الاية حكاية عن الخصمين اللذين نزلا نفسهما منزلة
اوريا ونزل احدهما الاخر منزلة الاخ لان الصحبة كالاخوة كما قال

صحبة يوم تنسيب قرب ودمة يعرفها اللبيب شديد الظلمة والعرب

تكنى عن المراة بالنعجة وهي في الاصل انثى الضان ناوها التاكيد التانيث
لان مذكرها لفظ مخصوص هو حروف وتطلق على البقرة الوحشية ايضا
فاستعيرت للمراة كما استعير لها الشاة في قوله ما شاة ما قبض لمن حلت له حرمت
على وليتها لم تحرم وفي مصحف ابن مسعود نعجة انثى لمزيد التاكيد التانيث
او لبيان المراد كحديث فلا ولى رجل ذكر وقيل انثى بمعنى امراة مونثة يستانس
بها زوجها وضدها امراة مذكره وهي التي لا تلين لزوجها ولا يانس بها ووصفها
بواحدة تشنيع على ظلم صاحبه بانه مع كثرة نعاجه حسده مع قلة ما عنده وفي
حديث انس عنه عليه الصلاة والسلام كما رواه الدارقطني في الاوسط بسند
جيد كما قاله السيوطي رحمه الله انه قال فضلت بالتشديد والبناء للمجهول على
الناس باربع السخاء والشجاعة وكثرة الجماع ورقة البطش البطش هو وقع
السطوة والاخذ بعنف وعطفه على كثرة الجماع لما فيه من اذهاب القوة لانه ما الحيا
يصب في الارحام ونور العين ومخ العظم اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم لم تضعف
قوته وانه من اياته وسياتي معنى السخاء والشجاعة واما الجاه وهو كونه وجيها
عند الناس بتسخير القلوب وطاعتها ومحبتها وانقيادها له بحيث تقدر على
استعمالها ربما بها في مقاصده وهي لا تنقاد الا باعتقاد الكمال التام عندها حتى
يستعبدهم كما يستعبد الارقاء فحي عند العقلاء عادة منصوب على الظرفية او الحالية اي

شبكة الألوكة www.alukah.net

جرت عادة العقلا بحمده ويجوز جعله تمييزا او عند متعلق بمحمود ظرفا لغو وقيل انه حال
وكونه محمودا عقلا يقتضي انه محمود شرعا بحسب ذاته واصله وان كان قد يذم شرعا
بحسب ما يعرض له عند بعض الناس وهو اعظم نفعا من المال لان المال يكسب
به ولا يخفى عليه ما يخشى على المال وبقدر جاهه اي الانسان ذي الجاه يعظم
في القلوب بمقدار عظم جاهه وقيل المراد جاه النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا
بالنبوة وفي الاخرة بلواء الحمد يكون يكون عظمه بكسر العين وفتح الظا المشالة
وفي اخره ها الضمير كما قاله البرهان الحلبي في القلوب لان الجاه كما تقدم يتفرع
على اعتقاد الكمال والقدرة وكلما ازداد اعتقاده زادت عظمته شانه في قلوب
الناس وقد كان صلى الله عليه وسلم مهيبا معظما حتى عند الناس عند اعدائه ثم ايد
كونه محمودا بقوله وقد قال الله تعالى في صفة عيسى عليه الصلاة والسلام
وجيها في الدنيا والاخرة اي عظيما اذ جاهه عند الله في الدارين وفيه دليل على
ان الجاه من الوجاهة فقلت وكان اصله وجه فوزن عقل ووجيها منصوب
على انه حال مقدرة من كلمة في قوله ان الله يبشرك بكلمة منه ووجاهته صلى الله
عليه وسلم في الدنيا بالنبوة وفي الاخرة بعلو رتبته كما مر ثم استدرك على كونه
محمودا بدفع ما يتوهم من انه مذموم لما فيه من العلو فقال لكن اقانه كثيرة جمع
اقة وهي المعاهة والمفسدة اي يعرض له ما يفسده ويجعله مذموما
كثيرا وهو مضمر لبعض الناس باعتبار ما يعرض له لعقبى الاخرة باعتبار
ما يعقبه ويترتب عليه في الاخرة فاللام لتقييد النافيت والتخصيص بالوقت
كما قيل ويجوز ان تكون تعليلية فلذلك اي لضرر في العاقبة ذمه
من ذمه ومدح ضده وهو الحمول وعدم الشهوة بين الناس اي انما ذمه لهذا لانه
في نفسه امر مذموم كما ورد في الحديث الصحيح ما ذئبان جايعان ارسلا في غنم
بافسد لها من حب المال والجاه لدين المومن وقد فصله في الاحيا فقال طلب
رفعة المنزلة في القلوب باعتقاد صفة ليست فيه كالعلم والزهد حرام لانه
كذب وتلبيس وطلبها بما فيه ليجعلها وسيلة لنفع الناس ونفعه في الاخرة
جايز ممدوح كقول يوسف عليه الصلاة والسلام اجعلني على خزاين الارض
اني حفيظ عليم وقد تضمن هذا قوله صلى الله عليه وسلم حسب امرء من الشر
ان يعمه الله ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه او دنياه رواه البيهقي
ووورد في الشرع مدح للحمول وذم العلو في الارض معطوف على قوله ذمه وهذا
كما في الحديث ان الله يحب الاتقيا الاخفيا الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا

لم يعرفوا

لم يعرفوا وقال تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض
ولا فسادا وان كان العلو في الاية مقيدا بصفة زايدة عليه من ظلم او غيره والحمول
بضم الحا المهملة وفتحها خطا ضد الظهور وكون الحمول فضيلة ممدوحة لا يضر
مقام الانبيا عليهم الصلاة والسلام الذين لم يرضوه والخلفا الراشدين والايمة
العلما فان المذموم هو طلب الشهوة فاما وجودها من الله من غير تكلف من العبد
فليس بمذموم بل افضل من الحمول في حق من قدر على نفع الناس مع خلوص نيته وسلامة
طويته ولذا قال الله تعالى لا يريدون يعلون ولم يقدر ويصبر بما لا يدرك
فالحمول في حقه احسن كما اشار اليه في الاحيا واليه الاشارة في حديث المال والجاه
ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الما البقل ولذا قال الشاعر

من اراد العز والراحة في الدهر الطويل
فليكن فردا من الناس ويرضى بالحمول
ويرى ان قليلا كافيا غير قليل

وكان صلى الله عليه وسلم رزق الحشمة اراد بالحشمة المهابة والعظمة في اعين
الناس ولذا عطفه عليه والمكانة وهي المنزلة الرفيعة رفعة معنوية كالعطف
التفسيري وتبع في هذا الاستعمال المشهور لما ورد في كلام الناس بمعنى
الاستحيا فاريد به لازم معناه وهو المهابة وتحقيقه كما في شرح ادب الكاتب
لابن السيد ان الحشمة يضعها الناس موضع الاستحيا وعليه قول المتنبي
ضيف الم برايي غير محتشم وليس كذلك انما هي الغضب يقال هذا مما يحتشمه
اي يغضب وهذا قول الاصمعي وهو المشهور وذكر غيره انها تكون بمعنى الحيا
وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال طاعم حشمة وقال الطوماح وبايت
الشريف في اعين الناس وضيعا وقل منه احتشامي انتهى في القلوب والعظمة
معطوف على الحشمة قبل النبوة عند الجاهلية اي عند اهل الجاهلية ما بين المولد
والمبعث ويطلق على ما كان قبل البعثة ومنه ولا يرجى بترج الجاهلية الاولى
وبه جزم النووي في شرح مسلم فان اضيف للشخص اريد به ما قبل اسلام
وقد يراد بها ما قبل فتح مكة وبعدها اي بعد النبوة وهم يكذبونه
ويودوله اصحابه ويقصدونه خفية في نفس خفنته بضم الخا وكسرها جهم ونذبا
كما قاله البرهاني لانه لمهابته صلى الله عليه وسلم عندهم عظمته في قلوب لا يواجهونه
بما يوذونه وهو منصوب مطلق لمذكور او مقدر او حال حتى اذا واجههم
اعظموا امره وقد قضوا حاجته واخباره في ذلك معروفة وسياتي

بعضها وهذا بالنسبة لما فى نفس الأمر واكثر الاحوال كما روى عن ابى جهل لعنه الله
انه ساوم رجلا من بنى زيد ثلاثة ابعرة هى خير ابله بثلث ثمنها فامتنع الناس من
الزيادة لاجله فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فزاده حتى رضى فاشترها
منه ثم باع منها بعيرين بالثمن ثم باع الثالث واعطى ثمنه اراءل بنى عبد المطلب
وابو جهل يخزى بنظره ولا يتكلم ثم قال صلى الله عليه وسلم له ايا ك ان تعود
لمثل ما صنعت بهذا الاعرابى فترى منى ما تكره فقال لا اعود يا محمد فقال له
امية ابن خلف ذللت فى يد محمد فقال ان الذى رايتم منى لما رايت معه لقدرايت
رجالا عن يمينه ويساره يشرعون رماحهم الى لو خالفته لكانت اياها اى لاهلكونى
فى وقايع اخرى مثلها وهذا لا ينافى انهم فى بعض الاحيان قد اذوه صلى الله عليه
وسلم جهرة كوضعهم الجزور على ظهره الشريف وهو ساجد ونكذيبهم له فى قصة
الاسرا وقول ابى جهل لابى طالب عند موته لا تطمعه أن ترغب عن ملة عبد المطلب
وعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم احيانا لذلك لحكمة تظهر لها غيره الله وامره
بمقاتلتهم وقد كان سهم ثلاثى مبنى للفاعل او المفعول بمعنى يخير ويدهش
كما فى قوله فبهت الذى كفر لرويته بالبنا للفاعل من باب علم اى يخاف ومن لم
يره فاعله كما روى عن قبله بفتح القاف وسكون المثناة التحتية ولامرها
وفى الصحابيات من يقال له قيلة ثلاث قيلة ام بنى عمار ويقال اخت بنى
عمار وقيل الخزاعية ام سباع وقيلة المغشوية بفتح الغين المعجمة والنون كما
قاله البرهان والمراد قيلة بنت مخرمة وحديثها المذكور فى شمايل الترمذى
وفى سنن ابى داود واخرجه ابن سعد بتمامه كما قاله السيوطى وهو انها راته
صلى الله عليه وسلم فى المسجد وهو قاعد القرفصا قالت فلما رايته متخشعا
فى الجلسة ارعدت من الفرق وهذا المراد وان اختلف بعض لفظه وقال النجاح
هل ابنة مخرمة العنوية او العنزية ويقال بل التميمية ولا ينافى بين
الاخير وغيره لان العنبرية نسبة لبنى العنبر والعنبر ابو حى من تميم كما
ان العنزة حى من ربيعة من نزار ومثل هذه القصة وقعت لعمر رضى الله عنه
وكان مهيبا انها لما رات ارعدت بضم الهمزة وكسر العين وفتح الدال المهملة
مبنى للمجهول اى لحقتها رعدة من الخوف من الفرق بفتحتين وهو شدة
الخوف وفى نسخة ارتعدت فقال يا مسكينة عليك السكينة وصفها بالمسكنة
ترحما لها والسكينة هنا بمعنى الطمانينة اى الرمى لا طمينان وعدم الخوف
والسكينة ثبت فى النسخ المعتمدة بالرفع على انه مبتدا وخبر والجملة خبرية

يراد بها الامر اى اسكنى وبالنصب اى الزمى السكينة للاغرا او عليك اسم فعل
بمعنى الزمى ولم يثبت هنا ما قيل انا ابن امراة تاكل القديد وبين سكينة و
سكينة تجنيس ومسكين بكسر الميم على الافصح وتفتح وحق سكينة ان لا تلحقها الها
لان باب مفعيل ومفعال للمبالغة لا تلحقه التا لكنه حمل على فقير وسكينة بالفتح
والتخفيف وقد تكسر وتشدد وتفتح وتشدد وهو قليل جدا وفى حديث
ابن مسعود رضى الله عنه هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجى الصحابى رضى
الله عنه البدرى كما فى البخارى وقال ابن عبد البر رحمه الله انه لم يصح انه شهد بدرا
وانما شهد العقبة الثانية وعليه الاكثر وروى احمد واصحاب السنن ومات
سنة اربعين او احدى او اثنين واربعين وهذا الحديث رواه البيهقى من طريق
فليس عنه موصولا وهو قيس مرسلا وقال هو المحفوظ واخرج الحاكم مثله
وصححه ان رجلا قام بين يديه صلى الله عليه وسلم فارعد بضم الهمزة وكسر العين
المهملة اى اخذته رعدة من خوفه صلى الله عليه وسلم وفى رواية اتى رسول الله ه
صلى الله عليه وسلم برجل فكلمه فجعلت ترعد فرايصه بالفا والصاد المهملة كالغرايض
بالمعجمة وهى لحمة بين الجنب والكتف ترعد من الخايف فقال عليك فانى لست بملك
الحديث وتمامه وانما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد وهون بتشديد
الواو المكسورة امر من الهون وهو الامر الهين السهل والعرب تقول هون
عليك فانك بمعنى لا تخف قال

هون عليك فان الامور بكف الاله مقاديرها

ولا وجه لتفسيره بافتصد فى المجبرة ولا يبالغ فى التعظيم وملك بفتح الميم
وكسر اللام وتجوز تسكينها بمعنى السلطان يعنى ليست من الجبابرة حتى تخاف
منى لان جبريل عليه الصلاة والسلام جاء من الله وخيره بين ان يكون ملكا نبيا
وعبدا نبيا فاختار ان يكون عبدا نبيا ولعرض بوصفه بالملك وكذا الخلفا
الاربعة واول من ملك فى الاسلام معاوية رضى الله عنه فلا وجه لقول بعضهم
هنا ان هذا الاينافى انه ظهر ملكه وان كان ملكه نبوة فانه لم يرد الا نفى انه ملك كساير
الملوك عند المخاطب انتهى ولم يسمعه لاحد هذا الرجل من شراح الحديث فان مما
عظيم قدرة النبوة اى وصف قدر نبوته بالتعظيم لان النبوة مقربة له من الله وفيه
من العظيم ما لا يخفى وشريعة لما نزلنه بالرسالة جعل منزلة رسالته شريعة
لانها واسطة بين الله وخلقه وفى تاهيله لذلك دون غيره وشرف له على من عداه
وجعلها منزلة لنزوله اليهم بتبليغه عن اتصاله بالملا الاعلى وانا قه رتبة ه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بالاصطفا الاناقة بالنون والفا بمعنى الاعلا والاشراف على ما تحته والمراد
بالاصطفا ولايته وهي اقرب مقاماته من الله لتخصيصها للطرق الاعلى ولذا جعلها
مرتبة لانها من الرتوب وهو العلو والمرتبة كالمرقبة اعلى الجبل كما في الصحاح فت
فتعطى لتعبيره او بالقدر وثانيا بالمنزلة وثالثا بالرتبة ومصاعده تلك المحزه
وفي نسخة بدل اناقه انابة بالنون والموحدة والكرامة في الدنيا خصها لانها
محل ظهور امره صلى الله عليه وسلم والا فله في الاخرة بما لا شبهة فيه كما سيذكره
فامر هو مبلغ النهاية اي ليس فوقه مرتبة اخرى يكون نهاية اي هو نهاية النهاية
ثم هو في الاخرة سيد ولد ادم عطفه ثم لتراخيه زمانا ومعنى ورتبة وهذا
بعض من حديث البخاري وهو انا سيد ولد ادم ولا فخر وقوله ولا فخر سقط من
بعض نسخ الشفا وثبت في بعضها قيل وهو الاكثر الاولى لانه هنا من
كلام المصنف رحمه الله لا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم كما قاله التلمساني وفيه
نظر والمراد انا اشرف هذا النوع او مرو ولده لما ورد ادم ومن دونه تحت
لوائي ومعنى قوله ولا فخر انه لم يذكره للافتخار ومدح نفسه بل لبيان الواقع
تحدثا بنعمة الله او المراد اني لا افتخر بهذا فان لي ما هو اعظم منه من المنزلة عند
ربي ولا حاجة للاستدلال عليه بكنتم خير امة لانه يلزم من تفضيل امته على
الامم تفضيل نبيهم صلى الله عليه وسلم لان اجزاء المفضل عليه وعلى معنى هذا
الفصل المشتمل على اوصاف يمتدح بكثرتها وبتميزها باستيثاره بها بالبيانه
وهو المقصود منه بالذات فجعل ما فيه كالعقد المحتوى على اللالي والفرائد
كناية واثبت له النظم تخييلا كما قيل ولك ان تقول المراد بالفصل المشار اليه
ما تضمنه قوله فاما عظيم قدره الى اخره باسره اي جميعه واصل الاسر شد
الاسير بما يربط به ويطلق على ما يربط به فاذا قيل خذ الاسير بربا طه
فالمراد خذه بجميع ما له ثم تجوز به عن معنى الجميع فصل واما الضرب
الثالث فهو ما تختلف الحالات جمع حالة والحالة تذكر وتونث والغالب
عليها التانيث في التمدح به هو تفعل للكثرة او بمعنى المجرد لا للتكلف والتفاخر
بكسة بين الناس والتفضيل من الناس لصاحبه لاجل غاير بين العبارة
تفننا وهربا من التكرار في مقام اسهاب الخطابة لكثرة المال ثم بين اختلاف
الناس فيه فقال فصاحبه على الجملة هذا كما يقال في الجملة والمال اي انه احيانا
لا في كل حال معظم عند العامة اي عوام الناس او اكثر الناس الناظرين للدنيا
ووجه تعظيمه لاعتقادها انه توصله به الى حاجاته وتمكن اغراضه مجرور معطوف

على حاجاته

على حاجاته بسببه اي المال والا اي وان لم يكن ذلك او ان لم يعتقد فيه ذلك
وجوابا الشرط محذوف تقديره فلا يعظمه احد واقيم سببه مقامه وهو قوله
فليس له فضيلة في نفسه ثم فسر ما اجمله فقال فمتى كان المال بهذه الصورة
اي مصروفا في هذه المصارف منفقا في مهماته ومهمات من اعتراه بهملين
بينهما مثناة فوقية اي من ورد عليه وقصده من الضيوف والاخوان وارباب
الحاجات من عراه اذا غشيه ودخل عليه كما قيل
يا لهف نفسي على مال اجود به ٭ على المقلين ارباب المروات ٭
واهله اي رجاه ورجا احسانه واكرامه ولو قرى امل بمعنى قصده صح ولكن لا يناسب
الرسم مما قيل من امله ويقال ما امله وتصريفه في مواضعه تصريفه
مرفوع معطوف على المال اي كان تصريفه في مواضعه اي تصريفه واقع موقعه
ويصح عطفه على قوله صاحبه وهما سواء معنى ويجوز جره عطفا على مهماته وكذا
ضبط بالقلم في بعض النسخ اي ان صاحبه منفعاله في مهماته ومنفعاله في تصريفه
وتصريفه مضاف للفاعل في موضعه لكن الاظهر على هذا ان يقول صرفه
بدل تصريفه وتصريفه مضاف للفاعل اي ضمير صاحبه وللمفعول
اي ضمير ماله والاول اولى لقوله مشترا به المعالي والثنا الجميل الذكر الحسن
فانه حال منه اي حال من كونه مشتريا بمال وتصريف معالي الامور وثنا الناس
عليه والمراد بالمعالي جمع معلاه وهي الجاه والرتب العالية والثنا الذكر
الجميل كما علم وذلك انما يكون بصرفه واعطائه لطالبه فجعل تحصيل ذلك
بخرجه بمنزلة اشترا امر نفيس كما في قوله تعالى هل ادلكم على تجارة تنجيكم
من عذاب اليم ومثل هذه الاستعارة شائع في الكلام القديم وغيره وقوله
الحسن صفة مؤكدة والمنزلة من القلوب اي كونه له مهابة وعظمة في قلوب
الناس لانها جبلت على حب من احسن اليها وهو منصوب معطوف على المعالي
مفعول الحال كان فضيلة في صاحبه عند اهل الدنيا جواب متى المسبب
عنه وقيده بقوله عند اهل الدنيا لان نظرهم لهذا فان اعطوا منها رضوا
وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون لا لانه ليس فضيلة عند الله كما توهم لانه ان اقترن
بنية صالحة كان فضيلة عند الله ايضا واذا صرفه في وجوه البر اي اذا صرف
المال في وجوه الاحسان كالصدقة والصلة والهدية فالوجوه بمعنى الجهات
او هو مستعار لما ذكر استعارة تصريحية او مكنية وانفقه في سبيل الخير
اي في طريقه كالحج والجهاد وصلة الرحم وقصد بذلك المذكور من الصرف والانفاق

او المصروف والمنفق الله والدار الآخرة أي قصد ان يكون ذلك لله
وثواب الآخرة كان فضيلة اي امر افاته لا يحمد اعند الكل اي كل الناس من
اهل الدنيا وغيرهم العامة والخاصة وادخال الكل على كل وبعض منعه
بعض النحاة ولم يسمع من العرب الا ان القياس لا يأباه بخل حال اي سواء اكتسب
به المعالي والثنا ام لا ومتى كان صاحبه ممسكا له اي لا يصرفه في مصارفه
بل يخزنه لشحه به ومحبته له غير موجهة وجوهه اي غير صارف له في مظانه
من مهماته ووجوه الخير حريصا على جمعه عادا اي راجعا او صار كثرة كالعدم
الكثرة كالكثير معنى وهو بضم الكاف وكسرها وظاهر كلام اهل اللغة
جواز فتحها فهو مثلث ومثلثة ساكنة وهو المال الكثير يقال ماله قل ولا اكثر
ومقابلته بالعدم ابلغ من مقابلته بالقليل ولذا اعدل عنه وان كانت القلة
تكون بمعنى العدم ايضا وانما كان كالعدم لعدم انتفاعه به فانه خازن لغيره
حارس لنعمته يستجلب الفقر الذي هرب منه ويفوته الغنى الذي طلبه
فيعيش عيش الفقرا ويحاسب عليه حساب الاغنيا قيل وقد مر ما فيه
يفنى البخيل جمع المال مدته * وللحوادث والوراث ما يدع
كدودة القز ما تبنيه يهلكها * وغيرها بالذي تبنيه ينتفع
وكان منقصة في صاحبه لذم الناس له ووصفه بالبخل والرذالة وقبحه
عقلا وشرعا ولم يقف على جدد السلامة اي لم يحصل ما يسلم به من النقص
والوبال والذم والجدد بفتح الجيم والدال المهملتين اولاهما مفتوحة وهي
الارض الصلبة وفي المثل من ملك الجدد امن من القتال فالمراد به الطريق السلوك
وهكذا هو مضبوط في النسخ وارتضاه البرهان رحمه الله فمن قال انه
وهم فقد وهم واما ضبط بعضهم له بضم الجيم والدال على انه جمع جدة كمدة ومدد
وجه له وفي بعض الحواشي انه بضم الجيم وفتح الدال على انه جمع جدة كمدة ومدد
اي طرق ومنه قوله تعالى ومن الجبال جدد بيض اي طريق وهو صحيح
ايضا ومنه ركب فلان جدده في الامر الذي يوصله للسلامة وهو عدم الجمع
او صرف ما جمعه في مصارفه فعدل عن طريق السلامة فهلك كما اشار اليه
بقوله بل اوقعه ماله الذي جمعه وبخل به في هوة بضم الهاء وتشديد الواو
وهي والاهوة الحفرة العميقة وهو مضاف لقوله رذيلة البخل اي اوقعه
في وهدة دناءة وخسة التي حفرها لنفسه وفيه استعارة مكنية وتخييلية
كالذي قبله فشبه السماحة بطريق يسلم سالكها ويأمن كل عثرة وشبه ضده

بحفرة يقع فيها من اتاها ومذمة الذالة هي بالنون والذال المعجمة
الدناة والخسة وهو معطوف على رذيلة ففيها استعارة السالفة او على
هوة وهو من افات المال المقابلة لمحاسنة السالفة الدالة على انه في
نفسه ليس بممدوح وانما يمدح بما يكتسب به كما بينه بقوله فاذن الممدح
بالمال وفضيلته عند مفضله اي عند من مدحه ومدح صاحبه ومفضله
بكسر الضاد المشددة وفتحها ليست لنفسه من حيث هي وانما هو اي
الممدح به بالتوصل به الى غيره من الثنا الجميل والاجر الجزيل وهو انما يكون
بذله وتصريفه في مصارفه وفي الحديث يقول ابن ادم مالي مالي وهل
لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت
فمن لم يتوصل بماله لما ذكر ولم ينتفع به كمن لا مال له قال ابو العتاهية
اذا المرء لم يعتق من المال نفسه * تملكه المال الذي هو مالكه
الا انما مالي الذي هو منفق * وليس لمالي الذي انا تاركه
لجامعه او لم يضعه مواضعه بصرفه في مهماته ومهمات من اعاله
ووجوهه لاوجمه ووجهه من انواع البر وسبل الخير ويحتمل التعميم
في كل منهما غير ملي اي غير غني يقال تلوم ملاءة بالمد اذا استغنى بالحقيقة
اي في نفس الامر لان الغنا هو الغنا لصاحبه عما سواه وهو محتاج لماله
وللغير في اكتسابه وقد قال الحكما الغني هو الذي لا يحتاج في ذاته
وكماله الى شيء ولا غنى بالمعنى المقصود منه وهو كفاية المهمات واكتساب
المحمدات فكانه فقير ولا ممتدح به بفتح الدال عند احد من العقلا
بالجر معطوف على ملي اي من يحمل عقله لا يمدح بمثله بل هو فقير ابدا غير
واصل الى غرض من اغراضه ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر
فالذي فعل الفقر وكونه لم يصل لغرضه لعدم انفاقه وكسبه به ما يريد
كما اشار اليه بقوله او ما بيده اي في ملكه وتصرفه من المال الموصل لها
بكسر الضاد مخففة ومشددة اي اغراضه لو يسلط عليه والبنا
للمجهول اي لم يرزقه الله ويقدر له الانفاق منه في اغراضه فاشبه خازن
مال غيره فاشبهه في حراسة المال وعدم قدرته على الانفاق منه والمال
لرجلة حالية من خازن فكانه اي صاحب المال ليس في يده شيء منه كما قيل
اذا الكنت جماعا لمالك ممسكا * فانت عليه خازن وامين
تؤديه مذموما الى غير حامد * فيا كله عفوا وانت دفين

شبكة الألوكة www.alukah.net

ولمحمود الوراق

تمتع بمالك قبل الممات • والا فلا مال ان انت مت
شفيت ثم خلفته • لغيرك بعدا وسحتا ومقتا
فجاد واعليك بزور البكا • وجدت عليهم بما قد جمعتا
وارهنتهم كلما ما في يديه • وخلوك رهينا بما قد كسبتا

والمنفق على غنى تحصيل فوايد المال وان لم يبق في يده من المال شئ فالممسك كانه فقير بالقوة فكذا المنفق غني بالقوة لان له خلفا من الله بمنزلة الحاصل عنده كما قيل واني لارجو الله حتى كانني ارى بجميل الظن ما الله صانع وهذا كله توطية لبيان النبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة المال عدما ووجودا كما قال فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم اي طريقته وهديه وخلقه بضمتين اوضم فسكون في المال اي في شان المال وماله بالنسبة اليه نجده قد اوتي خزاين الارض ومفاتيح البلاد اي اتاه الله ذلك كما ورد في الحديث الصحيح بينا انا نايم اذ اوتيت خزاين الارض فوضعت في يدي وفي كتاب الوفا عن جابر رضي الله عنه مسندا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتيت بمفاليد الدنيا على فرس ابلق عليه قطيفة من سندس واليه اشار القصري رحمه الله بقوله

بعثت مفاليد الكنوز جميعها لهدى اليه على سراة حصان
جعلت عليه قطيفة من سندس • فله استقام الزهد عن امكان

ومثله ثابت من طرق عديدة وهذا يدل على ان الله اعطاه ذلك حقيقة وخزاين الارض وفايتها ومعادنها بان يطلعه الله عليها ويجعل الملايكة الموكلين بها طوع يده فان السلطان خزينة بيد خازنها حاضر مطيع لديه فهذا معنى كونها في يده عرفا واما المفاتيح فان كانت بمعنى الخزاين فكذلك وان كانت جمع مفتح او مفتاح بمعنى الة الفتح فاعطاوها ارسالها كما هو ظاهر الحديث السابق وكما قيل انه كناية عن فتح البلاد على امته وحياته اموالها وهم والفاها روي في الصحيح بدون يا جمع مفتح وروى بيا في كلام المصنف رحمه الله جمع مفتاح والاول افصح كما قيل واحلت له الغنايم ولم تحل لنبي قبله الغنيمة ما يوخذ من الكفار وكذا الفئ وفرق الفقها بينهما بان الفئ ما يحصل بلا قتال ولا ايجاف خيل ولا ركاب كسرقة وهبة والغنيمة ما حصل بقتال ولو قبله او بعده وقد يستعمل كل منهما لما يعم الاخر كما فيما نحن فيه وكان قبل ذلك للاكل ما يحصل من اهل الحرب كالمقرب من الدبابيج ينزل نار من السما فتحرقه ان قبل فان قلت كيف

كيف هذا وقد كان لسليمان وداود عليهما الصلاة والسلام سراري ولاشك انما تحصل من اهل الحرب غنيمة حتى علك قلت قالوا ان الذي كانت تاكله النار سهام الانبيا عليهم الصلاة والسلام دون سهام الامة وقرابينهم فكانت تحل لهم فاذا اشترى النبي كداود صلى الله عليه وسلم من امته شيا منها كان له ذكره ابن الجوزي رحمه الله في الوفا ووقع عليه في حياته بلاد اليحان اليحاز بمعنى الحاجز وسميت بها لانها تحجز بين نجد وتهامة او بين اليمن والشام وهي مكة والمدينة والطايف واليمامة وقراها وخيبر وطرقها الممتدة بينها وقيل غير ذلك وقيل المدينة نصفها حجازي ونصفها تهامي واليمن وهو معروف وسمي به لانه عن يمين الكعبة او اليمنة اولانه عن يمين الشمس وجميع جزيرة العرب الجزيرة فعيلة من جزر الماء وهو انكشافه ورجوعه ضد المد وجزيرة العرب ما بين اقصى عدن الى ريف العراق طولا ومن جدة وما والاها الى اطراف الشام عرضا عند الاصمعي ومن حفر ابي موسى الى اقصى اليمن طولا ومن رمل فيرز الى منقطع السماوة عند ابي عبيدة وقال مالك هي الحجاز واليمن واليمامة وما لم يبلغه ملك فارس والروم مع اقوال اخر وسميت جزيرة لاحاطة بحر فارس وبحر الحبشة ودجلة والفرات احاطت بها وما والى ذلك اي قرب منه اي من جزيرة العرب فتذكيره باعتبار المكان ونحو من الشام والعراق اما الشام فبهمزة وتبدل الفا وقد تمد همزته فيقال شام وبعضهم الى هذه ويذكر ويونث كغيره من اسما البلدان وينسب اليه شامي بهمزة والف وشامي بالتخفيف والتشديد كيمان فيقال امراة شامة وشامية مخففا ووجه تسميتها بذلك انها عن شمال الكعبة او لانه يشام بها قوم او باسم صاحبها وهو سام بن نوح عليه الصلاة والسلام فعربت بابدال الهاشينا معجمة وانكر بعضهم وقال لم يزل لها سام قط وانما سميت بها لان في ارضها شامات حمر وسود وبيض وحده من العريش الى الفرات او الى نابلس طولا وعرضه من جبل اجا وسلمى الى بحر الروم وما بينهما وقد دخله النبي صلى الله عليه وسلم الا انه لم يدخل دمشق وفي نسخة من جبل طي الى بحر الروم وقيل دخل الشام عشرة الاف عين رات رسول الله صلى الله عليه وسلم واما العراق فهو اقليم معروف وهو عراق العرب وفيه مدن عظيمة وقرى وطوله من ذكريت الى عبادان وهو قرية ولذا

قيل في المثل ماوراء عبادان قرية وعرضه من القادسية الى حلوان وحده
جانبها الايمن للعراق واليسار لفارس واما عراق العجم فهو اقليم خراسان
ولفظ العراق عربي وقيل انه معرب ابران وفيه كلام ليس هذا محله
واليمن فتحها علي رضي الله عنه في سنة عشر من الهجرة والشام فتح منها
دومة الجندل فتحها عبد الرحمن والعراق فتح منها البحرين وقدم اهلها
على النبي صلى الله عليه وسلم على ما فصل في السير والتواريخ ومن لم يقف على
هذا قال المقاما فتح في زمن ابي بكر رضي الله عنه لكن النبي صلى الله عليه
وسلم اوتي مفاتيحها ووعد بفتحها وجبلت اليه بالبناء للمجهول للمفعول فاعله
فاعله ما لا يحصى الاقي واتقه باعتبار المعنى وهو الاموال من اخماسها
اي غنائمها لان الغنائم تجعل خمسة اجزاء خمس للامام واربعة اخماس للجند
او المراد نفس الخمس لانه الذي يختص به وجزيتها بكسر فسكون وهو ما يؤخذ
من الكفار من الخراج على الروس سمي لها اما لانها تجزى او من المجازاة او من الاجزاء
بمعنى الكفاية وقيل انها معرب كزيت واحكامها تفصيلا في كتب الفقه
وصدقاتها المراد ما كان يوخذ من الزكاة كجبيت المال لانه يسمى صدقة ما
نجبي اي يجمع يقال اجباه اذا جمعه الملوك الا بعضه وهاداته اي اهدته
اليه صلى الله عليه وسلم وليس المراد الفاعلة ملوك الاقاليم المتقدمون فسموا
الارض سبعة اقسام سموا كل قسم منها اقليما كما يعلم من علم مساحة الارض المسمى
جغرافيا وحد كل اقليم وما فيه من البلدان مفصل في كتب الهيئة والمساحة قيل
المصنف اراد بالاقاليم النواحي والبلدان وان كانت من اقليم واحد او اقليمين
من السبعة بطريق المجاز وهو بهذا المعنى يستعمل ايضا كما يقال اقاليم مصر فسموا
كل ناحية منها اقليما والهدية ما يبعث بلا عوض الى المهدى اليه اكراما وقال
السبكي الاكرام ليس شرطا فيها وانما الشرط كونها من المنقولات فلا يقال
العقار هدية فهي اخص من الهبة والظاهر ان قيد الاكرام بنا على الظاهر
فرقا بينها وبين الصدقة وممن هاداه صلى الله عليه وسلم المقوقس صاحب القبط
اهدى له جاريتين وكسوة وبغلة بيضا وهي الدلدل وهاداه فروة بن
عمرو الجذامي عامل قيصر بعد ما ينزع بالاسلام واهدى له بغلة بيضا تسمى فضة
وكرسا واثوابا وقبا من سندس ولما بلغ ذلك قيصر حبسه مدة طويلة
ثم ارسل يقول له ارجع لدينك الحلفك واعيد لك ملكك فابى وقال الا افارق
دينه والله لتعلم انه حق ولكن ضننت بملكك فقال صدق والانجيل ومنهم اكيدر

دومة الجندل كما في البخاري والتجاني واما هداياه غير الملوك الذي كانت تصل
مع الوفود فكثيرة لا تحصى كما يعلم من السير واهدى له الرهبان ايضا كراهب
نجران ولا منافاة بين قبوله هدية من لم يسلم منهم كالمقوقس والنجراني ورده
بعض هدايا المشركين وقوله انا لا نقبل زبد المشركين اي عطيتهم لانه كان يقبل
الهدية ممن يرجو اسلامه استيلافا له لما فيه من المصلحة للمسلمين ويرد غيره كما
اوذاك خاص بالمشركين ومن قبل منه من اهل الكتاب فيقبل كما تؤكل اطعمتهم
وذبايحهم وقيل ان عدم القبول منسوخ باحاديث القبول الا العكس على
الارجح ثم ان قبوله النبي صلى الله عليه وسلم الهدية مع انه لا يجوز لغيره من الحكام
من حضايصه لانتفاء التهمة في حقه صلى الله عليه وسلم وقيل انه صلى الله
عليه وسلم رد ما اهدى له خاصة دون ما اهدى للصاحبة للصحابة فما
استأثر بشيء منه اي ما اختص به دون اصحابه لرويته انه الحق به كما يفعله
الملوك فيما يليق بهما وهو استفعال من الاثرة وهي المكرمة والخصوصية
كما قال تعالى ويؤثرون على انفسهم ولا امسك منه درهما اي لم يبق لنفسه
منه شيئا ولم يجعله عنده او في يده بل صرفه في مصارفه باعطايه لمن يستحقه وفي
وجوه الخيرات واعني به غيره من الجند والمؤلفة قلوبهم فكان صلى الله عليه وسلم يعطي
عطاء من لا يخاف الفقر وقوى به المسلمين بصرفه في مهماتهم وفيما ينصرهم على
اعدايهم وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه الشيخان
مسندا عن ابي هريرة رضي الله عنه منه ما يسرني اي يجعلني في سرور وفرح ان لي
احدا ذهبا اي مثل احد او نفس احد يكون ملكا لي وهو ذهب حقيقة ذهبا تمييز
اي من ذهب واحد بضمتين وقد تسكن حاء اسم جبل معروف قريب من المدينة
سمي به لتوحده وانقطاعه عما هناك من الجبال وقال صلى الله عليه وسلم فيه احد
جبل يحبنا ونحبه بيت عندي منه دينارا او دينار ارصده لديني وقد
روى هذا الحديث بروايات مختلفة اللفظ متقاربة المعنى ففي الصحيح
تأتي علي ثالثة وعندي منه دينار او امسي ثالثة وعندي منه دينار وروي تخول
ذهبا ويصير ذهبا والا دينارا روي بالرفع والنصب وارصده بضم الهمزة
وفتح الصاد وتجوز ضم الهمزة وكسر الصاد المهملة لانه يقال رصدته
وارصدته بمعنى اي اعددته للخير او الشر وقيل رصدته بمعنى راقبته
وارصدته بمعنى اعددته وهو المشهور وقيل وقوله لديني بفتح الدال المهملة
وسكون المثناة التحتية والنون وارصاده للدين اما لان صاحبها ماله او لانه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لم يحل اجله وفيه دليل على جواز الاستقراض وانه لا ينبغي ان يكون المرء
مستقرضا في الدين حتى لا يجد له وفاء وبقية الحديث في الصحيحين وشرحها
فان اردته فانظره وفي بعض النسخ هنا زيادة من الحاق المصنف وهي
واتته صلى الله عليه وسلم دنانير مرة فقسمها وبقيت منها بقية فرفعها
لبعض نسائه فلم ياخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الان استرحت
انتهى وقوله رفعها رواه رفعها بالراء قال السيوطي رحمه الله هذا الحديث
رواته ابنة سعد عن عائشة رضي الله عنها بهذا اللفظ وفي الشرح لم اقف
عليه الان لهذا اللفظ بل اوردها وكانت هذه الدنانير جاءت من الصدقة وانما
لم يأخذ صلى الله عليه وسلم النوم لخوفه ان يجيء الاجل قبل تفريقها
فانظر هذا مع انه غفر له صلى الله عليه وسلم ما تقدم من ذنبه وما تاخر
بعد ما عصمه الله من اشقيا هذا الزمان وصرفهم بيت المال في هواهم
فانا لله والى الله يوفكون ومات صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة في نفقة
عياله جمع عيل وهو من تلزمه مونته والدرع مونته وهي الزردية وكان له صلى
الله عليه وسلم عدة ادراع ذات الفضول سميت بها لطولها اهداها له سعد بن عبادة
رضي الله عنه لما خرج صلى الله عليه وسلم لبدر وذات الحواشي ودرعان اصابهما
قينقاع السعدية وفضة وقال ان السعدية كانت درع داود عليه الصلاة
والسلام التي لبسها لقتال جالوت والنثرة والخريق فحذف سبع وقال ابن
الاثير رحمه الله في مادة س ب غ درع النثرات السبوغ لتمامها وسعتها فيحتمل
ما ذكر او غيرها فتكون ثمانية وقال ابن الجوزي ان التي رهنها صلى الله عليه وسلم
هي ذات الفضول ورهنها عند يهودي يسمى ابا الشحم كما وقع في فقه الشافعية
ووقع في كلام بعض تسميته بابي شحمة والمعروف الاول والسعدية لم يتعرضوا
لحركة سينها المهملة ويجوز فتحها وضمها والمشهور الثاني وهي بغين معجمة
منسوبة للسعد وهي جبال معروفة وقال مغلطاي انها بعين مهملة
وفي معرب الجواليقي انه بالسين والصاد لانه قياس في كل سين معها حرف
استعلاء قال منسوق الاسدي وخافت من جبال السعد نفسي وذكر مغلطاي
ايضا انه صلى الله عليه وسلم كان له مغفر يسمى السبوغ والحديث المذكور في صحيح
مسلم مسندا عن عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم اشترى من يهودي طعاما
نسيئة فاعطاه درعا رهنا وفي رواية رهنه صلى الله عليه وسلم درعه من حديد
ورواه البخاري ايضا بزيادة ثلاثين صاعا من شعير ومنه علم لهذا جواز معاملة

عرضي

الكفار مع ان كسبهم لا يخلو من خبث وازالة وجواز الرهن المؤجل واد خار القوت
خلافا للرافعي وقال المصنف رحمه الله في شرح مسلم انه مكروه عند مالك
واحمد واجمعوا على انه يجوز معاملة اهل الذمة وغيرهم الا في الات الحرب وما
يستعان به عليه وقال الحنفية يكره بيع السلاح والكراع من اهل الحرب وتجهيزه
اليهم قبل المواعدة وبعدها واما رهنه فانه حبس التقوى به علينا فهو
كالبيع فما فعله النبي صلى الله عليه وسلم اما الان اليهودي لم يكن من اهل الحرب اولانه
كان بين اظهر المسلمين فلا يخشى تقويه به وفي رواية ان تلك رهنت في عشرين
صاعا وفي اخرى اربعين وفي رواية وسق شعير والاجل سنة فحل الاجل
قبل الاجل وجمع بين الروايات السابقة بتعدد الواقعة وكان موسرا
وقد تقسر لانفاقه جميع ما عنده ولم يعلم احد بذلك لو علم الصحابة ذلك
واسوه صلى الله عليه وسلم بجميع اموالهم كما كانوا يواسون بارواحهم ولكنه
نكتمه وتصدر وتصبر تلذذا بالرضى بما قسم وفي قوله في نفقة عياله للتعليل
وافتقر من نفقة وملبسه وكسوته على ما تذعو اضروريته اليه وزهد
بصيغة الماضي معطوف على قل فتقصر فيما سواه اي ما سوى مقدار الضرورة ووقع
في بعض النسخ زهده بصيغة المصدر المضاف للضمير وهو مرفوع عطفا
على ضرورته او مجرور بالعطف على مجرور الى من غير اعادة الجار والنسخة الاولى
اوضح وكان صلى الله عليه وسلم يلبس ما وجده حاضرا عنده من غير تكلف
فيلبس في الغالب الشملة هي كساء يشتمل به وقيل يختص بما له هدب وقال
ابن دريد هو كساء يتزر به وهو البردة واما تسمية العوام ما يلف على الراس
شملة فلا اصل له والكساء الخشن اي الكسوة الملبوسة والكساء قريب من البرد
وخشن بزنة حذر ضد اللين والرقيق والبرد الغليظ بضم اوله ثوب فيه
خطوط ومطلق الثوب ثم اشار الى ان هذا ليس من عجزه صلى الله عليه وسلم
عن فاخر الالبسة بل لعدم ميله لها فقال ويقسم مما عنده من الغنائم
والهدايا على من حضر عنده اقبية الديباج المخوصة بالذهب الاقبية
جمع قباء وهو المخيط من اللباس والديباج نوع من اقبية الحرير معرب
ديبا بالدال المهملة فيهما بكسرها وقد تفتح والمخوصة بضم الميم وفتح
الخاء المعجمة وتشديد الواو وبعدها صاد مهملة وها اي منسوجة باعلام من ذهب
كالخوص وفعل تاتي للتشبيه كثيرا ولا وجه لانكار ابن شرح بمعنى
كالسراج في كتب المعاني وقيل هو المكفوف بالذهب او المطوق او المزرر به اما

نفقته صلى الله عليه وسلم في مأكله وكان التمر والماء وحده فكان يمضي عليه
الشهر لا نوقد في بيته نار وهو يقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا
او كفافا وملبسه في الاكثر اكسية الصوف الغليظة الخلقة مع انه لبس
ثياب الكتان والقطن ايضا حسبما اتفق له وكان له صلى الله عليه وسلم
حلة حمرا وبردا احمر يلبسه في العيدين وعند قدوم الوفود عليه وكانت
له صلى الله عليه وسلم جبة رومية ضيقة الكمين وكان احب اللباس اليه القميص
القصير الكمين فوق الكعبين مساويا له الا طراف اصابعه وكانت عمامته قبيعة
صغيرة كما بيناه في النعامة في صفة العمامة وكان له صلى الله عليه وسلم
قلنسوة وقسمه صلى الله عليه وسلم ما ذكر مروية في البخاري وهذا اما
ان يكون قبل تحريم الحرير والذهب او كان يقسمه ليباع او يعطي ذلك للنساء
والصغار ويرفع لمن لم يحضر اي يرفعها من مجلسه حتى يعطيها لمن لم يحضر
القسمة وهو اشارة لقصة مخرمة التي رواها الشيخان عن مسور بن مخرمة
قال قال لي ابي يا مسور يبلغني انه صلى الله عليه وسلم جاءه اقبية فاذهب بنا
اليه فذهبنا فوجدناه في منزله فقال ادع لي فاعظمت ذلك فقال يا بني انه
ليس بجبار فدعوته صلى الله عليه وسلم فخرج ومعه قباء من ديباج مزرر بالذهب
فقال يا مخرمة خبأت لك هذا فجعل صلى الله عليه وسلم يريه محاسنه تواعطا
له فنظر اليه وقد رضي وكان فيه شدة واستيثار اذ المباهاة اي اظهار الفخر
باللباس والحلي به والتزين واصل معنى المباهاة المفاخرة فتنزل ذلك
بمنزلتها في الملابس جمع ملبس وهو اللباس بمعنى والتزين بها اي اظهار
الزينة بالملابس ليست من خصال الشرف والجلالة اي المغالاة في ذلك واظهاره
ليس مما يعد شرفا ولا مما يقصده الاشراف وقال الفقهاء رضي الله عنهم لبس
الثوب الجميل للتزين مباح في الجمع والاعياد ومجامع الناس وما يستر العورة
ويدفع الحر والبرد واجب وما فيه جمال لصاحبه مسنون بشرط ان لا يؤدي
به العظمة والزينة بل اظهار نعمة الله والتعظيم من يجتمع لملاقاته وقد كان
صلى الله عليه وسلم يفعل وقلت في ذلك نفحة لطيفة قالت بها الاكياس كل
ما اشتهيت والبس ما اشتهه الناس واما هي من صفات النساء اي المباهاة
والتزين انما يقصده النساء ومن في حكمهم كالاطفال واكثر ما رأيت ذلك
في محدث النعمة ومن لا قدرة له لا قدر والمحمود منها اي المحمود منها عند الله وعند
الناس من صفات الملابس لقاءة الثوب بفتح النون وضمها اي كونه نقيا من الوسخ

والنجاسة

وهو مصدر وهمز فيقال نقاه بمعنى نقاوة في البستان يستحب
للرجل الزي لمروءة وعلم ان يكون ثيابه نقية من غير كبر وراي النبي صلى الله
عليه وسلم رجلا وسخة ثيابه فقال اما وجد هذا شيا ينقي ثيابه وقال
ايضا ما على الرجل حرج ان يتخذ ثوبين سوى ثوبي مهنته وفي المثل المروءة
الظاهرة في الثياب الطاهرة وقال البرهان النقاوة بضم النون الخيار
والظاهر هنا فتحها وهي النظافة كالنقاوة نعم النسخ والتوسط في جنسه
اي المحمود في اللباس استعمال الوسط منه فلا يكون نفيسا جدا ولا خسيسا
وكونه لبس مثله بضم اللام بمعنى اللام اي الاضافة هنا لامية اي كونه مما
يلبسه امثاله من جنسه فينبغي ان يوافق اقرانه في لباسه فلا يخالفهم
فيوقع الناس في الفتنة ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الشهرتين في
اللباس المرتفعة جدا والمنخفضة جدا وقال مبارك الموصلي اكثر الناس
في مدح الملابس وذمها والاولى ان يلبس كل احد على قدر حاله فلا يلبس الغني
ما هو دون حاله ولا الفقير ما هو فوق حاله ولا يتزين العالم بزي الجاهل
ولا الجاهل بزي العالم وعنه صلى الله عليه وسلم لا يتشبه الزي بالزي حتى
يتشبه القلب بالقلب والى ما ذكرناه اشار بقوله غير مسقط لمروءة جنسه
اي مما يعد مسقطا لمروءة امثاله مما لا يؤدي الى الشهرة في الطرفين اي
غاية التعظيم وغاية الخسة فيكون بين بين وخير الامور اوسطها والشهرة
اسم من الاشتهار وهو الظهور بين الناس لامتداد النظر لما لم يعهد قال
النووي كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجياد والثياب الرذلة لما فيه
الابصار تمتد اليهما جميعا وبهذا ورد الحديث فلبس الموقعات امر مكروه
شرعا وربما يكون حراما اذا قصد اظهار الزهد للطب كما نراه اليوم وما
نهى الشرع عنه كالحرير خارج عما نحن فيه واما توسيع الاكمام كما يفعله الفقهاء
فمخالف للسنة كتكبير العمائم وقد قال ابن الحاج انه مكروه وبدعة قبيحة
وسرف وتضييع للمال الا ان ابن عبد السلام والسبكي قالا اذا كان ذلك
شعار العلماء بذلك ليعرفوا فيسألوا ويطاعوا فاذا كان كذلك في نفس
الامر لا يسقط المروءة وقال السبكي انه استنبطه من الآية في نساء النبي يتبين
عليهن من جلابيبهن ذلك اذ في ان يعرفن فلا يؤذين ومثله لباس
الحضرة للاشراف فاختار علماء الشافعية انه سنة وليس من الشهرة المنهي
عنها لاهله ولبس ثياب الفقراء مع القدرة على غيرها ليروح حاله عند الظلمة

ويجعله تكبرا له نهى عنه وفي الحديث من لبس ثوب شهرة في الدنيا البسه
الله ثوب مذلة يوم القيامة وقد دم الشرع ذلك كما عرفته وذلك اشارة
الى المباهاة في الملابس والتزين بها وغاية الفخر فيه عند الناس انما
يعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال يعني ان كثرة المال واللباس
عند العقلاء غير محمودة لانها مذمومة شرعا غير مقصودة لذاتها واما
العوام فيفتخرون بكثرتها ولقد رأينا بعض الحمقا يلبس في المجلس
الواحد الوانا من الثياب والغاية النهاية واصلها غيبة بيان اعلت
احداهما لتحصل التاية بنا التانيث وكثرة الموجود المراد به ما عنده
من المال ونحوه ووفور الحال المراد به قوة حاله وقدرته على ما لا يقدر عليه
غيره فالوفور على ظاهره او بمعنى القوة وكذلك التباهي اي مثل التفاخر
بما ذكر التفاخر بجودة المسكن اي حسنه بحسن بنائه وزخرفته وعلو
والجودة بفتح الجيم وجوز فتحها ابن دريد وهو كذلك من القاموس وسعة
المنزل لانه مما يمدح اهل الدنيا به وقد قالوا خير المنازل ما يسافر فيه الشطر
وقد قالوا الدار الضيقة العمى الاصغر ثم اتبع ذلك مما يتبعه فقال وتكثير
الآنية الآن جمع الة والآلة ما يصنع به الاعمال كالقدوم للنجار والابرة للخياط
والمراد به هنا لوازمه كالفراش واوانيه وخدمه جمع خادم وفعل بفتحتين
جمع سمع منه الفاظ معدودة ومركوباته كالخيول والبغال وغيرها
واضافتها للمنزل الادنى لابسته اولانها فيه فمثل هذه الامور لا يفتخر بكثرتها
الا ذوي العقول السخيفة ومن له حرص على حطام الدنيا ثم بين النبي
صلى الله عليه وسلم خايرا للفضيلة المالية ايضا وواصل منها ما لم يصل اليه
غيره ولذا قالوا لا يجوز ان يقال في حق النبي صلى الله عليه وسلم انه فقير فقال
ومن ملك الارض بتمليك الله اياها له فلو اراد ملكها من المشرق للمغرب
يسره الله له في طرفة عين وقد خيره الله بين الملك والعبودية فاختار العبودية
كما مر وجبي اليه ما فيها اي جمع له ما فيها من الغنايم وجزيتها وصدقاتها
مما فتح في زمانه فترك ذلك اي المال المجبى زهدا وتنزها اي لاجل الزهد
والتنزه عن قبوله والزهد هو الترك لاجل الله الزهد والتنزه عن قبوله
والزهد هو الترك لاجل الله فالزهد اخص من الترك وكلاهما مفعول
لاجله ويجوز جعلهما تمييزا والزهد الرغبة عن الدنيا مع القدرة عليها
رغبة عن الاخرة ولا يتصور ممن لا مال له ولا جاه وقيل لابن المبارك يا زاهد

قوله

فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز اجانة الدنيا راغمة وتركها اما انا ففيم
زهدت حجة على وهو من اعلى المقامات وفي الحديث ازهد في الدنيا يحبك الله ويقال
زهد فيه وعنه وقوله فهو جايز حواب من اوخبرها وجايز بالحا المهملة والزاي
المعجمة اي جامع ومحصل لفضيلة المالية اي من كان كذلك جاز فضيلة المالية
التي يفتخر بها اهل الدنيا وقادر على التنعم والتلذذ بها الا انه لا يريد ذلك وما لك
للفخر بهذه الخصلة المالية الا انه لا يفعله كاهل الدنيا وقيل المراد خصلة الزهد
والتنزه وهذا هو الذي يلتيم مع قوله ان كانت فضيلة رايوا عليها في الفخر
فان بفتح الهمزة مفتوحة بمعنى اي كما قاله المسايي وهو تحقيق واثبات
للفضيلة التي جازها من الزهد والتنزه عن الدنيا الفانية وكان تامه
اوناقصة والتقدير كانت تلك فضيلة زايدة على فضيلة المال ولكن الظاهر
ان يقول زايدة وزايدا على هذا منصوب صفة وقيل النصب نصبه
فهو حال من فاعل جاز وقال بعض الشراح فيه دليل على عدم الجزم بكونها
فضيلة وفيه نظر اذ لا يتحقق الكمر بروحها قطعا وهذا مبني على ان شرطية
مكسورة الهمزة وهو مبين على ان المراد بالخصلة المالية لا الزهد وفي الشرح الجديد
ما ذكر من نصب زايدا على الحالية ان صحت رايته فانه في بعض النسخ مرفوع ومعرف
الاتي مرفوع في جميع النسخ ويحتمل ان نصب زايدا على انه حال من فاعل مالك
لا جايزا اي هو مالك للفخر بهذه الخصلة حال كونه زايدا عليها في الفخر لعدم
التفاته لها وكثرتها فهو في ملكها غير ساو لغيره ممن ملكها وفخره بهذه الفضيلة
على تقدير كونها فضيلة ليس مساويا بالفخر من افتخر بها فقد ملكها حالة
كونه زايدا على سايرملاكها باعراضه عنها فزايدا وصف له صلى الله عليه وسلم
والاولى انه صفة مصدر هو مفعول مطلق لمالك اي مالك ملكا زايدا على هذه
الفضيلة باعراضه عنها انتهى وهذا محصل ما في جميع الشروح وقوله في الفخر
متعلق بقوله زايدا واقول لا يخفى ان هذا كله كلام مظلم لم يفد به كلامه وتحقيقه
ان يقال هو مبتدا جايز خبر وما له معطوف عليه وان مكسورة شرطية
وكانت ناقصة اسمها ضمير للفضيلة او للمالية وفضيلة منصوب خبرها وقوله
زايدا خبر ثان والخبر اذا تعدد يجوز عطف الجميع وترك عطفها وعطف
بعضها دون بعض كالصفات وترك العطف فيه لانه ليس من جنس ما قبله
لان الفضيلة الدنيوية ليست من جنس ما راد عليها في الفخر والفضيلة لان الاول
امر دنيوي لا فخر فيه باعتبار ذاته بل باعتبار ما يترتب عليه اذا صرف في وجوه

الخير ان من الثواب ونصرة الدين ولذلك اتى فيه بان الشرطية لانه لكونه واجبا
اذ لا فضيلة لمحسن انه فيما يرى انه لا فضيلة له اصلا فان فظ لما يترتب عليه
فله فضيلة لكنها لكونها غير واثبة كانها غير محققة اي هو زايد على تلك الفضة
المالية وفخره بالامور الدينوية لو اراد اما الزيادة مما ياتيه لو بقي على ما عند غيره
او لكونه مكسبه طيبا ومصرفه في محله وفيه من الفوايد ما لا يتيسر لغيره
فحاصل المعنى انه صلى الله عليه وسلم حاز من الغنى وفضل المال والفخر به
وان لم يعبا به ما لم يحز بعضه غيره ولذا قال بعض العرب كما سياتي ان محمدا اعلى
الله عليه وسلم يعطي عطاء من لا يخاف الفقر وزاد غناه على غنى غيره فوايده لا تتيسر
لغيره ويجوز نصب زايدا على انه حال من ضمير صلى الله عليه وسلم وما من انه
لا يتحقق الكرم بدونه فكيف لا يكون فضيلة ليس بشئ فان المراد انه ليس فيه
فضيلة دينية وما ذكره لا ينافيه كما لا يخفى ومعرق بضم الميم وسكون العين
المهملة وكسر الراء المخففة وفتحها مع التخفيف والتشديد والاول هو الفياض
من اعرق الرجل والشجر اذا اشتد وامتدت عروقه والمعنى انه صلى الله عليه
وسلم اصل في الكرم والحسب قال

احمد يا خير ضرء كريمة • في قومها والفحل فحل معرق

وقد يقال في اللوم نهكما وعرق الثرى ادم قال امرؤ القيس الى عرق الثرى
وشيجت عروقي وهو مرفوع معطوف على قوله زايد فان نصب نصب يعني
ان الناس تتمدح بالمال بكثرة جمعه وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم جمع له ما جمع
لاهل الدنيا وهو زايد عليهم في ذلك واصل في المدح بذلك لانما اقيمة له
عنده كما اشار اليه بقوله باضرا به عنها اي بسبب اضرابه عن جهة الحالية
وزهده في فانيها بالفا ومثناة تحتية ثم فوقية اي بزهد فيما هو فانيت
منها اي ذاهب كما قال تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم وفي بعض النسخ فانيما
بنون بعد الالف وبزلها بموحدة وذال معجمة اي اعطايهما في مضانهما من
الضنة بالضاد المعجمة والنون اي يجود صلى الله عليه وسلم في محال ينخل فيها الناس
كذا ضبطه وفسره القلماني وهو في غاية الحسن والظهور وضبطه البرهان
الحلبي بالظا المشالة وعلى الرواية في اكثر النسخ جمع مظنة بالكسر وهي
وهي الموضع الذي يظن ان كونها فيه فالمعنى انه صلى الله عليه وسلم يبذلها في محلها
الذي يرجى فيه كمحال البر والصدقة فصل واما الخصال المكتسبة
اي الصفات الحميدة التي ليست ضرورية ولا طبعية من الاخلاق الحميدة

منها

من هنا تبعيضية ادبيانية والآداب الشريفة جمع ادب وهو الافعال
المستحسنة في معاملة الناس ومخالطتهم التي اتفق جميع العقلاء على
تفضيل صاحبها اي من قامت به واتصف بها بالخلق الواحد منها
اي يمدح بكل واحد منها منفردا افضل مما فوقه اي عما زاد على الواحد منها
وفضلا يفيد ان ما بعده اولى بالحكم لما قبله كقولهم فلان لا يملك درهما فضلا
عن دينار ولابن هشام رسالة مستقلة في بيان اعرابه ومعناه وهي مشهورة الا
انهم قالوا انما تلزم الوقوع بعد نفي صريح او ماول كقوله • قلما ما يبقى على هذا القلق
صخرة هما فضلا عن رمق • لان قل ورد بمعنى النفي لان القلة اخت العدم ولا يخفى
هذا بكونها مكفوفة كما قاله ابن هشام والمصنف سعلها نافية والاثبات
لان معنى الواحد الذي لا يتعدد فلا اشكال في كلامه وانتفى الشرع على جميعها
وامرلها فبدل الشامل عليها على حسنها والامر لها على انها مكتسبة والا لم يكن
للامر بها فايدة وفيه دليل على جواز تغيير الطباع وتبدلها وقوله والطبع
في الانسان لا يتغير ما ول او اكثري ووعد السعادة الدايمة منصوب
بنزع الخافض اي وعد بالسعادة او هو مضمر معنى اعطى للمتخلق بها اي الذي
اتخذها خلقا واتصف بها اذا قصد بذلك وجه الله وليس المراد المتكلف
المتصنع باظهارها ما ليس فيه فانه مذموم كما قيل

يا ايها المتحلي غير شيمته ان التخلق يابى دونه الخلق

ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة كما ورد في الحديث السمت الحسن والتودة
والاقتصاد جزء من اربع وعشرين جزء من النبوة وورد في حديث اخر ان
الهدي الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمس وعشرين جزءا
من النبوة وهذا هو الذي اشار اليه المصنف اي هذه الخصال من شمايل الانبيا
وفضايلهم عليهم الصلاة والسلام وليس معناه ان النبوة تتجزى او تكتسب
بجمع هذه الخصال لانها كرامة يخص الله بها من يشاء من عباده وهي المسماة •
بحسن الخلق قيل اطلق عليها خلقا لكونها ناشية عنه والا فحسن الخلق هيئة
للنفس باعثة على الافعال الحسنة والشيم الشريفة وهنا اربعة امور هي اصول
الحسن والقدرة عليه ومعرفته والهيئة الحاملة للنفس على صدور ذلك عنها وليس
حسن الخلق عبارة عن الاول لان ذلك قد يصدر عنه متكلفا او رياء ونحو ولا على الثاني
لان تعلق القدرة بالسوي والحسن على السوية ولا عن الثالث لذلك فتعين الرابع
انتهى وقيل ان المصنف جعل الخصال الحميدة حسن خلق وجعلها مكتسبة

فانها كسبية في اول امرها ثم تصير سجية وطبيعة وهو مبني على الاصح من ان
الاخلاق مكتسبة قابلة للتغير كما عليه المحققون والخلق هيئة راسخة في
النفس تصدر عنها الافعال بسهولة ثم اطال بما لا طايل تحته والثمرة تدل على
الشجرة فكن على بصيرة وهو اي حسن الخلق الاعتدال في قوى النفس واوصافها
قوى جمع قوة وليست الشدة وضد الضعف كما توهم بل الامور المذكورة في الخلق
كما يسمى المتخيلة قوة ونحوها من سائر القوى النفسية و++ عتدال القوى انها
لا تخرج الى حد الافراط والتفريط فاعتدال قوة العقل يعبر عنه بالفطنة
والكياسة فان مالت الى الافراط تسمى مكرا وخداعا وان مالت الى التفريط
تسمى بلها وسمعا وكذا اعتدال قوة الضب تسمى شجاعة فان افرطت فمتى تهور
وان مالت الى التفريط تسمى جبنا فطرفا كل قوة مذمومة والاعتدال هو الوسط
المحمود وهو المعبر عنه بحسن الخلق كما اشار اليه بقوله والتوسط فيها وهو
الميل الى منحرف اطرافها منحرف بكسر الراء من اضافة الصفة الى موصوفها
اي اطرافها المنحرفة والمحرف بمعنى المايل والمراد بالاطراف ما بيناه ويجوز فتح
الراء على انه مصدر ميمي بمعنى الانحراف والاول اولى فجميعها اي جميع الخصال
الحميدة فد كان خلق نبينا صلى الله عليه وسلم انت ضمير جمع لا كتسابه
التابع من المضاف اليه على الانتهاء في كمالها حال من ضمير كانت اي مستقرة
تلك الاخلاق الحسنة على انتهاء الكمال بتشبيه تمكنها واستقرارها بتمكن الراكب
على مركوبه كما تقرر في قوله على هدى من ربهم والاعتدال الى غايتها معطوف
على كمالها اي وصلت الى غاية الاعتدال والسداد حتى غاية للغاية اثنى
الله عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم اي مستقر ثابت على خلق
يستعظم كل واقف عليه لحسن مداراته وتحمل قومه اذى وملاطفته
لهم كما تضمنه قوله خذ العفو وامر بالمعروف واعرض عن الجاهلين قالت
عايشة رضي الله عنها كان خلقه القران يرضى برضاه ويسخط بسخطه
اي كان صلى الله عليه وسلم متمسكا باوامره ونواهيه وما يشتمل عليه من مكارم
الاخلاق ومحاسن الآداب لا يتعداها فيرضى بكل ما يرضى الله ويسخط كل ما يسخطه
كذلك لله لا لحظ نفسه وقال السهروردي قدس الله روحه في عوارف المعارف
في كلام الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما سر غامض وذلك ان النفوس
البشرية مجبولة على طبايع وصفات شيطانية وبهيمة وسبعية والى الاولى
اشار بقوله خلق الانسان من صلصال كالفخار لدخول النار في الفخار وخلق

الجان من مارج من نار والله بعظيم عنايته نزع حظ الشيطان منه كما ورد
في حديث شق صدره فبقيت لنفسه الزكية على حد النفوس البشرية مبقاة
فيها امهات تلك الصفات الا انها في غير ممتزجة بظلمة الطبايع لتفاوت
حاله عن حالهم فتنزل الايات لفهمها تاديبا من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم رحمة
خاصة به وعامة للامة موزعة على الاوقات عند ظهور الصفات كما قال كذلك
لنثبت به فوادك ورتلناه ترتيلا فثبت فواده بها عند ظهور بعض
الصفات لارتباطه بنفسه فعند كل اضطراب تنزل اية لمصالح سنة كما وقع
في احداد نبي صلى الله عليه وسلم فقال كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم
وهو يدعوهم الى ربهم فنزل عليه ليس لك من الامر شئ فلبس قلبه لباس الاصطبار
وقابعد الاضطراب الى القرار فلما توزعت الايات على تلك الصفات بحسب
الاوقات صفت الاخلاق النبوية بالقران وفي ابقاء امهات تلك الصفات
تهذيب للامة وتاديب لنفوسهم ولا يبعد ان يقال في كلامها رضي الله عنها رمز
وايماء خفي الى الاخلاق الربانية فاحتشمت ان تقول كان متخلقا باخلاق الله
وعبرت بقولها كان خلقه القران استحيا من سبحات الجلال وستر الكمال بلطيف
المقال لوفور علمها وكمال ادبها انتهى ولا يخفى ان خلقه في كلامها اسم كان والقران
خبرها وما قيل من انه على العكس بضبط النسخ الصحيحة ويجوز بحسب
العربية عكسه لانهما معرفتان لا وجه له فان خلقه صلى الله عليه وسلم معلوم والذي
قصد اثباته انما هو بيان حاله وما تخلق به وهذا مما اتفق عليه النحاة واهل
المعاني فالحق هو الاول وهذا الحديث رواه البيهقي في دلايل النبوة بتمامه
والسخط ضد الرضى وقد يقابل الرضى بالاكراه فله معنيان وعليه مبنى
الخلاف في رضى الله بالكفر كما فصلناه في البيضاوي وقوله وقال صلى الله عليه
وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق حديث صحيح رواه احمد عن معاذ والبزار
عن ابي هريرة رضي الله عنه بهذا اللفظ ورواه مالك في الموطا وغيره
بغير هذا اللفظ ومكارم الاخلاق كانت موجودة قبله لا سيما في العرب
فتممها صلى الله عليه وسلم بشريعته السمحة وراه فيها ما لم يسبق اليه وجمع
ما تفرق فيهم ورفع عنه فهذا دليل على حقيقته وليس من قبيل قولهم
ضيق فم الركية لا يحفر قال انس رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم احسن الناس خلقا وهو حديث صحيح رواه الشيخان وقال
الحليمي وصف خلق النبي صلى الله عليه وسلم بانه عظيم الاية والحسن كما لا يرجع الى

حواشي ح

الجان في مارج

شبكة الألوكة www.alukah.net

في الآية والغالب وصفه بالحسن كما في هذا الحديث لان حسن الخلق وكرمه اراد به
اللين والسماحة ولم يكن خلقه مقصورا على ذلك بل كان رحيما رؤفا بالمؤمنين
عابرا على الكفار مهيبا في صدورهم فكان وصفه خلقه بالعظم اولى ليشمل الانعام
والانتقام ولذا اراد فوه المصنف رحمه الله بحديث انس خادم النبي صلى الله عليه وسلم
وفي مسلم عنه خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين والله ما قال لي اف قط
وعن علي ابن ابي طالب مثله اي روى عن علي كرم الله وجهه مثل ما قال انس رضي
الله عنه كما ذكره ابو عبد الله في الغريب وكان صلى الله عليه وسلم وما ذكره
المحققون مجبولا اي مخلوقا مطبوعا عليها اي على مكارم الاخلاق وفي اصل
خلقته واول فطرته التي فطره الله عليها اي من غير تكلف ولا تعلم لم يتحصل
باكتساب ولا رياضة الايجود الهي وخصوصية بفتح الخاء وضمها وتاء تينه
منسوبة للرب على اخلاق القياس وهكذا اي مثل هذا من جمع مكارم الاخلاق
فطرة ثبت لسائر الانبيا عليهم الصلاة والسلام اي لبانيهم او لجميعهم
انهم مجبولون على كرم الاخلاق وحسنها واما غيرها فبعضها فيهم فطرة
وجبلة وبعضها مكتسب واما الخلاف في الاخلاق هل هي جبلة او كسبية
فليس هذا محله كما ذكره بعضهم والحق ان بعضها جبلي وبعضها مكتسب
والجبلي لا يقبل التغير والزوال كما سبق تفصيله وقوله فيما ذكره المحققون
اشعار بان خلافهم وهب الى انها كسبية في الانبيا عليهم الصلاة والسلام فيعلم
حال غيرهم بالطريق الاولى ولذا اعترض عليه بانا لا نعلم خلافا في ذلك وغلط
بعض الشراح هنا فادخل نفس النبوة في كلامه وجعل لهذا اشارة الى
مذهب الحكماء ان النبوة تحصل بالرياضة والتصفية ولا حاجة لمثله من
التكلف فان مراده الاشارة الى الخلاف في مطلق الاخلاق والفضائل
النفسية كما ذكره في كتب الاخلاق وهو اشهر من ان يذكر ومن طالع سيرهم
منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك اي كونها خلقية جبلية وانما قيد بقوله
الى مبعثهم لان بعد البعثة ونزول الوحي لا يظهر كونه جبليا لتعليم الله لذلك
باخبار ملائكته عليهم الصلاة والسلام فلا تقوم الحجة على من يقول انه
جبلي حينئذ اما قبله فامره ظاهر لا يشتبه كما عرف من حال موسى
وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم الصلاة والسلام وقيل انما
خص هؤلا بالتمثيل لما اشتمل عليه موسى وسليمان من الشهامة ويحيى وعيسى
من الانقطاع عن الخلق والسياحة ولذا قدم عيسى على موسى وهو قبله ويحيى

على سليمان

على سليمان اولذكره اخبار هؤلا في الطفولية وهذا الثاني هو الحق
فان لهؤلا وقع منهم امور في طفوليتهم وامور الطفولية جبلية من غير شبهة
كما اشار اليه بقوله بل غرزت فيهم الاخلاق في الجبلة واودعوا العلم
والحكمة في الفطرة غرزت بل بالبنا للمجهول واصل معنى الغرز ادخال
شي في شي فكان الطبيعة ادخلت فيهم ومنه الغريزة وهي الطبيعة وقال
البرهان معنى غرزت خلقت فيهم والفطرة الخلقة وفاطر السموات
بمعنى خالقها واودعوا مجهول ايضا من الوديعة ففيه استعارة مكنية
وتخييلية وما ذكره من الترتيب في النسخ عند ما يخالفه وسيأتي
من المصنف ما يبين ما قلناه قال تعالى واتيناه الحكم صبيا الحكم والحكمة
من الحكم وهو المنع ومنه احكمة بفتحتين من لجام لمنعه من الفساد وكلها
لا ينبغي واختلف في تفسيرها هنا فقال المفسرون اعطي محيى العلم
بكتاب الله يعني التوراة في حال صباه اشارة الى ان قوله صبيا في الآية
حال وهذا احد التفاسير فيها وقيل هو الفهم والعلم وقيل هو النبوة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل من قرا القرآن قبل ان يحتلم فقد اوتي الحكم
صبيا وعلى تفسيره بالنبوة فالمراد انه لظهور اثارها كانه اوتيها فهو
مجاز سنا على ان الله لم ينبئ صبيا قط وكذا اول قول عيسى عليه الصلاة والسلام
وهو طفل اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وقيل الحكم العلم مع العمل
وقال معمر كان اي يحيى عليه الصلاة والسلام ابن سنتين او ثلاث وفي بعض
النسخ ابن معمر والصواب معمر بدون ابن وتقدم ان معمر بميمين مفتوحتين
بينهما عين مهملة ساكنة وراء مهملة وهو معمر بن راشد ابو عروة الازدي
مولاهم عالم اليمن روى عن الزهري وغيره وروي عنه كثير واخرج له الائمة
الستة وهو ثقة الا ان له اوهاما يحتمل في جنب سعة علمه توفي سنة ثلاث وخمسين
ومائة باليمن وله ترجمة في الميزان وقوله ابن سنتين او ثلاث قيل هذا غريب في الرواية
والاصح انه كان ابن ثمان وقيل لا غرابة فيه فانه منقول عن قتادة ومقاتل من
طرق والغريب ما انفرد به راويه فكيف يكون غريبا فقال الصبيان
لم لا تلعب فقال للعب خلقت قال السيوطي رواه الديلمي عن معاذ بن جبل
رضي الله عنه ولم يسنده والحاكم في التاريخ عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا
وسنده رواه واخرجه احمد في الزهد وابن ابي حاتم في تفسيره عن معمر قال
بلغني فذكره والاستفهام انكاري في معنى النفي ولذا روي لم اخلق للعب والمشهور

شبكة الألوكة
www.alukah.net

انه لم يبعث الله سبحانه وتعالى نبيا طفلا بل روى انه لم يبعث نبيا قبل
الاربعين فقيل هو المطرد وهذا نادر لا يرد نقضا ومن الغريب ما قيل
ان الله خلق عيسى عليه الصلاة والسلام حتى قيل انه الهم التوراة في بطن
امه وروى ذلك الحسن فلا حاجة لتاويل ما ورد فيه بالتاويل المشهور وقيل
في قوله مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى عليهما الصلاة والسلام
هذا بناء على ان المراد بالكلمة عيسى عليه الصلاة والسلام لانه وجد بدون
اب فشابه ما ابدع من عالم الامر كما قاله البيضاوي او لكونه اوجد بكلمة كن او
لاهتداء الناس به كما يهتدون بكلام الله كما سمي النبي صلى الله عليه وسلم ذكرا الله
رسولا كما قاله الراغب وقال الصدر القونوي في نفخاته لصورة كل شيء في عرضه
العلم الالهي الازلي من نبذة الحرفية فاذا اصبغة الحق بنوره الوجودي الذاتي
وذلك لاجرم كلمة معقولة معنوية يقتضيها شان من الشؤون الالهية المعبر عنها
بالكتابة تتمثل صورة ومعلومية الشيء المراد به بكينونيته وبهذا الاعتبار
سمى الله الموجودات كلمات وسمى عيسى كلمة وقال اليه يصعد الكلم الطيب
اي الارواح الطاهرة انتهى وهذا يحتاج لذوق شهودي فافهم ولا حاجة
لجعل من زائدة على هذا كما قيل وهو اي يحيى عليه الصلاة والسلام ابن
ثلاث سنين ليشهد له انه كلمة الله وروحه قد بينا معنى كونه كلمة الله
وكان يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ابناخالة كما مر ويحيى اكبر سنا
منه واطلاق روح الله عليه اما لانه جبريل عليه الصلاة والسلام المسمى
بالروح لنفخ في درع امه فيكون من نفخته فاضافته الى الله اضافة ملك وتشريف
او لانه خلقه من غير واسطة بشر ولذا وقع النصارى فيما وقعوا فيه
وعن كعب ان الله خلق ارواح بني ادم قبل اجسادهم لما اخذ عليهم الميثاق
فامسك روح عيسى عليه الصلاة والسلام فلما اراد خلقه ارسلها لمريم
فلذا كان روحانيا وقيل الاضافة للتشريف كبيت الله كما علم وقيل معنى
روح الله نعمة الله لان الروح تطلق على النعمة وفي صحيح البخاري مسندا عن النبي
صلى الله عليه وسلم من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
وان عيسى عبد الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق
ادخله الله الجنة وقيل صدقه يحيى عليه الصلاة والسلام وهو في بطن
امه فكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية
له منصوب مفعول له اي سجوده له سجود تحية وتعظيم لا سجود عبادة وكان

السجود

السجود مما يعظم به المخلوق قبل الاسلام وهذا الحديث رواه احمد وابن
جرير عن مجاهد من طرق متعددة فهو حديث صحيح الا انهم لم يرفعوه النبي صلى
الله عليه وسلم ومثله لا يقال من قبل الراي فهو في حكم المرفوع قالوا وهذا هو المراد
بقوله مصدقا بكلمة من الله وهذا يقتضي انه حمل مريم بعيسى عليه الصلاة والسلام
طالت مدته وفي تلك المدة اختلاف وقيل انما ولدته في ساعة نفخ الروح وقد
نص الله على كلام عيسى عليه الصلاة والسلام امه عند ولادتها اياه بقوله
فقال الم تحزني وهذا احد من تكلم في المهد وفي عدتهم خلاف وفي الصحيحين
عن ابي هريرة رضي الله عنه لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى بن مريم عليه
الصلاة والسلام وصاحب جريج وغلام كان يرضع في حجر امه ومر راكب عليه
فقالت امه اللهم اجعل ابني مثله لا تجعلني مثله وظاهيره الحصر اذ لم يذكر
معهم الصبي المذكور في حديث الساحر الذي قال لامه اصبري فانك على الحق وهو
في صحيح مسلم واجيب بانه لم يكن في المهد وان كان صغيرا لم يبلغ حد
التكلم ورد بان ابن قتيبة حكى انه ابن سبعة اشهر فلعله صلى الله عليه وسلم انما
اطلع اولا على ثلاثة ثم اطلعه الله بعد ذلك على غيرهم لثبوته في صحيح مسلم
كما يعلم وقالوا تكلم في المهد ابراهيم عليه الصلاة والسلام كما ذكره البغوي والقاضي في
تفسيره وروي ان نبينا صلى الله عليه وسلم تكلم في المهد عند حليمة السعدية واول
كلمة تكلم بها الله اكبر وحكي عن الواقدي وشاهد يوسف كما حكاه القرطبي وقيل
انه كان رجلا وابن ماشطة فرعون كما في مسند احمد وفيه زيادة لقوله
ابن ماشطة ابنة فرعون وروي الضحاك تكلم يحيى عليه الصلاة والسلام في المهد
ايضا مبارك اليمامة الذي كلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الدلايل فهم
احد عشر كما وصله البرهان الحلبي رحمه الله ونظم غالبهم القائل
في قوله اذا رمت سرد الناطقين بمهدهم . فمنهم رسول الله احمد والمجد
خليل ويحيى ثم عيسى وطفل مسن . دعت لابنها فوز الذي شاره فرد
فقال الا تجعلني مثله . ورد عليها قولها احسن الرد
كذاك الذي قال ان جريجنا . بريء فلا تزموه بعد بما يردي
ومنهم نجيب كان يدعى مباركا . وقال رسول الله فزجا بالرشد
وماشطة كانت لفرعون تنتمي . وكان لها طفل تكلم في المهد
كذا شاهد في شان يوسف منهم . فدونك جمعا رايد الحسن في العد
وقوله بقوله الى اخره يعني انها لما حملت بلا زوج وكانت فرت وهي حامل

لمكان بعيد خوفا من اهلها فلما وضعته قال لها لا تحزني على قراءة من قراءة
من تحتها بفتح الميم على ان من موصولة وتحتها بنصب التاء ظرف صلتها وقد اورد
على المصنف هنا امران الاول ان تخصيص دلالة الآية على ان المتكلم عيسى عليه
الصلاة والسلام في المهد بهذه القراءة لا وجه له فان القراءتين على حد سواء فاحتمال
ان يكون المنادي عيسى او جبريل او بعض الملائكة وكيف لا ومعنى النظم
على القراءتين واحد فان المعنى ناداها مناد من تحتها قائلا لا تحزني فان قيل
لو كان المنادي جبريل عليه الصلاة والسلام كان فوقها لا تحتها لانبائه من الافق
قيل ان جبريل كان منها مكان القابلة وقيل انما كانت على اكمة هو تحتها
واذا كان المنادي عيسى عليه الصلاة والسلام قال الجعبري معنى كونه تحتها انه كان
تحت ثيابها الثاني انه قيل ان كلام المصنف في حسن الاخلاق
وانما جبلية وكلام من في المهد ليس من هذا القبيل بل من قبيل خوارق العادة
كنطق الجوارح يوم القيامة وتسبيح الحصا ونطق الشجر وهو لم يدم فانه ينقطع
ويعود في زمن ولم يقولوا باستمراره ولو استمر كان مناسبا لما ذكر والجواب ان عادتكم
بحسب الظاهر لانه لو كان جبريل وقد ذكرهنا بقوله انما انا رسول ربك
كان الظاهر ان يقول وناداها كما في القراءة بمن الجارة فلما عرفه بالاسم الظاهر
وعدل اليه في محل الاضمار علم انه غيره وليس ثمة احد فعلم انه عيسى ومعنى
كونه من تحتها ان الامراة في حال الوضع تنخفض عن الارض على حال فيقع الولد
تحتها بلا حاجة لما قاله الجعبري واما السؤال الثاني فساقط لانه وان كان خارقا
للعادة يدل على ان ما ياتي بمثله من جنسه امر جيلي وقراءة الكسر بمن الجارة والفتح
بمن الموصولة كلاهما متواترة من السبعة وعلى قول المنادي بكسر الدال عيسى
عليه الصلاة والسلام لا الملك ونص على كلامه في مهده المهد كالمهاد
بمعنى الفراش الممهد للنوم كما مر ثم حقق بما يربط فيه الطفل للنومه وقال
فيه فقال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا فلما تكلم عليه الصلاة
والسلام بذلك علموا براءة مريم ثم سكت حتى بلغ مدة التكلم لامثاله وجعل
اول تكلمه الاقرار بالعبودية ابطالا لقول النصارى انه ابن الله لان الولد لا يكون
عبدا اولو ملكه عتق عليه والكتاب لا يخيل ويجوز ان يريد التوراة لعلمه صلى الله
عليه وسلم بها او الاعم وتاييره وتخبيره بالماضي باعتبار ما قدر الله له او جعله
بمنزلة الواقع لتحققه وقيل انه بناء على حقيقة كما روي عن الحسن وقال
الله تعالى فهمناها اي القصة الآتية سليمان عليه الصلاة والسلام

وكلا اي

وكلا اي من سليمان وابيه داود آتينا حكما وعلما اشارة الى قصة سليمان
عليه الصلاة والسلام اذ اوتي الحكم صبيا وعمره اذ ذاك احد عشر سنة في الغنم
التي نفشت في الحرث اي رعته ليلا وافسدته والنفش الرعي بالليل بلا راع فان
كان بالنهار فهمل وكان يجلس على الباب الذي يخرج منه الخصوم الداخلين عليه
من باب آخر فتخاصم رجلان لاحدهما حرث وهو رعي وقيل كرم والحرث
يطلق عليهما والآخر غنم دخلت حرثه فافسدته فحكم داود بدفع الغنم لصاحب
الحرث على ان ينمي الحرث بيده وقيل يدفع الغنم لصاحب الحرث ويدفع
الحرث لصاحب الغنم فداود عليه الصلاة والسلام راى على القول الاول ان
الغنم تقاوم الغلة الفاسدة وعلى الثاني راى انها تقاوم الحرث والغلة
معا فلما خرجا على سليمان عليه الصلاة والسلام سالهما عما حكم لهما به فرجع
لابيه وقال اني رايت ما هو اوفق بالجميع وهو انما اخذ صاحب الغنم الحرث
فيقوم عليه حتى يعود كما كان عليه وياخذ صاحب الحرث الغنم فينتفع بنسلها
ودرها فاذا عاد الحرث الحالة صرف الى ملك صاحبه له فقال اصبت وحكم بما قاله
قال العلامة ابن القيم في كتابه معالم التوقيع حكم داود عليه الصلاة والسلام
لان لم يكن له دراهم ونقد يبيعها ويرضوا بدفعها وتخيرهما وقال بدلا عن القيمة وسليمان
عليه الصلاة والسلام قضى بالضمان على اصحاب الغنم وان يضمنوا ذلك بالمثل
بان يعمروا البستان حتى يعود كما كان فلم يضيع عليهم شيا من حين الاتلاف
الى حين العود فاعطى اصحاب البستان الماشية لياخذوا من نمائها بقدر عمل
البستان فيستوفوا من نماء الغنم بقدرها فانهم من نماء حرثهم وقد اعتبر النماءين
فوجد مما سواء فهذا علم خصه الله به واثنى عليه بادراكه وقد تنازع العلماء
في ضمان النفش وفي المثل وهو الحق وهو احد القولين في مذهب احمد والشافعي
ومالك والمشهور خلافه والقول الثاني موافقته في ضمان النفش دون التعمد
بالمثل وهو المشهور عن احمد ومالك والشافعي والثالث موافقته في التضمين
بالمثل دون النفش كما اذا رعاها صاحبه باختياره دون ما اذا انقلبت ماشية
ولم يشعر بها وهو قول داود ومن وافقه والقول الرابع ان النفش لا يوجب
الضمان بحال وما وجب من ضمان الرعي بغير النفس فانه يضمن بالقيمة لا بالمثل
وهو مذهب ابي حنيفة وما حكم به سليمان عليه الصلاة والسلام اقرب
الى العدل والقياس وقد حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان على اهل الحوائط

شبكة الألوكة
www.alukah.net

حفظها بالنهار وما افسدت المواشي بالليل ضمانه على اهلها بصح بحكم ضمان النقش
وصح بالنصوص السابقة والقياس الصحيح وجود الضمان بالمثل وصح بنص الكتاب
الشاعلى سليمان عليه الصلاة والسلام بتفهيمهم هذا الحكم وصح انه الصواب
انتهى وقال النجاني اختلف في حكمهما في هذه القضية هل كان بوحي فالثاني
ناسخ للاول او باجتهاد بناء على ان كل مجتهد مصيب وكونه فتيا يرده ان فتيا
الانبياء عليهم الصلاة والسلام حكم مع انه يأباه قوله اذ يحكمان وكنا لحكمهم
قيل ويؤيده ان اجتهاد قول سليمان عليه الصلاة والسلام في اجتهادهم
وانهم لم يقروا عليه وفي التلويح هنا كلام يلوح عليه اثر الضعف وعلى ان شريعة
من قبلنا ليست شريعة لنا مطلقا وقد ورد في الحديث ما يخالفه كما سمعته
انفا وقول ابي السعود ان راي سليمان استحسان ورأي داود قياس قيل
انه غير سديد لان الاستحسان اما دليل ينقدح في نفس المجتهد والهام الانبياء
عليهم الصلاة والسلام لا يكون الا صوابا او هو المعدول عن قياس الى قياس
اقوى منه وحينئذ كل منهما قياس واجتهاد او العدول عن الدليل الى العادة
لمصلحة ومثله من الانبياء عليهم الصلاة والسلام جايز ولا يخفى ما فيه وفي الكشف
ان حكم داود عليه الصلاة والسلام لان الضرر وقع بسبب الغنم فسلمت بجنايتها
الى المجني كما قال ابو حنيفة في العبد اذا جنى جناية على نفس فسيده يدفعه
او يفديه وعند الشافعي يبيعه بذلك او يفديه ولعل قيمة الغنم كانت
قدر النقصان في الحرث وسليمان عليه الصلاة والسلام جعل الانتفاع
بالغنم بازاء ما فات واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث ما يزيل ضرره
كما لو غصب عبدا فابق في يده فان قيمته تدفع لسيده ينتفع بها فاذا ظهر
ترد له وفي هذا المقام كلام طويل لا حاجة لنا به فان اردته فارجع اليه
وقد ذكر من حكم سليمان عليه الصلاة والسلام وهو صبي يلعب
في قضية المرجومة وفي قصة الصبي ما اقتدى به ابوه كما اقتدى به
في قصة الحرث وذلك كان في صباه واول امره مهدا واشباهه مما يدل على
امور جليلة غير كسبية وقصة المرجومة كما حكاه التلمساني ان امراة كانت
بارعة الجمال وهي من اهل الدين ولها حق فرفعت امرها لاحد قضاة بني
اسرائيل فلما راها افتتن وراودها عن نفسها فامتنعت ثم ذهبت لشان
وثالث ورابع فكل راودها عن نفسها فاتت لنبي الله داود عليه الصلاة
والسلام فحجبت عنه فاجمع الاربعة ان يقولوا لداود ان لها كلبا تمكنه من نفسها

وبزني بها

ويزني بها ففعلوا فامر برجمها فرجمت فبينما داود عليه الصلاة والسلام يوما
في علية له مشرفا على صبيان يلعبون مع سليمان وفيهم صبي جميل فجعلوا سليمان
قاضيا والصبي بمرافعة ان حق واربعة منهم فقضاة وفعلوا مثل تلك القصة
بعينها من المراودة والتهمة وذلك بمراى من داود عليه الصلاة والسلام كما
في قصة المرجومة فعرفهم سليمان وقال لاحدهم ما لونه فذكر لونا ودعى
كلا بانفراده فذكر كل لونا مخالفا للاخر فامر الصبيان فضربوهم فقال
داود عليه الصلاة والسلام لعل القضية هكذا فبعث للقضاة وسالهم
عن لون الكاب على الانفراد فامرهم فقتلوا وهكذا نقله غيره من الشراح
عن ابن عساكر مسندا وكذا نقله السيوطي رحمه الله في تخريج احاديث هذا
الكتاب ولم يتعقبه فقول ابن رسلان المراد بالمرجومة التي اريد رجمها الان
داود هم برجمها ثم لما راى صبي سليمان ذا عنها الحد فسماها المصنف رحمه
الله مرجومة باعتبار ما يؤول اولانه اريد رجمها تتبع فيه غيره فلا يخفى انه
مخالف للظاهر فلا وجه لكلامه ولا لمن تبعه فيه ثم انه قيل ان هذا يقتضي
انه كان في شريعتهم ان المراة الممكنة من نفسها حيوانا ترجم وان شاهد الزور
يقتل وفي الشريعة المحمدية ان حكمهما التعزير وقصة الصبي هي ما رواه
الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه قال فبينما امراتان معهما ابناهما لهما
فاخذ احدهما فتحاكما الى داود عليه الصلاة والسلام فقضى به للكبرى فدعاهما
سليمان عليه الصلاة والسلام فقال هاتوا سكينا اشقه بينهما فقالت
الصغرى رحمك الله هو ابنها لا تشقه فقضى به لشفقتها عليه ورضي الاخرى
بشقه ليشتهر كما في المصنية قال النجاني وهذا مما لا شبهة في صحته واما الحديث
الاول فالله اعلم بصحته وقد ورد في الاسرائيليات على غير رواية ابن عساكر
وان داود لم يرجمها وانما امروهم برجمها فمروا بها على سليمان فلم يقفها واحضر
الشهود وفرق بينهم كما مر فرجع سليمان عن حكمه وعلى هذا بين ما مر من ان
المرجومة هنا مجاز عمن اريد رجمها وفيه فوايد منها انه اذا تجوز بالفعل
عن ارادته لا يلزم وقوعه ومنها ان ابا هريرة رضي الله عنه قال والله ان
سمعت بالسكين الا ذلك اليوم ومنها ان داود عليه الصلاة والسلام يحتمل
انه قضى به للكبرى لشبه بينهما وانه كان في شريعته يجوز الالحاق بالشبه
او لكونه في يدها والترجيح باليد شريعة صلى الله عليه وسلم واما سليمان عليه
الصلاة والسلام فتوصل بلطف لمعرفة باطن القضية فاوهمها ارادة شقه

شبكة الألوكة www.alukah.net

ليسوى بينهما ومثله يفعله حذاق الحكام فينقضون بامور لو تخرجن لم يقض
لها شرعا ولعل الكبرى اقرت بانه ليس ولدها فرده باقرارها لا بمجرد الشفعة
فلذا انقض او دعليه الصلاة والسلام حكمه او ان في شرعهم انه يجوز للمجتهد
نقض حكم المجتهد بمثله ومن ثم قال الخفاف ومنها انه وقع في مسلم ان الصغرى قالت
لسليمان عليه الصلاة والسلام لا يرحمك فيرحمك الله جملة مستانفة دعائية
لكنها موجهة للدعاء عليه وفي الاكمال ان السلف كرهوا مثله لما فيه من الايهام يريد
ما روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال لمن قال له مثله لا تقل هذا
وقل يرحمك الله لا وروى بعضهم لا يرحمك الله أقول ـــــ يعني ان
الواو تزاد لدفع الابهام كما تحذف له في نحو قوله
وتظن سلمى اني ابغي لها • بدلا اراها في الضلال تهيم
فانه لو قال واراها ربما ظن انه معطوف على ابغي وليس مراده ذلك وسال
الرشيد رجلا عن شيء فقال له لا وايد الله الخليفة فاستحسنه منه فلما
سمعه قال هذه الواو احسن من واوات الاصداغ في خدود الملاح وهذه
الواو امارايدة او اعتراضية او لعطف الانشا على الخبر وكذلك قصة موسى
عليه الصلاة والسلام مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل فرعون لقب
لكل من ملك القبط كما مر وهذا هو مصعب بن الوليد بن ريان كان من القبط
العمالقة عمر اكثر من اربعمائة سنة وسن موسى عليه الصلاة والسلام حين اذ
اخذ بلحيته ابن عامين وكان فرعون لعنه الله استعبد بني اسرايل
استخدمهم وضرب عليهم الجزية فراي في منامه او اخبره الكهنة ان زوال
ملكه على يد غلام من بني اسرايل فامر بقتل كل مولود يولد منهم فراى اهل مملكته
ان في ذلك ضررا عليهم لانهم خدمهم ويكفونهم المونة فعزموا على قتلهم عاما
بعد عام قيل وهو بعيد لاحتمال ان يولد عام استحيابهم واتفاقا لعقلا
على مثله غير ظاهر فلعلهم راوا عاما ولادته زوجا او فردا وعينوه وولدها
في عام الاستحيا وولد موسى في العام الرابع من ولادته وكان عام قتل فخافت
امه عليه فاوحى الله اليها ما يأتي على لسان ملك او ان ذلك في منامها والقول الاول
اما الان من لا يكون نبيا فدير الملك وقد جوزه جماعة من السلف ولعله كان في الزمن
السالف او ان امه كانت نبيه والمشهور ان النبي لا يكون الا ذكرا قال النجاني وقد ذهب
علماء قرطبة الى صحة نبوة المراة وصححه ابن السيد ونسبه ابن الحمام الى جمهور اهل
الظاهر فاوحى الله الى امه ان يتخذ تابوتا تضعه فيه وتقذفه في النيل ففعلت

وكان النيل

وكان النيل يدخل منزل فرعون فبينما هو جالس اذ دخل التابوت به عنده
فاخذه آل فرعون ففتحته اسية امراة فرعون رضي الله عنها فلما راته موسى
رحمته وسالت من فرعون ان يتخذه ابنا فاجابها لذلك فكانت تدخل به عليه
فاحبه وجعله يوما في حجره فمد يده للحيته وجذبها جذبا شديدا فغضب
فرعون وقال هذا عدو لي وامر بذبحه فناشدته الله وقالت انه لا يعقل
فقال بل يعقل فقالت جربه فجعل بين يديه تمرة وجمرة وقيل درة وجمرة
وقال ان اخذ التمرة او الدرة فهو يعقل والا عذر فلما مد يده للتمرة ضربه جبريل
عليه الصلاة والسلام فاخذ الجمرة حرقت لسانه ومنها كان في لسانه عليه الصلاة
والسلام عقدة تمنعه من ابانة بعض الحروف وحكى انه ازالها الله بدعائه فعذر
فلم يزل في حجره الى ان كان ما كان وموسى وقصصه ونسبه مذكور في محله
والطفل يكون للواحد وغيره وقد يختص بالواحد فيجمع على اطفال فائدة
قيل كل مولود ذكرا وانثى يزيد كل سنة اربع اصابع باصابع نفسه وكل احد
طوله اربعة اذرع مقبوضة الاصابع بذراع نفسه والقوة تزيد الى اربعين
وتقف الى ستين وتنقص بعد ذلك وفرعون هذا غير فرعون يوسف
وقيل انه هو وانه اسلم ثم ارتد وقيل ان موسى عليه الصلاة والسلام قال
يا رب امهلت فرعون مع كفره فقال انه كان سهل الحجاب فكافاته على
ذلك في الدنيا وقال تعالى ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به
اي هديناه الى قبل صغيرا قاله مجاهد وغيره هذا احد التفاسير في العلم
السابق وقيل المراد قبل موسى وهارون والرشد الاهدى لوجوه الصلاح وقيل
رشد ورشد وبهما قرئ قال في الكشاف معنى اضافة الرشد له عليه الصلاة
والسلام انه رشد له ثابت له ورد بان هذا المعنى حاصل بدون الاضافة
لو قيل اتيناه رشدا له افاد ذلك مع التعظيم ولم يفهم مراده اذ مرادنا
اتيناه رشدا معلوما من حاله لا يقادر وبامثاله من الرسل عليهم الصلاة والسلام
لا كرشد غيره وقال ابن عطا اصطفاه قبل ابتداء خلقه اي اظهار خلقه اي
اختاره رسولا خليلا الا في علمه فانه لا يختص به بل المراد حين اراد خلقه
في بطن امه امر الملايكة ان تكتب اصطفاه وخلقه تنويها به وتعظيما لقدره
بخلاف غيره فانه انما يكتب حاله بعد خلقه والظاهر ان المراد انه اصطفى
روحه في عالم الذر قبل خلق جسده كما في حديث كنت نبيا وادم بين الروح والجسد
وفي نسخة قبل ابتداء خلقه قيل لما كان من قبل على هذا بمعنى قبل خلقه ولا معنى لحدانته

قبل خلقه اوله باصطفاه اللازم له لصحة اصطفا المعدوم وقال بعضهم لما ولد
نبي الله ابراهيم عليه الصلاة والسلام بعث الله اليه ملكا يامره عن الله تعالى
ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك رشده
يعني عبر بالماضي الدال على وقوعه قبل امره فيكون المعنى اتيناه رشده قبل امره
فيدل ذلك على الايمان واشتغاله بذكر ربه امر جبلي مجبول عليه او امر عرفه به في عالم
الذر والارواح فيكون بمعنى ما قاله ابن عطا او المراد انه عبر بالماضي لسرعة
امتثاله حتى كانه وقع منه فعنى من قبل على هذا من قبل امره لا من قبل بلوغه
كما قيل وقيل ان القا ابراهيم في النار وقعت التي وقعت له مع النمرود فانه
كما رواه ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ولد في زمنه وكان له كهنة فقالوا له
يولد في هذه السنة مولود يفسد الهتك الارض ويدعوهم الى تغييرديتهم وهلاك
اهل بيتك على يديه فعزل النسا عن الرجال ودخل ازر الى بيته فوقع على
زوجته فحملت فقال له الكهان انه الغلام قد حمل به الليلة فقال اقتلوا
كل غلام ولد فلما اخذ ابراهيم عليه الصلاة والسلام خرجت هاربة فوضعته
في نمر بابس ولفته في خرقة وقال واوضعته في حلفا واخبرت به اباه فاتاه
فحفر له سردابا وسد عليه بصخرة فكانت امه تختلف اليه فترضعه حتى
شب وتكلم فقال لامه من ربي فقالت انا فقال من ربك قال ابوك قال فمن
رب ابي فقالت له اسكت فسكت فرجعت الى زوجها فقالت له الغلام الذي
يتحدث به انه يغير دين اهل الارض ابنك فاتاه فقال له مثل ذلك وقوله
كانت وهو ابن سنة عشر سنة كذا في الكشاف قال النجاني المعروف انه كان ابن ثنت
وعشرين سنة والذي اشار باحراقه رجل من اعراب العجم وهو الكرد ولما هموا باحراقه
حلبسوه وبنوا حظيرة وجمعوا الحطب الصلاب شهرا حتى كان من مرض يندر جمع
الحطب له ثم اشعلوا نارا عظيمة اذ مرت بها الطير احترقت لشدة لهائر وضعوا في
منجنيق مقيدا مغلولا ورموه فيها فناداها جبريل عليه الصلاة والسلام يا نار
كوني بردا وسلاما على ابراهيم فلم يحترق غير وثاقه فقال له حين القى الى النار
فقال اما اليك فلا حسبي من سوالي علمه بحالي وقبل بخانها بقوله حسبي الله
ونعم الوكيل واشرف عليه نمرود على من صرحه فاذا هو في روضة معه جليس
من الملايكة فقال اني مقرب الى الملك فقرب اربعة الاف بقرة وكف عنه وقصته
مذكورة في القران مجملة مفصلة في التفسير واعلم ان نمرود كما قاله السهيلي بضم
النون وذال معجمة وقد تهمل انتهى قيل لما اراد ارميه في النار لم يقدروا على القرب

منه فعلمهم ابليس لعنه الله صنعة المنجنيق فلما اراد ارميه لم يرتم لمنع الملا
عليهم الصلاة والسلام له فامرهم ابليس ان يحضروا نساء مكشوفة الفروج فصه
فصعدت الملايكة للسما وان ابتلا اسحاق بالذبح وهو ابن سبع سنين
وقيل ثلاثة عشر سنة وهذا بنا على ان الذبيح اسحاق عليه الصلاة والسلام
كما عليه اهل الكتاب وكثير من المفسرين والمحدثين حتى صنف الجلال السيوطي
في تصحيحه رسالة مستقلة والمشهور وهو مذهب الجمهور انه اسماعيل عليه
الصلاة والسلام وهو قول اكثر الصحابة كابن عباس وابن عمر ومعاوية
رضي الله عنهم وهو الظاهر فان سارة زوجة ابراهيم عليه الصلاة والسلام
كانت لا ولد لها وهاجر جاريته فولدت اسماعيل فغارت منها وكرهت مقامها
معها فنقلها الى مكة ومعها اسماعيل عليه الصلاة والسلام بشرتهما الملايكة
باسحاق فقالت آالد وانا عجوز الاية فلو كان الذبيح اسحاق عليه الصلاة والسلام
ناقض ذلك اخبار الله بانه سيولد له يعقوب ولا يصح انه امر بذبحه بعد ما ولد
له يعقوب للاجماع على انه في صغره كما ولقوله فلما بلغ معه السعي ولانه في الصا
ذكر تبشيره باسحاق بعد قصة الذبح ولهذا احتج مالك وغيره وورد في الحديث
انا ابن الذبيحين يريد عبد الله واسماعيل وفي تفسير الطبري عن ابن عباس رضي
الله عنهما تزعم اليهود ان اسحاق هو الذبيح وكذبوا وقال فيض من اسلم من
احبارهم انهم يحسدونكم معشر العرب ان تكون هذه الفضيلة فيكم وقال
الاصمعي سالت اباعمرو عن الذبيح فقال اعزب عنك عقلك المرتع الموضع الذي
اصبح فيه الذبيح بمكة ومنى ومتى دخل اسحاق مكة وقال ابن الجوزي هو
الصواب والقول بانه اسحاق باطل باكثر من عشرين وجها واطال فيها ابن
القيم في الهدى وقال المحب الطبري الاكثر انه اسحاق ورجحه هو وغيره
والصحيح ما مر ويدل له حديث انا ابن الذبيحين وقصة ذبح ابيه عبد الله
مشهورة لان عبد المطلب نذر ان بلغ بنوه عشرة ان يذبح واحدا منهم تقربا
الله فلما كملوا اتى بهم البيت وضرب عليهم القداح فخرج قدح عبد الله ففداه كما هو
مشهور والقول بان المراد بالذبيحين عبد الله وهابيل بنا على ان الذبيح اسحاق
كما نقله مغلطاي مع غرابته لا يعلم له وجه لانه لم يتعين انه من ولدها بيل
الا ان يجعل العم بمنزلة الاب ولا يخفى ما فيه من التعسف وان استدلال ابراهيم
بالكواكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا ووجه الاستدلال
ان الاجرام السماوية افلة وكل افل فهو متغير وكل متغير حادث ولا شيء في الحادث

فات

نكلة

منه تعلمهم

بصانع فلا شئ في هذه الاجرام بصانع وتلك الاصنام كهذه الاجرام في التغير
فلا شئ منهما بصانع بل هي هي وله فيثبت لها ذلك بالطريق الاولى فالصانع للعالم
لها موجود اذ لابد للعالم من صانع فثبت المطلوب بدليل مولف من قضايا تستلزم
قولا آخر لذاته هو المتجه او الدليل ما يدل بالقوة وان كان مفردا او هو المعرف بما
يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى العلم بمطلوب خبري كالعلم المستدل به على
وجود الصانع والاجرام المذكورة وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما اخفته امه في
غار خوفا عليه كما مر ممكث في الغار عشرة اعوام او اربعة اعوام كما في عيون المعاني
او خمسة عشر شهرا كما حكاه المصنف فلما عقل سال امه من ربي كما مر وفي رواية
فقالت ابوك فقال من رب ابي فقالت الملك فعرفها وفطر ما يستدل به
عليها فراى النجم فقال هذا ربي الى آخر ما قصه الله والا قوال بنا على ان هذا قبل
بلوغه في الغار وقيل انه بعد بلوغه في الغار او بعد بلوغه وخروجه منه وقد
بعثه الله نبيا وعمره اكثر مما ذكر وهو الذي يقتضيه ظاهر القران لانه حكى فيه انه
قال لابيه اتتخذ اصناما الى آخره ثم عقبه بقوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات
والارض الى آخره ثم ربط به قوله فلما جن عليه الليل الى آخره فدلت الفاء على كونه بعد
هذا كله وقوله وتلك حجتنا اتيناها الى آخره دال على مناظرته مع قومه ليرشدهم
للايمان بالصانع لا لنفسه وبينه قوله يا قوم اني بري مما تشركون ولو كان في الغار نظرا
لنفسه قال اني برئ من الاشراك فاذا ثبت هذا او انه موحد جازم بعدم ربوبيته
الكوكب فقوله لئن لم يهدني ربي الى آخره اعلام بمناظرته مع قومه ليرشدهم
لا انه مسلم عنده وقوله هذا ربي على تقدير الاستفهام والاستفهام انكاري او هو
على تقدير اي يقولون هذا ربي والتقدير في الكلام قالوا هو البحر حدث عنه
ولا حرج وهو في القرآن كثير او الله اعرف بطباعهم عن قبول الحق لو صرح به ابتدا
فاتى بما يستدرجهم الى الاستماع بحثهم ان اسمعهم ما يوهم موافقته لهم فاذا اصاخوا
له اورد الدليل المبطل لما يعتقدونه بما هو انم وانفع وهذا اقرب من الاول
وان فرق بينهما بما في هذا من الايهام وعدم اظهار الانكار وسيأتي في القسم
الثالث ما يتعلق بهذا وقول المصنف استدلاله وهو ابن خمسة عشر شهرا
ان كان قصد به دفع ما قيل ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام بانه صدر
منه قبل سن التمييز وهو غير مكلف فليس بكفر ولا جهل بالله ففيه مناسب
فانه يجب ان يعتقد انهم اعرف الناس وانهم مجبولون على فطرة سليمة
موحدون فالاولى ما قدمناه من التاويل وقد تقدم ان الاصح انه صدر منه صلى

الله عليه

الله عليه وسلم بعد بلوغه بل وبعثه وان سياق الاية ناطق به كما قررناه اولا وهو
ظاهر ارتضاه القرطبي في تفسيره وقيل انه قاله في طفولية من غير اعتقاد ولا
قصد كذب والقول بانه بعد البعثة فاسد وقوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت
السموات والارض قصة اخرى لانه قصد النظر لنفسه والفا ليست لتعقيب
كلامه هذا على ما قاله لابيه وانما هو من قبيل المعاريض تعريضا بجهل عبدة
الاصنام وتضليل قومه والقول بانه على تقدير مضاف اي هذا مخلوق ربي
لا يخفى بعده وقيل اوحى الله الى يوسف عليه الصلاة والسلام وهو صبي
هذا الوحي يحتمل ان يكون برسول من الملائكة ارسله الله اليه وهو طفل
ان لم يقل انه لم يبعث نبي الا بعد الاربعين وهو وان اشتهر فقد روي
المحدثون والمفسرون ما يخالفه ويحتمل انه بالهام او رويا منام وقد ذهب
الى كل من هذه الاقوال طائفة وفي الكشاف ان يوسف عليه الصلاة والسلام
كان اذ ذاك مدركا وعمره تسع عشرة سنة وهو مخالف لما قاله المصنف
رحمه الله من انه كان صبيا عند ما بهم اخوته بكسر الهمزة وضمها جمع اخ بالقاء
في الجب بضم الجيم وتشديد الباء وهو البير غير مطوية بالحجارة وسميت بالجب
من الجب وهو القطع والجب بيت القدس وقيل بالاردن على ثلاثة فراسخ من
منزل يعقوب عليه الصلاة والسلام وقصة القاية في الجب مشهورة غنية
عن البيان وسيأتي ذكر اخوته وقصتهم بقوله تعالى فلما ذهبوا به واجمعوا
ان يجعلوه في غيابة الجب واوحينا اليه لنبئنهم اي لتخبرن يا يوسف اخوتك
بامرهم هذا وهم لا يشعرون وهذه جملة حالية اما متعلقة بقوله اوحينا
او بقوله لتنبئنهم وذلك لانه كان صغيرا كما قاله المصنف رحمه الله وقيل بل
كان ابن اثنتي عشرة سنة او ثمانية عشر فعلى الاول هو ممن نبي واوحي اليه
في صباه كيحيى وعيسى فالوحي في الاية على ظاهره كما ذهب اليه المصنف وقوله
معنى قوله تعالى واجمعوا امره لان معنى اجمع عزم وهم كانه جعل رايه
جميعا بعد ما تفرق وهو يقتضي انه وقع بعد القاية قال القاضي
انهم القوا يوسف عليه الصلاة والسلام الى البير وذلوه فتعلق بشفيرها
فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم حيلة منهم فقال ردوا قميصي
اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا يلبسوك ويونسوك فلما
بلغ نصفها انحدر وفيها ما فاوى الى صخرة بها وقال وقام عليها يبكي فجاءه
جبريل عليه الصلاة والسلام بالوحي كما قال الله تعالى انتهى وهذا يقتضي ان

الوحي بعد الالقا تطييبا لقلبه وهم يظنون انه معذب مذلل وهم لا يشعرون
ان الله اراحه بما بشره به من نصره فالحال من ضمير اوحينا والاولى جعله حالا
من قوله لتنبئنهم اي لتحدثنهم بما فعلوا وهم لا يشعرون انك يوسف لبعد العهد
وتغير حالك فهو اشارة لما وقع لهم انواعا مرين ليعلم ان المحنة تنقلب منحة
الاية اي اذكر الاية التي ذكر فيها ما لها الى عبرة لك من اخبارهم اي اخبار
الانبيا عليهم الصلاة والسلام الدالة على انهم محبوبون على الكمال من ابتدا امرهم
في صغرهم وقد حكى اهل السير مما يدل على ذلك ان امنة بنت وهب ام النبي صلى
الله عليه وسلم اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد حين ولد اي خرج
من بطنها حين اراد اخراجه منها فالام لغوية فيه وقيل ظرف متعلق باسطا
الاتي وهو حال من الضمير المستتر في ولد الاول والظرف موكد لدفع ان الحال
مقدرة باسطا يديه الى الارض رافعا راسه الى السما رواه ابن الجوزي في الوفا
عن ابي الحسين بن اسيد مرسلا قال قالت امنة ولدته صلى الله عليه وسلم
حاسا على ركبتيه ينظر الى السما ثم قبض قبضة من الارض وانهوى ساجدا
وولد وقد قطعت سرته وكنت وضعت عليه انا فوجدته قد تعلق الانا عنه
وهو يمص ابهامه يشخب لبنا انتهى وروي الطبراني ان الله صلى الله عليه وسلم لما
وقع الى الارض وقع مقبوضة اصابع يده مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وله نظائر ذكرها
ابن حجر في كتاب المولد قيل ولا منافاة بين قبض اصابعه في هذا الحديث وبين
ما في سيرة ابن اسحاق من انه ولد واضعا يديه في الارض رافعا بصره وانه كان سجدا
اقول اما التسبيح فلا دلالة عليه في الحديث واما عدم منافاته لما في سيرة ابن
اسحاق فمسلم لكنه منافى لما ذكره المصنف رحمه الله الاتي ويؤيده قول الابي
صيري في قوله رافعا طرفه الى السما وفي ذلك الرفع الى كل سودد ايما
وقال في حديث صلى الله عليه وسلم لما نشات اي صرت شابا وهذا الحديث رواه
ابو نعيم في الدلايل عن شداد ابن اوس بضعت على الاوثان بالبنا للمجهول اي بضعها
الله لي وهي جمع وثن وهو حجارة كانت تعبد من اوثنته اذا اجزلت عطيته واوثنت
كذا اكثرت منه قاله الراغب وقيل الوثن ما له جثة مما يعبد والصنم الصورة بلا
جثة ومنهم من سوى بينهما وقد يطلق على الصليب وكل ما يشغل عن الله وبغض
الي الشعر اي استماعه والتلفظ به ولم اهم بما كانت الجاهلية تفعله الامرين
فعصمني الله منهما ثم لم اعد وكونه صلى الله عليه وسلم بغض اليه الشعر لا ينافي قوله
ان من الشعر لحكمة لان فيه ما يحمد كالحكم والمواعظ ومدح النبي صلى الله عليه وسلم وهجا

الكفار كما قال تعالى وانهم يقولون مرة ما لا يفعلون الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات وقد استمعه صلى الله عليه وسلم واجاز قايله وقال مرة لقايله
لا يفضض الله فاك لان الامر المذموم قد يحمد لعارض او يقال تغريف الشعر للعهد
وقوله اهم بفتح الهمزة وضم الهاء كما قاله البرهان الحلبي وفسر بمعنى لم ارده
واقصد وهذا اشارة الى حديث صحيح رواه البزار مسندا عن علي كرم الله وجهه
ولفظه ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول
الله بيني وبين ما اريد ثم ما هممت بعدها بشيء حتى اكرمني الله تعالى
برسالته ورواه في المستدرك بلفظ قلت ليلة لفتى من قريش كان بأعلى
مكة ترعى غنما ابصر لي غنمي حتى اسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الصبيان
فخبت ادنى دار من دور مكة فسمعت غنا وصوت دفوف ومزامير فقلت ما هذا فقيل فلان
تزوج فلانة فلهوت بذلك الغنا وذلك الصوت حتى غلبتني عيني فما ايقظني الا حر
الشمس ثم رجعت الى صاحبي فقال لي ما فعلت فاخبرته ثم فعلت الليلة الاخرى
كذلك والله ما هممت بغير هما مما تفعله وروى ان الله تعالى القى عليه النوم في المرتين
صيانة له وليس في هذا ارتكابه لمحرم لانه كان قبل تحريم السماع ولان ضرب الدف في
العرس غير ممنوع واما النهي عن سمر الليل فليس نهي تحريم مطلقا وكان مباحا اذ ذاك
مع انه شرعا قد يكون افضل من النوم كمذاكرة العلم وانما يحرم او يكره لعارض
كما ذكره الفقها وقوله فعصمني الله اي حفظني من ذلك لما غلب عليه النوم حتى لم
يسمع وما وقع في بعض الشروح ان كلامه اشارة الى انه كان لقريش صنم يسمى بوابه
يجتمع عنده في كل عام فقالوا له انك لا تجتمع مع قومك ولا تكلمهم جمعا فذهب
ثم عاد مرعوبا الروية رجل طويل حال بينه وبينها فغير مناسب هنا مع ان في
روايته كلاما للسهيلي ليس هذا محله والمراد بالجاهلية ما كان قبل البعثة في زمن
الفترة كما تقدم ثم تمكن الامر منه وتزايد وتفجات الله عليهم الصبي للانبيا عليهم
الصلاة والسلام والظاهر انه معطوف على غررت من قوله سابقا بل غررت فيهم
الاخلاق الى اخره وعطفه بثم لبعد رتبته او دوامه باعتبار الابد او الانتهاء
ويتمكن بمعنى يقر ويثبت لا بمعنى يزداد لانه تفعل من المكان والمراد بالامر
ما اودع فيهم من الكمال والعلوم وتتراوف تفاعل من الردف وهو الركوب خلف
غيره والمراد انها تاتي الى فيأتي بعضها عقب بعض وتفجات بفتحتين جمع
نفحة بالسكون وهي في الاصل رايحة تاتي مع هبة من النسيم طيبة وهي هنا بمعنى
الهيئة والعطية قال لما اتيتك ارجو فضل نايلكم ٭ نفحتني نفحة طابت لها العرب

والمراد هنا امداد الله لهم بوحي وغيره واطلاق النفحة على ما يصيب من الشر مجازا تهكم كقوله ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك وفي الحديث ان لربكم نفحات الا فتعرضوا لها وتشرق انوار المعارف في قلوبهم تشرق بمعنى تضيء وقال اشرقت الشمس اذا اضاءت وشرقت اذا طلعت والمعارف العلوم الربانية حتى يصلوا الغاية اي غاية الكمال في التخلق باخلاق الله وبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم اي بتجعلهم من صفوة خلقه الذين اختارهم بالنبوة متعلق ببلغوا او باصطفاء في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية التي لا يصل اليها غيرهم والغاية والنهاية واحد لكنه تفنن في العبارة ودون ممارسته اي من غير تكرار عمل ومزاولته ولا رياضة اي تمرن على العمل باعتباره من رضت الدابة اروضها اذا هودتها السير والجري قال الله تعالى ولما بلغ اشده اي موسى صلى الله عليه وسلم بلغ نهاية قوته وتمام عقله وهو من ثلاثين الى اربعين او ما بين ثماني عشرة الى ثلاثين وهو مفرد او جمع لا واحد له او واحده شده او شد بالفتح او الكسر وقيل خمسا وعشرين لما روى عن عمر رضي الله عنه انه قال ينتهي لب الرجل اذا بلغ خمسا وعشرين قيل هذا بيان في ما مر لما ذكره الفقهاء من ان رشد البالغ ببلوغ هذا السن لانه حال كمال لبه كما مر عن عمر رضي الله عنه واستوى ذكر الاستوى في قصة موسى عليه الصلاة والسلام ولم يذكره في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام قال التلمساني لان الاستوى كمال العقل ووقت الرسالة وموسى ارسل في ذلك الوقت ويوسف لم يرسل حينئذ ونقل ابن مرزوق عن ابن عرفة انه قال قال ابن جماعة من استوى في خمسين سنة فقد بلغ انتهاء الكهولة وهو مجتمع الاشد ومن بلغ اربعين فقد بلغ حد الاستواء ومنتهى الكمال انتهى اتيناه حكما اي نبوة وعلما بالدين وسياسة الامة وكذلك نجزي المحسنين علق وقوع الجزا بالاحسان للتنبيه على انه انما جزاهم لكونهم محسنين اي مخلصين مراقبين لله في افعالهم وهل جزا الاحسان الا الاحسان واستشهد المصنف رحمه الله بهذه الآية لانه تعالى اخبر فيها بكمالهم وترادف نفحات الله عليهم حتى ارتفعوا الى اقصى الدرجات من غير سبق ممارسة ورياضة وقد نجد غيرهم اي غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام يطبع اي يخلق مجبولا على بعض هذه الاخلاق الشريفة دون جميعها وفي نسخة دون بعضها ويولد عليها موجود فيه جودا متاصلا وهذا للتفسير لما قبله فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله عز وجل منصوب بنزع الخافض اي بعناية الله ولطفه اذ جبله على اصولها

كما يشاهد

كما يشاء من خلقه بكسر الخاء المعجمة وكلها او سكون اللام وقاف وهاء تانيث او بفتحها مضافا لضمير الله والاولى وعليه اقتصر ابن رسلان بعض الصبيان على حسن السمت السمت الطريق وهيئة اهل الخير يقال ما احسن سمته اي هديه وسيرته وقد ورد في الحديث بهذا المعنى او الشهامة اي او خلقه على الشهامة بفتح الشين المعجمة والهاء والميم اي حدة الفؤاد والذكاء والجلادة والنفاذ في الامور يقال رجل شهم اذا كان سيدا نجيبا نشيطا في اكتساب المعالي وعدم الالتفات للملاذ والمخصومة وفي الحديث من لاحى الرجال سقطت مروته وذهبت كرامته وما زال جبريل ينهاني عن ملاحاة الرجال كما ينهاني عن عبادة الاوثان او صدق اللسان او السماحة كان الظاهر عطفها بالواو ولكنه لما اتى ببيانا لبعضها راى ان او الفاصلة انسب وكما نجد بعضهم على ضدها اي ضد المذكورة كالكذب والبخل وعبر بعلى لانه ممكن منها ممكن الراكب من مركوبه كما في قوله تعالى على هدى من ربهم فبالاكتساب يكمل ناقصها فان قلت لم عبر هنا بالكمال وقبله بالتمام وهل هو تفنن في التعبير او بينهما فرق قلت قال العيني بينهما فرق الا انه لم يفصح عنه وقال ابن ابي الاصبع في كتاب التوكيد الفرق بينهما ان التمام الاتيان بما نقص من الناقص والكمال الزيادة على التمام فاذا قلت رجل تام الخلق لم يفهم منه السامع عربيا كان او غيره الا انه تام الخلق ليس في اعضائه نقص فاذا قلت انه كامل فهم وصفه بمعنى زايد على التمام كالحسن والفضيلة الذاتية او العرضية وهذا هو المتداول بينهم فالكمال تمام وزيادة فهو اخص منه وقد يطلق كل منهما على الاخر تجوزا وعليه قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي انتهى وما ذكره المصنف يتمشى على الاخير حيث جعل ما في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام تماما وما في حق غيرهم كمالا ولو عكس كان احسن وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها بالجيم والنا للمجهول اي مكتسب وتحصل لمن يطبع على شيء منها وطبع على ضدها وان لم الطبع كالتطبع وهذا قسم اخر غير ما تقدم فان الاول وهو مرتبة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ان يطبع على جميعها والثاني ان يطبع على بعضها ويكتسب البعض وهذا ان يكتسب يطبع على عدمها ولكونه ناقصا لم يتعرض له اولا فسقط ما قيل ان الرياضة والمجاهدة طريق الاكتساب وقد قررانه يطبع على بعض هذه وبالا يكون كمالها الى كمال البعض الخلقي الا انه بعينه استجلاب المعدوم بالنسبة لذلك البعض وبعتدل ممخرقها المراد بمخرقها ما مال عن الاعتدال المحمود لانه

الكمال والتمام

كتساب

هو الطريق فمن فرط أو افرط فقد مال عنه وهذا بناء على القول الأصح ان الطباع يمكن
تغييرها والا لضاعت المواعظ والنصايح وكان الانسان دون البهايم التي
يرتاضها قد تتعلم ما ليس في طباعها وقد قال تعالى وعظهم وقل لهم في انفسهم
قولا بليغا وقال الشاعر

تكرم لتعتاد الجميل فلن ترى اخا كرم الا بان يتكرما

كما فصل في علم الاخلاق وباختلاف هذين الحالين الجبلي والكسبي تفاوت
الناس فيها أي في الصفات الحميدة قلة وكثرة وقوة وضعفا وكل ميسر لما
خلق له هذا من الامثال النبوية وجوامع الكلم وهو بعض من حديث صحيح
واوله اعملوا فكل ميسر لما خلق له فمن خلق سعيدا يعمل عمل اهل السعادة ومن
خلق شقيا يعمل عمل اهل الشقاوة ولذا كان التوفيق وخلق قدرة الطاعة
والخذلان خلق قدرة المعصية وقال تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق
بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره
للعسرى ولهذا التفاوت فيها ما قد اختلف السلف فيها ما في اكثر النسخ
وهي موصول اسمي او حرفي او زايدة ولذا سقطت من بعض النسخ وهو الاظهر
والمراد بالسلف من تقدم من العلما هل هذا الخلق الحسن الذي يحمد به الناس
جبلة او مكتسبة الجبلة والغريزة والطبيعة والسليقة بمعنى وهو بكسر الجيم
والباء وتشديد اللام وتخفيفها فحكى الامام المفسر محمد بن جرير الطبري عن
بعض السلف ان الخلق الحسن الذي يجمع اكثر الطبايع المحمودة جبلة وغريزة
خلقها الله في العبد وتغييره بالعبد ايما الى ان المطلوب منه تخلقه باخلاق
الله سيده وحكاه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه والحسن البصري
وبه قال هو اي ابن جرير صرح به لانه لا يلزم من حكايته اعتقاده له والصواب
ما اصلناه اي قدمناه وجعلناه اصلا وقاعدة فيما مر من ان منها ما هو
جبلة غير مكتسبة ومنها ما هو مكتسب بالتعلم والرياضة وقد تقدم
الكلام عليه وقد روى سعد اي ابن ابي وقاص رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم كل الخلال بكسر الخا المعجمة بوزن رجال جمع خلة بفتح الخا المعجمة وتشديد
اللام وهي الخصلة والصفة يطبع عليها المومن الا الخيانة والكذب وهو حديث
صحيح رواه احمد في مسنده والبيهقي في شعب الايمان وابن ابي شيبة في المصنف
عن ابي امامة رضي الله عنه ورواه ابن ابي الدنيا في الصمت عن سعد مرفوعا
وموقوفا وقال الدارقطني في العلل الموقوف اشبه وعنه صلى الله عليه وسلم كما رواه

الذهبي يطبع المومن على كل شيء الا الخيانة والكذب والخيانة ضد الامانة
وهي تشمل امورا كالسرقة وانكار الوديعة وخيانة غيره بالنظر لزوجته ونحو
ذلك والكذب معروف يعني ان هذين لا يكون طبيعة مخلوقة في المومن مطلقا
لان المومن جبلته وفطرته سليمة وهاتين الخصلتين في غاية القبح فلا يختار
اتصافه بهما وان كانت هذه الخصلة لا تقتضي كفره او المراد المومن الكامل
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال السيوطي رواه عنه سعيد بن منصور
في سننه وابن جرير وابن ابي حاتم في حديثه والجراة بوزن الجرعة وقد
تنقل حركة الهمزة للراء وتحذف وهي الشجاعة اعم منها ومقابله ما اشار
اليه بقوله والجبن بضم الجيم والباء وتخفيف النون وتسكن باوه كثيرا وهو
عدم الاقدام للخوف وضده الشجاعة واما الجبن المأكول فبتثقيل الباء
والنون وقد تخفف فكون كهذا ولذا لحن القايل
يقولون لي هلا احترزت لدى الوغى • وكنت شديد البأس في الضرب والطعن
فقلت دعوني قانعا بسلامتي • فاني ممن يأكل الخبز بالجبن
غرايز يضعهما الله حيث يشا وفي هذا وما قبله دليل لما صوبه فانه فيما قبله
جعل الخيانة غير مطبوعة وفي حديث عمر رضي الله عنه جعل الخيانة والجراة
غريزتين مطبوعتين فدل على ما ادعاه من ان منها ما هو طبيعي ومنها ما هو غير
طبيعي وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الشريفة كثيرة لا يمكن استيفا
اقسامها تفصيلا ولكنا نذكر اصولها التي تتضمن باقيها اجمالا ونشير
الى جميعها اشارة لا تصريحا وتحقيق وصفه صلى الله عليه وسلم لها ان
شا الله تعالى فانه المقصود من ذكرها فصل اما اصل وفروعها
هذا الفصل معقود لبيان اصول الاخلاق صريحا والاشارة الى جميعها
تلويحا التحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها وصيرورتها للاخلاق المذكورة
قبله وعنصر هو بضم الصاد وفتحها والاول اشهر والثاني افصح ومعناه
الاصل والمادة والعناصر اذا اطلقت يراد بها التراب والماء والهوا والنار لتركب
جميع الاجساد منها والينابيع في قوله ينابيعها جمع ينبوع وهو ما ينبع الما
منه كالعين وكلما ينفجر منه الما ونقطة دايرتها والنقطة جزء من الخط
والسطح مركب من خطوط مسطحة فاذا كان السطح مستديرا يكون في حاق وسطه
نقطة تجمع الخطوط الخارجة منها الى الخط المستدير الذي يحيط بالسطح وتسمى
فتلك النقطة تسمى مركزا وذلك السطح يسمى دايرة وكذا الخط المحيط به ويصح

ارادة كلمنهما هنا فشبه العقل الذي مبنى الاخلاق عليه بشجرة اصلها العقل
وفروعها الاخلاق وثمرها ما يظهر منها وينتفع به غيره ثم شبهه بعين
تلك الاخلاق كما بها الفايض منها ثم شبهه بنقطة في الوسط المعتدل بتساوي
جميع جوانبها والاخلاق كسطح او خط محيط بها فقال **فالعقل** وهو مشتق
اي ماخوذ من عقله اذا شده لمنعه من الحركة لانه يمنع صاحبه مما لا يليق او من العقل
وهو الملجا لالتجا صاحبه اليه وهو كما قاله الراغب يقال للقوى المتهيئة لقبول العلم
ويطلق على العلم المستفاد منه ولذا قال علي كرم الله وجهه العقل عقلان مطبوع
ومسموع ولا ينفع مطبوع اذ لم يكن مسموع كما لا ينفع ضوء الشمس وضوء العين
ممنوع وفي الحديث ما كسب احد شيا افضل من عقل يهديه الى هدى او يرده عن ردي
وقال بعض الحكما هو جوهر وقال اخرون جسم شفاف محله الدماغ او القلب
والاصح انه قوة نفسية هي منشو الادراك وليس المراد به هنا العقل العاشر
المسمى بالعقل الفعال كما قيل لان اهل الشرع لا يقولون بمثله وقوله **الذي**
يبعث منه اي ينشا ويخرج وهذا ناظر لكونه ينبوعا وقوله **العلم والمعرفة**
العلم يكون بمعنى مطلق الادراك وبمعنى ادراك الكليات والمعرفة ادراك الجزئيات
وقيل انها ما سبق بالجهل وقال البيضاوي انها تكون بمعنى العلم كما ان العلم يكون بمعنى
المعرفة كما في قوله تعالى واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم اي الله يعرفهم
والعلم بمعنى المعرفة قال الفاضل المحشي معترضا عليه صرحوا بان العلم بمعنى المعرفة
لا يطلق على الله لاقتضايه سبق الجهل وتبع فيه السيد في شرح الواقف في قوله
علم الله لا يسمى معرفة لا اصطلاحا ولا لغة اجماعا وخطاه فيه الحافظ القرافي
رحمه الله في نكته على المنهاج فقال ان امام الحرمين فسر العلم به واطلاق المعرفة
على الله ورد في الحديث وكلام الصحابة واهل اللغة والمتكلمين انتهى فاي اجماع
يخالف هذا او مثله عجيب من الشريف **وينفرع** اي ينبني ويتفرع ناظر لكونه
اصلا **عن هذا** اعداه بعن لتضمين يتفرع معنى ينشو والمعروف تعديته بعلى
وهذا اشارة للاصل الذي هو العقل **تقرب الراي** اي نفاذ رايه فيما يفكر فيه
ويدرك به عواقب الامور ومنه كوكب ثاقب اي مضيء فقوله **وجوده الفطنة**
وهي الحذق وسرعة الانتقال **والاصابة** اي موافقة الصواب فيه تفسير لتقرب
الراي **وصدق الظن** اي موافقته للواقع كاليقين كما قال الالمعي الذي نظر بك الظن
كان قد راى وان سمعا **والنظر للعواقب** اي كانه ينظر عواقب الامور ويشاهدها
كما قال وانى لارجو الله حتى كانما • اري بجميل الظن ما الله صانع •

ومصالح النفس مجرور معطوف على العواقب او مرفوع معطوف على تقرب الراي
اي ما فيه صلاح وخير لها **ومجاهدة الشهوة** اي مدافعتها ومما نعتها عما تريده
فانه جهاد اكبر واعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك **وحسن السياسة**
لغيره بامره من ساسه اذا احكم عليه وهو لفظ عربي لقوله
وكنا نسوس الناس والامر امرنا • وليس معربا كما توهمه ابن كمال في رسالة
التعريب **والتدبير** النظر في ادبار الامور وعواقبها وهو عطف تفسير لما قبله
ايضا **واقتناء الفضايل** اي اكتسابها والتحلي بها **وتجنب الرذايل** اي ترك
كل ما يذم وينقص به الانسان كالكذب والخيانة وقد اشرنا اي ذكرنا فيما تقدم
فيما اوردناه في صفاته والاشارة وان كانت تطلق على ما يقابل العبارة قد يراد
بها العبارة ايضا لنكتة الى مكانه منه عليه الصلاة والسلام الضمير الاول
له صلى الله عليه وسلم والثاني للعقل والمكان المرتبة المعنوية في الفضايل يقولون
فلان بمكان من الفضل يريدون علو رتبته وقيل المراد مكانه من العقل بمعنى
انه جايز له ومالك لامره على طريقة التجريد مبالغة في تمكنه منه ولا يخفى
ما فيه من التكلف من غير داع له **وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي لا يبلغها**
بشر سواه كما سنبينه **واذ جلالة محله من ذلك** قيل الظرف متعلق بقوله حارت
العقول الاتي في اخر الفصل اي حارت العقول وقت حلوله الى اخره او اذ
تعليلية اي حارت العقول لاجل الى اخره وقيل انه علة الاشارة الى المكان
منه وبلوغه غايته منه من اي من اجل ان جلالة محله الى اخره واذ تعليلية كما
في قوله تعالى ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم وقيل المعنى لمجرد التحقق ولا يخفى
ما في هذا كله من التكلف والذي ظهر لي انه معطوف على ما قبله لانه ليعلم من اشارته
الى مكان منه لم يبلغه غيره علو ظاهر فيه فكانه قال اذ علو قدره فيه محسوس
مشاهد واذ جلالة محله امر متحقق بالدليل القاطع فاستدل عليه بالحس والعقل ومثله يسمى العطف على المعنى وهو في القران وكلام العرب متداول
قال ناظر الجيش في شرح التسهيل في قوله
اجدك لن ترى بثعيلبان • ولا بيدان ناحية ذمولا •
ولا متدارك والليل طفل • ببعض نواشغ الوادي حمولا •
متدارك بالجر لان المعنى لست براء ولا متدارك وجعله ابو حيان من العطف
على التوهم كقوله مشاميم ليسو مصلحين عشيرة • ولا ناعب الا بين غرابها
والاولى انه من العطف على المعنى وفرق بينه وبين العطف على التوهم وفيه

كلام وقد بيناه في نكت المغني وقوله من ذلك اشارة للاصل ولو سلما صحة تعلقه
بقوله حارث كان مقطوعا على ما قبله ولا وجه له **وما يتفرع منه** من الاخلاق
الشريفة وثمراتها **متحقق** لا ريب فيه لتواتره بحسب المعنى **عند من تتبع**
اي علم فعبر بالسبب عن مسببه كما قالوه في تتبع خواص التراكيب **مجاري احواله** جمع
مجرى او مجرى بالضم واصله مسيل الماء والمراد ما جرت به عادته في احواله ولا
يخفى لطفه مع ملاحظة قوله اولا ينابيعها فانه جار على مجراها ومنحدر اليها
واطراد سيره الاطراد افتعال من الطرد وهو الجري خلف شيء من صيد او غيره ومنه
مطاردة الفرسان في الميدان ومناسبته للسير وان كان المراد بها مطلق الصفات
لانها تختص بالفرد وقيل المراد بحال اطرادها ليوافق قوله مجاري احواله
اي محال جريانها والاطراد مصدر اطرد الشيء تبع بعضه بعضا فجرى والانهار
تطرد اي تجري ومنه الاطراد البديعي لسرد اسما الممدوح وآبائه مرتبة والمعنى
جرى سيره في جداول الكتب منسجمة فهو استعارة ووجه الشبه فيها الكثرة
ولا يخفى ما فيه من البعد **وطالع جوامع كلامه** اما جمع جامع والمراد الكتب
الجامعة للحديث الشريف او كلماته الجامعة للحكم التي تتحير فيها عقول البلغا
والحكما وحسن ثمايله بالجر معطوف على كلامه وهي جمع شمال بمعنى الخلق والصفة
فالمومى احرز من شماليا اى من خلق وعادتي وبدايع سيره اي سيره البديعة وسقى
ان يراد بها كتب السير حتى لا يكون مكررا مع ما مر **وحكم حديثه** بكسر الحاء وفتح
الكاف وهي القول المصيب عرض الحق والحديث معروف **وعلمه بما في التوراة والانجيل**
والكتب المنزلة بالتشديد والتخفيف على الانبيا عليهم الصلاة والسلام كالزبر
والصحف اي على علمه بذلك والتوراة اجل الكتب المنزلة قبل القرآن واصلها
ووريه ابدلت الواو تاء ووزنها تفعلة بفتح العين او كسرها وقيل وزنها
فوعلة والانجيل بالكسر وقد تفتح من النجل وهذا امر تقديري ليجري عليه
احكام الالفاظ العربية اذ الاشتقاق لا يجري في غير كلام العرب **وحكم الحكما**
جمع حكمة اى ما لهم من الحكم في كلامهم فانهم كان لهم اعتنا بذلك وقد مر انه جمعها
ابن مسكويه في كتاب كبير سماه جاودان خرد وقد طالعته فرايت اكثره وردة
في الاحاديث الشريفة ولكن اين الثريا من الثرى فان رونق الالفاظ النبوية
لا يمكن مضاهاته **وسير الامم الخالية** اي ما وقع في زمنهم من الاحوال كما كان صلى الله
عليه وسلم يحدث عن بني اسرائيل وما كان من عجايبهم **وايامها** اي وقايعها
في حروبها ومجادلاتها فان الايام شاعت لهذا المعنى كما يقال يوم حليمة ويوم قيا

وهو

وهو اطلاق شايع صار حقيقة فيه ومما قلته مشيرا لهذا
تمنيت من دهري زمان نشاتي ٭ زمان به طيف السرور كاحلامي
فجا بابا مر على اثر ما مضى ٭ ولكن حروب قد تسمت بايام
وضرب الامثال الامثال جمع مثل وهو كلام شبه مضربه بمورده الذي وقع
فيه الاستعارة من ضرب الخاتم او اللبن كما حققه اهل المعاني والتفسير وهو
مما يعتنى به البلغا لكشف المعنى الممثل له وابرازه في صورة المشاهد
الى غير ذلك والامثال النبوية افردت بالتاليف **وسياسات الانام** السياسة
ضبط امور العامة باللسان والسنان وتدبير احوالهم وليس المراد حسن المراءاة
كما قاله التلمساني والانام الخلق وقيل الانام عبارة عما يعتريه النوم او الانس والجن
او ما على وجه الارض من الخلق فيختلف بحسب ما يضاف اليه **وتقرير الشرايع**
اي بيان ما يتعلق باحكام الشرع في المعاملات وغيرها **وتاصيل الاداب**
النفيسة اي بيان اصول الاداب التي تتادب بها الناس في مجالسهم ومحا
كقوله صلى الله عليه وسلم اكرموا عزيز كل قوم وتنبيه عن الملاحاة والمجادلة
كما مر وقوله تماروا وتحابوا وسماها نفيسة لانها مما تتنافس فيها المتنافسون
والشيم الحميدة جمع شيمة وهي العادة قالوا الانصاف من شيم الاشراف اي عاط
والحميدة بمعنى المحمودة مضمومة ما مر ذكر الى **فنون العلم** التي كانت في الامم السالفة
كالطب وغيره مما لم ترد عنه الشرع **التي اتخذ اهلها كلامه عليه الصلاة**
والسلام فيها قدوة اقتدوا به فيها واستدلوا به عليها واشاراته في اثنا كلامه
بها حجة دليلا عليها كالعبارة بفتح العين بضبط القلم والمحفوظ فيه كسرها
كما قاله البرهان الحلبي وذكر الازهري والجوهري الا انه لم يضبطه والذي
في النسخ كسر العين بمعنى تفسير الرويا وهو على قسمين في الرويا الصحيحة
لانها على ثلاثة اقسام ورويا ظلمة من الشيطان ومن عوارض بدن الانسان
كمن غلبت عليه الحرارة فراى نارا توقد عنده او البرودة فراى ماء وبحرا او
اكل ما كل غليظة سوداوية كالباذنجان فراى سوادا ويسمى اضغاث احلام
ولا تاويل لها وكذا من غلب فكره في شيء فراه كما قال المعري
الى الله اشكو انني كل ليلة ٭ اذا نمت لم اعدم خواطر اوهامي
فان كان شرا فهو لا بد واقع ٭ وان كان خيرا فهو اضغاث احلام
ورويا من الله يريها له ملك الرويا عند اهل الشرع او تذكرها الروح اذا
انقطعت عنها علايق البدن واتصلت بالملا الاعلى فتلقيها الى القوة المتخيلة

تم

فترتسم في الحافظة وتبقى مشاهدة فيما حتى يستيقظ فان كانت النفس قدسية والقوى
قوية وقع ما رأينه بعينه ولم يحتج للتاويل وهو الاكثر في رويا الانبيا عليهم
الصلاة والسلام ومن كان على سننهم ولذا اراد الخليل عليه الصلاة والسلام ذبح ابنه
ولم يأول رويا بالفداء حتى امره الله به والا فتاول بما يناسبه معنى او لفظا
او محاكيه صورة وفعلها عبر بالتخفيف يعبر بالضم عبارة بالفتح كعلاقة
وظلامة او عبارة كرسالة وقد تشدد فيقال عبر تعبيرا قال في الكشاف
في سورة يوسف رايتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والعبر وقد عبرت
على بيت انشده المبرد في الكامل يدل على ذلك وهو

رايت رويا ثم عبرتها ... وكنت للاحلام عبارا

انتهى هذا ما ذكره من يوثق به في اللغة كالجوهري وصاحب القاموس
وغيره وقال في عمدة الحافظ العبارة بكسر العين تختص بالكلام لعبور
الهوا من لسان المتكلم بسمع السامع ولا يستعمل في تفسير الرويا انتهى يعني
انما فيه مفتوحة لا غير وانه انكر هذا اللفظ مطلقا واساسمعا فسامما
جاء به ثم جا من بعده وضاربه مضاربة العميان فقال انه كلام ضعيف
مردود فلم يقف على المراد ولم يات بما يدفع الايراد فاخطا في المعنى والعبارة
واما تحقيق معنى الرويا فليس هذا محله ولعل النبوة تقضي اليه في بحث
النبوة وقد افردنا له تعليقه والطب وهو مثلث الطا الا انه لم يستعمل
فيما نحن فيه الا بالكسر والمراد به علم يتعلق ببدن الانسان من حيث الصحة
والمرض وهو من علوم الاوايل والعرب به اعتنا وقد افرد الطب النبوي بالتالف
والحساب بكسر الحا مصدر حسب بمعنى عد ثم صار علما لعلم يعرف به احوال
المقادير وهو من العلوم الرياضية القديمة والفرايض ذكره بعد الحساب
لتوقفه عليه وهو علم يعرف به احوال المواريث وهو جمع فريضة بمعنى
مفروضة لان الله فرضه وهو من العلوم الاسلامية واطلاق هذا اللفظ
عليه بعد نزول القران ومعناه ظاهر والنسب اى معرفة انساب الناس
من آدم عليه الصلاة والسلام الى كل عصر وهو من علم التاريخ وكانت العرب
تعتني به وهم اعلم الناس به بعد النبي صلى الله عليه وسلم الصديق رضي
الله عنه وهو من نسبت الرجل اذا عزوته لابيه ومناسبته للفرايض ظاهرة
وهذه العلوم كلها شرعية وفرض كفاية لا سيما الفرايض والانساب فان النبي
صلى الله عليه وسلم امر بالمحافظة عليها ولعن من انتسب لغير نسبه فقال من

خرج من نسبه وانتمى لغير قبيلته فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
كما نقله التلمساني وغيره لذلك مما سنبينه في معجزاته صلى الله عليه وسلم في ابوابه
ان شا الله تعالى وقد حصل له صلى الله عليه وسلم ذلك دون تعليم من احد
من البشر والظرف متعلق بقوله علمه السابق ولا مدارسة من درس الكتاب
اذا قراه وحفظه اى لم يعرف باخذ من الافواه وحفظه لشي من العلوم عن غيره
ولا مطالعة كتب يقال طالعت الشي اذا اطلعت عليه اى لم يطلع على شي من الكتب
بقراتها او سماعها لانه صلى الله عليه وسلم كان اميا بين قوم اميين لم يره احد
قرا ولا تعلم ممن قرا واستعمال المطالعة بمعنى القراة وهو مجاز مشهور قريب
من معناه اللغوي من تقدم ركبت الانبيا عليهم الصلاة والسلام والحكما ولا
الجلوس الى علمايهم اى لم يعرف احد انه لم يعرف انه جلس عند احد ممن يعلم كتب
ممن تقدم ليا خذها عنه والضمير لمن باعتبار المعنى فكذلك الذي حصل
له صلى الله عليه وسلم انما هو علم لدني في غير مكتسب من احد من البشر واما قوله ولقد نعلم
انهم يقولون انما يعلمه بشر كذب محض يشهد العيان ببطلانه وقد تولى الله هـ
بكذبهم في ذلك كما هو مبسوط في التفسير بل هو صلى الله عليه وسلم نبي امي لم
يعرف بشي من ذلك التعلم والمدارسة والمطالعة والمجالسة اي مبنيا عن الله هـ
او مبنيا لا عن مخلوق والامي منسوب الى الام لانه كيوم ولدته امه او الى الام القرى
او امة العرب لان القراة والكتابة كانت عزيزة فيهم والامي الذي لا يكتب ولا يقرا والكتب
وقيل هو الذي لا يكتب ومما شرحناه علمت مناسبة ذكر النبي هنا وفي الحديث انا امة
امية لا نحسب ولا نكتب اي على حيلتنا لم نتعلم حسابا ولا كتابة فلا يتاتى لنا ما من علمه
صلى الله عليه وسلم بالحساب حتى شرح الله صدره اي وسعه ونوره بالعلم والحكمة
وهداه لكل خفي من العلوم وابان امره اي اظهر امره في العلم للناس بايانه الظاهرة
ومعجزاته الباهرة واقامته الحجج المتواترة وعلم من لدنه العلوم المعهودة وغيرها
واقراه اى اقدره على القراة بما القاه او بما اوحاه اليه بواسطة الملك والاسنا
مجازي او التجوز في الطرف كقوله سنفرغ لكم فلا تنسى يعلم بالبنا للمجهول ذلك
اي ما بلغه صلى الله عليه وسلم من العقل والعلم من غير تعلم بالمطالعة اي
بالاطلاع على سيره صلى الله عليه وسلم وشمايله من كتب الحديث والبحث عن حاله وفي
نسخة من حاله بالسوال وغيره ضرورة منصوب بنزع خافض متعلق بيعلم اي
من وقف على احواله صلى الله عليه وسلم علم ذلك بمجرد التفات الذهن اليه من غير
احتياج الى دليل وبالبرهان القاطع على بنوته صلى الله عليه وسلم نظرا اى ويعلم ذلك

نخ
ابان امره وعلم واقراه

ايضا بالبراهين القاطعة الدالة على نبوته لمن نظر فيها فقوله بالبرهان معطوف
على قوله ضرورة وعلى نبوته حال من البرهان ونظرا تمييز والنظر اصله تقليب
البصر للادراك ثم استعمل في التامل والفحص والمعرفة الحاصلة منه والاستدلال
وهو المراد هنا اى من نظر في دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم علم قوة عقله وانه لحاله
بعلوم لا نهاية لها فلا نطول بسرد الاقاصيص السرد تعداد امور من القصص
ونحوها متتابعة متوالية مستعار من سرد الحلق الدرع وخيوط الشبح والاقاصيص
جمع اقصوصة كاعجوبة بمعنى قصة او جمع قصص على خلاف القياس كما قاله التلمساني
يقال قص واقتص بمعنى اخبر والقصص اسم مصدر وقيل انه يحتمل ان يكون
جمع اقصاص جمع قصص كانعام واناعيم في جمع جمع نعم الا انهم تركوا استعمال
اقصاص فانه لم يسمع وفيه تكلف لا يخفى واحاد القضايا احاد بمد الهمزة جمع
احد بمعنى مفردا تمها وفي العباب سيل ابو العباس عن الاحاد هل هو جمع للاحد
فقال معاذ الله ليس للاحد جمع ولكن ان جعلتها جمع الواحد فهو محتمل كواحد
كشاهد واشهاد وليس للواحد تثنية ولا لاثنين واحد من جنسه انتهى
والقضايا جمع قضية وهي الجملة من الكلام الدالة على معنى من الاحكام وهي قريبة
من قول اهل الميزان القول المحتمل للصدق والكذب كالخبر فهو اخص من الكلام
الدالة على معنى من الاحكام وهي قريبة والجملة وزيفا فعالى عند الكوفيين
وفعائل عند البصريين او مجموعها اى جميع قصصه وقضاياه ما لا يأخذه
حصر اى ضبط واصل معنى الاخذ حوز الشي وتحصيله ثم استعمل بمعنى الغلبة
والقهر كقوله لا تاخذه سنة ولا نوم كما مر وهذا هو المراد هنا وجعل مجازا
او كناية عن انه لا يمكن حصره وكذا قوله ولا يحيط به حفظ جامع اي لا يحفظ
والاحاطة الاخذ بجوانب الشي واريد به ما ذكر وبحسب عقله قال البرهان هو
في الاصل بسكون السين وينبغي ان يفتح اي بقدر عقله وادراكه وقد جوز فيه
السكون لكنه ضرورة والذي في القاموس هذا بحسبه اي بعدده وقد تسكن
ولم يخصه بالضرورة كانت معارفه صلى الله عليه وسلم جمع معرفة اي علومه
الى سايرما علمه الله واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان اي مضمومة الى جميع
او باقي ما اطلعه الله عليه مما تقدم في الكون من احوال الامم الخالية وكتبهم وشرايعهم
وما اطلعه الله عليه من المغيبات التي ستاتي ولما كانت جلالة قدره بواسطة
علمه بما يكون اقوى منها بواسطة علمه بما كان قدم ما يكون في المستقبل على ما كان
في الماضي مع سبقه انضماما بشانه ومقتضى الترتيب العكس وعجايب قدرته

وعظيم

وعظيم ملكوته مجرور معطوف على علم والمراد ما اطلعه الله عليه في الاسراء من
خلق الملايكة والسموات واقداره على ذلك في برهة من الزمن وقد مر ان الملكوت
مبالغة في الملك كالرحموت والجبروت ويطلق ويراد به عالم الامر ويقابله الملك
قال الله تعالى وما يضرونك من شي وانزل الله عليك الكتاب
والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما اى علمك ما لم
يكن من شانك وفي قدرتك علمه كالمغيبات والاطلاع على احوال الملكوت ولذا
امتن عليه صلى الله عليه وسلم بانه فضل عظيم فضله به على مخلوقاته تعالى
لانه كقولهم ما يكون ذلك ان تفعل كذا اى لا ينبغي ولا يليق او لا يصح ولا
يمكن ولذا ختم الاية بهذه المنة دون قوله في الاية الاخرى علم الانسان ما لم
يعلم لانه يبقى السوال حينئذ على الاية الثانية بانه اي فايدة في ذكر هذا
المفعول والتعليم معلوم انه لا يكون الا لغير المعلوم وقال في عروس الافراح بعد
ما ذكر ان لم النافية يجوز فيها اتصال النفي وانفصاله وانهما اجتمعا في قوله وعلمك
ما لم تعلموا انتم ولا اباوكم وفايدة المفعول في قوله وعلمك ما لم تكن تعلم فان
الانسان لا يعلم الا ما لا يعلم التصريح بذكر حالة الجهل التي انتقلوا عنها فانه اوضح في
الامتنان انتهى وفي حاشيته السيراي على المطول ان الشارح قال في بعض دروسه
الاولى ان يقول ما لم يكن يعلم كما في قوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم اذ لا فايدة
في ذكر المفعول اذ التعليم انما يكون لما لم يعلم ولم يكن فيه اشعار بانه لو لم يعلمه لم
يحصل العلم لخفايه على غير علام الغيوب وهو بعيد اذ ربما يتوهم حصوله من غير
تعليمه تعالى ورد بانه كقوله تعالى علم الانسان ما لم يعلم الاية فالاولى
ان يحمل ذكره على افادة العلوم لانه ليلا يتوهم اختصاصه ببعض الافراد كقوله
وما من دابة في الارض ولا طاير يطير بجناحيه للتاكيد فتذكر لكن قوله من
البيان يابا باه ويحتمل انه ذكر للسجع انتهى اقول هذا كله كلام سطحي
والذي ظهر لي في الاية ان جملة علم الانسان ما لم يعلم مفسرة للصلة وما الموصو
عبارة عن الكتابة والقراة فانه لما قال له صلى الله عليه وسلم اقرا فقال ما انا
بقاري سوا اريد النفي او الاستفهام قال له كيف لا تقرا وقد ربك اكرم تفضل
على عباده بنعم اجلها ان كل انسان كان اميا مثلك في ابتدا امره فعلمه الكتابة
وقرانما بالقامه فكيف لا يعلمك وانت اعزهم عليه واقواهم بصيرة فاي
فايدة اتم من هذه وكل فعل متعد بدل على فاعل ومفعول ما التزاما ولذا
لم يعد ضرب ضارب وضرب المضروب فان اريد عموم او خصوص افاد هنا علم انه

شبكة الألوكة www.alukah.net

لو قال ما لم يكن تعلم او عقبه بما عقب به تلك الاية لم يصادف محزه وما قيل
من انه لم يكن الكون في هذه الاية وذكره ثمة لانه ورد في نعام حال عن اعتبار القوة م
والاجتهاد ولا يناسبه ذكر الكون المؤذن بما بخلاف تلك ويويده قول الكرماني
وما كان الله ليضيع ايمانكم ان كان ذكرت للتاكيد لان معناه كما في الكشاف ما صح
ويعني به نفي امكان الاضاعة وهو ابلغ من نفي الاضاعة نفسها ومنه يعلم
السر في انه اورد في قوله وعلمك ما لم تكن تعلم بقوله وكان فضل الله عليك عظيما
ولم يرد في هذه به لما في الاول من المبالغة والتاكيد انتهى قد علمت ما فيه مما
تقدم وقوله حارت العقول في فضله عليه في تقدير المذكور في هذه الاية
لانه لا يمكن الوقوف عليه وكذا وصفه بانه عظيم ونكره وما يكون عنده تعالى عظيما
كيف يعلمه سواه وخرست الالسن دون وصفه بحيط بذلك الفضل وما لا يدرك
كيف يوصف وفي قوله خرست دون سكتت وصمتت مبالغة لانه يقتضي سلب
القوة الناطقة ثم ترقى فقال او ينتهي اليه او كيف بحيط بما لم يصل اليه و

فصل واما الحلم اي حلمه صلى الله عليه وسلم وهو ضبط النفس والطبع
عن هيجان الغضب وعدم اظهاره والاحتمال هو افتعال من الحمل وهو يكون على
الظهر وفي البطن ففرق بينهما لفظا ثم استعمل في التكليف كقوله لا تحملنا ما لا طاقة
لنا به والصبر على المكاره وعدم التاثر منها كما في المالا يحمل الخبث وهو المراد هنا
والعفو عدم المواخذه بالذنب ونحوه وهو قريب من المغفرة وبينهما فرق مع
القدرة وفي نسخة القدرة بفتح الدال وضمها وميم مفتوحة مصدر ميمي بمعنى
القدرة ومن كلامهم القدرة تذهب الحفيظة اي الغضب والحمية والصبر على
ما يكره وكان صلى الله عليه وسلم من هذا بمرتبة لا تدرك وبين هذه الالقاب
اي بين مسميات هذه الالقاب فرق يتميز بها عن غيره واحتاجت الى
الفرق لتقارب معانيها والمراد باللقب اللفظ الجامد الدال على صفة لا ما اصطلح
عليه النحاة وهو كما قال الراغب ما يسمى به الانسان غير اسمه الاول ويراعى
فيه المعنى بخلاف الاعلام فان الحلم حالة توقر بفتح المثناة الفوقية وضم القاف
المشددة اي اظهار الوقار وهو السكون يقال هو قور ووقار ومتوقر اي
ساكن غير مضطرب وثبات عند الاسباب المحركات كالغضب قيل ولا بد من
اعتبار كون هذا بسهولة حتى يخرج التحلم وان كان بعد الاعتياد يصير كذلك
والاحتمال الحبس النفس عند ورود ما يقتضي اهانة من الالام بمد الهمزة جمع الم
وهو ما يولم في اي عضو كان والموذيات بالهمز والواو والذال المعجمة جمع موذية

والاذي

والاذي كل ما يناذى به والمراد بحبس النفس ضبطها حتى تخضع لسلطان
العقل ونظمين لما يامرها به وفي نسخة العزفي رواية كما قال التلمساني المرديات
بالراء والدال المهملتين من الردى بمعنى الهلاك ومثلها قيل المراد مثل المذكو
وقيل المراد مثل الاحتمال وانت ضميره باعتبار انه حال ولو قال ومثله كان
احسن واسلم من التكلف الصبر فان معناه لغة الحبس ومنه قتله صبرا اذا
لعكسه ليقتله في غير قتال وهذا يويد ارجاع الضمير للاحتمال لان ومعانيها
متقاربة قال الراغب الصبر الامساك في ضيق وحبس عما يقتضيه العقل او الشرع
او عما يقتضيان حبسه عنه فالصبر لفظ عام وربما خولف بين اسمايه بسبب
اختلاف مواقعه فان كان حبس النفس لمصيبة سمي صبرا لا غير ويضاده الجزع وان
في محاربة سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان في نايبة تضجره سمي رحب الصدر
ويضاده الضجر وان كان في الكلام سمي كتمانا ويضاده الذل انتهى ومنه تعلم
ان له معنيان خاص وعام فلو حمله المصنف على الخاص غابر احويه وهو الاولى
واما العفو فهو ترك المواخذه بالهمز وبالواو وغيره فصيحة وهي الجزاء على ما
فعل غيره قبلا وفي تفسيره بالترك اشعار بانه لا يكون الا عن قدرة لان من لا يقدر
عاد ما لا تارك فتقييده به اولا للتاكيد كنظر بعينه كقوله
وان في الحلم لا انت عارفه والحلم عن قدرة فضل من الكرم
لانه ان لم يكن عن قدرة فهو عجز وما احسن قول ابن زيدون
ارى الدهر ان يبطش فانك بمينه وان تبسم الدنيا فانت لها تعمر
غطا ولامن ولاحكم ولاهوى وحلم ولاعجز وعز ولاكبر
وهذا كله مما ادب الله به نبيه صلى الله عليه وسلم اي اداب ومحاسن علمها
الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وارشده بعدما خلقه فيه استعدادا تاما له كما
قال ادبني ربي فاحسن تاديبي وهو احد الحكم في كونه صلى الله عليه
وسلم توفي يتيما حتى يعلم ان ربه مربيه من غير حاجة لامه وابيه فقال
خذ العفو وامر بالعرف الاية وتمامها واعرض عن الجاهلين وهذه الاية
جامعة لمكارم الاخلاق اي نعاط العفو عن الناس وترك مواخذتهم وفي
عدوله عن اعف الاظهر الاخصر نكتة يعرفها من له المام بالادب كما ان في
قوله وامر بالعرف دون افعل اشارة الى انه منصف به مركوز في جبلته ومن
تامل مثله استخرج منها فوايد لا تحصر ومنهم من فسر العفو بالمساهلة وترك
المواخذة والبحث مقدار الاخلاق فامره باخذ ما سهل من اخلاق الناس وافعالهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من غير كلفة وطلب لما يشق واعترض عليه بانه غير مناسب لقوله وروى ان النبى
صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه هذه الاية وهذا الحديث كما قاله السيوطى
رواه ابن جرير وابن ابى حاتم وابو الشيخ فى تفاسيرهم وابن ابى الدنيا
فى مكارم الاخلاق ووصله ابن مردويه من حديث جابر رضى الله عنه وعزاه الشيخ
قاسم للبخارى عن عبد الله بن الزبير فى قوله خذ العفو واعرض الى آخره انه قال
ما انزل الله هذه الاية الا فى اخلاق الناس وله فى رواية اخرى تعليقا عن عبد الله
قال امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يأخذ العفو من اقوال الناس او من اخلاق
الناس واما قوله واعرض عن الجاهلين اى عن معايبهم وعثارهم فان كان شاملا
لمدارأة الكفار فهو منسوخ بآية السيف وان كان امرا بمكارم الاخلاق وعدم
مقابلة من سفه فليست منسوخة قيل وتعين هذا ما رواه البخارى
من ان عيينة ابن حصن استأذن له الحر بن قيس بن عمر رضى الله عنه فى
الدخول فدخل عليه وقال له يا ابن الخطاب اما تعطينا الجزل وتحكم بيننا
بالعدل فغضب عمر رضى الله عنه حتى هم ان يوقع به فقال له الحر يا امير المومنين ان الله عز
وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم خذ العفو الاية وان هذا من الجاهلين
فما جاوزها عمر رضى الله عنه وكان وقافا عند كتاب الله فهذا يدل على انها
غير منسوخة وليس كما قال فانه يجوز ان يكون استشهد بها لشمولها
غير الكفار لان هذا هو معناها فقط سأل النبى صلى الله عليه وسلم جبريل
عليه الصلاة والسلام عن تاويلها اى تفسيرها وبيان المراد منها
فانه احد معنيي التاويل فقال له حتى اسأل العالم يعنى الله عز وجل
والعالم كالعليم من اسماء الله ويوصف بها غيره تعالى اما الاول فظاهر واما
الثانى فى حق الله فظاهر واما فى غيره فكقوله
فان تسالونى بالنساء فانى * عليم باوصال وفى النساء طبيب
والثانى فى حق الله اشهر وقيل المراد بالعالم الكامل فى العلم كما فى قوله
ذلك الكتاب فيختص به فانه مساو بهذا المعنى للعليم واما العليم فاطلاقه
على غير الله لم يسمع والشعر المذكور لابن الوردى وهو من المتاخرين لا يستدل
به وهذا الحديث يكفى شاهدا لاطلاق العالم على الله فهو كاف فى ثبوته اقول
هذا عجيب من مثله وفيه من الخلط ما لا يخفى اما قوله ان الشعر المذكور لابن
الوردى فافتراء عليه لانه شعر فصيح لبعض العرب وهو مذكور فى الشواهد
واما استدلاله على العالم بالحديث وهو مذكور فى القرآن كقوله عالم الغيب والشهادة

فما يقضى

فما يقضى منه العجب ومنه واما قول جبريل عليه الصلاة والسلام حتى
اسأل العالم دون اسأل الله فكانه تأدب منه لانه علم انه لا يسأل الله بالذات
فكان بينه وبينه واسطة اى من هو عالم بالتفسير وفيه ارشاد لمن
سئل عن شئ لا سيما القرآن فينبغى ان يبثت فيه وفى جبريل تسع لغات
جبريل بكسر الجيم وجبريل بالفتح وجبريل بالهمز مفتوحا بالفتح ممنوعا
مشدد اللام وجبرايل بهمزة بعد الالف وجبريل مفتوحا بهمزة بلا الف
وياء وجبريل وجبرين بنون وفتح الجيم وكسرها وفيه لغات اخر وقال
الجوهرى والازهرى وكثير من المفسرين فى جبريل وميكاييل ان جبر
وميك معناهما عبد وايل وال اسم الله وقال ابو على الفارسى هذا خطا
لان ال لم يذكر احد انه من اسمايه تعالى ولانه لو كان كذلك كان عبد الله يلزم
اخره خالة واحدة ولا يجوز بحسبه العوامل قال النووى وهو الصواب
ولا يخفى ما فيه فان ال اذا كان اسما لله فهو سريانى فلا يأباه عدم معرفة
العرب له واما اعرابه فلانه لما عرب غيرعما كان عليه وجعل اسما واحدا ولذا
ارجعوه لاوزانهم والعرف هو الخصال المحمودة لا العرف الشرعى كما توهم
فاتاه الفاء فصيحة اى انفصل عنه وفارقه فاتاه فقال يا محمد ان
الله يأمرك ان تصل من قطعك الظاهر ان المراد به صلة الرحم والرحم بمعنى
القرابة وصلتهم بالاحسان اليهم وفعل الجميل وقوله كالهدية والزيارة
وارسال السلام ونحو ذلك وضده قطع الرحم ويحتمل التعميم لتعليم الخلق
وترك التهاجر المنهى عنه كما فى قوله وتعطى من حرمك يقال حرمه واحرمه
بمعنى اى احسن الى من لم يحسن اليك وهذا ارشاد له صلى الله عليه وسلم
ولامته وان كان لا يرجو غير الله واحسانه وتعفو عمن ظلمك هذا
معنى قوله خذ العفو وما قبله يعنى وامر بالعرف ولم يتعرض لقوله واعرض
عن الجاهلين اما لظهوره او للاشارة الى انه فى معرض النسخ اولان المراد بالجا
من قطع وظلم وهذا اشارة الى اصول الاخلاق واعظمها ولحبها الى الله
تعالى فتدبر وقال له واصبر على ما اصابك الاية وهذه الاية
من وصية لقمان لابنه اذ قال له يا بنى اقم الصلاة وامر بالمعروف
وانه عن المنكر كما قصه الله فى كتابه الكريم وكلما قصه الله من قصص
الانبياء عليهم الصلاة فهو ارشاد لنبينا صلى الله عليه وسلم ولامته فكانه
مما امر به ابتدا فلا يتوهم انها ليست فى حقه اى اذا امرت بمعروف ونهيت عن منكر

هلين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

واصابك بسبب ذلك مكروه فاصبر له وقال فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل
قال العز بن عبد السلام اولو العزم اولو الجد والجهد والصبر وهم المامورون
بالجهاد او الرسل من العرب وقيل من لم تصبه فتنة وقيل من اصابه بلاء
بغير ذنب وهم نوح وابراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ابراهيم وموسى
وداود وسليمان وعيسى ومحمد وقيل هم المذكورون في الانعام في قوله
اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده الا يونس كقصة الحوت انتهى ولا يبقى
عند محمد صلى الله عليه وسلم هنا لقوله كما صبر وهم كلهم من الرسل وقد علمت
انه اختلف فيهم فقال مجاهد هم خمسة وهم اصحاب الشرايع وقيل ثلاثة
وقيل ستة وقيل جميع الرسل اولو العزم وقيل كل الانبيا عليهم الصلاة والسلام
اولو عزم الا يونس لتخليبه والفاء في قوله فاصبر فصيحة لان قبلها ويوم
يعرض الذين كفروا على النار اى اذا كان عاقبة الكفرة ما ذكر فاصبر وقد
صبر صلى الله عليه وسلم مثل صبرهم وزاد عليهم ومن في من الرسل بيانية
او تبعيضية والخلاف دائر على تفسير العزم بالصبر كما هو ظاهر الاية
او الجد والاجتهاد او الجهاد وقال وليعفوا وليصفحوا الاية الا تحبون
ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم العفو عدم المواخذة بالذنب
والصفح الاعراض عنه وعن ذكره لان من اعرض عن شئ ولاه صفحة عنقه
وهذه الاية وان نزلت في الافك وفي حق ابي بكر رضي الله عنه اذ كان
ينفق على مسطح لقرابته منه فلما خاض في الافك آلى ان لا ينفق عليه فقال
الله ولا يأتل اولو الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى القربى والمساكين
الى اخره فقال ابو بكر رضي الله عنه بلى والله انى لاحب ان يغفر الله
لى وعاد الى انفاقه عليه يرد على المصنف ان هذه الاية ليست في حقه
صلى الله عليه وسلم وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور اى من
اهم الامور التي ينبغي التصميم والعزم عليها واللام موطية للقسم ان
قلنا ان من شرطية او لام ابتدا ان قلنا انها موصولة كما فصله المعربون وهذه
الاية مع ما قبلها كما علمت نزلت في ابي بكر رضي الله عنه وقد شتم بعض
الانصار واستشهد بها المصنف على انه صلى الله عليه وسلم كان اخذا
بذلك معتمدا عليه ولا خفا مما يوشر من حلمه واحتماله الباء بمعنى في ويوشر
بمعنى ينقل ويروي من حلمه وتحمله للاذى فانه شايع غير خفي على احد
وان كل حليم اي ولا خفا ان كل حليم غيره صلى الله عليه وسلم قد عرفت

منه زلة بفتح الزاي المعجمة وهي الخطيئة والسقطة قال الشاعر
قفي لا تزلي زلة ليس بعدها ... حفوف وزلات النساء كثير
وحفظت عنه هفوة بفتح الهاء وسكون الفاء وهي قريبة من الزلة
معنى وقال التلمساني هي بالفاء وهو اكثر وبالقاف وهي السقطة
وهو غريب منه وهي من هنا بمعنى زل وسقط او تحرك واسرع وهو
صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف الجاهل
الا حلما جملة حالية اي مع انه لا بد من الزلة والهفوة في الغضب والمكاره
فهو صلى الله عليه وسلم لا يزداد مع ذلك الا صبرا وحلما والمراد بالجاهل
ليس ضد العالم وان كان اشهر معنييه بل هو السيئ الخلق المجازف في امره
قال الشاعر الا لا يجهلن احد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا
فالجهل بهذا المعنى خلاف الحلم ويتعدى بعلى وقد تترك تقديرا
كقول الحماسي وبقضي الحلم عند الجهل للذلة اذعان وقال بعض الحكما لا يعدم
سب الجهول لك وجراة السفيه عليك على الاجابة له وفوره عليه حلم يغني
صبرك خير من سفه يشفي صدرك وهو مما يدل على مغايرة الحلم للصبر وان
كان مقاربا له كما مر وهذا هو المعروف عند العرب في الجهل والاسراف بمعنى
الزيادة ومجاوزة الحد حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن علي الشعلبي وغيره
هو محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمد بن برنة غسلين الشعلبي بفتح
المثناة الفوقية وسكون الغين المعجمة منسوب لثعلب اسم قبيلة سميت باسم
ابيهم كتميم ولامه مكسورة بفتح في النسب استيحاشا من توالي كسرتين
وباول سنة تسع وثلاثين واربعماية ومات يوم الخميس لثلاث بقين من
المحرم سنة ثمان وخمسماية ودفن يوم الجمعة بعد صلاة العصر وكان فقيها
ثقة تولى القضاء في ايام المرابطين ولاه يوسف بن تاشفين فسار باحسن
سيرة وبقي فيها مدة عمره وسمع من شيوخ الاندلس واخذ عنه المصنف في رحلته
لقرطبة قالوا حدثنا محمد بن عتاب بفتح العين المهملة وتشديد المثناة
الفوقية والف وباء موحدة وهو ابن محسن الجذامي المحدث الفاضل توفي ليلة
الثلاثا لعشر بقين من صفر سنة اثنين واربعماية قال حدثنا ابو بكر بن واقد
وغيره هو يحيى بن عبد الرحمن بن واقد بالقاف والدال المهملة علم منقول من
الواقد بمعنى القادم قال ابن سهل في احكامه كان ابن واقد فقيها في اصحاب
ابن زرب ثم سقط بعد موته والزم داره ثم اعاده المنصور بن سليمان الى مرتبته

كان

وجعل اماما بجامع الزهراء وقعت له امور اقتضت موته في الحبس ودفن
بمقبرة الربض سنة خمسين واربعمائة وانتقض الله من قاتله بعد ايام وفي
بعض الحواشي انه وقع هنا في اصل السماع واقد بالفاء وفيما سياتي في كيفية
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واقد بالقاف وهو الصواب والاول هو
الذي صححه البرهان الحلبي والتلمساني قال فنا ابو عيسى هو الليثي واسمه
يحيى بن عبيد الله بن ابي عيسى يروى عن ابيه عبيد بن يحيى توفي لعشرين
مضين من رمضان سنة ثلاث وثلاثين ومائتين قال حدثنا عبيد الله قال
البرهان الحلبي هو ابو مروان عبيد الله بن يحيى بن يحيى بن كثير قال حدثنا
يحيى بن يحيى قال البرهان الحلبي هو يحيى بن كثير الليثي مولاهم البربري
الصمودي القرطبي الفقيه ابو محمد عالم الاندلس لم يخرج له في الكتب الستة
شيء والموطا مشهور به وموطاوه اصح نسخ الموطا وقد سمعته بحلب واقراته
بالاسكندرية اما الذي له ذكر في البخاري ومسلم والترمذي والنسائي فهو يحيى
ابن يحيى بن بكر بن عبد الرحمن بن يحيى بن حماد التميمي ابو زكريا النيسابوري
احد الاعلام انتهى قال حدثنا مالك بن انس مالك بن ابي عامر الاصبحي امام دار
الهجرة ومن اليه الرحلة لها صاحب المذهب الجليل واختلف فيه هل هو تابعي
او من تبع التابعين ولد سنة ثلاث وتسعين وتوفي في ربيع الاول سنة تسع
وسبعين ومائة ومات وهو ابن ست وثمانين ومائة واختلف في جده ابي
عامر هل له صحبة ام لا عن ابن شهاب هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب
الزهري توفي سنة اربع وعشرين ومائة وقيل غير ذلك عن عروة بن الزبير بن
ابن العوام اخو عبد الله بن الزبير احد فقهاء المدينة السبعة روى عن ابويه
الزبير واسماء بنت ابي بكر وخالته عايشة رضي الله عنهم وغيرهم وتوفي سنة
اربع او خمس وتسعين بعد الهجرة وولد سنة اثنين وعشرين وهذا حديث
صحيح في الصحيحين والموطا واختار المصنف رحمه الله طريق الموطا فقال
عن عايشة ام المومنين فريدة الصدق وبيتمة الدهر رضي الله عنها قالت
ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما قال
البرهان هذا اما اخرجه المصنف من موطا مالك عن يحيى بن يحيى وقد
اخرجه البخاري ومسلم واصحاب السنن ولم يروه المصنف من غير هذه الطريق
لانه امام مذهبه ولاهل القرب اعتنائه وترجيحه على غيره من الكتب الستة ولان
سنده فيه من هذه الطريق اعلى من سنده في غيره لان بينه وبين مالك في هذه

الطريق ستة بالسماع وبينه وبينه في رواية الصحيحين سبعة وفي ابي داود
ستة الا انه بالاجازة فلما اختار هذه الطريق على غيرها لما لها من الشان عنده
وفي هذا الحديث الاخذ بالاسهل والارفق ما لم يكن حراما او مكروها ونقل
النووي عن المصنف انه يحتمل ان يكون تخييره هنا من الله فيخيره فيما فيه
عقوبتان او فيما بينه وبين الكفار من القتال واخذ الجزية او في حق امته
في المجاهدة في العبادة والاقتصاد فيها فيختار الايسر واما قوله ما لم
يكن اثما فيتصور اذا خيره الكفار او المنافقون اما اذا كان التخيير من الله
او المسلمين فيكون الاستثناء منقطعا انتهى قال بعض الشراح انه فهم من
قوله ما لم يكن الى اخره اي موجب اثم من حرام او مكروه ما فيهم من الاستثناء
فسماه استثناء وجعله منقطعا لاستحالة ان يخيره الله او خلص المومنين
بين امرين احدهما اثم وهو مبني على ان ما في معنى الاستثناء له حكم الاستثناء
الا ترى الى قول النحاة ان قولك لا لزمنك او تقضيني حقي بمعنى الا ان تقضيني
حقي فكانه قال هنا الا ان يكون اثما فان قلت هذا مناف لما ورد ان افضل العبادة
احمزها اي اشقها على البدن فكيف يختار غير الافضل قلت انما كان صلى الله
عليه وسلم يوثر الايسر لامته تخفيفا عليهم لا في حق نفسه لانه ارسل
بالحنيفية السمحة ولذا كان صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تورمت قدماه
ويوديه مع ما في نفس الامر قوله في عجز الحديث انه صلى الله عليه وسلم ما انتقم
لنفسه يعني ان التخيير بين الاثم وغيره من العباد يتصور واما من الله
فلا فاذا اول بما يوجب الاثم او يفضي اليه في حق غيره صح او المراد بالاثم ما
يمه صلى الله عليه وسلم لعصمته كما اذا خير بين ملك كنوز الارض وعيش الكفاف
ودل على انه في حقه قوله فان كان اثما كان ابعد الناس منه اقول قال
العز بن عبد السلام وتبعه الزركشي في قواعده ان قولهم الاجر على قدر المشقة
وما ورد في حديث عايشة رضي الله عنها اجرك على قدر نصبك كما في مسلم
ليس على اطلاقه انما هو اذا اتحد العمل ان في الشرف والشرائط والسنن وكان
احدهما شاقا فيثاب على تحمل المشقة وذلك كالغسل في الصيف والشتاء
اما اذا لم يتساويا فلا فان الايمان افضل من الاعمال مع خفته والمراد المختار
ان فضل الاعمال انما هو بالمصالح الناشية عنها فتصدق البخيل افضل من قيام
الليل وانقاذ الحاكم مظلوما بكلمة افضل من قيامه الليل وصيامه النافلة
انتهى وهذا هو الحق الذي لا محيد عنه فلا حاجة لما اطالوا به من غير طائل

لا يليق

وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه ابي لا يعاقب احدا بتقصير
وقع منه في حقه بحيث يكون فاعله لم يخالف امر الله فيما فعله لانه بري من الحظوظ
النفسانية والاعتبار ان الدنيوية الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله
بها اي بسبب حرمة الله وانتهاكها وحرمة الله ما حرمه او جعله محترما
ممنوعا وانتهاكه التعدي والتجاوز فيه من نهكت الثوب اذا لبسته حتى اخلقته
ويقال نهكته الحمى اذا اضعفته واصنته فانتهاكها تناولها مما لا يحل وانتهك
فلان محارم الله اي فعل ما حرم الله فعله عليه لما فيه من ضعف الدين وابتذال
حكمه وليس الانتهاك المبالغة في اتيان ما حرمه الله كما توهم حتى يرد انه
لا يغضب بمجرد فعل محرم او صغيرة مرة واحدة ويحتاج الى الجواب بان من
فعل ذلك فقد بالغ في الجرأة على الرب العظيم ويقال انه كان يفضي عند
فعل الصغاير ويغضب اذا فعلت الكباير فاذا كان هذا مما لا ينبغي فانه
كيف يخطر بالبال انه صلى الله عليه وسلم يفضي عن الصغاير من غير عذر
لفاعلها ولا حاجة ايضا الى حمل هذا على ما يتعلق بالمال فانه صلى الله عليه وسلم
اقتص ممن نال من عرضه كما امر بقتل ابن ابي معيط والاحطل واي حرمة
لله اعظم من حرمة نبيه صلى الله عليه وسلم ومن اذاه فقد اذى الله وانما المراد
ما كان يقع من بعض جفاة الاعراب كالاعرابي الذي امسك برداه وجذبه
حتى اثر في حدة الشريف وقول بعضهم له كما ياتي اعدل في القسمة فانك
لن تعطي من مال ابيك وكخود لك مما صدر منهم لغلظة طباعهم مما لا يفضي
الى ارتكاب محرم فمن ارتكب شيا من محارم الله بحضرته صلى الله عليه وسلم
التي من جملتها احترامه انتصر وعاقبته لله لا لحق نفسه وان تعلق بها
انتقام الدين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وروي ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما كسرت رباعيته رباعية بوزن ثمانية سن بين الثنية والناب
من اليمين واخرى من اليسار وفلقها مثلها من فوق فالرباعيات
اربع وشج وجهه يوم لاحد الشجة جراحة في الوجه او الراس شق ذلك
الكسر والشج على اصحابه شديدا اي حصل من ذلك في نفوسهم مشقة واهما
شديدا عظيما وقالوا له صلى الله عليه وسلم لو دعوت عليهم اي على الكفار بان
يهلكهم الله ويسنا صلهم باشد العذاب فقال اني لم ابعث باليا المجهول اي
لم يبعثني الله لعانا اي داعيا على الناس بالطرد والبعد من رحمة الله ولكني بعثت
داعيا للناس الى رحمة الله ورحمة للناس اجمعين باخراجهم من الكفر للايمان

وتاخير

وبتاخير العذاب عمن كفر لا لفرد منهم عن رحمة الله وابعاد منه ثم قال داعيا
لهم اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وعالهم ان يهديهم الله للاسلام فانهم يعلمون
طريق الحق ولا معرفة قدر نبيه صلى الله عليه وسلم وما يريد بهم من الخير ولو
علموا ذلك لم يصدر عنهم ما صدر وفي سيرة ابن هشام وغيره ان عتبة ابن ابي
وقاص رماه صلى الله عليه وسلم فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته
السفلى وان عبد الله بن شهاب الزهري شجه في وجهه الشريف وان ابن قمية
جرح وجنته فدخلت حلقتان من المغفر في وجنته وفي الروض الباسم
انه صلى الله عليه وسلم اصيب وشج جبينه وكسرت رباعيته برمية عبد الله
ابن قمية وضربه بالسيف على شقه الايمن فجرح وجنته ودخلت فيه
حلقتان من المغفر وشقت شفته السفلى وصرح به ابن قمية ان محمدا قد قتل
وقد اختلف في اسلام عتبة بن ابي وقاص الى سعد بن ابي وقاص والصحيح
انه لم يسلم وابن شهاب اسلم واما ابن قمية فتطحه كبش فتردى من شاهق
فهلك ولكل شيء افة من جنسه ويقال ان حاطبا تبع عتبة فقتله ولم يولد
احد من نسل عتبة الا ابراهيم فسترى خزيه لعقبة فبحور اولاده لا في
بفساء جدهم وقد قالوا ان رباعيته صلى الله عليه وسلم لم تنكسر من
اصلها وانما شظيت وذهبت منها فلقة وكانت فاطمة رضي الله عنها تغسل
دمه وعلي كرم الله وجهه يصب عليها الماء بالمجن فلما راى ان فاطمة لا يزيد
الدم الا كثرة اخذت قطعة من حصير واحرقتها وردتها عليه فامسكت
الدم وكسرت البيضة التي على راسه الشريف وقال الامام الخضيري فخصاصه
ان هذا كان قبل نزول قوله تعالى والله يعصمك من الناس او المراد عصمه
صلى الله عليه وسلم من القتل لا من مطلق الاذية كما مر بيان ذلك وما
احسن قول ابن الفارض رحمه الله تعالى في الاشارة على ذلك

عيني جرحت وجنته بالنظر ... من رقتها فانظر لحسن الاثر
لم اجن وقد جنيت ورد للخفر ... الا لترى كيف الشقاق القمر
وما شق وجنته عابسا ... ولكنه اية للبشر

وذيل عليه بعضهم فقال

حلاها الله لنا كيما نرى ... بها كيف كان انشقاق القمر

وبقية قصة احد وما فيها مفصل في السير مشهور فلا يكثر السواد
به كما في الشرح الجديد تنبيه قال الامام السمرقندي في تفسيره

قوله عز وجل ويقتلون النبيين بغير حق طعن الملحدة لعنهم الله وقالوا
ان الله اخبر ان الكفار قتلوا الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقد قال الله تعالى
انا لننصر رسلنا وقال انهم لهم المنصورون وما في معناه من الايات ومن كان
الله ناصره فهو منصور ابدا فما بالهم قتلوا فهو تناقض واجيب بوجهين
الاول انه لم يثبت في الكتاب ولا في خبر متواتر قتل رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الرسل الذي اخبر الله بنصرهم وانما ثبت قتل الانبيا لان الرسل هم
الذين اوتوا المعجزات لاظهار الدين الحق ودعوة الخلق فكان عصمتهم عن القتل
من ايا تهم الحسنة الدالة على صدق دعواهم الرسالة وولاية القتل مما يومن
دعوتهم بخلاف الانبيا اذ ليس لهم دعوة وشريعة والثاني ان المراد النصرة
بالحجج لا بالعصمة انتهى وعن عمر رضي الله عنه قال السيوطي رحمه الله ان هذا
لا يعرف عن عمر في شيء من كتب الحديث وبيض له الشيخ قاسم في تخريجه
لاحاديث هذا الكتاب فكانه لم يقف له على اصل ايضا وتقدم ما فيه
انه قال وبعض كلامه اي كلام قاله لما راي ما اصابه من كسر رباعيته وشجه
في غزوة احد بابي انت وامي يا رسول الله هذا الحديث الجار والمجرور متعلق
بمحذوف تقديره افديك ونسي هذه البا بالتفدية ومعناه اني اجعل ابوي
فداء ونك وابذلهما في حمايتك بقوله الرجل لمن هو اعز عليه من نفسه واهله
ومآله لانهم كانوا يبذلون الانفس في صيانة اهلهم وقد تكلم بهذا النبي صلى
الله عليه وسلم وهذه الكلمة جارية مجرى المثل في ذلك وقد يظهرون متعلق
الجار والمجرور والفدا بكسر الفا والمد وفتحها مع القصر فكاك الاسير
يقال فداه يفديه فدا وفدى وفاداه اذا بذل فداه وفداه بالتشديد اذا
قال جعلت فداك وهي كلمة تقال في التعظيم وتدخل الباء على المبذول المفدى
به وقد يعكس كما في قوله فديت بنفسه نفسي ومالي وما لوك الا ما اطيق
وجعله في المغني من المقلوب كعرضت الناقة على الحوض وقد جرى عمر رضي
الله عنه في هذا على ما تناوله العرب والا فهو صلى الله عليه وسلم حقيق بان
يفدى بالنفوس فضلا عن الآباء والامهات ولقد قال الآخر

نفسي الفداء لقبر انت ساكنه • فيه العفاف وفيه الجود والكرم

فانظر قصة علي كرم الله وجهه اذ فداه بنفسه ونام مكانه لما هموا بقتله
صلى الله عليه وسلم وهو اول من اشترى نفسه من الله كما مر ومقامه دون
عمر رضي الله عنه كما هو معلوم لقد دعا نوح عليه الصلاة والسلام على قومه

فقال

فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وانما قال عمر رضي الله عنه
هذا الان مشربه كان مشرب نوح عليه الصلاة والسلام كما ان مشرب الصديق
رضي الله عنه كان مشرب ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وتذر كتدع
بمعنى تترك وديار بمعنى احد وهو يختص بالنفي يقال ما في الدار ديار ودوري
اي احد واصله ديوار فاعل اعلال سيد وميت وادغم والغا عاطفة للمفصل
على المجمل ولو دعون علينا اي على الناس كلهم مثلها اي مثل دعوة نوح عليه
الصلاة والسلام لهلكنا من عند اخرنا هذا التركيب وقع في كلام العرب والمراد
به من اولنا الى اخرنا اي جميعنا وشراح الكشاف فيه كلام فقيل تقديره من
اولنا الى اخرنا كما ذكره وعند مقحمة وقيل من بمعنى الى وقيل انه كناية عن هلاك
الجميع لانه لا يكون الهلاك عند اخرهم الا اذا شملهم جميعا فان اردت تحقيقه
فانظر شروح الكشاف في اول سورة البقرة فلقد وطى ظهرك الوطى الدوس
بالقدم وفي الشرح الجديد انه لم ينقل ان احدا من المشركين وطى ظهر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقدمه ولعله عبارة عما روي في السير من انه صلى الله عليه وسلم
كان يصلي عند البيت وثمة كرش ذبيحة فيها قاذورات فقال ابو جهل لعنه
الله لجماعة جالسين ثمة الا احد يقوم الى هذا القذر فيلقيه على محمد وهو ساجد
فانبعث اشقاهم وهو عقبة بن ابي معيط فالقاه عليه فقال النبي صلى الله
عليه وسلم اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنين يوسف
وكانوا ابا جهل وعقبة بن ربيعة والوليد بن عقبة وعقبة بن ابي معيط
وامية بن خلف وعمار بن الوليد وهم المستهزيون فاهلكهم الله جميعا
فاما ان يكون سمي هذا وطا لما فيه من الاهانة الشديدة كما سمي الغزو وطيا
او وقع هذا في قصة لم يقف عليها وادمي وجهك اي جرح في وقعة
احد يقال ادمينه اذا جرحته فاسلت دمه والذي فعل به صلى الله عليه وسلم
ذلك عتبة بن ابي وقاص اخو سعد كما مر وفيه يقول حسان رضي الله عنه

اذا الله جازى معشرا بفعالهم • ونصرهم الرحمن رب المشارق
واخزاك ربي يا عتيب بن مالك • ولقاك قبل الموت احدى الصواعق
بسطت بميمنا النبي تعمدا • وادميت فاه فقطعت بالبوارق
وهلا ذكرت الله والمنزل الذي • يصيرا اليه عند احدى البوايق

وشج وجهك وقطع وفي نسخة التلمساني زيادة هذا هنا وقد شجته وجنته
وجبينه باحد فدخل في وجنته صلى الله عليه وسلم حلقتا الدرع فنزعهما بفيه

ابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه حتى سقطت ثنيته والذي جرحه عبد
الله بن قمئة فقيل نطحه تيس وتردي من شاهق فمات كما مر وقيل انما هو عم
عتبة بن ابي وقاص فادركه حاطب فقتله كما مر وجاء فرسه وكسرت رباعيتك
تقدم بيانه وما فيه وعليه فابين ان تقول الاخير اي لم تدع عليهم كما دعا
نوح عليه الصلاة والسلام على قومه ثم فسر والخير بقوله فقلت اللهم اغفر
لقومي فانهم لا يعلمون الحق ولا يهتدون الى الصواب وفي النسخ المروية هنا
اللهم اهد قومي وهو مفسرة للرواية الاولى على ان المراد بالمغفرة سببها وهو
الهداية او التقدير اللهم اهدهم واغفر لهم فلا يرد عليه ما قيل ان الدعا المذكور
صدر منه صلى الله عليه وسلم باحد وكانت على احد وثلاثين شهرا من الهجرة
فكيف يسال لهم المغفرة وهم كفار وقد نزل ان الله لا يغفر ان يشرك به
الاية ولو قلنا ان مغفرة الشرك جايزة عقلا عند بعض المتكلمين فانه ممنوع
شرعا لما وجه ووقوعه في كلام الشارع صلى الله عليه وسلم ولا حاجة الى الجواب
بان هذه الاية من سورة النسا وهي مدنية بجملتها او هذه الاية بخصوصها
فيجوز ان دعاه صلى الله عليه وسلم كان قبل نزولها وقبل علمه بمنع الدعا
لهم بالمغفرة لجوازه سواء قلنا المدني ما نزل بالمدينة او بعد الهجرة او المراد
مغفرة ما وقع منهم من كسر الرباعية ونحوه لا مغفرة الشرك وقيل هذا
انما صدر من النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الحكاية عن نبي كان قبله
كما رواه مسلم في صحيحه قال عبد الله بن عباس كاني انظر الى النبي صلى الله
عليه وسلم يحكي عن نبي من الانبيا ضربه قومه وشجوه فكان يمسح الدم عن
وجهه ويقول رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ومثله في البخاري والمراد
بهذا النبي نوح عليه الصلاة والسلام فانه كان يضرب ثم يلف في لبد ويلقى
حتى يبين يرون انه قد مات ثم يخرج ويدعوهم الى الله فلما ايس منهم دعا
عليهم فالنبي صلى الله عليه وسلم لما وقع به ما وقع حكى ذلك عنه تسلية له
وللمومنين وقوله لقومي ذكر نسبتهم له تحننا عليهم وبيانا لسبب ذلك
ورجا لرحمة الله بهدايتهم واضافتهم اليه موافقة لما في نفس الامر وان
قيل انه ليس من اهله كما لا يخفى وقوله فانهم لا يعلمون اعتذار لهم بالجهل
الحقيقي او بما هو في حكمه لعدم جريهم على مقتضى علمهم كما تقول لتارك
الصلاة واجبة والجهل وان لم يكن مع مشاهدة الايات الباهرة عذرا
شرعا بمنع من العذاب وقد اختلف فيما قبل البعثة ايضا كما هو معلوم في كتب

الاصول لكنه جرى فيه على حكم الظاهر تضرعا الى الله ان لا يعجل عذابهم
ويمهلهم حتى يكون منهم مومنين او من ذريتهم وقد حقق الله رجاه لانه
جعل ذلك عذرا حقيقيا لهم فلا يرد هنا شئ كما توهمه بعضهم قال
القاضي ابو الفضل اي المصنف عياض رحمه الله انظر ما في هذا القول المذكور
في كلام عمر رضي الله عنه في الحديث الذي قبله من جماع الفضل بالجماع بكسر الجيم
ما يجمع كل امر كالخير جامع الاثم ومظنته ودرجات الاحسان بالجر معطوف
على الفضل اي ما يجمع مراتب الاحسان وكذا قوله وحسن الخلق وكرم النفس
وغاية الصبر والحلم ففيه ما يدل على نهاية هذه الصفات اذ لم يقتصر
على السكوت عنهم مع ما فعلوه معه صلى الله عليه وسلم مما لا يتحمل بعضه
احد وصفحا عن اعز الناس نفسا واشرفهم واعلاهم حسبا ونسبا
وجرح ذوي القربى اشد مضامته على النفس من وقع الحسام المهند
حتى عفى عنهم مع عظيم جرمهم في حقه اذ قال اني لم ابعث لعانا انما اشفق
عليهم اي ابدا شفقته ورحمته لهم ودعا وشفع لهم فقال اغفر وارحم
كما مر بيانه مفصلا ثم اظهر سبب الشفقة بقوله لقومي فان الطبع البشري
يقتضي العطف والحنو على الاهل والاقارب باي حال كانوا ثم اعتذر
عنهم بجهلهم فقال فانهم قوم لا يعلمون وقد تقدم بيانه ونسبهم اليه
ليسعفهم ذلك فتنشرح صدورهم لاجلها فيختاروا الايمان على الكفر
ولذا لم يعبر بالجهل بل بعدم العلم تحسينا للعبارة ليجذبهم برمام اللطف
الى الايمان ويدخلوا حرم الامان وان كان جهلهم لا يعتد به بعد انفساح
برهان التوحيد وقيام الحجة الباهرة بالمشاهدة والتواتر الا انه اعتذار
ظاهري اعتبره سعيا في تنشيح قلوبهم والا فهم عالمون جاحدون
مكابرون وليس لهم عذر يقبل شرعا كما مر تفسيره ولما قال له الرجل هو
ذو الخويصرة التميمي ويقال له حرقوص بن زهير راس الخوارج قال
البرهان قتل يوم النهروان كما في تجريد الذهبي وفي صحيح البخاري
هو عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي قال في المقتفى ولعلهما قالاه والصواب
ان والده هو الغايل والنهروان بفتح النون والهاء اسم موضع فارسي معرب
قلم في شط نهروان اعتماضي ودعاني هو العيون المراضي
وحكى الجواليقي انه سمع من العرب ضمهما وكان حرقوص مع علي كرم الله وجهه
في حروبه ثم اتبع الخوارج وزعم بعضهم انه ذو الثدية وليس كذلك ومقول

قال الملتاخ

القوله اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله اى كن عادلا فيما قسمته
فان هذه القسمة ليست عادلة موافقة لامر الله ولرضاه والمقسوم كان من غنائم
خيبر او تبرا ارسله علي بن ابي طالب رضي الله عنه من اليمن وهذا الحديث رواه
مسلم عن جابر رضي الله عنه ونحوه في صحيح البخاري واخرجه البيهقي وهو حديث
صحيح وفي الفاظه اختلاف والمال واحد لم يزد النبي صلى الله عليه وسلم في جوابه
ان بين له ما جهله اى لم يزده على ان بين له ما جهله من عدالته في قسمته حيث قال
من يعدل ان لم اعدل ووعظ نفسه وذكرها التذكير والوعظ بمعنى فعدله
عن وعظ القايل الى وعظ نفسه وهو نهاية الحلم منه صلى الله عليه وسلم لما قال
ويحك وويح كلمة ترحم وتوجع لمن وقع فيما لا يرضى وقيل انها كلمة مدح وتعجب
وهي مضوبة على المصدرية مضافة وقد ترفع وتترك اضافتها فيرحم لها كالمخالف
رضي الله عنه او تعجب من صدور مثله من مسلم ووقع في رواية ويلك فمن يعدل
ان لم اعدل وفي مسلم اولست احق اهل الارض ان اطيع الله عز وجل وعضب صلى
الله عليه وسلم حتى احمرت وجنتاه حنت وخسرت ان لم اعدل روى بفتح التا
فيهما على الخطاب وضمها على التكلم واقتصر بعضهم على الفتح اي خبت وخسرت
ايها القايل ان لم اعدل انا لاتباعك واقتدايك بغير عادل وعلى الضم اقتصر
الشمني رحمه الله لانه معلق بعدم العدل الذي عصمه الله عنه وهو المناسب
لقوله وعظ نفسه وذكرها ونقل النووي في شرح مسلم الوجهين وفسره
بما تقدم وقال الفتح اشهر وقيل المعنى على الفتح ان لم اعدل خبت لاني اقاتلك
لنفاقك وتظفك بما يناني الاسلام لكني عدلت نظرا الظاهر اسلامك وان
ما وقع من سوء ادبك جهلا منك غير محل بمقامي ونهى من اراد من اصحابه
قتله وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما في البخاري قال عمر يا رسول الله ايذن
لي اضرب عنقه فقال صلى الله عليه وسلم معاذ الله ان يتحدث الناس اني اقتل
اصحابي وفي مسلم ان القايل خالد بن الوليد رضي الله عنه وجمع بينهما بان كلا
منهما اراد ذلك وقد صرح به في مسلم وان عمر رضي الله عنه لما قال ذلك فقال
دعه وادبر فقام اليه خالد بن الوليد فهذا نص على ان كلا منهما قال ذلك وقال
المصنف في شرح مسلم من سب النبي صلى الله عليه وسلم كفر وقتل وسيأتي ذلك
آخر الكتاب وهذا الرجل لم يقتل قال الماوردي يحتمل انه لم يفهم منه الطعن
في النبوة وانما نسبه لترك العدل بناء على تجويز صدور المعاصي من الانبياء عليهم
الصلاة والسلام عند هذا القايل وان لم يصب او انه لم يسمعه منه وانما نقل له فلم

يثبت عنده لان المخبر له واحد ومثله لا تراق به الدما وهذا تاويل باطل فان
المروي يا محمد اتق الله بخطاب المواجهة بحضرة الصحابة رضي الله عنهم حتى
استاذنوه صلى الله عليه وسلم في قتله وانما الوجه انه صلى الله عليه وسلم سلك
به مسلك غيره من المنافقين استيفا لانقيادهم وتاليفا لقلوب غيرهم
ليلا يتحدث الناس بانه صلى الله عليه وسلم يقتل اصحابه فينفروا ويرتدوا وانما
اهون الامرين لحكمة والحديث مصرح بهذا ولما نصدى له صلى الله عليه وسلم
عوثر بن الحارث نصدى بالتا المفتوحة والصاد المهملة والدال المشددة هو
والف اي اتاه وتعرض له وعورث بغين معجمة مفتوحة وتضم ايضا وواو ساكنة
وراء مهملة مفتوحة وثا مثلثة وقال بعضهم يجوز اهمال عينه كما نقله
البرهان الحلبي قال وعند بعضهم مصغر يعني عروك كفورك وزبيرك
فانه تصغير بالفارسية ولم يرد انه كتصغير العرب عويرث وقال التلمساني
انه عويرث ايضا وفي بعض الروايات تسميته دعثور وانه اسلم لكن قيل انهما
روايتان ليفتك به الفتك مثلث الفا المثناة فوق ساكن الفا هو ان ياتي
رجلا اخر وهو غافل فيهجم عليه فيقتله وقد فتك به بالفتح يفتك بالكسر
والضم والسكون وهذه الغزوة كانت في غزوة ذات الرقاع في السنة الرابعة
من الهجرة ورسول الله صلى الله عليه وسلم منتبذ بضم الميم وسكون النون هو
وفتح المثناة الفوقية وكسر الموحدة وذال معجمة اي جالس في ناحية محتل وحينيذ
يغزو من الناس تحت شجرة وحده بسترجح بظلها وتلك الشجرة شجرة عضاة
وهي التي تسمى امغيلان وهي شجرة عظيمة ذات شوك وكان ذلك دابه صلى
الله عليه وسلم في سفره قايلا حال مستريحا في وقت القيلولة وهي وسط
النهار اذا اشتد الحر وان لم ينم والناس قايلون اى كلهم في قيلولة منفردا
عن اصحابه في غزاة هي غزوة ذات الرقاع كما علم والاختلاف في زمنها ووجه
تسميتها مفصل في السير والغزاة اسم مصدر بمعنى الغزو فلم ينتبه
صلى الله عليه وسلم لمجيه اولم ينتبه من نومه الا وهو استثنا من اعم الاحوال
وضمير هو لغورث قايم والتسبيف صلتا بفتح الصاد المهملة وضمها والام
ساكنة ومثناة فوقية اي مسلولا مجردا من غمده ويجوز في السيف رفعه
على انه مبتدا او نصبه على انه مفعول معه وصلتا حال على كل حال في يده
فقال عورث له صلى الله عليه وسلم من يمنعك مني لانه وجده خاليا ليس معه
احد ولا سلاح وهو حال الترس وعورث قايم عليه بسيفه المجرد وفي رواية انه

ختير

كرر مراجعته ثلاث مرات فقال الله اي يمنعني منك الله الذي عصمني من الناس
كافة فسقط السيف من يده لما ارعبه قوله الله وفي رواية ان جبريل عليه
الصلاة والسلام ظهر له فسقط سيفه وفي رواية فشام سيفه اي اغمده فهو من
الاضداد وكان غورث من اشجع الناس يتوعد ان يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقيل له امكنك الله من محمد فاخترط سيفا من سيوفه واقبل حتى قام على
راسه صلى الله عليه وسلم فاخذه اي السيف الذي سقط منه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني اي من ان اقتلك والسيف بيدي فقال
كن خير اخذ بالمداسم فاعلي اي خير رجل اخذ خصمه وتمكن منه فتكرم عليه هـ
فتركه وعفا عنه مع القدرة عليه وقيل الاخذ الاسر والاخيذ الاسير كما في
النهاية وهو غير بعيد ايضا وفي البخاري مسندا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قفل لغزوة ذات الرقاع وكنا معه فادركتنا القايلة في واد كثير
العضاة فتفرق الناس يستظلون بالشجر ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
تحت شجرة علق بها سيفه فبيناها ثم فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعونا فجيناه فاذا عنده اعرابي جالس فقال ان هذا اخترط سيفي وانا نايم
فاستيقظت وهو في يده صلتا فقال من يمنعك مني قلت الله فها هو ذا جالس
ثم لم يعاقبه فقالوا لما راى كرمه وحلمه صلى الله عليه وسلم وهو من غطفان
فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا
اليكم ايديهم الاية وجاء عورث قومه وفي نسخة فجا قومه وقال جيتكم من
عند خير الناس حلما وكرما ومن عظيم خيره صلى الله عليه وسلم في العفو عفو
عن المراة اليهودية وهي زينب بنت الحارث بن سلام وقيل امراة سلام بن
مشكم اخت مرحب اليهودي كما ورد في الحديث الصحيح الذي اخرجه الشيخان
عن انس رضي الله عنه التي سمته اي جعلت له صلى الله عليه وسلم السم في الشاة
المشوية من الغنم بعد اعترافها بوضع السم له صلى الله عليه وسلم في الشاة
على الصحيح من الرواية متعلق بقوله عفوه لا باعترافها لعدم اختلاف
الرواة فيه ولذا قيل كان الاحسن ان يقدم هذا على قوله بعد اعترافها لانها
اهدت له صلى الله عليه وسلم شاة مصلية اي مشوية لم تتحرف قال ما هذه
فقالت هدية لك ولم تقل صدقة لانه صلى الله عليه وسلم لا ياكل منها فاكل هو
واصحابه من تلك الشاة ثم قال صلى الله عليه وسلم امسكوا وقال لها هل سممت
هذه الشاة قالت من اخبرك بهذا قال هذا العظم لساقي يده قالت نعم

قال لم قالت اردت ان كنت كاذبا ان نستريح منك والناس وان كنت
نبيا لم يضرك فاحتجم صلى الله عليه وسلم ثلاثا على كاهله لقربه من القلب
وقد اختلف فيها فقيل عفا عنها وقيل لا وروى ابو داود انه صلى الله عليه
وسلم قتلها وصلبها ونقل البرهان عن كتاب شرف المصطفى ذلك وجمع
بين الروايتين بانه صلى الله عليه وسلم صفح عنها لحق نفسه لانه كان لا ينتقم
لنفسه كما مر فلما مات بشر بن البراء من اكله منها قتلها قصاصا به لانه لم
يزله معتلا الى الحول حتى مات وقيل انه مات في الحال وروى معمر في جامعه
عن الزهري انها اسلمت فتركها وغيره يقول انه قتلها ولم تسلم وفي جامع
معمر ايضا ان ام بشر بن البراء قالت له صلى الله عليه وسلم في مرض موته اني
لا اتهم بشرا نعى ابنها الا اكلة خيبر فقال وانا لا اتهم لنفسي الا ذلك وهو
ظاهر في ان المرض الذي مات منه صلى الله عليه وسلم كان من تلك الاكلة على سبيل
الظن لا القطع لكونه كما صاحب المواهب في الطب النبوي انه صلى الله عليه وسلم
احتجم من السم فخرجت المادة السمية مع الدم اخروجا كليا بل بقي اثرها مع
ضعفه فاثر فيه لما يريد الله له صلى الله عليه وسلم من تكميل مراتب الفضل بما
بالشهادة زاده الله فضلا وشرفا وفي الرواية اختلاف ففي هذا ان الذي اكله
صلى الله عليه وسلم ساق الشاة وفي اخرى انه كتف او ذراع لانها سالت
عن احب اللحم اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا الذراع فاكثرت فيه السم وانه لان
منها مصنعة ولم يسبغها واساغ بشر لقمته وهذا بوحي بعدم القطع بتاثيره
فيه لكن يويده ما في المواهب ما ورد في الحديث انه صلى الله عليه وسلم
قال في مرض موته ما زالت اكلة خيبر تعاودني حتى قطعت ابهري فانظر
في التوفيق بين الروايتين في الاكل وعدمه واعلم ان في هذه المسئلة
اختلافا للفقهاء فيمن وضع طعاما مسموما لغيره فاكل منه ومات هل عليه قصاص
اما لا وهو مبني على انه اذا اجتمع التسبب والمباشرة ايهما تقدم فالاكثر على
تقديم المباشرة وقولها انها اسلمت فتركها على بعض الروايات فيه ان الاسلام
لا يسقط حقوق العباد الا ان يكون هذا من خصايصه صلى الله عليه وسلم
وفيه نظر وانه صلى الله عليه وسلم لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم اعصم بزنة
احمر مهملات ويقال له عصم بدون الف ولام وهو رجل من بني زريق وهو
بطن من الانصار وكان بينهم وبين اليهود حلف قبل الاسلام فلما جا
الاسلام بريوا منهم واختلف في لبيد هذا ففي الصحيحين انه يهودي وهو

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المشهور وقيل انه منافق كان مخالفا لليهود وسيأتي عن المصنف رحمه الله
انه حكم باسلامه وقال البرهان لا أعلم احدا عده من المنافقين فلعل المراد
بالنفاق معناه العرفي كما ورد في الحديث اية المنافق ثلاث اذا حدث كذب
واذا وعد اخلف واذا ايتمن خان وقد يطلق النفاق على الكفر ايضا
اذ سحره صلى الله عليه وسلم وقد اعلم به واوحى اليه بشرح امره اي بيانه مفصلا
في سحره وما فعله ولا عتب عليه وصلا عن معاقبته تقدم الكلام على فصلا
وذلك كما رواه النسائي والبيهقي في الدلايل عن زيد بن ارقم رضي الله عنه قال
سحر النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك اياما فجاه جبريل عليه
الصلاة والسلام فقال ان رجلا من اليهود سحرك عقد لك عقدا في بير كذا فابعث
فاستخرجها فجاه بها فحلها فقام صلى الله عليه وسلم كانما نشط من عقال فما ذكر
ذلك لليهودي حتى مات وكانت له امراة يهودية تسمى زينب تفعل ذلك
قال التلمساني وهو من افعال النساء في الاكثر ولذا قال تعالى من شر النفاثات
في العقد دون النفاثين تغليبا وقال الواقدي لما رجع رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الحديبية في ذي الحجة سنة ست جا اليهود الى لبيد بن الاعصم
وقالوا له انت اسحرنا وقد سحرنا محمد فاصنع له سحرا وتجعل للاوجه لا
وصنع ما سيأتي فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين يوما وقيل
ستة اشهر يخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله فبينما هو ذات يوم اذ قال
لعايشة رضي الله عنها ان الله افتاني فيما استفتيته انا في رجلان فقعد
احدهما عند راسي والاخر عند رجلي فقال احدهما ما وجع الرجل فقال
مطبوب اي مسحور قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال في اي شيء قال
في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر في بير ذروان اودي اروان فاتاها
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع بعض اصحابه وماوها كنقاعة الحنا
ونخلها كانه رووس الشياطين وقيل انه صلى الله عليه وسلم ارسل عليا
والزبير وعمارا رضي الله عنهم فنزحوا ماها واستخرجوا السحر من تحت
صخرة بها وتحتها مشاطة من راسه واسنان مشطه وو تر عقد فيه احدى
عشر عقدة فيل وتمثالا من شمع معروز فيه ابر فنزل عليه المعوذتان فكان
كلما قرا اية انحلت عقدة واخرجت ابرة حتى زال المه والرجلان اللذان راها
في منامه جبريل وميكاييل عليهما الصلاة والسلام وكما كان يخيل له صلى
الله عليه وسلم انه فعل ولم يفعل من امور الدنيا وجماع زوجاته كما يتعلق

بالنبوة والوحي فانه معصوم فيه واعلم انهم اختلفوا في السحر كما ياتي هل هو امر
حقيقي ام محض تخيل لا اصل له والصحيح انه حقيقي يفعل الله بواسطة فان
فان كان بمجرد توجه النفس فهو سحر وان كان باستعانة بخواص سفلية فعلم
الخواص وان كان ببعض الكواكب ودعوتها فدعوة الكواكب وان كان باستمزاج
القوى السفلية والعلوية فالطلسمات فان اعتقد تاثيرها بالذات فكفر والا
فحرام وفاعله لاضرار الناس يقتل شرعا على تفصيل فيه ذكره الفقها ليس هذا
محله وكذلك لم يواخذ صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي هو عبد الله بن ابي
ابن سلول بن مالك بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف
ابن الخزرج كان قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم للمدينة راس الانصار مرشحا
لان يكون حاكما عليهم فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم اسلم ظاهرا فكان
كاحادهم وفيه عنجهية الجاهلية وغلبت حب الرياسة فكان بسبب ذلك راس
المنافقين يصدر عنه امور يكرهها الله ورسوله وكان يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك فيغضي عنه لانه صلى الله عليه وسلم كان يداري المؤلفة قلوبهم بامر
من الله ليلا يتحدث الناس بانه يقتل اصحابه وكان ابنه من كبار الصحابة
وخلص المومنين فكان صلى الله عليه وسلم يكرمه لاجله وسلول علم لام ابي
ممنوع من الصرف فابي منون وابن بعده يرسم بالف لانه لم يقع بين علم ابن
وعلم اب على الاصح وهو راس المنافقين كما علم هلال في السنة التاسعة
بعد مقدمه عليه الصلاة والسلام من تبوك مرض في شوال عشرين ليلة
وهلك في ذي القعدة فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وكفنه في قميصه
قبل نزول النهي عن الصلاة على المنافقين كرامة لابنه رضي الله عنه والشاهلة
جمع شبهة بمعنى شبيه اي لم يواخذه صلى الله عليه وسلم ولم يواخذ من هو
بشبهه من المنافقين بعظيم ما نقل بالبنا للمجهول في جهته اي في حقه صلى
الله عليه وسلم وفي حق ام المومنين عايشة رضي الله عنها قولا وفعلا كقوله
ليخرجن الاعز منها الاذل يعني بالاعز نفسه وبالاذل نبي الله صلى الله عليه
وسلم قال ابن عباس رضي الله عنهما كان من الرجال المنافقون ثلاثمايه ومن
النسا مايه وسبعين كما فصله البرهان الحلبي في شرح سيرة ابن سيد الناس
وشرحه للبخاري في تفسير سورة المنافقين بل قد قال صلى الله عليه وسلم لمن
اشار بقتل بعضهم وهو عمر رضي الله عنه لما هزم بنو المصطلق فبلغه قول
ابن ابي وقد لطم حليفا له يقال له جعال رجلا من فقرا المهاجرين مساعدة

لاخيه عمر رضى الله عنه ما صحبنا محمد الا لنلطم ما مثلنا ومثلهم الا كما قيل
سمن كلبك يأكلك اما والله لين رجعنا الى المدينة ليخرجن الأية ثم قال لقومه
والله لين امسكتم عن جقال وديه فضل طعامكم لم يركبوا قابكم فلا
تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال له زيد بن ارقم رضى الله عنه
انت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم في
عز من الرحمن وقوة من المسلمين ثم اخبر بذلك الله فقال عمر رضى الله عنه
يا رسول الله دعني اضرب عنقه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
اذن لك في ذلك ليلا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه
فهو علة لترك رعاية للظاهر من اسلامه وصحبته وفي نسخة يتحدث
بدون ذكر الناس مبنى للمفعول ولا هنا ليست لنفي التحدث اذ هو مستانف
معلل لما قبله كما علم مما قررناه وهذا الحديث رواه الشيخان عن جابر رضى
الله عنه وروى الطبراني ان ابنه رضى الله عنه لما بلغه مقالة ابيه قال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم دعني اضرب عنقه واتيك برأسه فقال لا تقتل اباك
وفي الكشاف فان قلت كيف جاز له صلى الله عليه وسلم تكرمة المنافق وتكفينه
في قميصه قلت كان ذلك مكافاة له على صنيع له لان عمه العباس لما اسر ببدر
لم يجدوا له قميصا يستروه به وكان رجلا طويلا فكساه ابن سلول قميصه
وكان جاريا على عادة العرب في المكافاة وروى ان ابنه قال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم لما مات ابوه اسالك تكفينه ببعض قمصانك وان تقوم على
قبره ولا تشمت به الاعدا ففعل ذلك فقيل له لم فعلت ذلك وهو كافر
فقال ان قميصي لن يغني عنه من الله شيئا واني لارجوا ان يدخل في الاسلام
كثير بفعلي السبب فقيل انه اسلم الف من الخزرج بسبب ذلك وعن انس رضى
الله عنه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم قال السيوطي رحمه الله هذا
الحديث رواه الشيخان الى قوله الاني من مال الله الذي عندك قال فضحك
وامر له بعطا واخرجه بلفظ المصنف البيهقي في الادب من حديث ابي هريرة
رضى الله عنه ولفظ مسلم كنت امشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد
نجراني غليظ الحاشية فادركه اعرابي فجبذه جبذة شديدة الى اخره وعليه
برد غليظ الحاشية البرد والبردة كساء كانت العرب تلتحف به والحاشية تجانب
الثوب وفي رواية الاوزاعي غليظ الصنعة بفتح الصاد المهملة وكسر النون وبالفا
وهي طرف الثوب ايضا فجبذه اعرابي جبذ لغة في جذب او مقلوب منه وهما بمعنى

برد ايه

ب

برد ايه جبذة شديدة وهذا يقتضي انه كان عليه برد اورد افوقه وان الجذ
وقع بهما حتى اثرت بتشديد المثلثة مبنى للفاعل اي اظهرت اثرا وعلامة
حاشية البرد في صفحة عاتقه الصفحة الجانب او العرض والعاتق ما بين
العنق والكتف او موضع الرداء من المنكب وهو يونث ويذكر وفي رواية
ان البرد انشق ثم قال الاعرابي يا محمد قيل مشافهته صلى الله عليه
وسلم بهذا يقتضي انه لم يكن مسلما والسياق يقتضي خلافه وليس فيه
ما ينافي غير ندائه باسمه فلعله كان قبل تحريمه والنهي عنه بقوله لا
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا الى اخره او ان الاعرابي كان
قريب عهد باسلام في طبعه غلظة وجفاء فهو معذور وطلبه عطا الرسول
صلى الله عليه وسلم واخذه من الزكاة يدل على انه من المسلمين المؤلفة قلوبهم
وفي كتاب الامتاع من خواصه صلى الله عليه وسلم انه لا يجوز لاحد ان يناديه
باسمه فيقول يا محمد يا احمد ولكن يقول يا نبي الله يا رسول الله قال تعالى
لا تجعلوا الى اخره وقال تعالى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض
اي لا تدعوه باسمه فان قيل ثبت عن انس رضى الله عنه ان رجلا من اهل البادية
جاء فقال يا محمد الى اخره اجيب بانه يحتمل ان ذلك صدر منه قبل اسلامه او في
حال اسلامه قبل النهي او قبل بلوغه فلو ناداه بالكنية هل يحرم ام لا فيه نظر
انتهى اقول الظاهر ان هذا في حياته مواجهة اما في غيره ذلك
فلا يحرم الا ذكره بما لا يشعر بتعظيم فلا يرد انه وقع كثيرا في المدايح النبوية
وغيرها كقول حسان رضى الله عنه

هجوت محمدا فاجبت عنه ٭ وعند الله في ذاك الجزاء
فان ابي ووالده وعرضي ٭ لعرض محمد منكم وقاء

فلا حاجة الى ان يقال انه مخصوص بغير الشعر لانه قد يقتضيه الوزن
ومما قيل هنا ايضا ان الرسول وياء رسول الله بدون اضافة لله كاسمه حتى
اعترض على قول ابن مالك في الغيثية مصليا على الرسول المصطفى ولا وجه
له لما مر احمل لي قال التلمساني همزته همزة قطع ورباعي اي اعني على الحمل ويجوز ان
يكون معنى احمل لي اي اعطني ما احمد والاول اولى لوجود المحمول انتهى وتبعه
بعض المحشين ويجوز فيه الوصل ايضا الا ان فيما رجح به الاول نظرا على
بعيري بالتثنية مضافا لياء المتكلم هذين من مال الله الذي عندك فانك
لا تحملني بضم التاء وفتحها على ما مر وروي لا تحملني اي لا تقطيني من مالك ولا

من مال ابيك وقيل انه اسند الحمد اليه لانه سبب امر به فهو مجاز عقلي فعلى هذا
همزته همزة وصل ايضا ورد على من قال ان همزته مقطوعة بانه ظن انه من اجمل الحمالا
اي جعل البعير حاملا فلم يستبعد اسناده له وهو مجاز مشهور وليس بشيء
لان ماذكر معنى اخر حقيقي صرح به الجوهري وكان الرواية عليه فسكت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده اتصرف
في ماله باذنه واعطى من يأمرني باعطائه فرد عليه صلى الله عليه وسلم بالطف
رد ثم قال ويقاد منك بالبنا للمجهول وتقدير همزة الاستفهام اي اويقاد منك
من القود وهو القصاص وهو هنا مجاز عن مطلق المجازاة اي بالتجاري
على ترك ادبك ولم يقل افيد نفسي منك كراهة ان يذكر ما يشعر بانتصاره
صلى الله عليه وسلم لنفسه ولو مستفهما وقيل انما بناه للمجهول للتعميم
فيمن يستوفي القود اهو الله ام من عنده من المسلمين وقوله يا اعرابي
اشارة الى انه معذور لما فيه من غلظ الاعرابية وهم اهل البادية
ما فعلت بي من جذب بردي بان يفعل به مثله او يعزر بما يليق به وسياتي
تحقيقه في القصاص بالطمة قال لا قال فلا بد لا يقاد منك قال لانك لا تكافأ
بهمزة من المكافاة وهي المجازاة او بالبا الصلية او مبدلة منها بالشبهة السببية
فيه مشاكلة لان الجزا ليس بشبيه او استعارة لانها مثلها بحسب الصورة
فضحك النبي صلى الله عليه وسلم سرورا بما راه من حسن ظنه به وانه لم
يفعل ذلك بقصد التنقيص منه وتظلما لقلبه اذ يرى المسرة بمقالته
ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى اخر تمر وفيه من حلمه صلى الله عليه
وسلم وتحمله الاذى وعدم التضجر ما لا يخفى وهو ارشاد لامته لا سيما من يتولى
منهم امور المسلمين ثم اتى بما يدل على ما في هذا الحديث من خلقه العظيم فقال
قالت عايشة رضي الله عنها في حديث اخرجه الشيخان واحمد والترمذي
في الشمايل مع مخالفة يسيرة في لفظه ما راين رسول الله صلى الله عليه
وسلم راى بضيرة او علية منتصرا اي منتقما وناصرا لنفسه على غيره
من مظلمة وهي بفتح الميم اي من ظلم وكسر اللام وفتحها واقتصر في التقريب
على الاول ظلمها مبني للمفعول وهو موكد اودفع لتوهم كون الظلم لغيره
قط لاستغراق ما مضى كما مر ما لم تكن حرمة من محارم الله اي ما لم تكن المظلمة
بارتكاب امر حرمه الله وليس لهم صرف حق له ولا يرد عليه انه قتل ابن خطل
والقينتان اللتان كانتا تغنيان بهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه

حق الله

حق الله فان ابن خطل ارتد وهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبه كفر كما مر بيانه
بخلاف الاعرابي فانه مسلم حمله على ما فعله غلظ طبعه وظهر من جوابه انه
لم يقصد بذلك الاهانة مع ما فيه من حكم خفية كاستفطاق قلوب اهل
البادية ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وما ضرب بيده
رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط من دابة وانسان وغيره الا ان يجاهد
في سبيل الله كما في ضربه صلى الله عليه وسلم امية ابن خلف باحد بحربة ونحوها
من بعض اصحابه اما الحارث ابن الصمت كما ياتي او الزبير بن العوام فخدشه
بقاية في عنقه خدشا غير كبير فاحتبس الدم اي لم يخرج بسبب ذلك الخدش فقال
قتلني والله محمد فوقع من ذلك الضربة مرارا من على فرسه التي كان اعدها
ليقتل عليها النبي صلى الله عليه وسلم كما ياتي وجعل يخور كما يخور الثور اذا
ذبح وفي رواية انه ضربه تحت ابطه فكسر ضلعا من اضلاعه ثم مات عدو
الله ومما قالوا به الى مكة بسرف بفتح السين وكسر الراء المهملتين وهو
مناسب لوصفه لانه مسرف وقيل ببطن رابغ ولم يقتل صلى الله عليه وسلم
بيده الشريفة قط احدا الا ابي بن خلف هذا الاقبل ولا بعد وجا اشد
الناس عذابا من قتله نبي وفي لفظ اشد غضب الله على رجل قتله رسول
الله فستحقا لاصحاب السعير وفي لفظ غضب الله عز وجل قتله رسول الله
في سبيل الله اي لان الانبيا عليهم الصلاة والسلام مامورون باللطف والشفقة
والشفقة على عباد الله فما يحمل الواحد منهم على قتل شخص الا امر عظيم ورسول
الله صلى الله عليه وسلم اكملهم لفظا ورفقا وسعة بعباد الله قالوا واحترز
بسبيل الله عمن قتله صلى الله عليه وسلم حدا او قصاصا لان من ثبت له في سبيل
الله كان قاصدا قتله وقد اتفق ذلك لابي بن خلف لعنه الله كما ياتي بيانه
وما ضرب خادما له ولا امراة من نسايه وفيه دليل على جواز تاديب الرجل
امراته وضربها وكذا ولده لم يسمح به صلى الله عليه وسلم وجي اليه صلى الله
عليه وسلم برجل هذا الحديث اخرجه احمد والطبراني بسند صحيح ولم
يسميا الرجل فقيل له هذا اراد ان يقتلك فقال له صلى الله عليه وسلم لن
تراع لن تراع اي لا تخف مني وكرره ليطمين قلبه وارفع الخوف والفزع
ولن هنا بمعنى لا اي لا خوف عليك مني ولا من غيري ولو اردت هذا لم تسلط
علي لان الله عصمني فلن يبنالني ما اردته انت ولا غيرك فان قلت قوله لو اردت
يقتضي انه لم يرده مع انه اراد ذلك لقولهم اراه قتلك قلت المراد بالارادة هم

سيبها وهي مباشرة ما هم به اي لو مددت يدك الي لم تصل الي وجاءه صلى
الله عليه وسلم زيد بن سعية بفتح السين وسكون العين المهملتين وفتح التحتية
وقيل انها مضمومة وهو عربي وهو حبر من احبار اليهود كما في الاكمال وفي التنقيح
هو صحابي من احبار اليهود الذين اسلموا وهو من اكثرهم مالا وعلما حسن اسلامه
وشهد المشاهد ومات في مرجعه صلى الله عليه وسلم من تبوك ويقال انه سعية
بالياء التحتية حكاه ابن عبد البر وقال المون اشهر وعليه اقتصر الجمهور وقال
الذهبي انه اصح واما اسيد بن سعية فالتحتية فيه اصح واسيد بفتح الهمزة
او هو مصغر وهو حديث طويل رواه البيهقي مفصلا عن ابن سلام ووصله
ابن حبان والطبراني وابو نعيم عن عبد الله بن سلام ايضا وسنده صحيح كما
قاله السيوطي يتقاضاه دينا عليه اي يطلب منه صلى الله عليه وسلم دينا
كان له عليه والتقاضي بمعنى المطالبة من كلام العرب قال الحماسي
لحى الله دهرا شره قبل خيره ٭ تقاضى فلم يحسن الينا التقاضيا
قال الشراح اي طالبنا ومثله كثير في كلامهم وكلام اهل اللغة فقول النجا
المقدسي في الرمز التقاضي معناه لغة القبض لانه تفاعل من قضى يقال
تقاضيت ديني واقتضيته بمعنى اخذته وفي العرف الطلب انتهى لا وجه
له والذي غره قصور كلام القاموس فظنه غير لغوي بل معنى عرفي وهو
عرب منه قال كنت اريد ان اعلم حال النبي صلى الله عليه وسلم ليطابق ما في
التوراة من حلمه فخرج يوما ومعه علي فجاء رجل كالبدوي فقال يا رسول
الله ان قرية بني فلان اسلموا واملهم انهم ان اسلموا اتتهم ارزاقهم رغدا
وقد اصابتهم سنة وشدة واني مشفق عليهم ان يخرجوا من الاسلام
قال رأيت ان ترسل اليهم بشيء يغيثهم فقال زيد بن سعية يا رسول الله انا
ابلغ منك بكذا وكذا وسقا فاعطيته ثمانين دينارا فدفعها الى الرجل
وقال له اعجل اليهم بها واغثهم فلما كان قبل المحل بيوم او يومين او ثلاث
خرج رسول الله عليه الصلاة والسلام الى جنازة في نفر من اصحابه فلقيه
وتقاضاه فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه صمنه معنى ازاله
فعداه بعن ومنكب بكسر الكاف مجمع الكتف والعضد والمجامع جمع مجمع
وهو اطرافه وحواشيه وقيل هو التلبيب اي لخذ بطوقه وما تحت لبته
وصدره وهذا هو الصحيح المعروف لما قيل انه ما بين الكتفين فان الثياب
كلها كالرداء والقميص تجمع هناك واغلظ له اي قال له كلاما غليظا خشنا مع

قبل اسلامه

تقبض وتجهم وجهه ثم قال انكم يا بني عبد المطلب لفعل من الطلب واسمه
شبيه على الاصح لانه ولد وفي راسه شبيه ظاهرة فيه وابنيه مطل بضم الميم
والطاء جمع ماطل والمطل التطويل في تاخير الحق او خلف الوعد فيه مرارا
من مطل الحداد الحديد اذا امده وفي القاموس المطل التسويف بالعدة والدين
فانتهره عمر رضي الله عنه بالراء المهملة افتعال من النهر وهو الزجر ونهره
وانتهره بمعنى وقال ابن فورك الانتهار الاغلاظ في القول مع صياح وقيل
النهي عن الشيء بغلظة وشدد له في القول فقال له عمر اي عدو الله اتقول
هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتصنع به ما ارى وتقول له ما اسمع فوالذي
بعثه بالحق لولا ما اخاف فوته لسبقني راسك والنبي صلى الله عليه وسلم
يتبسم من مقالهما لشدة حلمه ولعلمه كشفا بمراد ابن سعنيه وان عمر رضي
الله عنه لو كشف له الغطاء لم يصعب عليه ذلك فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا وهو اي ابن سفية صاحب الحق كنا الى غير هذا المقال الذي
قلته احوج منك يا عمر اي اكثر حاجة وهو افعل تفضيل من حاج بمعنى
احتاج وليس من احتاج على حذف الزوايد شذوذا كما توهم فان ثلاثيه مسموع
والمفضل عليه محذوف وهو خيرانا وما عطف عليه ثم بين الغير الذي
مما احوج اليه من هذا التشديد بقوله تامرني بحسن القضاء اي وفاء ماله
علي وتامره بحسن التقاضي والطلب بلطف ثم قال له صلى الله عليه وسلم
دفعا لما عسى يتوهم انه وقع مطل او تاخير منه لقد بقي من اجله اي من تاجيل
دينه ثلاث اي ثلاثة ايام فلذا لم يحسن تقاضيه بخلاف قضاء النبي صلى
الله عليه وسلم فانه وقع على احسن وجه فانه فعل ما وعده وزيادة كما اشار
اليه بقوله وامر عمر يقضيه ماله ويزيده على حقه عشرين صاعا من تمر
لمارعوه ما مصدرية اي لاجل ترويع عمر له اذ هم بقتله وقال له ما مر فكان
فعل النبي صلى الله عليه وسلم سبب اسلامه لانه كان عالما بالتوراة ورأى
فيها ذكره صلى الله عليه وسلم وعلاماته فحقق تلك العلامات كلها غير
علامتين لشدة حلمه فلما راهما تيقن امره وزالت شبهته فحسن اسلامه
واراد الله سعادته وذلك انه كان يقول لمن عنده من اليهود ما بقي من
علامات النبوة اي علامات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم المذكورة في التوراة
التي قراها وعرفها شيء الا وقد عرفته اي شاهدته فيه صلى الله عليه وسلم وفي
نسخة الا وقد عرفتها باعتبار الشيء بمعنى العلامة الا علامتين اثنتين لم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اخبرهما اى لواعرفهما وهو بضم الباء يقال خبرته اخبره خبرا اذا اختبرته وقد
الخبر الخبر ثم فسر الشيئين اللذين لم يعرفهما بقوله يسبق حلمه جهله تقدم
ان الجهل في كلام العرب قديما بمعنى المبادرة للغضب ومقتضاه عدم المبادرة
بالايقاع بمن يغضبه وهو مقابل للحلم لا للعلم كقوله الا لايجهلن احد علينا
فيجهل فوق جهل الجاهلينا كما مر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يغضب
احيانا لله وينتقم فلا يتوهم من لا يعرف كلام العرب هنا ما لا يليق بصفاته صلى
الله عليه وسلم فالمراد ان حلمه صلى الله عليه وسلم يغلب حدته كما في قوله سبقت رحمتي
غضبي او السبق على ظاهره فمن قال المعنى يغلب حلمه على جهله لو كان له جهل
كقوله فتبارك الله احسن الخالقين وليس المراد ان له صلى الله عليه وسلم جهلا
بسبقه حلمه لان لقبحه لا يصلح ان يعد من علامات النبوة وحينئذ فليس من
قبيل سبقت رحمتي والجهل هنا وفيما بعده مصدر جهل عليه لا بد انتهى لكم
يصب مع ما في كلامه من التناقض ولا تزيده شدة الجهل الا حلما هذه هي
العلامة الثانية اي جهل غيره بمعنى سفاهته واذيته كما ازداد واشتدت
عليه زاد حلمه صلى الله عليه وسلم وصبره ما لم يتجاوز حدود الله ويوتى حرماته
فانه حينئذ يغضب لله لا لنفسه وهذا من صفاته صلى الله عليه وسلم الخارقة
للعادة كما عرفته في هذه القصة مع زيد بن سعية ولذا قال زيد لعمر رضي الله
عنهما قضاه وزاده اشهد ان لا اله الا الله وانه رسول الله وما حملني على ما رايتني
صنعت يا عمر الا اني كنت رايت صفاته التي في التوراة كلها الا الحلم فاختبرت
حلمه اليوم فوجدته على ما وصف في التوراة واني اشهدك ان هذا التمر وشطر
مالي في فقراء المسلمين واسلم اهل بيته كلهم الا شيخا غلبت عليه الشقوة
والى هذا اشار المصنف بقوله فاختبره لهذا فوجده كما وصف والحديث
اي الاخبار المستفيضة بين الناس وليس المراد المصطلح عليه ولذا عاد
بعض فقال عن علمه وصبره وعفوه عند القدرة قيده به لانه هو المحمود
كما مر اكثر من ان تاتي عليه يقال اتى على الكتاب على قراءة او المال انفاقا
اذا استوعبه كله وهذا التركيب كقولهم اكثر من ان تحصى والكلام عليه
مشهور فالمعنى انه لا يمكن استيعابه واستقصاه وحسبك ما ذكرناه بما
في الصحيح والمصنفات الثابتة اي يكفيك ما تقدم مما ثبت بنقل الثقات
فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فيكفي هذا منضما مبلغ اليقين اى وصل بالتواتر
مرتبة اليقين الذي لا يشك فيه احد ولو قال مبلغ الضروري كان اولى والقول

بانه اراده لا يخفى ما فيه ثم بين ذلك بقوله من صبره على مقاساة قريش المقاسا
معالجة امور صعبة شاقة بحيث لا يتحمل مثلها وهذا في اول بعثته صلى الله عليه
وسلم كما يعرفه من طالع السير واذي الجاهلية اي تحمله صلى الله عليه وسلم اذي
الجاهلية اي اهل الجاهلية وهم الكفار ومصابرته الشدايد الصعبة هم
معهم في الحروب الواقعة بينه وبينهم وهي وان كانت سجالا الا انه صلى عليهم
العذاب فالمصابرة معاملة من الصبر عن شدايد الحرب وهم صناديد كان لهم
صبر على اصطلاء نارها لكنه صلى الله عليه وسلم غلبهم وصابرهم وراءى عليهم
حتى ظفر وانتصر الى ان اظهره الله عليهم وحكم فيهم اي جعله الله
قاهرا غالبا لهم وهم في قبضة تصرفه يحكم فيهم بما يريد من قتل واسر
وعفو ان شاء وهم لا يشكون في استيصال شاكتهم الاستيصال قطع الشيء
من اصله واراله بالكلية وشاكة بشين معجمة مفتوحة وهمزة ساكنة
وقاف يليها هاء تانيث وتبدل الهمزة الفا وهي قرحة تخرج في اصل القدم فتقتل
فتذهب وان قطعت مات صاحبها وضرب مثلا وقد يدعى لها والمراد ازالة
الله من اصله بحيث لا يبقى له عين ولا اثر ولا اصل ولا فرع وفيه اشارة
الى خبثهم وانهم كقرح في البدن خبثه مهلك لصاحبه فشبه هلاكهم اجمعين
بقطع تلك القرحة وفيه بلاغة لا تخفى واباده خضرايهم الاباده بالدال المهملة
بمعنى الاهلاك وهذا مثل كالذي قبله والخضرة كالسواد تطلق على الناس
والقوم فمعنى ازالة سوادهم وخضرايهم هلاكهم قال في النهاية ابتدت
خضراء قريش اي دهماوهم وسوادهم والمراد الجماعة وذهب بعض اهل
اللغة الى ان صوابه عصراوهم بفتين بمجمة وهي عصارتهم وحريمهم وخضيمهم
او طينتهم التي خلقوا منها والمراد على كل حال استيصالهم والصواب ما تقدم
رواية ودراية والمعنى انه صلى الله عليه وسلم ظفر بهم في حال تنتفوا هلا
باسرهم بحيث لا يبقى منهم باقية فاراد صلى الله عليه وسلم على ان عفا
وصفح اي مع شدة اذاهم ونصره عليهم بحيث صاروا في قبضة تصرفه وقد
احاط بهم الهلاك من كل جانب ما اراد مما كان عليه من حاله الا العفو والصفح
لاشفاء النفس بالانتقام وفعل ما سيخفون بحيث لو فعل لو يلم والعفو
والصفح منفاريان عدم المواخذة بالذنب وقال صلى الله عليه وسلم تلويحا
للطفه بهم مستندرا منهم ما في ضمائرهم مفوضا ذلك اليهم تكرما منه صلى الله
عليه وسلم ما تقولون ما استفهامية والقول بعدها بمعنى الظن كما صرح به

شبكة الألوكة
www.alukah.net

النحاة فقوله انى فاعل بكم بفتح همزة ان وهى وما معهما سادة مسد مفعوليه
وهذا مذهب وجعل القول على اصله بناء على انه سالهم عما قالوا فى انفسهم او
فيما بينهم تكلف مخالف للاستعمال الفصيح قالوا خيرا منصوب بمقدر اى فعل
فاعل فقبله اى تفعل خيرا او انت فاعل خيرا اخ كريما اى انت اخ كريم
وهى جملة مستانفة لبيان انه يفعل الخير وابن اخ كريم هذا على عادة
العرب فى تسمية القريب اخا قال تعالى والى عاد اخاهم هودا والكريم
الجامع للخير والفضايل كما فى الحديث الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف
الى آخره فقالوا قولا كما قال اخى يوسف فيه بلاغة وطى بديع ابلغ من قوله
تميت من الاعمار ما لو حوتنه لهنيت الدنيا بانك خالد
لما فيه من الايما الى شقهم عصا القرابة بينهم وحسدهم له وكذبهم عليه
وقطعهم رحمه مع ماله صلى الله عليه وسلم من الشرف البازخ فانه الكريم
ابن الكرام وان حسدهم وبغيهم كان سببا لعلو مقامه وعلاكه لنواصيهم
وذلتهم له معترضين بقصورهم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو
ارحم الراحمين التثريب التقبيح والتوبيخ اى لا اوبخكم واعيركم بما يخجلكم ويحتمل
ان المراد لا اعيب عليكم لعدم مبالاتى لكم من الترب وهو الشحم الذى يغشى الكرش
ومعناه ازالة الترب كما ان التجليد ازالة الجلد لانه اذا ذهب كان غاية الهزال
فضرب مثلا للتقريع الذى يمزق العرض ويذهب بماء الوجه وفيه جواز الاقتباس
من القران ولو مع تغيير ما فى المعنى وقد جوز الوقف على قوله عليكم والظرف
متعلق بيغفر وفيه المسارعة بالمغفرة فى وقت يرجى فيه خلافه واليوم
بمعنى مطلق الوقت ويجوز ان يوقف على اليوم اى لا تغيير فيكم اليوم
لان المقدرة تذهب الحفيظة اذ ابدل الله من العسر يسرا ومن الحزن سرورا
ومن الفرقة الفة ومن الغربة ملكا وبسطة فلا تثريب فى زمان فيه مثل
هذا الخير ولهذا الوقف قرا القراء ويغفر جملة دعائية او خبرية مبشرة
لهم بذلك اذهبوا فانتم الطلقا بالمد جمع طليق وهو الاسير يطلق ويخلى
سبيله قيل وهو مخصوص بمن كان من قريش ومن ثقيف يقال لهم العتقا
تمييزا بينهم وهذا بعض حديث طويل وهو انه صلى الله عليه وسلم لما نزل بمكة
واطمان الناس جا البيت وطاف به سبعا على راحلته يستلم الحجر بمحجنه فلما
قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فاخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها
ثم وقف على بابها وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر

عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا معشر قريش انى فاعل الى آخره
فرجوا كانما نشروا من القبور وقال انس رضى الله عنه هبط ثمانون
رجلا من التنعيم صلاة الصبح منصوب على الظرفية اى وقت صلاة
الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الهبوط النزول من علو لسفل
وهو يتعدى ولا يتعدى قال العباس رضى الله عنه ثم هبطت البلاد لا بشر
وباوه مفتوحة فى الماضى مكسورة فى المضارع وضمها لغة شاذة وقال ابن عطية
ان الضم كثير فى غير المتعدى وقيل علية ان لا يوجد الفرق بين المتعدى وغيره
يعنى بحركة عين المضارع وحدها والتنعيم بفتح النا اسم موضع عن يمينه
جبل يقال له نعم وعن يساره جبل يقال له ناعم والوادى هو نعمان فقيل
فيه التنعيم لذلك وقالت امراة تذكره
اياجبلى نعمان بالله خليا ● نسيم الصبا يخلص الى نسيمها
وهو على اربعة اميال من مكة وهو طرف الحرم من جهة المدينة فاخذوا
فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله فى هذه القصة وهو
الذى كف ايديهم عنكم الاية وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم
اى اظهركم وقدركم عليهم فهزمهم حتى ادخلهم بطنها وحديث انس رضى
الله عنه المذكور رواه مسلم والترمذى وابو داود والمراد ببطن مكة الحديبية
وضمير الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ومن معه وكان ذلك وهو تحت اصل
الشجرة فبينما هو كذلك اذ خرج ثلاثون رجلا وقال ابن هشام رحمه الله
سبعون او ثمانون واخذوا اسرا او السفرا يمشون فى الصلح فاطلقهم
وهم العتقا وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر ان عكرمة ابن
ابى جهل خرج اليه فى خمسماية فارس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لخالد هذا ابن عمك خرج فى خمسماية فارس فقال انا سيف الله وبذلك
سمى يومئذ فقام اليه فى خيل فهزمه الى حوايط مكة وقيل انه كان يوم
فتح مكة وبهذا استدل بعض الحنفية على انها فتحت عنوة ورد باان
الاية نزلت قبل الفتح وان الكف يناسب الصلح وهو بصيغة الماضى
والاية نزلت بالحديبية قيل ومن العجيب قول ابى السعود ان الاية نزلت لما خرج
عكرمة بن ابى جهل فى خمسماية فارس الى الحديبية فبعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم خالد بن الوليد بجند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة يوم
الفتح انتهى وهو كلام متناقض لان الحديبية كانت سنة ست فى ذى القعدة

وفتح مكة كان في رمضان سنة ثمان وفتحه خالد كانت يوم الفتح أقول من قال
المراد فتح مكة فهو ضعيف فان السورة مدنية نزلت قبل الفتح والحمل
على ان الماضي اعني كف للتحقق بمعنى المضارع وعدا بعيد جدا وايضا
ما ذكر ان عكرمة بن ابي جهل خرج في عسكر فبعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم خالد بن الوليد الى الحديبية فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة غلط
فان خالد بن الوليد لم يكن اسلم يومئذ بل كان طليعة للمشركين كما في البخاري
ولا حاجة لتاويل كلامه بانه اراد بالفتح فتنة الحديبية لانها سميت في القرآن
فتحا مع انه تابع في هذا الغلط لغيره وعمدته على من قاله اولا وليس
ما نقل ايضا مطابقا لما قاله في تفسيره في فتح مكة خلاف في كتب الفقه وفي
الكشاف كف ايديهم قضى بينكم وبينهم بالمكافاة والمجازاة وهي نزعته
اعتزالية ولذا تركه القاضي رحمه الله وقال صلى الله عليه وسلم لابي سفيان
صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف وقد سبق اليه جملة حالية
اي قال له القول الاتي وسبق مبني للمجهول ساقه الى يده وقاده والسائق هو
العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما شارف النبي صلى الله عليه وسلم
لفتح مكة ونزل من الظهران عشاء او قد عشرة الاف نار وجعل على الحرس
عمر رضي الله عنه واراد دخولها قهرا لقتل الكفار فرقت نفس العباس
رضي الله عنه لاهل مكة فخرج على بغلة النبي صلى الله عليه وسلم حتى
اتى الاراك فقال لعلي اجد ذا حاجة ياتي مكة فيخبرهم برسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى يخرجوا ويستامنوه قبل ان يدخلها عنوة فسمعت
صوت ابي سفيان يقول لبديل ما رايت كالليلة سرايا ولا عسكرا قفلت
ابا حنظلة فقال ابو الفضل قلت نعم قال ما لك فداك ابي وامي قلت
هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس واصباح قريش قال ما الحيلة
قلت والله لين ظفر بك ليضربن عنقك فاركب عجز هذه البغلة حتى
اتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامنه لك فركب خلفي فكنت
كلما مررت باحد قال بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها عمه حتى
مررت بعمر رضي الله عنه قال ابو سفيان عدو الله الحمد لله الذي امكن منك
بلا عقد ولا عهد وخرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فركضت
البغلة ودخلت عليه وعمر معه فقال هذا ابو سفيان دعني اضرب عنقه
فقلت اني قد اجرته وجلست فلما اكثر عمر رضي الله عنه في شانه قال صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم مهلا يا عمر اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا اصبح فاتني به
فغدت به صباحا فلما راه رسول الله صلى الله عليه وسلم علم انه جا ليسلم
منقادا فعفا عنه ما سبق منه في كفره لان الاسلام يجب ما قبله ولاطفه
في القول اذ خاطبه بقوله ويحك يا ابا سفيان اي انقي لك مع عقلك وذهابك
وظهور حقية الاسلام وعبر بفاعل ليلطف كل منهما في مقاله واللطف الرفق
والبر ويكون بمعنى الدقة والصغر الم يان لك اي الوقت يقال
اني ياني اذا حان وقته وجاز ما نه ان تعلم ان لا اله الا الله اي توحد الله وتصدق
به فتسلم اسلاما صحيحا فقال ابو سفيان بابي وامي ما احلمك واكرمك
واوصلك لرحمك اذ خاطبتني بلطف وهديتني الى الحق مع ما فاسبته
مني ثم اجابه مصدقا فقال لقد ظننت ان لو كان مع الله اله غيره لقد اغنى
شيا بعد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ابا سفيان الم
يان لك ان تعلم اني رسول الله فقال بابي وامي انت اما هذه ففي النفس
منها شي فقال له العباس ويحك اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله قبل ان يضرب عنقك فشهد شهادة الحق واسلم والحديث مذكور بتمامه
في السير وامر ابي سفيان رضي الله عنه مشهور وفي بعض النسخ بدل ما احلمك
ما اجملك من الجمال ويحتمل انه من التجمل وهي صيغ تعجب وكل هذا جايز وفي
تاريخ قزوين للامام القزويني روى علي بن احمد بن صالح قال حدثنا ابو
العباس العبدي القزويني ثنا الحسن بن الفضل ثنا محمد بن عمران
البغدادي ثنا الاصمعي ثنا مالك بن مغول عن الشعبي عن ابن عباس رضي
الله عنهما قال لطم ابو جهل لعنه الله فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم ورضي عنها فشكت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها
ايتي ابا سفيان فاتته فاخبرته فاخذ بيدها حتى وقف بها على ابي
جهل لعنه الله وقال لها الطميه كما لطمك ففعلت فجاء الى النبي صلى
الله عليه وسلم فاخبرته فرفع يديه وقال اللهم لا تنسها لابي سفيان
قال ابن عباس رضي الله عنهما ما شككت ان كان اسلامه الا لدعوة النبي
صلى الله عليه وسلم انتهى نقله السيوطي في كتاب تحفة الادب ومن خطه
نكتب بعد هذا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم الاتي اي بعد ان جلب اليه الاحزاب
جلب بالجيم والموحدة بمعنى ساق وجمع واصله من الجلبة وهي اصوات
المحاربين والاحزاب جمع حزب وهي الناس المجتمعة من قبايل شتى للحرب ويقال

احلمك

تحزبوا تجمعوا وهذه غزوة الخندق التي كانت في سنة خمس واسناد
جلب الاحزاب اليه لانه كان قايد جيشهم وصاحب رايهم والا فسبب التحزيب
انما كان جماعة من اليهود دعوا القبايل وحركوا قريشا لذلك كما فصل هـ
في السير وقتل عمه حمزة سيد الشهدا رضي الله عنه واصحابه اي اصحابا
النبي صلى الله عليه وسلم وعود الضمير لعمه وان صح بعيد ومثل بهم بالتشديد
اي شوهت خلقتهم بقطع الاطراف وشق البطن واخراج القلب ونحو وهو
من المثلة بضم الميم وهي العقوبة الشديدة ومنه قد خلت من قبلهم المثلات
ويقال مثل بالتخفيف ايضا ونسب قتل حمزة رضي الله عنه وقتل اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم كابي سفيان مع ان قاتل حمزة وحشي بن حرب
واسلم بعدة لذلك ولم يباشره ابو سفيان الا انه هو الباعث والسبب لذلك
القتال والمهيج له ولكون قتل حمزة رضي الله عنه مشهورا نه باحد لا يقال ان
عبارة المصنف رحمه الله توهم انه بالاحزاب والمراد بالاصحاب من قتل باحد
وكانوا اكثر من سبعين ولذلك نسب الى التمثيل له مع ان الممثل روجته
هند لان فعل اهل الرجل كفعله لاسيما النساء وقد مثل بجماعة غيره ايضا
كما اشار اليه المصنف رحمه الله بقوله لهم فيمن مثل به انس بن النضر وعبد
الله بن جحش كما فصل في السير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد
الناس غضبا واسرعهم رضى اي غضبه بعيد لا يكون منه الا بعد امور كثيرة
بخلاف رضاه فانه يرضى باقل شئ سريعا لكرمه وحلمه صلى الله عليه وسلم
ويأتي فيه الكلام مبسوطا وهذا لانه متخلق باخلاق الله وهو رحمة من
الله ورحمته قد سبقت غضبه وفي الحديث المومن بطئ المغضب سريع
الرضى وهذا في غير حقوق الله وفي غير ما يودي الى عدم الحمية والمروءة
فلا ينافي هذا قول الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن
استرضى فلم يرض فهو شيطان فصل واما الجود والكرم والسخا
والسماحة جواب اما قوله الاتي فكان صلى الله عليه وسلم لا يوازى الى اخره
وما بينهما جمل معترضة ومعانيها متقاربة بعضها قريب من بعض حتى
توهم بعضهم لذلك انها مترادفة وقد فرق بعضهم بينها بفروق واهل
اللغة يعرفون الفرق في امثاله بمقابلها واضدادها كما قيل
وبضدها تتبين الاشياء ولابن هلال كتاب في الفروق مفيد جدا
وتقدم ان فرق بتخفيف الراء وتشديدها بمعنى الا ان بعضهم قال الاكثر في

التفريق

التفريق استعماله في الاجسام والفرق في المعاني وهذا لا ينكر استعمال
احدهما مكان الاخر فهو كلام قليل الجدوى وجمع فروق باعتبار وقوعه
بين كل واحد وغيره والا فهو في الحقيقة فرق وبدا المصنف بالجود اولا
وفي التفريق اخره لانه عنده بمعنى السخا ولذا قيل كان الاولى تركها
وعطفه على السخا وتاخيره فجعلوا الكرم الانفاق مطيب النفس فيما يعظم
عظم يعظم بضم العين فيما جل مقداره وخطره بفتحتين وقد تسكن الطا
قدره ووقعه ونفعه لمن يعطى له وذلك انما يكون بكثرته وهذا يختلف باختلاف
المعطى والاخذ وكان هذا معنى الكرم في عرف اللغة والا فالكرم بمعنى الشرف
والمجد وهو لا يختص بالاعطاء ولذا قال وسموه ايضا حرية بضم الحا المهملة
وكسر الرا المهملة المشددة يليها تحتية مصدرية وهي اذا الحقت الاسما الجامدة
والصفات تصيرها مصدرا ولا بد في اخرها من هاء تانيث ولم تفصل السخاة
حال هذه الاسما الا نهاشايعة في الاستعمال وما وقع في بعض النسخ هنا
من انه جراة بجيم مضمومة وراء ساكنة تليها همزة وهاء كما في حواشي ابن سلطان
فهو من تحريف الكتاب فانه لا مناسبة له هنا وان كانت الجراة والكرم اخوان
لا يفترقان لاسيما في زمان فيه غاض الكرام وفاض الليام واما تسمية
الكرم حرية فلان الحر خلاف العبد فالحرية الخلاص من بين الناس فاذا طوعهم
منه خلصت له الحرية لان الانسان عبد الاحسان وهذا من كلام الصوفية
فانهم قالوا الحرية صفة يتولد عنها الاثار ونهاية السخا انه بذل ماله البته
حاجة وهو نهاية السخا واعلى منه قول بعضهم الحرية ان لا يكون العبد
بقلبه تحت رق شئ من المخلوقات ولا من اعراض الدنيا والاخرة ويكون فردا
لم تسترقه دنياه ولا هواه ولا حظ يتمناه وقال القرطبي في كتاب المنتقى
من كلام اهل التقارب في التصوف الحرية المحضة هي الخروج من ملك سلطان الشهو
والغضب والتمرن بالصبر والعبودية المحضة هي طاعة الارادة فيما لا يضر
النفوس البة الا بسوء العادة وايثار اللذة وكل مذموم في زمن الحداثة الشهوة
والغضب شق عليه في زمن الشيخوخة ما يلحقه من ضعف بدنه عن خدمة لذته
ومن حذر فيه الراي والادب شق عليه ذلك في الحداثة وكان في زمن الشيخوخة
مستريحا انتهى وهو ضد الذالة بفتح النون والذال المعجمة واللام هي الخسة واللئام
وهي من لوازم البخل المقابل للكرم كما قيل وفيه اشارة الى انه ليس مقابلا له حقيقة
والسماحة والسماح النجابي تفاعل من الجفا وهو غلظة الطبع وحقيقته التباعد

والترفع يقال جفا السرج عن ظهر الدابة اذا نبا عنه كما قال عز وجل تتجافا جنوبهم
عن المضاجع اي لا يكثرون النوم اي العفو عما يستحقه المرء عند غيره بطيب
نفس وهو ضد الشكاسة بشين معجمة مفتوحة وكاف وسين مهملة بينهما
الف وهي كما قاله التلمساني سوء الخلق وفي القاموس انها النخل والاول
انسب هنا والثاني انسب بتفسير السماحة بالجود كما قاله ابن القوطية
والسخا سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد من الصنايع المذمومة
كالحجامة واخذ ما لا يحل له وهو الجود وفرق بعضهم بينهما قال ابن عصفور
في الممتع السخا ماخوذ من الارض السخاوية وهي الرخوة ولذا وصف الله
بجواد دون سخي لانه اوسع في معنى العطا وادخل في صفة العلاء
انتهى وقد تقدم له فعلى هذا هو اخص منه وقال ابن مالك في الكفاف
السخي هو الجواد فهو موافق لما قاله المصنف وقال سقراط الجواد هو
الذي يعطي بلا مسالة صيانة للاخذ من ذل السوال وقال الشاعر
وما الجواد من يعطي اذا ما سالته ولكن يعطي بغير سوال وهو ضد
التقتير المعروف في اللغة ان الجود ضد البخل والتقتير التضييق في
الانفاق وهو ضد الاسراف والتبذير وهما بمعنى وفرق بينهما
صاحب الكشف في سورة الاسراء يقال قترت الشيء وافترته اذا ضيقت
الانفاق فيه وقال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا
وكان بين ذلك قواما والبخل والتقتير متلازمان لا مترادفان فان حق
يكون كلامنهما ضد السخا واعلم ان كلام المصنف هنا غير موافق للغة
ولا للعرف ولا ادري من اين اخذه ولكن الامر في مثله سهل وهو يحتاج
للتهذيب وسنكرر عليه مرة اخرى وكان صلى الله عليه وسلم لا يوازي
بالهمز مبنيا للمفعول اي لا يساوى ولا يقابل يقال فلان يازى فلانا اي
يحاذيه ويساويه وقال الكرماني موافقا للجوهري يقال ازيته اي
حاذيته ولا يقال وازيته والذي عندنا في النسخ يوازيه بالواو والمدة
من الهمزة وقد اجاز بعضهم بقلب الهمزة واوا اذا انفتحت وانضم
ما قبلها نحو جون وجزم البرهان الحلبي بانه في كلام المصنف بالواو
ويحتمل انه في كلامه بالهمزة ورسمت واوا على قاعدة الرسم في مثله
اي هو صلى الله عليه وسلم لا يساويه احد في هذه الاخلاق الكريمة
والاوصاف الحسنة من الجود والسخا والكرم والسماحة كما قال الابوصيري

فاق النبيين

فاق النبيين في خلق وفي خلق ولم يدانوه في علم ولا كرم

ولا يبارى بالبنا للمجهول وهو بالموحدة والراء المهملة ومعناه يعارض المعارضة هدة
ان تفعل مثل ما يفعل وهما متقاربان لهذا وصفه كل من عرفه بالمشا
او بما اشتهر عنه شهرة لا يبقى معها ريب ولا شبهة حدثنا القاضي الشهيد
ابو علي الصدفي هو الحافظ ابو علي بن سكرة وقد تقدمت ترجمته وهو
منسوب لصدف بفتح الدال وهي قرية لقرب الفيوم وان قال ثنا القاضي ابو
الوليد الباجي تقدمت ترجمته قال ثنا ابو ذر الهروي تقدم ايضا قال ثنا
الهيثم الكشميهني قال البرهان الحلبي هو بضم الكاف وسكون الشين المعجمة
وكسر الميم وسكون المثناة التحتية وفتح الهاء بعدها نون كما في لباب الانساب
لابن الاثير وضبطه بالقلم الحافظ عبد الهادي في طبقاته بفتح الكاف وكذا
صحح في نسخ الشفا والصواب ما ذكرته والنسبة لقرية من قرى مرو قديمة
خرج منها جماعة وقد خربت انتهى وفي اخره يا نسبة لم يصرح بها لانه معلوم
من السياق كما في بعض الشروح من انه لا يا في اخره وان النسبة فيه على خلاف
القياس مما يقضي منه العجب وابو محمد السرخسي بنسبة لسرخس بلدة عظيمة
بخراسان وقد تقدمت ترجمته وابو اسحاق البلخي ابراهيم بن احمد بن ابرهيم
ابن داود المستملي الامام المشهور كما تقدم منسوب لبلخ بلدة عظيمة
في ما وراء النهر قالوا حدثنا ابو عبد الله الفربري تقدمت ترجمته وفربر بلدة
بجخل بلدة بخارى قال حدثنا البخاري تقدم وشهرته تغني عن ذكره قال
حدثنا محمد بن كثير بلفظ كثير ضد القليل العبدي البصري الحافظ روى
عنه اصحاب السنن وتوفي سنة اثنين وعشرين ومائتين وله ترجمة في الميزان
فيها كلام لابن معين وقال الذهبي انما هو في ابن كثير الفهري وفيه تعقب
لكلام المزي لانه قال العبدي قال حدثنا سفيان هو ابن سعيد الثوري
كما تقدم وهذا الحديث رواه ايضا سفيان بن عيينة عن ابن المنكدر ابن
عبد الله التيمي المدني الحافظ عن ابيه وعن عايشة وابي هريرة رضي الله
عنهم واخرج له اصحاب الكتب الستة قال سمعت جابر بن عبد الله رضي
الله عنهما يقول ما سيل النبي صلى الله عليه وسلم شيا فقال لا وهذا لفظ
اخرجه الترمذي في الشمايل وغيره وفي معناه قول حسان
ما قال لا قط الا في تشهده ٭ لولا التشهد لم يسمع له لا لا
ومعنى الحديث انه صلى الله عليه وسلم اذا اتاه مستحق يطلب عطاه لا يجيبه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ويقول له لا قط بدليل اوله حتى اذا لم يجد شيئا اقترض او قال ابتني غدا
ونحوه وهذا هو الذي عناه حسان وهو باعتبار الغالب فان النادر كالعدم
فهو مبالغة معروفة مألوفة ولم يرد انه صلى الله عليه وسلم لم يتلفظ بلا
اصلا حتى يرد عليه ان الاحاديث المصدرة بها يبلغ الموجود من جحر مرتين
كما مر لا تحصى كثرة كما قيل ويجاب عنه بما لا حاجة له ثم قال وقوله في البردة
نبينا الامر الناهي فلا احد ابر في قول لا منه ولا نعم
فهو انما يقتضي صدورها عنه مطلقا وذا لا ينافي انها لم تكن لتصدر عنه
اذا سئل عن شئ من متاع الدنيا لجواز صدورها منه في غير تلك الحال اقول
قد عرفت ما فيه اولا بقي هنا في البيت اشكال كان يحول في الصدر قديما وهو
ان الامر والنهي انشائيان لا يجاب بلا ونعم فالتقريع بلا لا يصادف محله هنا
ولم نحم حول هذا احد من الشراح مع ظهوره وقد ظهر لي والله الحمد وجهه
فمعنى نبينا الامر الناهي الى آخره انه لا حاكم سواه فهو حاكم غير محكوم فاذا
قال في امر لا او نعم وهو لا يقول الا صوابا موافقا لرضى الله فحينئذ لا يخالفه
الا بفسر قاسر وليس غيره حاكم يمنعه عما حكم به ويرد احكامه فهو اصدق
القائلين فيما يقوله وعن انس بن مالك رضي الله عنه وسهل بن سعد مثله
اي مثل الحديث السابق المروي في الصحيحين وحديث انس رضي الله عنه
هذا في مسلم وذكره في الوفا ايضا ولفظه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيا لا يسأل شيئا الا اعطاه والاحاديث في معناه كثيرة وسهل هو الساعدي
المروي عن سهل بن سعد انه قال بينا انا جالس ذات يوم بين يدي النبي صلى
الله عليه وسلم واذا بامرأة اتت ببردة منسوجة فقالت اني نسجت هذه بيدي
كسوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذها النبي صلى الله عليه وسلم وقال
كنت محتاجا اليها فاخذها واتزر بها فحسنها رجل من القوم وقال له يا رسول
الله اكسنيها فقال نعم فجلس ما شاء الله تعالى في المجلس ثم خلعها على
ذلك الرجل الذي سأله اياها فقال له القوم ما احسنت بسؤالك له اياها
وقد علمت انه لا يرد سائلا فقط قد ذلك والله ما سألته اياها الا لتكون كفني
يوم اموت فكان كذلك وسهل هو الساعدي الانصاري الصحابي وقال
ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير اي
بما فيه نفع الناس واجود ما كان في شهر رمضان رمضان اسم للشهر ويقال
رمضان وشهر رمضان وكون العلم المضاف دون المضاف اليه او هما كلام لحاجة

لذكره ولا يكره ان يقال رمضان وما روي من حديث لا تقولوا رمضان
فان رمضان من اسما الله عز وجل ولكن قولوا شهر رمضان ضعيف
لا يعمل به لصحة ما يخالفه كما فصل شراح البخاري وهذا الحديث رواه
الشيخان وروي فيه اجود ما يكون ووقع في بعض النسخ هنا
ايضا واجود الثاني يجوز رفعه مبتدا ونصبه عطفا على خبر كان وعلى
الاول خبره محذوف وجوبا كما قرره النحاة في نحو احطب ما يكون قائما
والكلام عليه طويل الذيل ليس هذا محله وما مصدرية وكان تامة ولنقتصر
ولنقتصر من القلادة على ما احاط بالعنق وانما زاد جوده صلى الله عليه
وسلم في رمضان لحاجة الصائمين ولانه موسم الخيرات الذي تفضل
فيه الله على خلقه بما لم يتفضل في غيره فاتبع سنة الله في عباده وتخلق بالخلق
وكان صلى الله عليه وسلم اذا لقيه جبريل اجود بالخير من الريح المرسلة
لانه عليه الصلاة والسلام يسر بملاقاته وامداده له بالبشرى والكرامة
فيحسن كما احسن الله اليه فكان يكثر مجيئه له في رمضان ليدارسه
القرآن ويعارض به بقراءة كل منهما على صاحبه بالتخوير ووجوه القرآن
اجود بالخير من الريح المرسلة قال الكرماني الجود اعطاء ما ينبغي لمن ينبغي
والخير شامل لجميع انواعه مما يقرب العبد الى الله وارسال الرياح اطلاقها
باذن الله فترسل بالرحمة والمطر قال تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشرا
بين يدي رحمته وقال تعالى والمرسلات عرفا اي الرياح المرسلة بالمعروف
على احد التفاسير وهو من التشبيه البليغ على سبيل الترقي فجعله اجود
الناس ثم ذكر ان جوده في رمضان وعند ملاقاة جبريل اذ يومئ به في غيره ؟
والمراد بالمرسلة خلاف العظيمة قيل وفي قوله اجود من الريح جمع بين
الحقيقة والمجاز وفيه بحث يعلم من كلام اهل المعاني في تحقيق وجه الشبه
في قولهم كلامه احلى من العسل وتقديم قوله بالخير اهتماما به وللدلالة
على تقدير مثله فيما بعده او اشتراكهما فيه لا لدفع توهم تعلقه بالريح
المرسلة وليس من الاكتفاء وفي تشبيهه بالريح اشارة الى سرعته ومبادرته
له وقد علم ان المراد بالريح المرسلة التي لم ترسل بالغيث لا مطلقها لانها
في القرآن مخصوصة بها فان قلت ذكر الريح وقد قيل الفاء اذا كانت مفردة
تكون في العذاب والشر واذا جمعت فهي للنفع والخير قلت هذا قيل انه
مخصوص بما وقع في القرآن بالاستقراء لا مطلقا ولا ينافيه ما وقع في هذا

عرضي

لزكره

الحديث وغيره ويؤيده ما اخرجه ابن ابي حاتم عن ابي بن كعب انه قال كل شئ
في القران من الرياح فهو رحمة وكل شئ فيه من الريح فهو عذاب وما ورد في
الحديث كما رواه البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه ما هبت ريح الا جثا
النبي صلى الله عليه وسلم على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها
عذابا اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا لا يدل على عدم اختصاصه بما
وقع انه قيل في القران لانه قيل انه صلى الله عليه وسلم اراد اللهم اجعلها
رياحا ولا تجعلها ريحا لا يدل على عدم اختصاصه بما وقع من جملة رياح
القران ولا تجعلها من ريحه اي مما ذكر لهذه العبارة فلا دليل فيما ذكر
كما قيل الا ترى الى قوله ارسلنا عليهم الريح العقيم وريحا صرصرا ونحو
وقوله وارسلنا الرياح لواقح وترسل الرياح مبشرات وقد قرى في بعض
ايات الرحمة بالافراد والجمع وورد مفرده في ذلك فكانه اغلبي واما تاويل
رياحا في الحديث بما جاز فيه الجمع فتعسف وقيل يحتمل انه صلى الله عليه
وسلم انما قاله لان ما هبت ان كان ريحا واحدة لم تلقح السحاب وتنزل
المطر غالبا وان رياحا فهو بخلافه ويحتمل ان يكون معناه لا تهلكنا بريح
واحدة لا تهب بعدها ريح اخرى وطول اعمارنا حتى تهب علينا رياح كثيرة
وعن انس رضي عنه رواه مسند امسلم في صحيحه ان رجلا هو صفوان بن امية
الاتي بيانه كما في سيرة ابن سيد الناس وغيرها سأله صلى الله عليه وسلم
فاعطاه غنما كثيرة كانت بين جبلين اي مالية وادبا بين جبلين كما يفهم
منه ذلك بحسب العرف وان كان يقال للغنم السارحة بينهما قليلة
او كثيرة ذلك فان كان اسلم قبل سؤال فهو ظاهر وقوله فرجع الى قومه
وهم قريش لانه من اهل مكة وفي نسخة الى بلده وقالوا اسلموا لا ينافيه
وان كان قبل اسلامه فاما انه كان في صدر الاسلام تجوز اعطا المؤلفة
قلوبهم من الكفار من الزكاة او من نبت المال ثم نسخ وقول الصوصري ✝
واتاه اعرابي الثمس المدا • اعطاه شاة ضمها جبلان •
لعله قصة اخرى فان الرجل المذكور هنا من اكابر قريش وبونسه قوله
فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة فان قريشا كانوا يعلمون كرمه
وجزيل عطايه صلى الله عليه وسلم فانه لا يخشى فاقة وما باري احد في
الجود الافاقة والفاقة الفقر او انشده وهكذا اولى امته ففي الحديث
دعايم امتي عصايب اليمن واربعون رجلا بالشام كلما مات رجل منهم ابدل الله

مكانه احزاما انهم لم يبلغوا ذلك بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بسخا
الانفس وسلامة الصدر والنصيحة للمسلمين واعطى عبر واحد مايه من الابل
الابل اسم جنس جمعي لا واحد له من لفظه كخيل وغنم والذين اعطاهم صلى
الله عليه وسلم مايه ناس كثير منهم ابو سفيان وابنه معاوية والحارث
ابن هشام وقد عدهم البرهان الحلبي وقال انهم يبلغون ستين من المولفة
قلوبهم وكذلك ذكر الشيخ قاسم في تخريج احاديث هذا الكتاب واعطى
صفوان بن امية مايه ثم مايه ثم مايه وصفوان بن امية هو ابن خلف
ابن وهب بن حزاعة بن جمح قرشي له صحبة وكنيته ابو وهب اسلم يوم
الفتح وشهد حنينا والطايف وهو مشرك فلما اعطاه رسول الله صلى
الله عليه وسلم من الفي ما ذكر قال اشهد بالله ما طابت بهذا الا نفس
نبي فاسلم وروي له اصحاب الكتب الستة وتوفي في خلافة معاوية سنة
ستين واربعين بمكة وعلى هذا فاعطاه مرارا غنما وابلا فلا منافاة
بينه وبين ما سبق واعطاوه له السابق كان من غنايم حنين وهذا
لحديث رواه مسلم وهذه اي الخصلة والسجية في الكرم والعطا كانت
حاله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث اي ينبا او يرسل وقد قال له ورقة
ابن نوفل ورقة بواو وراء مهملة مفتوحتين وقاف وهو ورقة بن نوفل
ابن اسد بن عبد العزى كان من اعقل اهل زمانه واعلمهم شاعر بليغ
متالها وكان يقرا ويكتب الكتب القديمة بالعربية والعبرانية ويتالهه
ويتعبد ولذا سمى القس وتهود في اول امره ثم تنصر وهو ابن عم خديجة
ام المومنين رضي الله عنها وله اشعار كثيرة في التوحيد والترهب لم
يكن له عقب وورد في الحديث لا تسبوا ورقة فاني رايت له جنة او جنتين
يعني بذلك ما ورد من طريق اخر انه صلى الله عليه وسلم راه في منامه
في الجنة وعليه حلة خضرا او بيضا او نحوه كثياب من حرير وحلة من سندس
وكان حيا في ابتدا الوحي الى ان تنبا رسول الله عليه السلام واجتمع بالنبي صلى
الله عليه وسلم وامن به كما في اول البخاري وقال لين ادركت زمانك لانصرنك
نصرا موزرا وكان صلى الله عليه وسلم اذ ذاك نبيا ولم يومر بالدعوة
ومات ورقة بعد نبوته صلى الله عليه وسلم وقبل رسالته وقد قالوا
انه اول من امن بالنبي صلى الله عليه وسلم من الرجال وهو كذلك بالنسبة لخديجة
رضي الله عنها وصحابي ولذا عرفوا الصحابي بانه من اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم

مومنا به ولم يقولوا بالرسول وهذا مما ينبغي التنبه له وفي نظم السيرة
للعراقي في ذكوره

فهو الذي آمن بعد ثانيا ● وكان براصاد قاموا تيا

والصاد في المصدوق قال انه ● راي له تخططا في الجنة

وهذا المذكور هو الصحيح من انه صحابي وقيل انه ليس بصحابي لانه لم ير
النبي صلى الله عليه وسلم ولم يومن به بعد بعثته وعليه جماعة محققون
وقول المصنف رحمه الله وقد قال الى اخره ان كانت الجملة معطوفة على ما قبلها
فهو صاد في على القولين وان كانت حالا من الضمير في قوله قبل ان يبعث
يكون على القول الثاني وهو مومن على كل حال ولذا راه صلى الله عليه وسلم
في الجنة والاكثر من علمائنا على انه صحابي انك تحمل الكل هذا بعض من حديث
صحيح رواه الشيخان لكن قال السيوطي في تخريجه القابل له صلى الله عليه
وسلم هذا انما هو خديجة رضي الله عنها في قصة مكالمتها لورقة في شان
النبي صلى الله عليه وسلم لما راى جبريل عليه الصلاة والسلام في اول امره
وخاف على نفسه منه وكذا اعترض عليه الشيخ قاسم في تخريجه ايضا
فقال لا اعلم هذا من قول ورقة رضي الله عنه والذي في صحيح البخاري وغيره
انه من قول خديجة رضي الله عنها وما قيل من ان القاضي جليل القدر يحيى
عليه مثله ولا يبعد صدوره من ان ورقة ايضا يحدى لقعا مع نقل الصحيح
خلافه وليس مثله محل بحث ولكل صارم نبوة ولكل جواد كبوة والكل بفتح
الكاف وتشديد اللام مصدر بمعنى الكلال وهو الاعياء وفسر بالثقل
فقيل انه لازم معناه وهو المناسب للحمل لانه لا يقال حمل الاعياء والذي في
البخاري قبل هذا من قولها ايضا حين قال لها صلى الله عليه وسلم لما راى جبريل
عليه الصلاة والسلام لقد خشيت على نفسي وهو لغان كلا والله لا يخزيك
الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف
وتعين على نوايب الحق وتصدق الحديث وتودي الامانة والحديث في اول البخاري
والكلام عليه مفصل في شروحه وحمله الكل هو كقول العرب في المدح هو
حمال اثقال اي يحمل اثقال غيره من الضعفاء والعيال واعانة الخلق بالانفاق
عليهم واطعامهم واعطايهم كلما يحتاجون اليه وكفالة الايتام وغيره
من وجوه البر وهو استعارة شاع في هذا المعنى وتكسب قال ابن فرقول بفتح
التا وكسر السين المهملة في اكثر الروايات واصحها اي يكسب لنفسك تحصيله

مايهم وقيل تكسب غيرك اي تعطيه لان كسب حالا ما ومستقبلا والكل
للفراء وغيره اكسبه في المتعدي وصوبه ابن الاعرابي وانشد

فاكسبني مالا واكسبته حمدا ● فيتعدي بالهمزة لمفعولين وكسب يتعدي
لمفعول وقيل يتعدى لمفعولين كاكسب والمعدوم الشيء الذي لا وجود له واما
الفقير فيقال له معدوم كمكرم قال الشاعر

قالت بنات العم يا سلمى وان ● كان فقيرا معدما قالت وان

قيل ويطلق عليه معدوم ايضا لانه كالمفقود لفقره فاحد المفعولين ؟
محذوف ان بني للمعلوم ومذكوران بني للمجهول والمراد على الوجهين انك
تعطي الناس الفقراء ما لا يجدونه عند غيرك لما فيك من مكارم الاخلاق
بلا راو وقول الخطابي رحمه الله صوابه المعدوم القابل يريد انك تعطي
الفقير الذي لا يجد شيا حطا لان هذه الرواية صحيحة مشهورة عند رواة
الحديث وفيما خشيه صلى الله عليه وسلم على نفسه وجوه واصحها انه خشي
الهلاك من شدة الرعب او تغييرهم اياه فاراد ان خديجة رضي الله عنها
وقع ذلك الذي خشيت بقولها المذكور اي لا تخف فانك لا يصيبك مكروه
لما فيك من جميل الصفات ثم ذكر قصة هوازن وهي صحيحة رواه البخاري
وغيره فقال وردعلى هوازن سبايا هم واموالهم واستنقذ الله تعالى من الناس
والذرية غير الاموال التي من غنايمهم لما غزاهم وكانت اربعة وعشرين الفا
من الابل واكثر من اربعين الف شاة من الغنم واربعة الاف اوقية من الفضة
والاوقية اربعون درهما وعن ابن فارس انه فوق ما وهبه لهوازن فكان
خمسماية الف وقيل الف الف وهوازن اسم قبيلة منسوبة لهوازن
ابن اسلم وكان يسكن حنينا وهو كما ياتي موضع سمي بحنين ابن نابة ابن ؟
مهلابيل وغزوته صلى الله عليه وسلم تسمى غزوة حنين وغزوة هوازن وكان
في شوال او رمضان وامرها معروف مفصل في السير ولما غزاهم وحاربنا بهم
جاؤا وفدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم اربعة عشر رجلا ؟
ورئيسهم زهير بن صرد وفيهم ابو برقان عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الرضاع فسالوه ان يمن عليهم بما اخذ منهم لما بينهم وبينه من مناسبة
الرضاعة فقال لهم ابناؤكم ونساؤكم احب اليكم اموالكم قالوا ما كنا
نعدل بالاحساب شيا فقال صلى الله عليه وسلم اما ما كان لي ولبني عبد
المطلب فهو لكم وما الناس يسال منهم فقال المهاجرون والانصار ما كان لنا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فمولرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال جماعة من المؤلفة اما مالنا فلا
فاخذه صلى الله عليه وسلم منهم فرضا على ان يعوضهم عنه من اول مال يجئ
فسلموه جميعا وكان صلى الله عليه وسلم كسامهم وانما فعل ذلك لانه
كان بعد القسم وليس للامام ان يمن بعده لتعلق حق الغير به والسبايا
جمع سبيه بمعنى مسبية قال التلمساني ولا يكون السبي الا في النساء واعطى
ايضا العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رواه
البخاري عن انس تعليقا من الذهب ما لم يطق حمله وقد اتى بمال من البحرين
وكان اكثر مال اتى فنثر في المسجد فاتاه العباس رضي الله عنه وقال
اعطني فاني فاديت نفسي وعقيلا فقال له صلى الله عليه وسلم خذ فحثا
في ثوبه ثم ذهب لنقله فلم يستطع فقال من يرفعه فقال لا فقال فارفعه انت
علي فقال لا فنثر منه ثم ذهب لنقله فلم يقدر فقال له كالاول فنثر منه ثم
احتمله على كاهله وانطلق فاتبعه صلى الله عليه وسلم ببصره تعجبا منه ولم
يقم حتى فرقه ولم يبق منه درهم وانما اعطاه لانه خرج لبدر مكرها
وكان يخفي اسلامه ثم فدى نفسه وعقيلا كما فصلوه وحمل اليه صلى الله
عليه وسلم الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها فقسمها فما رد
سايلا حتى فرغ منها رواه الحسن الضحاك في شمايله مرسلا الا انه قال
ثمانون الفا واخرجه ابن الجوزي في الوفا وقال سبعون الفا كما قال الشيخ
قاسم في تخريج احاديث الشفا والسيوطي في تخريجه بلفظ سبعين بتقديم
السين على الموحدة ويوافقه قول الصرصري في مدحه

سبعون الفا قضمها في مجلس • لم يبق منها عنده فلسان

وقوله حتى الى اخره غاية لقوله قسمها وقيل لقوله فما رد سايلا وليس المراد
انه يرد بعد الفراغ فهو على حد قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا
وجاء رجل فسأله عطاشي يحسن به له فقال ما عندي شئ ولم يقصد
منعه بذلك حتى لا ينافي ما مر من انه صلى الله عليه وسلم ما قال لسايل
لا قط لان المراد انه لم يمنعه ما سأل من متاع الدنيا وانما مراده اخبار بعذره
في عدم التعجيل له بدليل قوله ولكن ابتع علي بموحدة ساكنة بعد همزة الوصل
ومثناة فوقية مفتوحة وعين مهملة افتعال من البيع بمعنى الشراء فانه
يطلق عليهما وفي القاموس ابتاعه اشتراه اي اشتر بثمن يكون ذلك الثمن
علي وفي متى كذا ثبت في الحديث وفي شرح الدلجي انه بتقديم المثناة الفوقية

على الموحدة اي اشتر واستلف ما تختار انتهى وليس هذا ضمان بكل وعد منه
الا ان وعده صلى الله عليه وسلم كان ملتزم الوفا لان وعد الكريم دين ولذا
صح انه لما توفي نادى ابو بكر رضي الله عنه من كان له عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم عدة او دين فليأتنا فجاء جابر رضي الله عنه وقال انه اي رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعدني كذا وكذا فاعطاه له فاذا جانا شئ مما من الله به من الغنائم
او غيرها وفي قوله جانا يعني معاشر المسلمين اشارة الى انه مال الله لعباده لا الى وتحدث
قضيناه اي اديناه ويحتمل ان الضمير هنا وفيما قبله للتعظيم اي قضيته قضا
انال به التعظيم منه تعالى واختاره بعضهم ولذا لم يقل جانا وقضيته مع
قوله على فتامل والقضا يشعر بانه لزوم ذمته كالدين فقال عمر رضي الله عنه ما
ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره صلى الله عليه وسلم ذلك اي بدا في وجهه
اثر عدم رضاه به لان فيه كسرا خاطر السايل ولان مثله لا يعد تكليفا
لما قدر له لما عوده الله من قبض نعمه عليه فقال رجل من الانصار يا رسول
الله انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا كان حاضرا لما راى من كراهة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البرهان ذلك الرجل هذا لا اعرفه وفي
حفظي ان القايل بلال رضي الله عنه لكنه مهاجري لا انصاري
فيكون قد قال ذلك بلال والانصاري فان الذي قال فيه ذكر بلال قصة
اخرى المامور فيها بالانفاق بلال وهو ما رواه الطبراني والبزار مسندا عن
ابن مسعود رضي الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على بلال
وعنده صبرة من تمر وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لوما اطعمنا يا بلال
فقال ما عندي الا صبرة جنا لها لك ولضيفانك فقال اما تخشى ان تفوف
بها من ناحيتهم انفق بلال ولا تخشى من ذي العرش اقلالا ومن العجب ايراد
هذا هنا ولا مناسبة له بما نحن فيه ووقع في بعض كتب الحديث انفق بلالا
ووجهه بتوجيهات منها انه صلى الله عليه وسلم ان اصله بلالي بالاضافة
ليا المتكلم وحذف حرف النداء وابدال الياء الفا كيا غلاما وقيل بلالاهنا
ليس علما بل فعال من البلل اي انفاقا رطبا تبل به قلب اكليه ولو قيل انه
رد لاصله من النصب والملق لمشاكلة اقلالا لم يبعد وقد اخرجه العسكري
في الامثال مرفوعا وفي الطبراني انفق بلالا ومعنى اقلالا ان يقل الله الرزق
ويجعله قليلا لان لكل منفق خلفا وقوله لا تخش نصف بيت وقع اتفاقا
وقيل بلا لا كلمتان اي بغير لا ويا باه رواية بابلا بحرف النداء والذي رواها

المصنف ولا تخف دون لا تخش كما مر وقول بعض الشراح الصواب لا تخشى
ليصير مؤونا غير صواب من وجهين فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرفي البشر في
وجهه بانبساطه وتهلل اشاريره وقال بهذا امرت اي بالانفاق من غير
مخافة فقر والتبسم انفتاح الفم من غير قهقهة وهو مبادي الضحك وقد
استشكل هذا بان الله امره بقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط فتقعد ملوما محسورا قال في الكشاف لان الاسراف غير محمود وكان
صلى الله عليه وسلم ينفق جميع ما عنده ويجوع حتى يربط الحجر على بطنه واجاب
القاضي ابو يعلى بان المراد بهذا الخطاب غيره صلى الله عليه وسلم وغير خلص
المومنين الذين كانوا ينفقون جميع ما عندهم عن طيب قلب لتوكلهم وثقتهم بما
عند الله اما من كان ليس كذلك يتحسر على ما ذهب منه فهم المحمود منهم التوسط
وهم الذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا لانهم كما صبر لهم على الفاقة ولذا
صعب عليه صلى الله عليه وسلم كلام عمر رضي الله عنه لما راعى ظاهر الحال
وامره بصيانة المال شفقة على النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة السايلين
له وتهافتهم عليه ولكل مقام مقال والانصاري راعى حاله صلى الله عليه
وسلم فلذا سره كلامه فقوله بهذا امرت اشارة الى انه امر خاص به ومن
يمشي على قدمه وقوله وذكر الترمذي اشارة الى من روى هذا الحديث وذكر
عن معوذ بن عفرا ذكر بالبنا للمجهول قال السيوطي ذكر هذا الحديث الترمذي
في الشمايل والطبراني عن الربيع بنت معوذ وسنده حسن يعني ان المذكور
انما هو الربيع بنت معوذ بضم الراء المهملة والتصغير فهو مشدد الياء التحتية
اسم امراة منقول من مصغر الربيع وكذا قال البرهان وقال القاله متفظ من
النسخ لفظ الربيع او وقف عليه القاضي رواية عن معوذ الا ان معوذا
لا اعلم له رواية ووقع في نسخة على الصواب ومعوذ بضم الميم وفتح العين
المهملة وكسر الواو المشددة وحكى ابن قرقول فتحها وغيره لا يجيزه وكذا
ضبطناه عن الصدفي بضم الميم وقال التلمساني قيل ان الدال مهملة مع
الفتح والكسر والاول اولى وعفرا بعين مهملة وفا مكسورة وراء مهملة ثم
همزة ممدودة اسم امه وهي عفرا بنت عبيد ابن ثعلبة وشهر بذلك واسم
ابيه الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد ومعوذ استشهد ببدر قتله ابو
مسافع وقيل انه هو الذي قتل ابا جهل وفيه كلام في السير قال اتيت النبي
صلى الله عليه وسلم بقناع بقاف مكسورة ومضمومة فنون والف فعين

مهملة

مهملة ويقال له قنع بكسر القاف وقيل قناع جمع قنع وظاهر قوله
من رطب تزيد طبقا انه مفرد وكذا قوله في حديث اخر هدى لنا القناع
فيه كعب حيث افرده واجر زغب بفتح الهمزة وسكون الجيم وكسر
الراء واصله اجرى فسقطت يا وه كدلي في جمع دلو وهو جمع جرو بكسر
الجيم بوزن علم وهو صغير القثاء وزعم ابن قرقول ان جرو اجمعه
اجراء على افعال وهو جمع جرو وزغب بضم الزاي المعجمة وسكون
الغين المعجمة وموحدة جمع ازغب وهو ما عليه زغب والزغب
صغار الريش والشعر فشبه به ما يكون على الفاكهة ونحوها من
الصغر وقوله يزيد فتا بضم القاف وكسرها وتشديد المثناة
والمد وهي معروفة وهي ضرب من الخيار والفه للتانيث او للالحاق
وهو اسم جنس يطلق على الواحد وعلى غيره ولذا فسر به الجمع ولا حاجة
لتقدير من جنس هذه وعلى كل حال فلا يقال ان رغب هنا كالدسار الصفر
كما توهم وهو تفسير لقوله اجر وروى الهروي اجن بالنون بدل اجر
وهو جمع جنا وهو الغصن الرطب والمشهور الاول وكان صلى
الله عليه وسلم يحب القثاء فاعطاني ملئ كفه ذهبا وحليا بالواو
العاطفة وفي الترمذي او قال ذهبا بما كان عنده مما جاء من البحرين
وهذا مما يدل على الوهم في رواية معوذ فانه قتل ببدر ومال البحرين
انما اتاه صلى الله عليه وسلم بعد ظهور الاسلام والحلي بفتح الحا المهملة
وسكون اللام بزنة ضرب وجمعه حلى بضم الحا وكسرها وورنه
فعول وهو كل مصاغ من الذهب والفضة وضبطه التلمساني بالمفرد
هنا فان كانت الرواية به فواضح والا فيجوز قرانه بالوجهين
وعن انس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر
شيئا لغد اخرجه الترمذي وشيا اعم من المال والقوت وهذا
بالنسبة لاغلب احواله صلى الله عليه وسلم وقد وقع خلافه تعليما
وتطييبا لقلوب اهله وهو لا ينافي التوكل كما لا يخفى والخير بمعنى
اي في بيان جوده وكومه كثير لا يحصى فمن البحر حدث ولا حرج
وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رجل النبي صلى الله عليه وسلم هذا
الرجل لم يبين والحديث لم يخرجه السيوطي ولا غيره ليساله
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي اقترض وللسلف والقرض بمعنى نصف

وسق بفتح الواو وكسرها وهو ستون صاعا وعند اهل الحجاز ثلاثمائة وعشرون رطلا واربعمائة وثمانون رطلا عند اهل العراق على اختلافهم في مقدار الصاع والمد كما قاله البرهان الحلبي رحمه الله والوسق ايضا مصدر بمعنى ضم الشيء **وجاء** الرجل الذي اقترض منه **يتقاضاه** اي يطلب منه كما مر **فاعطاه وسقا** ضعف ما اخذ منه **وقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم له **نصفه قضا** لما اخذ منك **ونصفه نائل** اي عطاء وهبة لك ووقع في بعض النسخ هنا زيادة سقطت من اكثر النسخ وهي وقد قال ابو علي الدقاق من شيوخ المتصوفة المشاهير وعلما التحارير وتكلم في الفتوة وهي غاية الكرم والايثار على رايهم واصلاحهم في الفاظهم ان هذا الخلق لا يكون بكماله الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان كل احد في القيامة يقول نفسي ويقول هو صلى الله عليه وسلم امتي امتي انتهى ما اردنا واشبعتها محمد ابن مروزوق في شرحه وتبعه التلمساني وشرحها فالتتمم الفايدة ببعض فوايدها وبيان ما فيها فاعلم ان الدقاق هو ابو علي الحسن بن علي القشيري شيخ ثقة في اول امره على القفال وغيره ثم انقطع حتى صار سيد وقته والمتصوفة والصوفية واحده صوفي ويقال تصوف اذا انقطع الى الله كما يقال قيسي اذا انتسب لقيس وهذا لفظ مولد واصطلاح حدث بعد القرن الاول فقال بعضهم الصوفي هو المنقطع بهمته الى ربه وهم مقتدون باهل الصفة رضي الله عنهم وهي سقيفة اتخذها ضعفاء الصحابة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وكان قبل الاسلام حي يقال لهم صوفة يخدمون الكعبة فقيل الصوفي نسبة لهم وقيل لانهم تجمعوا كما تجمع الصوف وقيل انهم لخشوعهم كصوفة مطروحة على الارض او هم منسوبة للصوفة للينهم وسهولة اخلاقهم او للبسهم الصوف لاختيارهم الفقير وهذا اظهر الاقوال لفظا ومعنى وقيل منسوب للصفة والاصل صفي فابدل احد حرفي التضعيف لينا وقيل انه من الصفا ففيه قلب وصحح هذا بعضهم لقول البستي تخالف الناس في الصوفي واختلفوا جهلا فظنوه مشتقا من الصوف ولست اخال هذا الاسم غير فتى صافى فصوفي حتى سمي الصوفي ولا شاهد فيه لانه على مذهب الشعراء وقد بين المصنف رحمه الله معنى الفتوة

فصل واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل هذا معنى ما قاله الحكماء في علم الاخلاق ان الله ركب في الانسان قوة هي مبدء الاقدام على الاهوال والمهالك لتصوره ان من خاطر بالنفس وبما هلك النفس وانه لا يفنى حذر من قدر وهي القوة الغضبية التشبعة

والشجاعة انقياد هذه القوة لسلطان العقل والنفس الناطقة فيكون اقدامها على حسب الروية من غير اضطراب حتى يكون فعلها جميلا محمودا وافراطها التهور وهو الاقدام حيث لا ينبغي وتفريطها الجبن وبهذا عرفت معنى الشجاعة والجراءة اعم منها وهذه تختص بالانسان وفسرها ابن الفوطية بالاقدام وهو تفسير لفظي بالاعم **والنجدة** بفتح النون وسكون الجيم ودال مهملة كما في النهاية وهي شدة الباس ويقال هم انجاد امجاد اي اشداء شجعان والواحد نجد ككتف واكناف وقيل انه جمع الجمع جمع نجد على نجاد ونجاد على انجاد وفسرها اهل اللغة بالشجاعة على عادتهم في التسامح فلا يناقي تغايرهما كما توهم ويويده ما في الحديث الاتي عن ابن عمر اشجع ولا انجد ولا اجود ولا ارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتهرت النجدة في معنى المساعدة **ثقة النفس** في بعض الشروح وثق الشيء بالضم وثاقة صلب واشتد ومنه الوثاق وثقت به بالكسر اثق ثقة اعتمدت عليه وائتمنته كما في التقريب والمصنف رحمه الله استعمل الثقة موضع الوثاقة ولم اظفر به قلت هذا عجيب منه فانه بمعنى اعتماد النفس على ربها او اعتمادها على نفسه **عند استرسالها** اي انطلاقها واخذها فيما يودي الى الموت او استرسالها وطمانينتها بلا خوف كما ورد في الحديث ايما مسلم استرسل الى مسلم فغبنه وحديث غبن المسترسل ربا حيث يجد فعلها دون خوف قيل ومنشوه قوة النفس وشدتها وليست غير الشجاعة ففسر الشدة بما ينشو عنها انتهى وكلامه مائل على تغايرهما والشراح لم يفرقوا بينهما والفرق سهل الصحيح ظاهر فان الشجاعة جراة واقدام يخوض به المهالك بما ينبغي والنجدة ثباته على ذلك مطمئنا من غير خوف من ان يقع على الموت او يقع الموت عليه حتى يقضي الله له باحدى الحسنيين الظفر او الشهادة فيحيى سعيدا او يموت شهيدا فتلك مقدمة وهذه نتيجتها ولذا اخرها المصنف في الذكر **وكان صلى الله عليه وسلم منهما** اي من الشجاعة والنجدة **بالمكان الذي لا يجهل** اي كان متصفا بهما على اعظم وجه ومشتهرا بذلك اشتهارا لا يخفى على احد وعدم جهل المكان لعلوه وشرفه وبنائه كالجبل والقصر فكني بذلك عن علو قدره صلى الله عليه وسلم وشهرته على حد قوله

ان الشجاعة والسماحة والندى ● في قبة ضربت على ابن الحشرج

قد حضر المواقف الصعبة اي مواضع القتال الشديدة ومصافها فجعلها نفسها صعبة لصعوبة ما فيها **وقوله الكماة والابطال عنه عبرة**

شبكة الألوكة www.alukah.net

الفرار الرجوع بسرعة والكماة بزنة قضاة جمع كمي على خلاف القياس لانه محصور
بفاعل المعتل او هو جمع كام بمعنى كمي وان لم يسمع وهو من تكمى اذا تستر فاصله
الشجاع اللابس للدرع والبيضة ثم استعمل في مطلق الشجاع كالمستفرق فان قيل
انه سمي به لانه يستر شجاعته ووقايعه كان الثاني حقيقة ايضا لكن المعروف
هو الاول والابطال اجمع بطل لحسن وهو الشجاع المعروف بالشجاعة سمي به
لانه بطل عنده دماء الاقران وغير مرة بمعنى مرات والعرب تجعل غير مرة بمعنى
مرات مع صدقه على مرتين للابهام ونحو من الفوايد وهو صلى الله عليه وسلم ثابت
لا يبرح اي لا يفارق مكانه كقوله فلن ابرح الارض اي لا افارقها ومقبل
لا يدبر ولا يتزحزح اي لا يزول عن مقره قال تعالى فمن زحزح عن النار
وهذه الحالتان تدلان على ثباته صلى الله عليه وسلم اي تارة يقبل على الحرب
وتارة يثبت كالجبل الراسي فلا يتحرك فان اريد باقباله مجرد توجهه بوجهه
وبعد مراده كراهة انفاته لغيرها فمما حال واحدة واصل معنى التزحزح التباعد
والتنحي عن المكان قال الزبيدي زحه اذا وقعه وكذلك زحزحه وقيل هو
من زاحه يزيحه او من الروح وهو السوق الشديد ويقال زحزحته فتزحزح
والزواح اذا تباعد ومنه المزاح والصحيح الاول وعطفه على الادبار من عطف
الخاص على العام وكان من خصايصه صلى الله عليه وسلم انه يجب عليه مصابرة
العدو وان كثروا زاد على ضعف عشكره وباقي ما فيه واما الآن فان زاد العدو
على ضعف المسلمين جاز انصرافهم عن القتال والا فلا يجوز الا بالتحيز او
التحرف الى فية فان القتال الفرار من الزحف كبيرة كما فصله الفقهاء والمفسرون
وما شجاع الا وقد احصيت له فرة احصيت بالبنا للمجهول من الاحصاء وهو
العدو والحفظ والفرة المرة من الفرار وهو الهزيمة والفار المهارب
وحفظت عنه جولة سواه صلى الله عليه وسلم الجولة بفتح الجيم وسكون
الواو واللام المرة من الجولان في المكان وقيل هي الانكشاف والزوال عن
الموقف من غير تقييد بالمرة وفي النهاية جال وجاجال اذا ذهب وجاء ومنه
الجولان في الحرب والجائل الزايل عن مكانه وقول الصديق رضي الله عنه للباطل
نزوة وللحق جولة يريد به غلبة من جال على قرنه يجول انتهى والجولة هنا صفة
ذم بمعنى فرة لا غلبة وفي الحديث للباطل جولة ويضمحل والحاصل ان الجولة
تكون بمعنى الفرار وبمعنى الذهاب للعود والتردد في المكان ويصح ارادة كل منهما
هنا ويكون صفة ذم ومدح ثم ذكر ما يدل على ما ذكره فقال حدثنا القاضي ابو

م

على الجياني فيما كتب لي هو الامام الحافظ ابو علي الغساني الجياني بفتح الجيم
وتشديد المثناة التحتية ثم الف ونون وياء نسبة لبلدة منها ابن مالك وابو حيان
وغيرهما من الايمة وقوله كتب لي دون الى يشعر بانه وقع له ذلك مع ملاقاته
بدليل قوله حدثنا فان الكتابة تكون للغايب والحاضر وتتضمن الاجازة وابن
الصلاح رحمه الله لم يفرق بين كتب له واليه اذ قال كثيرا ما يوجد في مسانيد
ومصنفاتهم كتب الى فلان وهو معمول به عندهم معدود في المسند الموصول
وفيه اشعار قوي بمعنى الاجازة وان لم يقترن بها وعند السمعاني وامام
الحرمين انه اقوى من الاجازة المجردة قال ثنا القاضي سراج بكسر السين كالسراج
المنير وهو سراج بن عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج الاموي توفي
لست بقين من جمادي الاولى سنة ثمان وخمسماية والذي روى عنه الجياني هو
جد سراج بن عبد الملك كما قاله التلمساني قال حدثنا ابو محمد الاصيلي هو
ابو محمد عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر الاصيلي ويقال الا
بالزاي والسين ايضا نسبة لاصيلة بلدة بالمغرب معروفة كما قاله ابن فرقول
وقال الصاغاني في الذيل والصلة اصيل بلد من اعمال الاندلس قال نا ابو
زيد الفقيه هو ابو زيد المروزي وقد تقدمت ترجمته قال ثنا محمد بن يو
هو الفربري وقد تقدمت ترجمته ايضا قال ثنا محمد بن اسماعيل هو الامام
البخاري وقد تقدمت ترجمته قال ثنا ابن بشار الامام الحافظ ابو بكر
محمد بن بشار بفتح الموحدة التحتية وتشديد الشين المعجمة والف وراء
مهملة المعروف ببندار روى عنه اصحاب الكتب الستة عاش ثمانين
وخمسين ومايتين وقيل احدى وخمسين وترجمته مفصلة في الميزان
قال ثنا غندر بضم الغين المعجمة وسكون وفتح الدال المهملة وتضم
وراء مهملة وهو محمد بن جعفر الهذلي مولاهم البصري الحافظ روى
له اصحاب الكتب الستة توفي سنة ثلاث وتسعين وماية وترجمته
في الميزان ايضا عن ابي اسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي الهمداني الكوفي احد
اعلام الحديث اخذه عن عدد من الصحابة وعدد من التابعين وروى
عنه خلق كثير وله نحو ثلاثماية شيخ وهو شبيه الزهري في الكثرة وكان
صواما قواما غازيا مات سنة سبع وعشرين وماية وله خمس وتسعون
سنة واخرج له اصحاب الكتب الستة وله ترجمة في الميزان سمع البرا بن
عازب الصحابي المشهور وقد سأله رجل وهذا الحديث اخرجه القاضي كما ترى

زيلي

سنة وقيل سنة اثنين وتسعين

فى الجهاد ورواه مسلم فى المغازي والنسائي فى السير افررتم معاشر الصحابة
يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم وحنين ابن ماسه
ابن مهاييل وبه سمى الموضع المعروف وسميت غزوة حنين واوطاس باسم الموضع
الذي كانت فيه الوقعة سنة ثمان من الهجرة فى شوال ووقع فى البخاري انه
صلى الله عليه وسلم خرج الى حنين فى رمضان والمعروف انه فى شوال وما ذكره
المصنف ورد فى بعض طرق الحديث وفى بعضها افررتم ولم يذكر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهى رواية مسلم وعلى هذه الرواية قال النووي جواب البرا
رضى الله عنه من بديع الأدب لان تقديره افررتم كلكم فيقتضى انه صلى الله
عليه وسلم وافقهم على ذلك فقال البرا لا والله ما فر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهى رواية مسلم وعلى هذه الرواية قال النووي ولكن جماعة من اصحابه جرى
لهم كذا وكذا انتهى وهذا الجواب لا يتاتى الا على الرواية الثانية وكان ينبغى
للشيخ ان يجيب بجواب غير هذا الان هذا الفهم احترز عنه السايل بقوله عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجب انه صلى الله عليه وسلم انهزم قط ولم ينقله
احد وقد نقل الاجماع على انه لا يجوز ان يعتقد انه صلى الله عليه وسلم انهزم
ولا يجوز ذلك عليه بل كان العباس وابو سفيان رضى الله عنهما اخذ بن بلجام
بغلته يكفانها عن اسراع التقدم الى العدو كما ياتى وقد صرح به البرا فى حديثه
كذا قال البرهان وقيل عليه انه ياتى الجواب على ما رواه المصنف ايضا لان
قول السايل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان دفعوهم انهما فرمعهم لا يدفع
انه فر بعد فرارهم فكان ثابتا فيما طواه البرا فى الجواب الذي تقديره فرمن
فر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي دفعه بقوله لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يفر لانه استدراك لدفع ما توهم من الكلام السابق وان لم يصرح به وما
وما قيل من انه يمكن ان يقال قصد البرا ان بين ان فرارهم لم يكن بالكلية
وانما معناه تحولنا عن وجه العدو فجعلنا جولة ثم عدنا وكيف ندع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو اعز من انفسنا او هو من الاسلوب الحكيم فكانه
لما سأله عن فرارهم قال له هذا لا يمكن شانه وانما الذى ينبغى ان تعتقد انه
صلى الله عليه وسلم لم يفر تكلف ليس فى الكلام ما يدل عليه ثم قال لقد
رايته على بغلته البيضا الشهبا يقال لها فضة اهداها له فروة بن نفاثة
كما فى مسلم وفروة بفتح الفا واسكان الرا ونفاثة بضم النون وبالفا المخففة
وبالمثلثة الجذامى بضم الجيم وبالذال المعجمة وفى رواية ابن اسحاق ابن نفاثة بالعين

والميم

والميم والمعروف الاول وقال بعضهم ركب صلى الله عليه وسلم فى حنين
بغلة شتى دلدل وكذا قال النووي فى شرح مسلم والمعروف الاول ودلدل
اهداها له المقوقس وكبرت وبقيت الى زمن معاوية رضى الله عنه ويقال
انه وهبها صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله عنه وكان له صلى الله عليه وسلم
ست بغلات او خمس كما ذكره الحفاظ وذكر وامن اهداها له وابو سفيان بن
الحارث بن عبد المطلب بن عم النبى صلى الله عليه وسلم واسمه المغيرة او اسمه
كنيته وكان اخاه من الرضاع والف الناس به قبل النبوة وكان يشبهه صلى
الله عليه وسلم ايضا وكان شاعرا مطبوعا فلما ظهر الاسلام اظهر العداوة
وهجا النبى صلى الله عليه وسلم واجابه حسان رضى الله عنه بما هو مذكور
فى السير ثم اسلم وحسن اسلامه وابلى بلا احسنا يوم حنين وتوفى سنة عشرين
وصلى عليه عمر رضى الله عنه وهو احد من ثبت يوم حنين وهم عشرة
او اكثر كما وصله اصحاب السير اخذ بلجامها اي ممسك عنان بغلته
صلى الله عليه وسلم والعباس رضى الله عنه من الجانب الاخر فالتفت رسول
الله صلى الله عليه وسلم لابى سفيان وقال له من انت قال احوك ابو سفيان
ابن الحارث فداك ابي وامي فقال نعم اخى ناولنى حصا من الارض فناولته
ورمى به فاصاب اعينهم كلهم وانهزموا وانما امسكا باللجام ليلا يسرع
بالانصاله بالعدو لما راياه من اقدامه صلى الله عليه وسلم ومسارعته فاشفقا
عليه بمقتضى المحبة الاسلامية والرحم وان علما عصمته صلى الله عليه وسلم وتحققا
ان الله له والنبى صلى الله عليه وسلم يقول انا النبى لا كذب واراد غيره انا
ابن عبد المطلب هذه الرواية المشهورة بسكون الباللوقف ويروي
بتحريك الباء فيهما وروى بلا كذب وعلى هاتين الروايتين لا اشكال وعلى
الرواية المشهورة اشكال مشهور وهو انه يكون موزونا من مجزو بحر الرجز
والنبى صلى الله عليه وسلم لا يصدر منه الشعر لقوله تعالى وما
علمناه الشعر وما ينبغى له فكيف يصدر عنه صلى الله عليه وسلم هذا
ونحو كقوله هل انت الا اصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت ووقع
مثله فى كتاب الله واجيب عنه بان الرجز ليس من الشعر كما ذهب اليه
بعضهم استدلالا بهذا وبان العرب تسمى قايله راجزا لا شاعرا وبان المراد هم
بالشعر المنزه عنه صلى الله عليه وسلم ان يكون بنظم انواعه فيكون سجيته
وما وقع نادرا لا يعد قايله شاعرا ونظيره ما قاله الباقلاني فى كتاب

الاعجاز ان القران يقع فيه ذلك حتى يكون جامعا لانواع الكلام وبمثله لا يكون
القران شعرا كالبيت او المصراع اذ اوقع في اثناء رسالة او خطبة والجواب المشهور
ان الشعر هو الكلام الموزون المقفى بالقصد وما وقع في الحديث كهذا وفي
القران كقوله يريدان يخرجكم من ارضكم بسحرهم لم يقصدوا نظمه فلا يسمى شعرا
وهذا في الحديث صحيح واما في القران فلا لانا اذا سلمنا وقوعه فيه لا بد ان
ان يكون بالقصد والارادة لانه لا يمكن ان يقع شيء في الخارج بغير ارادة
وقد ذكرت هذا البحث مرتين فاستحسنه ثم رايته في بعض شروح المفتاح
وقد اجبنا عنه في كتابنا طراز المجالس وكان ابن قدامة في كتاب الخلة
لحظ هذا فذهب الى انه ليس في القران موزون لانا لا نحب ان نقراه على هذه الطريقة
بل نصل الكلام ولا نقف على ما يشبه العروض والضرب وحينئذ لا يكون
موزونا وهو كلام حسن وقوله لا كذب اذا حرك يلزمه الوقف على متحرك وهو
لحن لا يصدر عمن هو اصح الناس وفيه نظر ونفيه الكذب عنه لانه صلى
الله عليه وسلم مصون عنه مطلقا او معناه لا كذب في الظفر والنصر وما
وعدني الله او لا كذب في دعوى النبوة لظهور ايانه ووضوح برهان معجزاته
والمقصود تثبتهم حتى لا يفر احد منهم وقوله وزاد غيره ان كان الضمير
راجعا للبخاري اقتضى صنيعه ان هذه الزيادة لم ترد في البخاري مع انها
فيه في محلين من كتاب الجهاد فكان ينبغي له اسقاط قوله وزاد غيره وان رجع
لغيره من سمع البراء الامر واضح وقوله انا ابن عبد المطلب ليس من الافتخار المنهي عنه لانه جائز
في الجهاد لارهاب العدو وكان صلى الله عليه وسلم يبصر بالرعب كما مر
وهذا جار على عاداتهم كقوله
اقول له والرمح يأطر متنه ٭ تأمل خفافا انني اتأود لكما
قيل فارى يومئذ احد كان اشد منه صلى الله عليه وسلم اي
لم ير في حرب هوازن اقوى واشجع من النبي صلى الله عليه وسلم وقد
ركب بغلته وقد ظاهر عليه درعا ومغفرا وطاف على الصفوف يحضهم
على القتال ويبشرهم بالفتح ان صدقوا وصبروا وكانوا بروا للقتال
في كتائب لم ير المسلمون مثلها عدة وعدة وحملوا حملة واحدة وكانوا ارمى
الناس بالسهام وارعفهم بالقفاف فانهزم الناس والنبي صلى الله عليه وسلم
ثابت يلتفت يمينه ويسرة لمن فر منهم وهو يقول انا النبي لا كذب

من المسلمين اختلف في عددهم كما مر وفصل في السير وكتب الحديث وذكر
مسلم في صحيحه رواية عن العباس رضي الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم
قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين وطفق رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي جعل وشرع في فعل ذلك يركض بغلته نحو الكفار اي
يسوقها ويسرع بها والركض الضرب بالرجل فمتى نسب الى الراكب فمواعدا
مركوبه نحو ركضت الفرس ومتى نسب الى الماشي فوطئ الارض نحو قوله
اركض برجلك ونحو منصوب على الظرفية اي في جهتهم وانا آخذ بلجامها اي
ممسكه اكفها اياه منعها من السرعة ارادة ان لا تسرع اي لاجل ارادة ان لا
تسرع نحو العدو ليقع به وابو سفيان بن الحارث ابن عمه آخذ بركابه هذه
رواية وفي اخرى ان ابا سفيان كان يقود بغلته صلى الله عليه وسلم آخذ
بلجامها من احد جانبيها فلعله تارة كان يفعل كذا وتارة كان يفعل كذا فلا تعارض بين الروايات ثم نادى اي العباس رضي الله عنه وكان
جهوري الصوت يا للمسلمين بفتح اللام الاولى لدخولها على المستغاث به
فان دخلت على المستغاث له كسرت نحو يا لله للمسلمين وكان لذا وه رضي
الله عنه بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال له يا عباس ناد اصحاب السمرة
فناداهم فقطعوا وقاتلوا حتى هزم الله اعدا الدين وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الآن حمي الوطيس وهذا الحديث نقله المصنف رحمه الله عن
مسلم بالمعنى اذ ليس فيه ندا العباس وخص العباس رضي الله عنه
بذلك لانه كان صيتا يسمع صوته من ثمانية اميال واصحاب السمرة هم
اصحاب الشجرة وانما خصهم بالندا لانهم لما بايعوه تحتها بايعوه على الموت
وان لا يفروا فذكرهم بذلك ورفع خصائص الخيضري كان يجب عليه صلى الله
عليه وسلم مصابرة العدو وان كثروا والامة انما يلزمهم الثبات اذا لم يزد
عدد الكفار على الضعف كذا قالوه من غير دليل لكن ذكر الماوردي ان من خصائصه
صلى الله انه اذا بارز رجلا لم ينكف عنه وانه لا يفر من الرجوع وخوفه من
القتل غير جائز لان الله عصمه انتهى وقيل كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم انا عضب ولا يغضب الا لله لم ير قط غضبه شيء لمهابة كل احد له صلى الله
عليه وسلم وخوفه منه لا يتحرك احد عنده وقال شيء دون احد مبالغة فان
العاقل وغيره سواء في ذلك ففي هذا اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم كان يقتدر
الغضب واحمرة احيانا ولكن ذلك غيرة على حدود الله لا لنفسه ومناسبة هذا

لما نحن بصدده من ذكر الشجاعة ان الغضب مقتضى للبطش والاقدام
وهو من نمطها وهذا بعض من حديث صحيح في شمايل الترمذي وقال
ابن عمر رضي الله عنهما من حديث صحيح رواه الدارمي مسندا ما رايت اشجع ولا
اجود ولا اجود تقدم الفرق بين الشجاعة والجودة فليس عطفه عليه عطف
تفسيري كما توهم ونفي الافضل هنا يفيد نفي المساوي بطريق الكناية
كما تقول ما في البلد اعلم من زيد كما تقدم تحقيقه ولا ارضى من رسول الله صلى
الله عليه وسلم اي اكثر رضى منه لانه صلى الله عليه وسلم كان يرضى بكل شيء
من ملبوس ومأكول وغيره ويحتمل ان المراد بالرضى عدم الغضب اي كان اكثر
حاله عدم الغضب لان الرضى يكون مقابلا للسخط ويكون بمعنى الارادة وعدم
الكره وكل منهما فسر الرضى اذا كان صفة لله وعلى ذلك مبنى اختلاف الاشاعرة
والماتريدية في ان رضى الله للكفر في قوله ولا يرضى لعباده الكفر والظاهر انه هذا
مراد المصنف لانه المناسب لما قبله وهذا الحديث رواه احمد والنسائي
والطبراني والبيهقي قيل عطفه اجود على اجد لما بينهما من المناسبة فان الجواد
لا يخاف الفقر والشجاع لا يخاف الموت كقوله ان الذي جمع السماحة والبجدة
والبر والتقى جمعا ولان الاول بذل النفس والثاني بذل المال والجود بالنفس
اقصى غاية الجود وقال علي رضي الله عنه كنا اذا حمي الباس بالموحدة وهمزة
او الف وهو الشدة والمراد به الخوف او الحرب وحمي بزنة علم او قد فيه
استعارة مصرحة او مكنية اي اشتد القتال وهذا معنى ما وقع في الرواية
الاخرى حمي الوطيس فان الوطيس التنور كما مر وذلك ابلغ مع نكتة لانه
صلى الله عليه وسلم قاله في غزوة اوطاس على ما تقدم من الكلام عليه بما لا مزيد
عليه ويروى اذا اشتد الباس وهذه الرواية مفسرة للاولى واحمرة الحدق
جمع حدقة وهي ما تحت الاجفان واحمرارها يكون عند الغضب لان الدم
يهيج فيه وفي الحديث الغضب جمرة تتوقد في قلب ابن ادم اما ترى انتفاخ
اوداجه واحمرار عينيه وفسر بشدة الغضب وهو غير مناسب هنا
وان كان كل عدو وغضبان على عدوه ولذا فسر بكثرة الموت والظاهر
انه كناية عن زيادة هيجانها لانه يقال اشتعلت واوقدت ومن قرب من النار
ولازمها تحمر عينه فالمعنى اشتد القتال وادامه اتقينا برسول الله
صلى الله عليه وسلم اي جعلناه وقاية لنا من العدو بان يتقدم علينا فيدفع
العدو ونحن خلفه كما يشير اليه قوله فما يكون احد اقرب الى العدو منه ولذا امسكوا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بغلته صلى الله عليه وسلم يوم حنين كما مر ولم ينكر عليهم وقد صارت هذه
سنة في الملوك وقت القتال حتى ان آل عثمان يقيدون فرسه ولقد رايتني
بضم التاء وهذا من خصائص افعال القلوب وما الحقها من راي البصرية
والحكمة ان يكون فاعلها ومفعولها ضميرين متصلين لشئ واحد وراي
هذه بصرية كما في قوله

ولقد ارانى للرماح دريئة ٭ من عن يميني تارة وامامي

وقد اختلف في تقليل هذا كما فصل في كتب النحو وكان الظاهر لقوله
بعده يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم ان يقول رايتنا فكانه
عدل عنه اشارة الى ان كل احد مشغول بنفسه لا يرى غيره ونلوذ بمعنى
نستتر ونلتجي اليه قال عز وجل قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا
وهو اقربنا الى العدو ومنا لشدة شجاعته صلى الله عليه وسلم والمراد
بالعدو الكفار وكان صلى الله عليه وسلم من اشد الناس يومئذ
باسا اي نكاية في العدو كقوله تعالى والله اشد باسا واشد تنكيلا
كما قاله الراغب وهذا الحديث اخرجه احمد والنسائي والطبراني والبيهقي
في الدلائل من طرق عنه واخرج مسلم بعضه من حديث البراء ابن عازب رضي
الله عنه كما قاله السيوطي في مناهل الصفا وقيل كان الشجاع هو الذي
يقرب منه صلى الله عليه وسلم اذا دنا العدو اي قرب من المسلمين
وقت المقابلة لقربه اى النبي صلى الله عليه وسلم منه اي العدو
وهذا من كلام البراء ابن عازب رضي الله عنه الذي رواه مسلم
في صحيحه ولذا قيل ان قول المصنف رحمه الله قيل ليس في محله
لابهامه ضعفه وعن انس رضي الله عنه هذا حديث صحيح اتفق
عليه الشيخان كان النبي صلى الله عليه وسلم احسن الناس كلهم خلقا
وخلقا واجود الناس اي اكثرهم عطاء واحسانا واشجع الناس
افعل تفضيل ولا وجه لما قيل انه للنفي ثم ذكر ما يدل على شدة شجاعته
صلى الله عليه وسلم فقال لقد فزع اهل المدينة اللام في جواب
قسم مقدر والمدينة مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم علم لها بالغلبة
والفزع الفتماض والفؤاد يعتري المرء مما يخاف وهو قريب من الجزع
ولذا يقال خفت الله ولا يقال فزعت من الله كما قاله الراغب قال تعالى
لا يحزنهم الفزع الاكبر اي من دخول النار ويكون الفزع بمعنى الاستغاثة قال

كنا اذا ما اتانا صارخ فزع ٭ كشفية بيض في الحديد دعاء

اى في ليلة منصوب على الظرفية اى في ليلة فانطلق
ناس اى خرجوا من المدينة قبل بكسر القاف وفتح الباء بمعنى الجانب والجهة
تلقاهم اي تجيء بقال ذهب قبل السوق قال تعالى فما للذين كفروا قبلك
مهطعين بمعنى عندي يقال لي قبله حق ويستعار للوسع والطاقة نحو فلنا بهم
بجنود لا قبل لهم بها الصوت الذي سمعوه وخرجوا ليعرفوا خبره لظنهم
انه عدو الله وغار على من هناك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج
قبلهم وحده لذلك فعرفوا ذلك ورجع فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
حال كونه راجعا من جانب سمع الصوت منه قد سبقهم الى الصوت اي المكان
الذي سمع الصوت منه اى من جهته وقد استبرأ الخبر بمهملة ومثناة وموحدة
وهمزة وقد تبدل الفا اى وقف صلى الله عليه وسلم على حقيقته وفي
الاساس استبرأت الشئ طلبت اخره لاقطع الجهة عني واستبرأ الارض
قطعها انتهى حال كونه راكبا على فرس لابي طلحة زيد بن سهل بن الاسود
ابن حرام الانصاري الصحابي وكان ذلك الفرس يسمى المندوب اى المطلوب
اولانه كان فيه ندب اي اثر جرح عرى بضم العين وسكون النون الراء المهملة
مجرور وصفة فرس ويقال في الاردى عريانا اذا المركبن له لباس ولغيره
عرى وقيل انه عرى بضم العين وكسر الراء وتشديد المثناة التحتية بمعنى
عرى وليس في اللغة ما يساعده اى ليس على ظهره شئ من سرج او غيره
قال في المغرب فرس عرى لا سرج عليه ولا لبد وجمعها عرى لا يقال فرس عريان
كما لا يقال رجل عرى واعرورى الدابة ركبها عريانا ومنه كان عليه الصلاة
والسلام يركب الحمار معرورية وهو حال من ضمير الفاعل المستكن ولو كان
من المفعول لقيل معروري والسيف في عنقه اى حمايله معلقة في عنقه
الشريف متقلدا به صلى الله عليه وسلم واعلم ان هذا هو السنة في
حمل السيف كما قاله ابن الجوزي لا شده في وسطه كما هو المشهور الآن
وهو يقول لم نفيه من اهل الفزع لن تراعوا لن هنا بمعنى لم ونفي
الروع بفتح الراء بمعنى الخوف والمراد نفي سببه اي ليس هناك شئ تخافونه
واستدل بهذا الحديث على طهارة عرق الخيل وهذا حديث صحيح في الصحيحين
وقال عمران ابن حصين بكسر العين المهملة وسكون الميم وراء مهملة وحصين
بمهملتين كتصغير حصن وهو صحابي خزاعي كان من فقهاء الصحابة وفضلائهم
رضي الله عنه ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم كتيبة بفتح الكاف وكسر التا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المثناة فوق وبالمثناة التحتية وبا موحدة هي الجيش المجتمع وقيل جماعة
الخيل المغيرة من تكتبوا بمعنى تجمعوا ومنه الكتاب لجمعه الحروف الاكان اول
من يضرب بسيفه ويقاتل وهو من قصر الصفة على الموصوف وهذا الحديث
رواه الشيخ في الاخلاق وفيه راو مجهول ولما راه صلى الله عليه وسلم ابي بن خلف
يوم احد هو ابي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح الكافر المشهور الذي
طعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحربته في وقعة احد فوقع عن فرسه ولم
يخرج منه دم وكسر ضلعه كما يأتي فهلك عدو الله وقول المزي في تهذيبه انه
صلى الله عليه وسلم اخبر بانه يقتل ابي بن خلف فخدشه يوم بدر واحد فمات
وكره بالتردد بين بدر واحد لا وجه له ويوم احد ظرف لرويته وهو يقول
حال من ابي ابن محمد سوال عن المكان فان قلت كيف يسال عن مكانه وهو قال
الله راه قلت يحتمل ان السوال ليس على حقيقته بل مجاز عن تمكنه منه وظفره
به او التقدير اين يذهب صحمد او الظرف ممتد وقع جميع ذلك فيه فهو في وقت
واحد وان تقدم وتاخر لا يجون ان نجا وعا على نفسه بالهلاك ان نجا الله
حبيبه ورسوله صلى الله عليه وسلم والفال موكل بالمنطق وقد كان ابي
يقول حين اقتدى يوم بدر قيل يوم بدل من حنين واقتدى مبني للفاعل
ومفعوله محذوف اي اقتدى اسيرا له وهو ابنه عبد الله والاقتداء اعطاء
الفدية لافتكاك الاسير فالمراد بحين الاقتداء يوم بدر بتمامه لالزام الضيق
الذي وقع الاقتداء يوم بدر فيه لان الظاهر انه لم يقتل وعيده له صلى الله عليه
وسلم الا في الاقبل ان يقتدى لا حين الاقتداء وقيل يوم بدر ظرف لمحذوف يدل
عليه اقتدى اي اقتدى اسيره يوم بدر فيوم بدر متعلق باسيره اي من اسر يوم بدر وهو
ابنه ولا يستقيم كونه بدلا من حين لان الاقتداء وقع بعد وقعة بدر بالمدينة
وابي قال ما قال حين اقتدى لا بعده وكان من قال ان ذلك وقع قبل ان يقتدى
ظن ان الكفار لم يكونوا يدخلوا المدينة بالامان فالاسر وقع ببدر والاقتداء
بالمدينة فلا تنافي البدلية فتامل عندي فرس اعلفها الفرس يقع على الذكر
والانثى وانثها هنا لانها كانت انثى وقد ورد في الحديث تذكيرها وتانيثها
بحسب المراد والقرائن وقال التلمساني اعلفها هو الصواب وفي السير اعلفه
بضمير المذكر واصل الفرس الانثى وقد يقال للانثى فرسة وهو كلام مشوش
والذي في الصحاح انه يقع على الذكر والانثى ويصغر على فريس وان اردت
الانثى خاصة لم تقل الا فريسة بالهاء عن ابي بكر بن السراج انتهى فلا وجه لقوله

الصواب واسم فرسه العود بوزن الضرب وعينه ودال مهملتان والعلف
ما كول الحيوان كل يوم فرقا بفتح الفاء والراء المهملة وتجوز تسكينها وقيل لا يجوز
وهو مكيال يسع ستة عشر رطلا وتحريكه وتسكينه بمعنى وقيل المسكن مائة وعشرون
رطلا والمحرك ستة عشر رطلا من ذرة بيان للفرق بضم الذال المعجمة وفتح الراء المهملة
المخففة وهي نوع من الحبوب معروف وتقدم ان عروة احد كانت في شوال
سنة ثلاث وقيل الظاهر ان المراد هنا الفرق بالتحريك
لان الفرس لا يعلف ذلك المقدار كما لا يخفى اقتلك عليها صفة
او جملة مستانفة في جواب سوال مقدر وقيل الفاء حال وهو
بعيد وان صح ان يكون حالا مستظرة فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم انا اقتلك ان شاء الله فحقق ما اوعده وكان
انما علف فرسه لتشوقه لقتاله كما حافر بطلفه
على حتفه ولكل باغ مصرع فلما راه اي راى ابي النبي صلى
الله عليه وسلم يوم احد اليوم على ظاهره او بمعنى مطلق
الزمان او المراد به الوقعة على حد قولهم ايام العرب
شد اي ابي بن خلف الشقي اي عدا واسرع قال الراغب يقال
شد فلان واشتد اذا اسرع ويجوز ان يكون من قولهم
اشتد الريح واصل معنى الشد القوة على فرسه على رسول
الله صلى الله عليه وسلم الجاران متعلقان بشد وان كان
لا يجوز تعلق جر في جر بمعنى متعلق واحد اما لانه قيد الشد
والعدو بانه على فرسه لا على رجليه ثم قيده به بعد تقييده
بالاول فيتغاير المتعلق معنى لان الاول يقيد به وهو مطلق
والثاني تعلق بالمقيد كما حققه صاحب الكشاف في قوله تعالى
كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا او الاول مستقر حالا اي راكبا
على فرسه والثاني لغو وشد جواب لما الثانية والاعلى جواب
الاولى فاعترضه رجال من المسلمين اي حالوا بينه وبين رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدفعوه ويصدوه عنه او قصدوا
نحوه وجهته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا اي
تنحوا ولا تحولوا وتعترضوا بيني وبينه فهكذا هنا اسم فعل امر
بمعنى اتركوا سبيله قال السهيلي فلا يعمل فيه ما قبله كما اذا قلت

جلس هكذا اي على هذه الحالة او يقدر له عامل تقديره
ارجعوا هكذا ثم استغنى عنه وقام هكذا مقامه واصله مركب
من ها التنبيه وكاف التشبيه وذا اسم اشارة الى كونه انسلخ
عن معناه اشار بقوله اي خلوا طريقه اي اجعلوها خالية من
حائل بيني وبينه وتناول اى اخذ صلى الله عليه وسلم بيده
الحربة بوزن الضربة وهي واحدة الحراب بوزن رجال وهي
قناة صغيرة سميت بها لانها من الآت الحرب وقيل ان هذه
الحربة كانت للنبي صلى الله عليه وسلم لانه كان لا يزي مشاركة في
جهاده وسفره في سبيل الله ولذا اشترى من ابي بكر رضي الله عنه
راحلته التي هاجر لها واظهر انها كانت للحارث وربما استعان
بغيره من اصحابه كما اشار اليه بقوله من الحارث بن الصمة بكسر
الصاد المهملة وفتح المشددة وهاء تانيث ومعناه الشجاع المصمم
في اموره ثم نقل علما وهو اعني الحارث ابن الصمة ابن عمرو بن عتيك
الانصاري الصحابي شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وهم
وغيرها من المشاهد وقتل ببئر معونة وذكر ابن الاثير
ان الذي ناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة كعب بن مالك
وبين الروايتين مخالفة وجمع بينهما بانه تناولها من احدهما فسقطت
منه فتناولها الاخر او ان احدهما وهو الذي معه الحربة كان بعيدا
منه فتناولها اخر قريبا منه فسلمها له بيده ولا بد من التوفيق فان
الروايتان صحيحتان والقصة واحدة فانتفض بها اتفاضه
اصل معنى النفض بالنون والفاء والضاد المعجمة ازالة الغبار
ونحوه عن ثوب او شجر قال ابو ذويب

تنفض لهده وتزود عنه • وما تغني التمايم والعكوف

ويقال نفض وانتفض اذا اهتز ونفض الصبغ اذا اثر لونه
في غيره وذكر نصيب عن بنانة فقال نفضت عليهن لوني
وقلت في اول قصيدة

نفضت على صباغها ايام • نفض البياض لها قليل قيام

وهو هنا استعارة اى قام لها قومة سريعة وضمير لها
للحربة وما قيل انه مستعار من انتفاض الطائر قال كما انتفض

العصفور بلله القطر غير مناسب هنا الا ان يقال ما وجه
للتقديه والمعنى انه هزها وقيل معناه تحرك وحركها
والابلغ الاحسن ان يقال انه استعارة تمثيلية يلزمها تشبههم
بانهم كالذباب المؤذي الواقع المتهافت فيفيد هجومهم عليه
وتشبه لهوضه بفحل اهتز ليزيل ذبابا وقع عليه لقوله نظا
عنه نظاير الشعر عن ظهر البعير اذا انتفض وتظايروا
بمعنى تفرقوا فارين بسرعة كالطيور والشعرا بفتح الشين
المعجمة وسكون العين المهملة وراء مهملة بعدها همزة ممدودة
ذبابة لها ابرة وفي نسخة البرهان بفتح العين الا انه لم يثبت
وقال القتيبي الشعر جمع شعرا وهي ذباب صغار حمر
تؤذي الدواب والرواب وقيل زرق وقيل كثيرة الشعر
وفي رواية نظاير الشعاريز وهي جمع بمعنى الشعر وقياس
واحده شعروى وقيل هي ذباب تجتمع على دبرة البعير وفي
الروض الانف الشعراذباب صغير له لذع وفي المثل قيل للذ
ما تقول في عتيمة تحرسها حوبرة قال شحيم في ظفر قيل فما
تقول في عتيمة تحرسها عليم قال شعرا في ابطي اختشى خطوانه
وهي سهام تتعلم الغلمان لها الرمي هنا وروى فرجل بالحربة
اي رمى بها انتهى قيل رواية الشعر انسب لان الواحد لا ينظا
أقول هذا ردة القيل والقال وما انكر من فتح العين لا وجه
له فان تحريك حرف الحلق لغة قال بعض النحاة انها نظرد
فيقولون في بحر وشعر بحر والشعر البيس مفردا بل اسم جمع
كالطرفا فلا وجه لما قيل ان الانسب الشعر وقول بعضهم
الشعرا جمع شعر كانه تحريف واعلم ان ضمير نظايروا للكفار
الذين كانوا هجموا مع ابي وقيل انه للصحابة رضي الله عنهم
ونظايرهم عنه صلى الله عليه وسلم بادنه ليكشفوا له عن ابي
ولا يخفى انه لا يناسب هذا بوجه لتشبههم بالشعرا ولا نظايروم
كما لا يخفى ثم استقله اي قام النبي صلى الله عليه وسلم ومشى اليه
بالحربة وطعنه في عنقه طعنة تزاحم منها عن فرسه مرارا تدادا
بمشاة فوقية وذالين مهملتين وهمزتين اى تدحرج وسقط وقيل مال

وضمير منها للطعنة ومثله تدهده وقيل الفا بدل من الهمزة
وفي رواية تردي اي وقع وقيل لم يطعنه صلى الله عليه وسلم
في عنقه بل كسر ضلعا من اضلاعه بكسر الضاد المعجمة وفتح
اللام ويجوز تسكينها مع كسر الضاد وفتحها عظم معروف وفاك
الاخفش في لحن الابمن تسع اضلاع وفي الايسر ثمان وما نقص
منه نادر في النسا وهو الذي خلقت منه حوى ولذا روي عن ابي
حنيفة في الخنثى المشكل انه يحكم فيه بانه انثى بتمام اضلاعه
وعكسه وقال التلمساني رواية طعنه اقوى لان المعروف الطعن
بالرمح وفيه نظر وقيل انه صلى الله عليه وسلم طعنه فوقع
عن فرسه فكسر ضلعه وفيه جمع بين الروايتين وهو حسن
فرجع الى قريش وهو يقول قتلني محمد جملة يقولها حالية اي
قايلا وعبر بالماضي لتحققه الموت وهم يقولون لا باس بك الباس
بهمزة ساكنة وتبدل الفا كما مر وهو اسم لا مبني على الفتح
والباس الشدة والموت والالم وهذا هو المناسب ويقال
لا باس عليك ولا باس بك للتسلية او الدعا له بان لا يصيبه
شي من الباس وفي نسخة عليك بدل بك وهما بمعنى فقال لو كان
مالي من الالم والشدة التي اجدها في نفسي موزعا وحالا بجميع
الناس لقتلهم اي فكيف احمل انا وحدي هذا واسلم منه البتة
فذاك صلى الله عليه وسلم حين نوعده انا اقتلك قيل
اصله اقتلك انا فقدم المسند اليه للحصر اي انا لا غيري
اقتلك وحدي لا يشاركني احد ولا يساعدني في قتلك
الا الله حتى قيل ان قوله تعالى وما رميت اذ رميت نزلت
فيه فالقصر قصر افراد والظاهر انه قصر قلب فهو المناسب
للرد عليه اي انا اقتلك لا انت تقتلني فتدبر والله لو بصق
علي لقتلني البصق رمي ما الفم ويقال بالصاد والسين والزاي
وانما قاله لتحقق ذلك صدقه صلى الله عليه وسلم فيما
قاله فمات الملعون من تلك الطعنة بسرف بسين مهملة
مفتوحة وراء مهملة مكسورة وفا اسم موضع وقيل اسم جبل قريب
من مكة على ستة اميال او سبعة او تسعة او اثني عشر على اختلاف

فيه واسم مكان مونه مناسب له لانه كان مسرفا على نفسه كما قيل
اختبر الارض باسمائها • واختبر الصاحب بالصاحب
في قفولهم الى مكة اي الكفار اي ماتوا وقد رجعوا من احد الى مكة عمها
والقفول معناه الرجوع وتسميتهم القافلة قافلة تفاؤلا بان يرجو
كما يسمى الملدوغ سليما فانكار الحريري وتخطيته فيه لا وجه
له وهذا الحديث صحيح رواه البيهقي في الدلايل عن عروة
ابن الزبير وسعيد بن المسيب مرسلا وعبد الرزاق
في مصنفه والواقدي في مغازيه وابن سعد في طبقاته
وقيل انه قال هذه المقالة بمكة لما خلص ابنه من الاسر
ورجع به وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول انه مات ببطن
رابغ وان اسيرا من المسلمين مر وهو اسير برابغ فراي بعد هدو
من الليل نارا فهابها فلما دنا منها خرج رجل في سلسلة يصيح
العطش ومعه رجل يقول لا تسقه فانه ابي بن خلف فقتيل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت سبحان الله فصل
واما الحيا والاعضا الحيا ممدود وهو في اللغة ضد الوقاحة
وفعله استحيا يستحيي بيا بين وتحذف احديهما تخفيفا
والاعضا اصل معناه ارخا المجفون قريبا من الانطباق وهما
متغايران لغة وعرفا ويدل عليه قول الفرزدق يقضي حيا
ويقضي من مهابته • فما يكلم الا حين يبتسم فالحيا رقة الوقة
ضد الغلظ ورقة القلب ان لا يكون فيه قسوة وجفا قال
الراغب الرقة كالرقة لكن الرقة تقال باعتبار رقة جوانب
الشي والرقة باعتبار عمقه وهي في الجسم ضد الصفاقة وفي
النفس تضاد الجفوة والقسوة تعتري اي تعرض وتحدث
وجه الانسان فيكون فيه ما يدل عليه كحمرته عند الخجل عند
فعل ما يتوقع كراهته لم يقل ما يكره لان من يراه قد لا يكرهه
فالمراد ما من شانه ان يكره او ما يكون تركه خيرا من فعله
وان لم يكره وقال الراغب الحيا انقباض النفس عن القبايح
وتركها وفي الحديث ان الله يستحي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه
وليس المراد انقباض النفس لتنزه الله سبحانه عنه وانما المراد

به ترك تعذيبه وقال النووي هو خلق يمنع من القبيح
ومن التقصير في الحقوق وقال الزمخشري هو تغير وانكسار
يلحق من فعل او ترك ما يذم به وله تفصيل في تفسير البيضاوي
كما بيناه في حواشيه فانظره والاعضاء في عرف اللغة التفاعل
اي اظهار الغفلة ممن لبست فيه والمراد التجاوز عما يكرهه
الانسان بطبيعته وان لم يكره شرعا وكان النبي صلى الله عليه
وسلم اشد الناس حياء واكثرهم عن العورات جمع عورة
وهي كل ما يقبح اظهاره ولذا كني عن سواة الانسان وعن
المراة بالعورة وهي ماخوذة من العار اعضا اي سكوتا وتجا وزا
والاعضاء يتعدى بعن وعلى وعبر في جانب الحيا بالاشدية
وفي الاعضاء بالاكثرية لان الحيا كيفية نفساني به تنشوء عنها
كيفية حسية تقبل الشدة والضعف والاعضاء فعل من الافعال
يكثر ولا تزيد كيفيته من حيث هو وقيل لان الاعضاء نوع احتمال
وحلم وعفو ممن وقع في مكروه وهو مسبب عن الحيا والسبب
اقوى باعتبار انه منشوء للمسبب عنه وفيه نظر ثم استدل
على ان هذه الصفة الحميدة موجودة فيه صلى الله عليه وسلم
فقال قال الله سبحانه ان ذلكم اى مكثهم في بيت النبي صلى
الله عليه وسلم مستانسين بحديث بعضهم لبعض كان يوذي
النبي فيستحيي منكم الاية والله لا يستحيي من الحق وكان
صلى الله عليه وسلم بنى بزينب بنت جحش واولم بشاة وتمر
وسويق وامر انسا يدعوه الصحابة لذلك فرعا مم فجعلوا يجلون
ويا كلون ويخرجون ويجيء اخرون الى ان بقي ثلاثة نفر
فاطالوا المكث يتحدثون فنادى رسول الله عليه الصلاة والسلام
بذلك وكان شديد الحيا فنزلت الاية في حقهم ان ذلكم كان يوذي
النبي صلى الله عليه وسلم لضيق منزله فيستحيي منكم ان يامركم بالخروج
منه وهذا من الاداب الشرعية فيستحب لمن زار احدا او لو بدعوة
ان يظهر القيام للذهاب ثم يذهب ما لم يقل له امكث عندي
وقد قال السلف رحم الله من زار وخفف وقيل لبعضهم هل تزل
في الثقلا قران فقال نفكر فاذا طعمتم فانتشروا وللسيوطي تاليف

لطيف في هذا حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراتي عليه تقدمت ترجمته
وقد روايته عنه بقراتي عليه وهو يسمع وهو العرض
والصحيح صحة ذلك الا انه اختلف في كونها دون قراة الشيخ
او مثلها او فوقها على ثلاثة اقوال وتفصيله في ابن الصلاح
قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد بن عبد الرحمن بن حاتم
المعروف بابن الطرابلسي وتكنيته بابي القاسم غير مكروهة
لاختصاصه بحياته صلى الله عليه وسلم او لانه انما يكره الجمع
بين الاسم والكنية والخلاف فيه مشهور كما سياتي قال
حدثنا ابو الحسن القابسي بن محمد بن خلف الامام الحافظ
منسوب لقابس بلدة بالمغرب وقد تقدمت ترجمته قال
حدثنا ابو زيد المروزي بفتح الميم وسكون الراء المهملة وفتح
الواو والراي تقدم الكلام فيه وفي نسبته قال حدثنا محمد بن يوسف
هو الفربري وقد تقدم قال حدثنا محمد بن اسماعيل هو البخا ري
وقد روي هذا الحديث مسندا في صفته صلى الله عليه وسلم
وكذا اخرجه مسلم في فضائله قال حدثنا عمدان بفتح العين
المهملة وسكون الموحدة والدال المهملة والف ونون وهو
عبد الله بن عثمان بن جبلة بن ابي رواد العتكي المروزي
ابو عبد الرحمن الحافظ توفي سنة احدى وعشرين ومائتين
واخرج له اصحاب الكتب الستة قال انبانا عبد الله ابن
المبارك بن واضح الحنظلي التميمي الزاهد شيخ خراسان
ومسندها له مناقب مشهورة روى عنه اصحاب الكتب الستة
وغيرهم وتوفي سنة احدى وثمانين ومائة وولد سنة
ثمانية عشر ومائة وقبره بهيت بزاء قال اخبرنا سعيد
تقدمت ترجمته عن قتادة تقدم ايضا قال سمعت عبد الله مولى
انس هو ابن ابي عتبة مولى انس رضي الله عنه وقيل اسمه
عبيد الله مصغرا وذكره ابن حبان في الثقات مكبرا وهو يروي
عن انس وعايشة رضي الله عنهما وروى عنه كثير واخرج
له اصحاب الكتب الستة وهو بصري صدوق ثقة يحدث عن ابي
سعيد الخدري بن مالك بن سنان الخدري وقد تقدم الكلام

عليه وان الخدري بدال مهملة كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اشد حيا من العذرا في خدرها وهذا الحديث صحيح
اخرجه الشيخان والترمذي وابن ماجة والمصنف
اخرجه من طريق البخاري وحيا ممدود تقدم معناه وبالقصر
المطر وهو منصوب على التمييز المحول عن الفاعل والعذرا
بعين مهملة وذال معجمة وراء مهملة ومد البكر الباقية بعذرتها
وهي جلدة يلتحم بها الفرج فاذا جومعت زالت فيقال اقتضها
وازال عذرتها ومنه يقال لمن فعل ما لم يسبق اليه ابو عذرة
وابو عذرته والخدر بكسر الخا المعجمة وسكون الدال وسترها
المهملتين هو البيت او ستر في جانبه اي البيت او قبة تضرب
لها فان قلت البكر في جنابها بين اهلها وابويها وهي
لا تحتجب عنهم ولا تستحيي منهم كاستحيائها من الاجانب
فكان الظاهر ان يقال العذرا في غير خدرها لما فيه من
المبالغة قلت المراد بكونها في خدرها انها لم تخرج بسبب
وتزوج ونحوه لانها اذا خرجت بذلك قل حياؤها وزال حجابها
وقيل المراد التعميم وان العذرا في خدرها اشد حيا
لكونه مظنة الاجتماع بها والظاهر ان المراد تقييده بما
اذا دخل عليها في خدرها لا حيث تكون منفردة قاله ابن حجر
ولا يخفى ما فيه فانه لا دلالة في اللفظ على ما قاله فالحق
ما سمعته اولا وكان صلى الله عليه وسلم اذا كره شيا عرفناه
في وجهه اي عرفنا انه كرهه بعلامات تلوح في وجهه
الشريف كتغيره وعض بصره ونحوه والمراد انه اذا لم يكن
في حدود الله وحقوقه فلا يؤاخذ احدا بما يكره كما قال الصرصري
فاق العذارى في الخدور حياوه ٭ لاجيد فيه لصاحب اوشاني
وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة عدم معنى اللطف
والبشرة بفتح الباء الموحدة والشين المعجمة والراء المهملة وهي
ظاهر جلد الوجه والجسد كله ومنه البشارة لظهور اثار
الفرح بها في الوجه وهذا كالعلة لمعرفته ذلك في وجهه الشريف
لانه صلى الله عليه وسلم للطف بشرته يظهر فيها ذلك وكذا قوله

رفيق الظاهر اي ما يظهر من بدنه رفيق يظهر فيه
بسرعة اثارا لانفعالات النفسية ولاوجه لتفسيرها بانه
يستحيي كما قاله التلمساني لا يشافه احدا اي لا يكلم صلى
الله عليه وسلم احدا ولا يواجهه بما يكرهه حيا وكرم نفس
منصوب مفعول له اي بترك ذلك تكرما منه صلى الله عليه وسلم
لاحوفا ومداراة وعن عايشة رضي الله عنها هذا حديث رواه
ابو داود في سننه مسندا كان رسول الله عليه الصلاة
والسلام اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان
يقول كذا البال هو الحال والشان وما استفهامية مبتدا
او خبر عن بال وجملة يقول حال او مفسرة للبال ولكن يقول
ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا اشارة وكناية عما يكره
فلا يعين الصانع او القايل وفلان وفلانة كناية
عن اسما الادميين والفلان والفلانة كناية عن اسما غيرهم
وروي انس رضي الله عنه هذا الحديث رواه ابو داود
والترمذي والنساي قالوا انه صلى الله عليه وسلم دخل
عليه رجل به اثر صفرة الصفرة اللون المعروف والمراد
بها لون الورس والزعفران يعني انه كان خضب بذلك فبقي
عليه بقية منها ولم يسم هذا الرجل فلم يقل له شيا من
لهفيه عن ذلك ونحوه مما يكرهه كما اشار اليه بقوله وكان
صلى الله عليه وسلم لا يواجه احدا بما يكره اي لا يخاطبه
شفاها ويقول له في وجهه شيا يكرهه وان قاله احيانا في غيبته
فلما خرج ذلك الرجل من مجلسه صلى الله عليه وسلم قال
لو قلتم له ينفسل هذا اي اثر الصفرة والخضاب او ينزعها
بفتح الزاي المعجمة يقال نزعه ينزعه كساله يساله اذا ازاله
والضمير للصفرة والشك من الراوي وهما بمعنى ولو شرطية
جوابها محذوف لتذهب النفس كل مذهب وتقديره اصبتم ونحو
وقيل انها مصدرية اي ودت قولكم هذا وخضاب هذا
الرجل ان كان في لحيته دل على منع خضاب اللحية بالحنا ونحوها
ولا يعضده ما في البخاري عن قتادة رضي الله عنه انه قال

شبكة الألوكة www.alukah.net

سالت انسانا هل خضب النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا انما
كان شيء في صدغيه اي شيء قليل من الشيب لا يحتاج للخضاب
لانه لا يدل على تركه لانه منهى عنه شرعا بل لعدم الحاجة اليه
وكذا ما روى عنه انه صلى الله عليه وسلم لم يخضب قط اي
لعدم الحاجة اليه الا انه روى عن انس رضي الله عنه انه راى
شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم مخضوبا بعد موته
كما نقله ابن الجوزي اما قبله فاختلفت فيه الروايات فروي
جماعة انه صلى الله عليه وسلم كان يخضب بالصفرة والورس
والزعفران وكان عمر رضي الله عنه يفعله وجمع الكرماني
بين الروايات بانه صبغ في وقت وتركه في معظم الاوقات فاختار
كل بما راى وقد امر صلى الله عليه وسلم بالخضاب بالصفرة وحث
عليه وفعله وتبعه على ذلك اكابر الصحابة فهو سنة من تركها
فقد ترك سنة وانما تركه بعضهم لما فيه من التكلف وهو احب
للنساء وارهب للعدو وكذا الخضاب بالسواد وقيل ان النبي صلى
الله عليه وسلم نهى عن الخضاب بالسواد وحمل على ما اذا كان فيه
تدليس على النساء في هذا الحديث محمول على غير خضاب اللحية
بان يحني يديه ورجليه او يجعل الصفرة في ثوبه فانه منهى
عنه وفي فتاوى شيخ شيوخنا ابن حجر الهيتمي انه من غير حاجة
كحرب ونحوه حرام لما فيه من التشبيه بالنساء وصنف فيه رسالة
مستقلة وقوله صلى الله عليه وسلم المتقدم يغسله او ينزعها
فيه دليل على انه كان في ثوبه ولو لم نحمله على هذا اشكل الحديث
والشراح لم يتعرضوا له وقالت عايشة في الصحيح اي في الحديث
الصحيح المروي عنها كما خرجه الترمذي وصححه لم يكن النبي
صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا الفحش كل امر قبيح
او شديد القبح قولا او فعلا والفاحش من يصدر عنه ذلك والا
والمتفحش من يتعمده ويبالغ فيه والظاهر ان المراد به بذاءة
اللسان هنا وبويده قوله ولا صخابا بالاسواق صخاب بفتح وتشديد
صيغة مبالغة من الصخب وهو رفع الصوت بمبالغة فيه وهو بالصاد
والسين وهكذا كلما كان معه حرف تراخ يجوز ابداله قياسا مطردا

وخص الاسواق لانه فيها اقبح ولا تهما محله واما في المنزل
ونحوه فلا حاجة اليه ولا يجزي بالسيئة السيئة لانه احق بالاجر
من الله على ذلك لانه المنزل عليه فمن عفى واصلح فاجره على
الله ولما كان العفو غير لازم من عدم المجازاة بالفعل اتى بالاستدراك
في قوله ولكن يعفو ويصفح يعني انه صلى الله عليه وسلم كثير
العفو فيما لا يكون من الحدود وحقوق الله والعفو ترك المواخذة
بالذنب والصفح الاعراض عن المشي بحيث لا يخجله وقد تقدم شرحه
وهذا الحديث مروي في الصحيحين بطريق اخر عن عبد الله
ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن عطاء بن يسار انه قال
له اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة
فساقه له في حديث طويل واليه اشار بقوله وقد حكى بالبنا
للمجهول مثل هذا الكلام الذي قالته عايشة رضي الله عنها
عن التوراة من رواية عبد الله بن سلام بفتحتين مخفف
اللام وهو الصحابي المشهور رضي الله عنه وعبد الله بن عمرو
ابن العاصي رضي الله عنهما وهو وان كان قريشيا لكنه قرا
الكتابين وكان عالما بما فيهما ولذا سالوه عن صفة النبي صلى
الله عليه وسلم فيهما وقد اختلف في تحريف اهل الكتاب
كتبهم هل كان بتغيير عباراتها بنقص وزيادة او انه انما كان
بمجرد التاويل وصرف ما فيها عن ظاهره والصحيح ان كلا
منهما واقع واذا كان كذلك علم وجه المنع من قراتها واياه انه
حرام ولا يرد عليه ان بعض الصحابة رضي الله عنهم كان
يقروها لانهم نقلوها قبل اسلامهم وهم لا يخفى عليهم ما غير
منها والظاهر انه لا يمنع منه من عرف ذلك وقصد الرد
عليهم وروي عنه اي عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا
ذكره الامام الغزالي في الاحياء وقال الحافظ انه لم يجده في كتب
الحديث وكذا قال السيوطي رحمه الله انه صلى الله عليه وسلم كان
من حيائه لا يثبت بصره في وجه احد اثبات البصر بمعنى اطالة
النظر من غير تخلل اغماض يخفى ونحوه حتى كان صار بصره قارا في المرئي
وحصر تثبت الابصار فيه • كان عليه من حدق نطاقا

شبكة الألوكة www.alukah.net

فتخيل حقيقة الثبات فيه شربين عليه جعله كالنطاق
وان كان فيه للادبا كلام وانه صلى الله عليه وسلم كان يكني
عما اصطره الكلام اليه مما يكره اي يورد المعنى القبيح عفا
بطريق الكناية لشدة حيايه صلى الله عليه وسلم كقوله حتى
تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك لان الجماع وذكره للمراءة
يستحيى منه ومثله في الحديث كثير وعن عايشة الصديقة
بنت الصديق رضى الله عنها ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم قط مع انه يجوز روية كل احد من الزوجين فرج الآخر
وان كان مكروها وفي حديث رواه ابن حبان النظر الى الفرج
يورث الطمس اي العمى فقيل عمى الناظر وقيل عمى اولاده وقيل
المراد عمى القلب والمعنى الله صلى الله عليه وسلم لشدة حيايه لم
يكشف عورته عند أحد قط كما ورد من كرامتي على الله انه
لم يطلع لي على عورة احد فاذكر منطبق على ما سبق له الكلام فاذن
عايشة رضى الله عنها زوجته صلى الله عليه وسلم واقرب
الناس واحبهم اليه وكان يضاجعها وينام عندها فاذا لم تر ذلك
منه صلى الله عليه وسلم لزم عدم كشفه عندها واذا لم يكشف
عندها فبالطريق الاولى عند غيرها وانما كفت عن ذلك
ولم تصفه نادبا منها فلله دره فهذا كقولهم لا ريبك هنا
فلا ترفع الثياب الا وقد لاصقها فتكون ساترة له حينيذ وهذا
معنى قوله تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن فلا يتوهم ان
عدم رويتها لذلك لغض بصرها حيا منه صلى الله عليه
وسلم لانه لا ينكشف عندها فافهم فصل

واما حسن عبارته تم الجزء الاول من شرح الشهاب
الخفاجي على الشفا رحمه الله تعالى
وكان الفراغ منه يوم الخميس المبارك
ثالث شهر جمادى الاخرة
من شهور سنة ١٨٠٤

لبعض العلما

ياسايلي عن ليلة القدر التي • في عشر رمضان الاخير حلت
فانتهاي في مفرات العشر • فتعرف من يوم ابتدا الشهر
فبالاحد والاربعا التاسعة • وجمعة مع الثلاثا السابعة
وان بدا الخميس فالخامسة • وان بدا السبت فالثالثة
وان بدا الاثنين فهي الحادي • هذا عن الصوفية الزهاد

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الاتمان
الاكملان على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين
وعلى اله وصحبه اجمعين اما بعد فهذه قصيدة ضارعت
بها بانت سعاد في مدح سيد العباد صلى الله عليه وسلم وهي
قصيدة مباركة دعوت بها على شخص يقال له الفقيه ابو بكر بن المد
المستاذن المهتدي والده الى الاسلام الشريف وكان هو خطيب
الجامع بثغر عدن المحروس وكان يوذيني كثيرا بلسانه فحول الله
تعالى فكه عن مكانه وهو على المنبر قايما يخطب فقاصصه بذلك
في مدة اقرب واسرع زمان كرامة لنتلقى في سيد المرسلين وفي
اله الطيبين الطاهرين ثم لما اتصل ذلك بالمقام الشريف السلطاني
الاشرفي اسماعيل ابن العباس صاحب اليمن السعيد رحمة الله عليه
عزله عن خطابة الجامع وولى الفقيه احمد بن خالد ثم لم يزل المذكور
معتزلا محولا الى ان مات ثم لما شاع ذلك من امرها استحسنها غالب
الاصحاب وصاروا يدعون بها على الظالم فيعجل الله له فيه بالفرج
القريب كرامة للحبيب ومحبة في اله وصلوات الله وسلامه عليهم
اجمعين ولهذا سميتها وسيلة الملهوف الى اهل المعروف
وهي مايه بيت على بحر البسيط والقافيه من المتواتر
على روي اللام المضمومة وهي هذه بسم الله الرحمن الرحيم
خير الانام هو المقصود والسول • بالحق للخلق مبعوث ومرسول
المصطفى احمد المختار من مضر • له من الله تعظيم وتجليل
محمد الهاشمي المستجار به • كما شرعه في الدين قنديل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

هو الشفيع الرفيع القدر أكرم من * مشى على الارض فى رجليه تبجيلُ
عليه من ربه الايات منزلة * له على كل خلق الله تفضيلُ
كم معجزات له القران شاهدها * ثم الزبور وتوراة وانجيلُ
رقى الى العرش من فرش له وعلا * ظهر البراق تسامى وهو محمولُ
حتى دنى فتدلى رفعة وعلا * كقاب قوسين بل ادنوا وهو مكفولُ
فقيل سل تعط ما تحتاز كرما * واشفع تشفع شفيع انت مقبولُ
وصار يخترق السبع الطباق الى * ان جاء بكريم الوحى جبريلُ
فحل فى حضرة بالله عامرة * شريفة ربعها بالانس مشمولُ
حتى راى ربه حقا بناظره * وخاطب الله جهرا وهو موصولُ
حوى من العز ما لا حازه احد * فى الانبيا فاضل منهم ومفضولُ
امامهم فخرهم حقا وسيدهم * لانه غرة والكل تحجيلُ
كالبدر دارت نجوم حول حضرته * ونور طلعته فى الافق اكليلُ
احواله كلها بالله قائمة * وجل اوقاته ذكر وتهليلُ
عين الحقيقة من عرب ومن عجم * سواه فى الخلق تمثيل وتخييلُ
فالنفس زاكية والروح طاهرة * وقلبه فى رضى الرحمن مشغولُ
وذاته لم تزل لله عاملة * يزينها منه اوصاف وتشكيلُ
فيه مع الحسن والاحسان اربعة * عز ونصر وانوار وتكميلُ
وفى شريعته الغراء اربعة * امر ونهى وتحريم وتحليلُ
وفاض من كفه للخلق اربعة * الغيث والقطر والانهار والنيلُ
وجوده عم كل الناس قاطبة * دنيا واخرى ومنه الفضل مبذولُ
فالذ به واستغث ان كنت ذا وجل * وعنك باب الرضى والامن مقفولُ
عسى لعل فكم لطف وكم فرج * لله فيه لدفع الهم تعجيلُ
يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي * عبد ضعيف ولى بالباب تطفيلُ
يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي * فحوض فضلك مورود ومنهولُ
يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي * يا من به للهدى والخير تحصيلُ
يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي * فكم على باب فضل منك مذلولُ
يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي * انت المرجى وفى الحاجات مامولُ
يا آل بيت رسول الله يا عربي * قد احتمى نازلا فيهم ومنزولُ
يا احمد يا ابا الزهراء فاطمة * ويا علي لديه السيف مصقولُ

ويا حسين

ويا حسين من السبطين يا حسنُ * من استغاث بكم فالخير محصولُ
الغارة الغارة المظلوم منتصر * اسعاف انصافكم يا من هو السولُ
يا اهل الكساء ويا من ضمهم شرف * مع الرسول واكرام وتاهيلُ
الطيبين الثنا والطاهرين به * وفى قضايلهم ما شئتم اقولوا
فالفضل فى حسب منهم وفى نسب * عنهم كما هو فى الاخبار منقولُ
يا آل طه ويا سين المحب لكم * فى جنة الخلد لا يلويه تبديلُ
يكفيكم شرفا بين الانام اذا * ما كان فخر به للمرء تفضيلُ
ان طهر الله بيتا حزتموه كما * قد اذهب الرجس عنكم فهو مفضولُ
وزادكم ربكم فخرا بثانية * فيها من الفضل اجمال وتفصيلُ
من لا يصلى عليكم فهى باطلة * صلاته وهو محروم ومخذولُ
يا ال بيت الله يا اشرفا * فقلبى على حبكم والله مجبولُ
فهل لصب محب نجدة بكم * فقلبه بسهام البين مبتولُ
وقد توالى عليه الليل بسهرة * فكرا وعنه جميل الصبر معزولُ
وقد تكون فى احشايه الم * كما تكون فى اثوابها الغولُ
وليس يكشفها يا خير واسطة * سوى الحبيب الذى فى جاهه طولُ
يا احمد يا ابا بكر ويا عمر * من استغاث بكم ما ذال محذولُ
ويا ضجيعاه فى قبر حوى شرفا * عليكما من اله العرش تخليلُ
يا رب يا رب يا مولاى يا سندى * يا من عليه لكل الخلق تعويلُ
ان جئت اذكر ما فى النفس من ارب * فانت ادرى بشرح فيه تطويلُ
انت الغنى وكل الخلق سايلة * وهل سوى باعث الارزاق مسئولُ
بحق احمد حقق ظننا فلنا * بجاه احمد تنويه وتنويلُ
يا سيد الرسل يا من شرعه علم * هاد وطالبه بالخير مشمولُ
لولاك ما كان لاعلم ولا عمل * ولا حديث ولا نص وتاويلُ
لولاك ما كان لا حل ولا حرم * ولا صلاة ولا صوم وتنزيلُ
لولاك ما كان لا حج ولا نسك * ولا وقوف ولا ذكر وتهليلُ
لولاك ما كان لا سعى ولا رمل * ولا طواف واحرام وتحليلُ
لولاك ما كان لا شمس ولا قمر * ولا كتاب ولا وحى وتنزيلُ
يا قاصد البيت يطوى البيد من شغف * والسوق منه لفرط الشوق محمولُ
من مر يوما بوادي مرتبات على * سعادة وهو بالآمال موصولُ

يا سعدان جئت للمعلاة قف ادبا ... وانزل عن الكور ما للميس ترحيل
واخلع نعالك عن ارض مطهرة ... لان فيها كلام الله منزول
ومولد المصطفى فيها وبعثته ... وقبلة الدين ما فى ذاك تاويل
ارض اذا بات فيها مذنب كثرت ... له الاجور وعنه الذنب مغسول
هذا المقام وحجر عنده حجن ... فيه يطيب لخلق الله تقبيل
هذا الحطيم وبيت فيه ملتزم ... وزمزم والصفا والركن والميل
فالهج بكعبته الغراء وطيبته ... وناد فى النادى لا بل هيئ تفضيل
يا اكرم الانبيا يا من بنعمته ... للقادمين على التخويف تخويل
وجاء فى الجمعة الغراء وليلتها ... عنه من الخير تبجيل وتاجيل
وقد مرنا باكثار الصلاة على ... محمد فيهما والفضل مامول
فمن يصلى على المختار واحدة ... يأتيه عشر من المولى وتنفيل
خير الورى احمد الهادى النبى ومن ... به لراجيه عند الجرح تعديل
ساد الانام وشاد الدين ثم رقى ... فضلا وهل فضل خير الخلق مجهول
من مثله من يدانى من يشابهه ... والفضل فى اللوح منقوط ومشكول
بدر حبيب شفيع صادق علم ... سيف من الله فى الاعداء مسلول
مبشر ونذير عادل حكم ... مطهر طاهر ما فيه تعليل
يا ليت شعرى ما ينظمى وما فكرى ... وما مديحى وقولى فيه تقليل
من كان ربك فى القرآن مادحه ... ومن فضائله حم تنزيل
والانس والجن والاكوان اجمعها ... لاجله خلقت والعرض والطول
فما عسى تبلغ المداح فيه وما ... يأتى به من له فكر ومعقول
فمن هو العبد لولاك يا هلنى ... ما كان فى مدحه للعبد تاهيل
فى بردة المصطفى سوف يزيدونى ... يا نت سعاد فقلبى اليوم متبول
فالنفس مشتاقة والقلب فى قلق ... متيم اثرها لم يفد مكبول
ان لم انل نزر كعب كنت معتذرا ... والعذر عند كرام الناس مقبول
ان قدر الله لى فوزا بزورته ... فكلما قدر الرحمن مفعول
لعل من فاز كعب بالامان به ... من بعد ما كان امسى وهو مقتول
يقضى بعفو وغفران لماوحه ... اذ اعراه من الدارين تهويل
ومن يؤمن فى حال الدعا كرما ... لا فض فاه وعنه السوء مغلول
يا رب عبدك شعبان الفقير له ... ذنب اضر به والضيف محمول

يا خاتم الرسل يا من للوجود به ... فخر وفيه لكل الخلق تاميل
يا شافع الخلق يا من جود راحته ... فيه لراجيه تسبيغ وتسبيل
يا من اذا رمت مدحا فيه يسره ... فهمان لى فى بحار الشعر تفعيل
لولاك يا ايها البدر المنير لما ... خضنا بحورا ولا طابت اقاويل
يا من اذا قلت مدحا فى شمائله ... فالوصف مسك وفيه النظم مفعول
يا رب عبدك فى حال الرجا وله ... فى مدح احمد ترتيب وترتيل
نزيل بابك يرجو رحمة وسعت ... وليس للعبد عن مولاه تحويل
فاغفر له ولكل المسلمين ومن ... تغفر له فعليه السنز مسبول
ثم الصلاة وتسليم الاله على ... بدر به لجميع الرسل تكميل
محمد المصطفى والآل ثم على ... صحابه ما بدا شوق وترسيل

تم بحمد الله وعونه
وحسن توفيقه

